

فما الالب ثم قال هو التكلف فاعلمك أن لا تدري به وهذا كله محمول على انه ما رضى الله عنهم انما اراد الاستكشاف علم كيفية الالب والافكونه بتمام من الارض ظاهر لا يجهل كقوله تعالى فانبتنا فيها احبا وعبا الآية وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن عليه عن أيوب عن ابن أبي مليكة ان ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بضعكم لقال فيها فاني ان يقول فيها اسناده صحيح وقال أبو عبيد حدثنا السمعيل بن ابراهيم عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة فقال له ان عباس في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقال له الرجل انما سألتك (٩) لحدثني فقال ابن عباس هما يومان ذكرهما

الله في كتابه الله أعلم به مما فكره ان يقول في كتاب الله ما لا يعلم وقال ابن جرير أيضا حدثني يعقوب يعني ابن ابراهيم حدثنا ابن عليه عن مهيدي بن ميمون عن الوليد بن مسلم قال جاء طلق بن حبيب الى جندب بن عبد الله فسأله عن آية من القرآن فقال أخرج عليك ان كنت مسلما ما قت عني أو قال أن تجالسني وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان اذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال انا لا نقول في القرآن شيئا وقال الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه كان لا يتكلم الا في المعلوم من القرآن وقال شعبة عن عمرو بن مرة قال سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال لا تسألني عن القرآن وسئل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء يعني عكرمة وقال ابن شاذان حدثني يزيد بن أبي زيد قال كانا سأل سعيد بن المسيب عن الحرام والحلال وكان أعلم الناس فاذا سأله عن تفسير آية من القرآن سكنت كأن لم يسمع وقال ابن جرير حدثني أحمد بن عبد الصني حدثنا جاد بن

فان وجدت فيه هذا الشرائط فلا طعن فيه والافهوجمزل عن القبول قال الرخشي من حق التفسير أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدى سليمان التادح وكما ينو في التفسير شرائط ينو في التفسير أيضا شرائط لا يحل التعاطي لمن عرى عنها أو هو في ارجل وهي أن يعرف اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والقراآت وأصول الدين وأصول الفقه وأسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والفقه والاحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم وعلم الموهبة وهو علم يورثه الله سبحانه لمن عمل بما علم انتهى ثم ان تفسير القرآن ثلاثة أقسام الاول ما لم يطاع الله عليه أحد من خلقه وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنهه ذاته ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه الثاني ما أطلع الله سبحانه نبيه عليه من أسرار الكتاب واختص به فلا يجوز الكلام فيه الا له صلى الله عليه وسلم وأولى أذن له قبل وأوائل السور من هذا القسم وقيل من الاول وهو الرابع والثالث علوم عليها الله نبيه وأمره بتعليمها وهذا ينقسم الى قسمين منه ما لا يجوز الكلام فيه الا بطريق السمع كاسباب النزول والناسخ والمنسوخ واللغات والقراآت وقصص الامم وأخبار ما هو كائن ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستنباط من الالفاظ وهو قسمان قسم اختلف في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الاحكام الاصلية والفرعية والاعرابية وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والاشارات لا يتبع استنباطها منه لمن له أهلية ذلك وما عدا هذه الامور هو التفسير بالرأى الذي نهى عنه وفيه خمسة أنواع الاول التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير الثاني تفسير المتشابه الذي لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى الثالث التفسير المقرر للمذهب الفاسد بان يجعل المذهب أصلا والتفسير تابع له فيرد اليه بأي طريق أمكن وان كان ضعيفا الرابع التفسير بان مراد الله سبحانه كذا على القطع من غير دليل الخامس التفسير بالاستحسان والهوى والتقليد (أقول) ان التفسير الذي ينبغي الاعتماد به والرجوع اليه هو تفسير كتاب الله جل جلاله باللغة العربية حقيقة ومجازا ان لم تثبت في ذلك حقيقة شرعية فان ثبتت فهي مقدمة على غيرها وكذلك اذا ثبت تفسير ذلك من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو أقدم من كل شيء بل حجة متبعة لا يسوغ مخالفتها شيء

(٢ - فتح البيان ل) زيد حدثنا عبيد الله بن عمر قال لقد أدركت فقهاء المدينة وانهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع وقال أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن ليث عن هشام بن عروة قال ما سمعت أبي يؤول آية من كتاب الله قط وقال أيوب وابن عون وهشام الدستوائ عن محمد بن سيرين سألت عبيدة يعني السلماني عن آية من القرآن فقال ذهب الذين كانوا يعملون فيما أنزل القرآن فاتقوا الله وعليك بالسداد وقال أبو عبيد حدثنا معاذ عن ابن عون عن عبد الله بن مسالم بن يسار عن أبيه قال اذا حدثت عن الله حديثا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده حدثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم

قال كان أصحابنا يلقون التفسير ويهابونه وقال شعبة عن عبد الله بن أبي السفر قال قال الشعبي والله ما من آية الا وقد سألت عنها ولكنكم الرواية عن الله عز وجل وقال أبو عبيد حدثنا هشيم حدثنا عمرو بن أبي زائدة عن الشعبي عن مسروق قال اتقوا التفسير فانما هو الرواية عن الله فهذه الآثار الصحيحة وما شأنا كذا عن أئمة السلف محمولة على تحريمهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه فاما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشعر فلا حرج عليه ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة لأنهم تكلموا بما علموه (١٠) وسكتوا عما جهلوه وهذا هو الواجب على كل أحد فانه كما يجب السكوت عما لا علم له به

آخر ثم تفاسير علماء الصحابة المختصين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه يعد كل البعد أن يفسر أحدهم كتاب الله تعالى ولم يسمع في ذلك شيأ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى فرض عدم السماع فهو أحد العرب الذين عرفوا من اللغة دقها وجلها وأما تفاسير غيرهم من التابعين ومن بعدهم فان كان من طريق الرواية نظرنا في صحة سواها كان المروى عنه الشارع أو أهل اللغة وان كان بمحض الرأي فليس ذلك بشي ولا يحل التمسك به ولا جعله حجة بل الحجة ما قد مرناه ولا نطق بعالم من علماء الاسلام أن يفسر القرآن برأيه فان ذلك مع كونه من الاقدام على ما لا يحل بما لا يحل قد ورد النهي عنه في حديث من فسر القرآن برأيه فاصاب فقد أخطأ ومن فسر القرآن برأيه فخطأ فقد كفر أو كما قال الأنا لم تبعبد عجترد هذا الاحسان للظن على أن تقبل تفسير كل عالم كيفما كان بل اذالم نجد مستند الى الشارع ولا الى أهل اللغة لم يحل لنا العمل به مع التمسك بحمل صاحبه على السلامة ونظير ذلك اختلاف العلماء في المسائل العلمية فلو كان احسان الظن مسوغا للعمل بما ورد عن كل واحد منهم لوجب علينا قبول الاقوال المتناقضة في تفسير آية واحدة أو في مسألة علمية واللازم باطل فاللزم مثله واذا عرفت هذه القواعد فاعلم ان كتب التفسير كثيرة ذكرتها ملا كاتب الحلبي في كشف الظنون ما يزيد على ثلثمائة تنسب لمرتب على حروف الهجاء وزدنا عليه في كتابنا الاكسيري في أصول التفسير فيها تفسير ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي الحافظ المتوفى سنة خمس وتسعين ومائتين واتقاه الشيخ جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة احدى عشرة وتسعمائة في مجلده ومنها تفسير ابن جرير أبي جعفر محمد الطبري المتوفى سنة عشرة وثلثمائة قال السيوطي في الاتقان وكتابه أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الاقدمين اه وقد قال النووي أجبت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا ومنها تفسير ابن كثير الامام الحافظ أبي الفداء اسمعيل بن عمر القرشي الدمشقي المتوفى سنة أربع وسبعين وسبعمائة تليد شيخ الاسلام بن تيمية الحراني رحمه الله تعالى وهو كبير في عشر مجلدات فسر بالاحاديث والآثار مستندة عن أصحابها مع الكلام على ما يحتاج اليه جرحا وتعديلا ومنها تفسير ابن

فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لتو له تعالى لتبينه للناس ولا تسكتونه ولما جاء في الحديث الذي روى من طرق من سئل عن علم نكته أبلغ يوم القيامة بلجام من نار وأما الحديث الذي رواه أبو جعفر ابن جرير حدثنا عباس بن عبد العظيم حدثنا محمد بن خالد بن عتبة حدثنا أبو جعفر بن محمد الزبيرى حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيأ من القرآن الا أتابعه دعلمن آياه جبرائيل عليه السلام ثم رواه عن أبي بكر محمد بن يزيد الطرسوسي عن معمر بن عيسى عن جعفر بن خالد عن هشام به فانه حديث منكر غريب وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيرى قال البخاري لا يتابع في حديثه وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي منكر الحديث وتكلم عليه الامام أبو جعفر عما حاصله ان هذه الآيات مما لا يعلم الا بالتوقيف عن الله تعالى مما وثقه عليها جبرائيل وهذا تأويل صحيح لو صح الحديث فان من القرآن

ما استأثر الله تعالى بعلمه ومنه ما يعلمه العلماء ومنه ما تعلمه العرب من لغاتهم ما لا يعذر أحد في جهالة كما صرح المنذر بذلك ابن عباس فيما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبي الزناد قال قال ابن عباس التفسير على أربعة أوجه وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد في جهالة وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه أحد الا الله قال ابن جرير وقد روى نحوه في حديث في اسناده نظر حديثي يونس بن عبد الأعلى الصدفي أنبأنا ابن وهب سمعت عمرو بن الحارث يحدث عن الكلبي عن أبي صالح مولى أم هانئ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال

وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به وتنسب تفسيره للعرب وتنسب تفسيره للعلماء ومتشابه لا يعلمه إلا الله عز وجل ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب والنظر الذي أشار إليه في أسناده هو من جهة محمد بن السائب الكلبي فإنه تروك الحديث لكن قد يكون اغماوهم في رفعه ولعله من كلام ابن عباس كما تقدم والله أعلم * (مقدمة) * مفيدة تذكر في أول التفسير قبل النسخة قال أبو بكر بن الانباري حدثنا اسمعيل بن اسحق القاضي حدثنا جاج بن منهل حدثنا همام عن قتادة قال رز في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة والعدو النحل والحج والنور والاحزاب ومحمد الفتح (١١) والحجرات والرحن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة

والمنافقون والتغابن والطلاق وآية النسي لم تحرم والى رأس العشر وإذا زلزلت وإذا جاء نصر الله هؤلاء السور نزلت بالمدينة وسائر السور بمكة فاما عدد آيات القرآن العظيم فستمائة ألف آية ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال ففهم من لم يزد على ذلك ومنهم من قال ومائتي آية وأربع آيات وقيل وأربع عشرة آية وقيل ومائتان وتسع عشرة آية وقيل ومائتان وخمس وعشرون آية أوست وعشرون آية وقيل ومائتان وست وثلاثون حكى ذلك أبو عمرو والداني في كتابه البسان واما كتابه فقال الفضل بن شاذان عن عطاء بن يسار سبع وسبعون ألف كلمة وأربع مائة وتسع وثلاثون كلمة وأما حروفه فقال عبد الله بن كثير عن مجاهد هذا ما أحصيناه من القرآن وهو ثلثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفا وقال الفضل بن عطاء بن يسار ثلثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفا وخمسة عشر حرفا وقال سلام أبو

المزور وهو الامام أبو بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري المتوفى سنة ثمان عشرة وثلثمائة ومنها تفسير البخاري وهو ما ذكره في صحيحه وجعله كتابا منه وله التفسير الكبير غير هذا ذكره الفري ومنها تفسير النحاس وهو أبو جعفر أحمد بن محمد النحوي المصري المتوفى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة قصد فيه الاعراب لكن ذكر القرآني التي يحتاج أن يبين اعرابها والعلل التي فيها وما يحتاج فيه من المعاني ومنها تفسير الواحد البسيط والوسيط والوجيز وتسمى هذه الثلاثة الحاوي لجميع المعاني ومنها تفسير المهدوي وهو أبو العباس أحمد بن عمار التميمي المتوفى بعد الثلاثين وأربع مائة ثم من المفسرين من اقتصر في تفسيره على مجرد الرواية وتوقع برفع هذه الرواية كجلال الدين السيوطي في الدر المنثور وغيره في غيره من المفسر ومنهم من اكتفى بمجرد الرواية ووجد نظيره في مقتضى اللغة العربية بحجج العناية وهم الاكثرون ومنهم من جمع بين الامرين وسلك المسلكين وقيل ما هم وقيل من عبادي الشكور ومن أحسن التفاسير جمع بين الرواية والدراسة فيما علمت تفسير الامام الحافظ القاضي محمد بن علي بن محمد الشوكاني التميمي المتوفى سنة خمسين ومائتين وألف الهجرية وهو تفسير كبير بالقول في مجلدات أربع وطال ما يدور في خلدني ان أحرر في التفسير كتابا يحتوى على أمرين ويجمع طريقين على الوجه المعتبر في الورد والصدور غير مشوب بشيء من التفسير بالرأى الذي هو من أعظم الخطر وكنت أنزل في الفرصة في البلاد والقري وأقدم رجلا وأخر أخرى لصعوبة المرام وعزلة المقام فاين الخفيض من الذرى والثرى من الثرى فخال بيني وبين ما كنت أخال تراكم المهمات وتراحم الاشغال وابتليت بتدبير مصالح العباد في مدينة بهو بال وانصرفت عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال وأنا أصرف جهدي والمراد ينصرف والمقصود يتقاعس عن الحصول ويحرف والايام تحول وتخبز واليالي تعدو ولا تنجز حتى سألت جماعة من أهل العلم ممن يتحرى اتباع السنة والكتاب ويحجب الابتداع في كل باب وألحوا علي وأظهروا الفقرة التي ولم يسعني الا اسعاف ما أتكلوه واتجاح ما سلوه فاجبتهم بمعتمد على فضل الله وتيسيره متملا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فيما يرويه أبو سعيد الخدري ويرفعه ان رجلا يأتونكم من أقطار الارض يتفقهن في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا ومقتديا بالسلف الماضين في تدوين علوم الدين ابقاء على الخلق

محمد الجاني ان الججاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال أخبروني عن القرآن كم من حرف هو قال فحسبنا فأجمعوا أنه ثلثمائة ألف وأربعون ألفا وسبع مائة وأربعون حرفا قال فأخبروني عن نصه فاذا هو الى النعمان قوله في الكهف وليستطف ثلثه الاول عند رأس مائة آية من براءة والثاني على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء والثالث الى آخره وسبعة الاول الى الدال من قوله تعالى ففهم من آمن به ومنهم من صدوا والسبع الثاني الى التاء من قوله تعالى في سورة الاعراف وأولئك حببت والثالث الى الالف الثانية من قوله تعالى في الرعد أكلها والراسع الى الالف في الحجر قوله جعلنا منسكا والخامس الى الهاء من قوله

في الاحزاب وما كان المؤمنين ولا مؤمنة والسادس الى الواو من قوله تعالى في النج الطائين بالله ظن السوء والسابع الى آخر القرآن قال سلام ابو محمد علما ذلك في أربعة أشهر قالوا وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن فالاول الى آخر الانعام والثاني الى وليستطف من سورة الكهف والثالث الى آخر الزمر والرابع الى آخر القرآن وقد حكى الشيخ أبو عمرو والداني في كتابه البيان خلافا في هذا كله فانه أعلم (وأما التحزيب والتحزئة) فقد اشتهرت الاجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها وقد ذكرنا فيما تقدم الحديث الواردة في تحزيب الصحابة (١٢) للقرآن والحديث في سبب الامام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه وغيرهم

وايضا الحق وليس على ما جمعه وصنفوه من زيد ولكن لا ينبغي كل زمان من تجديد ما طال به العهد وقصر الطالين فيه الجدة والجدد ايقاظا للناسين وتجريضا للمتبطنين فحرت بعون الله تعالى وحسن توفيقه فيما سألوه واستبحروه كتابا في أسير زمان وأحسن تقدير متوسطا بين الطويل الممل والقصير المخل وجعله جمعا حسنا بعبارة سهلة وألفاظ يسيرة مع تعرض للترجيح بين التقاسير المتعارضة في مواضع كثيرة وبيان للمعنى العربي والاعرابي واللغوي مع حرص على ايراد صفوة الصفوة مما ثبت من التفسير النبوي ومن عظماء الصحابة وعلما التابعين ومن دونهم من سلف الامة وأئمتها المتعبرين كبن عباس جبر هذا الامة ومن بعده من الائمة مثل مجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة وأبي العالية والقرظي والكوفي والضمك ومقاتل والسدي وغيرهم من علماء اللغة والنحو والقرآن والزجاج وسيبويه والمبرد والخليل والنحاس ولكن الثابت الصحيح من التفسير المرفوع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وان كان المصير اليه مستعينا وتقديمه محتكما هو تفسير آيات قليلة بالنسبة الى جميع القرآن والثابت من التفسير عن الصحابة ومن تبعهم بالا حسان ان كان من اللفظ الذي قد نقله الشرع الى معنى مغاير للمعنى اللغوي فهو مقدم على غيره وان كان من الالفاظ التي لم ينقلها الشرع فهو كواحد من أهل اللغة الموثوق بعريتهم فاذا خالف ذلك المشهور المستفيض لم تقم الحجة علينا بتفسيره الذي قاله على مقتضى لغة العرب العربية الاولى تقاسير من بعدهم من تابعيهم وسائر الائمة وأبضا كثيرا ما يقتصر الصحابي ومن بعده من السلف على وجه واحد مما يقتضيه النظم القرآني باعتبار المعنى اللغوي ومعلوم ان ذلك لا يستلزم احوال سائر المعاني التي تفيدها اللغة العربية ولا احوال ما يستفاد من العلوم التي يتبين بها دقائق العربية وأسرارها كعلم المعاني والبيان فان التفسير بذلك هو تفسير باللغة لا تفسير بمحض الرأي المسمى عنه وقد قال سفيان ليس في تفسير القرآن اختلاف اتما هو كلام جامع يراد منه هذا وهذا وقال أبو الدرداء لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها وأخرج ابن سعد أن عليا قال لابن عباس اذهب اليهم يعني الخوارج ولا تتخاصمهم بالقرآن فانه ذو وجوه ولكن خاصهم بالسنة وأبضا لا يتيسر في كل تركيب من التراكيب القرآنية تفسير ثابت عن السلف بل قد يخجلون عن ذلك كثير من القرآن ولا اعتبار بما لا يصح كالتفسير المنقول باسناد

عن أوس بن حذيفة انه سئل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كيف تحزبون القرآن قالوا ثلث وخمس وسبع وتسع واحدى عشر وثلاثة عشر وحرب المفصل حتى تحتم

(فصل) واختلاف في معنى السورة مما شئ مشقة فقبل من الابانة والارتفاع قال النابغة أتم تران الله أعظم السورة

تري كل ذلك دونها يذب فكان القاري ينقل بهم من منزلة الى منزلة وقيل لشرفها وارتفاعها كسور البلدان وقيل سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزأ منه مأخوذ من اسرار الاناء وهو البقية وعلى هذا فيكون أصلها مهموزا وانما خففت الهزة فايدت الهزة واوالا انضمام ما قبلها وقيل لتماها وكما لها لان العرب يسمون الناقصة التامة سورة (قلت) ويحتمل ان يكون من الجمع والاحاطة لاياتها كما يسمى سور البلد لاحاطته بمنزله ودوره وجمع السورة سور بفتح الواو وقد يجمع على سورات وسورات وأما الآية فمن العلامة على انقطاع

الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصالها أي هي بآية عن آخرها منفردة قال الله تعالى ان آية ملكه وقال النابغة ضعيف توهمت آيات لها فعرفتها * لسته اعوام وذا العام سابع وقيل لانها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه كما يقال خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم قال الشاعر خرجنا من النقيض لآتي مثلنا * بآيتنا زجي القلاح المطافلا وقيل سميت آية لانها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها قال سيدي وأصلها آية مثل أكمة وشجرة تحرك الياء وانفتح ما قبلها فقلت ألقاف صارت آية بهمزة بعد خامدة وقال الكسائي أصلها آية على وزن أمانة فقلت ألقافم حذف لتباسها وقال القراء أصلها آية بتشديد الياء الاولى

فقلبت ألفا كراهية للتشديد فصارت آية وجميعها آي وإياي وآيات وأما الكلمة فهي اللفظة الواحدة وقد تكون على حرفين مثل ما ولا وله ونحو ذلك وقد تكون أكثر أو أكثر ما تكون عشرة أحرف مثل يستخلفونهم والزمكموها فاسقينا كموه وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل والتجبر والخبي والعصر وكذلك الموطه ويس وحم في قول الكوفيين وحم عسق عندهم كلمتان وغيرهم لا يسمى هذه آيات بل يقول هذه فوائح السور وقال أبو عمرو والداني لأعلم كلمة هي وحدها آية الا قوله تعالى مدحاهما بن بسورة الرحمن * (فصل) قال القرطبي اجعوا على (١٣) انه ليس في القرآن شيء من التراكيب

الاجمعية واجعوا أن فيه اعلاما من الاجمعية كإبراهيم وفوح ولوط واختلفوا هل فيه شيء من غير ذلك بالاجمعية فأكثر ذلك الباقلاني والطبري وقالوا موقع فيه ما يوافق الاجمعية فهو من باب ما توافق في اللغات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سورة الفاتحة) يقال لها الفاتحة أي فاتحة الكتاب خطا وبها تفتح القراءة في الصلوات ويقال لها أيضا أم الكتاب عند الجمهور ذكروا أنس والحسن وابن سيرين كرهاتسميتها بذلك قال الحسن وابن سيرين إنما ذلك اللوح المحفوظ وقال الحسن الآيات المحكمات هن أم الكتاب ولذا كرهها أيضا أن يقال لها أم القرآن وقد ثبت في الصحيح عند الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم ويقال لها الحمد ويقال لها الصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد الحمد لله رب

ضعيف ولا يفسر من ليس بثقة منهم وإن صح اسناده اليه وهذا تعرف انه لا بد من الجمع بين الأمرين والتحلي بالوصفين وعدم الاقتصار على مسالك أحد الفريقين وهذا هو المقصد الذي أردته والمسالك الذي قصده وأذكر الحديث معزو إلى الراويين من غير بيان حال الاسناد لأنني آخذ من الاصول التي نقلت عنها كذلك كما يقع في تفسير ابن جرير والقرطبي وابن كثير والسيوطي ويعد كل البعد أن يعلموا في الحديث ضعفا ولا يبينوه ولا ينبغي أن يقال فيما أطلقوه أنهم قد علموا بثبوته فإن من الجائز أن يتقلوه من دون كشف عن حال الاسناد بل هذا هو الذي يغلب به الظن لأنهم لو كشفوا عنه فثبتت عندهم صحته لم يتركوا بيان ذلك كما يقع منهم كثيرا التصريح بالصحة والحسن فن وجدنا الاصول التي يروون عنها ويعزون ما في تفاسيرهم اليها فليمنظروا في أسانيدهم ما وقفوا على شيء من الله تعالى واعلم ان تفسير السيوطي المسمى بالدر المنثور قد اشتمل على غالب ما في تفسيرات السلف من التفاسير المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتفسيرات الصحابة ومن بعدهم ومافاته الا القليل النادر وقد اشتمل هذا التفسير على جميع ما تدعو اليه الحاجة عما يتعلق بالتفسير مع اختصار لما تكرر لفظا واتحد معنى بقول ومثله أو ونحوه وضعت في ذلك فوائدا لم يشتمل عليها زبر أهل الرواية ووجدتها في غيرهما من تفاسير علماء الدراية وعوائد لا حلت لي من تصحيح أو تحسين أو تضعيف أو تعقب أو جمع أو ترجيح مع تحرير للمقاصد بحسب ما يراد ولا يذاد وتقرير للمعاني بحيث لا يضاعف ولا يصاد ولم آل جهدا في حسن تحريره وتهذيبه وسعي في لطافة مزجه بالمفسر وترتيبه بالفاظ تنفتح لها الأذان وتنشرح بها الصدور ومعان تهمل بها وجوه الأوراق وتبسم نفور السطور رغبة إلى الدخول من أبوابه والكون من أحزابه ونشاطا إلى القعود في محرابه وبذلا للقوة في إيراد ما بحث قلت عنابة المتأخرين بهما من المفسرين وقد بالغ في الاعتناء بهما المحققون من المتقدمين لاسيما السبعيات التي هي المطلب الأعلى والمقصد الأقصى في أصول الدين والعروة الوثقى والعمدة القصوى لاهل الحق واليقين مع تنقيح الكلام وتوضيح المرام بهتله علماء البلاد في كل ناد ولا يغض منه الاكل هائم في واد من يهد الله فهو المهتدي ومن يضله فلا الهاد ووطئت النفس على سلوك طريقة هي بالقبول عند الفحول حقيقة مقتصرافيه على أرجح الأقوال وأعراب ما يحتاج اليه عند السؤال وترك التطويل

العالمين قال الله حمدني عبدي الحديث فسميت الفاتحة صلاة لأنها شرط فيها أو يقال لها الشفاء لما رواه الدارمي عن أبي سعيد مرفوعا فاتحة الكتاب شفاء من كل سم ويقال لها الرقية لحديث أبي سعيد في رجل رقى بها الرجل السليم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك أنها رقية وروى الشعبي عن ابن عباس أنه سمهاها أساس القرآن قال واسمها باسم الله الرحمن الرحيم وسمها أسفان بن عيينة بالواقية وسمها يحيى بن أبي كثير بالكافية لأنها تنفي عما عداها ولا يكتفي باسمها عنها كما جاء في بعض الأحاديث المرسلة أم القرآن عوض من غيرها وليس غيرها عوضا منها ويقال لها سورة الصلاة والكنز ذكرهما

الزنجشري في كشافه وهي مكتبة قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية وقيل مدينة قاله أبي هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهرى ويقال نزلت مرة مرة بمكة وحررت بالمدينة والاول أشبه لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والله أعلم وحكى أبو الليث السمرقندى ان نصفها نزل بمكة ونصفها الاخر نزل بالمدينة وهو غريب جداً نقله القرطبي عنه وهي سبع آيات بلا خلاف وقال عرو بن عبيد شمان وقال حسين الجعفي ستة وهذا القولان شاذان وانما اختلفوا في البسملة هل هي آية مستقلة من أولها كما هو عند جمهور قراء الكوفة (١٤) وقول جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من الخلفاء وبعض آية أو

بذكر أقوال غير مرضية وقصص لا تصح وأعاريب محلها كتب العربية وحيث ذكرت فيه شيئاً من القراءات فهو من السبع المشهورات الا ما شاء الله وقد أذكر بعض أقوال وأعاريب اقوة مداركها أولورودها واذا قرع سمعك ما لم تسمع به من المحصلين فلا تسرع وقف وقفه المتأملين اعلمك تطالع يوم مضى برق الهى وتألق نور رباني من شاطئ الوادى الايمن في البقعة المباركة على برهان لهجلى أو بيان من سلف صالح واضح وضى وقد تلقيت هذا التفسير بحمد الله من تفاسير متعددة عن أئمة ظهرت وبهرت مفارحهم وانتشرت واشتهرت ما أثرهم جعنى الله وياهم وجميع المسلمين ومن أخلفهم في مستقر رحمة من فراديس جنة فهذا التفسير وان كبر حجمه فقد كثرت عليه وتوفر من التحقيق قسمه وأصاب غرض الحق سهمه مفيد لمن أقبل على تحصيله مفيد على من تمسك بذيل اجاله وتفصيله وقد اشتمل على جميع ما في كتب التفاسير من بدائع الفوائد مع زوائد فرائد وقواعد شوارد من صحيح الدراية وصریح الرواية فان أحبت ان تعتبر صحة هذا فهذه كتب التفسير على ظهر البسيطة انظر تفاسير المعتمدين على الرواية ثم ارجع الى تفاسير المعتمدين على الدراية ثم انظر في هذا التفسير بعد النظرين فعند ذلك يسفر الصبح لذى عينين ويتبين لك أن هذا الكتاب هو لب الباب وعجب العجائب وذخيرة الطلاب ونهاية ما رتب أرباب الالباب وأسوة المتبعين وقدوة الناسكين وهدى للمتقين وقد جاء بحمد الله كنزاً مرفوناً من جواهر الفوائد وبجراً مشحوناً بنفائس الفرائد في اطائف طالمات كانت مخزونة وعن الاضاعة مصونة بتقارير تراح لها نفوس المحصلين الكاملين وتتراح منها شبه المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين وتضفى أنوارها في قلوب السعداء وتطلع نيرانها على أفئدة الاعداء لا يعقل بيناتها الا العالمون ولا يحجبها بآياتها الا القوم الطالمون* (وسميته فتح البيان في مقاصد القرآن) وهو اسم له تاريخى مستدا من الله سبحانه بلوغ الغاية والوصول بعد هذه البداية الى النهاية راجياً منه جل جلاله ان يديم به الانتفاع ويجعله من الذخائر التي ليس لها انقطاع ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اعلم ان الاحاديث في فضائل القرآن كثيرة جداً ولا يتم اصحاب القرآن ما يطلبه من الاجر الموعود به في الاحاديث الصحيحة حتى يفهم معانيه فان ذلك هو الثمرة من قراءته قال القرطبي ينبغي له ان يتعلم أحكام القرآن فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه فينتفع

لا تعتمد من أولها بالكلية كما هو قول اهل المدينة من القراء والفقهاء على ثلاثة أقوال كما سيأتى تقريرها في موضعها ان شاء الله تعالى وبه الثقة قالوا وكلما ختموا خمس وعشرون كلمة وحرروها مائة وثلاثة عشر حرفاً قال البخارى في أول كتاب التفسير وسميت أم الكتاب لانها بيد أركانها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة وقيل انما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله الى ما تضمنته قال ابن جرير والعرب تسمى كل جامع أمراً أو مقدم لأمراً اذا كانت له نواحي تتبعه هولها امام جامع أمّا فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ أم الرأس ويسمون لواء الجيش وراية تهم التي يجتمعون تحتها أمّا واستشهد بقول ذى الرمة على رأسه أم لنا فتدنى بها

جامع أمور ليس نعصى لها أمراً يعنى الرمح قال وسميت مكة أم القرى لتقدمها امام جميعها وجعلها ماسواها وقيل لان الارض دحبت منها ويقال لها أيضاً الفاتحة لانها تفتح بها القراءة وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الامام وصح

تسميتها بالسبع المثاني قالوا لانها تدنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وان كان للمثاني معنى آخر غير هذا كما سيأتى بيانه في موضعها ان شاء الله تعالى قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون اثنان ابن أبي ذئب وهاشم بن هاشم عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في أم القرآن هي أم القرآن وهي السبع المثاني وهي القرآن العظيم ثم رواه عن اسمعيل بن عمر عن ابن أبي ذئب وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري حدثني يونس بن عبد الاعلى اثنان ابن وهب أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هي أم القرآن وهي

فانتمسة الكتاب وهي السبع المثاني وقال الحافظ ابو بكر أحمد بن موسى بن مردويه في تفسيره حدثنا أحمد بن محمد بن زياد حدثنا
 محمد بن غالب بن حارث حدثنا اسحق بن عبد الواحد الموصلي حدثنا المعافي بن عمران عن عبد الحسب بن جعفر عن نوح بن أبي
 بلال عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين سبع آيات بسم الله الرحمن الرحيم
 احداهن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم وهي أم الكتاب وفاحة الكتاب وقدر واد الدار قطني أيضا عن أبي هريرة مرفوعا
 بنحوه أو مثله وقال كلهم ثقات وروى البيهقي عن علي وابن عباس وأبي (١٥) هريرة أنهم فسروا قوله سبعاً من المثاني

بما يقرأ ويعمل بما يتلو فاقبح بحامل القرآن ان يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو
 لا ينهم معني ما يتلو فكيف يعمل بما لا يفهم معناه وما أقبح به أن يسأل عن فقه ما يتلو ولا
 يدريه فمما مثل من هذه حاله الا كمثل الجمار يحمل أسفارا وينبغي له ان يعرف المكي من
 المدني ليفرق بين ما خاطب الله به عبادته في أول الاسلام وما ندبهم اليه في آخره وما فرض في
 أول الاسلام وما زاد عليهم من الفرائض في آخره فالمدني هو الناسخ للمكي في أكثر القرآن
 انتهى وقد جعت في بيان ناسخ القرآن والحديث ونسوخهما موقفا سميته افادة الشيوخ
 بمقدار الناسخ والمنسوخ وهو بالنارسية وأجاب الشوكاني رحمه الله تعالى عن سألته عن
 العوام والنساء الذين يقرؤون القرآن من غير معرفة حلاله وحرامه ومعانيه هل لهم الاجر
 الوارد من غير نقص أم لا فقال الاجر على تلاوة القرآن ثابت لكنه اذا كان بتدبر ومعانيه
 فأجره مضاعف وأما أصل الثواب فيجوز التلاوة فلا شك في حصوله والله سبحانه لا يضيع
 عمل عامل منهم انتهى فيمكن جعل ما ذكرهنا أو لا على مضاعفة الاجر الموعود به لا مجرد
 الاثابة على نفس التلاوة وأما ما جاء عن الصحابة والتابعين في فضل التفسير فعن علي انه
 ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم وقال انه كان يعرف تفسير قوله تعالى ان الذي فرض
 عليك القرآن لادّلك الى معاد وقال مجاهد أحب الخلق الى الله أعلمهم بما أنزل الله وقال
 الشعبي رحل مسروق في تفسير آية الى البصرة فقبل له ان الذي يفسر هارحل الى الشام
 فتجهز ورحل الى الشام حتى علم تفسيرها وقال عكرمة في قوله سبحانه ومن يخرج من بيته
 مهاجرا الى الله ورسوله طلبت اسم هذا الرجل أربع عشرة سنة حتى وجدته قال ابن عبد
 البر هو ضمرة بن حبيب وقال ابن عباس مكنت سنتين أريدا أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين
 تظاهرا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ينبغي الامها به فسأله فقال هي حفصة
 وعائشة وقال اياس بن معاوية مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم
 جاءهم كتاب من عند مليكهم ليل وليس عندهم مصباح فتدأخلتهم روعة ولا يدرون ما في
 الكتاب ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأ ما في الكتاب والسلف
 رحبهم الله من هذا الجنس ما لا يأتي عليه الحصر وعن عثمان قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه رواه البخاري وعن عائشة قالت قال رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع

بالباقية وان الباقية هي الآية
 السابعة منها وسأني تمام هذا عند
 البسملة وقد روى الاشمس عن
 ابراهيم قال قيل لابن مسعود لم
 تكتب الباقية في مصحفك فقال لو
 كتبتها لكتبتها في أول كل سورة قال
 أبو بكر بن أبي دؤاد يعني حيث يقرأ
 في الصلاة قال واكتفيت بحفظ
 المسلمين لها عن كتابها وقد قيل ان
 الباقية أول شيء أنزل من القرآن كما
 ورد في حديث رواه البيهقي في
 دلائل النبوة ونقله الباقلاني أحد
 أقوال ثلاثة وقبلها بأنها المدثر كما
 في حديث جابر في الصحيح وقيل اقرأ
 باسم ربك الذي خلق وهذا هو
 الصحيح كما سيأتي تقريره في
 موضعه وبالله المستعان (ذكر ما
 ورد في فضل الباقية) قال الامام
 أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله
 تعالى في مسنده حدثنا يحيى بن
 سعيد عن شعبة حدثني خبيب بن
 عبد الرحمن عن حفص بن عاصم
 عن أبي سعيد بن المعلى رضى
 الله عنه قال كنت أصلى
 فدعاني رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فلم أجبه حتى صليت قال

فانتم فقال ما منعك ان تأتيني قال قلت يا رسول الله اني كنت أصلى قال ألم يقل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول
 اذا دعاكم لما يحييكم ثم قال لا علمك أعظم سورة في القرآن قبل ان تخرج من المسجد قال فأخذ بيدي فلما أراد أن يخرج من
 المسجد قلت يا رسول الله انك قلت لا علمك أعظم سورة في القرآن قال نعم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم
 الذي أوتيته وهكذا رواه البخاري عن مسدد وعلي بن المديني كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به ورواه في موضع آخر من
 التفسير وابوداود والنسائي وابن ماجه من طرق عن شعبة به ورواه الواقدي عن محمد بن معاذ الانصاري عن خبيب بن عبد الرحمن

عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى عن أبي بن كعب فذكر نحوه وقد وقع في الموطأ للإمام مالك بن أنس رحمه الله ما ينبغي التنبيه عليه فانه رواه مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي ان أبا سعيد مولى ابن عاصم بن كريب أخبرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلي في المسجد فلما فرغ من صلاته لحقه قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على يدي وهو يريد أن يخرج من باب المسجد ثم قال صلى الله عليه وسلم اني لا أرجو أن لا يخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل (١٦) ولا في القرآن مثلها قال أبي رضي الله عنه فجعلت أبطل في المشي رجلاً ثم

قلت يا رسول الله ما السورة التي وعدتني قال كيف تقر أذا افتحت الصلاة قال فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين حتى آتيت على آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي هذه السورة وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت فأبو سعيد هذا ليس بأبي سعيد بن المعلى كما اعتقده ابن الأثير في جامع الأصول ومن تبعه فان ابن المعلى صحابي أنصاري وهذا تابعي من موالى خزاعة وهذا الحديث متصل صحيح وهذا ظاهره انه منقطع ان لم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أبي بن كعب فان كان قد سمعه منه فهو على شرط مسلم والله أعلم على انه قد روى عن أبي بن كعب من غير وجه كما قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم حدثنا العلاء ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بن كعب وهو يصلي فقال يا أبي فالتفت ثم لم يجبه ثم قال أبي تخفف أبي ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام

فيه وهو عليه شاق له أجران متفق عليه وعن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يرفع هذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين رواه مسلم وعن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اقرأوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلت عند آخر آية تقرأها رواه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وأخرج الدارمي والترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب قال الترمذي هذا حديث صحيح وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه رواه الترمذي والدارمي والبيهقي في شعب الايمان وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف أو ن حرف ولا م حرف وميم حرف رواه الترمذي وصححه والدارمي وعن عتبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لو جعل القرآن في اخاب ثم أتني في النار ما احترق رواه الدارمي وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ القرآن فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشذعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار رواه أحمد والترمذي واستغربه وابن ماجه والدارمي وفيه حفص بن سليمان يضعف في الحديث وعن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيلا من الابل في عقلها متفق عليه وقد وردت أحاديث كثيرة في الاعتماد بالكتاب والسنة وأما أحاديث فضائل القرآن سورة فلا خلاف بين من يعرف الحديث انها موضوعة مكذوبة وقد أقر به واضعها آخره الله بانه الواضع لها وليس بعد الاقرار بشئ ولا اعتذار بمثله ذكر الرخصي لها في آخر كل سورة فانه وان كان امام اللغة والالفاظ على اختلاف أنواعها فلا يفرق في الحديث بين أصح الصحيح والكذب الكذب ولا يقدح ذلك في علمه الذي بلغ فيه غاية التحقيق ولكل علم رجال وقد وزع الله سبحانه

عليك أي رسول الله قال وعليك السلام ما منعك أي أبي أددعوتك أن تجيبني قال أي رسول الله اني كنت في الصلاة قال أولست تجتهد فيما أوحى الله الي استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحيبكم قال بلى يا رسول الله لا أعوذ قال اتعجب ان أعلمك سورة لم تنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفسر فان مثلها قلت نعم أي رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني لا أرجو أن لا يخرج من هذا الباب حتى تعلمها قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي يحدثنى وأنا أتأطا مخافة ان يبلغ قبل ان يقضى الحديث فلما دوننا من الباب قلت أي رسول الله ما السورة التي وعدتني قال ما تقرأ في الصلاة قال

فقرأت عليه أم القرآن قال والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها إنما السبع المثاني ورواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي عن العلائي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه فذكره وعندها منها من السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعظمته ثم قال هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن أنس بن مالك ورواه عبد الله بن الإمام أحمد عن اسمعيل بن أبي معمر عن أبي أسامة عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب فذكره مطوًلاً نحوه أو قريباً منه وقد رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن أبي عمار (١٧) حسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن

عبد الحميد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدى نصفين هذا اللفظ للنسائي وقال الترمذي حديث حسن غريب وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا هشام يعني ابن البريد حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أشراق الماء فقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرده على قال فقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرده على قال فقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرده على قال فأنطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يشي وأنا خلفه حتى دخل رحله ودخلت أنا المسجد فجلست كئيباً حزناً شريحاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قطهر فقال عليك السلام ورحمة الله وبركاته وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وعليك السلام ورحمة الله

النضائل بين عباده والزمخشري نقل هذه الأحاديث عن تفسير الثعلبي وهو منكر في عدم المعرفة بعلم السنة وقد أخطأ من قال أنه يجوز التساهل في الأحاديث الواردة في فضائل الأعمال وذلك لأن الأحكام الشرعية متساوية الأقدام لا فرق بين واجبها ومحرمها ومسئونها ومكروهها ومندوبها فلا يحل إثبات شيء منها إلا بما تقوم به الحجة والأهوال من التقول على الله بما لم يقل ومن التجري على الشريعة المطهرة بإدخال ما لم يكن منها في ما لو قد صح بواتر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار فهذا الكذاب الذي كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محتسباً للناس بحصول الثواب لم يرجح ألا يكون من أهل النار وأما الذي يقرأ القرآن ولا يعرف معناه كالعوام فالأجر على تلاوة القرآن ثابت لكنه إذا كان يتدبر معانيه ويمكنه فهمها فاجره مضاعف وأما أصل الثواب بعمره التلاوة فلا شك فيه والله سبحانه لا يضع عمل عامل وتلاوة القرآن كتابه سبحانه من أشرف الأعمال لأنهم ولغير فاهم وإذا أضع أحد ما شغل عليه القرآن من الأحكام أثم من جهة الأضاعة لا من جهة التلاوة والله أعلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل القرآن على خمسة أو جه حلال وحرام ومحكم ومتشابه رأشال فأحلوا الحلال وحرموا الحرام وأعلمنا بالتحكم وآتوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال أخرجه البغوي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ورواه الترمذي وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المرأى في القرآن كدرو عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما يتدارئون في القرآن فقال إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله ببعضه وبعض وانما نزل كتاب الله يصدق بعضه ببعضه أفلا تكذبوا بعضه ببعض فما علم منه فتقولوا ما جعلتم فكاود إلى عالمه رواه أحمد وابن ماجه قال البغوي في تفسيره قد جاء الزعدي في حق من قال في القرآن برأيه بذلك فبين قال من قبل نفسه شيئاً من غير علم فاما التاويل وهو صرف الآية إلى معنى يستعمل موافق لما تباهى زما بعدد ما غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط فقد رخص فيه لاهل العلم أما التفسير وهو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقسمها فلا يجوز إلا بالسمع بعد ثبوتها من طريق النقل وأصل التفسير من التنسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف

(٣ - فتح البيان ل) ثم قال ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بأخبر سورة في القرآن قلت بلى يا رسول الله قال اقرأ الحمد لله رب العالمين سرتي تحفظها هذا السناد جيد وابن عتيق هذا يستجيبه الأئمة الكبار وعبد الله بن جابر هذا الحديث ذكر ابن الجوزي أنه هو العبدى والله أعلم ويقال أنه عبد الله بن جابر الأنصاري البياضي فمما ذكره الحافظ بن عساكر واستدلوا به هذا الحديث وأما مثله على تناقض بعض الآيات والسور على بعض كما ذكر المحكي عن كثير من العلماء منهم أحمد بن حنبل وأبو بكر بن العربي وابن الحنابل من المالكية وذهب طائفة أخرى إلى أنه لا تناقض في ذلك لأن الجميع كلام الله ولشأنهم التفسير فلهذا المفضل

عليه وان كان الجميع فاضلا نقله القرطبي عن الاشعري وأبي بكر الباقلاني وأبي حاتم ابن حبان البستي وأبي حبان ويحيى بن يحيى ورواية عن الامام مالك أيضا حديث آخر قال البخاري في فضائل القرآن حدثنا محمد بن المنني حدثنا وهب حدثنا هشام عن محمد بن معبد عن أبي سعيد الخدري قال كفي مسير لنا فتر لنا فجاءت جارية فقالت ان سيدا لي سليم وان نفرنا غيب فهل منكم راق فقام معها رجل ما كنا نأمنه برقية فرقاها فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له أ كنت تحسن رقية أو كنت ترقى قال لا ما رقت الايام الكتاب قلنا لا تتحدثوا شيئا (١٨) حتى تأتي أو نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدمنا المدينة ذكرناه

عن علي بن المريض كذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها واشتقاق التأويل من الاول وهو الرجوع يقال أولته قال أي صرفه فانصرف انتهى والفرق بينهما ان التفسير موقوف على النقل المسموع والتأويل موقوف على الفهم الصحيح وفي الحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف واختلفوا في المراد بها على أقوال ذكرتها في الاكسير والسور باعتبار النسخ والمنسوخ على أقسام ذكر سليمان الجبل بعض ذلك في حاشيته على الجلالين وقد أوضحت المرام في افادة الشيوخ بما لا يخفى عليه وتفصيل حروف القرآن ذكرها النسفي في كتابه مجمع العلوم ومطلع النجوم وليست هذه من التفسير في شيء وأما علوم القرآن فقد استوعبها السيوطي في الاتقان على وجه البسط والابقان ولا دخل لذكرها في فن التفسير وعقد النظام النيسابوري في تفسيره مقدمات أكثرها معزل عن علم التفسير واهذا لم تتكلم عليها في تفسيرنا هذا الا في الشيء اليسير وها أنا أشرع الان بحمد الله في تحرير ما هو بصائر أولى انتهى والتميز في تفسير الكتاب العزيز وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل خير والمعطى كل مسؤل

(سورة الفاتحة)

أي فاتحة الكتاب معناها أول ما من شأنه أن يفتح به الكتاب ثم أطلقت على أول كل شيء كالكلام والثناء للنقل من الوصفية الى الاسمية أو هي مصدر بمعنى الفتح أطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر واشعارا بأصالته كأنه نفس الفتح والاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئ له وسميت بذلك لان القرآن افتتح بها اذ هي أول ما يكتبه الكاتب من المصحف وأول ما يلوذ التالئ من الكتاب العزيز وان لم تكن أول ما نزل من القرآن وقد اشتهرت بهذا الاسم في أيام النبوة قيل انها مكية وهو قول أكثر العلماء وقيل مدنية وهو قول مجاهد وقيل انها نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلوات الخمس ومرة بالمدينة حين حوت القبلة جمع بين الروايات والاول أصح قاله البغوي ورجحه البيضاوي وأسماء السور بوقفية وكذا ترتيب السور والآيات أي توقف على نقلها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل غير ذلك وانما هذا على الراجح والسورة طائفة من القرآن لها اول واخر وترجمة باسم خاص بها أو وقفية والسورة قد يكون لها اسم واحد وقد يكون لها اسمان أو أكثر وأسماء السور في المصاحف لم يثبت الصحابة في

للنبي صلى الله عليه وسلم فقال وما كان يدريه انها رقية أقسموا وأضربوا الى بسهم وقال أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا هشام حدثنا محمد بن سيرين حدثني معبد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري بهذا وهكذا رواه مسلم وأبو داود ومن رواية هشام وهو ابن حسان عن ابن سيرين به وفي بعض روايات مسلم لهذا الحديث ان أبا سعيد الخدري هو الذي رقى ذلك السليم يعني اللديغ بسمونه بذلك نقولاً * حديث آخر روى مسلم في صحيحه والنسائي في سننه من حديث أبي الاحوص سلام بن سليم عن عمار بن زريق عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبرائيل اذ سمع نتيضا فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فأنى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبشر بنورين قد آوتيتهن لم يؤتهما أي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرأ حرفا منهما الا آوتيته وهذا

لفظ النسائي * وسلم نحوه حديث آخر قال مسلم حدثنا اسحق بن ابراهيم الحنظلي هو ابن راهويه حدثنا سفيان مصاحفهم ابن عيينة عن العلاء يعني ابن عبد الرحمن بن يعقوب الخرقى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام فقبل لأبي هريرة ان تكون خلف الامام فقال اقربهم في نفسك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله مجدي عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله آخني على عبدي فاذا قال مالك يوم الدين قال الله مجدي عبدي وقال

مرة فؤوض الى عبدى فاذا قال اياك نعبد و اياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله هذا عبدى ولعبدى ما سأل وهكذا رواه النسائي عن اسحق بن راهويه وقدر وياه أيضا عن قتيبة عن مالك عن العلاء عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة عن أبي هريرة في هذا السياق فنصفها الى ونصفها العبدى ولعبدى ما سأل وهكذا رواه ابن اسحق عن العلاء وقدر واه مسلم من حديث ابن جريح عن العلاء عن أبي السائب هكذا رواه أيضا من حديث ابن أبي أويس عن العلاء (١٩) عن أبيه وأبي السائب كلاهما عن أبي هريرة

وقال الترمذى هذا حديث حسن وسألت أبا زرعة عنه فقال كلا الحديثين صحيح من قال عن العلاء عن أبيه وعن العلاء عن أبي السائب وقدر واه مسلم من حديث عبد الله بن الإمام أحمد من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب مطولا وقال ابن جرير حدثنا صالح بن مسمار المرزى حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عن عتبة بن سعيد عن مطرف بن طريف عن سعيد بن اسحق عن كعب بن عجرة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين وله ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال حمدى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال آتى على عبدى ثم قال هذا الى وله ما بقى وهذا غريب من هذا الوجه الكلام على ما يتعلق به هذا الحديث مما يختص بالفاتحة من وجوه احدها انه قد أطلق فيه لفظ الصلاة والمراد القراءة كقوله تعالى ولا تتجرب بصلواتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا أى بقراءة تك

م صاحبهم وانما هو شئ ابتدعه الخجاج كما ابتدع اثبات الاعشار والاسباع وسميت هذه أم القرآن لكونها أصلا ومنشأها ما لم بدئتم الله والما لا شتموها على ما فيه من الثناء على الله عز وجل والتعبد بأمره ونهيته وبيان وعده ووعدته أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سؤل الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وسميت أيضا أم الكتاب لانه يبدأ بقراءتها في الصلاة قاله البخارى في الصحيح وقال أبو السعد ومناط التسمية ماذ كرى أم القرآن لا ما أورده البخارى فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما أشير اليه قال ابن كثير وصحح تسميتها بالسبع المثاني لانها سبع آيات وتانى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة أولئك ركز زولها وأخرج أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي أم القرآن وهي السبع المثاني وهي القرآن العظيم وأخرج ابن جرير عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني وأخرج نحوه ابن مردويه والدارقطنى من حديثه وقال كلهم ثقات ومن أممائها كالحكمة في الكشف سورة التكنز والرافية وسورة الحمد وسورة الصلاة وتسمى الكافية لانها تكفى عن سواها في الصلاة ولا يكفى سواها عنها وسورة الشفاء والشافية اقول صلى الله عليه وآله وسلم هي الشفاء من كل داء وأخرج الثعلبى عن الشعبي ان رجلا شتمك اليه وجع الخاصرة فقال عليك بأساس القرآن وأخرج البيهقي في الشعب عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله أعطانى فيما من به على فاتحة الكتاب وقال هي كنز من كنوز عرشى وأخرج اسحق بن راهويه في مسنده عن علي بنحوه فروعا وذكر القرطبي للفاتحة اثنى عشر اسما وقد ذكر السيوطى في الاتقان خمسة وعشرين اسما للفاتحة وهي سبع آيات بخلاف كالحكمة ابن كثير في تفسيره قال القرطبي أجمعت الامة على انها سبع آيات الامروى عن حسين الجعفي انها ست وهو شاذ وعن عمرو ابن عبيد انه جعل اياك نعبد آية فهي عند عثمان وهو شاذ انتهى وانما اختلفوا في البسملة كما سياتى وقد أخرج عبد بن حميد وشيخه بن نصر في كذب الصلاة وابن الانبارى في المصاحف عن حماد بن يسير ان أبي بن كعب وعثمان بن عفان كانا يكتبان فاتحة الكتاب والمعوذتين ولم يكتب ابن مسعود شيئا منهن وقد خالف في ذلك اجماع الصحابة وسائر أهل البيت ومن بعدهم وأخرج ابن حميد عن ابراهيم قال كان عبد الله بن مسعود

جاء مصر حابه في الصحيح عن ابن عباس وهكذا قال في هذا الحديث قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها الى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل ثم بين تفصيل هذه القسمة في قراءة الفاتحة فدل على عظمة القراءة في الصلاة وانها من أكبر أركانها اذا طلقت العبادة وأرى يذهب جرحوا حيد منها وهو القراءة كما أطلق لنا القراءة والمراد به الصلاة في قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا والمراد صلاة الفجر كما جاء مصر حابه في الصحيحين انه يشهد بها ملائكة الليل وملائكة النهار فدل هذا كله على أنه لا بد من القراءة في الصلاة وهو اتفاق من العلماء ولكن اختلفوا في مسئلة نذكرها في الوحه الثانى وذلك انه هل تتعين

للقراءة في الصلاة غير فاتحة الكتاب أم تجزئ هي أو غيرها على قولين مشهورين فعند أبي حنيفة ومن وافقه من أصحابه وغيرهم أنها لا تتعين بل منها قرأتها من القرآن أجزأه في الصلاة واحتجوا بعموم قوله تعالى فاقروا ما تيسر من القرآن وبما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة في قصة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له إذا قلت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن فالرأف أمره بقراءة ما تيسر ولم يعين له الفاتحة ولا غيرها فافدل على ما قلنا والقول الثاني أنه تعين قراءة الفاتحة في الصلاة ولا تجزئ الصلاة بدونها وهو (٢٠) قول ببيعة الأئمة مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم وجهور

العلماء واحتجوا على ذلك بهذا الحديث المذكور حيث قال صلوات الله وسلامه عليه من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج والخداج هو الناقص كما فسره في الحديث غير تمام واحتجوا أيضا بما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وفي صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن والاحاديث في هذا الباب كثيرة ووجه المناظرة ههنا يطول ذكره وقد أشرنا إلى ما أخذهم في ذلك رجعهم الله ثم ان مذهب الشافعي وجماعة من أهل العلم أنه يجب قراءتها في كل ركعة وقال آخرون انما تجب قراءتها في معظم الركعات وقال الحسن وأكثر البصريين انما تجب قراءتها في ركعة واحدة من الصلوات أخذنا بطلان الحديث لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وقال أبو

لا يكتب فاتحة الكتاب في المصحف وقال لو كتبتها الكتب في أول كل شيء وقدر في فضل هذه السورة أحاديث منها ما أخرجه البخاري وأحمد وأبو داود والنسائي من حديث أبي سعيد بن المعلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له لا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد قال فأخذ يدي فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت يا رسول الله انك قلت لا أعلمك أعظم سورة في القرآن قال نعم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته وأخرج أحمد والنسائي والترمذي وصححه من حديث أبي ابن كعب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له أنتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ثم أخبره أنها الفاتحة وأخرج أحمد في المسند من حديث عبد الله بن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له ألا أخبرك بأخير سورة في القرآن قلت بلى يا رسول الله قال اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تحتملها وفي سننه ابن عقيل وقد احتج به كبار الأئمة وبقيّة رجاله ثقات وابن جابر هذا هو العبدى كما قال ابن الجوزي وقيل الانصاوى البياضى كما قال ابن عساكر وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لما أخبره بأن رجلا رقى سلما بفاتحة الكتاب وما كان يدرى أنها رقية الحديث وأخرج مسلم والنسائي عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده جبرائيل إذ سمع نقيضا فوقفه فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فألقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم فقال أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ أحرفا منهما إلا أوتيته وأخرج مسلم والنسائي والترمذي وصححه عن أبي هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام وأخرج البزار في مسنده بسند ضعيف عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء إلا الموت وأخرج سعيد بن منصور في سننه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد الخدري قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فاتحة الكتاب شفاء من كل سقم وأخرج أبو الشيخ نحوه من حديثه وحديث أبي هريرة مرفوعا وأخرج الدارمي والبيهقي في شعب الإيمان بسند رجاله ثقات عن عبد الملك بن عيسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في

حنيفة وأصحابه والاوزاعي لا تتعين قراءتها بل لو قرأ غيرها أجزأه لقوله تعالى فاقروا ما تيسر من القرآن فاتحة والله أعلم وقد روى ابن ماجه من حديث أبي سفيان السعدي عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعا لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد وسورة فيريضة أو غيرها وفي صحة هذا نظر وموضع تحرير هذا كنه في كتاب الأحكام الكبير والله أعلم الوجه الثالث هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم فيه ثلاثة أقوال للعلماء أحدها أنه يجب عليه قراءتها كما يجب على إمامه لعموم الأحاديث المتقدمة والثاني لا يجب على المأموم قراءة بالكلية للفاتحة ولا غيرها في صلاة الجهرية ولا في صلاة السرية لما رواه الإمام

أحمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كان له امام فقرأه الامام له قراءة ولكن
في اسناده ضعف ورواه مالك عن وهب بن كيسان عن جابر من كلامه وقد روى هذا الحديث من طرق ولا يصح شيء منها عن
النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم والقول الثالث انه يجب القراءة على المأموم في السرية لما تقدم ولا يجب ذلك في الجهرية
لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كفر فكبروا
واذا قرأ فاستواؤا ذكر بقية الحديث وهكذا رواه بقية أهل السنن أبو داود (٢١) والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي

هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال واذا قرأ فاستواؤا وقد صححه
مسلم بن الحجاج أيضا فدل هذان
الحديثان على صحة هذا القول وهو
قول قديم للشافعي رحمه الله والله
أعلم ورواية عن الامام أحمد بن حنبل
رحمه الله تعالى والغرض من ذكر
هذه المسائل ههنا بيان اختصاص
سورة الفاتحة بأحكام لا تتعلق بغيرها
من السور وقال الحافظ أبو بكر
البراز حدثنا ابراهيم بن سعيد
الجوهري حدثنا غسان بن عبيد عن
أبي عمران الجوني عن أنس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا وضعت جنبك على
الفرش وقرأت فاتحة الكتاب وقل
هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء الا

فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي وابن السني في عمل اليوم
والليلة وابن جرير والحاكم وصححه عن خارج بن راجع عن غندفة عن علي قوم وعندهم رجل مجنون
موقوف بالجديد فقال أهله أعندك ما تدأوى به هذا فان صاحبك قد جاء بخير قال فقرأت
عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام في كل يوم مرتين غدوة وعشية أجمع بناني ثم أنفل فبرأ
فأعطاني مائة شاة فأثبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر ذلك له فقال كل فن اكل
برقية باطله فقد أكلت برقية حق وعن ابن عباس قال فاتحة الكتاب ثلث القرآن وأخرج
الطبراني في الاوسط بسند ضعيف عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
قرأ أم القرآن وقل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن وأخرج عبد بن حميد في مسنده
بسند ضعيف عن ابن عباس يرفعه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاتحة الكتاب تعدل
ثنائي القرآن وأخرج الحاكم وصححه وأبو ذر الهروي في فضائله والبيهقي في الشعب عن أنس
قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مسير له فنزل فثنى رجل من أصحابه الى جنبه
فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ألا أخبرك بأفضل القرآن قلا عليه الحمد لله
رب العالمين وأخرج أبو نعيم والديلمي عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فاتحة الكتاب تجزي ما لا يجزي شيء من القرآن ولو أن فاتحة الكتاب جعلت في
كفة الميزان وجعل القرآن في الكفة الاخرى لفصلت فاتحة الكتاب على القرآن
سبع مرات وأخرج أبو عبيد في فضائله عن الحسن مرسلا قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان
الى غير ذلك من الاحاديث ثم الاستعاذة قبل القراءة سنة عند الجمهور لقوله تعالى فاذا
قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم واختلفوا في لفظها المختار ولا يأتي
بكثير فائدة ومعنى أعوذ بالله التجني اليه واستعنه به عما أخشاه من عاذي عوذ والشيطان
أصله من شطن أي تباعد من الرحمة أو من شاط اذا هلك واحترق والاول وأولى والشيطان
اسم لكل عات من الجن والانس والرجيم من يرجم بالوسوسة أو من جوم بالشهب عند
استراق السمع أو بالعذاب أو مطرود عن الرحمة والاستعاذة تطهر القلب عن كل شيء شاغل
عن الله ومن لطافتها أن قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بخبره وضعفه

هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وما ينزغك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها وهو ان الله تعالى يأمر بمصانعة
العدو الانسي والاحسان اليه ليرده عنه طبعه الطيب الاصل الى الموالاة والمصافاة ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني
لا محالة اذ لا يقبل مصانعة ولا احسانا ولا ينفي بخير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين آية آدم من قبل كما قال
تعالى يا اي آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبو بكر من الحديث وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو

حزبه لكونوا من اصحاب السعير وقال اقتتف ذنوبه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو تبس للظالمين بدلا وقد اقسام للوالد آدم عليه السلام انه لمن الناجحين وكذب فكيف معاملته لنا وقد قال فبغزتكم لا غوينهم اجمعين الاعداء منهم المخلصين وقال تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون قالت طائفة من القراء وغيرهم يتعذّب بعد القراءة واعتمدوا على ظاهر سماع الآية ولدفع الاججاب بعد فراغ العبادة وعن ذهب (٢٢) الى ذلك حجة فيما نقله عنه ابن فلوفا وأبو حاتم السجستاني حكى ذلك أبو القاسم

وبقدرة الباري على دفع جميع المضرات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اختلف أهل العلم هل هي آية مستقلة في أول كل سورة كتبت في أولها أو هي بعض آية من أول كل سورة أو هي كذلك في الفاتحة فقط دون غيرها وأنها السبب بآية في الجميع وإنما كتبت للفصل والاقوال وأدلتها مبسطة في موضع الكلام على ذلك وقد اتفقوا على أنها بعض آية في سورة النحل وقد حزم قراء مكة والكوفة وفقهاؤها فلم يجعلوها آية من الفاتحة ومن كل سورة وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها فلم يجعلوها آية لا من الفاتحة ولا من غيرهما من السور وقالوا إنها آية فذمة من القرآن أنزلت للفصل والتبرك لا لبثائها وبالأول قال ابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وسعيد بن جبيرة وعطاء بن المبارك وأحمد في أحد قوليه واسحق وعلي بن أبي طالب والزهري ومحمد بن كعب والثوري وهو القول الجديد للأشاعري وكذلك يجهر بها عنده وبالثاني قال الأوزاعي ومالك وأبو حنيفة وأصحابه قال أبو السعود وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقد أثبت السلف في المصحف مع الأمر بتجريد القرآن عما ليس منه ولذا لم يكتبوا آمين وقد أخرج أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يعرف فصل السورة وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم وأخرجه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط الشيخين وأخرج ابن خزيمة في صحيفته عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدّها آية وفي أسناده عمر بن هرون البلخي وفيه ضعف وروى نحوه الدارقطني مرفوعا عن أبي هريرة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قرأت الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم فانها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها رواه الدارقطني وقال رجال أسناده كلهم ثقات ورواه البخاري في تاريخه وروى موقوفا أيضا وأخرج مسلم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنزلت على أنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم أنا أعطيتك الكوثر الحديث قال البيهقي أحسن ما احتج به أصحابنا في أن البسملة من القرآن وإنها من فواتح السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وإنهم كتبوا فيها البسملة على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم

يوسف بن علي بن جنادة الهذلي المغربي في كتاب العبادة الكامل وروى عن أبي هريرة أيضا وهو غريب ونقله محمد بن عمر الرازي في تفسيره عن ابن سيرين في رواية عنه قال وهو قول إبراهيم النخعي وداود بن علي الأصماني الظاهري وحكى القرطبي عن أبي بكر ابن العربي عن المجموعة عن مالك رحمه الله أن القارئ يتعذّب بعد الفاتحة واستغفره ابن العربي وحكى قولنا وهو الاستعاذة أولا وآخر اجمعين الدليلين نقله الرازي والمشهور الذي عليه الجمهور أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع الموسوس عنها ومعنى الآية عندهم فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم أي إذا أردت القراءة كقوله تعالى إذا قم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الآية أي إذا أردتم القيام والدليل على ذلك الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله محمد ثنا محمد بن الحسن بن أنس حدثنا جعفر بن سليمان عن علي

ابن علي الرافعي الشكري عن أبي المتوكل التاجي عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوهم إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يقول لا إله الا الله ثلاثا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وقد رواه أهل الستين الأربعة من رواية جعفر بن سليمان عن علي بن علي وهو الرافعي وقال الترمذي هو أشهر رشي في هذا الباب وقد فسر الهذم بالموتة وهي الخلق جعفر بن سليمان عن علي بن عمرو بن مرة عن عاصم الغزي عن نافع بن جبير والنفع بالكبر والنفع بالشعر كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن عاصم الغزي عن نافع بن جبير

امطعم عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل في الصلاة قال الله أكبر كبيرا ثلاثا الحمد لله كثيرا ثلاثا سبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا اللهم اني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه قال عمرو همزه الموتة ونفخه الكبر ونفثه الشعر وقال ابن ماجه حدثنا علي بن المنذر حدثنا ابن فضيل حدثنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه الموتة ونفخه الكبر ونفثه الشعر وقال الامام أحمد حدثنا اسحق بن يوسف حدثنا شريك (٢٣) عن يعلى بن عطاء عن رحيل حدثه انه

متوهم انهم كتبوا فيه مائة وثلاث عشرة آية ليست من القرآن وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس انه كان بعد البسملة آية من الفاتحة ويقول انتزع الشيطان منهم خير آية في القرآن رواه الشافعي * وكما وقع الخلاف في اثباتها وقع الخلاف في الجهر بها في الصلاة وقد أخرج النسائي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهم ما والخاكم في المستدرک عن أبي هريرة انه صلى فجهر في قراءته بالبسملة وقال بعد أن فرغ اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم وروى أبو داود والترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يفتح الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم قال الترمذي وليس اسناده بذلك وقد أخرج الجاهل في المستدرک عن ابن عباس بالنظر كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجهر بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح وأخرج البخاري في صحيحه عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال كانت قراءته مدتها ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يدب بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وأخرج أحمد في المسند وأبو داود في السنن وابن خزيمة في صحيحهم والخاكم في مستدرک عن أم سلمة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقطع قراءته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وقال الدارقطني اسناده صحيح وبهذا قال من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبيرة وأبو قلابة والزهرى وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم ابن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمرو وزيد بن أسلم ومكحول وغيرهم واليه ذهب الشافعي واحتج من قال انه لا يجهر بالبسملة في الصلاة بما في صحيح مسلم عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وفي الصحيحين عن أنس قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ولمسلم لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول القراءة ولا في آخرها وأخرج أشعث السنن مشحود عن عبد الله بن مغفل رالي هذا ذهب الخلفاء الاربعون وجماعة من الصحابة كابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين الحسن والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة والاعمش والثوري واليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم وأحاديث الترك وان

سمع أبا أمامة الباهلي يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة كبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله ثلاث مرات وسبحان الله وبحمده ثلاث مرات ثم قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وقال الحافظ أبو يعلى احمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده حدثنا عبد الله ابن عمر بن أبان الكوفي حدثنا علي ابن هشام بن السبريد عن يزيد بن زياد عن عبد الملك بن عمر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال تلاحي رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فمزع أنف أحدهما غضبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم شيئا لوقاله لذهب عنه ما يجبد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن يوسف ابن عيسى المروزي عن الفضل ابن موسى عن يزيد بن زياد بن أبي الجعدية وقد روى هذا الحديث أحمد بن حنبل عن أبي سعيد عن زائدة وأبو داود عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد

الحمد والترمذي والنسائي في اليوم والليلة عن بدار عن ابن مهدي عن الثوري والنسائي أيضا من حديث زائدة بن قدامة ثلاثتهم عن عبد الملك بن عمر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فغضب أحدهما غضبا شديدا حتى يخيل الى أن أحدهما يمتزع أنفه من شدة غضبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لوقاله لذهب عنه ما يجبد من الغضب فقال ماخى يارسول الله قال يقول اللهم اني أعوذ بك من الشيطان الرجيم قال فجعل معاذ يأمره فأبى وجعل يردد غضبا وهذا القضا أبو دارود قال الترمذي مرسل يعني ان عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يلق معاذ بن جبل

فانه مات قبل سنة عشرين (قلت) وقد يكون عبد الرحمن بن أبي ليلى - معه من أبي بن كعب كما تقدم وبلغه عن معاذ بن جبل فان هذه القصة شهيد خارج واحد من العصابة رضى الله عنهم قال البخاري حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن عدى بن ثابت قال قال سليمان بن صرد رضى الله عنه استبرجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده نجوس فاحدهما يسب صاحبه مغضبا قد اجرو وجهه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كتمانوا فانه اذهب عنه ما يجده لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل ألا تسمع (٢٤) ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لست بمجنون وقد رواه أيضا

كانت أصح ولكن الإثبات أرجح مع كونه خارجا من مخرج صحيح فالأخذ به أولى ولا سيما مع إمكان تأويل الترك وهذا يقتضى الإثبات الذاتي أعني كونه ناقرا أو الوضعي أعني الجهر بها عند الجهر بقراءة ما يفتح بها من السور في الصلاة والحاصل ان البسملة آية من الفاتحة ومن غير ما من السور وحكمها من الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية وبهذا يحصل الجمع بين الروايات ولتنقيح البحث والكلام على أطرافه استدلالا لوردا وتعقبا ودفعاً ورواية ودراية موضع غير هذا وقد استوفاه الشوكاني في شرحه للمتنى وله جواب عن سؤال نظمنا وثرا - ومعلق الباء محذوف وهو ناقرا أو أتوا لتو بتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص ويظهر رجحان تقدير الفعل متأخرا في مثل هذا المقام ولا يعارضه قوله تعالى اقرأ باسم ربك لان المقام بتمام القراءة فكان الامر بها أهم وأما الخلاف بين آئمة الخوفا كون المقدرا اسما أو فعلا فلا يتعلق بذلك كثير فائدة والباء للاستعانة أو المصاحبة تبركا ورجح الثاني الزخشرى والاسم هو اللفظ الدال على المسمى ومن زعم ان الاسم هو المسمى كما قاله أبو عبيدة وسيبويه والباقلاني وابن القورنك وحكاها الرازي عن الحشوية والكرامية والشعرية فقد غلط غلطا بينا وجاء بما لا يعقل مع عدم ورود ما يوجب المخالفة للعقل لامن الكتاب ولا من السنة ولا من لغة العرب بل العلم الضروري حاصل بان الاسم الذي هو أصوات منقطعة وحروف مؤلفة غير المسمى الذي هو مدلوله والبحث مبسوط في علم الكلام وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ان الله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة وقال الله عز وجل ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى والله علم عربي مرتجل جامد عند الاكثر خاص لذات الواجب الوجود تفرد به الباري سبحانه لم يطلق على غيره ولا يشرك فيه أحد وعند الزخشرى اسم جنس صار علما بالعلية والاول هو الصحيح ولم يقل بالله للفرق بين المبين والتمين أو لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة ههنا فانها تكون تارة بداته تعالى وتارة باسمه عز وجل فوجب تعيين المراد بذكر الاسم وعند المحققين انه اسم الله الاعظم وقد ذكره الله تعالى في ألفين وثلاثمائة وستين موضعاً من القرآن والرحمن من الصفات الغالبة لم يستعمل في غير الله عز وجل قال أبو علي الفارسي

مع مسلم وأبي داود النسائي من طرق متعددة عن الاعمش به وقد جاء في الاستعانة أحاديث كثيرة يطول ذكرها ههنا وموطنها كتاب الاذكار وفضائل الاعمال والله أعلم وقد روى ان جبريل عليه السلام أول ما نزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بالاستعانة كما قال الامام أبو جعفر ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمار حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ قال استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق قال عبد الله وهي أول سورة أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان جبريل وهذا الاثر غريب وانما ذكرناه ليعرف فان في أسناده ضعفا وانقطاعا والله أعلم (مسئلة) وجهور العلماء على ان الاستعانة مستحبة ليست بمحتمة يأثم تاركها وحكي الرازي عن عطاء

الرحمن ابن أبي رباح وجوبه في الصلاة وخارجها كما أراد القراءة قال وقال ابن سيرين اذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفي في اسقاط الوجوب واحتج الرازي لعطاء بن رباح الاية فاستعذ وهو أمر ظاهر الوجوب وبمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليها ولا تدرأ شر الشيطان وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ولان الاستعانة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب وقال بعضهم كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته وحكي عن مالك انه لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان في أول البسلة منه (مسئلة) وقال الشافعي في الاملاء يجهر بالتعوذ وان أسر فلا يضر وقال في الام بالخير لانه أسر ابن عمر وجهر

أبوهريرة واختلف قول الشافعي فيما عدا الركعة الأولى هل يستحب التعوذ فيها على قولين ورجح عدم الاستحباب والله اعلم فإذا قال المستعبد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفى ذلك عند الشافعي وأبي حنيفة وزاد بعضهم أعوذ بالله السميع العليم وقال آخرون بل يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم قاله الثوري والاوزاعي وحكى عن بعضهم أنه يقول أستعبد بالله من الشيطان الرجيم لطابقة أمر الآية ولحديث الخليل عن ابن عباس المذكور والاحاديث الصحيحة كما تقدم أولى بالاتباع من هذا والله أعلم (مسئلة) ثم الاستعاذة في الصلاة انما هي للتلاوة وهو قول (٢٥) أبي حنيفة ومحمد وقال أبو يوسف بل للصلاة

فعلى هذا يتعوذ بالمأموم وإن كان لا يقرأ ويتعوذ في العبد بعد الاحرام وقبل تكبيرات العبد والجمهور بعده وقبل القراءة ومن لطائف الاستعاذة انها طهارة للهم مما كان يتعاطاه من الغرور والرفث وتطيب له وهو لتلاوة كلام الله وهي استعاذة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو والميئس الباطني الذي لا يقدر على منعه ودفعه الا الله الذي خلقه ولا يقبل مصانعة ولا يدارى بالاحسان بخلاف العدو من نوع الانسان كما دللت على ذلك آيات من القرآن في ثلاث من المثاني وقال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا وقد نزلت الملائكة لمقابله العدو والبشري فن قتل العدو الظاهري البشري كان شهيدا ومن قتل العدو الباطني كان طريدا ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجورا ومن قهره العدو الباطني كان مفتونا أو موزورا ولما كان الشيطان يرى الانسان من حيث لا يراد استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان (فصل) * والاستعاذة هي الالتجاء

الرجن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى والرجيم انما هو في جهة المؤمنين قال تعالى وكان بالمؤمنين رحيما وعن ابن عباس قال هما اسمان أحدهما أرق من الآخر وقبل معناهما ذو الرحمة جمع بينهما للتأكيذ وقبل غير ذلك والاول أولى وفي الرجن من المبالغة ما ليس في الرحيم والرحمة ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل وأسماء الله تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادئ التي هي انفعالات وافراد الوصفين الشريطين بالذكر تحريك سلسلة الرحمة وهل الرجن مصروف أو لافيه قولان مال التقساز الى جواز الامر بن وقد ورد في فضلها أحاديث ينبغي البحث عن أساسيدها والكلام عليها وقد شرعت التسمية في مواطن كثيرة قد بينها الشارع منها عند الوضوء وعند الذبيحة وعند الأكل وعند الجماع وغير ذلك (الجلد لله) هو الشاء باللسان على الجميل الاختياري على قصد التجميل وبهذا فارق المدح وقال الزمخشري انهما اخوان والجد اخص من الشكر موردا وأعم منه متعلقا وبه صرح في الفائق لكن الاوفق ما عليه الاكثر انهما غير مترادفين بل متشابهان معنى أو اشتقاقا كبيرا وتعرفه لاستغراق افراد الجمد وانها محتصة بالرب سبحانه على معنى ان جمد غيره لا اعتداده لان المنعم هو الله عز وجل أو على ان جمد هو الفرد الكامل فيكون الحصر ادعائيا ورجح الزمخشري ان التعريف هنا هو تعريف الجنس لا الاستغراق واليه شأبوا السعد والصواب ما ذكرناه وعليه الجمهور وقد جاء في الحديث اللهم لك الحمد كله قال ابن جرير الجمد ثناء شئ به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده ان ينثوا عليه فكأنه قال قولوا الحمد لله ثم رجع اتحاد الجمد والشكر مستدلا على ذلك بما حاصله ان جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلام الجمد والشكر مكان الآخر قال ابن كثير وفيه نظر لانه اشتهر عند كثير من العلماء المتأخرين ان الجمد هو الشاء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية والشكر لا يكون الا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والاركان انتهى ولا يخفى أن المرجع في مثل هذا الى معنى الجمد في لغة العرب لا الى ما قاله جماعة من العلماء المتأخرين فان ذلك لا يرذ على ابن جرير ولا تقوم به الحجة هذا اذا لم يثبت للعميد حقيقة شرعية فان ثبت وجب تقديمها روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال الحمد لله كلمة الشكر واذا قال العبد الحمد لله قال

(٤ - فتح البيان ل) الى الله تعالى والاتصاف بجنابه من شرك ذي شرو العيادة تكون لدفع الشر والياد يكون لطلب جلب الخير كما قال المتنبى يامن ألؤذ به فيما أوتله * ومن أعوذ به مما أحاذره لا يجبر الناس عظما أنت كاسره * ولا يهينون عظما أنت جابه ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أى أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم ان يضرك في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به أو يخشى على فعل ما نهيت عنه فان الشيطان لا يكفه عن الانسان الا الله واله هذا أمر تعالى بصناعة شيطان الانس ومداراة باسداء الجميل اليه ليرده طبعه عما هو فيه من الاذى وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن

لانه لا يقبل رشوة ولا يوزن فيه جيل لانه شرير بالطبع ولا يكفه عنك الا الذي خلقه وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن لا أعلم لهن رابعة قوله في الاعراف هذا العدو أمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا فيما يتعلق بمعاملة الاعداء من المشركين قال وأما قوله عنك من الشيطان نزغ فاستعد بالله انه سمع عليهم وقال تعالى في سورة قذافهم المؤمنون ادفعوا بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يسهنون وقال رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون وقال تعالى في سورة حم السجدة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي (٢٦) بينك وبينه عداوة كأنه ولي حم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو

خدا عظيم وأما نزغتك من الشيطان نزغ فاستعد بالله انه هو السميع العليم والشيطان في لغة العرب مشتق من شطن اذا بعد فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر وبعيد بنفسه عن كل خبر وقيل مشتق من شاط لانه مخلوق من نار ومنهم من يقول كلاهما صحيح في المعنى ولكن الاول أصح وعليه يدل كلام العرب قال أمية بن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان عليه السلام أيا شاطن عصاه عكاه

ثم يلقي في السجين والاعلال فقال أيا شاطن ولم يقل أيا شاطن وقال النابغة الذبياني وهو زياد بن عمرو ابن معاوية ابن جابر بن ضباب بن ربوع بن مرة ابن سعد بن ذبيان نائب بسعاد عنك نوى شطون

فباتت والقوا أسبها رهين يقول بعدت بها طريق بعيدة وقال سيويه العرب تقول تشيطان فلان اذا فعل فعل الشياطين ولو كان من شاط لقاوا شيط فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح ولهذا يسمون كل من تدر من جن وانس وجحوش شيطانا قال الله تعالى وكذلك

الله شكرني عبدي وروى ابن جرير عن الحكم بن عمرو كذبت له حجة قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا قلت الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادني وأخرج عبد الرزاق في المستنف والحكيم الترمذي في نوادر الاصول والخطابي في الغريب والبيهقي في الادب والذيلي في مسند الفردوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده وأخرج الطبراني في الاوسط بسند ضعيف عن النواس بن سمعان قال سرقنا ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لن ردّها الله علي لا شكرت ربّي فرجعت فلما راها قال الحمد لله فانتظر واهل يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صوم أو صلاة فظنوا انه نسي فقالوا يا رسول الله كنت قد قلت لن ردّها الله علي لا شكرت ربّي قال ألم أقل الحمد لله وقدرود في فضل الحمد أحاديث منها ما أخرجه أحمد والنسائي والحاكم وصححه البخاري في الادب المفرد عن الاسود بن سريع قال قلت يا رسول الله الا أنشدك محمدا حدث به ربّي تبارك وتعالى فقال اما ان ربك يحب الحمد وأخرج الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وأخرج البيهقي في شعب الايمان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من عبد ينعم عليه بنعمة الا كان الحمد أفضل منها وأخرج مسلم والنسائي وأحمد عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطهور وشرط الايمان والحمد لله تلاءم الميزان وأخرج البيهقي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما شئ أحب الى الله من الحمد وفي الباب أحاديث أخرجه أهل السنن وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع وأخرج مسلم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يرضى عن العبد أن يأكل الاكلة فيحمد الله عليها أو يشرب الشرية فيحمد الله عليها أو يثار الرفع على النصب الذي هو الاصل الا إذا بان ثبوت الجدلته تعالى إذا الله لا لا ثبات مثبت وان ذلك أمر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيد قراءة النصب (رب العالمين) قال في الصحاح الرب اسم من أسماء الله تعالى ولا يقال في غيره الا بالاضافة وقد قالوه في الجاهلية للملك وقال الزمخشري الرب المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء

اجعلنا لكل نبي عداوة شياطين الانس والجن يوسى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وفي مسند

الامام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا باذر تعوذ بالله من شياطين الانس والجن فقلت أو الانس شياطين قال نعم وفي صحيح مسلم عن أبي ذر أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع الصلاة المرأة والجار والكلب الاسود فقلت يا رسول الله ما بال الكلب الاسود من الاجر والاصفر فقال الكلب الاسود شيطان وقال ابن وهب أخبرني هشام ابن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركب برذونا فجعل يتجتره فجعل يضربه فلا يزال اذا التجتره انزل

عنه وقال ما حلتوني الا على شيطان ما زلت عنده حتى أنكرت نفسي اسناد صحيح والرحيم فعيل بمعنى منقول أى انه مرجوم مطرود عن الخير كما قال تعالى ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى انارينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان مارد لا يسمعون الا الاملا الا على ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب وقال تعالى ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناس الذين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين الى غير ذلك من الآيات وقيل (٢٧) رجيم بمعنى راجم لانه يرجم الناس بالوساوس

والربايات والاول أشهر وأصح (بسم الله الرحمن الرحيم) افتتح بها العناية كتاب الله واتفق العلماء على انها بعض آية من سورة النمل ثم اختلفوا هل هي آية مستقلة في أول كل سورة أو من أول كل سورة كتبت في أولها أو انها بعض آية من كل سورة أو انها كذلك في الفاتحة دون غيرها أو انها انما كتبت للفصل لأنها آية على أقوال العلماء سلفا وخلفا وذلك مبسوط في غير هذا الموضع وفي سنن أبي داود باسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم وأخرجه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في مستدركه أيضا وروى مرسل عن سعيد بن جبير وفي صحيح بن خزيمة عن أم سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدها آية لكنه من رواية عمر بن هرون البخني وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عنهما وروى له الدارقطني متابعان أبي هريرة

أى مالكة قال القرطبي والرب السيد ومنه قوله تعالى اذ كرى عند ربك وفي الحديث ان قد الامتريه والرب المصلح والمدير والمربي والخابر والقائم قال والرب المعبود والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه وهو اسم لما يعلم به غلب فيما يعلم به الصانع من المصنوعات قال أبو السعود وهو الاحق الاظهر أو اسم لكل موجود سوى الله تعالى قاله قتادة فيدخل فيه جميع الخلق وهو ظاهر كلام الجوهرى وقيل أهل كل زمان عالم قاله الحسين بن مفضل وقال ابن عباس العالمون هم الجن والانس وقيل اسم جمع عالم بالفتح وليس جعله لان العالم عام في العقلاء وغيرهم والعالمين مختص بالعقلاء والخاص لا يكون جمعا لما هو أعم منه قال ابن مالك وتبعه ابن هشام في توضيحه وذهب كثير الى انه جمع عالم على حقيقة الجمع وقال القراء وأبو عبيد العالم عبارة عما يعقل وهم أربعة أئم الانس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم لان هذا الجمع انما هو جمع ما يعقل حكاهما القرطبي وذكر أدلتها وقال ان القول الاول أصح هذه الاقوال لانه شامل لكل مخلوق موجود دليله قوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما وقيل عنى به الناس فان كل واحد منهم عالم وفيه بعد قال الزجاج العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة وعلى هذا يكون جمعه بالياء والنون تغليب للعقلاء على غيرهم وعن ابن عباس في الآية قال الله الخلق كله السموات كاهن ومن فيهن والارض كاهن ومن فيهن ومن بينهما من يعلم ولا يعلم وفيه دليل على ان رب العالمين جرى مجرى الدليل على وجود الله القديم وبيان لشهول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس فآثار تربيته عز وجل الفائضة على كل فرد من أفراد الموجودات في كل آن من آتات الوجود غير متناهية فسبحانه ما أعظم شأنه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطالعه العقول بأفكارها شأنه لا يضاهاى واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون وفي أقامته مراسم شكره قاصرون وأنى يجمع القلة تنبيها على أنهم وان كثروا قائلون في جنب عظمتهم وكبريائه تعالى واختلف في مبلغ عدد العالم على أقوال لم يصح شيء منها والحق ما قاله سبحانه وتعالى وما يعلم جنود ربك الا هو (الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة على طريق المبالغة والرحن أشد مبالغة من الرحيم وفي كلام ابن جري ما يفهم حكاية الاتفاق على هذا ولذلك قالوا رحن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا وقد تقرر ان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى وقال ابن الانباري والزجاج ان

مرفوعا وروى مثله عن علي وابن عباس وغيرهما ومن حكى عنه انها آية من كل سورة الا برائة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو هريرة وعلي ومن التابعين عطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومكحول والزهري وبه يقول عبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل في رواية عنه وأصح بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام رجيمهم الله وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهم ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وقال الشافعي في قول في بعض طرق مذهبه هي آية من الفاتحة وليست من غيرها وعنه انها بعض آية من أول كل سورة وهما غريبان وقال داود هي آية مستقلة في أول كل سورة لانها وهذا رواية عن الامام أحمد بن حنبل وحكاها أبو بكر الرازي

عن أبي الحسن الشاذلي رحمه الله ما يتعلق بكونها آية من الآيات أم لا فالما الظهر به المنقرع على هذا فمن رأى أنه ليست من الآيات فلا يجهر بها وكذا من قال أنها آية في آرائها وأما من قال بأنها من أوائل السور فاختلافها فذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجهر بها مع الآيات والسورة وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين سلفا وخلفا فجهر بها من الصحابة أبو هريرة وابن عمر وابن عباس ومعوية وحكاد بن عبد البر والبيهقي عن عمرو بن علي ونفلة الخطيب عن الخلفاء الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وخواريب (٢٨) ومن التابعين عن سعيد بن جبيرة وعكرمة وأبي قلابة والزهرى وعلي بن الحسن وابنه

شمس وسعيد بن المسيب وعطاء وناوس وجماعة وسالم ومحمد بن كعب الترمذي وعبيد وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وأبي وأبي وأبي سيرين ومحمد بن المنكدر وعلي بن عبد الله ابن عباس وابنه محمد ونافع مولى ابن عمرو وزيد بن أسلم وعمرو بن عبد العزيز والأزرق بن قيس وحبيب بن أبي ثابت وأبي الشعثاء ومكحول وعبد الله بن معقل بن مقرن زاد البيهقي وعبد الله بن صفوان ومحمد ابن الحنفية زاد ابن عبد البر وعمرو ابن دينار وأخذه في ذلك أنه بعض الآيات فيجهر بها كسائر أفعالها وأيضا فقد روى النسائي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة أنه صلى جهر في قراءته بالجملة وقال بعد أن فرغ إلى لا شئكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم وروى أبو داود والترمذي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال الترمذي وليس اسناده بذلك وقد

الرحمن عراقي والرحيم عربي وخالفتهما غيرهما قال القرطبي وصف نفسه بهما لأنه لما كان بائنا فذهب العالمين ترويضه بالرحمن الرحيم لما تضمن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمنع وقيل فائدة تكريره هنا بعد الذكر في السجدة أن العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور وأن الحاجة إليها أكثر فنبه سبحانه بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وأنه هو المتفضل بها على خلقه وفيه اثبات الصفات الذاتية كافي التي قبلها الثبات الصانع وحدوث العالم (مالك) فذاختلف العلماء أيما بلغ ملك أو مالك والقراءتان مرويتان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر ذكرهما الترمذي فذهب إلى الأول أبو عبيد والمبرد وجه المخشري وإلى الثاني أبو حاتم والقاضي أبو بكر بن العربي والحق أن لكل واحد من الوصفين نوع اختصاص لا يوجد في الآخر فالملك يقدر على ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعق ونحوها والملك يقدر على ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات العائدة إلى تدبير الملك وحياطة ورعاية مصالح الرعية فأحدهما أقوى من الآخر في بعض الأمور والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه أن الملك صفة ذاته والمالك صفة لغيره وقيل بينهما عموم مطلق فكل ملك مالك ولا عكس لعموم ولاية الملك التزاما لمطابقة قوله التفازاني وقيل هما بمعنى وقد أخرج الترمذي عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ ملك بغير أنف وأخرج نحوه ابن الأنباري عن أنس وأخرج أحمد والترمذي عن أنس أيضا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يقرأون بالملك بالالف وأخرج نحوه سعيد بن منصور عن ابن عمر حمرفوعا وأخرج نحوه أيضا وكيع في تفسيره وعبيد بن جريد وأبو داود عن الزهري يرفعه هر سلا وأخرجه أيضا عبد الرزاق في تفسيره وعبيد بن جريد وأبو داود عن ابن المسيب حمرفوعا هر سلا وقد روى هذا من طرق كثيرة فهو أرجح من الأول ومالك بمعنى المستقبل قاله القرطبي وأضافته إلى ما بعده حقيقة أو لفظية والتعويل على القرائن والمقامات قاله الكرخي وهذا أس بالعبسية وأقعد في طريقها قاله أبو القاسم الزجاجي قال الخطيب والتقييد بقوله (يوم الدين) لا ينافي الاستمرار لأنه من غير اعتبار حدوث في أحد الأزمنة انتهى واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرح عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب

رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك أنه سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال كانت قراءته مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يتدبسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وصحيح ابن خزيمة ومستدركه الحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وقال الدارقطني اسناد صحيح وروى الإمام أبو عبد الله الشافعي والحاكم في مستدركه عن أنس أن

ابن يحيى عن ابن ابي مليكة عن حذيفة عن ابن مسعود ومعه عن عطية عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 نذره وخذ اغرب يتدو قد يكون محييا الى من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون من الاسرار ليليات لاسن المرفوعات
 والله أعلم وتدرى جويير عن النخلك نحو من قبله وقد روى بن مردويه من حديث يزيد بن خالد عن سليمان بن بريدة في روايه
 عن عبد الكريم ابي أمية عن ابي بريدة عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزلت على آية لم تنزل على نبي غير سليمان بن
 داود وغيري وهي بسم الله الرحمن الرحيم (٣٠) وروى باسناد عن عبد الكريم الكبير بن المعاني بن عمران عن أبيه عن

عمر بن ذر عن عطاء بن ابي رباح عن
 جابر بن عبد الله قال لما نزل بسم الله
 الرحمن الرحيم هرب الغيم الى
 المشرق وسكنت الريح وهاج البحر
 وأصغت البهايم بأذانها ورجت
 الشياطين من السماء وحلف الله
 به الى بعزته وجلاله ان لا يسمى اسمه
 على شيء الا يارل فيه وقال وكيع
 عن الاعشى عن أبي وائل عن ابن
 مسعود قال من أراد ان ينحبه الله
 من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم
 الله الرحمن الرحيم فيجعل الله له من
 كل حرف منها حسنة من كل واحد
 ذكره ابن عطية والقرطبي ووجهه
 ابن عطية ونصره بجديت لقد رأيت
 بضعة وثلاثين ملكا يتسدرونها
 لقول الرجل ربنا ولك الحمد جدا
 كثيرا طيبا مباركا فيه من أجل انها
 بضعة وثلاثون حرفا وغير ذلك وقال
 الامام أحمد بن حنبل في مسنده
 حديثا محمد بن جعفر حدثنا شعبة
 عن عاصم قال سمعت أبا ثيمة يحدث
 عن رديف النبي صلى الله عليه وسلم
 قال عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم
 فقلت تعس الشيطان فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم لا تقل تعس

أقسام ذكرها البيضاوي والتحقيق انها ستة وهي ظاهرة لان الملتفت منه والملتفت اليه
 اثنان وكل منهما اما غيبة او خطاب او تكلم والعرب يستكثرون منه لفوائده تستدعيه
 ورون الكلام اذا انتقل من أسلوب الى أسلوب آخر كان أدخل في القبول عند السامع
 وأحسن نظرية لتناطه واملا للاستداذ اصغائه وأكثر ايقاظه كما تقر في علم المعاني وقد
 يختص مواقع بقاءه واطراف قلما تنضم الالحد في المهره وقليل ما هم وما اختص به هذا
 الموضع انه لما ذكر الحقيق بالجد والثناء وأجرى عليه تلك الصفات لتعلق العلم معلوم على
 الذات سمي الصفات حري بالثناء وغاية التدليل والاستعانة في المهمات فحوط ذلك المعلوم
 للقبز تلك الاوصاف فقل اياك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك والجي بالتون في
 الشغلين لقصد الاخبار من الداعي عن نفسه وعن جنسه من العباد أو عن سائر الموحدين
 وفيه اشعار على التزام الجماعة وقد تمت العبادة على الاستعانة لتوافق رؤس الاتي
 ولكون الاولى وسيلة الى الثانية وتقديم الوسائل سبب لتحصيل المطالب واطلاق العبادة
 والاستعانة لقصد التعميم لتتناول كل معبوده ومستعان فيه واستحسنه الرخصى
 وقال لتلازم الكلام وأخذ بعضه بحجة بعض وتكريرا للضمير للتخصيص على تحصيله
 تعالى بكل واحدة منهما ولا يرازال التذاذب المناجاة والخطاب وأخرج مسلم عن أبي هريرة عن
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدتي نصفها
 لى ونصفها العبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى
 واذا قال الرحمن الرحيم قال انى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى
 وربما قال فوض الى عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى
 ولعبدى ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم الخ قال هذا العبدى ولعبدى ما سأل
 وعن أبي طلحة قال كأمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزاة نلني العبد ونصحتني
 يقول يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين قال فليقرأت الرجال تصرع فتصربها
 الملائكة من بين يديها ومن خلفها أخرجه البخوي والياوردى معاني معرفة الصحابة
 والطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الدلائل (اهدنا الصراط المستقيم) افراد له ظم أقراد
 المعونة المسؤلة بالذكر وتعين لما هو الاهم أو بيان لها أى أرشدنا وقيل بتبنا على المنهاج
 الواضح او اهدنا في الاستقبال كما حدثنا في الحال وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على

الشيطان فانك اذا قلت تعس الشيطان تعاضم وقال بقوى صرعبه واذا قلت بسم الله تصاعرت حتى يصير مثل
 الذباب هكذا وقع في رواية الامام أحمد وقدرى النسائي في اليوم واليلية وابن مردويه في تفسيره من حديث خالد الحذاء عن أبي
 ثيمة وهو السجيمى عن أبي الملقين اسامة بن عمر عن أبيه قال كنت بديف النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقال لا تقل هكذا
 فإنه تعاضم حتى يكون كالبيت ولكن قل بسم الله فإنه يصغر حتى يكون كالنابذة فهذا من تأثير بركة بسم الله ولهذا استحب في أول كل
 عمل وقول فتستحب في أول الخطبة لما جاء كل أمر لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أجندم وتستحب البسملة عند دخول

الخلاء لما ورد من الحديث في ذلك وتسحب في أول الوضوء لما جاء في مسند الامام احمد والسنن من رواية أبي هريرة وسعيد بن زيد وأبي سعيد مرفوعا لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه وهو حديث حسن ومن العلماء من أوجبها عند الذكرونها ومنهم من قال بوجوبها مطلقا وكذا تسحب عند الذبيحة في مذهب الشافعي وجاعا وأوجبها آخرون عند الذكروها مطلقا في قول بعضهم كإسائتي بيانه في موضعه ان شاء الله وقد ذكر الرازي في تفسيره في فضل البسلة أحاديث منها عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أتيت أهلك فسم الله فانه ان وجدك ولدك كتب لك بعدد (٣١) انفسه وانفاس ذريته حسنات وهذا الأصل

له ولا رأيته في شيء من الكتب المعتمدة عليها ولا غيرها وهكذا يستحب عند الاكل لما في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لربيبة عمر بن أبي سلمة قل بسم الله وكل بيمينك وكل بيمينك ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه وكذلك تسحب عند الجماع لما في الصحيحين عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن أحدكم اذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإنه ان يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا ومن ههنا ينكشف لك ان القولين عند النكاح في تقدير المتعلق بالباء في قوله بسم الله هل هو اسم أو فعل متقاربان وكل قد ورد به القرآن أما من قدره باسم تقديره بسم الله ابتدائي فلعله تعالى وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم ومن قدره بالفعل أمرا أو خبرا نحو ابدأ بسم الله أو ابتدأت بسم الله فلعله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق وكلاهما صحيح فان الفعل

الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب حريد الهداية والثبات عليه لان اللطاف والهدايات من الله تعالى لا تنهاى قال الله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى الآية وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والهداية هي الارشاد والتوفيق والتبيين أو الالهام أو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية ثم هي قديتعدى فعلها بنفسه كما هنا وكقوله وهديناه النجدين وقديتعدى بالي كقوله اجتباها وهدها الى صراط مستقيم وقوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وانك لم تدي الى صراط مستقيم وقديتعدى باللام كقوله هداها لهدا وقوله يهدي للتي هي أقوم وقال الرخشي أصله ان يتعدى باللام أو بالي انتهى وفرق كثير من المتأخرين بين المتعدى بنفسه وغير المتعدى فقالوا معنى الاول الايصال ومعنى الثاني الدلالة والصراط بالصاد انما صيغة لغت قریش وهي الجادة والسين قراءة ابن كثير في كل القرآن ويذكر ويؤث كالطريق والسبيل فالنذر كير لغة تميم والتأنيث لغة الخجاز وجعه صرط وقد تشم الصاد صوت الزاي تحويا للقرن من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن الصاد وهي الثابتة في الامام أي في مصحف عثمان رضي الله عنه ككاتبه وخطا المسمى اماما عند القراء والمفسرين وغيرهم فان الامام لغة ما يؤتم ويقمدي به فيتبع وان لم يكن من العقلاء ولهذا أطلق على اللوح والكتاب كما قال تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما ورجمة فسمى الكتاب اماما على وجه وقد كان سنة ثلاثين لما سار حذيفة رضي الله تعالى عنه لبعض الغزوات وعاد قال لعثمان رضي الله تعالى عنه اني رأيت امرأ عجيبا رأيت الناس يقول بعضهم لبعض قراء في خير من قراءتك فان تركوا يختلفوا في القرآن فيكون لذلك امر فجمع عثمان الصحابة رضي الله عنهم واستشارهم فاشاروا عليه بجمعهم على مصحف واحد فأرسل الى حفصة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها لترسل العجف لتنسخ وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه جعها لما كثر قتل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باليامة وهو الجمع الاول فأرسلها اليه فأمر عثمان رضي الله تعالى عنه زيد بن ثابت وابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث فنسخوها في مصاحف اختلف في عددها كما في شرح الرأية للسخاوي رحمه الله تعالى وأرسل الى كل مصر مصحفا وخرق ماسواها فسمى كل من تلك المصاحف اماما لا المصحف الذي كان عند عثمان رضي الله تعالى عنه وحده كما قيل ذكره الخنابى والمستقيم المستوى والمراد به طريق الحق وملة الاسلام قال

لا بد له من مصدر فلك ان تقدر الفعل ومصدره وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبل ان كان قياما وقعودا أو كذا أو شربا أو قراءة أو وضوءا أو صلاة فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله تبركا وتيمنا واستعانة على الاتمام والتقبل والله أعلم ولهذا روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن حديث بشر بن عمار عن أبي روق عن النخاع عن ابن عباس قال ان أول ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد قل استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم قال قال له جبريل بسم الله يا محمد بقول اقرأتك كرا لله ربك وقم واقعدنك كرا لله تعالى لفظ ابن جرير وأما مسئلة الاسمها هو المسمى أو غيره ففيها للناس

ثلاثة أقوال أحدها أن الاسم هو المسمى وهو قول أبي عبيدة وسيبويه واختاره الباقلاني وابن قزوين وقال الرازي وهو محمد بن عمر المعروف بابن خطيب الرازي في مقدمات تفسيره قالت الحشوية والكرامية والأشعرية الاسم نفس المسمى وغير نفس التسمية وقالت المعتزلة الاسم غير المسمى ونفس التسمية واختار عندنا أن الاسم غير المسمى وغير التسمية ثم نقول إن كان المراد بالاسم هذا اللفظ الذي هو أصوات مقطعة وحروف مؤلفة فالعلم الضروري حاصل أنه غير المسمى وإن كان المراد بالاسم ذات المسمى (٣٢) فهذا يكون من باب إيضاح الواضحات وهو بحث فثبت أن

ابن كثير أجعت الأمة من أهل التأويل جمعاً على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه وهو كذلك في لغة جميع العرب وحسب الملة الخفيفة السجدة المتوسطة بين الإفراط والتفريط وعن جابر بن عبد الله أنه قال هو دين الإسلام وهو أوسع مما بين السماء والأرض وعن النّوّاس بن سميان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً على جنبي الصراط سوران فيه سما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تنفروا داع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال ويحك لا تفعله فانك إن تفعله تلجئه فالصراط الإسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق وأعطى الله تعالى في قلب كل مسلم قال ابن كثير هو اسناد حسن صحيح وعن ابن مسعود وهو كتاب الله وقيل السنة والجماعة وعن أبي العباس هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبه من بعده وعن الفضيل بن عياض أنه طريق الحج وقيل معناه أخذنا صراط المستقيمين الجنة وعن ابن عباس أن معناه ألهماً نادياً الحق وهو الأول والآخر اعتبار العموم (صراط الذين أنعمت عليهم) بدل كل من كل وقائده التوكيد والتخصيص على أن صراط المسلمين هو المشهور عليه بالاستقامة والاستواء على أكد وجهه وأبلغه بحيث لا يذهب الوهم عند ذكره إلا إليه والآنعام إيصال النعمة والاحسان إلى الغير إذا كان من العقلاء ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها ينحصر أصولها في ديني وآخرى وأطلقه ليشمل كل أنعام فإن نعمة الإسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها بهذا أفير حاتم المراد بالموصول هم الاربعة المذكورة في سورة النساء حيث قال ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وقيل هم الأنبياء خاصة وقيل مطلق المؤمنين والاول أولى وفيه الإشارة إلى الاقتداء بالسلف الصالح وهو غير التقليد (غير المنحسوب عليهم) بدل كل من كل أي غير صراط الذين غضبت عليهم وهم اليهود لقوله تعالى قيمهم من لعنه الله وغضب عليه قال القرطبي الغضب في اللغة الشدة وفي صفة الله أراد العقوبة

الطوض في هذا البحث على جميع التقديرات يجرى مجرى العبت ثم شرع يستدل على مغايرة الاسم للمسمى بأنه قد يكون الاسم موجوداً والمسمى منقوداً كالظن المعذور وبأنه قد يكون للشيء أسماء متعددة كالترادف وقد يكون الاسم واحداً والمسميات متعددة كالشركة وذلك دال على تعابر الاسم والمسمى وأيضاً فالاسم لفظ وهو عرض والمسمى قد يكون ذاتاً محسوسة أو واجبة بذاتها وأيضاً فللفظ النار والنج لو كان هو المسمى لوجد اللفظ بذلك حر النار أو برد النج وشو ذلك ولا بقوله عاقل وأيضاً فقد قال الله تعالى والله الأسماء الحسنى فادعوه بها وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن لله تسعة وتسعين اسماً فمعرفة أسماء كثيرة والمسمى واحد وهو الله تعالى وأيضاً لقوله والله الأسماء أضافها إليه كما قال فسبح باسم ربك العظيم وشو ذلك فالإضافة تقتضي المغايرة وقوله تعالى فادعوه بها أي فادعوا الله باسمائه وذلك دليل على أنها غيرية واحتج من قال الاسم هو

المسمى بقوله تعالى تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام والتبارك هو الله تعالى والجواب أن الاسم معظم فهو أعظم الذات المقدسة وأيضاً فإذا قال الرجل زينب طالق يعني امرأته طلق ولو كان الاسم غير المسمى لما وقع الطلاق والجواب أن المراد أن الذات المسماة بهذا الاسم طالق قال الرازي وأما التسمية فأن جعل الاسم معينا لهذه الذات فيسمى غير الاسم أيضاً والله أعلم (الله) علم على الرب تبارك وتعالى يقال أنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار

المتكبر سبحانه الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم
فأجرى الاسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما
تدعوا فله الاسماء الحسنى وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا
من أحصاها دخل الجنة وجاء تعدادها في رواية الترمذي وابن ماجه وبين الروايتين اختلاف في زيادة ونقصان وقد ذكر الرازي في
تفسيره عن بعضهم أن لله خمسة آلاف اسم ألف في الكتاب والسنة (٣٣) الصحيحة وألف في التوراة وألف في الانجيل
وألف في الزبور وألف في اللوح

فهو صفة ذاته أو نفس العقوبة ومنها حديث أن الصدقة لتطفئ غضب الرب فهو صفة
فعله وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين وإنما يلحق الكافرين والعدول عن اسناد الغضب
إلى تعالى كالانعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات إليه عز
وجل دون اضدادها وفي عليهم عشر لغات وكلها صواب قاله ابن الأنباري (ولا الضالين)
لأزائدة قاله الطبري والزحسري وقيل هي تأكيد حكمه مكي والمهدوي وقيل بمعنى غير قاله
الكوفيون والمحلي أي وغير الضالين عن الهدى وهم النصارى لقوله عز وجل قد ضلوا من
قبل الآية وأصل الضلال الغيبوبة والهالك ومنه ضل اللبن في الماء أي غاب وقال
القرطبي هو في لسان العرب الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق أخرج أحمد وعبد بن
جيد والترمذي وحسنه وابن حبان وصححه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن
المغضوب عليهم هم اليهود وإن الضالين النصارى ورواه أبو الشيخ عن عبد الله بن شقيق
مرفوعا وابن مردويه عن أبي ذر من له وبه قال ربيع بن أنس ومجاهد وابن جبير وإنما
سموا بها الاختصاص كل منهم ما يغلب عليه وقيل أراد المغضوب عليهم بالبدعة
والضالين عن السنة قاله القرطبي وقيل اللفظ يعم الكفار والعصاة والمستدعة لقول
الله تعالى في القاتل عداو غضب الله عليه وقال فنادى بعد الحق إلا الضلال وقال الذين
ضل سعيهم في الحياة الدنيا وقيل غير ذلك وأنت خير بأن جعل الموصول عبارة عما ذكر
من طائفة غير معينة محل بدلية ما أضيف إليه مما قبله فالمصير إلى التفسير النبوي
ستعين وهو الذي أطبق عليه أئمة التفسير من السلف قال ابن أبي حاتم لا أعلم خلافا
بين المفسرين في هذا التفسير ويشهد له آيات من القرآن كما تقدم قال القرطبي سورة
الفاحة مشتملة على أربعة أنواع من العلوم هي مناظ الدين أحدها علم الأصول واليه
الإشارة بقوله الحمد لله إلى الرحيم ومعرفة النبوات وهي قوله أنعمت عليهم ومعرفة
المعاد وهي قوله مالك يوم الدين وثانيها علم الفروع وأعظمه العبادات وهي أياك نعبد
والعبادة مالمية وبدنية وثالثها علم الأخلاق وهو قوله أياك نستعين إلى المستقيم
ورابعها علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة السعداء منهم والاشقياء وهو المراد بقوله
أنعمت عليهم إلى آخر السورة انتهى ملخصا وللأمامين الغزالي والرازي في تقرير اشتمالها
على علوم القرآن بسط كثير حتى استخرج الرازي منها عشرة آلاف مسئلة وأول

المحفوظ وهو اسم لم يسم به غيره
تبارك وتعالى ولهذا الإعراف في
كلام العرب له اشتقاق من فعل
يفعل فذهب من ذهب من النحاة
إلى أنه اسم جامد لا اشتقاق له وقد نقله
القرطبي عن جماعة من العلماء
منهم الشافعي والخطابي وإمام
الحرمين والغزالي وغيرهم وروى
عن الخليل وسيبويه أن ألف واللا
فيه لازمة قال الخطابي ألا ترى
أنك تقول يا الله ولا تقول يا الرحمن
فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز
إدخال حرف التثنية على الألف
واللام وقيل أنه مشتق واستدلوا
عليه بقول روبة بن العجاج
لله در الغانيات للذة

سبحن واسترجعن من تألهي
فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر
وهو التأله من آله ياله الهة وتألها كما
روى عن ابن عباس أنه قرأ ويذكر
والهتكت قال عبادك أي أنه كان
يعبد ولا يعبد وكذا قال مجاهد
وغيره وقد استدلل بعضهم على كونه
مشتقا بقوله تعالى وهو الله في
السموات وفي الأرض كما قال تعالى

(٥ ل - فتح البيان)
وهو الذي في السماء له وفي الأرض هو ونقل سيبويه عن الخليل أن أصله اله مثل
فعال فدخلت الألف واللام بدلًا من الهمزة قال سيبويه مثل الناس أصله أناس وقيل أصل الكلمة لاه فدخلت الألف واللام
للتعظيم وهذا اختيار سيبويه قال الشاعر لاه ابن عمك لا أفضل في حسب * عني ولا أنت دنائي فتخزوني قال القرطبي بانحاء
الهمزة أي فتسوسني وقال الكسائي والقراء أصله إله حذفوا الهمزة وادغموا اللام الأولى في النائية كما قال لكتها هو الله ربني أي
لكم أنا وقد أمها كذلك الحسب قال القاطم ثم قلنا هو مشتق من له إذا حمه له ذهبا العقاب وقال دحسا له واله واحمرأة له

ومولوه اذ ارسل في الخبراء قاله تعالى يحيرا أولئك والفكر في حقائق صفاته فعلى هذا يكون ولاده فادب الوادهمزة كما قالوا في
وشاح اشاح ووسادة اسادة وقال الرازي وقيل انه مشتق من ألهمت الى فلان أى سكنت اليه فالتعقيل لا تسكن الا الى ذكره والارواح
لا تفرح الا بعرفته لانه الكامل على الاطلاق دون غيره قال الله تعالى لا يبدرك الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وقال وقيل من لاه
يلوه اذا احتجب وقيل اشتقاقه من آله الفصل أولع بأمه والمعنى ان العباد مألوهون مولعون بالتضرع اليه في كل الاحوال قال وقيل
مشتق من آله الرجل ياله اذا فرغ من مرزله (٢٤) به فآله اي اجاره فالجبر لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه

لقوله تعالى وهو يحير ولا يجار عليه
وهو المنعم لقوله تعالى وما بكم من
نعمة في الله وهو المظم لقوله تعالى
وهو يطعم ولا يطعم وهو الموجد
لقوله تعالى قل كل من عند الله
وقد اختار الرازي أنه اسم غير
مشتق البتة قال وهو قول الخليل
وسميويه وأكثروا الاصوليين
والفقيهاء ثم أخذ يستدل على ذلك
بوجوه منها انه لو كان مشتقا لاشترك
في معناه كثيرون ومنها أن بقية
الاسماء تترك صفات له فتقول الله
الرحمن الرحيم الملك القدوس فدل
انه ليس بمشتق قال فأما قوله تعالى
العزير الحميد لله على قراءة الجسر
فجعل ذلك من باب عطف البيان
ومنها قوله تعالى هل تعلم له سميا وفي
الاستدلال بهذه على كون هذا الاسم
جامدا غير مشتق نظروا الله أعلم وكنى
الرازي عن بعضهم ان اسم الله
تعالى عبراني ثم ضعفه وهو
حقيق بالتضعيف كما قال وقد حكى
الرازي هذا القول ثم قال واعلم ان
الخلائق قسمان واصولون الى
ساحل بحر المعرفة ومحرومون قد
بقوا في ظلمات الخيرة وتيه الجهالة

السورة مشتق على الجملة وآخرها على الهمزة عن الايمان وذلك يدل على ان
مطلع الخبرات وعنوان السعادات هو الاقبال على الله ورأس الآفاق وأسس الخالقات
هو الاعراض عنه والبعد عن طاعته وعاقبة ذلك الغضب والضلال واعلم ان السنة
الصحيحة الصريحة الثابتة واترا قد دلت على مشروعية التأمين بعد قراءة الفاتحة في
ذلك ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي عن وائل بن حجر قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال آمين متبها صوته ولا يداود رفع
بها صوته وقد حسنه الترمذي وأخرجه أيضا النسائي وابن أبي شيبه وابن ماجه والحاكم
وصححه وفي لفظ من حديثه انه صلى الله عليه وآله وسلم قال رب اغفر لي آمين أخرجه
الطبراني وأخرج مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي موسى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اذا قرأ يعني الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين
يجبكم الله وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وأحمد وابن أبي شيبه وغيرهم ان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا آمن الامام فامتنوا فان من وافق تأمينة تأمين
الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه زاد الجرجاني في أماليه وما تأخر قيل هم الحفظة وقيل
غيرهم من الملائكة ويعني الذنوب الصغائر دون الكبائر وفي الباب احاديث بين صحيح منها
وضعيف وآمين اسم فعل بمعنى اللهم اسمع واستجب لنا وتقبل عني كثر أهل العلم قاله
القرطبي وفي الصحاح معناه كذلك فليكن وبه قال ابن عباس وعنه قال قلت يا رسول
الله ما معني آمين قال رب افعل آخر جدي في تفسيره وعن هلال بن يساف ومجاهد
قالا آمين اسم من أسماء الله وقال الترمذي معناه لا تخيب رجائا وقيل هو خاتم الله على
عباده يدفع به عنهم الاثم رواه الطبراني عن علي بن سعيد ضعيف وعنه صلى الله عليه وآله
وسلم انه كان يتم على الكتاب رواه أبو داود والاولى قيل وليس من القرآن انما عبد ليل
انه لم يثبت في المصاحف وفيه لغتان المد وهو اسم أعجمي لانه بزنة قابيل وهابيل والقصر
على وزن عيين قال مجنون ليلي

يارب انسلبني خبها أبدا * ويرحم الله عبدا قال آمينا

أي بالمد وقال جبريل اسأل فطعلا

تباعدي فطعلا اسأله * آمين فزاد الله ما بيننا بعدا

فكانهم قد فقدوا عقولهم وأرواحهم وأما الواجدون فقد وصلوا الى عرصة النور وسمحة الكبرياء والجلال فذكره
فتأهوا في ميادين الصمدية وبادوا في عرصة الفردانية فثبت ان الخلائق كلها والهون في معرفته وروى عن الخليل بن أحمد انه
قال لان الخلق بالهون النسب نصب اللام وكسر هاء الغنان وقيل انه مشتق من الارتقاء فكأن العز بقول لكل شيء من ترفع لاه
وكأنوا يقولون اذا طلعت الشمس لاهت وقيل انه مشتق من آله الرجل اذا تعبد وتأله اذا تنك وقرأ ابن عباس ويذكر والهيئت
وأصل ذلك الاله خذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة فالتقت اللام التي هي عينها مع اللام الزائدة في أولها التعريف فأدغمت

أحدهما في الأخرى فصارت في اللفظ لا ما واحدة مشددة ونفخت تعظيما فقبل الله (الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورجح أشد مبالغة من رحيم وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا وفي تفسير بعض السلف ما يدل على ذلك كما تقدم في الأثر عن عيسى عليه السلام أنه قال والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة وقد زعم بعضهم أنه كان غير مشتق اذ لو كان كذلك لاتصل بك المرحوم وقد قال وكان المؤمنين رحيماء وحكي ابن الأنباري في الزاهر عن المبرد أن الرحمن اسم عبراني ليس بعربي وقال أبو اسحق الزجاج في معاني (٣٥) القرآن وقال أحمد بن يحيى الرحيم عربي والرحمن

عبراني فلهذا جاع بينهما قال أبو اسحق وهذا القول مرغوب عنه وقال القرطبي والدليل على أنه مشتق ما أخرجه الترمذي وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته قال وهذا نص في الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق قال وانكار العرب لاسم الرحمن لجهلهم بالله وبما وجب له قال القرطبي ثم قيل هما بمعنى واحد كندمان ونديم قاله أبو عبيد وقيل ليس بناء فعلا ن كفعيل فان فعلا ن لا يقع الاعلى مبالغة الفاعل نحو قولك رجل غضبان للرجل المملئ غضبا وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول قال أبو علي الفارسي الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى والرحيم انما هو من جهة المؤمنين قال الله تعالى وكان بالمؤمنين رحيماء وقال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من

فذكره مقصورا قال الجوهرى وتشديد الميم خطأ ولكنه روى عن الحسن وجعفر الصادق التشديد به قال الحسن بن الفضل من أم إذا قصد أي نحن قاصدون خيرك يا الله وهو مبني على الفتح مثل أين وكيف لاجتماع الساكنين ويقال منه آمن فلان تأمينا وهذه الكلمة لم تكن قبلنا الاموسى وهرون كذا ذكر الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أنس بن مالك مرفوعا وقيل بل هي خاصة بهذه الامة لما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما حسد تكلم اليهود على شيء ما حسد تكلم على السلام والتأمين أخرجه ابن ماجه وفي الباب أحاديث وقد اختلف أهل العلم في الجهر بها وفي أن الامام يقولها أم لا وذلك مبين في موطنه وكذلك اختلفوا في وجوب قراءة الفاتحة فذهب جمهور العلماء منهم مالك والشافعي وأحمد إلى وجوبها وانها متعينة في الصلاة لا تجزئ الا بها لقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ فيها ب فاتحة الكتاب أخرجه الشيخان عن عباد بن الصامت وذهب أبو حنيفة إلى أنها لا تعين على المصلي بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن طويلة أو ثلاث آيات قصار لقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه والاول أرجح ويدل عليه حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تجزئ صلاة لمن لم يقرأ فيها ب فاتحة الكتاب أخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح والكلام في هذا يطول وقد بينه الشوكاني في نيل الاوطار وأوصحنه في مسك الختام وسيأتي ان شاء الله تعالى في آخر الاعراف شيء مما يتعلق بهذا المقام هذا وقد اتفق أهل العلم على أن أعظم المقصود من تنزيل الكتاب العزيز هو اخلاص التوحيد لله عز وجل وقطع علائق الشرك كائنة ما كانت وذلك لا يحتاج إلى ان تنقل فيه أقوال الرجال أو يستدل عليه بالدلة فانه الامر الذي بعث الله لاجل رساله وأنزل فيه كسبه وفي هذا الاجال ما يغني عن التفصيل ومن شك في هذا فعليه بالتفكير في القرآن الكريم فانه سيجد من أعظم مقاصده وأكبر موارده ان يحجز عن ذلك فليدبر في سورة من سورته فان قلت اريد منك مثالا اقتدى به وأمشى على طريقته وأهتدى إلى التفكير الذي أرشدني اليه بتقديم النظر فيه فنقول هاتحين تقرب لك المسافة ونسهل عليك ما استصعبته هذه فاتحة الكتاب العزيز التي يكررها كل مصل في كل صلاة ويفتح بها التالى لكتاب الله والمتعلم له فان فيها الارشاد إلى اخلاص التوحيد في ثلاثين موضعا ١ الاول قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم فان

الآخر أى أكثر رحمة ثم حكى عن الخطابي وغيره انهم استشكلوا هذه الصفة وقالوا العله أرفق كما في الحديث ان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله وانه يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وقال ابن المبارك الرحمن اذا سئل أعطى والرحيم اذا لم يسئل يغضب وهذا كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه عن حديث أبي صالح الفارسي الخوزي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وقال بعض الشعراء
الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب
وقال ابن جرير حدثنا السري بن يحيى التميمي حدثنا عثمان

ابن زفر سمعت العزري يقول الرحمن الرحيم قال الرحمن لجميع الخلق الرحيم قال بالمؤمنين قالوا ولهذا قال ثم استوى على العرش
الرحمن وقال الرحمن على العرش استوى فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعلم جميع خلقه برحمته وقال وكان بالمؤمنين رحماً يخصهم
باسم الرحيم قالوا فدل على ان الرحمن أشد مبالغته في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه والرحيم خاصة بالمؤمنين لكن جـ في
الدعاء المأثور ربحن الدنيا والآخرة ورحيم ما واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يسم به غيره كما قال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن
أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى وقال تعالى (٣٦) وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أن يجعلنا من دون الرحمن آتية

يعبدون ولما تجهرهم مسيلة الكذاب
وتسمى برجن اليمامة كساه الله
جلباب الكذب وشهر به فلا يقال
له الامسيلة الكذاب فصار يضرب
به المثل في الكذب بين أهل الحضرة
من أهل المدر وأهل الورى من أهل
البادية والاعراب وقد زعم بعضهم
ان الرحيم أشد مبالغته من الرحمن
لأنه أكذب والمؤكد لا يكون الا
أقوى من المؤكد والجواب ان هذا
ليس من باب التاكيد وإنما هو
من باب التعت ولا يلزم فيه ما ذكره
وعلى هذا فيكون تقدير اسم الله
الذي لم يسم به أحد غيره ووصفه
أولاً بالرحمن الذي منع من التسمية
به لغيره كما قال تعالى قل ادعوا الله
أو ادعوا الرحمن أياماً تدعوا فله
الأسماء الحسنى وإنما تجهرهم
مسيلة اليمامة في التسمية به ولم يتابعه
على ذلك إلا من كان معه في الضلالة
وأما الرحيم فإنه تعالى وصف به غيره
حيث قال لقد جاءكم رسول من
أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم كما
وصف غيره بذلك من أسمائه كما قال
تعالى أنا خلقنا الإنسان من نطفة

علماء المعاني والبيان ذكرنا أنه يقدر المتعلق متأخر اليقيد اختصاص البداية باسم الله
تعالى لا باسم غيره وفي هذا المعنى لا يخفى من اخلاص التوحيد * الثاني والثالث الاسم
الشريف أعني لفظ الله عز وجل فإن مفهومه كما حققه علماء هذا الشأن الواجب الوجود
المختص بجميع المحامد فكان في هذا المفهوم إشارة الى اخلاص التوحيد أحدهما تفرد
بوجوب الوجود وثانيهما اختصاصه بجميع المحامد فاستفيد من الاسم الشريف الذي
أضيف اليه لفظ اسم هذان الامران * الرابع تحلية الرحمن باللام فانه من أدوات
الاختصاص سواء كانت موصولة كما هو شأن آلة التعريف اذا دخلت على المشتقات او
بجذر التعريف كما يكون اذا دخلت على غيرهما من الأسماء والصفات وقد أوضح هذا
المعنى أهل البيان بما لا مزيد عليه * الخامس اللام الداخلة على قوله الرحمن والكلام
فيها كالكلام في الرحمن * السادس اللام الداخلة على قوله الحمد لله فانه اتفقد أن كل
جمله لا يشار كـ فيه غيره وفي هذا أعظم دلالة على اخلاص توحيد كـ السابع لام
الاختصاص الداخلة على الاسم الشريف وقد تقرر ان الحمد هو الثناء باللسان على الجليل
الاختصاص لقصد التعظيم فلا ثناء الا عليه ولا جليل الا منه ولا تعظيم الا له وفي هذا من
أدلة اخلاص التوحيد ما لا يقادر قدره * الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر
والثاني عشر قوله رب العالمين فان لفظ الرب باعتبار معناه الغوى مشعر بآتم اشعار
باخلاص توحيد كـ هذا باعتبار معناه الافرادى دون الاضافى ثم في معناه الاضافى دلالة
أخرى فان كونه رب العالمين يدل على ذلك أبلغ دلالة ثم في لفظ العالمين معنى ثالث لنا تقرر
لغة وشراً أن العالم هو اسم لما عدا الله عز وجل فيدخل في هذا كل شيء غير الله سبحانه
فلا رب غيره وكل ما عداه فهو محروب وصيغ الحصر اذا تتبعتهما من كتب المعاني والبيان
والتفسير والاصول بلغت ثلاث عشرة صيغة قصداً ومن شئت في هذا فقد تتبع كشف
الزخشي فإنه سيجد فيه ما ليس له ذكر في كتب المعنى والبيان كالقلب فإنه جعله من
مقتضيات الحصر ولعله ذكر ذلك عند تفسيره للطاغوت وغير ذلك مما لا يقتضى المقام
بسطه ومع الاطاحة بصيغ الحصر المذكورة تكثراً لا ذلة الدلالة على اخلاص التوحيد
وابطال الشرط بجميع أقسامه ولو أراد رجل أن يجمع ما ورد في هذا المعنى من الكتاب
والسنة لكان مجلداً ضخماً ثم في تعريفه باللام معنى رابع كمل ما قد سافنا من زيادة

أتمشاج بنبليه فجعلناه سمياً بصيراً والحاصل ان من أسمائه تعالى ما يسمي به غيره ومنها ما لا يسمي به غيره كاسم
الله والرحمن والخالق والرازق ونحو ذلك فلهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن لأنه أخص وأعرف من الرحيم لان التسمية أولاً
انما تكون بأشرف الأسماء فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص فان قيل فإذا كان الرحمن أشد مبالغته فهلاً اكتفى به عن الرحيم فقد روى
عن عطاء الخراساني ما معناه انه لما تسمى غيره تعالى بالرحمن جـ بلفظ الرحيم ليقطع الوهم بذلك فإنه لا يوصف بالرحمن الرحيم الا الله
تعالى كذا روي عن عطاء وجهه بذلك والله أعلم وقد زعم بعضهم ان العرب لا تعرف الرحمن حتى رد الله عليهم ذلك بقوله

فل ادعوا الله وادعوا الرحمن آياتا تدعوا اقله الاسماء الحسنى ولهذا قال كفار قرين يوم الحديبية لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل اصكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لانعرف الرحمن ولا الرحيم رواه البخاري وفي بعض الروايات لانعرف الرحمن اليامة وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا والظاهر ان انكار هذا التماهوجور وعناد وتعت في كفرهم فانه قد وجد في اشعارهم في الجاهلية تسمية الله تعالى بالرحمن قال ابن جرير وقد انش بعض الجاهلية الجهال الاخرت تلك الفتاة هجينا * الاقضب الرحمن ربي (٣٧) يمنها وقال سلامة بن جندب الطهور

عجلم علينا ان يجعلنا عليكم

وما يشاء الرحمن يعقدون

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريد

حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا

ابن عماره حدثنا أبو روق

الغضالي عن عبد الله بن عباس قال

الرحمن الغضالان من الرحمة وهو

من كلام العرب قال الرحمن الرحيم

الرفيق الرفيق لمن أحب أن يرج

والبعيد الشديد على من أحب أن

يعنف عليه وكذلك اسماءؤه كله

وقال ابن جرير أيضا حدثنا محمد

ابن بشار حدثنا جاد بن مسعود

عن عوف عن الحسن قال الرحمن

اسم ممنوع وقال ابن أبي حاتم

حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد

القطان حدثنا زيد بن الحباب

حدثني أبو الأشهب عن الحسن

قال الرحمن اسم لا يستطيع الناس

أن يتكلموه تسمى به تبارك وتعالى

وقد جاء في حديث أم سلمة ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع

قراءته حرفا خفا بسم الله الرحمن

الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن

الرحيم مالك يوم الدين فقرا بعضهم

كذلك وهم طائفة ومنهم من

الاختصاص وتقرر ذلك المفهوم في هذا الموضع ثم في صيغة الجمع معنى خامس بزيادة
تاكيد وتقرير فان العالم ان كان اسما للمعبود الله لم يكن جمعه الامثل هذا المعنى وعلى
فرض انه دمه باللام فهو لا يقتضي ذهاب هذا المعنى المستفاد من أصل الجمع * الثالث
عشر والرابع عشر قوله الرحمن الرحيم وتقرر الكلام فيهما كما سلف * الخامس عشر
* والسادس عشر * قوله مالك يوم الدين فان لفظ مالك معناه الافرادى من غير نظر الى
معناه الاضافى فيقيد استحقاقه باخلاص توحيد ثم في معناه الاضافى الى يوم الدين معنى
ثان فان من كان له الملك في مثل هذا اليوم الذى هو يوم الجزاء لكل العباد وفيه يجمع العالم
أولهم وآخرهم سابقهم ولاحقهم جنهم وانسهم وملأكتهم فيه اشارة الى استحقاقه
اخلاص توحيد * السابع عشر ما يستفاد من نفس لفظ الدين من غير نظر الى كونه
مضافا اليه * الثامن عشر ما يستفاد من تعريفه فان في ذلك زيادة حاظنة وشمول فان
ذلك الملك اذا كان في يوم هو يوم الدين الذى يشتمل على كل دين كان من له هذا الملك حقيقا
بان يخلص العباد توحيد و يفر دونه بالعبادة كما تقرر بعلمك يوم له هذا الشأن فان قلت ان
هذين المعنيين الكائنين في لفظ الدين باعتبار أصله وباعتبار تعريفه قد أخذنا في المعنى
الاضافى حسما ذكره سابقا قلت لا تراحم بين المقتضيات ولا يستكر النظر الى الشئ
باعتبار معناه الافرادى تارة وباعتبار معناه الاضافى اخرى وليس ذلك بممنوع ولا محجور
عند من يعرف العلم الذى تستفاد منه فائق العربية واسرارها وهم أهل علم المعاني
والبيان * التاسع عشر والموفى عشرين والحادى والعشرون قوله اياك نعبد فان تقديم
الضمير معمولا لا لفعول الذى بعده فيقيد اختصاص العبادة به ومن اختص بالعبادة فهو
الحقيق باخلاص توحيد ثم مادة هذا الفعل أعني لفظ نعبد تفيد معنى آخر ثم المحي مبنون
الجماعة الموجبة لكون هذا الكلام صادرا عن كل من تقوم به العبادة من العابدين
كذلك فكأن الدلالات في هذه الجملة ثلاثا الاولى في اناك مع النظر الى الفعل الواقع
بعده الثانية ما تفيد مادة نعبد مع ملاحظة كونها واقعة لمن ذلك الضمير عبارة عنه
واشارة اليه الثالثة ما تفيد النون مع ملاحظة الاخرين المذكورين ولا تراحم بين
المقتضيات (الثاني والعشرون والثالث والعشرون والرابع والعشرون) قوله واياك
نستعين فان تقديم الضمير معمولا لا لهذا الفعل له معنى ثم مادة هذا الفعل لها معنى آخر فان

وضاها بقوله الحمد لله رب العالمين وكسرت الميم لالتقاء الساكنين وهم الجمهور وحكى الكسائي من الكوفيين عن بعض العرب
انها تقرأ بفتح الميم وصله الهمزة فيقولون بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين فحقوا حركة الهمزة الى الميم بعد تسكينها كما قرئ
قوله تعالى الم الله لا اله الا هو قال ابن عطية ولم ترد هذه قراءة عن أحد فيما علمت (الحمد لله رب العالمين) القراءة السبعة على ضم الدال
في قوله الحمد لله هو مبتدأ وخبر وروى عن سفيان بن عيينة ورؤبة بن النخاح انه ما قال الحمد لله بالنصب وهو على اضماعه وقرأ
ابن أبي عمير الحمد لله بضم الدال واللام اتباعا للثاني الاول وله شواهد لكنه شاذ وعن الحسن وزيد بن علي الحمد لله بكسر الدال

اسماع الاول الثاني قال ابو جعفر بن جرير معنى الحمد لله الشكر لله خالصا دون سائر ما يعبد من دونه ودون كل ما برأ من خلقه بما
أنعم على عباده من النعم التي لا يحصى العدد ولا يحيط بعددها غيره أحد في تصحيح الآلات لطاعته وتصحيح جوارح أجسام
المكلفين لأداء فرائضه مع ما يبطئهم في دنياهم من الرزق وغذاهم به من نعيم العيش من غير استحقاق منهم ذلك عليهم مع ما تبهم
عليه ودعاهم اليه من الاسباب المؤدية الى دوام الخلود في دار المقام في النعيم فلهذا الحمد على ذلك كله أولا وآخرا وقال ابن
جرير رحمه الله الحمد لله شاء أني به على نفسه (٣٨) وفي ضمنه أمر عباده أن يتروا عليه فكانه قال قولوا الحمد لله قال وقد قيل ان

قول القائل الحمد لله شاء عليه
باسمائه الحسنى وصفاته العلى
وقوله الشكر لله شاء عليه بنعمه
وأياديه ثم شرع في رد ذلك بما حاصله
ان جميع أهل المعرفة بلسان العرب
يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان
الآخر وقد نقل السلي هذا المذهب
انهم ساءوا عن جعفر الصادق وابن
عطاء من الصوفية وقال ابن
عباس الحمد لله كلمة كل شاك وقد
استدل القرطبي لابن جرير بجملة
قول القائل الحمد لله شكر او هذا
الذي اقتناه ابن جرير فيه نظر لانه
اشتهر عند كثير من العلماء من
المتأخرين ان الحمد هو الثناء بالقول
على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية
والشكر لا يكون الا على المتعدية
ويكون بالحنان واللسان والاركان
كما قال الشاعر

أفادتكم النعماء مني ثلاثة

بدي ولساني والضمير المحببا
ولكنهم اختلفوا أيهما أعم الحمد
أو الشكر على قولين والتحقيق ان
بينهما عموما وخصوصا فالحمد أشعم
من الشكر من حيث ما يقعان
عليه لانه يكون على الصفات اللازمة

من كان لا يستعان بغيره لا ينبغي ان يكون له شريك بل يجب افراده بالعبادة واخلاص
توحيده اذ وجوده من لا يستعان به كعدمه وتقرير الكلام في الثلاث الدلالات كتقريره في
الكعب فلا يعبد (الخامس والعشرون والسادس والعشرون والسابع والعشرون)
قوله اشدنا الصراط المستقيم فان طلب الهداية منه وحده باعتبار ركوز هذا النعم واقعا
بعد الفيلين اللذين تقدم معصولهما فكان له حكمهما وان كان قد تغير أسلوب الكلام في
الجملة حيث لم يقل نستهدى او نطلب الهداية حتى يصح ان يكون ذلك الضمير المتقدم
المنسوب معصولا لا تقدير الكن مع بقاء مخاطبة وعدم الخروج وعما يقتضيه لم يقطع
النظر عن ذلك الضمير الواقع على تلك الصورة لتوسطه بين هذا الفعل اعني اشدنا وبين
من أسند اليه ثم في ضمير الجماعة معنى يشير الى استحقاقه سبحانه اخلاص التوحيد
على الوجه الذي قد ساء في الفعلين السابقين ثم في كون هذه الهداية هي هداية الصراط
المستقيم التي هي الهداية بالحقيقة ولا اعتبار هداية الى صراط لا استقامة فيه معنى
ثالث يشير الى ذلك المدلول (الثامن والعشرون) قوله صراط الذين أنعمت عليهم فان
من يهدي الى هذا الصراط الذي هو صراط من أنعم الله عليهم يستحق أن لا يشتغل بغيره
ولا ينظر الى سواه لان الايصال الى طرائق النعم هو المقصود من المنى والمراد بمحركات
السائرين وذلك كناية عن الوصول الى النعم نفسها اذ لا اعتبار بالوصول الى طرائقها من
دون وصول اليها فكان وقوع الهداية على الصراط المستقيم نعمة بمنجرت دالات الاستقامة
اذا نصرت عند تصور الاعوجاج كن فيها راحت هذا الاعتبار فكيف اذا كان ذلك كناية
عن طريق الحق فكيف اذا كان حقا وصالا الى الفوز بمع الله سبحانه (التاسع
والعشرون) قوله غير المغضوب عليهم ووجه ذلك ان الوصول الى النعم قد يكون متغصا
مكدر اربشي من غضب المنعم سبحانه فاذا صفا ذلك عن هذا الكدر وانضم الى النظر بالنعم
النظر عما هو أحسن منها موقعا عند العارفين وأعظم قدرا في صدور المتقين وهو رضا رب
العالمين كان في ذلك من البهجة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه ولا الوقوف على حقيقته
ولا تصور معناه واذا كان المولى لهذه النعمة والمفضل بها هو الله تعالى ولا يقدر على ذلك
غيره ولا يتمكن منه سواه فهو المستحق لاخلاص توحيد وافراده بالعبادة (المرفي
ثلاثين) قوله ولا الضالين ووجهه ان الوصول الى النعم مع الرضا قد يكون مشوبا بشئ

من حيث ما يقعان
من
والمشوبة يقول حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه وشواخص لانه لا يكون الا بالقول والشكر أعم من حيث ما يقعان
عليه لانه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم وهو أخص لانه لا يكون الا على الصفات المتعدية لا يقال شكرته لفروسيته
ويقول شكرته على كرمه واحسانه الى هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين والله أعلم وقال أبو نصر اسمعيل بن حماد
الجوهري الحمد نقيض الذم تقول حمدت الرجل أحمده حمدا او محمدا فهو حميد ومحمود والثناء بدأ بلغ من الحمد والحمد أعم من
الشكر وقال في الشكر هو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف يقال شكرته وشكرت له وبالآدم أفصح وأما الممدوح فيؤثر أعم من

الحمد لأنه يكون العبي والعباد أيضا كما يدح الطعام والمكان ونحو ذلك ويكون قبل الاحسان وبعده وعلى الصفة المتعدية والازمة أيضا فهو أعم (ذكر أقوال السلف في الحمد) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو معمر القطيعي حدثنا حنف عن ججاج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال عمر رضي الله عنه قد علمنا سبحانه الله ولا اله الا الله فما الحمد فقال علي كليمه رضيها الله لنفسه ورواه غير أبي معمر عن حفص فقال قال عمر لعلي وأصحابه عنده لا اله الا الله وسبحان الله والله أف قد عرفنا ما الحمد لله قال علي كليمه أحبها الله تعالى لنفسه ورضيها لنفسه (٣٩) وأحب أن تقول وقال علي بن زيد بن جدعان:

يوسف بن مهران قال ابن عبد الله الحمد كلمة الشكر وإذا قال الع الحمد لله قال شكري بن عبد روي ابن أبي حاتم وروي أيضا هو وأبو جري من حديث بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن عباس أنه قال الحمد لله هو الشكر هو الاستحسان له والاقبال به بعمه وهدايتيه وابتدائه وغير ذلك وقاب كعب الاحبار الحمد لله ثمانية وقال الضحاك الحمد لله رداء الرجاء وقد ورد الحديث بنحو ذلك قال ابن جرير حدثنا سعيد بن عمر السكوني حدثنا بقيق بن الوليد حدث عيسى بن ابراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمير وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قلت الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزاد وقد روى الامام أحمد بن حنبل حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن بن الاسود بن سريع قال قلت يا رسول الله ألا أنشدك محمد حمدت به ربّي تبارك وتعالى فقال أمان ربك يحب الحمد ورواه النسائي عن علي بن حجر عن ابن

من الغواية مكدرا بنوع من أنواع المخالفة وعدم الهداية وهذا باعتبار أصل الوصول الى نعمة من النعم مع رضا المنعم بها فإنه لا يستلزم سلب كون المنعم عليه على ضلالة لا باعتبار هذه النعمة الخاصة من هذا المنعم عز وجل ولما كان الامر في الأصل هكذا كان في وصول النعم الى المنعم عليه من النعم به ماع كونه راضيا عليه غير غاضب عنه اذا كان ذلك الوصول معصوبا بكون صاحبه على ضلالة في نفسه قصور عن وصولها الى من كان جامع بين كونه واصلا الى المنعم فائزا برضا المنعم عليه خالصا من كدر كونه في نفسه على ضلالة وتقرير الدلالة من هذا الوجه على اخلاص التوحيد كتقريرها في الوجه الذي قبله فهذه ثلاثون دليلا مستفادة من سورة الفاتحة باعتبار ما يستفاد من تراكيها العربية مع ملاحظة ما يفيد ما اشتبكت عليه من تلك الدقائق والاسرار التي هي راجعة الى العلوم الآلية وداخلية فيما تقتضيه تلك الالفاظ بحسب المادة والهيئة والصورة مع قطع النظر عن التفسير بمعنى خاص قاله بعض السلف أو وقف عنده من بعدهم من الخلف فان قلت هذه الأدلة التي استخرجتها من هذه السورة المباركة وبلغت بها الى هذا العدد وجعلتها ثلاثين دليلا على مدلول واحد لم نجد ذلك في اسلف ولا سبقك بها غيرك قلت هذي شكاة ظاهر عنك عارها واعتراض غير واقع وموقعه ولا مصادف محزه فان القرآن عربي وهذا الاستخراج لما ذكرناه من الأدلة هو على مقتضى اللغة العربية وبحسب ما تقتضيه علومها التي دونها الثقات ورواها العدلون الاثبات وليس هذا من التفسير بالرأى الذي ورد انتهى عنه والزجر لفاعله بل من الفهم الذي يعطاه الرجل في كتاب الله كما أشار اليه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في كلامه المشهور وما كان من هذا القبيل فلا يحتاج فيه الى سلف وكفي في باغة العرب وعلومها المدونة بين ظهري الناس وعلى ظهر البسيطة سلفا وبالجملة فهذه ثلاثون موضعا في فاتحة الكتاب يفيد كل واحد منها اخلاص التوحيد مع أن فاتحة الكتاب ليست الا سبع آيات فما ظنك بما في سائر الكتاب العزيز فذكرنا لهذه المواضع في فاتحة الكتاب كالبهران على ما ذكرناه من أن في الكتاب العزيز من ذلك ما يطول تعداده وتتعدد الاحاطة به

(سورة البقرة)

عليه عن يونس بن عبيد عن الحسن بن الاسود بن سريع به وروي أبو عيسى الحافظ الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن ابراهيم بن كثير عن طلحة بن خراش عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم افضل الذكرا لا اله الا الله افضل الدعاء الحمد لله وقال الترمذي حسن غريب وروي ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبده نعمة فقال الحمد لله الا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ وقال القرطبي في تفسيره وفي نوادر الاصول أن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن الدنيا جند أفرها في بدر حاربته أمة ثم قال الحمد لله كما لا اله الا الله ١١٠

العالم عبارة عما يعقل وهم الانس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم وعن زيد بن أسلم وأبي محيصة العالم كل ماله روح ترفرف وقال قتادة رب العالمين كل صنّف عالم وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمة ابن مروان بن الحكم وهو أحد خلفاء بني أمية وهو يعرف بالجدو يلقب بالجارانة قال خلق الله سبعة عشر ألف عالم أهل السموات وأهل الارض عالم واحد وسائرهم لا يعلمهم الا الله عز وجل وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى رب العالمين قال الانس عالم والجن عالم وما سوى ذلك ثمانية عشر ألفاً وأربعة عشر ألف عالم هو يشك الملائكة على الارض (٤١) وللارض أربع زوايا في كل زاوية ثلاثة

آلاف عالم وخمسة عالم خلقهم الله لعبادته رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وهذا كلام غريب يحتاج مثله الى دليل صحيح وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الفرث يعني ابن الوليد عن معتب بن سمي عن سبيع يعني الحميري في قوله تعالى رب العالمين قال العالمين ألف أمة فسمّيت في البحر وأربع مائة في البر وحكي مثله عن سعيد بن المسيب وقدروى نحو هذا امر فوعا كما قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى في مسنده حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد حدثنا محمد بن عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قل الجراد في سنة من سني عمر التي ولي فيها فسأل عنه فلم يخبر بشيء فاعتم لذلك فأرسل راجياً يضرب الى اليمن وآخر الى الشام وآخر الى العراق يسأل هل رؤي من الجراد شيء أم لا قال فاتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه فلما رآها كبر ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

وقال جماعة هي حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بعينها كقول ابن عباس وغيره الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد وذهب الى هذا الزجاج فقال أذهب الى ان كل حرف منها يؤتى عن معنى وقد تكلمت العرب بحروف مقطعة كقوله فقلت لها قني فقلت قاف أي وقفت وفي الحديث من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة قال شقيق هو أن يقول في اقتل أقي كما قال صلى الله عليه وآله وسلم كني بالسيف شأى شافيا وقال بعضهم الالف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والمعنى ان الله الواحد أحد أنزل ثلاثين حرفاً من القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما بلغ أربعين سنة التي بعثه عندها الى النطق وقال زيد بن أسلم هي أسماء للسور وقال السكبي هي أقسام أقسم الله بها لشرعها وفضلها وهي من أسمائه وقيل ان النطق بالحروف أنفسمها كانت العرب مستوية فيها بخلاف النطق بأسمائها وهو خاص بمن خط وقرأ وأنبي صلى الله عليه وآله وسلم أمي فأتى بها كذلك زيادة في الإيجاز وقيل غير ذلك مما لا يأتي عليه الحصر وقد ذكر شرطاً منها الرازي في تفسيره ومن أدق ما أبرزه المتكلمون في معاني هذه الحروف ما ذكره الزنجشيري في الكشف حيث قال انك اذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفوائض من هذه الاسماء وجدت ما نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدت ما مشتملة على أنصاف أجناس الحروف بيان ذلك ان في ما من المهموسة نصفها الصاد والكاف والياء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والياء والسين والحاء والنون ومن المنقضة نصفها الالف والكاف والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنقحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقرت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها

(٦ ل - فتح البيان)

خلق الله ألف أمة سمّيت في البحر وأربع مائة في البر فاؤل شيء يهلك من هذه الامم الجراد فاذا غلثت تابعت مثل النظام اذا قطع سلكه محمد بن عيسى هذا وهو الهلالي ضعيف وحكي البغوي عن سعيد بن المسيب انه قال لله ألف عالم سمّيت في البحر وأربع مائة في البر وقال وهب بن منبه لله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وقال مقاتل العوالم ثمانون ألفاً وقال كعب الاحبار لا يعلم عدد العوالم الا الله عز وجل نقله كذا البغوي وحكي القرطبي عن أبي سعيد الخدري انه قال ان لله أربعين ألف عالم الدنيا من شرقها الى مغربها عالم واحد منها وقال الزجاج العالم كل ما خلق الله في الدنيا والاخرة قال

القرطبي وهذا هو الصحيح انه شامل لكل العالمين كقوله قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين والهالم مستق من العلامة (قلت) لانه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدايته كما قال ابن المعتز فيا عجبا كيف يعصى الاله أم كيف يمجده الجاحد وفي كل شيء آية تدل على انه واحد وقوله تعالى الرحمن الرحيم تقدم الكلام عليه في البسطة بما أغنى عن الاعادة قال القرطبي انما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله رب العالمين ليكون من باب قرن الترغيب بعد التهيب كما قال تعالى اني عبد ادى اني انا الغفور الرحيم وأن عذابي (٤٢) هو العذاب الاليم وقوله تعالى ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور

رحيم قال فالرب فيه ترهيب والرحمن الرحيم ترغيب وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رجته أحد (مالك يوم الدين) قرأ بعض القراء ملك يوم الدين وقرأ آخرون مالك وكلاهما صحيح متواتر في السبع ويقال مالك بكسر اللام وباسكانها ويقال ملك أيضا وأشبع نافع كسرة الكاف فقرأ ملكي يوم الدين وقد رجح كلا من القراءتين مرجحون من حيث المعنى وكلاهما صحيحة حسنة ورجح الرخخشري ملك لانها قراءة أهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم قوله الحق وله الملك وحكى عن أبي حنيفة انه قرأ ملك يوم الدين على انه فعل وفاعل ومفعول وهذا شاذ غريب جدا وقد روى أبو بكر بن أبي داود في ذلك شيئا غريبا حيث قال حدثنا أبو عبد الرحمن الأزدي حدثنا عبد الوهاب بن عدي بن الفضل عن أبي المطرف عن ابن شهاب انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

من هذه الاجناس المعدودة من كثرة بالذكورة منها فجان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت أن معظم الشيء وجده ينزل منزلة كله وهو المطلق للطائفة التزويل واختصارا انه فكأن الله عز اسمه عد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلالهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومعايدل على انه تعمد بالذ كمن حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والردونوس وابراهيم وهود ويوسف والحجر انتهى وتبعه في ذلك جماعة من أهل التفسير منهم الخازن والنسفي والبيضاوي والخطيب وأبو السعود وغيرهم (أقول) هذا التدقيق لا يأتي بفائدة يعتد بها ويبيانه انه اذا كان المراد منه الزام الحجة والتبكيت كما قال فهذا امتيسر بأن يقال لهم هذا القرآن هو من الحروف التي يتكلمون بها ليس من حروف مغايرة لها فيكون هذا تكيئا والزام ايفهمه كل سامع منهم من دون الغاز وتعمية وتفریق لهذه الحروف في فواتح تسع وعشرين سورة فان هذا مع ما فيه من التطويل الذي لا يستوفيه سامعه الالسماع جميع هذه الفواتح هو أيضا مما لا يفهمه أحد من السامعين ولا يتعقل شيئا منه فضلا أن يكون تكيئا له والزام الحجة اياه فان ذلك هو أمر وراء الفهم مترتب عليه ولم يفهم السامع هذا ولا ذكر أهل العلم عن فرد من أفراد الجاهلية الذين وقع التحدى لهم بالقرآن أنه بلغ فهمه الى بعض هذا فضلا عن كله ثم كون هذه الحروف مشتقة على النصف من جميع الحروف التي تركبت لغة العرب منها وذلك النصف مشتقا على أنصاف تلك الأنواع من الحروف المتصفة بتلك الاوصاف هو أمر لا يتعلق به فائدة لجاهلي ولا اسلامي ولا مقرر ولا منكر ولا مسلم ولا معارض ولا يصلح أن يكون بقصد من مقاصد الرب سبحانه الذي أنزل كتابه للارشاد الى شرائعه والهداية به ووجب ان هذه صناعة عجيبة ونكتة غريبة فليس ذلك مما يتصف بفصاحة ولا بلاغة حتى يكون مفيدا أنه كلام بليغ او فصيح وذلك لان هذه الحروف الواقعة في الفواتح ليست من جنس كلام العرب حتى تصف بهذين الوصفين وغاية ما هناك انها من جنس حروف كلامهم ولا مدخل لذلك فيما ذكرنا أيضا وفرض أنها كلمات متراكبة بتقدير شيء قبلها أو بعدها لم يصح وصفها بذلك لانها تعمية غير مفهومة للسامع

الا وايا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرؤون مالك يوم الدين قال ابن شهاب وأول من أحدث ملك مروان قلت مروان عنده علم بصحة ما قرأه لم يطالع عليه ابن شهاب والله أعلم وقد روى من طرق متعددة أو ردها بن مردويه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأها مالك يوم الدين ومالك ما أخذ من الملك كما قال تعالى اننا نحن نزلت الارض ومن عليها والينا يرجعون وقال قل أعوذ برب الناس ملك الناس ومالك ما أخذ من الملك كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال قوله الحق وله الملك وقال الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يومنا على الكافرين عسيرا وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه لانه

قد تقدم الاخبار بانه رب العالمين وذلك عام في الدنيا والاخرة وانما اضيف الى يوم الدين لانه لا يدعى أحد خذنا لك شيئا ولا يتكلم أحد
الا بآذنه كما قال تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وقال تعالى وخشعت الاصوات
للرحمن فلا تسمع الا همسا وقال تعالى يوم يأتي لا تكلم نفس الا بآذنه فنهش شق وسعيد وقال الضمالي عن ابن عباس مالك يوم الدين
يقول لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكما كلكم في الدنيا قال ويوم الدين يوم الحساب للثلاثين وهو يوم القيامة يدنيهم بأعمالهم
ان خير الخسيران شرافتر الامن عقابته وكذلك قال غيره من الصحابة (٤٣) والتابعين والسلف وهو ظاهر وحكي ابر

جري عن بعضهم انه ذهب الى ا
تفسير مالك يوم الدين انه القادر عا
اقامته ثم شرع بضغفه والنظارا
لامنافاة بين هذا القول وما تقد
وان كلاما من القائلين لهذا القوا
وبما قبله يعترف بصحة القول الا
ولا ينكره ولكن السياق أدل ع
المعنى الاول من هذا كما قال تعالى
الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يو
على الكافرين عسيرا والقول الثا
يشبه قوله تعالى ويوم يقول كم
فيكون والله أعلم والملك في الحقيقة
هو الله عز وجل قال الله تعالى هو الله
الذي لا اله الا هو الملك القدوس
السلام وفي الصحيحين عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن قوعا اخذ
اسم عند الله رجل يسمى بعلل
الاملاك ولا مالك الا الله وفيهم ما
عن رسول الله صلى الله عليه وس
قال يقبض الله الارض ويطوى
السماء بيمنه ثم يقول انا الملك أير
مسألة الارض أين الجبارون أير
المتكبرون وفي القرآن العظيم لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار قام
تسمية غيره في الدنيا ملك فغلى سبيل
الحجاز كما قال تعالى ان الله قد بعث

الابان يأتي من يريد يانها بمثل ما يأتي به من أراد بيان الاغراض والتعمية وليس ذلك من
الفصاحة والبلاغة في ورود ولا صدر بل من عكسها وضد رسمها واذ اعرفت هذا
فاعلم ان من تكلم في بيان معاني هذه الحروف جاز ما بأن ذلك هو ما أراد الله عز وجل
فقد غلط أفع الغلط وركب في فهمه ودعواه أعظم الشطط فانه ان كان تفسيره لها بما
فسر هابه راجعا الى لغة العرب وعلومها فهو كذب بحت فان العرب لم يتكلموا بشيء من
ذلك واذا سمعه السامع منهم كان معدودا عنده من الرطانة ولا ينافي ذلك انهم قد
يقصرون على حرف أو حرف من الكلمة التي يريدون النطق بها فانهم لم يفعلوا ذلك
الا بعد ان تقدمه ما يدل عليه ويقدم معناه بحيث لا يلتبس على سامعه كمثل ما تقدم ذكره
ومن هذا القبيل ما يقع منهم من الترخيم وأين هذه الفوائج الواقعة في أوائل السور من
هذا واذا تقررت ان لا يمكن استفادة ما اتبعوه من لغة العرب وعلومها لم يبق حينئذ الا
أحد أمرين الاول التفسير بمحض الرأي الذي ورد انتهى عنه والوعيد عليه وأهل العلم
أحق الناس بتجنبه والصد عنه والنكس عن طريقه وهم أتقى لله سبحانه من أن يجعلوا
كتاب الله سبحانه لمعبدة لهم يتلاعبون به ويضعون جماعات أنظارهم وخزعات
أفكارهم عليه الثاني التفسير بتوقيف عن صاحب الشرع وهذا هو المهيض الواضح
والسبيل القويم بل الحادثة التي ماسواها مردوم والطريقة العاصرة التي ماعداها
مهدوم فمن وجد شيئا من هذا فغير ملوم أن يقول بل فيه ويتكلم بما وصل اليه عمله
ومن لم يبلغه شيء من ذلك فليقل لأدري أو الله أعلم بما رده فقد ثبت انتهى عن طلب فهم
المتشابه ومحاوله الوقوف على عمله مع كونه ألفاظا عربية وتراكيب مفهومة وقد جعل
الله تتبع ذلك صنيع الذين في قلوبهم زيغ فكيف بما نحن بصدد فانه ينبغي أن يقال فيه
انه متشابه المتشابه على فرض ان للفهم النسبة سبيل اول كلام العرب فيه مدخلا فكيف
وهو خارج عن ذلك على كل تقدير وانظر كيف فهم اليهود عند سماع الم فانه لم يجدوها
على نطق لغة العرب فهموا أن الحروف المذكورة رمز الى ما يصطلحون عليه من العدد
الذي يجعلونه لها كما أخرج ابن اسحق والبخاري في تاريخه وابن جرير بسند ضعيف عن
ابن عباس عن جابر بن عبد الله قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود بر رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فأتى

لكم طالوت ملكا وكان وراءهم ملك وفي الصحيحين مثل الملوكة على الاسرة اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا والذين الجزا
والحساب كما قال تعالى يومئذ يوفيه الله دينهم الحق ويعلمون وقال أنما لدينون أي محزونون محاسبون وفي الحديث الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت أي حاسب نفسه لنفسه كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزوا أنفسكم قبل أن
توزنوا وتأهبوا للعرض الاكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية (اياله نعبدا ويا له نستعين) قرأ
السبعة والجمهور بتشديد اليا من اياه وقرأ عمرو بن فايد تخفيفها مع الكسر وهي قراءة شاذة مر دودة لان اياضه الشمس وقرأ

بعضهم أياك بفتح الهمزة وقرأ بعضهم أياك بفتح الهمزة وتشديد ألياء قرأ بعضهم هياك بالهااء بدل الهمزة كما قال الشاعر
 فهايك والامر الذي ان تراحت موارده ضاقت عليك مصابره ونستعين بفتح النون أول الكلمة في قراءة الجميع سوى
 يحيى بن وثاب والاعمش فانهما كسراها وهي لغة بني أسد وربعه وبني عقيم والعبادة في اللغة من الذلة يقال طربط معبودا ويعبر معبود
 أي مذال وفي الشعر عبارة عما يصبح كمال المحبة والخضوع والخوف وقدم المفعول وهو أياك وكرر اللاحق والمحصن أي لا تعبد
 الا اياك ولا تسوكل الا عليك وهذا هو كمال (٤٤) الطاعة والدين كما يرجع الى هذين المعنيين وهذا كما قال بعض السلف

الفاشحة سر القرآن وسرها عظه
 الكلمة اياك نعبد واياك نستعين
 فالاول تبر من الشرك والثاني
 تبر من الخول والقوة والتفويض
 الى الله عز وجل وهذا المعنى في غير
 آية من القرآن كما قال تعالى فاعبدوه
 ولو كل عليه وما ربك بغافل عما
 تعملون قل هو الرحمن انسابه وعليه
 توكلنا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذوه وكلا وكذلك هذه
 الآية الكريمة اياك نعبد واياك
 نستعين وتحول الكلام من الغيبة
 الى المواجهة بكاف الخطاب وهو
 مناسبة لانه لما اثنى على الله فكأنه
 اقترب وحضر بين يدي الله تعالى
 فلهذا قال اياك نعبد واياك نستعين
 وفي هذا دليل على ان أول السورة
 خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه
 التكريمية بجميل صفاته الحسنى
 وارشاد لعباده بان يشوا عليه بذلك
 ولهذا الانصاح صلاة من لم يقل ذلك
 وهو قادر عليه كما جاء في الصحيحين
 عن عبادة بن الصامت قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة
 لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وفي صحيح
 مسلم من حديث العلاء بن عبد

أخاه حي بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل
 عليه الم ذلك الكتاب فقال أنت سمعته فقال نعم فشي حي في أولئك النفر الى رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكرك أنك تتلو فيما أنزل عليك الم ذلك الكتاب قال بلى
 قالوا أجبك بهذا جبريل من عند الله قال نعم قالوا لقد بعث الله من قبلك الانبياء ما نعلمه
 بين انبي منهم مائة ملة ملكه وما أجل أمته غيرك فقال حي بن أخطب وأقبل على من كان
 معه الالف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه احدى وسبعون سنة أفقد خلون في
 ديني انما ملة ملكه وأجل أمته احدى وسبعون سنة ثم أقبل على رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم فقال يا محمد هل مع هذا غيره قال نعم قال وما ذلك قال المص قال هذه أثقل
 وأطول الالف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه احدى وستون
 ومائة سنة هل مع هذا يا محمد غيره قال نعم قال وما ذلك قال المص قال هذه أثقل
 واحدة واللام ثلاثون والراء مائة اثنان هذه احدى وثلاثون سنة ومائة اثنان فيل مع هذا غيره
 قال نعم المص قال فهذه أثقل وأطول الالف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والراء
 مائة اثنان فهذه احدى وسبعون سنة ومائة اثنان ثم قال لقد لبس علينا أمر يا محمد حتى
 ما ندري أقلبلا أعطيت أم كثيرا ثم قام فقال أبو ياسر لاجيسه حي ومن معه من الاحبار
 ما يدريكم لعل قد جمع هذا الحمد كله احدى وسبعون واحدة وستون ومائة واحدة
 وثلاثون ومائة اثنان واحدة وسبعون ومائة اثنان فذلك سبع مائة وأربع وثلاثون سنة فقالوا
 لقد تشابه علينا أمره فزعمون أن هذه الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه
 آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فانظر ما بلغت اليه أفيامهم من هذا الامر
 المختص بهم من عدد الحروف مع كونه ليس من لغة العرب في شيء وتأمل أي موضع أحق
 بالبيان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الموضوع فان شؤلاء الملاعين قد جعلوا
 ما فهموه عند سماع الم ذلك الكتاب من ذلك العدد موجبا للتشبيط عن الاجابة له والدخول
 في شريعته فلو كان ذلك معنى يعقل ومدلول يفهم لدفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 ما ظنوه بادى بدعته لا يثأر عنه ما جأوا به من التشكيك على من معيهم فان قلت هل ثبت
 عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الفواتح شيء يصلح للتشكيك به قلت لا أعلم أن
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكلم في شيء من معانيها بل غاية ما ثبت عنه هو مجرد

الرحمن مولى الخرقه عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين
 عبدى نصفين نصفها في يائي ونصفها العبدى ولعبدى ما سأل اذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله جدي عبدى واذا قال الرحمن
 الرحيم قال الله اثنى على عبدى فاذا قال سألت يوم الدين قال الله مجدنى عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين
 عبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال اخذنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا العبدى
 ولعبدى ما سأل وقال الفخالك عن ابن عباس رضي الله عنهما اياك نعبد يعني الى نوحدر ونخاف ونرجو لياربنا لا غيرك واياك نستعين

على طاعتك وعلى أمورنا كلها وقال قتادة أياك نعبد وأياك نستعين بأمركم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوا على أموركم وأنما
قدم أياك نعبد على وأياك نستعين لأن العبادة له هي المقصودة والاستعانة وسيلة إليها والاحتماء والحزم بتقديم ما هو الأهم فالأهم
والله أعلم فان قيل فإمعن النون في قوله تعالى أياك نعبد وأياك نستعين فان كانت للجمع فالداعي واحد وان كانت للتعظيم فلا
يناسب هذا المقام وقد أجيب بان المراد من ذلك الاخبار عن جنس العبادة والمصلحة فرد منهم ولا سيما ان كان في جماعة أو أياك نعبد
فأخبر عن نفسه وعن أخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لاجلها وتوسط لهم ٤٥

عدد حروفها فأخرج البخاري في تاريخه والترمذي وصححه والحاكم وصححه عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة
بعشر أمثالها لا أقول الح حرف ولا م حرف ولا ن حرف وميم حرف وله طرق عن ابن
مسعود وأخرج ابن أبي شيبة والبراء بن سفيان عن عوف بن مالك الأشجعي نحوه
مرفوعاً فان قلت هل روى عن الصحابة شيء من ذلك بأسناد متصل بقائله أم ليس إلا ما تقدم
من حكاية القرطبي عن ابن عباس وعلى قلت قد روى عن ابن مسعود أنه قال الح حرف
اشقت من حروف اسم الله وعنه قال هي اسم الله الأعظم وعن ابن عباس في قوله الم وحـم
ون قال اسم مقطع وعنه في فواتح السور قال هو قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله وعن
الربيع بن أنس قال ألف مفتاح اسمه الله ولا م مفتاح اسمه لطيف وميم مفتاح اسمه مجيد
وقد روى نحوه هذه التفاسير عن جماعة من التابعين فيهم عكرمة والشعبي والسدي وقتادة
ومجاهد والحسن فان قلت هل يجوز الاقتداء بأحد من الصحابة قال في تفسير شيء من
هذه الفواتح قولاً صحيحاً أسنده إليه قلت لا لما قدمنا إلا أن يعلم أنه قال ذلك عن علم أخذه
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان قلت هذا مما لا يحال للاجتهاد فيه
ولا مدخل للغة العرب فلم لا يكون له حكم الرفع قلت تنزيل هذا منزلة المرفوع وان قال
به طائفة من أهل الأصول وغيرهم فليس مما تشرحه له صدور المنصفين ولا سيما إذا كان
في مثل هذا المقام وهو التفسير لكلام الله سبحانه فانه دخول في أعظم الخطر مما لابرهان
عليه صحيح الاجر وقولهم انه يبعد من الصحابي كل البعد ان يقول بحض رأيه فيما لا يحال
للاجتهاد فيه وليس محذور هذا الاستبعاد وسوغا للوقوع في خطر الوعيد الشديد على انه
يمكن أن يذهب بعض الصحابة الى تفسير بعض المتشابه كما تجده كثير في تفاسيرهم المنقولة
عنهم وتجعل هذه الفواتح من جملة المتشابه ثم ههنا مانع آخر وهو ان المروي عن الصحابة في
هذا يختلف متناقض فان علمنا بما قاله أحدهم دون الآخر كان تحكما لا وجه له وان علمنا
بالجميع كان عملاً بما هو مختلف متناقض ولا يجوز ثم ههنا مانع غير هذا المانع وهو أنه لو كان
شيء مما قالوه مأخوذاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تفقوا عليه ولم يختلفوا كسائر
ما هو مأخوذ عنه فلما اختلفوا في هذا علمنا انه لم يكن مأخوذاً عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم ثم لو كان عندهم شيء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المأثر كواحد حكاية عنه

للتعظيم كأن العبد قيل له اذا كنت
داخل العبادة فانت شريف وجاهك
عريض فقل أياك نعبد وأياك
نستعين وان كنت خارج العبادة
فلا تقل نحن ولا فعلنا ولو كنت في
مائة ألف أو ألف ألف لا احتياج
الجميع الى الله عز وجل وفقيرهم اليه
ومنهم من قال أياك نعبد أياك نستعين
التواضع من أياك عبدنا لما في
الثاني من تعظيم نفسه من جعله نفسه
وحداه أهلاً لعبادة الله تعالى الذي
لا يستطيع أحد أن يعبده حق عبادة
ولا يثنى عليه كما يليق به والعبادة
مقام عظيم يشرف به العبد لا تتساوى
الى جناب الله تعالى كما قال بعضهم
لا تدعى إلا يا عبداً

فانه أشرف أسمائي
وقد سمي الله رسوله صلى الله عليه
وسلم عبده في أشرف مقاماته فقال
الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب
وانه لما قام عبد الله يدعوه سبحانه
الذي أسرى عبده ليلاً فسماه عبداً
عندنا له عليه وعند قيامه في الدعوة
واسرائيه وأرسله الى القيام
بالعبادة في أوقات يضيق صدره من
تكذيب المخالفين حيث يقول

ولقد علم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقد حكى الرازي في
تفسيره عن بعضهم ان مقام العبودية أشرف من مقام الرسالة لكون العبادة تصدر من الخلق الى الحق والرسالة من الحق الى
الخلق قال ولان الله يتولى مصالح عبده والرسول يتولى مصالح أمته وهذا القول خطأ والتوجيه أيضاً ضعيف لا حاصل له
ولم تعرض له الرازي بضعيف ولا رد وقال بعض الصوفية العبادة اما التحصيل ثواب أو درء عقاب قالوا وهذا ليس بباطل
اذ مقصوده بتحصيل مقصوده واما للتشريف بتكاليف الله تعالى وهذا أيضاً عندهم ضعيف بل العالي ان يعبد الله لذاته المقدسة

المرب رغبة بالكل مال والهداية يقول المسلم أصلى لله ولو كان لتحصيل الثواب ردة العقاب لبطلت الصلاة وقد رد ذلك عليهم
آخرون وقد كانوا كون العبادة لله عز وجل لا ينافي أن يطلب معها ثوابا ولا يدفع عذابا كما قال ذلك الاعرابي أما متى لا احسن دندستك
ودنة معاذنا أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم حولنا ندين (أخذنا الصراط المستقيم) قراءة
الجنود بالصاد وقرئ الصراط وقرئ بالزاي قال الفراء هي لغة بني عذرة وبني كلب لما تقدم الناء على المسؤول تبارك وتعالى
فأب ان يعقب بالسؤال كما قال فصفه في (٤٦) ونصفها العبدى ولعبدى ما سأل وهذا أكمل أحوال السائل ان

يسدح مسئؤه ثم يسأل حاجته
وحاجة أخوانه المؤمنين بقوله
أخذنا الصراط المستقيم لأنه أخرج
العاجية وأخرج للاجابة وليد أريد
الله البسه لأنه الأكمل وقد يكون
السؤال بالأخبار عن حال السائل
راحته حاجته كما قال موسى عليه
السلام رب انى لما أنزلت الى من خير
فغير وقد تقدمه مع ذلك وصف
مسؤل كقول ذى النون لا اله الا أنت
سبحانك انى كنت من الظالمين وقد
يكون عجزا للنساء على المسؤل كقول
الشاعر

أؤد كراحتى أم قد كفانى

حباؤك ان شئت الحبا

إذا شئ عليك المرء يوما

كفاه من تعرضه للنساء

والهداية ههنا الارشاد والتوفيق

وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا

أخذنا الصراط المستقيم فضمن معنى

ألهنا أو وقفنا أو أزرقنا أو أعطنا

رحمينا ناه النجدين أى بيناه الخير

والشر وقد تعدى بالى كقوله

تعدى اجتياه وهداه الى صراط

مستقيم فاهدوهم الى صراط الخيم

وذلك بمعنى الارشاد والدلالة

ورفعه اليه لاسيما عند اختلافهم واضطراب أقوالهم في مثل هذا الكلام الذى لا مجال
للغة العرب فيه ولا مدخل لها ولا يقال قد اختلفوا فى غيره من الاحكام فيلزم عدم الأخذ به
لانا نقول اختلافهم فى ذلك من قبيل الأخذ بالاختصاص أو الأعم أو المتقدم أو المتأخر وفى
كثير مما اختلفوا فيه ان علومنا النص تركوا ذلك بخلاف ما هنا والله تعالى أعلم والذى أراه
لنفسى ولكل من أحب السلامة واقتدى بسلف الأئمة ان لا يتكلم بشئ من ذلك مع
الاعتراف بأن فى انزالها حكمه لله عز وجل لا تبلغها عقولنا ولا تهتدى اليها أفهامنا وإذا
انتهت الى السلامة فى مدالك فلا تجاوز وسأق لناعند تفسير قوله تعالى منه آيات محكمات
عن أم الكتاب وآخر متشابهات كلام طويل الذيل وتحقيق تقبله صحبته الافهام
وسليمات العقول (ذلك الكتاب) أى القرآن وقيل فيه اضمار أى هذا الكتاب الذى
وعدت به أو وعدت به على لسان موسى وعيسى أن أنزله عليك قال ابن عباس فى الآية
يعنى هذا الكتاب وبه قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والسدى ومقاتل وزيد بن أسلم
وابن جرير وحكاة البخارى عن أبى عبيدة والاشارة الى الكتاب المذكور بعده والعرب قد
تستعمل الاشارة الى البعيد الغائب مكان الاشارة الى القريب الحاضر ومنه قوله تعالى
ذلك عالم الغيب والشهادة وقوله تلك حجتنا آتيناها ابراهيم وقوله تلك آيات الكتاب وقوله
ذلكم حكم الله قال أبو السعود وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للإبذان
بعلو شأنه وكونه فى الغاية القاصية من الفضل والشرف انتهى وقيل ان الاشارة الى غائب
واختلف فى ذلك الغائب فقيل هو الكتاب الذى كتب على الخلائق بالسعادة والشقاوة
والاجل والرزق وقيل الكتاب الذى كتبه الله على نفسه فى الازل كما فى صحيح مسلم عن أبى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب على
نفسه فهو موضوع عنده ان رحتى تغلب غضبى وفى رواية سبقت وقيل الاشارة الى ما قد
نزل بمكة وقيل الى ما فى التوراة والانجيل وقيل الى قوله قبله الم وربحه الزمخشري وقد وقع
الاختلاف فى ذلك الى تمام عشرة أقوال حسبما حكاها القرطبي وأرجحها ما صدرناه
والكتاب مصدر بمعنى المكتوب وأصله الضم والجمع ومنه يقال الجند كتيبة لاجتماعها
والكتاب يجمع الحروف بعضها الى بعض وهو اسم من أسماء القرآن (لأريب فيه) أى
لأشفيه أنه من عند الله وأنه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهى أى لا ترتبوا فيه

وكذلك قوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة الحمد لله الذى هدانا لهذا والريب

أى وقفنا لهذا وجعلناه أهلا وأما الصراط المستقيم فقال الامام أبو جعفر بن جرير أجمعت الامة من أهل التأويل جميعا على ان
الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه وذلك فى لغة جميع العرب فن ذلك قول جرير بن عطية الخطفى
أمير المؤمنين على صراط اذا عوج الموارد مستقيم قال والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر قال ثم تستعير العرب الصراط
تستعمله فى كل قول وعمل ووصف باستقامة أو اعوجاج فصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه ثم اختلفت عبارات

المفسر من من السلف والخلف في تفسير الصراط وان كان يرجع حاصلها الى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول فروى انه كتاب الله قال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثني يحيى بن يعان عن حمزة الزيات عن سعيد وهو ابن المختار الطائي عن ابن اخي الحرث الاعور عن الحرث الاعور عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصراط المستقيم كتاب الله وكذلك رواه ابن جرير من حديث حمزة بن حبيب الزيات وقد تقدم في فضائل القرآن فيما رواه احمد والترمذي من رواية الحرث الاعور عن علي مرفوعا وهو حبل الله المتين وهو الذر الحكيمة وهو (٤٧) الصراط المستقيم وقد روى موقوفاً على علي رضي الله عنه وهو أشبه والله أعلم

وقال الثوري عن منصور عن أي وائل عن عبد الله قال الصراط المستقيم كتاب الله وقيل هو الاسلام قال الضحاك عن ابن عباس قال قال جبريل لمحمد عليهما السلام قل يا محمد اهدنا الصراط المستقيم يقول ألهما الطريق الهادي وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال ذلك الاسلام وقال اسمعيل ابن عبد الرحمن السدي الكبير عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اهدنا الصراط المستقيم قالوا هو الاسلام وقال عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر اهدنا الصراط المستقيم قال هو الاسلام أو سع مما بين السماء والارض وقال ابن الحنفية في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم اهدنا الصراط المستقيم قال

والرب الشك مع التهمة مصدر وهو قلق النفس واضطرابها ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك رية وان الصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه وقيل الرب هو الشك مطلقاً وقال ابن ابي حاتم لا أعلم في هذا خلافاً وقد يستعمل الرب في التهمة والحاجة حكى ذلك القرطبي ومعنى هذا النبي العام ان الكتاب ليس غمظة للرب بل لوضوح دلالة وضوح ما يقوم مقام البرهان المقضي لكونه لا ينبغي الارتباب فيه بوجه من الوجوه (هـ) أي ارشاد وبيان وانه يذكروا وهو الكثير وبعضهم يؤث أي هو هدي أو هذه هدي أو هو هاد لهم الى الحق والهدي مصدر وهو هذا وزن نادري المصدر لم يرد منه فيما قيل الا الهدي والتقى والسري والكتاب القصر في لغة وزاد الشاطبي لغى بالضم في لغة أيضاً قال الرخشي وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلال في مقابلته انتهى قال القرطبي الهدي هديان هدي دلالة وهو الذي يقدر عليه الرسل واتباعهم قال الله تعالى ولكل قوم هاد وقال وانك لتهدي الى صراط مستقيم فأثبت لهم الهدي الذي معناه الدلالة والدعوة والتبشير وتفرد سبحانه بالهدي الذي معناه التأييد والتوفيق فقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم انك لاتهدي من أحببت قال الهدي على هذا يعني خلق الايمان في القلب ومنه قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم وقوله ولكن الله يهدي من يشاء (للمتقين) أي من ثبت لهم التقوى وتخصيص الهدي بالمتقين لما انهم المقبسون من أنوار المستفيعون بانوارهم وان كانت هدايتهم شاملة لكل ناظر من مؤمن وكافر ولذا أطلقت في قوله هدي للناس قاله أبو السعود قال ابن فارس وأصلها في اللغة قلبه الكلام وقال في الكشاف المتقى في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية الصيانة وهو في الشريعة الذي بقي نفسه تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك انتهى قال ابن مسعود وهم المؤمنون وعن معاذ بن جبل انه قيل له من المتقون فقال قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان وأخلصوا لله العبادة وعن أبي هريرة ان رجلاً قال له ما التقوى قال هل وجدت طريقاً شوكاً قال نعم قال فكيف صنعت قال اذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه قال ذلك التقوى وعن أبي الدرداء قال تمام التقوى ان يتقى الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خيفة أن يكون حراماً يكون حجاباً بينه وبين الله وقد روى نحو

هو الاسلام وفي هذا الحديث الذي رواه الامام احمد في مسنده حيث قال حدثنا الحسن بن سوار أبو العلاء حدثنا ثابث يعني ابن سعد عن معاوية بن صالح ان عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه عن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تغزوا دواعي دعوى من فوق الصراط فاذا أراد الانسان أن يفتح شيئاً من تلك الابواب قال ويحك لاتفتحها فانك ان تفتحها تلجئه فالصراط الاسلام والسوران حدود الله والابواب المفتحة محارم الله

فذلك الراعي على رأس الصراط كذب الله والذاهي من فوق الصراط واعطاه الله في قلب كل مسلم وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير
من حديث الليث بن سعد به ورواه الترمذي والبيهقي جيعا عن علي بن حجر عن بقة عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن جبير
ابن نفير عن النواس بن سمعان به وهو اسناد حسن صحيح والله أعلم وقال مجاهد اخذنا الصراط المستقيم قال الحق وهذا أشمل
ولا منافاة بينهما وبين ما تقدم وررأى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم أنا حمزة بن المغيرة عن عاصم
الاحول عن أبي العالية اخذنا الصراط ٤٨ المستقيم قال هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه من بعده قال عاصم

هذا عن جماعة من التابعين وأخرج أحمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وأبو داود
وحسنه وابن ماجه وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن عطية السعدي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يتبع
مالا بأس به يحذر الماء به بأس فالمصير الى ما أفاده هذا الحديث واجب ويكون هذا معني
شرع الله تعالى أحسن من المعنى الذي قدمنا عن صاحب الكشف زاعما أنه المعنى الشرعي
وقد أطل القوم في ذكر تعاريف التقوى ورسوم المتقى لاجلنا الى التطويل بل كرتك
الاقوال فالمرغوع يغني عن المرفوع والصباح يغني عن المصباح (الذين يؤمنون بالغيب)
هو وصف للمتقين كشف وأصل الايمان في اللغة التصديق قال تعالى وما أنت بمؤمن لنا
أي بمصدق وتعدية بالياء لضمه معنى الاعتراف وقد يطلق معنى الوثوق وكلا الوجهين
حسن هنا والغيب في كلام العرب كل ما غاب عند قال القرطبي واختلف المفسرون في
تأويل الغيب هنا فقالت فرقة الغيب هو الله سبحانه وضعفه ابن العربي وقال آخرون
القضاء والقدر وقال آخرون القرآن وما فيه من الغيوب وقيل القلب أي يصدقون
بقلوبهم وقيل الغيب الخفاء وقال آخرون الغيب كل ما أخبر به الرسول مما لا تهدي اليه
العقول من أسرار الساعة وعذاب القبر وأخسر والنشر والصراط والوازن والجنة
والنار قال ابن عطية وهذه الاقوال لا تعارض بل يقع الغيب على جميعها قال وهذا هو
الايمان الشرعي المشار اليه في حديث جبريل حين قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
فأخبرني عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن
بالقدر خيره وشره قال صدق انتهى وهذا الحديث هو ثابت في الصحيح بلفظ والقدر
خير وشره وقد أخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن منبته وأبو نعيم كلاهما في معرفة
النبوة عن نزله بنت أسلم قالت صليت الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة واستقبلنا
مسجدا يلبأه فسلمنا اسجدتين ثم جاءنا من يخبرنا بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد
استقبل البيت فتحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فصلا السجدة
الباقيتين وثمن مسجدا فباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال
أولئك قوم آمنوا بالغيب وأخرج البراء وأبو يعلى والحاكم وصححه عن عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أنبؤني
بأفضل أهل الايمان أيانا فقالوا يا رسول الله الملائكة قال هم كذلك ويحق لهم وما يمنعههم

ذلك ناذلك الحسن فقال صدق أبو
العالية ونصح وكل هذه الاقوال
صحيحة وهي متلازمة فإن من اتبع
النبي صلى الله عليه وسلم واقتدى
بالمؤمنين من بعده أبي بكر وعرفقد
اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد
اتبع الاسلام ومن اتبع الاسلام
فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله
وجله المتين وصراطه المستقيم
فكأنه بالحجة يصدق بعضها بعضا
ولله الحمد وقال الطبراني حدثنا
محمد بن الفضل السقطي حدثنا
ابراهيم بن مهدي المصيصي
حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة
عن الاعمش عن أبي رائل عن عبد
الله قال الصراط المستقيم الذي
تركاه عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولهذا قال الامام أبو جعفر بن
بربر رحمه الله والذي هو أولى
بتأويل هذه الآية عندي أعني
اخذنا الصراط المستقيم أن يكون
معناه به وفقنا للشبان على ما ارتضيته
ووفقت له من أنعمت عليه من
عبادك من قول وعمل وذلك هو
الصراط المستقيم لان من وفق لما
وفق له من أنعم الله عليهم من النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للاسلام وتصدق الرسل والتسك بالكتاب والعمل بما أمره الله
به والازجاء عازجه عنه واتباع منهاج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهاج الخلفاء الاربعة وكل عبد صالح وكل ذلك من الصراط
المستقيم فان قيل فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيره او هو متصف بذلك فهل هذا من باب تحصيل الخصال
أم لا فالجواب أن لا لولا الاحتياج لجليلها ونهار الى سؤال الهداية لما أُرشد الله تعالى الى ذلك فان العبد مقتدر في كل ساعة وحالة
الى الله تعالى في تبيينه على الهداية ورسوخه فيها وتبصيره وازيادته منها واستمراره عليها فان العبد لا يملك لنفسه تنعوا ولا ضيرا

الامام شاه الله فاشهد تعالى الى ان يسال في كل وقت ان يمد بالمعونة والنيات والتوفيق فالحمد لله من وفقه الله تعالى لسر الله فانه تعالى قد نكش لنا جابة الداعي اذا دعاه ولا سيما المخطر اختناج المنقتر اليه آباء الليل وأطراف النهار وقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكاتب الذي أنزل من قبيل الآية فقد أمر الذين آمنوا بالايان وليس ذلك من باب تخصيص الحاصل لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الاعمال المعينة على ذلك والله أعلم وقال تعالى أمرنا للعبادة المؤمنين ان يقولوا ربنا لا تزعج قلوبنا بعد اذ هدينا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت (٤٩)

وقد أنزلهم الله الميزة التي أنزلهم بها قالوا يا رسول الله الانبياء الذين أكرمهم الله برسالاته ونبوته قال هم كذلك ويحق لهم وما يمنهم وقد أنزلهم الله الميزة التي أنزلهم بها قالوا يا رسول الله الشهداء الذين استشهدوا مع الانبياء قال هم كذلك وما يمنهم وقد أكرمهم الله بالشهادة قالوا فن يا رسول الله قال أقوام في أصلاب الرجال يأتون من بعدى يؤمنون بي ولم يروني ويصدقوني ولم يروني يحيدون الورق المعلق فيعملون بما فيه فهو لاء أفضل أهل الايمان ايماناً بما وفي اسنائه محمد بن أبي حمزة وفيه ضعف وأخرج حسن ابن عرفة في جزئه المشهور واليه في الدلائل عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر نحو الحديث الاول وفي اسناده المغيرة ابن قيس البصري وهو مكر الحديث وأخرج نحوه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً والاسمعيلى عن أبي هريرة مرفوعاً أيضاً والبراء عن أنس مرفوعاً وأخرج ابن شبيبة في مسنده عن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باليتي قد لقيت اخواني قالوا يا رسول الله ألسنا اخوانك قال بلى ولكن قوم يحبسون من بعدكم يؤمنون بي ايمانكم ويصدقوني تصديقكم وينصرونى نصركم فماليتي قد لقيت اخواني وعن أبي جعفر الانصارى قال قلت يا رسول الله هل من قوم أعظم منابك واتبعناك قال ما ينعمكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتكم بالوحي من السماء بل قوم يأتون من بعدكم يأتهم كتاب الله بين لوحين فيؤمنون بي ويعملون بما فيه أولئك أعظم منكم أجراً آخر جبه أحمد والدارمي والباوردي وابن قانع معاً في معجم الصحابة والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم عن أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن رأى وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سمع مرات أخرجه الطيالسي وأحمد والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم وأخرج أحمد وابن حبان عن أبي سعيد ان رجلاً قال يا رسول الله طوبى لمن رأى وآمن بك قال طوبى لمن رأى وآمن بي وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني وأخرج الطيالسي وعبد بن حميد عن ابن عمر نحوه وأخرج أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث أنس نحوه حديث الباهلي المتقدم وعن ابن مسعود أنه قال والذي لا اله الا هو ما آمن أحد أفضل من ايمان يغيب ثم قرأ الم الآية وللتابعين أقوال والراجح ما تقدم من ان الايمان الشرعي يصدق على جميع ما ذكرهنا وذكر الحافظ ابن حجر

وقد أنزلهم الله الميزة التي أنزلهم بها قالوا يا رسول الله الانبياء الذين أكرمهم الله برسالاته ونبوته قال هم كذلك ويحق لهم وما يمنهم وقد أنزلهم الله الميزة التي أنزلهم بها قالوا يا رسول الله الشهداء الذين استشهدوا مع الانبياء قال هم كذلك وما يمنهم وقد أكرمهم الله بالشهادة قالوا فن يا رسول الله قال أقوام في أصلاب الرجال يأتون من بعدى يؤمنون بي ولم يروني ويصدقوني ولم يروني يحيدون الورق المعلق فيعملون بما فيه فهو لاء أفضل أهل الايمان ايماناً بما وفي اسنائه محمد بن أبي حمزة وفيه ضعف وأخرج حسن ابن عرفة في جزئه المشهور واليه في الدلائل عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر نحو الحديث الاول وفي اسناده المغيرة ابن قيس البصري وهو مكر الحديث وأخرج نحوه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً والاسمعيلى عن أبي هريرة مرفوعاً أيضاً والبراء عن أنس مرفوعاً وأخرج ابن شبيبة في مسنده عن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باليتي قد لقيت اخواني قالوا يا رسول الله ألسنا اخوانك قال بلى ولكن قوم يحبسون من بعدكم يؤمنون بي ايمانكم ويصدقوني تصديقكم وينصرونى نصركم فماليتي قد لقيت اخواني وعن أبي جعفر الانصارى قال قلت يا رسول الله هل من قوم أعظم منابك واتبعناك قال ما ينعمكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتكم بالوحي من السماء بل قوم يأتون من بعدكم يأتهم كتاب الله بين لوحين فيؤمنون بي ويعملون بما فيه أولئك أعظم منكم أجراً آخر جبه أحمد والدارمي والباوردي وابن قانع معاً في معجم الصحابة والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم عن أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن رأى وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سمع مرات أخرجه الطيالسي وأحمد والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم وأخرج أحمد وابن حبان عن أبي سعيد ان رجلاً قال يا رسول الله طوبى لمن رأى وآمن بك قال طوبى لمن رأى وآمن بي وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني وأخرج الطيالسي وعبد بن حميد عن ابن عمر نحوه وأخرج أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث أنس نحوه حديث الباهلي المتقدم وعن ابن مسعود أنه قال والذي لا اله الا هو ما آمن أحد أفضل من ايمان يغيب ثم قرأ الم الآية وللتابعين أقوال والراجح ما تقدم من ان الايمان الشرعي يصدق على جميع ما ذكرهنا وذكر الحافظ ابن حجر

(٧ ل - فتح البيان) أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس صراط الذين أنعمت عليهم قال هم النبيون وقال ابن جرير عن ابن عباس هم المؤمنون وكذا قال مجاهد وقال وكيع هم المسلمون وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه والتفسير المتقدم عن ابن عباس رضى الله عنهم أجمعين وأمثل والله أعلم وقوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين قرأ الجهور غير بالجر على النعت قال الزحخشري وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل أنعمت والمعنى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم

من تقدم وصفهم ونعمهم وهم اهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسوله وامثال او امره وتركوا فيه وزواجره غير صراط
المغضوب عليهم وهم الذين فسدت ارايتهم فعملوا الحق وعدلوا عنه ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم ففهم هامون في الضلالة
لا يمتدون الى الحق وكذا الكلام بلا دليل على ان ثم مسلكن فاسدين وهما طريقتا اليهود والنصارى وقد زعم بعض الجاهل ان
غير هؤلاء استثنائية فيكون على هذا منقطع الاستثناء من المنعم عليهم وليسوا منهم وما اردناه اولى بقول الشاعر
كانك من جمال بني اقيش * يتنقع عند رجليه بشن (٥٠) أي كأنك رجل من جمال بني اقيش خذف الموصوف واكتفى

بالصفة وكذلك غير المغضوب عليهم
أي غير صراط المغضوب عليهم
اكتفى بالمضاف اليه عن ذكر المضاف
وقد دل عليه سياق الكلام وهو
قوله تعالى اعدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم ثم قال
تعالى غير المغضوب عليهم ومنهم من
زعم ان لا في قوله تعالى ولا الضالين
زائدة وان تقدير الكلام عنده غير
المغضوب عليهم والضالين واستشهد
ببيت العجاج

* في بئر لا حور سعي وما شعر *
أي في بئر حور والصحيح ما قدمناه
ولهذا روى أبو عبيد القاسم بن سلام
في كتاب فضائل القرآن عن أبي
معاوية عن الاعمش عن ابراهيم
عن الاسود عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه كان يقرأ غير
المغضوب عليهم وغير الضالين وهذا
اسناد صحيح وكذلك حكى عن أبي بن
كعب أنه قرأ كذلك وهو مجمل على
انه صدر منهما على وجه التفسير
فبدل على ما قلناه من انه انما جيء
بلا لتأكيد النفي لتلايتهم انه
منعطف على الذين انعمت عليهم
والفرق بين الطريقتين ليجنب كل
واحد منهما ما فطر طريقتا أهل الايمان

في الفتح كلاما مفيدا في حديث عمر بن الخطاب المتقدم باعتبار ما ورد في الصحابة وحاصله
ان فضيلة الصحابة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمجرد زيادة
الاجر لا يستلزم فضيلة غير الصحابة على الصحابة لان الاجر انما يقع بمفاضلة بالنسبة الى
ما يائله من العمل ومشاهدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يعدلها عمل خذا حاصل ما أشار
اليه وهو محتاج اليه لانه كثير ما يستشكل الجمع بين الاحاديث والله أعلم قال ابن جرير في
هذه الآية والاولى أن يكونوا موصوفين بالايمان بالغيب قولوا واعتقادا وعلا وتدخل
الخشية لله في معنى الايمان الذي هو تصديق القول بالعدل والايمان كلمة جامعة للاقرار بالله
وكتبه ورسوله وتصديق الاقرار بالفعل وقال ابن كثير ان الايمان الشرعي المطلوب لا يكون
الاعتقادا وقولوا وعلا هكذا ذهب اليه اكثر الائمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد وأبو عبيد
وغير واحد اجابا أن الايمان قول وعمل يزيد وينقص وقد ورد فيه آثار كثيرة انتهى وقد
أكثر أكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقال أهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد
ولا ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها وبهذا أمكن الجمع
بين ظواهر النصوص من الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين أصله من
اللغة والدليل على ان الاعمال من الايمان قوله صلى الله عليه وآله وسلم الايمان بضخ
وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها ما طاعة الاذى عن الطريق والحياء شعبة
من الايمان أخرجه الشيخان عن أبي هريرة وشيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد
السلام كلام في معنى الغيب وعالمه في كتاب العقل والقل حاصله ان من زعم ان عالم الغيب
الذي أخبر به الله والرسول هو العالم العقلي الذي يشبهه هؤلاء الفلاسفة فهو من أضل الناس
فان ابن سينا ومن سلك سبيله في هذا كالشهرستاني والرازي وغيرهما يقولون ان الالهيين
يشبون العالم العقلي ويردون على الطبيعيين منهم الذين لا يشنون الا العالم الحسي ويدعون
ان العالم العقلي الذي يشبونه هو ما أخبر به الرسل من الغيب الذي أمروا بالايمان به مثل
وجود الرب والملائكة والجنة وليس الامر كذلك فان ما يشبونه من العقليات اذا
حقق الامر لم يكن لها وجود الا في العقل وسميت مجردات ومفارقات لان العقل مجرد
الامور الكلية عن الغيبات واما تسميتها بمفارقات فكان أصله ان النفس الناطقة
تفارق البدن وتصور حينئذ عقلا وكانوا يسمون ما جامع المادة بالتدبير لها كالنفس قبل

مشتبه على العلم بالحق والعمل به واليهود فقدوا العمل والنصارى فقدوا العلم ولهذا كان الغضب لليهود
والضلال للنصارى لان من علم وترك استحق الغضب بخلاف من لم يعلم والنصارى لما كانوا فاسدين شاكهم لا يمتدون الى طريقتا
لانهم لم يأثروا الامر من بابيه وهو اتباع الحق ضلوا وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه لكن أخص أوصاف اليهود
الغضب كما قال تعالى عنهم من لعنه الله وغضب عليه وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم قد ضلوا من قبل وأضلوا
كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وفيه ما اجابنا في الاحاديث والآثار وذلك واضح بين فيما قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة قال

سمعت سمك بن جرب يقول سمعت عباد بن جحيش يحدث عن عدي بن حاتم قال جاءت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا عني وناسا فلما أتوا بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوا له فقال يا رسول الله نأى الوافدون انقطع الولد وأنا عجز كبير ما بي من خدمة فمن علي من الله عليك قال من وافدك قالت عدي بن حاتم قال الذي فر من الله ورسوله قالت فمن علي فلما رجعت ورجل إلى جنبه ترى انه علي قال سليه جلانا فاستألته فامر لها قال فأتتني فقالت لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها فانه قد أتاه فلان فأصاب منه وأتاه فلان فأصاب منه فأتته فاذا عنده امرأة وصبيان وذكر قريتهم من النبي (٥١) صلى الله عليه وسلم قال فعرفت انه ليس

بملك كسرى ولا قيصر فقال يا عدي ما أفترك ان يقال لا اله الا الله فهل من اله الا الله ما أفترك ان يقال الله اكبر فهل شيء اكبر من الله عز وجل قال فاسلمت فرأيت وجهه استبشروا قال ان المغضوب عليهم اليهود والنصارى والنصارى وذكر الحديث ورواه الترمذي من حديث سمك بن جرب وقال حسن غريب لا نعرفه الا من حديثه قلت وقد رواه حماد بن سلمة عن سمك عن مري بن قطري عن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى غير المغضوب عليهم قال هم اليهود والنصارى قال النصارى هم الضالون وهكذا رواه سفیان بن عيينة عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم به وقد روى حديث عدي هذا من طرق وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها وقال عبد الرزاق أنا معمر بن عبد العجلي أخبرني عبد الله بن شقيق انه أخبرني عن سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بوادي القرى على فرسه وساله رجل من بني القين فقال يا رسول الله من هؤلاء قال

الموت نفسا وما فارقه بالكلية فلم يتعلق بها الا تعلق تدبير ولا غيره عقلا ولا ريب ان النفس الناطقة فاعية بنفسها باقية بعد الموت منعمة أو معذبة كما دل على ذلك نصوص الكتاب والسنة واجماع سلف الامة وأعمتها ثم تعاد الى الابدان والمقصود ههنا ما يثبتونه من العقليات اذا حققت لم يكن الاما ثبت في عقل الانسان ولهذا كان منتهى تحقيقهم الوجود المطلق وهو الوجود المشترك بين الموجودات وهذا انما يكون مطلقا في الازمان لافي الاعيان والمتفلسفة يجعلون الكل المشترك موضوع العلم الالهي وأما الوجود الواجب فتارة يقولون هو الوجود المقسود بالقيود السلبية كما يقوله ابن سينا وتارة يجعلونه المجرد عن كل قيد سلبي وشبقي كما يقوله بعض الملاحدة من باطنية الرافضة والاتحادية وتارة يجعلونه نفس وجود الموجودات فلا يجعلون للممكنات وجودا غير الوجود الواجب وغايتهم أنهم يجعلون في أنفسهم شيئا يظنون ان ذلك موجود في الخارج ولهذا يدعهم الشياطين فان الشياطين تتصرف في الخيال وتلقي في خيالات الناس أمور الاحقيقة لها ومحققو هؤلاء يقولون أرض الحقيقة هي أرض الخيال وأما ما أخبرني به الرسل صلوات الله عليهم من الغيب فهو أمور موجودة ثابتة أكمل وأعظم مما نشأخده نحن في هذه الدار وتلك أمور محسوسة تشاهد وتحس ولكن بعد الموت وفي الدار الآخرة ويمكن ان يشاهدوا في هذه الدار من يختصه الله بذلك ليست عقلية فاعية بالعقل ولهذا كان الفرق بينهما وبين الحسيات التي نشأخدها ان تلك غيب وهذه مشاهدة قال تعالى الذين يؤمنون بالغيب وكون الشئ غائبا وشاهدا أمر اضافي بالنسبة اليها فاذا غاب عنا كان غيبا واذا شاهدناه كان مشاهدا ليس هو فرقا يعود الى ان ذاته تعقل ولا تشاهد ولا تحس بل كل ما يعقل ولا يمكن ان يشاهد بحال فانما يكون في الذهن والملائكة يمكن ان يشاهدوا ويروا الرب تعالى ويمكن رؤيته بالابصار والمؤمنون يزونه يوم القيامة وفي الجنة كما لو اترت النصوص في ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واتفق على ذلك سلف الامة وأعمتها وامكان رؤيته يعلم بالدلائل العقلية القاطعة لكن ليس هو الدليل الذي سلكه طائفة من أهل الكلام كأبي الحسن وأمثاله حيث ادعوا ان كل موجود يمكن رؤيته بل قالوا ويمكن ان يتعلق به الحواس الخمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس فان هذا مما يعلم فساد بالضرورة عند جاحيز العلماء وهذا من أعاليط بعض المتكلمين هذا

المغضوب عليهم وأشار الى اليهود والنصارى وقد رواه الجري وعروة وخالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق فأرسلوه ولم يذكره من سمع النبي صلى الله عليه وسلم ووقع في رواية عروة تسمية عبد الله بن عمر وقال الله أعلم وقد روى ابن مردويه من حديث ابراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم قال اليهود قلت الضالين قال النصارى وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهذلي عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غير المغضوب عليهم هم اليهود والنصارى قال النصارى قال النصارى قال النصارى قال النصارى

غير المغضوب عليهم اليهود ولا الضالين النصارى وكذلك قال الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقال ابن أبي حاتم ولا أعلم بين المفسرين في هذا الاختلاف وشاع ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون الحديث المتقدم وقوله تعالى في خطابه مع بني إسرائيل في سورة البقرة يش ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فبما وبغض على غضب والكافرين عذاب مقيم وقال في المائدة قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وبغض عليه وجعل (٥٢) منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء

السبيل وقال تعالى لعن الذين كفروا سن بن إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكرهم فجعلوا لبئس ما كانوا يفعلون وفي السيرة عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه لما خرج نحو جماعة من أصحابه إلى الشام يطلبون الدين الحنيف قالت له اليهود أنك إن استطعت الدخول معنا حتى تأخذ بصيبيك من غضب الله فقال أنا من غضب الله أفرو قالت له النصارى أنك إن استطعت الدخول معنا حتى تأخذ بصيبيك من سخط الله فقال لا أستطيعه فاستقر على فطرته وجانب عبادة الأوثان ودين المشركين ولم يدخل مع أحد من اليهود ولا النصارى وأما أصحابه فنصره وأدخلوا في دين النصرانية لأنهم وجدوه أقرب من دين اليهود إذ ذاك وكان منهم ورقة بن نوفل حتى هداه الله بنبيه لمابعنه آمن بما وجد من الوحي رضى الله عنه (مسألة) في الصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بغير ما بين الضاد والظاء لقرب خج حيماء وذلك أن الضاد مخرجها

(ويقيمون الصلوة) أي يداومون عليها والاصل الدوام واللباب وليس من القيام على الرجل وانما هو من قولك قام الحق أي ظيروه وبث واقامة الصلاة أداؤها بأركانها وسننها وهي أوقاتها وحفظها من أن يقع فيها خلل في فرائضها ووجوبها وزرع في أفعالها وإتمام أركانها والصلوة أصلها في اللغة الدعاء من صلى يصلي إذا دعا ذكر هذا الجوهري وغيره وقال قوم هي مأخوذة من الصلاة وهو عسرق في وسط الظهر ويفترق عند العبد ذكر هذا القزطبي وهذا هو المعنى الغوى وأما المعنى الشرعي فهو هذه الصلاة التي هي ذات الأركان والأذكار قال ابن عباس المراد به الصلوات الخمس وقال قتادة إن إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضعها وأورسها وسجودها (ومما رزقناهم ينفقون) أي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله وفي سبيله والرزق عند الجمهور ما صلح لا يتقاع به حلالا كان أو حراما خلافا للبعثرة فقالوا إن الحرام ليس برزق والبحث في هذه المسئلة موضع غير هذا والاتفاق إخراج المال من اليد وأنفق الشيء وأنفذه أخوانه ولو استقرت الالفاظ وجدت كل ما فاقوه فون وعينه فاء الالاعلى معنى الذهاب والخروج وفي المحي عن التبعيضية هي نكتة سريفة هي الإرشاد إلى ترك الاسراف والتبذير وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الأئمة قال أبو بكر الباقلاني ذهب الإشاعة كلهم إلى نفي السجوع عن القرآن وذهب كثير من خالفهم إلى اثباته انتهى قال البقاعي الثاني فاسد وأطال في بيان ذلك بلا طائل والحق أنه في القرآن من غير التزام له في الاكثروا من نفاقه في التزامه أو أكثرية ومن أثبتته أراد وروده فيه في الجملة فأحفظه ولا تلتفت لما سواد الذي عليه العلماء أنه نطق القواصل عليه دون السجوع قاله الخفاجي قال ابن عباس يعني زكاة أموالهم وعن قتادة يعني الانفاق في فرائض الله التي افترض عليهم في طاعته وسبيله كالزكاة والنذر في الجهاد وعلى النفس وقال ابن مسعود هي نفقة الرجل على أهله واختار ابن جرير أن الآية عامة في الزكاة والنفقات وهو الحق من غير فرق بين النفقة على الأقارب وغيرهم وصدقة القرض والنفل وعدم التصريح بنوع من الأنواع التي يصدق عليها بمعنى الانفاق يشعر أتم اشعار بالتعميم (والذين يؤمنون) أي يصدقون (بما أنزل اليك) المراد به ما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن بأسره والشرعية عن آخرها والتعبير بالماضي مع كون بعضه

من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس ويخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الشيا العليا ولأن كلام الحرفين من الحروف المجردة ومن الحروف الرخوة ومن الحروف المطبقة فلهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك والله أعلم وأما حديث أنا أفصح من نطق بالضاد فلا اصل له والله أعلم (فصل) اشتملت هذه السورة التكمية وهي سبع آيات على حمد الله وتمجيد الشاء عليه ذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاة العاليا وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين وعلى إرشاده عبده إلى سؤاله والتضرع إليه والتبرئ من حولهم وقوتهم وإلى إخلاص العبادة له وتوحيده بالالوهة تبارك

وتعالى وتزجهم ان يكون له شريك أو نظير أو مماثل وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم وهو الدين القويم وتثبيتهم عليه حتى يقتضى لهم بذلك إلى جواز الصراط الحسنة يوم القيامة المفضى بهم إلى جنات النعيم والصديقين والشهداء والصالحين واشتملت على الترتيب في الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة والتحذير من مسالك الباطل لئلا يحشروا مع السالكين يوم القيامة وهم المغضوب عليهم والضالون وما أحسن ما جاء أسناد الانعام عليه في قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالى غير المغضوب (٥٣) عليهم وان كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة كما قال تعالى ألم ترالى الذين

تولوا قوما غضب الله عليهم الآية وكذلك أسناد الضلال إلى من قام به وان كان هو الذى أضلهم بقدره كما قال تعالى من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وقال من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والاضلال لا كما تقول الفرقة القدسية ومن حذا حذوهم من ان العبادهم الذين يختارون ذلك ويقبلونه ويحتجون على بدعتهم بتشابه من القرآن ويتركون ما يكون فيه صريحا في الرد عليهم وهذا حال أهل الضلال والغي وقد ورد في الحديث الصحيح اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سئى الله فاحذروهم يعنى في قوله تعالى فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فليس بحمد الله لمبتدع فى القرآن حجة صحيحة لان القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل مفرقا بين الهدى والضلال وليس فيه تناقض ولا اختلاف لانه من عند الله تنزيل من حكيم حميد (فصل) يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها آمين مثل يس ويقال آمين بالقصر أيضا ومعناه اللهم استجب والدليل على استحباب التامين ما رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذى عن وائل بن حجر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال آمين مذهبهم صوته ولا يداود رفع بها صوته وقال الترمذى هذا حديث حسن وروى عن علي وابن مسعود وغيرهم عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تلا غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين حتى يسمع من يليه من الصف الاول رواه أبو داود وابن ماجه وزاد فيه فيرفعهم المسجد والدارقطنى

متربعا لتغلب المحقق على المقدر أو لتزيل ما فى شرف الوقوع منزلة الواقع قال القاضى الانزال نقل الشئ من أعلى إلى أسفل وهو انما يلحق المعانى بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها قال الامام المراد من انزال القرآن ان جبريل عليه السلام فى السماء سمع كلام الله فنزل به على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما يقال نزلت رسالة الامير من القصر والرسالة لا تنزل ولكن كان المستمع فى علو فنزل وادى فى سفلى وقول الامير لا يفارق ذاته اه قال الخفاجى وذهب بعض السلف الى أنه من المتشابه أى يجزم بالنزول من غير معرفة بكيفية وهو الحق اذ مثل هذا من التدقيقات الفلسفية لا ينبغى ذكره فى التفسير اه حاصله قلت ويرد على مذهب بعض السلف ما ورد فى الاحاديث الصحيحة من بيان كيفية الوحي وبدئه وبه ترجم البخارى وهو أول باب عنوان به كتابه الصحيح وقد نطق به القرآن ولا شك أن كلامه سبحانه المنزل على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مسموع بالاذن مقروء باللسنة محفوظ فى الصدور مكتوب فى المصاحف له حرف وصوت كدات عليه السنة المطهرة فى غير موضع من دواوين الاسلام وزبر الايمان وليس هذا موضع بسطه وسأبقى الكلام عليه تحت تفسير قوله تعالى حتى اذا فرغ عن قولهم قالوا ما ذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير (وما أنزل من قبلك) وهو الكتب السالفة المنزلة على الانبياء من قبل كالتوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وغيرها والايمان بالكل جملة فرض عين وبالقرآن تفصيلا فرض كفاية قيل هو مؤمنوا أهل الكتاب وفيهم نزلت وقد رجع هذا ابن جرير ونقله السدى عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة واستشهد به ابن جرير بقوله تعالى وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم بقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب من قبلهم به يؤمنون والآية الاولى نزلت فى معنى العرب وقيل ان اليتين جميعا فى المؤمنين على العموم وعلى هذا فالجمله عطف على الجملة الاولى صفه للمؤمنين بعد صفة أو مرفوعة على الاستئناف أو عطف على المتقين والتقدير هدى لهم وللذين يؤمنون والحق ان هذه الآية فى المؤمنين كالتى قبلها وليس مجرد ذكر الايمان بما أنزل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما أنزل الى من قبله بمقتضى جعل ذلك وصف للمؤمنين أهل الكتاب ولم يأت ما يوجب الخالفه لهذا ولا فى نظم القرآن ما يقتضى ذلك وقد ثبت الثناء على من جمع بين الامرين من المؤمنين فى غير آية فن ذلك قوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب

عند الله تنزيل من حكيم حميد (فصل) يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها آمين مثل يس ويقال آمين بالقصر أيضا ومعناه اللهم استجب والدليل على استحباب التامين ما رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذى عن وائل بن حجر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال آمين مذهبهم صوته ولا يداود رفع بها صوته وقال الترمذى هذا حديث حسن وروى عن علي وابن مسعود وغيرهم عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تلا غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين حتى يسمع من يليه من الصف الاول رواه أبو داود وابن ماجه وزاد فيه فيرفعهم المسجد والدارقطنى

وقال هذا السناد حسن ورضي بلال انه قال يا رسول الله لا تسبقني يا أمين رواه أبو داود ونقل أبو نصر الفشيري عن الحسن وجعفر الصادق انه ما شهد الميم من آمين مثل آمين البيت الحرام قال أصحابنا وغيرهم ويستحب ذلك ان هو خارج الصلاة وتما كذب في حق المنسلي وسواء كان منفردا أو مأموا أو في جميع الأحوال لنا جهة في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا آمن الامام فامنوا فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال أحدكم في الصلاة (٥٤) آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت احداهما الاخرى غفر له

ما تقدم من ذنبه قيل بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزمان وقيل في الاجابة وقيل في صفة الاخلاص وفي صحيح مسلم عن أبي موسى مر فوعا اذا قال يعني الامام رلا الضالين فقولوا آمين يجبكم الله وقال جوير عن الخصال عن ابن عباس قال قلت يا رسول الله ما معنى آمين قال رب افعل وقال الجوهري بمعنى آمين كذلك فليكن وقال الترمذي معناه لا تخيب رجاءنا وقال الاكثرون معناه اللهم استجب لنا وحكي القرطبي عن مجاهد وجعفر الصادق وهلال بن يساف ان آمين اسم من أسماء الله تعالى وروى عن ابن عباس مر فوعا ولا يصح قاله أبو بكر بن العربي المالكي وقال أصحاب مالك لا يؤمن الامام ويؤمن المأموم لما رواه مالك عن سبي عن أبي صالح عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال راد اقال يعني الامام ولا الضالين فقولوا آمين الحديث واستأنسوا أيضا بمحدث أي موسى عند مسلم وأذا قرأوا الضالين فقولوا آمين وقد قدمنا في المنفق عليه اذا آمن الامام

الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل وقوله تعالى وقولوا آمنا بالذي أنزل اليانا وأنزل اليكم وقوله تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقال والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم (وبالآخرة) أي بالدار الآخرة تأييد الآخر الذي هو نقض الاول كما أن الدنيا تأييد الآخرة غلبتنا على الدارين فجرنا مجرى الاسماء وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة وسميت آخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها بعد ما (هم يوقنون) الايقان اتقان العلم باتقاء الشك والشبهة عنه قال في الكشف فالمراد انهم يوقنون بالبعث والنشور وسائر أمور الآخرة من دون شك وفي تقديم الطرف مع بناء الفعل على الضمير اشعار بالحصر وان ما عدا هذا الامر الذي هو أساس الايمان ورأسه ليس بمسأخل عندهم لا يقان بهو القطع بوقوعه وفيه تعريض عن عذابهم من أهل الكتاب فان اعتقادهم في أمور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين (أولئك) أي الذين هذه صفتهم وما فيه من البعد للاشعار بعلو درجاتهم ورفعة مرتبتهم في الفضل وهو مبتدأ وخبره (على هدى من ربهم) أي على رشاد ونور وقيل على استقامة منحوها من عنده وأوتوها من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على أعمال الخير والترقى الى الأفضل فالأفضل والاجتهاد المفهوم من التنكير في هدى لكمال تفخيمه أي على هدى أي هدى لا يبالغ كنهه ولا يقادر قدره وهذا كلام مستأنف بياني ويمكن أن يكون خبرا عن الذين يؤمنون بالغيب فيكون متصلا بما قبله قال في الكشف قوله على هدى مثل لتمكّنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قوله جعل الغواية من كما وامتطى الجحش واقتعد غارب الهوى اه وقال أبو السعود او ايراد كلمة الاستعلاء على استعانهم التمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهها بعتلاء الركاب واستوائه على مركوبه أو على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للايدان بقوة تمكّنهم منه وكالرسوخهم فيه انتهت وقال الخفاجي الاستعارة في الحرف تبعية متعلقة وهو المعنى الكلي الشامل له كما حققوه والتمثيل ضرب المثل والاثبات بمثال ومطلق التشبيه والمركب منه وهذا ظاهر

فامنوا وانه عليه الصلاة والسلام كان يؤمن اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقد اختلف أصحابنا في الجهر بالتأمين للمأموم في الجهرية وحاصل الخلاف ان الامام ان نسي التأمين جهر للمأموم به قول واحد وان آمن الامام جهرًا فالجديد انه لا يجهر للمأموم وهو مذهب أبي حنيفة ورواية عن مالك لانه ذكر من الاذكار فلا يجهر به كسائر أذكار الصلاة والعقيد انه يجهر به وهو مذهب الامام أحمد بن حنبل والرواية الاخرى عن مالك لما تقدم حتى يرجع المسجد ولنا قول آخر ثالث انه ان كان المسجد بصغرا لم يجهر للمأموم لانهم يسمعون قراءة الامام وان كان كبيرا جهر لسلامة التأمين من في ارجاء المسجد والله اعلم

فامنوا وانه عليه الصلاة والسلام كان يؤمن اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقد اختلف أصحابنا في الجهر بالتأمين للمأموم في الجهرية وحاصل الخلاف ان الامام ان نسي التأمين جهر للمأموم به قول واحد وان آمن الامام جهرًا فالجديد انه لا يجهر للمأموم وهو مذهب أبي حنيفة ورواية عن مالك لانه ذكر من الاذكار فلا يجهر به كسائر أذكار الصلاة والعقيد انه يجهر به وهو مذهب الامام أحمد بن حنبل والرواية الاخرى عن مالك لما تقدم حتى يرجع المسجد ولنا قول آخر ثالث انه ان كان المسجد بصغرا لم يجهر للمأموم لانهم يسمعون قراءة الامام وان كان كبيرا جهر لسلامة التأمين من في ارجاء المسجد والله اعلم

وقد روى الامام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت عنده اليه وقد قال انهم لن يحسدونا على شيء كما يحسدونا على الجمعة التي خدانا الله لها وفضلوا عننا وعلى قولنا خلف الامام امين ورواه ابن ماجه ولفظه ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين ولعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على قول امين فاكثروا من قول امين وفي اسناده طلحة بن عمرو وهو ضعيف وروى ابن مردويه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امين خاتم رب العالمين عليه وسلم قال (٥٥)

على عباده المؤمنين وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت امين في الصلاة وعند الدعاء لم يعط أحد قبلي الا ان يكون موسى كان موسى يدعو وهرون يؤمن فاختما الدعاء امين فان الله يستجيبه لكم قلت ومن غنازع بعضهم في الدلالة بهذه الآية الكريمة وهي قوله وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائكته وأموالنا في الحياة الدنيا ربنا اياضوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد أجبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون فذكر الدعاء عن موسى وحده ومن سياق الكلام ما يدل على ان هرون آمن فنزل منزلة من دعا لقوله تعالى قد أجبت دعوتكما فدل ذلك على ان من آمن على دعاء فكأنما قاله فلهذا قال من قال ان المأموم لا يقرأ لأن تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها ولهذا جاء في الحديث من كان له امام فقرأه الامام له قراءة رواه أحمد في مسنده وكان بلال يقول لا تسبقني يا امين يا رسول الله فدل هذا المنزع على ان

لنزاع فيه وانما النزاع في الاستعارة التبعية هل تكون تمثلية أم لا فذهب الفاضل المحقق الى جواره متمسكا بما صرح العلامة في مواضع من كشافه كما صرح به هنا وقد سبقه اليه الطيبي وقال انه مبالغ الشيخين الزمخشري والسكاكي ولم يرتضه المدقق في الكشف فأول ما في عباراتهم وتبعه فيه السيد وشيخ علي الفاضل حتى كأنه أبوعذرة وهي المعركة العظمى التي عقدت لها المجالس وصنفت فيها الرسائل مما هو أشهر من قفائلك والحاصل ان استعارة على استعارة تبعية تستلزم كون الاستعلاء مشبها به وتركيب الطرفين يستلزم ان لا يكون مشبها به فلا يجتمعان ومن الفضلاء من رده واتصروا للسعد بسعد جده فقال هو ممنوع والحاصل انه يجزى في الحرف التمثيل بمعنى ان نزاع الحالة من الامور المتعددة ولا يجزى فيه التشبيه في الفصل المركب قصدوا الذي يخطر بالبال بعد طي شقة القيل وقال ان الخلاف بينهم في حرف واحد اذا خلا في ان التمثيل التفصيلي المعزوف يستدعي تركب الطرفين حقيقة وان التمثيل الآخر الذي هو محمل النزاع هل يشترط فيه التركيب بعد الاتفاق على انه لا يلزم التصريح بأجرائه لفظا ولا تقدير اذهب الشريف الى انه يشترط فيه أن تكون أجرائه مرادة منويه فلا يكون ما اقتصر عليه من الحرف ونحوه مما هو عند المعنى المجازي مستعملا في معنى مجازي بل حقيقة والا كان مجازا مفردا لا تشبيها ولا يشترط فيه ذلك بل يكفي تركب المأخذ المتزعم منه ذلك ويكون الحرف المذكور مع ما يدل عليه بالالتزام من طرفي التشبيه وما يتمه متجاوزا فيه والا لم يصح دخول على على الهدى كما مشى عليه السعد ومن مشى على جادته فالنزاع كاللفظي انتهى حاصله قلت وقد أطل المحققون الكلام على هذا بما لا يتسع له المقام واختلف من بعدهم في ترجيح الراجح من القولين وقد جمع العلامة الشوكاني في ذلك رسالة مستقلة سماها الطود المنيف في ترجيح ما قاله السعد على ما قاله الشريف فليرجع اليها من أراد ان يتضح له المقام ويجمع بين أطراف الكلام على التمام وحاصلها ان الحق في جانب السعد وان الصواب بيده وقد تقدم الى مثل هذا العلوي في حاشيته على الكشف وليس للسعد فيه زيادة على ما يفيد كلام الزمخشري المجرد الايضاح ولم يأت بشيء من طرفه يستحق الموازنة عليه انتهى أقول فالحق اجتماع الاستعارة التبعية والتمثلية وذلك هو محمل النزاع وقد اعترف الشريف بان المقام صالح له مما لكن ادعى

المأموم لا قراءة عليه في الجهرية والله أعلم ولهذا قال ابن خردويه حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا عبد الله بن محمد بن سلام حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا جرير عن ليث عن ابن أبي سليم عن كعب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال آمين فوافق آمين أهل الارض آمين أهل السماء غفر الله لعمد ما تقدم من ذنبه ومثل من لا يقول آمين كمثل رجل غزا مع قوم فاقتروا فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه فقال لم يخرج سهمي فقيل انك لم تقل آمين * (بسم الله الرحمن الرحيم) * رب يسر وأعن يا كريم * (تفسير سورة البقرة) * (ذكر ما ورد في فضلها) * قال الامام أحمد حدثنا

غارم حدثنا معمر عن أبيه عن رجل عن أبيه عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البقرة سناسم القرآن وذروني نزل مع كل آية منها غمامون ملكوا واستخرج الله لاله الا هو الحى القيوم من تحت العرش فوصلت بها او قوصلت بسورة البقرة ووس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له واقرؤها على موتاكم انقرض به أئجد وقدر واه أئجد أيا عن غارم عن عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أبي عثمان وليس بالهندي عن أبيه عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤها على موتاكم يعنى يس فقد تناسل هذا الاسناد (٥٦) معرفة المهم في الرواية الاولى وقد أخرج هذا الحديث على هذه الصفة

في الرواية الثانية أبو داود والنسائي وابن ماجه وقد روى الترمذي من حديث حكيم بن جبير وفيه ضعف عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ سناسم وان سناسم القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيده آى القرآن آية الكرسي وفي مسند أحمد وصحيح مسلم والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوا بيوتكم قبورا فان البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان وقال الترمذي حسن صحيح وقال أبو عبيد القاسم ابن سلام حدثني ابن أبي مرجم عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يخرج من البيت اذا جمعت سورة البقرة تقرأ فيه سنان ابن سعد ويقال بالعكس وثقه ابن معين واستنكر حديثه أحمد ابن حنبل وغيره وقال أبو عبيد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سلمة بن كهيل

امتناع اجتماعهما ويدل على ان الاستعارة التبعية تمثيلية الاستعارة به يشعر قول امام الفن السكاكى صاحب المفتاح وهذا صريح فيما صرح به السعد والله أعلم (وأولئك) في تكرارهم الاشارة دلالة على ان كلامنا الهداية الماضية والفلاح الآتى بحيث لو انقرد أحد هما الكفى ميمز على حياله (هم المفلحون) أى المنجحون الناجون الفائزون نحو امن النار وقازوا الجنة والمنلخ الظافر بالمطلوب والفلاح أصله فى اللغة الشق والقطع قاله أبو عبيد قال القرطبي وقد يستعمل فى الفور والبقاء وهو أصله أيضا فى اللغة فعناه الفائزون بالجنة والياقون فيها وقال فى الكشف المفلح الفائز بالمعنة كأنه الذى انتقحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه انتهى وقد استعمل الفلاح فى السحور ومنه الحديث الذى رواه أبو داود حتى كاد يفوتنا الفلاح قلت ما الفلاح قال السحور وكان معنى الحديث ان السحور به بقاء الصوم فلهذا سمي فلاحا وخمير الفصل ويسمى عماد الفوائد ذكرها الخفاجى منها الدلالة على اختصاص المسند اليه بالمستدود غيره وقد ورد فى فضل هذه الآيات الشريفة أحاديث ثم ذكر سبحانه فريق الشريعة الفراغ من ذكر فريق الخبر فاطع هذا الكلام عن الكلام الاول معنونه بما يفيد ان شأن جنس الكفرة عدم اجداء الانذار لهم وانه لا يترتب عليه ما هو المطلوب منهم من الايمان وان وجود ذلك كعدمه فقال (ان الذين) التعريف للعهد أو للجنس والثانى أولى (كفروا) أى جحدوا وأنكروا وأصل الكفر فى اللغة السترو والتغطية ومنه سمي الكافر كافرا لانه يغطي بكفره ما يجب أن يكون عليه من الايمان (سواء عليهم) أى متساو لديهم وسواء اسم مصدر بمعنى الاستمواء وارتفاعه على انه خبر لان (أأندرتهم) أى خوفتهم وحذرتهم والانباز الابلاغ والاعلام مع التخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منبذرا قرئ بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفاء قال البيضاوى وهذا الابدال لحن ورد عليه على القارى بان ما قاله تقليد للكشاف خطأ لان القراءة متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانكارها كفر وعام هذا البحث فى الجمل (أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أى لا يصدقون قال القرطبي واختلاف العلماء فى تاويل هذه الآية فقيل هى عامة ومعناها الخصوص فمن حققت عليه كلمة العذاب وسبق فى علم الله انه يموت على كفره أراد الله تعالى أن يعلم الناس ان فيهم من هذا حاله دون ان يعين أحد او قال ابن عباس والكلى بزلت فى رؤساء اليهود حى بن

عن أبي الأحوص عن عبد الله يعنى ابن مسعود رضى الله عنه قال ان الشيطان يقر من البيت يجمع فيه سورة البقرة ورواه النسائي فى اليوم والليلة وأخرجه الحاكم فى مستدركه من حديث شعبة ثم قال الحاصكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل حدثنا أبو اسمعيل الترمذي حدثنا أيوب بن سليمان بن بلال حدثني أبو بكر بن أبي أويس عن سليمان بن بلال عن محمد بن عجلان عن أبي اسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألقين أحدكم يضع أحدى رجله على الأخرى يتغنى ويدع سورة البقرة يقرؤها فان الشيطان ينفر من البيت تقرأ فيه سورة البقرة

وان أصغر البيوت الخوف الصفر من كآب الله وهكذا رواه النسائي في اليوم والليل عن محمد بن نصر عن أيوب بن سليمان به وروى الدارمي في مسنده عن ابن مسعود قال ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة الا خرج منه الشيطان وله ضراط وقال ان لكل شيء سناما وان سنام القرآن سورة البقرة وان لكل شيء لبابا وان لباب القرآن المفضل وروى أيضا من طريق الشعبي قال قال عبد الله ابن مسعود من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة أربع من أولها وآية الكرسي وآيات بعد ها وثلاث آيات من آخرها وفي رواية لم يقر به ولا أهل بيته يومئذ شيطان ولا (٥٧) شيء يكرهه ولا يقرئ على مجنون الا أفاء وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله

اخطف وكعب بن الاشرف ونظر انهم اوقال الربيع بن أنس نزلت فيمن قتل يوم بدر من قادة الاحزاب والاول أصح فان من عين أحد افا تم مثل عن كشف الغيب بعونه على الكفر انتهى (ختم الله على قلوبهم) أي طبع الله عليها واستوثق فلا تعي خيرا ولا تفقهه والختم والكم اخوان وأصل الختم مصدر معناه التغطية على الشيء والاستيثاق منه حتى لا يدخله شيء ولا يخرج منه ما حصل فيه ومنه ختم الكتاب والباب وما يشبه ذلك حتى لا يوصل الى ما فيه ولا يوضع فيه غيره فشبّه هذا المعنى بضرب الخاتم على الشيء تشبيه معقول بحسوس والجامع اتقاء القبول لما منع منه وكذا يقال في الختم على الاسماع واسناد الختم الى الله قد احتج به أهل السنة على المعتزلة وحاولوا دفع هذه الحجة بمثل ما ذكره صاحب الكشاف والكلام على مثل هذا متقرر في مواطنه (وعلى سمعهم) أي مواضعه وانما وحد السمع مع جمع القلوب كما تقدم والابصار كما سيأتي لانه مصدر يقع على القليل والكثير ولو وحدة السمع وهو الصوت وانما خص هذه الاعضاء بالذكر لانها طرق العلم فالقلب محل وطريقه اما السماع والارؤية (وعلى أبصارهم غشاوة) الغشاوة الغطاء وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالغشاوة والعمامة ومنه غاشية السرج وهي غطاء النعالي عن آيات الله ودلائل توحيده قيل المراد بالختم والغشاوة ههنا هما المعنويان لا الحسيان ويكون الطبع والختم على القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار كما قاله جماعة قال تعالى فان يشاء الله يختم على قلبك وقال ختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة (والهم عذاب عظيم) يعني في الآخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبي والعذاب هو كل ما يؤلم الانسان وهو ما يؤخذ من الحبس والمنع يقال في اللغة أعذبه عن كذا حبسه ومنعه ومنه عذوبة الماء لانها حبست في الاناء حتى صفت وقيل هو الايجاع الشديد والعظيم نقيض الحقيق والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما أن الحقيق دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا (ومن الناس) جمع انسان أو اسم جمع لانسان قاله سيبويه والجمهور وأصله اناس وذهب الكسائي الى أنه اسم تام وقال سلمة كل من ناس واناس مادة مستقلة والفرق بين الجمع واسم الجمع ان اسم الجمع ما دل على ما فوق الاثنين ولم يكن على أوزان الجوع سواء كان له مفرد أو لا ويشترط فيه أيضا أن لا يفرق بينه وبين واحده بالتاء كتمر وتمر ولا

سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء سناما وان سنام القرآن البقرة وان من قرأها في بيته ليلة لم يدخله الشيطان ثلاث ليل ومن قرأها في بيته نهار لم يدخله شيطان ثلاثة أيام رواه أبو القاسم الطبراني وأبو حاتم بن حبان في صحيحه وابن مردويه من حديث الازرق بن علي حدثنا احسان بن ابراهيم حدثنا خالد بن سعيد المدني عن أبي حازم عن سهل به وعند ابن حبان خالد ابن سعيد المدني وقدر يروى الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الحميد بن جعفر عن سعيد المقبري عن عطاء مولى أبي أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل واحد منهم مائة من القرآن فأتى علي رجل من أحدتهم سنا فقال ما معك يا فلان فقال معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة قال نعم قال اذهب فانت أسيرهم فقال رجل من أسيرهم والله ما معني أن أعلم

(٨ - لفتح البيان) سورة البقرة الا اني خشيت ان لا أقوم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا القرآن واقرؤه فان مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جر اب محسوس كما يفوح ريحه في كل مكان ومثل من تعلمه فتركه وهو في جوفه كمثل جر اب أوكى على مسك هذا القطر رواية الترمذي ثم قال هذا حديث حسن ثم رواه من حديث الليث عن سعيد بن عطاء مولى أبي أحمد من سلافة الله أعلم قال البخاري وقال الليث حدثني زيد بن الهاد عن محمد بن ابراهيم عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده اذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرا بأجالت الفرس فسكت

فكنت ثم قرأ بحالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فاستحق ان نصيبه فلما أخذته رفع رأسه الى السماء حتى ما راها فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ يا ابن حنظل قال قد أسفقت يا رسول الله على يحيى وكان منها قريبا فرفعت رأسي وانصرفت اليه فرفعت رأسي الى السماء فاذا مثل القطلة فيها أنثال المصابيح فخرجت حتى لأراها قال وتدري ما ذاك قال لا قال تلك الملائكة ذنت لصوتك ولوقرات لاصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم وهذا كذا رواه الامام العالم أبو عبد القاسم ابن سلام في كتاب فضائل القرآن عن عبد الله (٥٨) بن صالح ويحيى بن بكير عن الليث بن وهيب وقد روى من وجه آخر عن أسيد

ابن حضير كما تقدم والله أعلم وقد وقع نحو من هذا الثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وذلك فيما رواه أبو عبيد حدثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم عن عمه جرير بن يزيد ان أشياخ أهل المدينة حدثوه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تر لداه الباردة ترهه مصابيح قال فله قرأ سورة البقرة قال فسأت ثابتا فقال قرأت سورة البقرة وهذا اسناد جيد الا ان فيه ابا مائة هو مرسل والله أعلم (ذكر ما ورد في فضلها مع آل عمران) قال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا بشر بن مهاجر حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعت يقول تعلقوا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطالة قال ثم سكنت ساعة ثم قال تعلقوا سورة البقرة وآل عمران فانهم سما الزهرا وان يظلان صاحبهم يوم القيامة كأنهم سما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف وان القرآن يليق صاحبه

بالأكرنج وزنجي فانه اسم جنس جمعي ويعرف باطراد تصغيره من غير رد الى المفرد وقد يراد باسم الجمع المجمع الوارد على خلاف القياس وهذا في عرف النحاة وأما أهل اللغة فاسم الجمع عندهم يسمى جمعا حقيقة ذكره الخفاجي سمي به لانه عهد اليه فنسي أولانه يستأنس بمثله ولا م التعريف فيه الجنس أو للعهد (من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) ذكر سبحانه في أول هذه السورة المؤمنين الخالص ثم ذكر بعدهم الكفرة الخالص ثم ذكر الباطن المنافقين في الآيات الثلاث عشرة وهم الذين لم يكونوا من إحدى الطائفتين بل صاروا فرقة ثالثة لأنهم وافقوا في الظاهر الطائفة الأولى وفي الباطن الطائفة الثانية ولذا نزل فيهم ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار قيل نزلت في عبد الله بن أبي ومعقب بن قشير وحدث بن قيس وأصحابهم والمراد باليوم الآخر الوقت الذي لا ينقطع بل هو دائم أبدا وهو يوم القيامة (وما هم بمؤمنين) نفي عنهم الايمان بالنسبة في جميع الأزمنة كما تصفده الجلالة الاسمية ففهم من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره (يخادعون الله) أي يخالفونه (والذين آمنوا) والخداع في أصل اللغة الفساد حكاه نعلب عن ابن الاعرابي وقيل أصله الاخفاء حكاه ابن فارس وغيره والمراد أنهم صنعوا صنع الخادعين وان كان العالم الذي لا يخفى عليه شيء لا يخدع وصنعة فاعل تفيد الاشتراك في أصل الفعل والمراد بالخادعة من الله انه لما أجرى عليهم أحكام الاسلام مع أنهم ليسوا منه شيء فكانت خادعهم بذلك كما خادعوه بإظهار الاسلام وابطان التكفر مشاكلة لما وقع منهم مما وقع منه والمراد بخادعة المؤمنين لهم هو أنهم أجرى عليهم ما أمرهم الله به من أحكام الاسلام وظاهرا وان كانوا يعلمون فساد بواطنهم كما أن المنافقين خادعوه بإظهار الاسلام وابطان التكفر وقيل يكون الخداع حسنا اذا كان الغرض منه استدراج الغير من الضلال الى الرشود ومن ذلك استدراج ابن التزويل على لسان الرسل في دعوة الامم قاله الطيبي والآية من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه حالهم في معاملتهم لله بحال الخادع مع صاحبه من حيث القبح أو من باب المجاز العقلي في النسبة الإيقاعية وأصل التركيب يخادعون رسول الله أو من باب التورية حيث ذكر معاملتهم لله بلفظ الخداع والمراد بقوله (وما يخادعون الا أنفسهم) الاشعار بأنهم لما خادعوا من لا يخدع كانوا مخادعين لان الخداع انما يكون مع من لا يعرف البواطن وأما من عرف البواطن فن دخل معه في الخداع فأغما يخدع نفسه وما يشعر

يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفني فيقول ما أعرفك فيقول أنا صاحبك القرآن الذي أظمتك في الهواجر وأسهرت ليلك وان كل تاجر من وراء تجارته وانك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك يمينه وانظروا بشماله ويضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والذاه جليلان لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان بما كسبنا هذا فيقال بأخذ ولدكم القرآن ثم يقال اقرأوا صعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلا وروى ابن ماجه من حديث بشر بن المهاجر بعضه وهذا اسناد حسن على شرط مسلم فان بشر هذا اخرج له مسلم ووثقه ابن معين وقال النسائي ما به باس الا ان الامام

أجد قال فيه هو منكر الحديث قد اعتبرت أحاديثه فإذا هي تأتي بالعجب وقال البخاري يخالف في بعض حديثه وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابن عدي روى ما لا يتابع عليه وقال الدارقطني ليس بالقوي (قلت) ولكن لبعضه شواهد فمن ذلك حديث أبي امامة الباهلي قال الامام أحمد حدثنا عبد الملك بن عمر حدثنا هشام عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام عن أبي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤوا القرآن فإنه شافع لأهله يوم القيامة اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهم ما ياتيان يوم القيامة كأنهم غمامتان أو كاهنهما غيايتان أو كاهنهما (٥٩) فرقان من طير صواف يحاجان عن أهلهم ما يوم

بذلك والمراد أنهم يمتونهم الاماني الباطلة وهي كذلك تنعيم والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل القلب والروح والدم والماء نفس والمراد بالنفس هنا ذواتهم أو قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم (وما يشعرون) أي لا يعلمون أن وبال خداعهم راجع عليهم قال أهل اللغة شعرت بالشيء فطنت قال في الكشف الشعور علم الشيء علم حس من الشعور ومشاعر الانسان حواسه وقيل الشعور ادراك الشيء من وجه يذوق ويحس من الشعور دقة والاول أولى قال ابن عباس أنهم المنافقون من الاوس والخزرج ومن كان على أمرهم عن ابن سيرين قال لم يكن عندهم شيء أخوف من هذه الآية (في قلوبهم مرض) المرض كل ما يخرج به الانسان عن جد الصحة من علة أو نفاق أو نقصير في أمر قاله ابن فارس وقيل هو الألم فيكون على هذا مستعار للفساد الذي في عقائدهم اما شكوا ونفاقا أو جحدا وتكديبا (فزادهم الله مرضا) أي كفر ونفاقا والمراد بزيادة المرض الاخبار بأنهم كذلك بما يتجدد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من النعم ويتكبر له من من الله الدينوية والدينية ويحتمل أن يكون دعاء عليهم بزيادة الشك وترادف الحسرة وفطر النفاق وفسر ابن عباس المرض بالشك والنفاق وقال ابن زيد هذا مرض في الدين وليس مرضا في الاجسام وقال عكرمة وطاوس المرض الرياء والقراء مجمعون على فتح الراء من مرض الأتباع وعرفانه قرأ بالسكون (ولهم عذاب) أي نكال (أليم) أي مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم قال ابن عباس كل شيء في القرآن أليم فهو الموضع انتهى ووصف به العذاب للمبالغة (بما كانوا يكذبون) أي يبدلون ويحرفون قاله ابن مسعود وقيل المعنى بتكذيبهم الله ورسوله في السر وقيل بكذبهم اذ قالوا آمنوا هم غير مؤمنين والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض) يعني المنافقين والقاتل لهم هو الله أو الرسول أو المؤمنون والمعنى لا تفسدوا بالنفاق وموالات الكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبالقرآن فانكم اذا فعلتم ذلك فسد ما في الارض بهلاك الابدان وخراب الديار وبطلان الذرائع وخراب العالم كما هو مشاهد عند ثوران الفتن وهجج الحروب والتنازع والفساد خروج الشيء عن الحالة الاثقة به والاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع (قالوا انما نحن مصلحون) يعني يقولونه كذبا وانما من أدوات القصر كما هو مبين في علم

أولئذان سوداوان بينهما شرق أو كأنهم فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما ورواه مسلم عن اسحاق بن منصور عن يزيد بن عبد ربه به والترمذي من حديث الوليد بن عبد الرحمن الجرشى به وقال حسن غريب وقال أبو عبيد حدثنا حجاج عن جاد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير قال قال حماد أحسبه عن أبي منيب عن عمه ان رجلا قرأ البقرة وآل عمران فلما قضى صلاته قال له كعب أقرأت البقرة وآل عمران قال نعم قال فوالذي نفسي بيده ان اسم الله الذي اذا دعيت به استجاب قال فاخبرني به قال لا والله لا أخبرك به ولو أخبرتك به لا وشكيت أن تدعوه بدعوة أهل فيها أن أتيت وحدثنا عبد الله بن صالح عن معاذ بن صالح

أولئذان سوداوان بينهما شرق أو كأنهم فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما ورواه مسلم عن اسحاق بن منصور عن يزيد بن عبد ربه به والترمذي من حديث الوليد بن عبد الرحمن الجرشى به وقال حسن غريب وقال أبو عبيد حدثنا حجاج عن جاد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير قال قال حماد أحسبه عن أبي منيب عن عمه ان رجلا قرأ البقرة وآل عمران فلما قضى صلاته قال له كعب أقرأت البقرة وآل عمران قال نعم قال فوالذي نفسي بيده ان اسم الله الذي اذا دعيت به استجاب قال فاخبرني به قال لا والله لا أخبرك به ولو أخبرتك به لا وشكيت أن تدعوه بدعوة أهل فيها أن أتيت وحدثنا عبد الله بن صالح عن معاذ بن صالح

ابن عامر انه سمع أبا امامة يقول ان أخاك لم أرى في المنام ان الناس يسلكون في صدع جبل وعرطويل وعلى رأس الجبل شجرتان خضران وان يهتقان هل فيكم قارئ يقرأ سورة البقرة وهل فيكم قارئ يقرأ سورة آل عمران قال فاذا قال الرجل نعم دنتا منه باعذا أقهما حتى يتعلق بهما فيخطر ان به الجبل وحده ثناء عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن أبي عمران انه سمع أم الدرداء تقول ان رجلا ممن قرأ القرآن أغار على جاره فقتله وانه أقسده فقتل فزال القرآن ينسل منه سورة سورة حتى بقيت البقرة وآل عمران جمعة ثم ان آل عمران انسلت منه وأقامت (٦٠) البقرة جمعة فقبل لها ما يبذل القول لدى وما أناب لظلام للعبيد قال فخرجت كأنها

السحابة العظيمة قال أبو عبيد آراه يعني انهما كانتا معه في قبره يدفعان عنه ويؤنسانه فكانتا من آخر ما بقي معه من القرآن وقال أيضا حدثنا أبو مسهر الغساني عن سعيد ابن عبد العزيز التنوخي ان يزيد بن الاسود الجرسى كان يحدث انه من قرأ البقرة وآل عمران في يوم برئ من النفاق حتى عسى ومن قرأهما في ليلة برئ من النفاق حتى يصبح قال فكان يقرأهما كل يوم وليلة سوى جزئه وحدثنا يزيد عن ورفاء ابن اياس عن سعيد بن جبير قال قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه من قرأ البقرة وآل عمران في ليلة كان أو كتب من القاتلين فيه انقطاع ولكن ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأهما في ركعة واحدة (ذكر ما ورد في فضل السبع الطوال) * قال أبو عبيد حدثنا هشام بن اسمعيل الدمشقي عن محمد بن شعيب عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي المليح عن واثله بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السبع مكان التوراة وأعطي المئين مكان الانجيل وأعطي المثاني مكان الزبور وفضلت بالمفضل هذا حديث غريب وسعيد بن أبي بشير فيه لين وقد رواه رؤساؤهم أبو عبيد عن عبد الله بن صالح عن الليث عن سعيد بن أبي هلال قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره والله أعلم ثم قال حدثنا اسمعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب عن حبيب بن هند الاسلمي عن عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أخذ السبع فهو خير وهذا أيضا غريب وحبيب بن هند بن اسماء بن هند بن حارثة الاسلمي وروي عنه عمرو بن عمرو وعبد الله بن أبي بكر وذكره أبو حاتم الرازي ولم يذكر فيه جرحا قال الله أعلم وقد رواه الإمام أحمد

المعاني والصالح ضد الفساد وهذا الجواب منهم رد للناسخ على أبلغ وجه لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض (ألا انهم هم المفسدون) في الارض بالكفر وهو أشد الفساد ردلا ادعوه أبلغ ردلا استئناف به وتصديره بجر في التأكيد والأخرى تنبيه ينبه بها المخاطب وهي المنبهة على تحقيق ما بعدها قال ابن مسعود الفساد ههنا الكفر والعمل بالعصية (ولكن لا يشعرون) وذلك لانهم يظنون ان ما هم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما أعد الله لهم من العذاب والاول أولى (وإذا قيل لهم) أي للمنافقين (آمنوا) نكحهم من وجهين أحدهما النهي عن الفساد وهو عبارة عن التخلي عن الرذائل وثانيهما الامر بالايان وهو عبارة عن التخلي بالفضائل فان كمال الايمان بجموع الامرين (كما آمن الناس) يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المهاجرين والانصار وقيل الناس عبد الله بن سلام وأصحابه ومصدرية أو كلفة واللام للعهد والجنس واستدل به على قبول توبة الزنديق وأن الاقرار باللسان ايمان (قالوا) أي أجابوا بأحق جواب وأبعد عن الحق والصواب (أنؤمن) كما آمن السفهاء أي الجهال الهمة للانكار واللام مشاربهم الى الناس أو للجنس بأسره وهم مندرجون فيه نسبوا الى المؤمنين السفه اسم تراء واستخفافا فتسببوا بذلك الى تسهيل الله عليهم بالسفه بأبلغ عبارة وآ كد قول وحصر كما قال تعالى (ألا انهم هم السفهاء) أي الجهال وأصل السفه والتفاهة رقة الخلو من فساد البصائر وخفاة العقول وخفة النهي وانما سمي الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند أنفسهم عقلاء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء ورد أبلغ رد في تجهيلهم (ولكن لا يعلمون) أنهم كذلك اما حقيقة أو مجازا تزيلا لاصرارهم على السفه منزلة عدم العلم وانما ذكر العلم هنا والشعور فيما قبل لانه أكثر طباقا بذكر السفه والتمييز بين الحق والباطل يفتقر الى نظرة وفكرة والنفاق يدركه بأدنى تفتن وتأمل من قولهم وفعلهم عن ابن عباس أنها نزلت في شأن اليهود (وادل القوا الذين آمنوا) أي المهاجرين والانصار ومعنى لقيه ولاقيته استقبلته قريبا (قالوا آمنا) كما يماثلكم (وإذا خلوا الى شياطينهم) أي رجعو اليهم قيل هو من الخلو وقيل الى بمعنى الباء وقيل بمعنى مع وخلوا بفلان واليه اذا انفردت معه أو من خلالاتهم أي مضى عنكم ومنه القرون الخالية أو من خلوت به اذا سخرت منه وعدى بالي لتضمين معنى الانتهاء والمراد بالشياطين

الانجيل وأعطي المثاني مكان الزبور وفضلت بالمفضل هذا حديث غريب وسعيد بن أبي بشير فيه لين وقد رواه رؤساؤهم أبو عبيد عن عبد الله بن صالح عن الليث عن سعيد بن أبي هلال قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره والله أعلم ثم قال حدثنا اسمعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب عن حبيب بن هند الاسلمي عن عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أخذ السبع فهو خير وهذا أيضا غريب وحبيب بن هند بن اسماء بن هند بن حارثة الاسلمي وروي عنه عمرو بن عمرو وعبد الله بن أبي بكر وذكره أبو حاتم الرازي ولم يذكر فيه جرحا قال الله أعلم وقد رواه الإمام أحمد

عن سليمان بن داود وحسين كلاهما عن اسمعيل بن جعفر بن وهب رواه أيضا عن أبي سعيد عن سليمان بن بلال عن حبيب بن طند عن عروة
 عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر قال أحمد وحدثنا حسين بن علي عن أبي
 الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله قال عبد الله بن أحمد وهذا آرى فيه عن أبيه عن الأعرج ولكن
 كذا كان في الكتاب فلا أدري أغفله أم لا وكذا هو مرسل وروى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
 بعثاؤهم ذو وعد و قد علم عليهم أحدثهم سنا لحفظه سورة البقرة ٦١ وقال له اذهب فأنت أميرهم وصححه

الترمذي ثم قال أبو عبيد حدثنا
 هشيم أنا أبو بشر عن سعيد بن جبير
 في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً
 من المثاني قال هي السبع الطوال
 البقرة وآل عمران والنساء والمائدة
 والانعام والاعراف ويونس قال
 وقال مجاهد هي السبع الطوال
 وهكذا قال مكحول وعطية بن قيس
 وأبو محمد الفارسي وشداد بن أوس
 ويحيى بن الحرث الدمري في تفسير
 الآية بذلك وفي تعدادها وإن
 يونس هي السابعة * (فصل) *
 والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف
 وهي من أوائل ما نزل بها لكن قوله
 تعالى فيها واتقوا يوماً ترجعون فيه
 إلى الله الآية يقال إنها آخر ما نزل
 من القرآن ويحتمل أن تكون منها
 وكذلك آيات الراب من آخر ما نزل وكان
 خالد بن معدان يسمي البقرة فسطاط
 القرآن قال بعض العلماء وهي
 مشتملة على ألف خبر وألف أمر
 وألف نهى وقال العادون آياتها
 مائة وستون وثمانون وسبع آيات وكلها
 ستة آلاف كلمة ومائة وستون واحد
 وعشرون كلمة وحر وفها خمسة
 وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرف
 قاله أعلم قال ابن جرير عن عطاء

رواؤهم وكنهتهم وقيل المراد بالشياطين المماتلون منهم الشياطين في التردد والعناد
 المظهرون لكفرهم أو كبار المنافقين والقائلون صغارهم (قالوا أنما علمكم) في الدين
 والاعتقاد أي أنما صابوكم في دينكم وموافقكم عليه (انما نحن مستزرون) أي بجمد
 صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بما نطهر لهم من الاسلام لتأمن من شرهم ونقف على
 سيرهم ونأخذ من غناهم تاكيد لما قبله أو يدل منه أو استئناف قال ابن عباس نزلت
 هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه والهرج السخرية واللعب والاستخفاف يقال
 هزأت واستهزأت بمعنى وأصله الخفة وهو القتل السريع وهزأهم زأماً فجاءتهم زأبه ناقته
 أي تسرع به وتخف والمراد درؤهم للاسلام ودفعهم للحق (الله يستزى بهم) أي ينزل بهم
 الهوان والحقارة ويتقم منهم ويستخف بهم اتصافاً منهم بعبادته المؤمنين وجزاء
 لاستهزائهم بهم فسمى الجزاء باسمه لانه في مقابلته وورد ذلك في القرآن كثيراً ومنه جزاء
 سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والجزاء لا يكون
 سيئة والقصاص لا يكون اعتداء لانه حق ومنه ومكروا ومكروا الله وانهم يكيدون كيدا
 وأكيد كيدا وتعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وهو في السنة كثير كقوله صلى الله
 عليه وآله وسلم إن الله لا يلحقني فئمة حتى تهلوا وانما قال الله يستزى بهم لانه يقيد التجدد وقتا بعد
 وقت وهو أشد عليهم وأكبر لقلوبهم وأوجع لهم من الاستهزاء الدائم الثابت المستفاد
 من الجمل الاسمية لانه يألفه ويوطن نفسه عليه قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة
 فإذا انتهوا إليه سد عنهم ووردوا إلى النار (ويذهبهم) أي يتركهم ويهلهم ويطل لهم المدة
 كما قال انما نزلهم ليزدادوا انما والمدة الزيادة قال يونس بن حبيب يقال مدني الشر وأمد
 في الخير ومنه وأمددناهم بآمال وبنين وأمددناهم بفاكهة وقال الاخفش مددت له اذا
 تركته وأمددته اذا أعطيته (في طغيانهم) أي في ضلالهم واصل الطغيان مجاوزة الحد
 ومنه انما طغى الماء والغلو في الكفر (يعمهمون) أي يترددون في الضلالة تمحيصاً والعمه
 والعامه الحائر المتردد والعمه في القلب كالعمى في العين قال في الكشف العمه مثل العمى
 الا ان العمى في البصر والرأى والعمه في الرأي خاصة انتهت فيهم ماعوم وخصوص
 مطلقاً (أو أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) يعني المنافقين استبدلوا الكفر بالايان
 وانما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعاً على سبيل الاستعارة فالشراء ههنا مستعار

عن ابن عباس نزلت بالمدنية سورة البقرة وقال خصيف عن مجاهد عن عبد الله بن الزبير قال نزلت بالمدنية سورة البقرة وقال
 الواقدي حدثني الفخائل بن عثمان عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال نزلت البقرة بالمدنية وهكذا قال غير
 واحد من الأئمة والعلماء والمفسرين ولا خلاف فيه وقال ابن جرير حدثنا محمد بن معمر حدثنا الحسن بن علي بن الوليد الفارسي
 حدثنا خلف بن هشام حدثنا عيسى بن ميمون عن موسى بن أنس بن مالك عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا
 بسورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذا القرآن كله ولكن قولوا الله عز وجل ولا تقولوا

عمران وكذا القرآن كله هذا حديث غريب لا يصح رفعه وعيسى بن ميمون هذا هو أبو سلمة الخواص وهو ضعيف الرواية لا يحتج به
 وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أنه روى الجرجاني عن يظن الوادي جعل البيت عن يساره ومضى عن يمينه ثم قال هذا مقام الذي أنزلت
 عليه سورة البقرة أخرجه وروى ابن مردويه من حديث شعبة عن عقيل بن طلحة عن عتبة بن مرثد قال رأى النبي صلى الله عليه
 وسلم في أحجابه تأخر انقال يا أصحاب سورة البقرة وأظن هذا كان يوم خيبر يوم ولوا مدبرين أمر العباس فناداهم يا أصحاب الشجرة
 يعني أهل بعة الرضوان وفي رواية يا أصحاب
 سورة البقرة لينشطهم بذلك فجعلوا يقولون من كل وجه وكذلك يوم

للاستبدال كقوله تعالى فاستجبوا للعمى على الهدى فاما ان يكون معنى الشراء المعاوضة
 كما هو أصل حقيقة فلا لان المنافقين لم يكونوا مؤمنين وما كانوا على الهدى فبدعوا
 ايمانهم والعرب قد تستعمل ذلك في كل من استبدل شيئاً بشئ آخر وأصل الضلالة الخيرة والخور
 عن القصد وفقد الاهتداء ويطلق على النسيان ومنه قوله تعالى فعلتم اذا واثنا من الضالين
 وعلى الهالك كقوله تعالى اذا ضللتنا في الارض والهدى التوجه الى القصد وقد استعبر
 الاول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه قال ابن عباس في الآية
 اشتروا الكفر بالايمان وقال مجاهد آمنوا ثم كفروا وقال قتادة قد والله رأى نوحهم خرجوا
 من الهدى الى الضلالة ومن الجماعة الى الفرقة ومن الايمان الى الخوف ومن السنة الى
 البدعة (فما ربحت تجارتهم) أى ما ربحوا في تجارتهم وأصل الربح الفضل عن رأس
 المال والتجارة صناعة التاجر وأسند الربح اليها على عادة العرب في قولهم ربح يبعك
 وخسرت صفقتك وهو من الاسناد المجازى وهو اسناد الفعل الى ملابس الفاعل كما هو
 مقرر في علم المعاني والمراد بجحوا وخبروا (وما كانوا مهتدين) أى مصيبين في تجارتهم
 لان رأس المال هو الايمان فلما أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقبيل
 في شرائهم الضلالة وقيل في سابق علم الله (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) المثل قول
 يشبه قولاً آخر بينهما مشابهة ليس أحدهما الآخر ويصوره ولهذا ضرب الله الامثال
 في كتابه وهو أحد أقسام القرآن السبعة ولما ذكر حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب
 المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ولان
 المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الايضاح
 وشروطه أن يكون قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه واستوقد بمعنى أوقد مثل استجاب بمعنى
 أجاب فالسين والتاء زائدان وو قد النار سطوعها وارتفاع لها (فلما أضاعت ماحولة)
 يعني النار والاضاءة فرطت النار فعملها يكون لازماً ومتعدياً (ذهب الله بنورهم) الذهاب
 زوال الشيء (وتركهم) أى ابقاهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلي (في ظلمات) جمع ظلمة
 والظلمة عدم النور (لا يصررون) هذا المثل للمنافقين لبيان ما يظهرونه من الايمان مع
 ما يطنونه من النفاق لا يثبت لهم به أحكام الاسلام كمثل المستوقد الذي اضاءت ناره ثم
 طفت فانه يعود الى الظلمة ولا تنفعه تلك الاضاءة اليسيرة فكان بقاء المستوقد في ظلمات

اليامة مع أصحاب مسيلة جعل
 العصابة يفررون لكثافة جيش بني
 حنيفة فجعل المهاجرون والانصار
 يتنادون يا أصحاب سورة البقرة حتى
 فتح الله عليهم رضى الله عن أصحاب
 رسول الله أجمعين

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) *
 قد اختلف المفسرون في الحروف
 المقطعة التي في أوائل السور فذهب
 من قال هي مما استأثر الله بعلمه
 فسر دواعيها الى الله ولم يفسرها
 حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر
 وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود
 رضى الله عنهم أجمعين وقاله عامر
 الشعبي وسفيان الثوري والربيع
 ابن خنيم واختاره أبو حاتم بن حبان
 ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في
 معناها فقال عبد الرحمن بن زيد بن
 أسلم انها هي أسماء السور قال
 العلامة أبو القاسم محمود بن عمر
 الزنجشيري في تفسيره وعليه طباق
 الاكثر ونقله عن سيبويه انه نص
 عليه ويعتضد لهذا بما ورد في
 الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في
 صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة

وهل أتى على الانسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه قال الم وحده والمص ووص فواتح اقتبح الله لا
 بها القرآن وكذا قال غيره عن مجاهد وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه انه قال الم اسم
 من أسماء القرآن وهكذا أو قال قتادة وزيد بن أسلم ولعل هذا يرجع الى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم انه اسم من أسماء السور
 فان كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فانه يعد ان يكون المص اسماً للقرآن كله لان المتبادر الى فهم سامع من يقول قرأت المص
 انما ذلك عبارة عن سورة الاعراف لا مجموع القرآن والله اعلم وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال الشعبي فواتح السور ومن

أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله واسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير وقال شعبه عن السدي بلغني ان ابن عباس قال
 الم اسم من أسماء الله الاعظم هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبه وزوايه ابن جرير عن ابن مهدي عن شعبه قال
 سألت السدي عن حم وطس والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الاعظم وقال ابن جرير وحديثنا محمد بن المنفي حديثنا أبو النعمان
 حديثنا شعبه عن اسمعيل السدي عن مرة الهمداني قال قال عبد الله فذكرنيوه وحكي مثله عن علي وابن عباس وقال علي بن أبي
 طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى ٦٣

لا ينصر كبقاء المنافق في حسنة وترده قال ابن عباس في الآية نزلت في المنافقين يقول
 مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مظارة فاستدفا ورأى ما حوله فأتى
 بما يخاف فيبناه وكذلك أطفئت ناره فبقى في ظلمة خائراً متخوفاً كذلك حال المنافقين
 أظهروا كلمة الايمان وأموأبها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وناكحوا المسلمين
 وقاسموهم في الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهب نورهم
 ظهروا عقيدتهم للمؤمنين على ائسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل في القبر أو على
 الصراط والاول اولى وانما وصفت هذه النار بالاضاءة مع كونها نار باطل لان الباطل
 كذلك يسطع لهيب ناره لحظة ثم تخفت ومنه قولهم للباطل صولة ثم يضمحل وقد تقرر عند
 علماء البلاغة ان لضرب الامثال شأناً عظيماً في ابراز خفيات المعاني ورفع أسرار محجبات
 الدقائق ولهذا استكثر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز وكان رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم يكثر من ذلك في مخاطباته ومواعظه قال ابن جرير وصح ضرب مثل الجماعة بالواحد
 كما قال رأيهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشي عليه من الموت وقال تعالى مثل
 الذين خلوا السوراة ثم لم يحملوها كمثل الجارية الحمل أسفاراً (صم) أي عن استماع الحق لانهم
 لا يسمونه وإذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسموه والصمم الاسداد (بكم) أي خرس عن النطق
 بالخير فهم لا يقولونه والابكم الذي لا ينطق ولا يفهم فإذا فهم فهو الآخر وقيل الابكم
 والآخر واحد (عمى) أي لا بصائر لهم يميزون بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن
 لا يبصر له فهو أعمى والعمى ذهب البصر كانت حواسهم سليمة ولكن لما استدوا عن سماع
 الحق آذانهم وأبوا ان تنطق به ألسنتهم وان ينظروا باليد بعيونهم جعلوا كمن تعطلت
 حواسه وذهب أدراكه كما قال الشاعر

صم اذا سمعوا خيراً ذكرت به * وان ذكرت بسوء كلهم آذن

(فهم لا يرجعون) أي عن ضلالهم ونفاقهم (أو كصيب من السماء) أو حرف الشك لقصده
 التخيير بين المثلين أي مثلوهم بهذا وهذا وهي وإن كانت في الاصل للشك فقد توسع فيها
 حتى صارت لمجرد التساوي من غير شك وقال القراء وغيرهم انما يعني الواو والصبب المطر
 واشتقاقه من صاب يصوب اذا نزل وكل ما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب والسماء
 في الاصل كل ما علاه فاطلك ومنه قيل لسقف البيت سماء والسماء أيضاً المطر سمي بها

الله والالف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة هذا اللفظ ابن أبي حاتم ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من هذه
 الاقوال ويوفق بينها وانه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وان الجمع ممكن فهذه أسماء السور ومن أسماء الله تعالى يقتض
 بها السور فكل حرف منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته كما افتتح سورة كثيرة بحمده وتسميته وتعظيمه قال ولا مانع
 من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالسة لان
 الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الامه فانها تطلق ويراد بها الدين كقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على أمة ونطق ويراد

عليه عن خالد الخذاء عن عكرمة أنه
 قال الم قسم وروياً أيضاً من حديث
 شريك بن عبد الله عن عطاء بن
 السائب عن أبي النخعي عن ابن
 عباس الم قال أنا الله أعلم وكذا قال
 سعيد بن جبير وقال السدي عن
 أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن
 عباس وعن مرة الهمداني عن
 ابن مسعود وعن ناس من أصحاب
 النبي صلى الله عليه وسلم الم قال
 أما الم فهي حروف استفتحت من
 حروف هجاء أسماء الله تعالى وقال
 أبو جعفر الرازي عن الربيع بن
 أنس عن أبي العالسة في قوله تعالى
 الم قال هذه الاحرف الثلاثة من
 التسعة والعشرين حرفاً دارت فيها
 الاسن كلها ليس منها حرف الا وهو
 مفتاح اسم من أسمائه وليس منها
 حرف الا وهو من آلائه وبلائه
 وليس منها حرف الا وهو في مدة
 أقوام وآجالهم قال عيسى بن مريم
 عليه السلام وعجب فقال اعجب انهم
 ينطقون باسماءه ويعيشون في رزقه
 فكيف يكفرون به فالالف مفتاح
 اسم الله واللام مفتاح اسمه لطيف
 والميم مفتاح اسمه مجيد فالآل
 آلاء الله واللام لطف الله والميم مجد

به الرجل المطيع لله كقوله تعالى ان اراهم كان امة فاسأله حتى ما لم يك من المشركين وتطلق ويراد بها الجماعة فهو له تعالى واحد
عليه امة من الناس يسقون وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا وتطلق ويراد بها الخلق من البشر كقوله تعالى وقال الذي ينجا
منهما واذكر بعد امة أي بعد جن على أصح القولين قال فكذلك هذا إذا حصل كلامه موجها ولكن عند اليس كذا كره أبو
العالية فان أبا العالية زعم ان الحرف دل على خدا وعلى خدا وعلى هذا معا ولقلة الامه وما اشبهها من الالفاظ المشتركة في الاصطلاح
اتسادل في القرآن في كل موطن على ٦٤ معنى واحد دل عليه سياق الكلام فاما حمله على مجموع محامله اذا أمكن فمسئله

لتزوله منها واطلاق السماء على المطر واقع كثير في كلام العرب وقيل من السماء بعينها
وانما ذكر الله تعالى من السماء وان كان المطر لا ينزل الا من الله ليرد على من زعم ان المطر
ينعقد من اجرة الارض فباطل مذهب الحكماء بقوله من السماء يعلم ان المطر منها لا كما هو
زعمهم الباطل (فيه ظلمات) أي في الصيب وبه قال جمهور المفسرين وقال السيوطي
في السحاب وهو خلاف ظاهر نظم الآية وقيل في معنى مع وانما جمع الظلمات اشارة الى انه
انضم الى ظلمة الليل ظلمة الغيم والمطر (ورعد) اسم لصوت الملك الذي يجر السحاب وقد
أخرج الترمذي من حديث ابن عباس قال سألت اليهود النبي صلى الله عليه وآله وسلم
عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة يده مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث يشاء
الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجر السحاب اذا زجره حتى ينتهي الى حيث
أمره قالت صدقت الحديث بطوله وفي استاده مقال وعلى هذا التفسير أكثر العلماء وقيل
هو اضطراب أجرام السحاب عند نزول المطر منها والى هذا ذهب جمع من المفسرين تبعوا
للفلاسفة وبهذه المتكلمين وقيل غير ذلك قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب
والبرق لمعان سوطه من نور يجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يجر السحاب اذا
تددت جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فيسمى البرق (وبرق) النار التي
تخرج منه أي مخراق بيد الملك الذي يسوق السحاب واليه ذهب كثير من الصحابة وجمهور
علماء الشريعة الحديث السابق وقال بعض المفسرين تبعوا للفلاسفة ان البرق ما يتقدح
من اصطكاك أجرام السحاب المتراكمة من الاجرة المتعديبة المشتملة على جرة نار يلهب
عند الاصطكاك (يجعلون) أي أصحاب الصيب (أصابهم في اذانهم من الصواعق)
اطلاق الاصابع على بعضها مجاز مشهور والعلاقة الجزئية والكلية لان الذي يجعل في
الاذن انما هو رأس الاصبع لا كما هو الصواعق ويقال الصواعق هي قطعة نار تنفصل
من مخراق الملك الذي يجر السحاب عند غضبه وشدة ضربه لها ويدل على ذلك حديث
ابن عباس المذكور قريبا وبه قال كثير من علماء الشريعة ومنهم من قال انها نار تخرج
من فم الملك وقال الخليل هي الوقعة الشديدة من صوت الرعد يكون معها أحيانا قطعة
نار تحرق ما أتت عليه وقال أبو زيد الصاعقة نار تسقط من السماء في رعد شديد وقال
بعض المفسرين تبعوا للفلاسفة ومن قال بقوله هم انها نار لطيفة تتقدح من السحاب اذا

تختلف فيها بين علماء الاصول ليس
هذا موضع البحث فيها والله أعلم ثم
ان لفظة الامه تدل على كل من
معانيها في سياق الكلام بدلالة
الوضع فاما دلالة الحرف الواحد
على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر
من غير أن يكون أحدهما أولى من
الآخر في التقدير أو الاضمار بوضع
ولا بغيره فهذا مما لا يفهم الا
بتوقيف والمسئلة مختلف فيها وليس
فيها إجماع حتى يحكم به وما أنشده
من الشواهد على صحة اطلاق
الحرف الواحد على بقية الكلمة
فان في السياق ما يدل على ما
حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر
فلنأقني لنأفقات قاف

لا تحسبي اننا سينا الايجاف
نعني وقفت وقال الآخر
ما للظلم عال كيف لا يا
ينقد عنه جلده اذا يا
فقال ابن جرير كأنه أراد أن يقول
اذا يفعل كذا وكذا فاكتفى بالياء
من يفعل وقال الآخر
بان خير خيرات وان شرافا
ولا أريد النشر الا ان انا
يقول وان شرافا شروا ولا أريد النشر

الا ان تشافا كتنى بالقاء والفاء من الكلمتين عن بقیته ما ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم
قال القرطبي وفي الحديث من اعان على قتل مسلم بشطر كلمة الحديث قال سفيان هو ان يقول في اقل اق وقال خفيف عن
مجاهد انه قال فواتح السور كلها قوص وحهم وطمم والرو غير ذلك هي اعم موضوع وقال بعض أهل العربية هي حروف من حروف
المعجم استغنى به كرماد كرمها في أوائل السور عن ذكر مواقعها التي هي تبة الثمانية والعشرين حرفا كما يقول القائل اني يكتب
في ا ب ت ث أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغنى به عن بعضها عن مجموعها حكاه ابن جرير قلت مجموع الحروف

المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفاً وهي ال م ص ر ل ه ي ع ط س ح ق ن يجمعها قولك نص حكيم قاطع لاسروهي نصف الحروف عدداً والمذكور منها أشرف من المتروك ويان ذلك من صناعة التصريف قال الزنجشري وهذه الحروف الأربعة عشر مستقلة على أصناف أجناس الحروف يعني من المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقة وقد سردناها مفصلة ثم قال فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وهذه الأجناس العديدة مذكورة بالمذكورة منها (٦٥) وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كلمة

ومن ههنا لخص بعضهم في هذا المقام كلاماً فقال لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثاً ولا سدى ومن قال من الجهلة أن في القرآن ما هو تبعيد لا معنى له بالكلمة فقد أخطأ خطأ كبيراً فاعتين أن لها معنى في نفس الأمر فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به والا وقفنا حيث وقفنا وقلنا آتينا به كل من عند ربنا ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا فن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه والا فالوقف حتى يتبين هذا مقام المقام الآخر في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكاه ابن جرير وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاستماع اسمع المشركون إذ نواصوا بالاعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلاع عليهم المؤلف منه حكاه ابن جرير أيضاً وهو ضعيف

اصطكت أجزامها وسيأتى في سورة الرعد أن شاء الله تعالى في تفسير الرعد والبرق والصواعق ما له مزيد فائدة وإيضاح وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقبلنا بغضبك ولا تهلكنا بعداً بك وعافنا قبل ذلك أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (حذر الموت) أي مخافة الهلاك والموت ضد الحياة (والله محيط بالكافرين) أي عالم بحالهم وقيل يجمعهم ويعذبهم والاحاطة الأخذ من جميع الجهات حتى لا يفوت الحاط به بوجه من الوجوه (يكاد البرق) أي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل (يخطف أبصارهم) أي يختلسها ويخطف استلاب الشيء والأخذ بسرعة (كلما أضاء لهم) يعني البرق (مشوا فيه) أي في إضاءته ونوره (وإذا أظلم عليهم فأسوا) أي وقفوا متحيرين (ولو شاء الله لذهب بسهمهم) أي بصوت الرعد (وأبصارهم) بوميض البرق (إن الله على كل شيء قدير) أي هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه والآية على عمومها بلا استثناء وفيه دليل على أن الحادث حال حدوثه والممكن حال بقاءه مقدوران لا كإعزم المعتزلة من أن الاستطاعة قبل الفعل وهذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين والمنافقون أصناف منهم من يظهر الإسلام ويبطن الكفر ومنهم من قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه واحدة منهن كان فيه خصله من النفاق حتى يدعها من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان وورد بلفظ أربع وزاد وإذا خاصم فجر وورد بلفظ إذا عاهد غدر وقد ذكر ابن جرير ومن تبعه من المفسرين أن هذين المثنيين لصف واحد من المنافقين (يا أيها الناس) لم يقع النداء في القرآن بغير ما من الأدوات والنداء في الأصل طلب الأقبال والمراد به هنا التنبيه وأي معنى على الضم في محل نصب والناس نعت لأي على اللفظ وحر كته أعرابية وحر كته أي بناءية واستشكل رفع التابع مع عدم عامل الرفع والنداء على سبع مرآت بنداء مدح كقولها يا أيها النبي ويا أيها الرسول ونداء ذم كقولها يا أيها الذين هادوا ويا أيها الذين كفروا ونداء تنبيه كقولها يا أيها الإنسان يا أيها الناس ونداء إضافة كقولها يا عبادي ونداء نسبة كقولها يا بني آدم يا بني إسرائيل ونداء تسمية كقولها يا داود يا إبراهيم ونداء تضيف كقولها يا أهل الكتاب قاله الكرخي قال ابن عباس يا أيها الناس خطاب لاهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين والحق أن ما قاله ابن عباس أكثرى لا كلّي فان

(٩ - فتح البيان) أيضاً لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور لا يكون في بعضها بل غالبها ليس كذلك ولو كان كذلك أيضاً لا ينبغي الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدينتان ليستا خطاباً للمشرّكين فانتقض ما ذكره به هذه الوجوه وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لا بحجاز القرآن وإن الخلق عاجزون عن معارضته بمثل هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجميع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا

ورفعه الزنجشري في كشافه ونصره ثم نصره اليه ذهب الشيخ الامام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزني وحكماه عن ابن تيمية قال الزنجشري ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيث كما كررت قصص كثيرة وكررت التحدي بالصرح في أما كن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله ص ن ق و حرفين مثل حم وثلاثة مثل الم وأربعة مثل الروالمص وخمسة مثل كييعص وجعسق لان أساليب كلامهم على هذا من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة (٦٦) وعلى أربعة وعلى خمسة لأكثر من ذلك قلت ولماذا كل سورة افتتحت

بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الاتصاف للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدره مخرج منه الكتاب أنزلناه اليك لنخرج الناس من الظلمات الى النور ياذن ربهم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين حم تنزيل من الرحمن الرحيم جعسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله عزيز الحكيم وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب اليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم وأما من زعم انه نادى على معرفة المدد وانه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته وهو ما رواه محمد بن اسحق بن يسار صاحب المغازي حدثني الكلبي عن

البقرة والنساء والجرات نديان وفاو قد كان في كل منها يا أيها الناس (اعبدوا ربكم الذي خلقكم) قال ابن عباس وحيد واو كل ما ورد في القرآن من العبادة قيل معناه التوحيد وأصل العبادة غاية التذلل وقد تقدم تفسيرها والمعنى ابتدع خلقكم من غير مثال سبق وانما خص نعمة الخلق وامتن بها عليهم لان جميع النعم مترتبة عليها وهي أصلها الذي لا يوجد شيء منها بدونها وأيضا قال الكفار يقرون بان الله هو الخالق ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فامتن عليهم بما يعترفون به فلا ينكرونه وفي أصل معنى الخلق وجهان أحدهما التقدير يقال خلقت الادم السقاء اذا قدرته قبل القطع الثاني الانشاء والاختراع والابداع (والذين من قبلكم) بالذات أو الزمان أي وخلقهم (لعلكم تتقون) ولعل أصلها التبرج والطمع والتوقع والاشفاق وذلك مستحيل على الله تعالى ولكنه لما كان في المخاطبة منه للبشر كان بمنزلة قوله لهم افعلوا ذلك على الرجاء منكم والطمع وبهذا قال جماعة من أهل العربية منهم سيبويه وقيل بمعنى لام كي أي استقروا بهذا قال جماعة منهم قطرب والطبري وقيل انها بمعنى التعرض للشيء كأنه قال متعرضين للتقوى والله مال أبو البقاء وغيره (الذي جعل لكم الأرض فراشا) أي خلق لكم الأرض بساطا ووطاء مذلة ولم يجعلها حرنه لا يمكن القرار عليها والحزن ما غلب من الأرض وجعل هنا بمعنى صير وطاء بمعنى صار وطفق وأترجدوا التصير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد أخرى والفرش وطاء يستقرون عليها واستدل بها أكثر المفسرين على ان شكل الأرض بساط ليس بكري (والسماء بناء) أي سقفا مرفوعا قيل اذا تأمل الانسان المتفكر في العالم وجدته كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض مفروشة كالسباط والتجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت وفيه ضرور النبات المهيأة لمنافعه وأصناف الحيوان مصروفة في مصالحه فيجب على الانسان المستخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد وقيل جمع سموات والبناء مصدر سمي به المبنى بيتا كان أو قبة أو خباء وأصل البناء وضع لبنه على أخرى فجعل السماء كالقبة المضروبة عليهم والسقف البيت الذي يسكنونه كما قال وجعلنا السماء سقفا محفوظا (وأنازل من السماء) يعني السحاب (ماء) يعني المطر (فاخرج به) أي بذلك الماء (من الثمرات) جمع ثمرة (رزقناكم) والمعنى أخرنا لكم أو انا من الثمرات وأنواعا من النبات ليكون ذلك

أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه حتى بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فقال أتت سمعته قال نعم قال فثنى حتى بن أخطب في أولئك النفر من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أليد تكر أنك تتلو فيما أنزل الله عليك الم ذلك الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا لاجل هذا اجبريل من عند الله فقال نعم قالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه من لنى منهم

ما مدة ملككم وما أجل أمته غيرك فقام حي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال اسم الآلة واحدة واللام ثلاثون وأسم
أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفتدخلون في ديني انما مدة ملككم وأجل أمته إحدى وسبعون سنة ثم أقبل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هل مع هذا غيره فقال نعم قال ماذا قال المص قال هذا أثقل وأطول الآلة واحد واللام ثلاثون
والميم أربعون والصاد تسعون فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة هل مع هذا اسم غيره قال نعم قال ماذا قال الر قال هذا أثقل
وأطول الآلة واحدة واللام ثلاثون والرءاء ستان فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة فهل مع هذا اسم غيره قال نعم قال ماذا قال الر
قال هذا أثقل وأطول الآلة واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والرءاء ستان (٦٧) فهذه إحدى وسبعون ومائة سنة ثم قال لقد

ليس علينا أمر لنا يا محمد حتى ما ندري
أقبل لا أعطيت أم كثير ثم قال قرمرا
عنه ثم قال أبو ياسر لا يخيه حي بن
أخطب ولمن معه من الأخبار
ما يدريكم لعل قد جمع هذا الحمد كله
إحدى وسبعون وأحدى وثلاثون
ومائة وأحدى وثلاثون ومائة ستان
وأحدى وسبعون ومائة ستان فذلك
سبع مائة وأربع سنين فقالوا لقد
تشابه علينا أمره فزعزعون ان هؤلاء
الآيات نزلات فيهم هو الذي أنزل
عليك الكتاب منه آيات محكمات هن
أم الكتاب وأخر متشابهات فهذه
الحديث مداره على محمد بن السائب
الكافي وهو ممن لا يمتنع بما انفرد
به ثم كان مقتضى هذا المسالك ان كان
صحيحا ان يحسب بالكل حرف من
الحروف الاربعة عشر التي ذكرناها
وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وان
حسبت مع التكرار فاطم وأعظم
والله أعلم (ذلك الكتاب لاريد
فيه هدى للمستقين) قال ابن
جرير قال ابن عباس ذلك الكتاب
أي هذا الكتاب وكذا قال مجاهد
وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي
ومقاتل بن حبان وزيد بن أسلم وابن

مستاعا لكم وعلما بالو ابيكم الى حين وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بالاسباب ومراكم
أندع نفوس الاسباب والمواد ولكن لفي الانشاء مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم
يجد فيها الاولى الاشارة عبر اوسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة (فلا تتعجلوا
لله أشأدا) جمع نذر وهو المثل والنظير وفي جعله جمع نذر (وأنتم تعلمون) بعة ولكم ان
هذه الاشياء والامثال لا يصح جعلها انداد الله وانه واحد خالق لجميع الاشياء وانه لا مثل له
ولانه ولا ضد وفي الآية دليل على وجوب استعمال الحجج وترك التقليد وأخرج ابن أبي
شيبه وأحمد والبخاري في الادب المفرد والنسائي وابن ماجه وأبو نعيم في الحلية عن ابن
عباس قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما شاء الله وشئت قال جعلته لله ندا
ما شاء الله وحده وأخرج ابن أبي شيبه وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي عن
حديثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان قولوا
ما شاء الله ثم شاء فلان وأخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله أي
الذنب أعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك (وان كنتم في ريب) أي شك (٢) لان الله أعلم
بانهم شاكون (عمارنا على عبدا) أي القرآن أنزله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وفيه التفات من الغيبة الى التكميل للتخيم لان قبله اعبدوا ربكم فكان حق المقام ان يقول
عمارنا على عبده والعبد ما خوذ من التعبد وهو التذلل وعبدا اضافة تشريف لمحمد صلى
الله عليه وآله وسلم والتنزيل التدرج والتخيم (فالوا بسورة) أي من سورة والسورة
الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص سميت بذلك لانها شتمته على كلماتها كاشف
سور البلدة عليها أو قل ما تألف منه السورة ثلاث آيات استدلل به من قال انه يتعلق الاعجاز
باقل من سورة ورد به على من قال من المعتزلة بانه يتعلق بجميع القرآن (من مثله) الضمير
عائد على القرآن عند جهو رأي أهل العلم وقيل على التوراة والانجيل لان المعنى انها تصدق
ما فيه وقيل يعود على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى من بشر مثل محمد صلى الله عليه
وآله وسلم أي لا يكتب ولا يقرأ والاول أوجه واولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر
الآيات الواردة في التحدي وانما وقع الكلام في المنزل لافي المنزل عليه (وادعوا شهداءكم)
جمع شهود بمعنى الحاضرا والقائم بالشهادة أو المعاون والمراد هنا الآلهة أي استعينوا
بالهتكم التي تعبدونها (من دون الله) وقيل المعنى وادعوا ناسا يشهدون لكم ومعنى

جرير ان ذلك بمعنى هذا والعرب تعارض بين اسمي الاشارة فيستعملون كلاهما مكان الآخر وهذا معروف في كلامهم وقد
حكاه البخاري عن معمر بن المثنى عن أبي عبيدة وقال الرخصي ذلك اشارة الى الم كما قال تعالى لا فارض ولا بكرعوان بين ذلك وقال
تعالى ذلكم حكم الله يحكم بينكم وقال ذلكم الله وأما شير به الى ما تقدم ذكره والله أعلم وقد ذهب بعض المفسرين
فما حكاه القرطبي وغيره ان ذلك اشارة الى القرآن الذي وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بانزاله عليه أو التوراة والانجيل أو نحو
ذلك في أقوال عشرة وقد ضعف هذا المذهب كثيرون والله أعلم والكتاب القرآن ومن قال ان المراد بذلك الكتاب الاشارة الى

التوراة والانجيل كما سلكه ابن جرير وغيره فقد أبعد النجعة وأغرق في التزع وتكلف ما لا علم له به والرب الشك قال السدي عن
 أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لا ريب فيه لا شك فيه وقال أبو الدرداء وابن عباس وجها وسعيد بن جبيرة وأبو مالك ونافع مولى ابن عمر وعطاء أبو العالية والربيع
 ابن أنس ومثنى بن حبان والسدي وقتادة واستعمل بن أبي خالد وقال ابن أبي حاتم لا أعلم في هذا خلافا وقد يستعمل الرب
 في التهمة قال جميل ببينة قالت يا جميل (٦٨) أربني فقلت كذا نياشين مريب واستعمل أيضا في الحاجة كما قال بعضهم
 قضي من تهامة كل ريب

دون ادنى مكان من الشيء واتسع فيه حتى استعمل في تحطى شيء إلى شيء آخر ومنه ما في هذه
 الآية وله معان أخر منها التقصير عن الغاية والحقارة والعرب تقول هذا دون ذلك أي أقرب
 منه (ان كنتم صادقين) فيما قلتم انكم تقدر على المعارضة وهذا تعجزا لهم وبين
 لا نقطاعهم أو ان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقوله من تلقاء نفسه والاول أولى والصدق
 خلاف الكذب وهو مطابقة الخبر للواقع أو للاعتقاد وله معان على الخلاف المعروف في
 علم المعاني (فان لم تفعلوا) فيما مضى (ولم تفعلوا) ذلك فيما يأتي وتبين لكم عجزكم عن
 المعارضة وذلك ان النفوس الآية اذا قرعت بمثل هذا التقرير استغرقت الوسع في
 الايمان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه ولو قدر واعي ذلك لا يوابه خفيت لم يأتوا بشيء ظهرت
 المعجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبان عجزهم وهم أهل الفصاحة والبلاغة والقرآن من
 جنس كلامهم وكانوا أحرصا على اطفاء نوره وابطال أمره ثم مع هذا الحرص الشديد لم
 توجد المعارضة من أحدهم ورضوا بسبي الذراري وأخذوا الأموال والقتل واذا ظهر
 عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واذا كان الامر كذلك
 وجب ترك العناد وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها لانهم لم تقع المعارضة
 من أحد من الكفرة في أيام النبوة وفيما بعد دهاوا إلى الآن وقد كره الله سبحانه تحدى
 الكفار لهذا في مواضع من القرآن منها هذا ومنها قوله تعالى في سورة القصص قل فأتوا
 بكتاب من عند الله هو أدنى من هذا ان كنتم صادقين وقال في سورة سبحان قل لئن
 اجتمع الناس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
 ظهير أو قال في سورة هود أم يقولون اقتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من
 استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وقال في سورة يونس أم يقولون اقتراء قل فأتوا
 بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وقد وقع الخلاف بين أهل
 العلم هل وجه الاجاز في القرآن هو كونه في الرتبة العلمية من البلاغة الخارجة عن طوق
 البشر أو كان العجز عن المعارضة الصرفة من الله سبحانه لهم عن أن يعارضوه والحق الاول
 فان القرآن يأتي تارقا بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمعنى ودوانه
 فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه أوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحدث
 العرب به فحجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بنضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة

وخبر ثم أجمعنا السيوطا
 ومعنى الكلام هنا ان هذا الكتاب
 هو القرآن لا شك فيه انه نزل من عند
 الله كما قال تعالى في السجدة الم
 تنزل الكتاب لا ريب فيه من رب
 العالمين وقال بعضهم هذا خبر
 ومعناه التمسى أي لا تزلوا فيه
 ومن القراء من ينف على قوله تعالى
 لا ريب ويبتدئ بقوله تعالى فيه
 هدى للمتقين والوقف على قوله
 تعالى لا ريب فيه أولى الآية التي
 ذكرها ولا يصبر قوله تعالى هدى
 صفة للقرآن وذلك أبلغ من كون فيه
 هدى وهدى يحتمل من حيث
 انعريية ان يكون مرفوعا على
 النعت ومنصوبا على الحال وخصت
 الهداية للمتقين كما قال قل هو للذين
 آمنوا هدى وشفاء والذين
 لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم
 عمى أولئك ينادون من مكان بعيد
 وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
 لله ومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
 الى غير ذلك من الآيات الدالة على
 اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن
 لانه هو في نفسه هدى ولكن لا يناله

الا ابرار كما قال تعالى يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وقد قال السدي حتى
 عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 هدى للمتقين يعني نور للمتقين وقال أبو روق عن النعمان عن ابن عباس قال هدى للمتقين قال هم المؤمنون الذين يتقون الشر لربهم
 ويعملون بطاعتي وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس للمتقين
 قال الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به وقال سفيان الثوري

عن رجل عن الحسن البصري قوله تعالى للمتقين قال اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض عليهم وقال أبو بكر بن عياش سألني
الاعمش عن المتقين قال فاجبته فقال لي سئل عنها الكلي فبألتسه فقال الذين يجتنبون بكائرا لا ثم قال فرجعت الى الاعمش فقال
يرى انه كذلك ولم يسكره وقال قتادة للمتقين هم الذين نعتهم الله بقوله الذين يؤمنون بالغيب ويقومون الصلاة الآتية والتي بعدها
واختيار ابن جرير ان الآية تعم ذلك كله وهو كما قال وقدرى الترمذى وابن ماجه من رواية أبي عقيل عبد الله بن عقيل عن
عبد الله بن يزيد عن ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس عن عطية السعدى قال قال (٦٩) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد

أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا
بأس به حذرا مما به بأس ثم قال
الترمذى حسن غريب وقال ابن
أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله
ابن عمران عن اسحق بن سليمان
يعنى الرازى عن المغيرة بن مسلم
عن ميمون أبي حنيفة قال كنت
جالسا عند أبي وائل فدخل علينا
رجل يقال له أبو عفيف من أصحاب
معاذ فقال له شقيق بن سلمة يا أبا
عفيف ألا تتحدثنا عن معاذ بن جبل
قال بلى سمعته يقول يحبس الناس
يوم القيامة في بقيع واحد فينادى
مناد أين المتقون فيقومون في
كنف من الرحمن لا يحتجب الله
منهم ولا يستتر قلت من المتقون قال
قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان
وأخلصوا لله العبادة فيمرون الى
الجنة ويطلق الهدى ويراد به
ما يقترى القلب من الايمان وهذا
لا يقدر على خلقه في قلوب العباد
الا الله عز وجل قال الله تعالى انك
لا تهدى من أحببت وقال ليس
عليك هداهم وقال من يضل الله
فلا هادى له وقال من يهد الله
فهو المهتد ومن يضل فلن تجده

حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القرآن ان له لطلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لمغدق
وان أعلاه لمقروا والذكر في هذا مبسوط في مواطنه (فاتقوا النار) بالايمان بالله وكتبه
ورسله والقيام بفرائضه واجتناب مناهيه وقيل المعنى فاتحترزوا من انكار كونه منزلا من
عند الله فانه مستوجب للعقاب بالنار (التي وقودها الناس والحجارة) أى حطبها والوقود
بالفتح الحطب وبالضم التوقد وقيل كل من الفتح والضم يجرى في الآلة والمصدر والمراد
بالحجارة الاصنام التي كانوا يعبدونها لانهم قرئوا أنفسهم بها في الدنيا فجعلت وقود النار
معهم ويدل على هذا قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل المراد
بها حجارة الكبريت لانها أكثر التراب قاله ابن عباس وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على
عظم تلك النار وقوتها وفي هذا من التحويل ما لا يتبادر قدره من كون هذه النار تقدر
بالناس والحجارة فاوقدت بنفس ما يراد احراقها (أعدت للكافرين) أى لمن كان مثل
ما انتم عليه من الكفر قاله ابن عباس والمعنى جعلت عدة لعذابهم وهيئت لذلك وأخرج
ابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان عن أنس قال تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
هذه الآية وقودها الناس والحجارة قال أوقد عاينها ألف عام حتى اجرت وألف عام حتى
ابيضت وألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يظن ألها بها وأخرج ابن أبي شيبة
والترمذى وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعا مشددا وأخرج أحمد ومالك
والبخارى ومسلم عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال نار بنى آدم التي
يوقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية قال فانما قد
فضلت عاينها بتسعة وستين جزأ كلهن مثل حترها عن أبي هريرة قال أنزله اجراء مثل ناركم
هذه التي توقدون انها أشد سوادا من القار والآية ذات على انها مخلوقة الا ان اذا اخبر
عن اعدادها بلفظ الماضى دليل على وجودها والالزم الكذب في خبر الله تعالى فإزعمته
المعترضة من أنها تخلق يوم الجزاء مردود وتأويلهم بأنه يعبر عن المستقبل بالماضى لتحقيق
الوقوع ومثله كثير في القرآن مدفوع بأنه خلاف الظاهر ولا يصار اليه الا بقرينة
والاحاديث الصحيحة المتقدمة تدفعه (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لما ذكرته الى
جزء الكافرين عقبه بجزء المؤمنين ليجمع بين الترييب والترهيب والوعود والوعيد كما هي
عادته سبحانه وتعالى في كتابه العزيز لما في ذلك من تشييع عبادة المؤمنين لطاعته وتبسيط

ولما مرشدا الى غير ذلك من الآيات ويطلق ويراد به بيان الحق وتوضيحه والدلالة عليه والارشاد اليه قال الله تعالى وانك لنهدى
الى صراط مستقيم وقال اما أنت منذر ولكل قوم هاد وقال تعالى وأما نودى فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى وقال
وهديناه النجدين على تفسير من قال المراد بهما الخير والشر وهو الارح والله أعلم وأصل التقوى التوقى مما يكره لان أصلها
وقوى من الوقاية قال النابغة
سقط النصف ولم ترد اسقاطه * فساو لته واتقنا باليد وقال الاخر
فالتقنا عاودنه الشمس واتقت * باحسن موصولين كف ومعصم وقد قيل ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل أبي بن

كعب عن النعمان فقال له أما سلكت طريقا ذاك قال بلى قال فاعلمت قال فسمعت قال فاجتهدت قال فذلك التقوى وقد أخذته
 المعنى ابن المعتز قال خل الذنوب صغيرها * وكبيرها ذلك التقى واصنع كاش فوق أر * ض الشوك يحذر ما ير
 لا تحقرن صغيرة * ان الجبال من الحصى وأنشد أبو الذرداء يوما يريد المرء أن يوقى مناه * ويأى الله الأما أراد
 يقول المرء فأنقذنى ومالى * وتقوى الله أفضل ما استفاد وفى سنن ابن ماجه عن أبى أمامة رضى الله عنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ما استفاد المرء (٧٠) بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة ان نظر إليها سرته وان أمرها

عباده الكافرين عن معاصيه والتبشير الاخبار بما ينظر أثره على البشيرة وهى الخلد الطاهرة
 من البشر والسرور والماثور بالتبشير قيل هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو كل أحد
 كفى قوله صلى الله عليه وآله وسلم بشر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة
 والصالحات الاعمال المستقيمة والمراد هنا الاعمال المطلوبة منهم المفترضة عليهم وفيه
 رد على من يقول ان الايمان بمجرد كفى فالجنة تنال بالايمان والعمل الصالح قيل هو
 ما كان فيه أربعة أشياء العلم والنية والصبر والاخلاص يعنى عن الرياء قاله عثمان
 (ان لهم جنات) جمع جنة وهى البساتين وانما سميت جنات لانها تجن من فيها أى تستتره
 بشجرها وتستترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفر دوس ما فيه كرم وهى
 اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة على جنات كثيرة (تجرى) أى على ظهر الارض من
 غير حفرة بل هى متماسكة بقدرة الله (من تحتها) أى تحت الجنات لاشمالها على الاشجار
 أى من تحت أشجارها قال مسروق انها تجرى من غير أخذود الانهار جمع نهر وهو
 المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والمراد الماء الذى يجرى فيه الان
 الانهار لا تجرى وأسند الجرى اليها مجازا فالجارى حقيقة هو الماء كفى قوله تعالى واسأل
 القرية التى كفا فيها أى أهلها والنهر يجوز فيه فتح الهاء وسكونها وكذا كل ما عينه حرف
 حلقى وجمع الاول أنهار وجمع الآخر أنهار واخرج ابن ابي حاتم وابن حبان والطبرانى
 والحاكم وابن مردويه والبيهقى فى البعث عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أنهار الجنة تفجر من تحت جبال مسك (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) أى أطعموا
 من الجنة طعاما والمراد بثمره النوع لا الفرد قاله سعد التفقار أى وأطال الكلام فيه
 (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) فى الدنيا (وأوابه متشابه) وصف آخر للجنات أو جعله
 مستأنفا والمراد انه شبيهه ونظيره لانه هو لان ذات الحاضر لا يكون عين ذات الغائب
 لاختلافهما وذلك ان اللون يشبه اللون وان كان الحجم والطعم والرائحة والمادة متخالفة
 والضمير فى به عائد الى الرزق وقيل المراد انهم أتوا بما رزقونه فى الجنة متشابهات فبما تبهم فى
 أول النهار يشابه الذى يأتهم فى آخره فيقولون هذا الذى رزقنا من قبل فاذا أكلوا وجدوا
 له طعما غير طعم الاول عن ابن عباس ليس فى الدنيا مما فى الجنة شئ الا الاسماء وعن
 الحسن فى قوله متشابهات قال خيار كله يشبه بعضه بعضا لا زل فيه ألم تزوا الى ثمار الدنيا

أطاعته وان أقسم عليها أبرته وان
 غاب عنها نعتته فى نفسهما وماله
 (الذين يؤمنون بالغيب) قال أبو
 جعفر الرازى عن العلاء بن المسيب
 ابن رافع عن أبى اسحق عن أبى
 الاحوص عن عبد الله قال الايمان
 التصديق وقال على بن أبى طلحة
 وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما
 يؤمنون يصدقون وقال معمر عن
 الزهري الايمان العمل وقال أبو
 جعفر الرازى عن الربيع بن أنس
 يؤمنون يخشون قال ابن جرير
 والاولى أن يكونوا موصوفين
 بالايمان بالغيب قولوا واعتقادا وعلا
 وقد تدخل الخشية لله فى معنى
 الايمان الذى هو تصديق القول
 بالعمل والايمان كلمة جامعة للايمان
 بالله وكتبه ورسله وتصديق الاقرار
 بالنفع * قلت أما الايمان فى
 اللغة فيطلق على التصديق المحض
 وقد يستعمل فى القرآن والمراد به
 ذلك كما قال تعالى يؤمن بالله ويؤمن
 للمؤمنين وكما قال اخوة يوسف
 لا يهيم وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا
 صادقين وكذلك اذا استعمل
 مقرونا مع الاعمال كقوله تعالى

الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأما اذا استعمل مطلقا فالإيمان الشرعى المطلوب لا يكون الاعتقاد او قولوا وعلا
 هكذا ذهب اليه أكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعى وأحمد بن حنبل وأبو عبيدة وغير واحد اجابا ان الايمان قول وعمل يزيد
 وينقص وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث أفردنا الكلام فيها فى أول شرح البخارى والله الجد والمئة ومنهم من فسر بالخشية
 كقوله تعالى ان الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب والخشية خلاصة الايمان والعمل كما
 قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال بعضهم يؤمنون بالغيب كما يؤمنون بالشهادة وليسوا كما قال تعالى عن المنافقين

واذ القوا الذين آمنوا قالوا آمنوا وادخلوا الى شياطينهم قالوا انما معكم انما نحن مستزنون وقال اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
 لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فعلى هذا يكون قوله بالغيب حالا أى في حال كونهم غيبا عن
 الناس وأما الغيب المراد ههنا فقد اختلفت عبارات السلف فيه وكما هي صحيحة ترجع الى ان الجميع مراد قال أبو جعفر الرازي عن
 الربيع بن أنس عن أبي العافية في قوله تعالى يؤمنون بالغيب قال يؤمنون بالله وما لا تكتسه وكتبه ورسله واليوم الآخر وحبته
 وناره ولقائه يؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث فهذا غيب كله (٧١) وكذا قال قتادة بن دعامة وقال السدي عن أبي

مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس
 وعن مرة الهذلي عن ابن مسعود
 وعن ناس من أصحاب النبي صلى
 الله عليه وسلم أما الغيب فثلاث
 عن العباد من أمر الجنة وأمر
 النار وما ذكر في القرآن وقال محمد
 ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن
 عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن
 عباس بالغيب قال بما جاء من معنى
 من الله تعالى وقال سفيان الثوري
 عن عاصم عن ذكر قال الغيب القرآن
 وقال عطاء بن أبي رباح من آمن
 بالله فقد آمن بالغيب وقال اسمعيل
 ابن أبي خالد يؤمنون بالغيب قال
 بغيب الاسلام وقال زيد بن أسلم الذين
 يؤمنون بالغيب قال بالقدر فكل
 هذه متقاربة في معنى واحد لان
 جميع هذه المذكورات من الغيب
 الذي يجب الايمان به وقال سعيد
 ابن منصور حدثنا أبو معاوية عن
 الاعمش عن عمارة بن عمير عن عبد
 الرحمن بن يزيد قال كنا عند
 عبد الله بن مسعود جالوسا فدكرنا
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
 وما سبقونا به فقال عبد الله ان أمر
 محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا

كيف تزدلون بعضه وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل
 الجنة يأكلون ويشربون ولا يملون ولا يتغوطون ولا يتخبطون ولا يبرقون يلهمون الحد
 والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشحهم كرش المسك وفي لفظ ورشحهم
 المسك آخر جهه مسلم والمعنى ان فضول طعامهم يخرج في الجشاء وهو تنفس المعدة والرشح
 العرق ولهم فيها أزواج مطهرة أى في الجنات من الحور العين المطهرة من البول والغائط
 والحيض والولود وسائر الاقذار وقيل هن عجايز الدنيا الغمص العمش طهرن من قدرات
 الدنيا وقيل طهرن من مساوى الاخلاق والمعنى انه لا يصيبهن ما يصيب النساء من قدر
 الخبث والنفاس والغائط والبراق والخامة وسائر الاذناس التي لا يمتنع تعاطيها بنساء
 الدنيا والازواج جمع زوج وهو ما يكون معه آخر فيقال زوج الرجل والمرأة زوجة بالتاء
 قليل وانها لغة تميم قاله الفراء والزوج أيضا الصنف والتنسية زوجان والطهارة النظافة
 (وهم فيها خالدون) أى ما كئون أبدا وانخلدوا والخلد البقاء الدائم الذي لا ينقطع وقد
 يستعمل مجازا فيما يطول دام ولم يدم والمراد ههنا الاول لما يشهد له الآيات والاحاديث
 والمعنى لا يخرجون منها ولا يموتون وعن ابن عباس في قوله وهم فيها خالدون قال يخبرهم ان
 الثواب بالخبر والشر مقيم على أهله أبدا لا انقطاع له وعن سعيد بن جبير خالدون يعنى
 لا يموتون وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 قال يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يأهل النار لأموت يا أهل
 الجنة لا موت كل خالد فيما هو فيه وأخرج الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم من حديث ابن
 مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو قيل لأهل النار انكم ما كئون في النار
 عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا ولو قيل لأهل الجنة انكم ما كئون عدد كل حصاة لخرنوا
 ولكن جعل لهم الابد وقد أخرج ابن ماجه وابن أبي الدنيا في صفة الجنة والبرار وابن أبي
 حاتم وابن حبان والبيهقي وابن مردويه عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم لأهل مشعر الجنة فان الجنة لا خطر لها حتى ورب الكعبة نوريت لأوريجانة
 تم ترو قصر مشيد ونهر مطرد ومرة ضيحية وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام فى أبد
 فى دار سلمية وفا كهة خضراء الحديث والاحاديث فى وصف الجنة كثيرة جدا نابتة فى
 الصحيحين وغيرهما وكذلك فى صفات نساء أهل الجنة ما لا يتسع المقام لبسطه فليست فى

رأه والذي لا اله غيره ما آمن أحد قط ايمانا أفضل من ايمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون
 بالغيب الى قوله المفلحون وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم فى مستدركه من طرق عن الاعمش به وقال الحاكم صحيح على
 شرط الشيخين ولم يخبر به وفى معنى هذا الحديث الذى رواه أحمد حدثنا أبو المغيرة نا الاوزاعي حدثني أسد بن عبد الرحمن عن خالد بن
 دريك عن بن محيريز قال قلب لابي جعة حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم أحدثك حديثا جيد اتعدينا
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال يا رسول الله هل أحد خير منا أسأله ما جعل وجاهدنا معك قال نعم قوم

من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني طريق أخرى قال أبو بكر بن هريرة في تفسيره حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا اسمعيل عن عبد الله بن مسعود حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا معاوية بن صالح عن صالح بن جبير قال قدم علينا أبو جعة الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس صلى فيه ومعنا يومئذ رجاء بن حيوة رضي الله عنه فلما انصرف خرجنا نشعه فلما أراد الانصراف قال ان لكم جائزة وحثنا احدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا خات رحمة الله قال تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا عاذ بن جبل عاشر عشرة (٧٢) فقلنا يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجرا أسأب الله واتبعنا قال

دواوين الاسلام وقد ألف الحافظ محمد بن أبي بكر القيم الجوزي كتابا في أحوال الجنة سماه حادي الارواح الى بلاد الافراح لم يؤلف في الاسلام قبله مثله وخرأجمع ما جمع في هذا الباب وقد خصته بحذف الزوائد والاسانيد وحيثه مشرسا كن الغرام الى روضات دار السلام فليرجع اليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صفات أهل الجنة في الصحاح وغيرهما من طريق جماعة من الصحابة أن أهل الجنة لا يصقون ولا يشخطون ولا يتغوطون (ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا من بعوضة) أنزل الله هذه الآية رداعلى الكفار لما أنكروا ما ضرب به سبحانه من الامثال كقوله مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً وقوله أو كصيب من السماء فقالوا ان الله أجبل وأعلى من أن يضرب الامثال وقد قال الرازي انه تعالى لما بين بالدليل كون القرآن معجزاً ورد فيه مناشية أو ردع الكفار قد حاق ذلك وأجاب عنها وتقرر الشبهة انه جاء في القرآن ذكر النحل والعنكبوت والثلث وهذه الاشياء لا يابق ذكرها بكلام النحباء فاشتال القرآن عليها يقدر في فصاحته فضلا عن كونه معجزاً وأجاب الله عنها بأن صغر هذه الاشياء لا يقدر في الفصاحة اذا كان ذكرها مثقلا على حكمة بالغتها انتهى ولا يخفى ان تقرير هذه الشبهة على هذا الوجه وارجاع الانكار الى مجرد الفصاحة لا مستند له ولا دليل عليه وقد تقدم الى شيء من هذا صاحب الكشف والظاهر ما ذكرناه أو لا يكون هذا الآية جاءت بعقب المثلين اللذين هما مذكوران قبلها ولا يستلزم استنكارهم لضرب الامثال بالاشياء المحقرة أن يكون ذلك لكونه قادحاً في الفصاحة والابحار والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم كذا في الكشف وتبعه الرازي في مناقب الغيب وقال القرطبي الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خرفان من واقعة القبيح وهذا محال على الله انتهى وقد اختلفوا في تأويل ما في هذه الآية من ذكر الحياء فقيل ساع ذلك لكونه واقعا في الكلام المحكى عن الكفار وقيل هو من باب المشاكلة كما تقدم وقيل هو جار على سبيل التمثيل وضرب المثل اعتماده وصنعه والبعض صغار البق الواحدة بعوضة سميت بذلك لصغرها قاله الجوهرى وغيره وهو من عجب خلق الله في غاية الصغر شديد اللسع وله ستة أرجل وأربعة اجنحة وله ذنب وخرطوم مخوف وغومع صغره بغوص خرطومه في جلد القمل والجاموس والجل فيبلغ منه الغاية (فخافوها) يعنى الباب والعنكبوت وما هو

ما بينكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يا أيكم بالوحي من السماء بل قوم بعدكم يا أيهم كتاب من بين لرحين يؤمنون به ويعلمون بما فيه أولئك أعظم منكم أجرا مرتين ثم رواد من حديث ضمرة بن ربيعة عن مرزوق بن نافع عن صالح بن جبير عن أبي جعة بنحوه وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوجادة التي اختلف فيها أهل الحديث كما قررته في أول شرح البخارى لانه مدحهم على ذلك وذكر انهم أعظم أجرا من هذه الجنة لا مطلقا وكذا الحديث الآخر الذي رواه الحسن بن عرفة العبدى حدثنا اسمعيل بن عباس الجصى عن المغيرة بن قيس التميمي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الخلق عجب اليكم ايماناً قالوا الملائكة قال وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم قالوا فاليؤمنون قال وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم قالوا فافمن قال وما لكم لا تؤمنون وانابن أظهركم قال فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم ألا ان أعجب الخلق الى ايماناً القوم يكونون من بعدكم يحمدون صحفها كتاب يؤمنون بما فيها قال أبو أعظم حاتم الرازي المغيرة بن قيس البصرى منكر الحديث (قلت) ولكن قد روى أبو يعلى في مسنده وابن هريرة في تفسيره والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن ابي حميد وفيه ضعف عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله أو نحوه وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقد روى نحوه عن أنس بن مالك مرفوعا والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن محمد المسندى حدثنا الحق بن ادريس أخبرني ابراهيم بن جعفر بن محمود بن سلمة الانصاري أخبرني جعفر بن محمود عن جده بن دية

بنت أسلم قالت صليت الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة فاستقبلنا مسجد أيلاء فصلينا جديتين ثم جاءنا من يجزبان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استقبل البيت الحرام فحزول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام قال إبراهيم خدني رجال من بني حارثة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك قال أولئك قوم آمنوا بالغيب هذا حديث غريب من هذا الوجه (ويقيمون الصلاة وعمارزقناهم ينفقون) قال ابن عباس ويقيمون الصلاة أي يقيمون الصلاة بقرضها وقال الخليل عن ابن عباس إقامة الصلاة اتمام (٧٢) الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليها فيها وقال قتادة إقامة

الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها وقال مقاتل بن حيان أقامتها المحافظة على مواقيتها واسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أقامتها وقال علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس وعمار زقناهم ينفقون قال زكاة أموالهم وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمار زقناهم ينفقون قال نفقة الرجل على أهله وهذا قبل أن تنزل الزكاة وقال جوير عن الخليل كانت النفقات قربا ياتقربون بها إلى الله على قدر ميسرتهم وجهدهم حتى نزلت فرائض الصدقات سبع آيات في سورة براءة مما يذكر فيها من الصدقات هن الناسخات المنبئات وقال قتادة وعمار زقناهم ينفقون فانفقوا مما أعطاكم الله هذه

أعظم منهن ما في الجنة قال الكسائي والنسائي الفاء هنا بمعنى إلى وقيل معناه فنادوها وأصغر منها وهذا القول أشبه بالآية لأن الغرض بيان أن الله تعالى لا يمنع من التمثيل بالشيء الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثلا للدينا بفتح البعوضة وهو أصغر منها وقد ضرب العرب المثل بالمحقرات فقيل هو أحقر من ذرة وأجمع من غلة وأطيش من فراشة وألح من ذبابة (فأما الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن (فيعملون أنه) يعني ضرب المثل (الحق) أي الثابت الواقع موقعه وهو المقابل للباطل والحق واحد الحقوق والمراد هنا الأول وقد اتفق المسلمون على أنه يجوز إطلاق هذا اللفظ على الله سبحانه (من ربهم) لا يجوز أنكاره لأن ضرب الأمثال من الأمور المستحسنة في العقل وعند العرب (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أي بهذا المثل والارادة تفيض الكراهة وقيل هي زوع أي اشتياق النفس وميلها إلى فعل بحيث يحملها عليه أو هي قوة هي مبدأ النزوع والأول مع الفعل والثاني قبله وأرادنه سبحانه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر بالإيقاع أو معنى يوجب هذا الترجيح والارادة صفة لذاتية قديمة زائدة على العلم (يضل به كثيرا) أي من الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا (ويهدى به كثيرا) يعني المؤمنين يصدقونه ويعلمون أنه حق وهو كالتفسير الجملتين السابقتين المصدرتين بما فهو خبر من الله سبحانه وقيل هو حكاية لقول الكافرين كلهم قالوا ما أراد الله بهذا المثل الذي يفرقه بالناس إلى ضلالة وإلى هدى وليس هذا بصحيح فإن الكافرين لا يقررون بأن القرآن شيأ من الهداية ولا يعرفون على أنفسهم بشي من الضلالة وقد أطال المتكلمون الخصام في تفسير الضلال المذكور هنا وفي نسبته إلى الله سبحانه وقد نفع الرازي في تفسيره في هذا الموضع تفجيحا نفيسا وجوده وطوله وأوضح فروعه وأصوله فليرجع إليه فإنه مفيد جدا وأما صاحب الكشاف فقد اعتمد هنا على عصاه التي يتوكأ عليها في تفسيره فجعل اسناد الضلال إلى الله سبحانه لسكونه سببا فهو من الاسناد المجازي إلى ملابس للفاعل الحقيقي وحكي القرطبي عن أهل الحق من المفسرين أن المراد بقوله يضل يخذل (وما يضل به إلا الفاسقين) يعني الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود ولا خلاف في أن هذا من كلام الله سبحانه قاله القرطبي فيه دلالة للذهب أهل السنة أن الهدى والضلال من الله والفسق

(١٠ - فتح البان ل) الأموال عوار وودائع عندنا ابن آدم نوشك أن تفارقها واختار ابن جرير أن الآية عامة في الزكاة والنفقات فإنه قال وأولى التاويلات وأحقها بصفة القوم أن يكونوا جميع اللازم لهم في أموالهم مؤدين زكاة كانت ذلك أو نفقة من لزمته نفقته من أهل أو عيال وغيرهم ممن يجب عليهم نفقته بالقرابة والملك وغير ذلك لأن الله تعالى غم وصفهم ومدحهم بذلك وكل من الاتفاق والزكاة بمدوح به محمود عليه (قلت) كثير ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والاتفاق من الأموال فإن الصلاة حق الله وعبادته وهي مشتملة على توحيدته والشأن عليه وتبجيله والابتغال إليه ودعائه والتوكل عليه والاتفاق هو من الاحسان إلى المخلوقين

بالنفع الممتد إلى الهم وأولى الناس بذلك القرابات والأهلون والمالِك ثم الأجانب فكل من النفقات الواجبة والزكاة المفروضة داخل في قوله تعالى وتمازقناهم بفقون ولهذا ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلاة وآتاه الزكاة ووصوم رمضان وحج البيت والاحاديث في هذا كثيرة وأصل الصلاة في كلام العرب الدعاء قال الأعشى لها حارس لا يبرح الدهر بينها * وإن ذبحت صلى عليها وزمما وقال أيضاً وقابلها الرمح في دنها * وصلى على دنها وارثهم (٧٤) أشدهما ابن جرير مستشهداً على ذلك وقال الآخر وهو الأعشى أيضاً

الخروج عن الشيء كرمعني هذا القراء وقد زعم ابن الأعرابي أنه لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق وهذا امر دود عليه فقد حكى ذلك عن العرب وأنه من كلامهم جماعة من أئمة اللغة كابن فارس والجريري وابن الأنباري وغيرهم وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال خمس فواسق الحديث وقال في الكشف الفسق الخروج عن القصد ثم قال والفاسق في الشر ربعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة اه وقال القرطبي الفسق في عرف الاستعمال الشرعي الخروج عن طاعة الله عز وجل فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان اه وهذا هو أنسب للمعنى اللغوي ولا وجه لقصره على بعض الخارجين دون بعض قال الرازي في تفسيره واختلاف أهل القبلة هل هو مؤمن أو كافر فعند أصحابنا هو مؤمن وعند الخوارج أنه كافر وعند المعتزلة أنه لا مؤمن ولا كافر واحتج الخالف بقوله يؤس الاسم الفسوق بعد الإيمان وقوله إن المنافقين هم الفاسقون وقوله يجب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكرة اليكم الكفر والفسوق والعصيان وهذه المسئلة طويلة مذكورة في علم الكلام اه (الذين ينقضون عهد الله) النقض افساد ما أبرم من بناء أو جعل أو عهد والنقضاء ما نقض من حمل الشعر وقيل أصل النقض الفسخ وفك المركب والمعنى متقارب والمعنى يتروكون ويخالفون وأصل العهد حفظ الشيء وصرعاته حالاً بعد حال والعهد قبل هو الذي أخذه الله على بني آدم حين استخرجهم من ظهروه وهو قوله ألت بربكم قالوا بلى وقيل هو وصية الله إلى خلقه وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته ونهيهم إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه على ألسن رسله ونقضهم ذلك ترك العمل به وقيل بل هو نصب الأدلة على وحدانيته بالسموات والأرض وسائر مخلوقاته ونقضه ترك النظر فيه وقيل هو ما عهده إلى الذين أوثقوا الكتاب لتبينه للناس (من بعد ميثاقه) الضمير للعهد أو لله تعالى قاله السمين وعلى الأول مصدر مضاف إلى المفعول وعلى الثاني مضاف للفاعل ومن لا بداء الغاية فإن ابتداء النقض بعد الميثاق والميثاق العهد المؤكد باليمين مفعول من الوثاق وهي الشدة في العقد والربط جميعاً والجمع الموائق والميايق واستعمال النقض في ابطال العهد على سبيل الاستعارة (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) القطع معروف والمصدر في الرحم القطيعة واختلفوا ما هو الشيء الذي أمر الله بوصله فقليل الأرحام وموالات المؤمنين وقيل وصل القول بالعمل

تقول بنى وقد قربت من تحلا يارب جنب أبي الاوصاب والوجه عليك مثل الذي صليت فاعتمضي نو ما فان جنب المرء مضطجعا يقول عليك من الدعاء مثل الذي دعيت له وهذا ظاهر ثم استعملت الصلاة في الشرع في ذات الركوع والسجود والافعال المخصوصة في الاوقات المخصوصة بشروطها المعروفة وصفاتها وأنواعها المشهورة قال ابن جرير وأرى أن الصلاة سميت صلاة لان المصل يتعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه من حاجاته وقيل هي مشتقة من الصلوات اذا تحرر كافي الصلاة عند الركوع والسجود وهما عرفان يتمدان من الظهر حتى يكسفاً عجب الذنب ومنه سمي المصل وهو التالي للسابق في حلبة الخيل وفيه نظر وقيل هي مشتقة من الصل وهو الملازمة للشيء من قوله تعالى لا يصلاها أي لا يلزمها ويدوم فيها الا لا شق وقيل مشتقة من تصلية الخشب في النار لتقوم كإمان المصلى يقوم

عوجه بالصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر واشتقاقها من الدعاء أوضح وأشهر والله أعلم وأما الزكاة فبأنى الكلام عليها في موضعها شاء الله تعالى (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون) قال ابن عباس والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك أي يصدقون بما جئت به من الله وما جاءه من قبلك من المرسلين لا يفرقون بينهم ولا يجحدون ما جؤهم به من ربهم وبالاخرة هم يوقنون أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان وانما سميت الاخرة لانها بعد الدنيا وقد اختلف المفسرون في الموصوفين هنا هل هم الموصوفون لزوم

بما تقدم من قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ومن هم على ثلاثة أقوال حكاه ابن جرير
أحدها أن الموصوفين أولاهم الموصوفون ثانياً وهم كل مؤمن مؤمنة العرب ومؤمنوا أهل الكتاب وغيرهم فالله مجاهد وأبو العالية
والربيع بن أنس وقتادة والثاني هما واحد وهم مؤمنوا أهل الكتاب وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات كما قال
تعالى سبحانه ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثا نحوى وكما قال الشاعر
إلى الملكات القرم وابن الهمام * وليث الكتبية في المزدحم (٧٥) فعطف الصفات بعضها على بعض والموصوف واحد

والثالث أن الموصوفين أولاهم مؤمنو
العرب والموصوفون ثانياً بقوله
والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما
أنزل من قبلك وبالآخرة هم
يوقنون لمؤمناً أهل الكتاب نقله
السدي في تفسيره عن ابن عباس
وابن مسعود وأما من الصحابة
واختاره ابن جرير رحمه الله
ويستشهد بسا قال بقوله تعالى وإن
من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله
وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم
خاشعين لله الآية وبقوله تعالى
الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم
به يؤمنون وأذا نزل عليهم قالوا
آمنابه انه الحق من ربنا أنا كنا من
قبله مسلمين أولئك يؤتوا أجرهم
مرتين بما صبروا ويذرؤن بالحسنة
السيئة ومما رزقناهم ينفقون وبما
ثبت في الصحيحين من حديث
الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بلائهم يؤتوا أجرهم مرتين رجل
من أهل الكتاب آمن بنبيه ومن بي
ورجل مملوك أذى حق الله وحق
مواليه ورجل أذى جاريته
فأحسن تأديبها ثم اعتقها وترجها

لزوم الجماعات المفروضة وقيل أمر أن يوصل التصديق بجميع أنبيائه فقطعه بتصديق
بعضهم وتكذيب البعض الآخر وقيل المراد به حفظ شرائعه وحدوده التي أمر في كتبه
المنزلة على ألسن رسله بالمحافظة عليها وقيل سائر ما فيه رفض خيراً وتعاطى شراً فانه يقطع
الوصل بين الله وبين عبده فهي عامة وبه قال الجمهور وهو الحق والأمر هو القول الطالب
للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور تسمية
للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به (ويصدقون في الأرض) يعني بالمعاصي وتعويق الناس
عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والاستمرار بالحق وقطع الوصل التي بها
نظام العالم وصلاحه فالمراد بالفساد في الأرض الأفعال والأقوال المخالفة لما أمر الله به
كعبادة غيره والأضرار بعباده وتغيير ما أمر بحفظه وبالجملة فكل ما خالف الصلاح شرعاً
أو عقلاً فهو فساد وهو لا لما استبدلوا النقص بالوفاء والقطع بالوصل كان عملهم فساداً لما
نقصوا أنفسهم من الفلاح والربح عن قتادة قال ما نعلم الله أو عدى ذنب ما أو عدى
نقص هذا المناق في أعطى عهد الله وميثاقه من ثمرة قلبه فليوف به الله وقد ثبت عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديث ثابتة في الصحيح وغيره من طريق جماعة من
الصحابة النهي عن نقض العهد والوعيد الشديد عليه (أولئك هم الخاسرون) أي
المغبونون بأهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الأبدية وأصل الخسار
والخسران النقصان والخاسر هو الذي نقص نفسه من الفلاح والفوز قال مقاتل
الخاسرون هم أهل النار وقال ابن عباس كل شيء نسيه الله إلى غير أهل الإسلام مثل خاسر
ومسرف وظالم ومجرم وفاسق فأنما يعني به الكفر وما نسبته إلى أهل الإسلام فأنما يعني به
الذم (كيف) هو للسؤال عن الأحوال والمراد هنا الأحوال التي يقع عليها الكفر على
الطريق البرهاني من العسر واليسر والسفر والأقامة والكبر والصغر والعز والذل وغير
ذلك وهذا الاستفهام هو لأنكار عليهم والتعجب من حالهم وفيه تبكيت وتعنيف لهم
(تسكفرون بالله) بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته والخطاب على
طريقة الالتفات ثم ذكر الدلائل فقال (وكنتم أمواتاً) يعني نطفاني أصلاً بآباءكم وعلما
ومضغاً (فأحياكم) يعني في الأرحام بنفخ الروح وفي الدنيا (ثم يميتكم) أي عند انقضاء
آجالكم ثم يحييكم بالشور يوم تفتح الصور واختلف المفسرون في ترتيب هاتين الموتيتين

وأما ابن جرير فاستشهد على صحة ما قاله الاجتناسية وهي أن الله وصف في أول هذه السورة المؤمنين والكافرين فكأنه صنف
الكافرين إلى صنفين كافر ومنافق فكذلك المؤمنون صنفهم إلى صنفين عربي وكفاي (قلت) والظاهر قول مجاهد فيمارة والنوري
عن رجل عن مجاهد ورأه غير واحد عن ابن أبي شبيب عن مجاهد أنه قال أربع آيات من أول سورة البقرة في نعمت المؤمنين وآيات في
نعت الكافرين وثلاثة عشر في المنافقين فهذه الآيات الأربع عامات في كل مزمع انصفهم من عربي وكفاي من أنسي
وحنيني وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى بل كل واحدة مستلزمة للأخرى وشرط معهما فلا يصح الإيمان بالغيب

واقام الصلاة والزكاة الامع الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من قبله من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم
 اجمعين والايقان بالآخرة كما ان هذا لا يصبغ الا بهذا وقد أمر الله المؤمنين بذلك كما قال يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله
 والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل الآية وقال تعالى ولا تتجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين
 ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل السنا وأنزل اليكم والهناء والهدى واحدا الآية وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا والكتاب آمنوا بما
 نزلنا معكم قال تعالى قل يا أهل الكتاب (٧٦) لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وأخبر

تعالى عن المؤمنين كلهم بذلك فقال
 تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من
 ربه والمؤمنون كل آمن بالله
 وملائكته وكتبه ورسوله لا تفرق
 بين أحد من رسوله وقال تعالى والذين
 آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين
 أحد منهم الى غير ذلك من الآيات
 الدالة على جميع أمر المؤمنين
 بالايقان بالله ورسوله وكتبه لكن
 لمؤمني أهل الكتاب خصوصية
 وذلك انهم يؤمنون بما يديهم
 مفصلا فاذا دخلوا في الاسلام
 وآمنوا به مفصلا كان لهم على ذلك
 الاجر مرتين وأما غيرهم فانما يحصل
 له الايمان بما تقدم مجالا كما جاء في
 الصحيح اذا حدثكم أهل الكتاب
 فلا تكذبوهم ولا تصدقوهم ولكن
 قولوا آمنا بالذي أنزل السنا وأنزل
 اليكم ولكن قديكون ايمان كنسیر
 من العرب بالاسلام الذي بعث به
 محمد صلى الله عليه وسلم آتموا كل
 وأعم وأشمل من ايمان من دخل
 منهم في الاسلام فهم وان حصل لهم
 أجران من تلك الحثية فغيرهم
 يحصل له من التصديق ما ينيف
 ثوابه على الاجرين اللذين حصل لهم

والحياتين والحاصل ان المراد بالموت الاول العدم السابق بالحياة الاولى الخلق وبالموت
 الثاني الموت المعهود بالحياة الثانية الحياة للبعث فجاءت الفاء ثم على بايها من
 التعقيب والتراخي على هذا التفسير وهو أحسن الاقوال وقد ذهب الى هذا جماعة من
 الصحابة فن بعدهم قال ابن عطية وهذا القول هو المراد بالآية وهو الذي لا محيد للكفار
 عنه واذ ادعت نفوس الكفار بكونهم كانوا معدومين ثم احياء في الدنيا ثم أموات فيها
 لمهمم الاقرار بالحياة الاخرى قال غيره والحياة التي تكون في القبر على هذا التأويل في
 حكم حياة الدنيا وقيل ان المراد كنتم أمواتا في ظهر آدم عليه السلام ثم آخر حكم من ظهره
 كالذين يميتكم موت الدنيا ثم يعثكم وقيل كنتم أمواتا أي نطفاني اصلا ب الرجال ثم
 يحييكم حياة الدنيا ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم في القبور ثم يميتكم فيها ثم يحييكم
 الحياة التي ليس بعدها موت قال القرطبي فعلى هذا التأويل هي ثلاث موتات وثلاث
 احياآت وكونهم موتى في ظهر آدم وآخر اجهم من ظهره والشهادة عليهم غير كونهم نطفانا
 في أصلاب الرجال فعلى هذا يحيى أربع موتات وأربع احياآت وقد قيل ان الله
 أو جددهم قبل خلق آدم كلبهم وأما ثم فيكون على هذا خمس موتات وخمس احياآت
 وموتة سادسة للعصاة من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد في الحديث ولكن ناسا
 أصابتهم النار بنوهم فماتهم الله امانة حتى اذا كانوا خما أذن في الشفاعة فحيى بهم الى
 أن قال فينبئون نبات الحبة في جيل السيل وهو في الصحيح من حديث أبي سعيد (ثم اليه
 ترجعون) أي تردون في الآخرة الى الله سبحانه فيجازيكم بأعمالكم قال في الكشف في
 عطف الاول بالفاء وما بعده ثم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخي وأما الموت فقد
 تراخي عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك مترخ عن الموت ان أريد به النشور تراخيا ظاهرا
 وان أريد به احياء القبر فتمسك بكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء أيضا مترخ عن
 النشور انتهى ولا يخفى انه ان أراد بقوله ان الاحياء الاول قد تعقب الموت انه وقع على
 ما هو متصف بالموت فالمراد بالآخرة وقوع على ما هو متصف بالحياة وان أراد انه وقع الاحياء
 الاول عند أول اتصافه بالموت بخلاف الثاني فغير مسلم فانه وقع عند آخر أوقات موته كما
 وقع الثاني عند آخر أوقات حياته فقامل هذا وقد أخرج ابن جرير عن ابن مسعود وناس
 من الصحابة قال لم تكونوا شيئا خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة (هو الذي خلق

والله أعلم) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون يقول تعالى أولئك أي المتصفون بما تقدم من الايمان
 بالغيب واقام الصلاة والانفاق من الذي رزقهم الله والايقان بما أنزل الى الرسول ومن قبله من الرسل والايقان بالدار الآخرة
 وهو مستلزم الاستعداد لها من الاعمال الصالحة وترك المحرمات على هدى أي على نور بيان وبصيرة من الله تعالى وأولئك هم
 المفلحون أي في الدنيا والآخرة وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعد بن جبيرة عن ابن عباس أولئك على هدى
 من ربهم أي على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم به وأولئك هم المفلحون أي الذين أذركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا

وقال ابن جرير وأما معنى قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم فان معنى ذلك فانهم على نور من ربهم وبه هادى واستقامته وسداد بتسديدها
إياهم وتوفيقه لهم وتأويل قوله تعالى أولئك هم المفلحون أى المنجوعون المدركون ما طابوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم بالله
وكتبه ورسله من الفوز بالنواب والخلود فى الجنات والنجاة مما أعد الله لأعدائه من العقاب وقد حكى ابن جرير قولاً عن بعضهم
انه أعاد اسم الإشارة فى قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون الى مؤمنى أهل الكتاب الموصوفين بقوله تعالى
والذين يؤمنون بما أنزل اليك الآية على ما تقدم من الخلاف وعلى هذا فيجوز (٧٧) ان يكون قوله تعالى والذين يؤمنون بما

أنزل اليك منقطعاً مما قبله وان
يكون مرفوعاً على الابتداء وخبره
أولئك هم المفلحون واختارانه
عائداً الى جميع من تقدم ذكره من
مؤمنى العرب وأهل الكتاب لما
رواه السدى عن أبى مالك وعن
أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة
الهمداني عن ابن مسعود وعن
أناس من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم أمّا الذين يؤمنون
بالغيب فهم المؤمنون من العرب
والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما
أنزل من قبلك هم المؤمنون من
أهل الكتاب ثم جمع القرين فقال
أولئك على هدى من ربهم وأولئك
هم المفلحون وقد تقدم من الترجيح
ان ذلك صفة للمؤمنين عامة

لكم ما فى الارض) قال ابن كيسان أبى خلق من أجلكم ما فى من المعادن والنبات
والحيوان والجمال والبحار لتتفعوا به فى مصالح الدين والدنيا أما الذين فهو الاعتبار
والتفكر فى عجائب مخلوقات الله الدالة على وحدانيته وأما الدنيا فهو الانتفاع بما خلق
فيها وقيل اللام للاختصاص وقيل للملك والاباحة وفيه دليل على ان الاصل فى الاشياء
المخلوقة الاباحة حتى يقوم دليل يدل على النقل عن هذا الاصل ولا فرق بين الحيوانات
وغيرها مما ينتفع به من غير ضرورى التأكيده بقوله (جميعاً) أقوى دلالة على هذا وقد
استدل بهذه الآية على تحريم كل الطين لانه تعالى خلق لنا ما فى الارض دون نفس
الارض وقال الرازى فى تفسيره ان لقائل ان يقول ان فى جملة الارض ما يطلق عليه انه فى
الارض فيكون جامعاً للوصفين ولا شك ان المعادن داخله فى ذلك وكذلك عروق الارض
وما يجرى مجرى البعض لها ولا نخصص الشيء بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما عدا
اه وقد ذكر صاحب الكشف ما هو أوضح من هذا فقال فان قلت هل لقول من زعم ان
المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان أراد بالارض الجهات السفلية دون
الغبراء كما تدكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة فى
الجهات السفلية اه وأما التراب فقد ورد فى السنة تحريمه وهو أيضاً ضار ليس مما
ينتفع به أكلاً ولكنه ينتفع به فى منافع أخرى وليس المراد من منفعة خاصة كمنفعة الاكل بل
كل ما يصدق عليه انه ينتفع به بوجه من الوجوه وأما السم القاتل ففيه نفع لاجل دفع
الحيوانات المؤذية وقتلها فلا يرد انه لا نفع فيه (ثم استوى الى السماء) أى قصدوا قبل على
خلقها وقيل عمد وقال ابن عباس ارتفع وقال الازهرى صعد أمره وكذا ذكره صاحب
الحكم وذلك ان الله خلق الارض أولاً ثم عمد الى خلق السماء وأصل ثم يقتضى تراخيها
زمانياً ولا زمان هنا فصيل هى اشارة الى التراخي بين رتبتي خلق الارض والسماء قاله
القرطبي والاستواء فى اللغة الاعتدال والاتصاف والاستقامة وضده الاعوجاج قاله فى
الكشاف والرازى ويطلق على الارتفاع والعلو على الشيء قال تعالى فاذا استويت أنت
ومن معك على الفلك وقال لتستووا على ظهوره وهذا المعنى هو المناسب لهذه الآية
وقد قيل ان هذه الآية من المشكلات وقد ذهب كثير من الأئمة الى الايمان بها وترك
التعرض لتفسيرها وخالفهم آخرون وقد استدل بقوله ثم استوى على ان خلق الارض

والاشارة عائدة عليهم والله أعلم وقد
نقل عن مجاهد وأبى العالية والربيع
ابن أنس وقتادة رجهم الله وقال ابن
أبى حاتم حدثنا أبى حنيفة البجلي بن
عثمان بن صالح المصرى حدثنا أبى
حنيفة بن ابيهم حدثني عبيد الله بن
المغيرة عن أبى الهيثم واسمه سليمان
ابن عبد الله عن عبد الله بن عمرو عن
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل له

يا رسول الله ان انقرأ من القرآن فترجوه ونقرأ من القرآن ففسكا أن ينأس أو كما قال قال أفلأ أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار قالوا
بلى يا رسول الله قال ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الى قوله تعالى المفلحون هؤلاء أهل الجنة قالوا النار حوان نكون هؤلاء
ثم قال ان الذين كفروا سوا عليهم الى قوله عظيم هؤلاء أهل النار قالوا السناهم يا رسول الله قال أجل (ان الذين كفروا سوا
عليهم أنذرهم ألم تنذرهم لم تنذرهم لا يؤمنون) يقول تعالى ان الذين كفروا أى غطوا الحق وستره وقد كتب الله تعالى عليهم ذلك سواء
عليهم أنذارك وعدمه فانهم لا يؤمنون بما جئتهم به كما قال تعالى ان الذين كفروا أى غطوا الحق وستره وقد كتب الله تعالى عليهم ذلك سواء

يروا العذاب الاليم وقال تعالى في حق المانسين من أهل الكتاب ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك الآية أي ان
من كتب الله عليه الشقاوة فلا سعد له ومن أضله فلا هادي له فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وبلغهم الرسالة فمن استجاب لك
فله الخلف الاوفى ومن يؤلى فلا تحزن عليهم ولا يهمنك ذلك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب انما انت نذير والله على كل شيء وكيل
وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ان الذين كفروا ساء عليهم أئذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحرض ان يؤمن جميع (٧٨) الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله تعالى انه لا يؤمن الا من سبق له من

الله السعادة في الذكر الاول
ولا يضل الا من سبق له من الله
الشقاوة وفي الذكر الاول وقال محمد
ابن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد
عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن
ابن عباس ان الذين كفروا أي بما
أنزل اليك وان قالوا انا قد آمنابما
جاءنا قبلك ساء عليهم أئذرتهم أم
لم تنذرهم لا يؤمنون أي أنهم قد
كفروا بما عندهم من ذكرك
وبحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق
وقد كفروا بما جاءك وما عندهم
بما جاءهم به غيرك فكيف يسدعون
منك انذارا وتحذرا وقد كفروا بما
عندهم من علمك وقال أبو جعفر
الرازي عن الربيع بن أنس عن
أبي العباس قال نزلت هاتان
الآيتان في قادة الاحزاب وهم
الذين قال الله فيهم أنهم ترائي الذين
بدلوا نعمه الله كفرا وأحلوا قومهم
دارا لهم وارجعهم الى صلاتها والمعنى
الذي ذكرناه أولا وهو المروي عن
ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة
أظهر ويفسر بيقية الآيات التي
في معنابها والله أعلم وقد ذكر ابن
أبي حاتم ههنا حديثا قال حدثنا
أبي حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح

المصري حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة حدثني عبد الله بن المغيرة عن أبي الهيثم عن عبد الله بن عمرو قال
قبل يا رسول الله انا نقرأ من القرآن فترجوه ونقرأ أنفكاد أن يناس فقال ألا أخبركم ثم قال ان الذين كفروا ساء عليهم أئذرتهم أم
لم تنذرهم لا يؤمنون هؤلاء أهل النار قالوا السنانهم يا رسول الله قال أجل وقوله تعالى لا يؤمنون محله من الاعراب انه جملة
مؤكدة التي قبلها ساء عليهم أئذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون أي هم كفار في كلا الحالين فلهذا أكد ذلك بقوله تعالى لا يؤمنون
ويحتمل أن يكون لا يؤمنون خبر الان تقديره ان الذين كفروا لا يؤمنون ويكون قوله تعالى ساء عليهم أئذرتهم أم لم تنذرهم

السماء

قال عبد الله بن عمرو

لا يؤمنون جملة معترضة والله أعلم (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) قال السدي ختم الله أي طبع الله وقال قتادة في هذه الآية استحوذ عليهم الشيطان إذ أطاعوا فختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة فهم لا يبصرون هدى ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون وقال ابن جرير قال مجاهد ختم الله على قلوبهم قال الطبع ثبت الذنوب على القلب خفت به من كل نواحيه حتى تلتقي عليه فالتقاءها عليه الطبع والطبع الختم قال ابن جرير ختم على القلب والسمع قال ابن جرير وحدثني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول (٧٩) الران أي سمر من الطبع والطبع

أيسر من الاقفال والاقفال أشد من ذلك كله وقال الاعمش أرانا مجاهد يده فقال كانوا يرون أن القلب في مثل هذه يعني الكف فإذا أذن العبد بآخيه منه وقال باصبعه الخنصر هكذا فإذا أذن ضم وقال باصبع أخرى فإذا أذن ضم وقال باصبع أخرى هكذا حتى ضم أصابعه كلها ثم قال يطبع عليه بطابع وقال مجاهد كانوا يرون أن ذلك الرين ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن الاعمش عن مجاهد بنحوه قال ابن جرير وقال بعضهم إنما معنى قوله تعالى ختم الله على قلوبهم سم أخبار من الله عن تكبرهم واعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق كما يقال أنت فلان أصم عن هذا الكلام إذا امتنع من سماعه ورفع نفسه عن تفهمه تكبرا قال وهذا لا يصح لأن الله تعالى قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم واسماهم قلت وقد أظن الرن مخشري في تقرير مراده ابن جرير ههنا وتناول الآية من خمسة أوجه وكلها ضعيفة جدا وما جرد على

السماء فإن الله تعالى خلق لهم ضياء يستمدون منه وهذا قول من جعل الأرض كرية وفي الآية قول ثالث حكاه الطيبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها أفوق بعض تفرق بينها البحار وتطل جميعها السماء انتهى وسيأتي تحقيق ما هو الحق في آخر سورة الطلاق إن شاء الله تعالى وقد ثبت في الصحيح قولاً صلى الله عليه وآله وسلم من أخذ من الأرض شبرا ظل طوقه الله من سبع أرضين وهو ثابت من حديث عائشة وسعيد ابن زيد وقد أظن الرأزي في تفسيره في بيان السموات هل هي سبع أو ثمان وذكر مذهب الحكماء في ذلك وأجابهم بوجه ثم قال أعلم أن هذا الخطب مما يتهك على أنه لا سبيل للعقول البشرية إلى إدراك هذه الأشياء فإنه لا يحيط بها العلم فاطرها وحالها فوجب الاقتصار فيه على الدلائل السمعية فإن قال قائل فهل يدل التخصيص على سبع سموات على نفي العدد الزائد قلنا الحق أن تخصيص العدد بالذکر لا يدل على نفي الزائد انتهى وفي هذا الإشارة إلى ما ذكره الحكماء من الزيادة على السبع ونحن نقول أنه لا يتأتى عن الله ولا عن رسوله إلا السبع فنقتصر على ذلك ولا نعمل بالزيادة إلا إذا جاءت من طريق الشرع ولم يأت شيء من ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة في هذه الآية قالوا إن الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دنانا فارتفع فوق الماء فسماه سماء ثم أنشأ الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها سبع أرضين في يومين الأول اثنين خلق الأرض على حوت وهو الذي ذكره في قوله ن والقلم والحوت قائم على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملاك على عترة والعترة في الريح وهي العترة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض فتحرك الحوت فاضطرب فقررات الأرض فارتسى عليها الجبال فقررت فذلك قوله تعالى وجعل لها رواسي أن تميد بكم وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وسخرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والأربعاء وذلك قوله أنتم تكفرون بالذي خلق الأرض إلى قوله وبارك فيها يقول أثبت شجرها فيها وقرر فيها أقواتها يقول أقوات أهلها في أربعة أيام سواء للسائلين يقول من سأل فهكذا الأمر ثم استوى إلى السماء وهي دخان وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة وإنما سمى يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض وأوحى في كل سماء أمراها قال خالق في كل سماء خلقها من

ذلك الاعتزاله لأن الختم على قلوبهم ومنعها من وصول الحق إليها فبقي عنده تعالى الله عنه في اعتقاده ولو فهم قوله تعالى فلما رآعوا آراغ الله قلوبهم وقوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاء وفا على عما دبتهم في الباطل وتركهم الحق وهذا عدل منه تعالى حسن وليس بقيق فلما علم هذا ما قال ما قال والله أعلم قال القرطبي وأخرج الأئمة على أن الله عز وجل قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازا لا كقوله كما قال بل طبع الله عليهم فكفرهم وذكر حديث ثعلبة بن قيس

وياء قلب القلوب ثبت فلو با على ذلك وذ كر حديث حذيفة الذي في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعرض القنن على القلوب كالحصير عودا عودا فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبي على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مرابدا كالكور مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا الحديث قال ابن جرير والحق عندى في ذلك ما صبح بنظيره الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثنا به محمد بن بشار حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ابن عجلان (٨٠) عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله

الملائكة والخلق الذى فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظا من الشياطين فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش أخرجه البهيقي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جرير وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حديث أبي هريرة في الصحيح قال أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيدي فقال خالق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة بعد العصر وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طرق عند أهل السنن وغيرهم عن جماعة من الصحابة أحاديث في وصف السموات وإن غلط كل سماء مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام وإنها سبع سموات وإن الأرض سبع أرضين ولم يأت في التنزيل ولا في السنة المطهرة تصريح بان فيهن من يعقل من العوالم والأوادم وأنبيائهم والآخر من الصحابة ومن بعدهم ان جاءت بسند صحيح لا تصلح للاحتجاج على ذلك فكيف بمالم يصح سنده أو صح ولكن لم يتابع عليه أو توبع ولكن لم يساعده نص من الله ورسوله وكذلك ثبت في وصف السماء آثار من جماعة من الصحابة وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور بعض ذلك في تفسير هذه الآية وإنما ترك ذكره هنا لكونه غير متعلق بهذه الآية على الخصوص بل هو متعلق بما هو أعم منها (وهو بكل شيء عليم) أى يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات وإنما أثبت سبحانه لنفسه العلم بكل شيء لأنه يجب ان يكون عالما بجميع ما ثبت انه خالقه (وإذا قال ربك) أى واذا ذكر يا محمد اذ قال وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زائدة والاول أوجه (للملائكة) جمع ملك بوزن فعل قاله ابن كيسان وقيل جمع ملائكة بوزن مفعول قاله أبو عبيدة وأراد بالملائكة الذين كانوا في الأرض وذلك ان الله تعالى خلق الأرض وأسكن فيها الجن وأسكن في السماء الملائكة فافسدت الجن في الأرض فبعث اليهم طائفة من الملائكة فطردتهم إلى جزائر البحار ورؤس الجبال وأقاموا مكانهم وقيل القول لمطلق الملائكة وكان ذلك تعليما للمشاورة وتعظيما لآدم وبيان لكون الحكمة تقتضى إيجاد ما يغلب خيره على شره واللام في الملائكة للتبليغ وهو أحد المعاني التي جاءت لها اللام (انى جاعل في الأرض خليفة) أى خالى بدلا منكم ورافعكم إلى وجاعل هنا من جعل المتعدى إلى مفعولين وذ كر

صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب وزرع واستعجب صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذى قال الله تعالى كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون هذا الحديث من هذا الوجه قدره الترمذي والنسائي عن قتيبة واليث بن سعد وابن ماجه عن هشام بن عمار عن حاتم ابن اسمعيل والوليد بن مسلم ثلاثتهم عن محمد بن عجلان به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال ابن جرير فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذنوب اذا تابعت على القلوب أغلقتها واذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع فلا يكون للايمان اليها مسلك ولا للكفر عنها مخلص فذلك هو الختم والطبع الذى ذكر في قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم نظير الختم والطبع على ما تدرسه الابصار من الاوعية والظروف التى لا يوصل الى ما فيها الا بقض ذلك عنها ثم حلها فكذلك لا يصل الايمان الى قلوب من وصف

الله انه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم لا بعد فض خاتمه وحده رباطه عنها واعلم ان الوقف التام على قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقوله وعلى ابصارهم غشاوة جلة تامة فان الطبع يكون على القلب وعلى السمع والغشاوة هي الغطاء الذى يكون على البصر كما قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم يقول فلا يعقلون ولا يسمعون يقول وجعل على ابصارهم غشاوة يقول على أعينهم فلا يبصرون وقال ابن جرير حدثني محمد بن سعد حدثنا أبي حنيفة عن عبيد بن الحسن بن

الحسن عن أبيه عن جده عن ابن عباس ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم والغشاوة على أبصارهم قال وحدثننا القاسم حدثنا الحسين يعني ابن داود وهو سديد حدثني ججاج هو ابن محمد الأعور حدثني ابن جريح قال الختم على القلب والسمع والغشاوة على البصر قال الله تعالى فان بشا الله يختم على قلبك وقال وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة قال ابن جريح ومن نصب غشاوة من قوله تعالى وعلى أبصارهم غشاوة يحتمل انه نصبها بانفسه فعمل تقديره وجعل على ابصارهم غشاوة ويحتمل ان يكون نصبها على الاتباع على محل وعلى سمعهم كقوله تعالى وحور عين وقول الشاعر (٨١) علقمتا بنوا ماء باردا * حتى شنت هما لذة عيناها وقال

الآخر

ورأيت زوجك في الزغا

مستقلا اسيفا ورحما

تقديره وسقيته ماء باردا ومعتقلا
 رحما * لما تقدم وصف المؤمنين في
 صدر السورة باربع آيات ثم عترف
 حال الكافرين بهاتين الايتين
 شرع تعالى في بيان حال المنافقين
 الذين يظهرون الايمان ويبطنون
 الكفر ولما كان أمرهم يشبهه على
 كثير من الناس أطنب في ذكرهم
 بصفات متعددة كل منها نفاق كما
 أنزل سورة براءة فيهم وسورة
 المنافقين فيهم وذكرهم في سورة
 النور وغيرها من السورت تعريفا
 لاحوالهم لتجنب ويحتمل من
 تلبس بها أيضا فقال تعالى (ومن
 الناس من يقول آمنا بالله وباليوم
 الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون
 الله والذين آمنوا وما يخدعون الا
 أنفسهم وما يشعرون) النفاق هو
 اظهار الخير واسرار الشر وهو
 أنواع اعتقادي وهو الذي يتخذ
 صاحبه في النار وعلى وهو من
 أكبر الذنوب كما سأتى تفصيله في
 موضعه ان شاء الله تعالى وهذا كما

المطري انه بمعنى الخالق وذلك يقتضي انه يستعد الى مفعول واحد وصيغة اسم الفاعل
 بمعنى المستقبل والارض هنا هي هذه الغبراء ولا يختص ذلك بمكان دون مكان وقيل انها
 مكة كما ورد في مرسل ضعيف وقال ابن كثير انه مدرج والخليفة هنا معناه الخائف لمن كان
 قبلا من الملائكة ويجوز ان يكون بمعنى الخائف أي يخلفه غيره قيل هو آدم كما دل عليه
 السياق وقيل كل من له خلافة في الارض ويقوى الاول قوله خليفة دون الخلافة
 واستغنى بذلك عن ذكر آدم عن ذكر من بعده والصحيح انه انما سمى خليفة لانه خليفة الله في أرضه
 لاقامة حدوده وتنفيذ قضايه قيل خاطب الله الملائكة بهذا الخطاب للمشورة ولكن
 لاستخراج ما عندهم قيل وفيه ارشاد عباده الى المشاورة وان الحكمة تقتضي اتخاذ
 ما يغلب خبره وان كان فيه نوع شر وان لا رأى مع وجود النص وهو اصل في المسائل
 التعمدية قال بعض المفسرين ان في الكلام حذفاً والتقدير اني جاعل في الارض خليفة
 يفعل كذا وكذا فكرر هو ذلك و(قالوا) أي استكشافا عما خفي عليهم من الحكمة
 الباهرة وليس باعتراض على الله ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم أعلى من أن
 يظن بهم ذلك لقوله بل عباد مكرمون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله أو تلقى من اللوح
 المحفوظ أو قياسا لاحد الثقلين على الآخر (أتجعل فيهم من يفسد فيها) بالمعاصي بمقتضى
 القوة الشهوانية والفساد ضد الصلاح (وبسفل الدماء) بغير حق بمقتضى القوة الغضبية
 كما فعل الجن وسفل الدم صبه قاله ابن فارس والجوهري والمهدوي ولا يستعمل السفك
 الا في الدم (ونحن نسج) أي نقول سبحانه الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يزقون
 عن أي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل أي الكلام أفضل قال ما اصابني الله
 للملائكة أو لعباده سبحانه الله وبحمده أخرجه مسلم وقال ابن عباس كل ما جاء في القرآن
 من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلي لك وأصل التسبيح في كلام
 العرب التزينة والتبجيل من السوء على وجه التعظيم فيكون المعنى ونحن نزهك عن كل
 سوء وتقيصه (بحمدك) أي حامدين لك أو متلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق
 لم نتكبر من ذلك (ونقدس لك) وأصل التقديس التطهير أي ونظهر لك عن النقائص وعن
 كل ما لا يليق بك من سوء ومما نسب اليك المجدون واقترام الجاحدون وذكر في الكشف
 ان معنى التسبيح والتقديس واحد وهو تبيح الله من سوء وفي القاموس وغيره من

(١١ - فتح البيان ل) قال ابن جريح المنافق يخالف قوله فعلة وسرمدانية ومدخله مخرجه ومشيده مغيبه وانما نزلت صفات
 المنافقين في السور المدنية لان مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافة من الناس من كان يظهر الكفر مستكرا وهو في الباطن مؤمن
 فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان بها الانصار من الاوس والخزرج وكانوا في جاهليتهم يعبدون الاصنام
 على طريقة مشركي العرب وبها اليهود ومن أهل الكتاب على طريقة اسلافهم وكانوا ثلاث قبائل بنو قينقاع حلفاء الخزرج وبنو
 النضير وبنو قريظة حلفاء الاوس فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم من أسلم من الانصار من قبلي الاوس

والخزرج وقل من أسلم من اليهود الا عبد الله بن سلام رضى الله عنه ولم يكن اذ ذاك اتفاقاً أيضاً لانه لم يكن للمسلمين بعد شوكه تخاف بل قد كان عليه الصلاة والسلام واذع اليهود وقبائل كثيرة من احياء العرب حوالى المدينة فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كبره وأعز الاسلام وأخذ قال عبد الله بن أبي ترسل وكان راساً فى المدينة وهو من الخزرج وكان سيد الطائفتين فى الجاهلية وكانوا قد عزموا على ان يملكوه عليهم فجاهلهم الخبر وأسلموا واشتغلوا عنه فبقى فى نفسه من الاسلام وأهله فلما كانت وقعة بدر قال هذا أمر قد توجه فأنظر الدخول فى الاسلام (٨٢) ودخل معه طوائف من هو على طريقته ونخلته وآخرون من أهل الكتاب

ثم ثم وجد اتفاقاً فى أهل المدينة ومن حولها من الاعراب فاما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد هاجر لانه لم يكن أحد يجر مكرها بل يهاجر فيترك ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند الله فى الدار الآخرة قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ومن الناس من يقول آمنابا لله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يعنى المنافقين من الاوس والخزرج ومن كان على أمرهم وكذا فسرهما بالمنافقين من الاوس والخزرج أبو العباس والحسن وقتادة والسدى ولهذا به الله سبحانه على صفات المنافقين لئلا يغتربا ظاهر أمرهم المؤمنين فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراس منهم ومن اعتقاد ايمانهم وهم كفار فى نفس الامر وهذا من المحذورات الكبار ان يظن بأهل الفجور خير فقال تعالى ومن الناس من يقول آمنابا لله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين أى يقولون ذلك قولا ليس وراءه شئ آخر كما قال تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك

كتب اللغة ما يرشد الى ما ذكرناه والتأسيس خير من التأكيذ خصوصاً فى كلام الله سبحانه وقيل معناه نظراً لنفسنا الطاعتك وعبادتك والاول أولى وعن ابن مسعود وناس من الصحابة نقس لك أى نصلى لك وقال مجاهد نعظمك ونكبرك واللام زائدة والجملة حال أى فحين أحق بالاستخلاف ولما كان سؤالهم واقعا على صفة تستلزم اثبات شئ من العلم لانفسهم أجاب الله سبحانه عليهم فقال انى أعلم ما لا تعلمون وفى هذا الاجال ما يغنى عن التفصيل لان من علم ما لا يعلم الخاطب له كان حقيقاً بان يعلم له ما يصدر عنه وعلى من لا يعرف أن يعترف لمن يعلم بان أفعاله صادرة على ما توجه العلم وتقتضيه المصلحة الراجحة والحكمة البالغة ولم يذ كر متعلق قوله تعلمون ليفيد التعميم ويذهب السامع عند ذلك كل مذهب ويعترف بالعجز ويقر بالقصور عن ابن عباس قال ان الله أخرج آدم من الجنة قبل ان يخلقها قال وقد كان فيها أى فى الارض قبل ان يخلق بالنى عام الجن بنو الجن فافسدوا فى الارض وسفكوا الدماء فلما أفسدوا فى الارض بعث الله عليهم جنوداً من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور فلما قال انى جاعل فى الارض خليفة قالوا ألتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما فعل أولئك الجن فخرجهم من الجنة فخرجهم الىكم وصححه عنه وفى الباب آثار من الصحابة كثيرة وعن قتادة كان فى علم الله انه سيكون من الخليفة انبياء ورسل وقوم صالحون وسأ كنوا الجنة وقيل أعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم وقيل أعلم من وجود المصلحة والحكمة ما لا تعلمون أنتم وقد ثبت فى كتب الحديث المعتبرة أحاديث من طريق جماعة من الصحابة فى صفة خلقه سبحانه لادم وهى موجودة فلا تطول بذكرها قيل خاطبهم بذلك لاجل ان يصدر منهم ذلك السؤال فيجابون بذلك الجواب وقيل لاجل تعليم عبادهم مشروعية المشاورة لهم وظاهر انهم استسكروا استخلاف بنى آدم فى الارض لكونهم مظنة للفساد فى الارض وانما قالوا هذه المقالة قبل أن تتقدم لهم معرفة بنى آدم بل قبل وجود آدم فضلاً عن ذرية لعلم قد علموا ومن الله سبحانه بوجه من الوجود لانهم لا يعلمون الغيب قال بهذا جماعة من المفسرين (وعلم آدم الاسماء كلها) سمي آدم لانه خلق من آدم الارض وهو وجهها وقيل لانه كان آدم اللون والادمة هى السمرة ولما خلق الله آدم وتم خلقه علمه اسماء الاشياء كلها قال فى الكشف وما آدم الاسم أجمعى وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالح وفالغ وأشياء

لرسول الله والله يعلم انك لرسوله أى انما يقولون ذلك اذا جاؤك فقط لافى نفس الامر ولهذا يؤكدون فى الشهادة ذلك بان ولا م التأكيذ فى خبرها كدوا أمرهم قالوا آمنابا لله وباليوم الآخر وليس الامر كذلك كما كذبهم الله فى شهادتهم وفى خبرهم هذا بالنسبة الى اعتقادهم بقوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقوله وما هم بمؤمنين وقوله تعالى يحادعون الله والذين آمنوا أى باظهارهم ما أظهره من الايمان مع اسرارهم الكفر يعتقدون بجهلهم انهم يخدعون الله بذلك وان ذلك نافعهم عنده وانه يروج عليه كما قد يروج على بعض المؤمنين كما قال تعالى يوم يعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على

شيء منهم هم اسكتلون ولقد اتوا بغيرهم على اعتقادهم فيكونوا ومنهم من دعوا انفسهم وما يشعرون وما يسمعون وما يرون وما يسمعون وما يسمعون
 هذا ما يسمعون انفسهم وما يشعرون وما يسمعون وما يسمعون انفسهم وما يشعرون وما يسمعون وما يسمعون انفسهم وما يشعرون وما يسمعون وما يسمعون
 فلو انهم لم يسمعون انفسهم وما يشعرون وما يسمعون وما يسمعون انفسهم وما يشعرون وما يسمعون وما يسمعون انفسهم وما يشعرون وما يسمعون وما يسمعون
 هذا ما يسمعون انفسهم وما يشعرون وما يسمعون وما يسمعون انفسهم وما يشعرون وما يسمعون وما يسمعون انفسهم وما يشعرون وما يسمعون وما يسمعون
 هذا ما يسمعون انفسهم وما يشعرون وما يسمعون وما يسمعون انفسهم وما يشعرون وما يسمعون وما يسمعون انفسهم وما يشعرون وما يسمعون وما يسمعون

والسبي والعذاب العاجل وغرله
 ما انشده مستبدن وذم من قوله
 وان كان خدا اتا متوسلين في عاجل
 الشئ فيقولنفسه بذل من فوسله
 خذع لانه ينهز ليا بسعه فذلها
 انه يعطيا امنيته او يسقيها كاس
 سرور شا وغرور دها حناش
 علبها ومجر عابه كاس عذابها
 ومزير شام غضب الله واليم عتابه
 ما لا قبل ليا به فذل خديعته نفسه
 فلنانه مع اسائه اليها في امر
 معاد شا انه اليها احسن كما قال تعالى
 وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون
 اعلا ما منه عباده المؤمنين ان
 المنافقين باسائهم الى انفسهم في
 استخاطهم عليها رهم بكفرهم
 وشكهم وتكذيبهم غير شاعرين
 ولادارين ولكنهم على عي من
 امرهم متبين وقال ابن ابي حاتم
 انبا ناعلي بن المبارك فجا كتب الى
 حداثا زيد بن المبارك حدثنا محمد
 ابن نور عن ابن جريج في قوله تعالى
 يخادعون الله قال يظهرون لاله
 الا الله يريدون ان يحزرزوا بذلك
 دماءهم واموالهم وفي انفسهم غير
 ذلك وقال سعيد عن قتادة ومن

الشيء انهم من الامم وغيره انفسه قاله البشاري وذل السجين بعد كلام
 طويل ان ادناه ان اشتاق فيه بعد لان الامم الا لشيء لا يخلو اشتقاق ولا قصر في
 الاد والاسماء في العبارات والمراد اسماء الملائكة قال بنسب اكبر العلماء وهو المعنى المستقيم
 للاسم والتاكيد بقوله كاشا في يد الله علم جميع الاسماء ولم يخرج عن هذا شي منها كما
 ما كان وقال ابن جرير اسماء الملائكة واسماء ذرية آدم ثم رجع هذا وهو غير راجح
 وقيل صنعة كل شيء قال ابن عباس علم اسم كل شيء حتى السمعة والتسمية وقيل خلق الله
 كل شيء من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم الاسماء كلها فقال يا آدم هذا ناعم وهذا
 قرس وهذا شاذ حتى اتي على آخرها وقيل علمه اللغات كلها اي جميع اللغات لكن بنوه
 ففروا في اللغات ففطن بعضهم العربية وفي غيرها والمراد علم الاسماء للثنا ومعنى
 مفردا ومر كاحية تدهو مجازا والمراد بالاسم ما يدل على معنى ذاتا كان او عرضا فهو اسم من
 الاسم والفعل والحرف وقال في المظهرى وعندى ان الله علم آدم الاسماء الالهية كلها
 ثم رجع هذا بكلام طويل وهو غير راجح مع ما فيه من البعد والتكلف ولم يقل به احد من
 المنسرين وبابا ناعلي بن المبارك واستدل بالآية من قال ان اللغات توقيفية ووضعها
 الله وعلمها بالرحى (ثم عرضهم على الملائكة) يعنى ذلك الاختصاص وانما قال عرضهم ولم
 يقل عرضها لتغليب العتلاء عليهم واختلاف مثل العلم هل عرض على الملائكة المسميات
 أو الاسماء والظاهر الاول لان عرض نفس الاسماء غير واضح وعرض الشئ اظهره قال
 ابن عطية والذي يظهر ان الله علم آدم الاسماء وعرض عليه مع ذلك الاجناس اختصاصا
 عرض تلك على الملائكة وسألهم عن اسماء مسمياتها التي قد تعلمها آدم فقال لهم آدم
 هذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا قال الماوردي فكان الاصح توجه العرض الى المسمى
 ثم في زمن عرضهم قولان أحدهما انه عرضهم بعد ان خلقهم الثاني انه صورهم
 بقلوب الملائكة ثم عرضهم (فقال أنبؤني) أي أخبروني أمر تعجزون والناظر ذو فائدة
 عظيمة وإشارته على الاخبار للآذان برفعة شأن الاسماء وعظم خطرها (باسماء هؤلاء
 ان كنتم صادقين) اني لم اخلق خلقا الا كنتم افضل منهم وأعلم أمره سبحانه للملائكة بهذا
 لقصد التبكيت لهم مع علمه بأنهم يعجزون عن ذلك (قالوا) يعنى الملائكة (سبحانك)
 تنزيها لا ذلك الماظهر بعجزهم وفيه اشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا

الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون نعمت
 المنافق عند كثير من خلق الا لخلق يصدق باسائه وينكر بقلبه ويخالف بعمله يصح على حال ويمسى على غيره ويمسى على حال ويصبح
 على غيره ويتكفنا تكفا السفينة كمال اعب رشح حبت معها (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون)
 قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة اليمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في هذه الآية في قلوبهم مرض قال شك فزادهم الله مرضا قال شكنا وقال ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة

أوسعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قلوبهم مرض قال شك وكذلك قال مجاهد وعكرمة والحسن البصري وأبو العباس والربيع
ابن أنس وقتادة وعن عكرمة وطائوس في قلوبهم مرض يعني الرباء وقال الضمك عن ابن عباس في قلوبهم مرض قال نفاق فزادهم
الله مرضا قال نفاقا وهذا كالأول وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قلوبهم مرض قال هذا مرض في الدين وليس مرضا في
الاجساد ومرض المنافقون والمرض الشك الذي دخلهم في الاسلام فزادهم الله مرضا قال زادهم رجسا وقرأنا الذين آمنوا فزادهم
إيمانا ومرضهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم ٨٤ مرض فزادهم رجسا إلى رجسهم قال شر إلى شرهم وضلالة إلى ضلالهم

وسبحان مصدر لا يكاد يستعمل إلا مضافا منصوبا بإضمار فعله كـ معاذ الله (لا علم لنا إلا
ما علمنا) أي أنك أجل من أن نحيط بشئ من علمك إلا ما علمنا (أنت العليم) أي بحقيقك
وهو من أسماء الصفات الثابتة وهو المحيط بكل المعلومات (الحكيم) أي في أمرك وله
معنيان أحدهما أنه القاضي العدل الثاني المحكم للأمر كي لا يتطرق إليه الفساد
(قال) يعني الله تعالى (يا آدم) استدل به على أن آدم نبي متكلم (أنبئهم باسمائهم) وذلك لما ظهر
عجز الملائكة فسمي كل شئ باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلق لأجلها بان قال لهم هذا
الجرم يسمى القصعة وحكمته وضع الطعام فيه وهكذا (قلنا أنبأهم باسمائهم) فيه دليل على
حرية العلم وأنه شرط في الخلافة وفضل آدم على الملائكة قال الامام لما أراد الله اظهار
فضل آدم على الملائكة لم يظهره إلا بالعلم فلو كان في الامكان شئ أشرف من العلم كان
اظهار فضله بذلك الشئ إلا بالعلم ولذلك أمر الله تعالى الملائكة بالسجود له لأجل فضله العلم
قلت ويؤخذ من هذا استحباب القيام للعالم وقال الطيبي أفادت هذه الآية أن علم اللغة
فوق التخلي بالعبادة فكيف علم الشريعة (قال) يعني الله تعالى (ألم أقل لكم) يا ملائكتي
(أني أعلم غيب السموات والارض) يعني ما كان وما سيكون وذلك أنه سبحانه علم أحوال
آدم قبل أن يخلقه وفي اختصاصه بعلم غيب السموات والارض رد لما يتكف به كثير من
العباد من الاطلاع على شئ من علم الغيب كالمنجمين والكهان وأهل الرمل والسحر
والشعوذة (وأعلم ما تدون وما كنتم تكتمون) أي ما تظهرون وما تسمرون كما يفيد معنى
ذلك عند العرب ومن فسر به شئ خاص فلا يقبل منه ذلك الأدليل (واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم) قيل هذا خطاب مع ملائكة الارض والاصح أنه خطاب مع جميع
الملائكة وهو الظاهر من قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون والسجود معناه في كلام
العرب التذلل والخضوع وغايته وضع الوجه على الارض والاسجد اذامة النظر وفي هذه
الآية فضله لا دم عليه السلام عظيمة حيث أسجد الله له ملائكته وقبل أن السجود كان
لله ولم يكن لا دم وإنما كانوا مستقبليين له عند السجود ولا يلجئ لهذا فإن السجود للبشر
قد يكون جائزا في بعض الشرائع بحسب ما تقتضيه المصالح وقد دلت هذه الآية على أن
السجود لا دم وكذلك الآية الأخرى أعني قوله فأذأسوته ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين وقال تعالى ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا فلا يستلزم بحرية لغير الله

وهذا الذي قاله عبد الرحمن رحمه
الله حسن وهو الجزء من جنس
العمل وكذلك قاله الاولون
وهو تفسير قوله تعالى أيضا والذين
استندوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم
وقوله بما كانوا يكذبون وقرئ
يكذبون وقد كانوا متصفين بهذا وهذا
فأنهم كانوا كاذبة ويكذبون بالغيب
يجمعون بين هذا وهذا وقد سئل
القرطبي وغيره من المفسرين عن
حكمة كفه عليه الصلاة والسلام
عن قتل المنافقين مع علمه باعيان
بعضهم وذكروا أجوبة عن ذلك
منها ما ثبت في الصحيحين أنه صلى
الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله
عنه أكره أن يتحدث العرب أن
محمد يقتل أصحابه ومعنى هذا خشيته
أن يقع بسبب ذلك تغير لكثير من
الاعراب عن الدخول في الاسلام
ولا يعلمون حكمة قتله لهم وإن قتله
اباهم إنما هو على الكفر فأنهم إنما
يأخذونه بمجردهما يظهر لهم فيقولون
إن محمدا يقتل أصحابه قال القرطبي
وهذا قول علماءنا وغيرهم كما كان
يعطى المؤلف مع علمه بسوء اعتقادهم
قال ابن عطية وهي طريقة أصحاب
مالك نص عليه محمد بن الجهم

والقاضي اسمعيل والابهرى وعن ابن الماجشون ومنها ما قال مالك إنما كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين في
يسين لامتته أن الحياكم لا يحكم بعله قال القرطبي وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن القاضي لا يقتل بعله وإن اختلفوا في سائر
الأحكام قال ومنها ما قال الشافعي إنما منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الاسلام مع العلم
بنفاقهم لأن ما يظهرونه يجب ما قبله ويؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الجمع على صحة في الصحيحين وغيرهما أمرت
أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصيوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل ومعنى هذا أن

من قالها جرت عليه أحكام الاسلام ظاهر افان كان يعتقدوا وجدوا بواب ذلك في الدار الاخرى وان لم يعتقدوا لم ينفعهم جريان الحكم عليه في الدنيا وكونه كان خليط اهل الايمان ينادونهم لم تكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء أمر الله الآتي ففهم يحاطونهم في بعض المحشر فاذا حقت المحقوقية تميزوا منهم ويختلفوا بعدهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يمكنهم ان يسجدوا معهم كما نطق بذلك الاحاديث ومنها ما قاله بعضهم انه اعلم يقتلهم لانه كان لا يخاف من شرهم مع وجوده عليه الصلاة والسلام من أظهرهم يتلو عليهم آيات الله مبينات ٨٥ فاما بعده فيقتلون اذا أظهر والنفاق وعلمه

المسلمون قال مالك المنافق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزنديق اليوم قلت وقد اختلف العلماء في قتل الزنديق اذا أظهر الكفر هل يستتاب أم لا أو يفرق بين أن يكون داعية أم لا أو يشكر منه ارتداده أم لا أو يكون اسلامه ورجوعه من تلقاء نفسه أو بعد ان ظهر عليه على أقوال متعددة موضع بسطها ونقريرها وعزوها كتاب الاحكام ، (تنبيه) : يقول من قال كان عليه الصلاة والسلام يعلم أعيان بعض المنافقين انما مستنده حديث حذيفة بن اليمان في تسمية أولئك الاربعة عشر منافقا في غزوة تبوك الذين هموا ان يقتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلماء الليل عند عقبه هناك عزمو على ان ينقروا به الناقة ليسقط عنها فأوحى الله اليه أمرهم فاطلع على ذلك حذيفة ولعل الكف عن قتلهم كان لمدرك من هذه المدارك وأولغيرها والله أعلم فاما غير هؤلاء فقد قال الله تعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا

في شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان يكون كذلك في سائر الشرائع ومعنى السجود هنا وضع الجبهة على الارض واليه ذهب الجمهور وقال قوم هو مجرد التذلل والانقياد والاول أولى وقد وقع الخلاف هل كان السجود من الملائكة لا دم قبل تعلمه الاسماء أم بعده وقد أطل البحث في ذلك البقاع في تفسيره وظاهر السياق انه وقع التعليم وتعبه الامر بالسجود وتعبه اسكانه الجنة ثم اخرجهم منها واسكانه الارض وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة في تفصيل الانبياء على الملائكة وهذه القصة ذكرت في القرآن في سبع سور وفي هذه السورة والاعراف والحجر والاسراء والكهف وطه وص ولعل السر في تكريرها تسليمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه كان في محنة عظيمة في قومه وأهل زمانه فكانه قال ألا ترى ان أول الانبياء وهو آدم كان في محنة عظيمة للنفاق ذكره الخطيب والظاهر انه لاظهار شرف آدم وفضله على سائر الخلق حتى الملائكة وليس في هذه القصة ما يدل على محنة آدم (فسجدوا) وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال الى العصر قيل أول من سجد لا دم جبرائيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون والله أعلم (الابليس) استثناء متصل لانه كان من الملائكة على ما قاله الجمهور قال شهر بن حوشب وبعض الاصوليين كان من الجن الذين كانوا في الارض فيكون الاستثناء على هذا منقطعاً واستدلوا على هذا بقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله تعالى الابليس كان من الجن والجن غير الملائكة وأجاب الاولون بانه لا يتنع ان يخرج ابليس عن جملة الملائكة لما سبق في علم الله من شقائه عدلا منه لا يستل عما يفعل وليس في خلقه من نار ولا تركب الشهوة فيه حين غضب الله عليه ما يدفع انه من الملائكة وأيضاً على تسليم ذلك لا يتنع ان يكون الاستثناء متصلاً تعلياً للملائكة الذين هم ألوف مؤلفة على ابليس الذي هو فرد واحد بين أظهرهم وسعى به لانه ابليس من رجمة الله أي ينسب وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالغربية الحرت فلما عصي غير اسمه فسمى ابليس وغيرت صورته قال ابن عباس كان ابليس من الملائكة بدليل انه استثناء منهم وقيل انه من الجن وانه أصل الجن كما ان آدم أصل الانس والاول أصح لان الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناءه منهم وعليه أكثر المفسرين كالغوري والواحدي والقاضي وقالوا المعنى كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعاً أولان الملائكة

على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم الآية وقال تعالى لمن ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرحفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا فهدايل على انه لم يغربهم ولم يدرك على أعيانهم وانما كان تذكرة لصفاتهم فيتوسمها في بعضهم كما قال تعالى ولونشاء لا ريتا كهم فلغرفتهم بسميهم ولتعرفتهم في جن القول وقد كان من أشهرهم بالنفاق عبد الله بن أبي بن ساول وقد شهد عليه زيد بن أرقم بذلك الكلام الذي سبق في صفات المنافقين ومع هذا المامات صلى الله عليه وسلم وشهد دفنه كما يفعل ببيعة المسلمين وقد عاتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه فقال اني أكره ان يتحدث

العرب ان محمد يقتل أخته وفي رواية في الصحيح اني خبرت فاختبرت وفي رواية لو أعلم اني لوزدت على السبعين بغفر له لردت (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مردا الطيب الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون قال هم المنافقون أما لا تفسدوا في الارض قال الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي ٨٦ العالية في قوله تعالى وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قال يعني لا تعصوا

قد يسمون جنالا خفتهم (أي) امتنع من فعل ما أمر به من السجود فلم يسجد فيه رد على الجبرية اذ لا يوصف بالاباء الا من هو قادر على المطاوع (واستكر) أي تعظم عن السجود لا دم والاستكر الاستعظام للنفس وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم ان الكبر بطر الحق وغمط الناس وفي رواية غص الناس وانما قدم الابهاء عليه وان كان متاخرا عنه في الترتيب لانه من الافعال الظاهرة بخلاف الاستكر فانه من أفعال القلوب واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكر وفي سورة الحجر على ذكر الابهاء (وكان من الكافرين) أي من جنسهم في علم الله تعالى وانما وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته وقيل ان كان هنا بمعنى صار قال ابن فورك انه خطا ترده الاصول وأفادت الآية استقباح التكبر والخوض في سر الله تعالى وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان يحكم الحال مؤمنا وهذه مسئلة الموافاة المنسوبة الى أبي الحسن الأشعري ومعناها أن العبرة بالايان الذي يوافي العبد عليه أي ياتي متصفا به في آخر حياته وأول منازل آخرته وحيث أطلقت مسئلة الموافاة فالمراد به اذالك وهي بما اختلف فيها الشافعية والحنفية والماتريدية والشيكية فيها تأليف مستقل ومن فروعه ان يصح أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله ويبتى عليها مسئلة الاحباط في الاعمال بالردة قال الخفافى مسئلة الموافاة من أمهات المسائل وفصلها النسفي في شرح التمهيد فقال ما حاصله ان الشافعي يقول ان الشيء شقي في بطن أمه وكذا السعيد فلا تبديل في ذلك وبظهر ذلك عند الموت ولقاء الله وهو معنى الموافاة والماتريدية يقولون يحو الله ما يشاء ويثبت فمصر السعيد شقي والسقي سعيد الا انهم يقولون من مات مسلما لم يخلد في الجنة ومن مات كافرا لم يخلد في العذاب باتفاق الفريقين فلا تفرقة للخلاف أصلا الا أن يقال ان من كان مسلما وورث أباه المسلم اذا مات كافرا يرد ما أخذه الى بقية الورثة المسلمين وكذا الكافر وبطل جميع أعماله والمنقول في المذهب خلافه فيستند لاخبرة له الا انه يصح منه أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله بقصد التعليق في المستقبل حتى لا يكون شكافي الايمان حالا ولا حاجة لتناوله والماتريدية يمنعون ذلك سلقا ٥٥ (وقلنا) هو من خطاب الاكابر والعظماء أخبر سبحانه عن نفسه بصيغة الجمع لانه ملك الملوكة يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة أي اتخذ الجنة ماوى ومن لا يسكنها هو محل السكون وأما

في الارض وكان فسادهم ذلك معصية الله لانه من عصي الله في الارض أو أمر بمعصيته فقد أفسد في الارض لان صلاح الارض والسماء بالطاعة وهكذا قال الربيع بن أنس وقسادة وقال ابن جريج عن مجاهد وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قال اذا ركبوا معصية الله فقبل لهم لا تفعلوا كذا وكذا قالوا انما نحن على الهدى مصلحون وقال وكيع وعيسى بن يونس وعطاء بن علي عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله الاسدي عن سلمان الفارسي واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون قال سلمان لم يجيء أهل هذه الآية بعد وقال ابن جرير حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شريك حدثني أبي عن الاعمش عن زيد بن وهب وغيره عن سلمان الفارسي في هذه الآية قال ما جاء هؤلاء قال ابن جرير يحتمل ان سلمان رضى الله عنه أراد به ان الذين ياتون بهذه الصفة أعظم فسادا من الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانه عنى انه لم

يخص من تلك صفته أحد قال ابن جرير فاهل النفاق مفسدون في الارض بمعصيتهم فيها ربهم وركوبهم فيها ما نهىهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد عمل الا بالتصديق به والايقان بحقيقته وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسوله على أولياء الله اذا وجدوا ان ذلك سبلا فذلك افساد المنافقين في الارض وهم يحسبون أنهم يفعلون ذلك مصلحون فيها وهذا الذي قاله حسن فان من الفساد في الارض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء كما قال تعالى والذين كفروا بعضهم أولياء بعض لا تفعلوه تكن فتنه في الارض

وفساد كبير فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين
أريدون أن تجعلوا الله عليكم سوطاً ناميماً ثم قال ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار وان تجد لهم نصيراً لعلنا نقول بما كان ظاهره
الايمان اشتبه أمره على المؤمنين فكان الفساد من جهة المناق في قوله لانه هو الذي غر المؤمنين بقوله الذي لاحقيقة له والى
الكافرين على المؤمنين ولوانه استقر على حاله الاول لكان شره أخف ولو أخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله لافلح وأنجح ولهذا قال
تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون أي نريد (٨٧) أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين

ونصطلح مع هؤلاء كما قال محمد بن
اسحق عن محمد بن أبي محمد عن
عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن
عباس واذا قيل لهم لا تفسدوا في
الارض قالوا انما نحن مصلحون
أي اننا نريد الاصلاح بين الفريقين
من المؤمنين وأهل الكتاب
يقول الله ألا انهم هم المفسدون
ولكن لا يشعرون يقول ألا ان هذا
الذي يعتمدونه ويرجون انه اصلاح
هو عين الفساد واكن من جهلهم
لا يشعرون بكونه فساداً (واذا قيل
لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا
أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون) يقول
تعالى واذا قيل للمنافقين آمنوا كما
آمن الناس أي كايمن الناس بالله
وملائكته وكتبه ورسله والبعث
بعد الموت والجنة والنار وغير ذلك
مما أخبر المؤمنين به وعنه وأطيعوا
الله ورسوله في امتثال الاوامر
وترك الزواجر قالوا أنؤمن كما آمن
السفهاء يعنون لعنهم الله أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى
الله عنهم قاله أبو العالية والسدي
في تفسيره بسند عن ابن عباس

ما قاله بعض المفسرين ان قوله اسكن تنبيه على الخروج لان السكنى لا يكون ملكاً وأخذ
ذلك من قول جماعة من العلماء ان من أسكن رجلاً منزلاً لانه لا يملكه بذلك وان له ان
يخرجه منه فهو معنى عرفي والواجب الاخذ بالمعنى العربي اذ لم يثبت في اللفظ حقيقة
شرعية والزوج هي حواء بالمدح في اللغة الفصحى بغير هاء وقد جاءها قليلاً كما في صحيح
مسلم قال يا فلان هذه زوجتي فلانة الحديث وكان خلق حواء من ضلعه الايسر فلذا كان
كل انسان ناقصاً ضلعاً من الجانب الايسر وجهة اليمين اضلاعها ثمانية عشر وجهة اليسار
اضلاعها سبعة عشر وقصة خلقها مبسوط في كتب السنة لا تطول بذكرها هنا فبه دلالة
على ان الجنة مخلوقة الآن واختلفوا في الجنة التي هي آدم بسكها ف قيل انها جنة كانت
في الارض وقيل هي دار الجزاء والثواب لانها المعهود وقيل هي جنة بارض فلسطين أو
بين فارس وكرمان خلقها الله امتحاناً لا دم وجل الاهباط على النقل منها الى أرض الهند كما
في قوله تعالى اهبطوا منها الى ارضنا فخلقنا خلفها آدم كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه
القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان أولى بالذكر والتذكير لما أنه من أعظم النعم
ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل
اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل
الكل ممكن والادلة النقيصة متعارضة فوجب التوقف وترك القطع قاله أبو السعود قلت
وقد استوعب الحافظ ابن القيم في كتابه حادي الارواح الى بلاد الافراح دلائل الفريقين
من غير تصريح برجحان أحد القولين والله تعالى أعلم (وكلاهما) أي اجمعاً بين الاستقرار
والاكل من رزق الجنة (رغداً) رعد العيش اتسع ولان أي رزقا واسعا ليناً ورعد القوم
أخصبوا والغيدة الزبد (حيث شئتما) أي في أي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما
ازاحة للعلة والعذر في تناول من الشجرة المنهى عنهما من بين أشجارها التي لا تنحصر (ولا
تقر يا هذه الشجرة) يعني لا اكل والقرب الدنو قال الاصمعي والنهي عن القرب فيه سبب
للذريعة وقطع للوسيلة ولهذا جاء به عوضاً عن الاكل ولا يخفى ان النهي عن القرب
لا يستلزم النهي عن الاكل لانه قد ياكل من ثمرة الشجرة من هو بعيد عنها اذا جل اليه
فالاولى أن يقال المنع من الاكل مستفاد من المقام والشجر ما كان له ساق من نبات الارض
وواحدة شجرة واختلف أهل العلم في تعيين هذه الشجرة فقيل هي الكرم وقيل هي السنبلة

وابن مسعود وغير واحد من الصحابة وبه يقول الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم يقولون أن نصير نحن
وهؤلاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء والسفهاء جمع سفيه لان الحكماء جمع حكيم والحلماء جمع حليم والسفهاء هو
الجاهل الضعيف الرأى القليل المعرفة بموضع المصالح والمضار ولهذا سمي الله النساء الصبيان سفهاء في قوله تعالى ولا تؤنوا
السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً قال عامة علماء التفسير هم النساء والصبيان وقد نزل الله سبحانه جوابهم في هذه
المواطن كما هو فقال ألا انهم هم السفهاء فأكذو وحصر السفاهة فيهم ولكن لا يعلمون يعني ومن تمام جهلهم انهم لا يعلمون بحالهم

في الضلالة والخلل وذلك أردى لهم وأبلغ في العمى والبعد عن الهدى (واذ القوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستزرون الله يسترهم ويهديهم في طغيانهم يعمهون) يقول تعالى وإذا أتى هؤلاء المنافقون المؤمنين قالوا آمنا أظهروا لهم الايمان والموااة والمصافاة غروا منهم المؤمنين ونفاقا ومصانعة وتقية وليس كرههم فيما أصابوا من خير ومغرم وإذا خلوا إلى شياطينهم يعني إذا انصرفوا وذهبوا وخلصوا إلى شياطينهم فحين خلوا معي انصرفوا لتعديته بالي ليدل على الفعل المضمر والفعل الملقوط به ومنهم (٨٨) من قال إلى هنا يعني مع والاول أحسن وعليه يدور كلام ابن جرير وقال

السدي عن أبي مالك خلوا يعني مضوا وشياطينهم سادتهم وكبرائهم ورؤسائهم من أجباز اليهود ورؤس المشركين والمنافقين قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإذا خلوا إلى شياطينهم يعني هم رؤسائهم في الكفر وقال الخليل عن ابن عباس وإذا خلوا إلى أصحابهم وهم شياطينهم وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وإذا خلوا إلى شياطينهم من يهود الذين يأمروهم بالكذب وخلاف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد وإذا خلوا إلى شياطينهم إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين وقال قتادة وإذا خلوا إلى شياطينهم قال إلى رؤسهم وقادتهم في الشرك والشر وبخو ذلك فسرهم أبو مالك وأبو العباس والسدي والربيع بن أنس قال ابن جرير وشياطين كل شيء مردته ويكون الشيطان من الانس

قاله ابن عباس وله عنه طريق صحيحة وقيل التين وقيل الخنطة وقيل اللوز وقيل الخلة وقيل هي شجرة القلم وقيل الكافور وقيل الأترج وقيل هي شبه البر وتسمى البعة وهذا مروي عن جماعة من الصحابة فمن بعدهم وقيل عن جنس من الشجرة وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التبيين إذا لا حاجة اليه لأنه ليس المقصود تعرف عين ذلك الشجرة وما لا يكون مقصود الا يجب بيانه (فكونا من الظالمين) يعني ان أكلتما من هذه الشجرة طامتا أنفسكما فمن جوز ارتكاب الذنوب على الانبياء قال ظلم نفسه بالمعصية والظلم أصله وضع الشيء في غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الانبياء حمل الظلم على انه فعل ما كان الاولى ان لا يفعل وكلام أهل العلم في عصمة الانبياء واختلاف مداهم في ذلك مدون في مواضعه وقد أطلال البحث في ذلك الرازي في تفسيره في هذا الموضع فليرجع اليه فانه مفيد (فأرسلهما الشيطان) أي استزل آدم وحواء (عنها) أي الجنة ودعاها إلى الزلة وهي الخطيئة أي استزلهما وأوقعهما فيها وقيل من الزلة وهي التخيئة أي نحاهاما وقيل من الزوال وقد اختلف أهل العلم في الكيفية التي فعلها الشيطان في إزلالهما ف قيل انه كان ذلك بمشاهدة منه لهما واليه ذهب الجمهور واستدلوا على ذلك بقوله تعالى وقاسمهما إلى لكانين الناصحين والمفاسين ظاهرها المشاهدة وقيل لم يصدر منه الا مجرد الوسوسة والمقابلة ليست على بابها بل للمبالغة وقيل غير ذلك (فأخرجهما عما كانا فيه) أي صرفهما عما كانا عليه من الطاعة إلى المعصية وقيل الضمير للجنة وعلى هذا فالفعل مضمن معنى أبعدهما وأما نسب ذلك إلى الشيطان لانه هو الذي بولى اغواء آدم حتى أكل من الشجرة (وقلنا اهبطوا) أي أنزلوا إلى الارض خطاب لآدم وحواء وخوطبا بما يحاطب به الجمع لان الاثنين أقل الجمع عند البعض من أمم العربية وقيل انه خطاب لهما ولا بليس والجنة فهبط آدم بسريريب من أرض الهند على جبل يقال له نود وأهبطت حواء بمجدة وابليس بالآلة من أعمال البصرة والحية بأصهان وقيل خطاب لهما ولذر يتهم لانهما لما كانا أصل هذا النوع الانساني جعلنا بمنزلته ويدل على ذلك قوله (بعضكم لبعض عدو) فان هذه الجملة الواقعة حالا مبينا للهيئة الثابتة للماورين بالهبوط فبيد ذلك يعني العداوة التي بين المؤمنين من ذرية آدم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعدو خلاف الصديق وهو من عدا اذا ظلم والعدوان الظلم الصراح وقيل انه مأخوذ

والجن كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وشياطين الانس والجن يوسى بعضهم إلى بعض زخرف القول من غرورا وفي المستند عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من شياطين الانس والجن فقلت يا رسول الله أو للانس شياطين قال نعم وقوله تعالى قالوا انا معكم قال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أي انا على مثل ما أنتم عليه انما نحن مستزرون أي انما نحن نستترهم بالقوم ونلعب بهم وقال الخليل عن ابن عباس قالوا انما نحن مستزرون ساخر ون بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك قال الربيع بن أنس وقادة وقوله تعالى جوا بانهم

ومقابلة على صنيعهم الله يستزى بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقال ابن جرير أخبر تعالى انه فاعل بهم ذلك يوم القيامة في قوله تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات الذين آمنوا وناقبتس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتسوا ووافضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب الآية وقوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا اعمالي لهم خير لا انفسهم اعمالي لهم ليزدادوا اعمالا الآية قال فهذا وما أشبهه من استنزاء الله تعالى ذكره وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشر لانه عند قائل هذا القول ومتاويل هذا التاويل قال وقال آخرون بل استنزأه (٨٩) بهم فويخه اياهم ولومه لهم على ما ركبوا من معاصيه وليلكفر به قال وقال

آخرون هذا وأمثاله على سبيل الجواب كقول الرجل لمن يخدعه اذا ظفر به أنا الذي خدعتك ولم يكن منه خديعة ولكن قال ذلك اذا صار الامر اليه قالوا وكذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير مما كرمين والله يستزى بهم على الجواب والله لا يكون منه المكر ولا الهزء والمعنى ان المكر والهزء حاق بهم وقال آخرون قوله تعالى اعمالن مستزؤن الله يستزى بهم وقوله يخادعون الله وهو خادعهم وقوله فيسخرن منهم سخر الله منهم ونسوا الله فنسيهم وما أشبه ذلك اخبار من الله تعالى انه يجازيهم جزاء الاستنزاء ومعاقبتهم عقوبة الخداع فأخرج خبره عن جزائه اياهم وعقابه لهم مخرج خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوا العقاب في اللفظ وان اختلف المعنيان كما قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله وقوله تعالى فمن اعتسدى عليكم فاعتدوا عليه فالاول ظلم والثاني عدل فهما وان

من الجائزة يقال عداء اذا جاوزه والمعنيان متقاربان فان من ظلم فقد تجاوز قال ابن فارس العدر اسم جامع للواحد والاثنين والثلاثة والعداوة التي بين ذرية آدم والحية هي ماروى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منها ما سألتهن من بذخار بناهن أخرجه أبو داود وله عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من نأرهن فليس مني وفي رواية الا الجبان الا يبض الذي كانه قضيب فضة وعن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان بالمدينة جناق قد أسلوا فاذا رأيتهم شياً فأذنه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان وفي رواية ان بهذه البيوت عوامر فاذا رأيتهم منها شياً فخرجوا عليه ثلاثاً فان ذهبوا الا فاقبلوه فانه كافر (ولكم في الارض مستقر) المراد بالمستقر موضع الاستقرار ومنه أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقد يكون بمعنى الاستقرار ومنه الى ربك يومئذ المستقر فالآية محتملة للمعنيين ومثلها قوله جعل لكم الارض قراراً (ومتاع) المتاع ما يستمتع به من المأكول والمشروب والملبوس ونحوها أي بلغة ومستمتع (الى حين) أي الى وقت انقضاء آجالكم واختلاف المفردون في قوله حين فقيل الى الموت وقيل الى قيام الساعة وأصل معنى الحين في اللغة الوقت البعيد ومنه هل أتى على الانسان حين من الدهر والحين الساعة ومنه أو تقول حين ترى العذاب والحين القطعة من الدهر ومنه فذرهم في غمرتهم حتى حين أي حتى تقضى آجالهم ويطلق على السنة وقيل على ستة أشهر ومنه تؤتى أكلها كل حين ويطلق على المساء والصباح ومنه حين تمسون وحين تصبحون قال ابن العربي الحين مجهول لا يتعلق به حكم والحين المعلوم سنة فتلقى آدم من ربه كلمات ومعنى التلقى أخذها ليا وقبولها فإياها وعلمها وقيل فهمه لها وفطنتها لتضمنته وأصل معنى التلقى الاستقبال أي استقبال الكلمات الموحاة اليه وقيل ان معنى تلقى تلقن ولا وجه له في العربية واختلف السلف في تعيين هذه الكلمات فعن ابن عباس قال هي قوله ربنا ظننا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعنه قال علم شان الحج وهي الكلمات وعن عبد الله بن زيد قال لا اله الا انت سبحانك وبحمدك علمت سواء وظلت نفسي فارحني انك أنت أرحم الراحمين وروى نحوه عن أنس وسعيد بن جبير (فتاب عليه) أي فتاب وزعنه وغفر له وأصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع (انه هو التواب) أي الرجاء

(١٢ ل - فتح البيان) اتفق لفظهما فاتفقا فاختلف معناه كما قال والى هذا المعنى وجهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك قال وقال آخرون ان معنى ذلك ان الله أخبر عن المنافقين انهم اذا اخلوا الى مردتهم قالوا اننا معكم على دينكم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وانما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم مستزؤن فأخبر تعالى أنه يستزى بهم فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا يعني من عصمة دماءهم وأموالهم خلاف الذي لهم عنده في الآخرة يعني من العذاب والنعكس ثم شرع ابن جرير يوضح هذا القول وينصبره لان المصكر والخداع والسخرية على وجه اللعب والعيب مستقيف عن الله عز وجل بالاجتماع وإيما على وجه الانتقام

والمقابل بالعدل والمجازاة فلا يمنع ذلك قال ونصروا قلنا فيه روى الخبر عن ابن عباس حدثنا أبو بكر يرب حدثنا أبو عثمان حدثنا بشر
عن أبي روق عن الضحالك عن ابن عباس في قوله تعالى الله يستهزئ بهم قال يستهزئ بهم للنعمه منهم وقوله تعالى ويهدمهم في طغيانهم
يعمهمون قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم يهدمهم على لهم وقال مجاهد يهدمهم وقال تعالى أبحسبون أنعمنا عليهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون وقال سنستدرجهم من حيث (٩٠) لا يعلمون قال بعضهم كلما أحدثوا نبأ أحدث لهم نعمه ورحى في الحقيقة

على عباده بقبول التوبة (الرحيم) بخلقهم (قلنا اهبطوا منها جميعا) أما في زمان واحد أو في
أزمنة متفرقة لأن المراد الاشتراك في أصل الفعل وهذا هو الفرق بين جاؤا جميعا و جاؤا معا
يعني هؤلاء الأربعة أو آدم وحوا وذريتهما وكره قوله اهبطوا للتوكيد والتعليل وقيل أنه
لما تعلق به حكم غير الحكم الأول كرهه ولا تراحم بين مقتضيات فقد يكون التكرير للأمرين
معا أخرج عبد بن حميد والحاكم وصححه عن ابن عباس قال ما سكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة
العصر إلى غروب الشمس وعنه ما غاب الشمس من ذلك اليوم حتى أهبط من الجنة وعن
الحسن قال لبث آدم في الجنة ساعة من نهار تلك الساعة مائة وثلاثون سنة من أيام الدنيا
وأخرج البخاري والحاكم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو لا بنو إسرائيل
لم يخر الله لهم ولولا حواء لم تكن أختي زوجها وقد ثبت أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة في
الصحابين وغيرهما في حاجة آدم وموسى عليهما السلام ورجح موسى بقوله أتألموني على أمر
قدره الله على قبل أن أخلق وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أول ما أهبط الله آدم إلى
أرض الهند وعنه إلى أرض بين مكة والطائف وعن علي أطيب ربح الأرض الهند هبط
بها آدم فعلق شجرها من ربح الجنة وقدرى عن جماعة من الصحابة أن آدم أهبط إلى
أرض الهند منهم جابر وابن عمر وعلي وقدرى عن جماعة من الصحابة والتابعين ومن
بعدهم حكماء في صفة هبوط آدم من الجنة وما أهبط معه وما صنع عند وصوله إلى
الأرض ولا حاجة لنا بسط جميع ذلك وقد ذكر طرفا منها الحافظ ابن القيم في الحادى (فأما
يا تبتكم منى هدى) أى رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول وقيل التوفيق للهداية
(فن تبع هداى فلا خوف عليهم) فيما يتقبلهم وقيل عند الفزع الأكبر (ولاهم
يخزون) أى على ما خلفوا وفاتهم من الدنيا وقال ابن جرير لا خوف عليهم في الآخرة
ولا يخزون للموت والخوف هو الذعر ولا يكون إلا في المستقبل والخزن ضد السرور قال
اليزيدى خزنة لغة قريش وأخرنه لغة تميم (والذين كفروا) أى جحدوا وعطف على فن تبع
قسيم له (وكذبوا باياتنا) أى بالقرآن (أولئك أصحاب النار) أى يوم القيامة وصحبة أهل
النار لها بمعنى الاقتران والملازمة (هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها ولا يموتون فيها
وبنى قسم ثالث وهم من آمن ولم يعمل الطاعات فليس داخل في الاثنين وقد تقدم تفسير
الخلود (يا بنى إسرائيل) اتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم

نعمه وقال تعالى فلما نسوا
ما ذكروا به فحننا عليهم أبواب كل
شئ حتى اذا فرحوا بما أتوا
أخذناهم بغتة فاذا هم مبسورون
فقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين قال ابن جرير
والصواب نزيدهم على وجه
الاملاء الترتيب لهم في عقوبتهم
وتردهم كما قال تعالى ونقلب
أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به
أول مرة ونذرهم في طغيانهم
يعمهمون والطغيان هو المجاوزة
في الشئ كما قال تعالى انما يطغى
الماء جلاكم في الجارية وقال
الضحالك عن ابن عباس في طغيانهم
يعمهمون في كفرهم يترددون
وكذا فسر السدي بسنده عن
الصحابة وبه يقول أبو العالسة
وقتادة والربيع بن أنس ومجاهد
وأبو مالك وعبد الرحمن بن زبدى
كفرهم وضلالهم قال ابن جرير
والعمه الضلال يقال عمه فلان
يعمه عمها وعموها اذا ضل قال
وقوله في طغيانهم يعمهمون في
ضلالهم وكفرهم الذى كفرهم
دنسهم وعلاهم رجسهم يترددون

جبارى ضلالا لا يجدون الى الخرج منه سبيلا لان الله قد طبخ على قلوبهم وختم عليهم وأعمى أبصارهم عن الهدى عليهم
وأغشاها فلا يبصرون رشدا ولا يهتدون سبيلا وقال بعضهم العمى في العين والعمه في القلب وقد يستعمل العمى في القلب
أيضا قال الله تعالى فانها لا تعصى الا بصار ولكن تعصى القلوب التي في الصدور وتقول عمه الرجل يعمه وعمو هافو عمه وعمامه
وجمعهم وعمه وذبحته ابلة العمه اذ لم يدركها من ذبحته (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فسار بحسب تجارتهم وما كانوا مهتدين)
قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة أولئك الذين

اشترى الضلالة بالهدى قال أخذوا الضلالة وتركوا الهدى وقال ابن اسحق عن محمد بن أي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أو أولئك الذين اشترى الضلالة بالهدى أي الكفر بالإيمان وقال مجاهد آمنوا ثم كفروا وقال قتادة استحبوا الضلالة على الهدى وهذا الذي قاله قتادة يشبهه في المعنى قوله تعالى في ثمود فآمنوا ثم كفروا ففهمناهم فاستحبوا العمى على الهدى وحاصل قول المفسرين فيما تقدم ان المنافقين عدلوا عن الهدى الى الضلال واعتاضوا عن الهدى بالضلالة وهو معنى قوله تعالى أولئك الذين اشترى الضلالة بالهدى أي بذلوا الهدى غملا للضلالة وسواء في ذلك من (٩١) كان منهم قد حصل له الإيمان ثم رجع عنه الى الكفر كما قال تعالى فيهم ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم أو أنهم استحبوا الضلالة على الهدى كما يكون حال فريق آخر منهم فانهم أنواع وأقسام ولهذا قال تعالى فما رجحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أي ما رجحت صفقتهم في هذه البيعة وما كانوا مهتدين أي راشدين في صنعهم ذلك وقال ابن جرير حدثنا بشير حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة فما رجحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قدوا لله رأيتهم خرجوا من الهدى الى الضلالة ومن الجماعة الى الفرقة ومن الأمن الى الخوف ومن السنة الى البدعة وهذا كذا رواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة بمثله سواء (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون) يقال مثل ومثل ومثيل أيضاً والجمع أمثال قال الله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون

عليهم السلام ومعناه عبد الله لان اسرى لغتهم هو العبد وويل هو الله وكذلك جبريل وهو عبد الله وميكائيل عبد الله قال القفال ان اسرا بالعبرانية في معنى انسان فكأنه قيل رجل الله وقيل معناه صفوة الله والاول اولى والمعنى يا أولاد يعقوب والخطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب في أيام محمد صلى الله عليه وآله وسلم قيل ان له اسمين وقيل ان اسرا تيل لقب له وهو اسم أعجمي غير منصرف وقد تصرف فيه العرب بلغات كثيرة أفصحها لغة القرآن وهي قراءة الجمهور استدلل به على دخول أولاد الاولاد في الرقب على الاولاد (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أي اشكروا وانما عبر عنه بالذكور لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحد هافقد كفرها والد كرا بالكسر هو ضد الانصات وبالضم ضد التسميان وجعله بعض أهل العلم مشتراكين ذكر القلب واللسان وقال الكسائي ما كان بالقلب فهو مضموم الذال وما كان باللسان فهو مكسور الذال قال ابن الانباري والمعنى في الآية اذكروا واشكروا نعمتي فحذف الشكرا كقضاء ذكر النعمة وهي اسم جنس وحدها أنهم المنفعة المفغولة على جهة الاحسان الى الغير وقيل المنفعة الحسنة والاول اولى والكلام على قيود هذا الحد وضروب النعمة مستوفى في تفسير الرازي فليراجعه والنعم المخصوصة بين اسرا تيل كثيرة من جملتها أنه جعل منهم أنبياء وأنزل عليهم الكتاب والمن والسلوى وأخرج لهم الماء من الحجر ونجاهم من آل فرعون وخلق لهم البحر وأغرق فرعون وظللهم بالغمام وغير ذلك من نعم كثيرة وقيل ان هذه النعمة هي ادراك الخاطئين بهاز من محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاول اولى قال ابن الفارس فيه دليل على أن الله على الكفار نعمة خلافاً لان قال لانعمة الله عليهم وانما النعمة للمؤمنين (وأوفوا بالعهد) أي امتثلوا أمرى يقال أوفى ووفى مشدداً وفي تحقفاً ثلاث لغات بمعنى وقيل يقال وفيت ووفيت بالعهد وأوفيت بالكيل لا غير واختلف أهل العلم في العهد المذكور في هذه الآية ما هو وقيل هو المذكور في قوله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوة وقيل هو ما في قوله ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرا تيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقيل هو قوله ولقد أخذ الله ميثاق الذين آتوا الكتاب لتبيننه للناس وقيل ان المراد من هذا العهد ما أثبتته في الكتب المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانه سيبعثه على ما صرح بذلك في سورة المائدة بقوله ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرا تيل الى قوله لا تكفرن عنكم سيا تكملوا دخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وقال في سورة الاعراف ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها

وتقدير هذا المثل ان الله سبحانه يشبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد البصيرة الى العمى بمن استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله وانفجرت بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها فبيناه كذلك اذ طفت نارده وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدى وهو مع هذا أصم لا يسمع أبكم لا ينطق أعشى لو كان ضياء لما أبصر فلهذا لا يرجع الى ما كان عليه قبل ذلك فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة بعوضا عن الهدى واستحبابهم الغي على الرشد وفي هذه المثل دلالة على انهم آمنوا ثم كفروا كما أخبر تعالى عنهم في غير هذا الموضع والله أعلم وقد حكى هذا الذي قلناه الرازي في تفسيره عن السندي ثم قال والتشبيه ههنا في غاية الصحة لانهم

[illegible]

الذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي
 الذي يجدونه مكشوباً عندهم في النور أو في الظلمة وأما عند الله معهم فهو وأن يخبرناهم
 بما وعدهم من وضع ما كنز عليهم من الأمور والاضلال التي كانت في أعينهم وقال وإذا أخذ
 الله منكم الدين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لآية الله وقال
 وإذا قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم معداً فما لبس بين يدي من التوراة
 ومبشر إبراهيم يأتني من بعدى اسمه أجدر قال ابن عباس إن الله تعالى كنز عنده لآية
 إسرائيل في التوراة إني باعث من بني اسمعيل نبياً أتياخني تبعه وصديق بالنور الذي يأتي به
 أي بالقرآن عقرت له ذنبه وأدخلته الجنة وجعل له أجرين أجر إيتايع ما جاء به مريم
 وجاءت به سائر أنبياء بني إسرائيل وأجر إيتايع ما جاء به محمد النبي الأمي من ولدا اسمعيل
 وتصديق عذافي القرآن في قوله تعالى الذين آتيناكم الكتاب من قبلهم بيؤمنون إلى قوله
 أوائل يؤتون أجرهم مرتين بمصابروا وكان علي بن عيسى يقول تصديق ذلك في قوله
 تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفايلاً من رحمته وتصديق أيضاً
 فيما روى أبو موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ثلاثة يؤتون
 أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بعيسى ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فله
 أجران ورجل أدب أمته فأحسن تأديبه أو علمها فأحسن تعاليمها ثم أعنتها وتزوجها فله
 أجران ورجل أطاع الله وأطاع سيده فله أجران ولذا ذكر الآن بعض ما جاء في كتب
 الأنبياء المتقدمين من البشارة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فالأول جاء في الفصل
 التاسع من السفر الأول من التوراة أن هاجر لما غضبت عليها سارة ترا آليها ملك الله فقال
 لها يا هاجر أين تريد ومن أين أقبلت قالت أهرب من سيدي سارة فقال لها ارجعي إلى
 سيديك واخضعي لها فإن الله سيكثر رزقك وذريرتك وستحبلين وتلدن ابناً وتسميه اسمعيل
 من أجل أن الله سمع تبتك وخشوعك وهو يكون عين الناس وتكون يده فوق الجميع
 ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع وهو يشكر على رغم جميع أخوته وأعلم أن الاستدلال
 بهذا الكلام أن هذا الكلام خرج مخرج البشارة وليس يجوز أن يشر المالك من قبل الله
 بالنسب والجور وبما لا يتم إلا بالكذب على الله تعالى ومعلوم أن اسمعيل وولده لم يكونوا
 متصرفين في الكل أعنى في معظم الدنيا ومعظم الأمم ولا كانوا إخواناً للكل على سبيل

مشرب من دلي الجماعة بأولو احدكم
 فقال رأيتهم سيم بشارون البث ورو
 أعينهم كالتى يغشى عليه من
 الموت أى كدور ان الذى يغشى عليه
 من الموت وقال تعالى ماخذناكم
 ولابنهكم الا كنفس واحدة
 وقال تعالى مثل الذين جاوروا
 ثم لم يتبعوا كما كثر الجار يتبع
 أسراروا وقال بعضهم تندير الكلام
 مثل قسمهم كنفسه الذين استوقدوا
 ناراً وقال بعضهم المستوقد واحد
 بجماعة معه وقال آخرون الذى
 هو نائبه عن الذين كما قال الشاعر
 وان الذى حانت ببلع دماؤهم
 هم القوم كل القوم أيام خاله
 قلت وقد التفت فى أمثاله المثل من
 الواحد الى الجمع فى قوله تعالى فلما
 أضأت ماحولة ذهب الله بنورهم
 وتركهم فى ظلمات لا يصررون سم
 بكم عمى فهم لا يرجعون وهذا
 أفصح فى الكلام وأبلغ فى التلزام
 وقوله تعالى ذهب الله بنورهم أى
 ذهب عنهم بما يتبعهم وهو النور
 وأبقى لهم ما يضرهم وهو الاحراق
 والسخن وتركهم فى ظلمات وهو
 ما هم فيه من الشك والكفر

والله ان لا يصرون لا يهدون الى سبيل خير ولا يعرفونها وهم مع ذلك هم لا يسمعون خيرا بكم لا يكلمون الاستيلاء
بما ينفعهم عني في ضلالة وعماية البحيرة كما قال تعالى فانها لا تعصى الا بصار ولكن تعصى القلوب التي في الصدور فلهذا
لا يرجعون الى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة ذكر أقوال المفسرين من السلف بضموم ما ذكرناه قال السدي
في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة بن النضر عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى فلما
أضأت ما حذرهم ان ناسا دخلوا في الاسلام مقدم نبى الله صلى الله عليه وسلم المدينة ثم انهم نافقوا وكان مثلهم كمثل رجل كذب

في ظلمة فارقنا ناراً فلما أضاءت ماحولة من قذى أو أذى فابصره حتى عرف ما يتقى منه فبينما هو كذلك اذ طفت ناره فاقبل لا يدري ما يتقى من أذى فذلك المنافق كان في ظلمة الشرك فاسلم فعرف الحلال والحرام والخير والشر فبينما هو كذلك اذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من الشر وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية قال أما النور فهو إيمانهم الذي كانوا يتكلمون به وأما الظلمة فهي ضلالتهم وكفرهم الذي كانوا يتكلمون به وهم قوم كانوا على هدى ثم نزع منهم ففتوا بعد ذلك وقال مجاهد فلما أضاءت ماحولة أما اضاءة النار فاقبلهاهم إلى المؤمنين والهدى (٩٣) وقال عطاء الخراساني في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً قال هذا

الاستيلاء إلا بالاسلام لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين في البادية لا يتجاسرون على الدخول في أوائل العراق وأوائل الشام الأعلى أتم خوف فلما جاء الاسلام استولوا على الشرق والغرب بالاسلام ومازجوا الامم ووطئوا بلادهم ومازجهم الامم ووجوا بينهم ودخلوا بلادهم بسبب مجاورة الكعبة فلم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صادقا فكانت هذه الخاطئة منهم للامم ومن الامم لهم معصية الله تعالى وخر وجاعن طاعته إلى طاعة الشيطان والله تعالى عن أن يبشر بما هذا سبيله والثاني جاء في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس ان الرب الهكم يقيم لكم نبيا مثلي من بينكم ومن اخوانكم وفي هذا الفصل ان الرب الهكم قال لموسى اني مقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوانهم وأما رجل لم يسمع كلامي التي يؤذيها عن ذلك الرجل باسمي أنا أقيم منه وهذا الكلام يدل على ان النبي الذي يقيمه الله تعالى ليس من بني اسرائيل كما أن من قال لبني هاشم انه سيكون من اخوانكم امام عقل منه أنه لا يكون من بني هاشم ثم ان يعقوب عليه السلام هو اسرائيل ولم يكن له أخ إلا العيص ولم يكن للعيص ولد من الانبياء سوى أيوب وأنه كان قبل موسى عليه السلام فلا يجوز أن يكون موسى عليه السلام مبشرا بهو اما اسمعيل فإنه كان آخا لاسحق والد يعقوب ثم ان كل نبي بعث بعده موسى كان من بني اسرائيل فالنبي عليه السلام ما كان منهم لكنه كان من اخوانهم لانه من ولد اسمعيل الذي هو أخ اسحق عليهم السلام فان قيل قوله من بينكم يمنع من أن يكون المراد محمد أصلي الله عليه وآله وسلم لانه لم يقيم من بين بني اسرائيل قلنا بل قد قام من بينهم لانه عليه السلام ظهر بالجزيرة بمكة وهاجر إلى المدينة ونها تكامل أمره وقد كان حول المدينة بلاد اليهود كخبر وبني قينقاع والنضير وغيرهم وأيضاً فان الجزاء يقارب الشام وجهه واليهود كانوا اذ ذاك بالشام فاذا قام محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالجزيرة فقد قام من بينهم وأيضاً فإنه اذا كان من اخوانهم فقد قام من بينهم فإنه ليس يتبعيد منهم والثالث قال في الفصل العشرين من هذا السفر ان الرب تعالى جاء في طور سيناء وطلع لسان من ساير وظهر من جبال فاران وصف عن عيونه عنوات القديسين ففتحهم العز وحيهم إلى الشعوب ودعا الجميع قديسية بالبركة وجه الاستدلال ان جبل فاران وهو بالجزيرة لان في التوراة ان اسمعيل تعلم الرعي في بركة فاران ومعلوم أنه انما سكن بمكة اذا ثبت هذا فنقول ان قوله فتحهم العز لا يجوز أن يكون المراد اسمعيل

كمثل الذي استوقد ناراً قال هذا مثل المنافق يبصر أحيانا ويعرف أحيانا ثم يدركه عمى القلب وقال ابن أبي حاتم وروى عن عكرمة والحسن والسدي والربيع بن أنس نحو قول عطاء الخراساني وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً قال هذا مثل المنافق يبصر أحيانا ويعرف أحيانا ثم يدركه عمى القلب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً إلى آخر الآية قال هذه صفة المنافقين كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ناراً ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزعهم كذهب بضوء هذه النار فتركهم في ظلمات لا يبصرون وأما قول ابن جرير في شبه ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً قال هذا مثل ضربه الله للمنافقين انهم كانوا يعتزون بالاسلام فينا حكمهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم

التي فلما مات أسلمهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوؤه وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العباس مثله كمثل الذي استوقد ناراً فانما أضواء النار ما أوقد بها فاذا أخذت ذهب نورها وكذلك المنافق كلما تكلم بكلمة الاخلاص بلا الله الا الله أضاء له فاذا شك وقع في الظلمة وقال الضحاك ذهب الله بنورهم أما نورهم فهو إيمانهم الذي تكلموا به وقال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة مثله كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ماحولة فهي لا اله الا الله أضاءت لهم فأكوا بها وشربوا وآمنوا في الدنيا وأنكروا النساء وحققوا دماءهم حتى اذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون وقال سعيد بن قيس في هذه الآية

من المؤمنين ان لما اتوا نزلهم والاله الا ان ذنبا له في الدنيا فقتل جميع بها المساجين وعزاهم بها وارادهم بها او حذق بها ادمه وماله فلما
 كان عند الموت سلبها المناق لا تدم بطن زيد اهل في قلبه ولا حقه في عمده وتركهم في ظلمات لا يبصرون قال علي بن ابي طالب عن ابن
 عباس وتركهم في ظلمات لا يبصرون يقول عذاب اذا ماتوا وقال محمد بن ادهق عن محمد بن ابي شبيب عن عكرمة اوس عبد بن بدير عن
 ابن عباس وتركهم في ظلمات لا يبصرون اخرو ويتولون به حتى اذا ضربوا من ناله الكفر طغوه بكفرهم ونهاتهم فيفسد تركهم
 في ظلمات الكفر فبه لا يبصرون عدى (٩٤) ولا يستقيون على حق وقال السدي في تفسيره بسنده وتركهم في ظلمات

عليه السلام لانهم يحصل عقيب سكنى اسد جبل عليه السلام شماله عز ولا اجتمع هناك
 ربات القديسين فوجب جلاله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم قالت اليهود اماراد ان النار
 لما ظهرت من طور سيناء ظهرت من ساعير نار ايضا ومن جبل فاران ايضا فانتشرت في حرد
 المواضع فلما هذا لا يصح لان الله تعالى لو خلق نار في موضع فانه لا يقال جاء الله من ذلك
 الموضع الا اذا تبع ذلك الواقعة وحس نزل في ذلك الموضع او عوقوبة وما أشبه ذلك وعندكم
 انه لم يتبع ظهور النار وحى ولا كلام الامن طور سيناء كما كان ينبغي الا ان يقال جاء الله
 من طور سيناء فاما ان يقال ظهر من ساعير ومن جبل فاران فلا يجوز وروده كما لا يقال
 جاء الله من الغمام اذا ظهر في الغمام احتراق ونيران كما يتفق ذلك في أيام الربيع وايضا في
 كتاب جقوق بيان ما قلناه وهو جاء الله من طور سيناء والقدس من جبل فاران لو انك كشفت
 السماء من بهاء مجسدا وامتلات الارض من حديد يكون شعاع منظره مثل النور يحفظ
 بلده بعره تسير المنايا اسامه ويحب سباع الطير اجناده قام ففتح الارض وتامل الامم
 وبحث عنها فتعوضت الجبال القديمة وانضعت الروابي الدهرية وترعزت ستور اهل
 مدين ركب الخيول وعلوت مراكب الانقياد والغوث واستزع في قسيك اغراقا وزعا
 وترتوي السهام باحرارك يا محمد ارتواءه وتخفوا الارض بالانهار ولقد رأتك الجبال فارناعت
 وانخرق عنك شروب السيل ونفرت المهارى تنسيرا وعباور فعت ايديها ورجلا وفرا
 وتوقفت الشمس والقمر عن مجراهما وسارت العساكر في برق سهامك ولعان بيانك تدوخ
 الارض غضبا وتدوس الامم زجر الانك ظهرت بخلاص أمتك وانقاذ تراب آبائك هكذا
 نقل عن ابن رزين الطبري اما النصاري فقال أبو الحسين رحمه الله تعالى في كتاب الغرر قد
 رأيت في نقولهم وظاهر من جبال فاران لقد تقطعت السماء من بهاء محمد المجود وترتوي
 السهام باحرار المجود لانك ظهرت بخلاص أمتك وانقاذ مسيحك فظهر عما ذكرنا ان قوله
 تعالى في التوراة اظهر الرب من جبال فاران ليس معناه ظهور النار منه بل معناه ظهور
 شخص موصوف بهذه الصفات وما ذاك الا رسولنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فان قالوا
 المراد مجي الله تعالى ولهذا قال في آخر الكلام وانقاذ مسيحك قلنا لا يجوز وصف الله
 تعالى بانه يركب الخيول وبان شعاع منظره مثل النور وبانه جاز المشاعر القديمة واما قوله
 وانقاذ مسيحك فان محمد عليه السلام انقاذ المسيح من كذب اليهود والنصارى والرابع

في كتاب الله تعالى قد قدمه وقال الحسن
 البصري وترككم في ظلمات
 لا يبصرون فذلك حين يوت
 المناق فينزل عليه عمل سوء
 فلا يبيده علم من خير عمل به
 يصدق به قول لا اله الا الله صم بكم
 عني قال السدي بسنده صم بكم
 عني فهم خرس عني وقال علي بن
 ابي طالب عن ابن عباس صم بكم عني
 يقول لا يسمعون الهدي ولا
 يبصرون ولا يعقلونه وكذا قال أبو
 العباس وقتادة بن دعامة فهم
 لا يرجعون قال ابن عباس أي
 لا يرجعون الى هدي وكذا قال
 الربيع بن أنس وقال السدي
 بسنده صم بكم عني فهم لا يرجعون
 الى الاسلام وقال قتادة فهم
 لا يرجعون أي لا يتوبون ولا هم
 يذكرون (أو كصيب من السماء
 فيه ظلمات ورعد ويرق يجعلون
 أصابعهم في آذانهم من الصواعق
 حذر الموت والله محيط بالكافرين
 يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما
 أضاء لهم بشرف اضاء لهم
 قاموا ولو شاء الله لذهب بجمعهم
 رأبصارهم ان الله على كل شيء قدير)

هذا مثل آخر ضرب به الله تعالى لضرب آخر من المنافقين وهم قوم يظهرهم الحق تارة ويشكون تارة أخرى فقلوبهم ما جاء
 في حال شكهم وكفرهم وتردد هم كصيب والصيب المطر قاله ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة وأبو العباس ومجاهد وسعيد
 ابن جبير وعطاء والحسن البصري وقتادة وعطية العوفي وعطاء الخراساني والسدي والربيع بن أنس وقال الضحاك هو السحاب
 والاشهر هو المطر نزل من السماء في حال ظلمات وحى الشكوك والكفر والنفاق ورعد وهو ما يرعج القلوب من الخوف فان من
 شأن المنافقين الخوف الشديد والنزع كما قال تعالى يحسبون كل صيحة عليهم وقال ويخلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم

قوم يفرقون لم يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلات لوالدهم يجمعون والبرق هو ما يلج في قلوب هؤلاء الضرب من المنافق
في بعض الأحيان من نور الإيمان ولهذا قال يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين أي و
يجدي عنهم حذرهم شياً لأن الله محيط بقدرته وهم تحت مشيئته وإرادته كما قال هل أتاك حديث الجنود فرعون وعمر بل الذير
كفر وافي تكذيب والله من وراءهم محيط بهم ثم قال يكاد البرق يخطف أبصارهم أي لشدة وقوته في نفسه وضعف بصائرهم وعدد
شبابه اللايمان وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يكاد البرق يخطف (٩٥) أبصارهم يقول يكاد يحكم القرآن يدل على

عورات المنافقين وقال ابن اسحق
حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة
أوسعيد بن جبير عن ابن عباس
يكاد البرق يخطف أبصارهم أي
لشدة ضوء الحق كلما أضاء لهم
مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا
أي كلما ظهر لهم من الإيمان شيء
استأنسوا به واتبعوه وتارة تعرض
لهم الشكوك أظلمت قلوبهم
فوقفوا حزينين وقال علي بن أبي
طلحة عن ابن عباس كلما أضاء لهم
مشوا فيه يقول كلما أصاب المنافق
من عز الإسلام اطمأنوا إليه
وإذا أصاب الإسلام نكبة قاموا
ليرجعوا إلى الكفر كقوله تعالى
ومن الناس من يعبد الله على حرف
فإن أصابه خير اطمأن به وقال محمد
ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن
عكرمة أوسعيد بن جبير عن ابن
عباس كلما أضاء لهم مشوا فيه
وإذا أظلم عليهم قاموا أي يعرفون
الحق ويتكلمون به فهم من قولهم
به على استقامة فإذا ارتكسوا منه
إلى الكفر قاموا أي متحيزين
وهكذا قال أبو العالية والحسن
المصري وقتادة والزبيعي بن أنس

ما جاء في كتاب شعبنا في الفصل الثاني والعشرين منه قومي فازهرى مصباحك يريد مكة
فقد دنا وقتك وكرامة الله تعالى طاعة عليك فقد تجلجلى الأرض الظلام وغطى على الأمم
الضباب والرب يشرق عليك أشراقاً ويظهر كرامته عليك تسير الأمم إلى نورك والملوك
إلى ضوء طلوعك وارفعي بصرك إلى ما حولك وتأمل فيهم مستجمعون عندك
ويحجونك ويأتوك ولذلك من بعيد لانك أم القرى فأولاد سائر البلاد كانوا هم أولاد مكة
وتزين ممالك على الأرائك والسررحين تزين ذلك تسرين وتبهجين من أجل أنه عيل
اليك ذخائر الجبر ويحج إليك عساكر الأمم ويساق إليك بكاش مدين ويأتوك أهل سبأ
ويتحدثون بنعم الله ويمجدونه وتسير إليك أغنام فاران ويرفع إلى مذبحي ما يرزني وأحدث
حينئذ لبيت محمد بن أحمد فوجه الاستدلال أن هذه الصفات كلها موجودة لمكة فإنه قد
جاء إليها عساكر الأمم ومال إليها ذخائر الجبر وقوله أحدث لبيت محمد بن أحمد فإنه
العرب كانت تأتي قبل الإسلام فتقول ليك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك
ثم صار في الإسلام ليك اللهم ليك لا شريك لك ليك فهذا هو الحمد الذي جرده الله لبيت
محمد بن أحمد فأن قيل المراد بذلك بيت المقدس وسيكون ذلك فيما بعد قلنا لا يجوز أن يقول
الحكيم قد دنا وقتك مع أنه ما دنا بل الذي دنا أمر لا يوافق رضاه ومع ذلك لا يحذر منه
وأيضاً فإن كتاب شعبنا ملئ من ذكر البادية وصفته وأذلك يطل قولهم الخامس روى
السمان في تفسيره في السفر الأول من التوراة أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم عليه السلام
قال قد أجبت دعائك في اسمعيل وباركت عليه فكبرته وعظمته جدا جدا وسيلداً ثني عشر
عظيماً وأجعله لامة عظيمة والاستدلال به أنه لم يكن في ولدا اسمعيل من كان لامة عظيمة غير
نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فامدعاء إبراهيم عليه السلام واسمعيل فكان لرسولنا
عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء الكعبة وهو قوله ربنا وابعث فيهم رسلاً منهم
يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ولهذا كان
يقول عليه الصلاة والسلام نادعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى وهو قوله ومبشر برسول
يأتي من بعدي اسمه أحمد فإنه مشتق من الحمد والاسم المشتق من الحمد ليس الا نبينا فان
أحمد محمد وأحمد محمد وقيل ان صفة في التوراة أن مولد بمكة ومكة بطيبة ومكة
بالشام وأمة الجنادون والسادس قال المسيح للحواريين أنا ذاهب وسأتيكم القار قليط

والسدي بسنده عن الجنادة وهو أصبح وأظهر والله أعلم وهكذا يكون يوم القيامة عندما يعطى الناس النور بحسب إيمانهم
فهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة قراخ وأكثر من ذلك وأقل من ذلك ومنهم من يطفأ نوره تارة ويضيء أخرى ومنهم من
عشى على الصراط تارة ويقف أخرى ومنهم من يطفأ نوره بالكلية وهم الخالص من المنافقين الذين قال تعالى فيهم يوم يقول
المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا فنتبس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتسوا نوراً وقال في حق المؤمنين يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات يضيء نورهم بين أيديهم ويأمنهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار الآية وقال تعالى يوم لا يخزي الله

النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير (ذكر الحديث الوارد في ذلك) قال سعيد بن أبي عروبة في قوله تعالى يوم تری المؤمنین والمؤمنات الاية ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من المؤمنین من یضی نوره من المدينة الى عدن آیین بصغاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنین من لا یضی نوره الا موضع قدس به رواه ابن جریر ورواه ابن أبي حاتم من حديث عمران بن داود الططائ عن قتادة بن خویر وهذا كما قال المنهال بن عمرو عن قيس ابن السكن عن عبد الله بن مسعود قال یؤتی نورهم على قدر أعمالهم فهم من یؤتی نور كالتخلة ومنهم من یؤتی نور

روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه اغنا يقول كما يقال له وتصديق ذلك ان أتبع الاما يوحى الى وقوله قبل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان أتبع الاما يوحى الى الفارق ليط في تفسيره وجهان أحدهما انه الشافع المشفع وهذا أيضا صفة عليه الصلاة والسلام الثاني قال بعض النصارى الفارق ليط هو الذي يفرق بين الحق والباطل وكان في الاصل فاروق كما يقال راووق للذي يروق به وأما ليط فهو التحقيق في الامر كما يقال شيب أشيب وشيب وهذا أيضا صفة شرعنا لانه هو الذي يفرق بين الحق والباطل والسابع قال دانيال لبحث نصر حين سأله عن الرؤيا التي كان راها من غير ان قصه عليه رأيت أيها الملك منظر اها ثلارأسه من الذهب الابيض وساعده من الفضة ويطنه ونخذه من نحاس وساقاه من حديد وبعض رجله من حديد وبعضها من خرف ورأيت حجرا يقطع من غير قاطع وصل رجل ذلك الصم ودقها دقا شديدا فقتت الصم كله حديد ونحاس وقضه وذبه وصارت رفا ناعصفت بها الرياح فلم يوجدها أثرو صار ذلك الحجر الذي وصل ذلك الرجل من ذلك الصم جبلا عاليا امتلأت به الارض فهذا رؤياك أيها الملك وأما تفسيرها فأنت الرأس الذي رأيت من الذهب ويقوم بعدك مملكة أخرى دونك والمملكة الثالثة التي تشبه النحاس تنبسط على الارض كلها والمملكة الرابعة تكون قوتها مثل الحديد وأما الرجل الذي كان بعضها من حديد وبعضها من خرف فان بعض المملكة يكون عزيزا وبعضها يكون ذليلا وتكون كلمة الملك متفرقة ويقوم الله السموات في تلك الايام مملكة أبدية لا تتغير ولا تزول وانما تزيل جميع الممالك وسلطانها يظل جميع السلاطين وتقوم هي الى الدهر الدهر فهذا تفسير الحجر الذي رأيت أنه يقطع من جبل بلا قاطع حتى دق الحديد والنحاس والخرف والله أعلم بما يكون في آخر الزمان فهذه هي البشارات الواردة في الكتب المتقدمة بعث رسولنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وبارك وسلم ذكره الرازي وقال الزجاج المراد بالعهد مأخذ عليهم في التوراة من اتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو أداء الفرائض وقيل أراد جميع ما أمر الله به من غير تخصيص ببعض التكليف دون بعض ولا مانع من جملة على جميع ذلك (أوف بعهدكم) أي بما ضمنتم لكم من الجزاء وقيل بالقبول والثواب عليه بدخول الجنة (واباى قارهبون) أي خافون في تقصيركم العهد والرهبة والخوف ويتضمن الامر به معنى التهديد وتقدم

كل رجل القاء وأدناهم نورا على ايهامه يطفأ مرة ويتقدم مرة وهكذا رواه ابن جرير عن ابن شني عن ابن ادریس عن أبيه عن المنهال وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن علي بن محمد الطنافسي حدثنا ابن ادریس سمعت أبي يذكر عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود نورهم يسعى بين أيديهم قال على قدر أعمالهم يرون على الصراط منهم من نور مثل الجبل ومنهم من نورهم مثل النخلة وأدناهم نورا من نورهم في ايهامه يتقدم مرة ويطفأ أخرى وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا محمد بن اسمعيل الاجسي حدثنا أبو يحيى الحماني حدثنا عتبة بن اليقظان عن عكرمة عن ابن عباس قال ليس أحد من أهل التوحيد الا يعطى نور يوم القيامة فاما المنافق فيطفأ نوره فالمؤمن مشفق مما يرى من اطفاء نور المنافقين فهم يقولون ربنا أتم لنا نورنا وقال الضحاك بن مزاحم يعطى كل من كان يظهر الايمان في الدنيا يوم القيامة نورا فاذا انتهى

الى الصراط طفي نور المنافقين فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا فقالوا ربنا أتم لنا نورنا فاذا تقرر هذا صار معمول الناس أقساما مؤمنون خلاص وهم الموصوفون بالايات الاربع في أول البقرة وكفار خلاص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها ومنافقون وهم قسيمان خلاص وهم المضروب لهم المثل الناري ومنافقون يترددون تارة يظهر لهم الخ الايمان وتارة يخبئونهم أصحاب المثل المنائي وهم أخف حالا من الذين قبلهم وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه ما ذكر في سورة النور من ضرب مثل المؤمن وما جعل الله في قلبه من الهدى والنور بالمصباح في الزجاجة التي كأنها كوكب دري وهي قلب المؤمن المقطوع على الايمان

واستداده من التبريعه الخالصه الصافيه الواصله اليه من غير ~~عكس~~ ولا تحلظ ~~في~~ ساقى بقر بره في موضعها ان شاء الله ثم ضرب
 مثل العباد من الكفار الذين يعتقدون انهم على شيء وليسوا على شيء وهم أصحاب الجهل الماركب في قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم
 كسراب بقعة يحسه الظمان ما حتى اذا جاء لم يجد شيئا الا به ثم ضرب مثل الكفار الجهال الجهل البسيط وهم الذين قال
 تعالى فيهم ثم أوكلناهم في بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها
 ومن لم يجعل الله نورا فلا نور اخاله من نور قسم الكفار ههنا الى قسمين داعية ومقلد كما ذكره في أول سورة الحج ومن الناس من
 يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مرید وقال ومن الناس من يجادل (٩٧) في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وقد

قسم الله المؤمنين في أول الواقعة
 وفي آخرها وفي سورة الانسان
 الى قسمين سابقون وهم المقربون
 وأصحاب يمين وهم الابرار فتلخص
 من مجموع هذه الايات الكريكات
 ان المؤمنين صنفان مقربون
 وأبرار وان الكافرين صنفان
 دعاة ومقلدون وان المنافقين أيضا
 صنفان منافق خالص ومنافق فيه
 شعبة من نفاق كما جاء في الصحيحين
 عن عبد الله بن عمر وعن النبي صلى
 الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه
 كان منافقا خالصا ومن كانت فيه
 واحدة منهن كانت فيه خصلة
 من النفاق حتى يدعها من اذا
 حدث كذب واذا وعد أخلف
 واذا اتهم خان استدلوا به على ان
 الانسان قد تكون فيه شعبة من
 ايمان وشعبة من نفاق اما على
 لهذا الحديث أو واعتقادي كما
 دلت عليه الآية كما ذهب اليه
 طائفة من السلف وبعض العلماء
 كما تقدم وكما ساقى ان شاء الله قال
 الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا
 أبو معاوية يعني شيان عن ليث
 عن عمرو بن مرة عن أبي البختري

معمول الفعل يفيد الاختصاص قال صاحب الكشاف وهو كذا في افادة التخصيص
 من اية لعبدوا الفاء جواب أمر مقدر أي تبهو افارهبون أو زانده وتسقط المياء من قوله
 فارهبون لانه رأس آية (واستوبوا ما أنزلت) يعني القرآن (مصدق المامعكم) أي لما في
 التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ولا تكونوا
 أول كافرينه) المراد أهل الكتاب لانهم العارفون بما يجب للانبياء وما يلزم من التصديق
 أي لا تكونوا يا معشر اليهود أول كافر بهذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كونكم
 قد وجدتموه مكتوبا عندكم في التوراة والاشجيل مبشرا به في الكتب المنزلة عليكم وقد
 حكى الرازي في تفسيره في هذا الموضع ما وقف عليه من البشارات برسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم في الكتب السابقة وقيل الضمير في بعائده الى القرآن المدلول عليه بقوله بما أنزلت
 وقيل عائد الى التوراة المدلول عليه بقوله لما معكم والخطاب للجامعة والكافر لفظه واحد
 وهو في معنى الجمع أي أول الكفار أو أول فريق كافر ومفهوم الصفة غير مراد هنا
 فلا يرد أن المعنى بل آخر كافر وانما ذكرت الاولية لانها أخص لما فيها من الاستدعاء بالكفر
 بل يجب ان تكونوا أول فريق مؤمن به لانكم أهل نظر في مجزاته والعلم به فهو صفاته
 (ولا تشترؤا يا بني عثا قليلا) أي لا تستبدلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي
 في التوراة عوضا يسير من الدنيا الى الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشيء اليسير الحقير الذي
 لا قيمة له والذي كانوا يأخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل
 القليل وهذه الآية وان كانت خطبا بالنبي اسرائيل ونهيا لهم فهي متناولة لهذه الامة
 بفحوى الخطاب أو لانه من أخذ من المسلمين رشوة على ابطال حق أمر الله به أو اتي
 باطل نهى الله عنه أو امتنع من تعليم ما علمه الله وكم البيان الذي أخذ الله عليه مناقبه
 فقد استترى بآيات الله عثا قليلا (واياي فائقون) بالايان واتباع الحق والاعراض عن
 حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادئ لما في الآية الثانية
 فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى أو لان الخطاب به الماعم العالم والمقلد أمر
 فيها بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالثانية فبخص بالعلماء أمر فيها بالتقوى
 الذي هو المنتهى وبأبي الكلام فيه كالكلام في قوله وياي فارهبون وقد تقدم قريبا
 (ولا تلبسوا الحق بالباطل) أي ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل

(١٣ ل - فتح البيان)

عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلوب أربعة قلب
 أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فاما القلب الاجرد فقلب المؤمن
 فسر اجده فيه نوره واما القلب الاغلف فقلب الكافر واما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص عرف ثم أنكر واما القلب
 المصفح فقلب فيه ايمان ونفاق ومثل الايمان فيه كمثل النقلة عدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة عدها القيح والدم
 فاي المادتين غلبت على الاخرى غلبت عليه وهذا السناد جيد حسن وقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسبعهم وأبصارهم ان الله على

كل شيء قد ر قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عبد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وأبصارهم قال لما تركوا من الحق بعد معرفته ان الله على كل شيء قدير قال ابن عباس أي ان الله على كل ما أراد بعباده من
نعمته أو عقوبته وقيل ان جبرائيل وصف الله تعالى نفسه بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع لانه حذر المنافقين بأسمه وسطوته
وأخبرهم انه بهم محيط وعلى اذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير ومعنى قدير قادر كما معنى عليهم عالم وذهب ابن جبريل ومن تبعه من
كثرت من المفسرين الى ان هذين المثليين ضروران لصنف واحد من المنافقين وتكون أو في قوله تعالى أو كصب من السماء جمعي
الو أو كقوله تعالى ولا تطع منهم أعمى أو كفورا (٩٨) أو تكون للخير أي أضرب لهم مثلاً بهذا وان شئت بهذا قال القرطبي

أو للتساوي مثل جالس الحسن أو
ابن سيرين على ما وجهه الرخصى
ان كلا منهما مساو لاخر في
اباحة الجلوس اليه ويكون معناه
على قوله سواء ضربت لهم مثلاً
بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم
(قلت) وهذا يكون باعتبار جنس
المنافقين فانهم أصناف ولهم
أحوال وصفات كذا كرها الله
تعالى في سورة براءة ومنهم ومنهم
ومنهم يذكروا أحوالهم وصفاتهم
وما يعقدونه من الافعال والاقوال
فجعل هذين المثليين لصنفين منهم
أشد مطابقة لآحوالهم وصفاتهم
والله أعلم كما ضرب المثليين في سورة
النور لصنفى الكفار الدعاة
والمقلدين في قوله تعالى والذين
كفروا أعمالهم كسراب بقيعة الى
أن قال أو كظلمات في بحر لجى
الآية فالاول للدعاة الذين هم في
جهل مركب والثاني لذوى الجهل
البسيط من اتباع المقلدين والله
أعلم بالصواب (يا أيها الناس
اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين
من قبلكم لعلكم تتقون الذى
جعل لكم الارض فراشا والسماء

بالباطل الذى كنتم وقيل لا تخطوا الحق من صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالبطل من
تغيير صفته واللبس الخلط وقيل خوما خوذ من التغطية أى لا تغطوا الحق بالباطل
والاول أولى والباء للاتصاف على الاول وقيل للاستعانة واستبعده أبو حيان وقال فيه
صرف عن الظاهر من غير ضرورة قال السمين ولا أدري ما هذا الاستبعاد مع وضوح هذا
المعنى الحسن والباطل في كلام العرب الزائل والباطل الشيطان والمراد به هنا خلاف
الحق والمراد النهى عن كتم حجة الله التى أوجب عليهم تبليغها وأخذ عليهم بيانها ومن فسر
اللبس أو الكتمان بشئ معين ومعنى خاص كما تقدم فلم يصب ان أراد أن ذلك هو المراد
دون غيره لان أراد انه مما يصدق عليه (وتكفوا الحق) لما فيه من الضرر والفساد وقيل
ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من
مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا في الصورة عاما في المعنى فعلى كل أحد أن لا يلبس
الحق بالبطل ولا يكتم الحق (وأنتم تعلمون) فيه أن كفرهم كفر عناد لا كفر جهل وذلك
أغلظ للذنب وأوجب العقوبة وهذا التقييد لا يفيد جواز اللبس والكتمان مع الجهل
لان الجاهل يجب عليه أن لا يقدم على شئ حتى يعلم بحكمه خصوصا في أمور الدين فان
التكلم فيها والتصديق للاصدار والايادى أبوابها انما أذن الله به لمن كان رأسا في العلم
فردا في الفهم وما للجهال والدخول فيما ليس من شأنهم والقعود في غير مقاعدهم وأعلم
ان كثيرا من المفسرين جاؤا بعلم متكاف وخاضوا في بحر لم يكفوا سبحانه واستغرقوا
أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأى المنهى عنه
في الامور المتعلقة بكباب الله سبحانه وذلك انهم أرادوا ان يذكروا المناسبة بين الآيات
القرآنية المنسودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات
يتراءى منها الانصاف ويتزعمونها كلام البغاة فضلا عن كلام الرب سبحانه حتى أفردوا ذلك
بالتصنيف وجعلوا المقصد الاهم من التاليف كما فعله الباقى في تفسيره ومن تقدمه ومن
تأخره وان هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف ان هذا القرآن ما زال ينزل مفرقا على حسب
الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى أن
قبضه الله عز وجل اليه وكل عاقل فضلا عن عالم لا يشك ان هذه الحوادث المقتضية لنزول
القرآن متخالفة باعتبار نفسها بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالا أو تحليل أمر

بناه وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) شرع تبارك
وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بانه تعالى هو المنعم على عبده بانجراحهم من العدم الى الوجود واسبغهم النعم الظاهرة
والباطنة بان جعل لهم الارض فراشا أي مهدا كالفرش مقرر موطأة مثبتة بالرواسى الشاححات والسماء بناء وهو السقف كإفان
في الآية الاخرى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتهم معرضون وأنزل لهم من السماء ماء والمراد به السحاب هيئنا في وقته
معددا احتياجهم اليه فأخرج لهم به من أنواع الزرع والثمر ما حرموا مشاهد رزقهم ولانعامهم ما كفرهم وهذا في غير موضع من

القرآن ومن أشبه آية بهذه الآية قوله تعالى الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصَوَّرَكُمْ صوركم وورثكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنها ورازقهم فيها يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره ولهذا قال فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك الحديث وكذا حديث معاذ بن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يشركوا به شيئاً الحديث وفي الحديث الآخر لا يقولن أحدكم ما شاء الله (٩٩) وشاء فلان ولكن ليقل ما شاء الله ثم شاء فلان وقال حماد بن سلمة حدثنا

عبد الملك بن عمير عن ربي بن حراش عن الطفيل بن مخبزة أخى عائشة أم المؤمنين لأمها قال رأيت فيمباري النائم كأنني أتيت على نفر من اليهود فقلت من أنتم قالوا نحن اليهود قلت أنكم لا أنتم القوم لولا أنكم تقولون عزيز ابن الله قالوا وأنكم لا أنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد قال ثم مررت بنفر من النصارى فقلت من أنتم قالوا نحن النصارى قلت أنكم لا أنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وأنكم لا أنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال هل أخبرت بها أحداً قلت نعم فقام حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن طفيل لا رأى رؤياً أخبر بها من أخبر منكم وأنكم قلتم كلمة كان ينبغي كذا وكذا أن أنتم أنتم عنكم فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده هكذا رواه ابن مردويه في تفسيره هذه الآية من

كان حراماً وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله وتارة يكون الكلام مع المسلمين وتارة مع الكافرين وتارة مع من مضى وتارة مع من حضر وحيناً في عبادة وحيناً في معاملة ووقتاً في ترغيب ووقتاً في ترهيب وآونة في بشارة وآونة في نذارة وطوراً في أمر دنيأ وطوراً في أمر آخرة وهرقة في تكاليف آتية وهررة في آفاصيص ماضية وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف ومقتبانية هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف فالقرآن النازل فيها هو باعتبار نفسه مختلف كاختلافها فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادي وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع أي القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف تقرر عنده أن هذا الأمر لا بد منه وأنه لا يكون القرآن بليغاً معجز إلا إذا ظهر الوجه المقتضى للمناسبة وتبين الأمر الموجب للارتباط فإن وجد الاختلاف بين الآيات رجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك فوجده تكلفاً محضاً وتعسفياً بناً فقدح في قلبه ما كان عنه في عافسة وسلامة هذا على فرض أن نزول القرآن كان مترتباً على هذا الترتيب الكائن في المحصف فكيف وكل من له أدنى علم بالكتاب وأيسر حظ من معرفته يعلم علماً يقيناً أنه لم يكن كذلك ومن شك في هذا وإن لم يكن مما يشك فيه أهل العلم رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب النزول المطلعين على حوادث النبوة فإنه ينتج صدره ويزول عنه الريب بالنظر في سورة من السور المتوسطة فضلاً عن المطولة فإنه لا محالة يجد ما شئت على آيات نزلت في حوادث مختلفة وأوقات متباعدة لا مطابقة بين أسبابها وما نزل فيها في الترتيب بل يكفي المقصر أن يعلم أن أول ما نزل أقر باسم ربك الذي خلق وبعده ما أيها المدثر يا أيها المزمل وينظر ابن موضع هذه الآيات والسور في ترتيب المحصف وإذا كان الأمر هكذا فأي معنى لطلب المناسبة بين آيات نزلت في غير ترتيب المحصف ما أنزل الله متأخراً وتأخراً ما أنزل الله متقدماً فإن هذا العمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه من تصدي ذلك من العناية وما أقل نفع مثل هذا وأثر رغبته وأحقق فائدة بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له من تضيق الأوقات وانفاق الساعات في

حديث حماد بن سلمة به وأخرجه ابن ماجه من وجه آخر عن عبد الملك بن عمير به نحوه وقال سفيان بن سعيد الثوري عن الأجلح بن عبد الله الكندي عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت فقال أ جعلتني لله نداً قل ما شاء الله وحده رواه ابن مردويه وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث عيسى بن يونس عن الأجلح به وهذا كله صيانة وحماية لجناب التوحيد والله أعلم وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قال الله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم للرب يقين جميعاً من الكفار والمنافقين أي وجدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قلوبكم

وبه عن ابن عباس فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم برزقكم غيره وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من التوحيد هو الحق الذي لا شك فيه وهكذا قال قتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم حدثنا أبي عمرو حدثنا أبي الفخار بن محمد أبو عاصم حدثنا شبيب بن بشر حدثنا عكرمة عن ابن عباس في قول الله عز وجل فلا تجعلوا لله أندادا قال الأنداد هو الشرك أخفى من ديب النمير على صفات سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول (١٠٠) والله وحيا نك يا فلان وحيا نك ويقول لولا كلمة هذا أنا للصوم

أمر لا يعود ينفع على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس وأنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ما قاله الرجل من البلغاء من خطبه ورسائله وإنشائه أو إلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحا وأخرى هجاء وحينئذ ينبغي أن يكون ذلك المجموع فناسب بين فقره ومقاطعه ثم تكلفا تكلفا آخر فناسب بين الخطبة التي خطبها في الجهاد والخطبة التي خطبها في الحج والخطبة التي خطبها في السكاح ونحو ذلك وناسب بين الإنشاء الكائن في العزاء والإنشاء الكائن في الهناء وما يشابه ذلك لهذا المتصدي لمثل هذا مضانا في عقله متلما عما بأوقانه عائنا بعمره الذي هو رأس ماله وإذا كان مثل هذا هذه المنزلة وهو ركب الإحقة في كلام البشر فكيف تراه يكون في كلام الله سبحانه الذي أعجزت بلاغته بلغاء العرب وأبكمت فصاحته فصحاء عدنان وقحطان وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربي وأثرله بلغة العرب وملك فيه مسالكهم في الكلام وجرى فيه مجاريهم في الخطاب وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد فيأتى بقصود مختلفة وطرائق متباينة فضلا عن المقامين فضلا عن المقامات فضلا عن جميع ما قاله مادام حيا وكذلك شاعرهم ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي يعتز في ساحتها كثير من المحققين وانما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن لأن الكلام هنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام فإذا قال متكلف كيف ناسب هذا ما قبله قلنا لا كيف

فدع عنك نهبا صيح في حجرانه * وهات حديثا ما حديث الرواحل

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) المراد هنا الصلاة المعهودة وهي صلاة المسلمين يعني الصلوات الخمس بمواقفها وحدها وجميع أركانها على أن التعريف للعهد ويجوز أن يكون للجنس ومثلها الزكاة واليتاء الاعطاء والزكاة مأخوذة من الزكاء وهو النماء وسمى إخراج جزء من المال زكاة أي زيادة مع أنه نقص منه لأنها تكثر بركته أو يكثر أجر صاحبها وقيل الزكاة مأخوذة من التطهير كما يقال زكى فلان أي طهره والظاهر أن الصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها قد نقلها الشرع إلى معان شرعية هي المرادة بما هو مذكور في الكتاب والسنة منها وقد تكلم أهل العلم على ذلك بما لا يتسع

البارحة ولولا البط في الدار لائق للصوم وقول الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت وقول الرجل لولا الله وفلان لا يجعل في فلان هذا كله به شرك وفي الحديث أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله وشئت قال أبعثتني لله ندا وفي الحديث الآخر نعم القوم أنتم لولا أنكم تزدون تقولون ماشاء الله وشاء فلان قال أبو العالية فلا تجعلوا لله أندادا أي عدلاء شركاء وهكذا قال الربيع بن أنس وقاتدة والسدي وأبو مالك واسماعيل بن أبي خالد وقال مجاهد فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون قال تعلمون أنه الواحد في التوراة والإنجيل * ذكر حديث في معنى هذه الآية الكريمة قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو خليف موسى بن خلف وكان يعد من البدلاء حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده ميمون عن الحرث الأشعري أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن وأنه كاد أن يطيء بها فقال له عيسى عليه السلام أنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فاما أن تبلغهن واما أن تبلغهن فقال يا أخي اني أخشى أن أسبقني أن أعذب أو يحسف بي قال فجمع يحيى بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فعد على الشرف حمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدى غلبته إلى غير سيده فأبكم يسره أن يكون عبده كذلك وإن الله خلقكم ورزقكم

المقام بني إسرائيل أن يعملوا بهن فاما أن تبلغهن واما أن تبلغهن فقال يا أخي اني أخشى أن أسبقني أن أعذب أو يحسف بي قال فجمع يحيى بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فعد على الشرف حمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدى غلبته إلى غير سيده فأبكم يسره أن يكون عبده كذلك وإن الله خلقكم ورزقكم

فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجذرون المسك وإن خلو في فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشده وأيديته إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه وقال لهم هل لكم إن أقتدى نفسى منكم فجعل يقتدى نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه وأمركم بكبر الله كثير وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعى أثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه وإن العبد أحصن ما يكون (١٠١) من الشيطان إذا كان في ذكر الله قال

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أمركم بخمس أمرتى بهن الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الاسلام من عنقه الآن أراجع ومن دعا بدعى جاهلية فهو من جثى جهنم قالوا يا رسول الله وإن صام وصلى فقال وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم فادعوا المسلمين باسمائهم على ما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله هذا حديث حسن والشاهد منه في هذه الآية قوله وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له وقد استدل به كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع تعالى وهي دالة على ذلك بطريق الأولى فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطبائعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بما حكمته علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه واتقانه

المقام لبسطه وقد اختلف أهل العلم في المراد بالركعة هنا فقيل المفروضة لا اقترانها بالصلاة وقيل صدقة الفطر والظاهر أن المراد ما هو أهم من ذلك (واركعوا مع الراكعين) أى صلوا مع المصلين يعنى محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم والركوع في اللغة الانحناء وكل منحنى رآكع ويستعار الركوع أيضاً للانحناء طاقى المنزل وانما خص الركوع بالذكر هنا لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل لكونه كان ثقيلاً على أهل الجاهلية وقيل أنه أراد بالركوع جميع أركان الصلاة والركوع الشرعى هو أن ينحني الرجل ويمتد ظهره وعنقه ويفتح أصابع يديه ويقبض بها على ركبتيه ثم يطعن رآكعاً إذا كرأ بالركوع المشروع وقد ورد في ذلك من الأحاديث الصحيحة الثابتة في الصحيحين وغيرهما ما هو معروف وفي الآية حدث على إقامة الصلاة في الجماعة وقد أوجب حضور الجماعة بعض أهل العلم على خلاف بينهم في كون ذلك عيناً أو كفاية وذهب الجمهور إلى أنه سنة مؤكدة مرغب فيها وليس بواجب وهو الحق للأحاديث الصحيحة الثابتة عن جماعة من الصحابة من أن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة أو سبع وعشرين درجة وثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم الذي يصلى مع الإمام أفضل من الذي يصلى وحده ثم يأم والحث طويل الذبول كثير النقول استوفاه الشوكاني في شرحه للمتنق (أنا أمرت الناس بالركعة) الهمزة للاستفهام مع التوبيخ للخطابين وليس المراد توبيخهم على نفس الأمر بالركعة فعل حسن مندوب إليه بل سبب ترك فعل البر المستفاد من قوله (وتستون أنفسكم) تتركونها فلا تأمرونها به مع ترك النفس والقيام في مقام دعاة الخلق إلى الحق إياها للناس وقليلاً عليهم نزلت في علماء اليهود والبر والطاعة والنسيان هو هنا بمعنى الترك وفي الأصل خلاف الذكر والحفظ أى زوال الصورة التي كانت محفوظة عن المدركة والحفاظه وانما عبر عن الترك بالنسيان لأن نسيان الشيء يلزمه تركه فهو من استعمل المألوم في اللازم أو السبب في المسبب وسر هذا التجوز الإشارة إلى أن ترك ما ذكر لا ينبغي أن يصدر عن العاقل الانسيان والنفس الروح ومنه قوله تعالى يتوفى الانفس حين موتها يريد الارواح والنفس الجسد والمعنى وتعدلون عما لها فيسه نفع (وأنتم تتلون

وعظيم سلطانه كما قال بعض الاعراب وقد سئل ما الدليل على وجود الرب تعالى فقال يا سبحان الله ان البحر ليدل على البعير وان أثر الاقدام لتدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير وحكى الرازي عن الامام مالك أن الرشيد سأل عنه ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والاصوات والغمات وعن أبي حنيفة ان بعض الزنادقة سأله عن وجود البارئ تعالى فقال لهم دعوني فاني مفكر في أمر قد اخترت عنه ذكر والى أن سفيضة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاحر وليس بها أحد يحرك سها ولا يسوقها وهي مع ذلك تذهب وتجي وتسير بنفسها وتحترق الامواج العظام حتى تخلص

منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير ان يسوقها أحد فقالوا اخذ شئ لا يقوله عاقل فقال ويحكم هذه الموجودات بما فيه من
العالم العلوي والسفلي وما اشغلت عليه من الاشياء المحكمة ليس لها صانع فبهت القوم ورجعوا الى الحق وأسلموا على يديه وعن
الشافعي انه سئل عن وجود الصانع فقال هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الابرسم وتأكله النمل فيخرج
منه العسل وتأكله الشاة والبق والانعام فتلقيه بعراور وثاوتاً تأكله الطياف فيخرج منها المسك وهو شئ واحد وعن الامام أحمد
ابن حنبل انه سئل عن ذلك فقال ههنا حصن (١٠٢) حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ظاهره كالفضة البسيطة وباطنه كالذهب

الابرز فينا هو كذلك اذا انصدع
جداره فخرج منه حيوان
سمع بصير ذو شكل حسن وصوت
ملج يعني بذلك البيضة اذا خرج
منها الدجاجة وسئل أبو نواس
عن ذلك فأنشد

تأمل في نبات الارض وانظر
الى آثار ما صنع المليك
عيون من بلين شاخصات
بأحداق هي الذهب السيلك
على قصب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك
وقال ابن المعتز

فيا عجباً كيف يعصى الاله
هـ أم كيف يجعده الجاحد
وفي كل شئ له آية

تدل على أنه واحد
وقال آخرون من تأمل هذه
السموات في ارتفاعها واتساعها
وما فيها من الكواكب البكار
والصغار النيرة من السيارة ومن
الثوابت وشاهدها كيف تدور مع
الفلك العظيم في كل يوم وبسلة
دويرة ولها في أنفسها سير يخصها
ونظر الى البحار المكتنفة للارض
من كل جانب والجمال الموضوعة

الكتاب) جملة حالية مشتملة على أعظم تقرير وأشد توبيخ وأبلغ تنكيه اي كيف
تتركون البر الذي تأمرون الناس به وأنتم من أهل العلم العارفين بقبح هذا الفعل وشدة
الوعيد عليه كما ترونه في الكتاب الذي تتلون وتدرسونه والآيات التي تقرأونها من التوراة
والتلاوة والقراءة وهي المراد هنا وأصلها الاتباع (أفلا تعقلون) استفهام للانكار عليهم
والتقريع لهم وهو أشد من الاول وأشد ولشد ما قرع الله في هذا الموضع من يأمر بالخير
ولا يفعل من العلماء الذين هم غير عاملين بالعلم فاستنكروا عليهم أولاً أمرهم للناس بالبرم
نسيان أنفسهم من ذلك الامر الذي قاموا به في الجامع ونادوا به في المجالس ايمام الناس
بأنهم مبلغون عن الله ما تحموا من حجه ومينون لعباده ما أمرهم ببيانهم وموصلون الى
خلقه ما استودعهم وانتمهم عليه وهم تركوا الناس لذلك وأبعدهم من نفعه وأزهدهم
فيه ثم ربط هذه الجملة بجملة أخرى جعلها مينة لخالهم وكاشفة لعوارهم وهاتكة
لاستارهم وهي أنهم فعلوا هذه الفعلة الشنيعة والخلصة القطيعة على علم منهم ومعرفة
بالكتاب الذي أنزل عليهم وملازمة لتلاوته وهم في ذلك كما قال المعري

وانما جل التوراة قارئها * كسب الفوائد لاحب التلاوات

ثم انتقل معهم من تقرير الى تقرير ومن توبيخ الى توبيخ فقال انكم لو لم
تكونوا من أهل العلم وجملة الحق وأهل الدراسة لكتب الله لكان مجرد كونكم ممن يعقل
حائلاً بينكم وبين ذلك ذائد الكم عنه زاجر الكم منه فكيف أهملتم ما يقتضيه العقل
بعد ايهما لكم لما هو حبه العلم والعقل في أصل اللغة المنع ومنه عقاب البعير لانه يمنع عن
الحركة ومنه العقل في الدية لانه يمنع الولي عن قتل الجاني والعقل نقض الجهل ويصح
تفسير ما في الآية هنا عاهاو أصل معنى العقل عند أهل اللغة أي أفلا تمنعون أنفسكم من
مواقعة هذه الحال المزربة ويصح أن يكون معنى الآية أفلا تنتظرون بعقوبتكم التي
رزقكم الله اياها حيث لم تنتفعوا بما لديكم من العلم والعقل قوة هي قبول العلم ويقال للعلم
الذي يستفيد به الانسان بلك القوة العقل وأخرج أحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حنبل
والبرار وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية وابن حبان وابن مردويه والبيهقي عن
أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأيت ليلة أسري بي رجلاً تقرض شفاهم
بمقاريض من نار كلما قرضت رجعت فقلت لجبريل من هؤلاء قال هؤلاء خطباء من أمتك

في الارض لتقرؤ يسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف
ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء وكذلك هذه الانهار
السارحة من قطر الى قطر للمنافع وما ذرأ في الارض من الحيوانات المتنوعة والنبات المختلف الطعوم والارايح والاشكال
والالوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء استدلل على وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ورجته بخلقه ولطفه بهم واحسانه
اليهم وبرههم لاله غيره ولا رب سواه عليه توكلت واليه أئيب والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جداً (وان كنتم في

رب عمار لنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا أولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) ثم شرع تعالى في تقرير النبوة بعد أن قرر أنه لا اله الا هو فقال مخاطبا للكافرين وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا يعني محمد صلى الله عليه وسلم فأتوا بسورة من مثل ما جاء به ان زعمتم أنه من عند غير الله فعارضوه بمثل ما جاء به واستعينوا على ذلك عن شتم من دون الله فانكم لا تستطيعون ذلك قال ابن عباس شهداءكم أعوانكم وقال السدي عن أبي مالك شركاءكم أي قوم آخرين يساعدونكم على ذلك أي استعينوا (١٠٣) باللهمكم في ذلك يدونكم وينصرونكم وقال مجاهد وادعوا شهداءكم قال

كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون وثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق به أفتابه فيسددورها كأي دور الحمار برحاه فيطف به أهل النار فيقولون يا فلان مالك ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر فيقول كنت أأمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية وفي الباب أحاديث معناها جميعا أن يطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم هم دخلتم النار وانا مدخلنا الجنة بتعليمكم قالوا انا كنا نأمركم ولا نفعل وأخرج الطبراني والخطيب في الاقتضاء والاصحاح في الترغيب بسند جيد عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضيء الناس ويحرق نفسه (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل ان المخاطبين بهذا هم المؤمنون وقيل اليهود لما عاقبهم عن الايمان بالشريعة وحب الرياسة فأمرهم بالصبر وهو الصوم لانه يكسر الشهوة والصلاة لانه تورث الخشوع وتنفى الكبر وأفراد الصلاة بالذكر تعظيما لشأنها والمعنى استعينوا على حوائجكم الى الله وقيل على ما يشغلهم من أنواع البلايا وقيل على طلب الآخرة بالصبر والصبر في اللغة الجنس والمراد هنا استعينوا بحبس أنفسهم عن الشهوات وقصرها على الطاعات على دفع ما يرد عليكم من المكروهات وقيل الصبر هذا هو خاص بالصبر على تكاليف الصلاة وأداء الفرائض واستدل هذا القائل بقوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها وليس في هذا الصبر الخاص بهذه الآية ما ينفي ما يفيد في الآف واللام الداخلة على الصبر من الشمول كأن المراد بالصلاة هنا جميع ما يصدق عليه الصلاة الشرعية من غير فرق بين فريضة ونافلة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا جازته أمر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس أنه نعى له أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تبنى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وقد وردت أحاديث كثيرة في مدح الصبر والترغيب فيه والخزائفة الصابرين ولم يذكرها هنا لانها ليست بمخاصصة بهذه الآية بل هي واردة في مطلق الصبر وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور ههنا من شرط اصالحا وفي الكتاب العزيز من الشاء

ناس يشهدون به يعني أحكام القضاء وقد تحداهم الله تعالى بهذا في غير موضع من القرآن فقال في سورة القصص قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها مما أتبعه ان كنتم صادقين وقال في سورة سبحان قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال في سورة هود أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وقال في سورة يونس وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وكل هذه الآيات مكبة ثم تحداهم بذلك أيضا في المدينة فقال في هذه الآية وان كنتم في ريب أي شك مما نزلنا على عبدنا يعني محمد صلى الله عليه وسلم فأتوا بسورة من مثله يعني من

مثل القرآن قاله مجاهد وقادة واختاره ابن جرير الطبري والريثي والرازي ونسب له عن عمرو بن مسعود وابن عباس والحسن البصري وأكثر المحققين ورجح ذلك بوجه من أحسنه انه تحداهم كلهم متفرقين ومجتعين سواء في ذلك أميهم وكتابيهم وذلك أكمل في التحدي وأشمل من أن يتحدى أحدهم الاميين عن لا يكتب ولا يعانى شأن من العاوم ويدل قوله تعالى فأتوا بعشر سور مثله وقوله لا يأتون بمثله وقال بعضهم من مثل محمد صلى الله عليه وسلم يعني من رجل أسمى مثله والصحيح الاول لان التحدي عام لهم كلهم مع أنهم أقصم الامم وقد تحداهم بهذا في مكة والمدينة مرات عديدة مع شدة عداوتهم له وبغضهم له ومع هذا عجزوا عن ذلك ولهذا قال

تعالى فان لم تفعلوا وان تفعلوا ولن في المستقبل أي ولن تفعلوا ذلك أبدا وهذه أيضا معجزات أخرى وهو أنه أخبر بخبر
 جازما قاطعا قد ما غرقت ولا مشفق ان هذا القرآن لا يعارض بمثله أبدا لا بد من ودر الداهرين وكذلك وقع الامر لم يعارض من
 لئله الى زمانا هذا ولا يمكن وأني يتأتى ذلك لاحد القرآن كلام الله خالق كل شيء وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوق ومن
 تدبر القرآن وجد فيه من وجوه العجائز فمناظرة وحقيقة من حيث اللفظ ومن جهة المعنى قال الله تعالى الركاب أحكمت
 آياته ثم فصلت من ادن حكيم خبير فأحكمت (١٠٤) ألفاظه وفصلت معانيه وأبالعكس على الخلاف فكل من لفظه ومعناه

على ذلك والترغيب فيه الكثير الطيب وأخرج أحمد وأبو داود وابن جرير عن حذيفة قال
 كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قرأه امر فزع الى الصلاة وأخرج أحمد
 والنسائي وابن حبان عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كانوا يعنى الانبياء
 يفزعون اذا فزعوا الى الصلاة وعن ابن عباس انه كان في مسير له فبني اليه ابن له فزل فضلى
 ركعتين ثم استرجع فقال فعلنا كما أمرنا الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وقد روى نحو
 ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين واختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله (واها
 الكبيرة) فقيل انه راجع الى الصلاة وان كان المتقدم هو الصبر والصلاة فقد يجوز ارجاع
 الضمير الى أحد الامرين المتقدم ذكرهما كما قال تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه اذا
 كان أحدهما داخلا تحت الآخر بوجه من الوجوه وقيل انه عائد الى الصلاة من دون
 اعتبار دخول الصبر تحتها لان الصبر هو عليها كما قبل سابقا وقيل ان الضمير راجع الى
 الصلاة وان كان الصبر مراد منها المكن لما كانت آكد وأعم تكليفا وأكثر فوبا كانت
 الكناية بالضمير عنها ومنه قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
 الله كذا قيل وقيل ان الضمير راجع الى الاشياء المكسوزة ومثل ذلك قوله واذا راء أو التجارة
 أولها وانفصوا اليها فأرجع الضمير هنا الى الفضة والتجارة لما كانت الفضة أعم نفعاً وأكثر
 وجوداً والتجارة هي الحاملة على الانفصاض والفرق بين هذا الوجه والوجه الاول أن
 الصبر هنا جعل داخلا تحت الصلاة وهما لم يكن داخلا وان كان مراداً وقيل ان المراد
 الصبر والصلاة ولكن أرجع الضمير الى أحدهما استغناء عن الآخر ومنه قوله تعالى
 وجعلنا ابن مريم وصيه وأمه آية أي ابن مريم آية وأمه آية وقيل رجع الضمير اليها بعد تأويلها
 بالعبادة وقيل رجع الى المصدر المفهوم من قوله واسمعيوا وهو الاستعانة وقيل رجع الى
 جميع الامور التي نهى عنها بنو اسرائيل والاول هو الظاهر الجارى على قاعدة كون
 الضمير للاقرب والكبيرة التي يكبر أمرها ويتعظم شأنها على حاملها لما يجده عند تحملها
 والقيام بها من المشقة ومنه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه (الا) استثناء مفرغ وشرطه
 أن يسبق بنى فيؤول الكلام هذا الذى أى انها لا تحقق ولا تسهل (الا) على الخاشعين
 يعنى المؤمنين وقيل الخائفين وقيل المطيعين المتواضعين لله والخاشع هو المتواضع قال في
 الكشاف الخشوع هو الاخبات والتطامن وأما الخشوع فاللين والانقياد انتهى وقال

فصيح لا يبادى ولا يدانى فقد أخبر
 عن معصيات ماضية كانت ووقعت
 طابق ما أخبر سواء بسواء وأمر بكل
 خير ونهى عن كل شر كما قال
 تعالى وقت كثر بك صدقاً وعدلاً
 أى صدقاً في الاخبار وعدلاً في
 الاحكام فكله حق وصدق وعدل
 وهدى ليس فيه مجازفة ولا كذب
 ولا افتراء كما لو جدى في أشعار العرب
 وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات
 التي لا يحسن شعرهم الا بها كما قيل
 في الشعر ان أعذبه كذبه وتجبد
 القصيدة الطويلة المديدة قد
 استعمل غالبها في وصف النساء
 أو الخيل أو الخمر أو في مدح شخص
 معين أو فرس أو ناقة أو حرب
 أو كائنة أو مخافة أو سبب أو شيء
 من المشاهدات المتعينة التي
 لا تفيد شيئاً الاقدرة المتكلم
 المعين على الشيء الخفى أو الدقيق
 أو ابرازه الى الشيء الواضح ثم تجدد
 له فيه بيتاً أو بيتين أو أكثر
 هي بيوت القصيدة وسائر ما هذر
 لا طائل تحته وأما القرآن فجميعه
 فصيح في غاية نهايات البلاغة عند
 من يعرف ذلك تفصيلاً واجملاً

من فهم كلام العرب وتصريف التعبير فانه ان تأملت أخباره وجدت في غاية الخلاوة سواء كانت مبسوطة
 أو وجيزة وسواء تكررت أم لا وكل تكرر جلا وعلا لا يخلق عن كثرة الرد ولا يمل منه العلماء وان أخذ في الوعيد والتهديد خائفاً
 ما تشعرون منه الجبال الصم الراسيات فإظنك بالقلوب الشاهقات وان وعدتني بما يفتح القلوب والآذان ويشوق الى دار السلام
 ومجاورة عرش الرحمن كما قال في الترغيب فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرد أعين جزاء بما كانوا يعملون وقال وفيها ما تشبه
 الانفس وتلد الاعين وأنتم فيها خالدون وقال في التهيب أفأنتم أن يخسف بكم جانب البر أفأنتم من في السماء أن يخسف بكم

من الاھوال وفى وصف الجنة والنار
وما أعد الله فىہم ما لولیاتہ وأعدائہ
من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب
الالیم بشرت به وحذرت وأندرت
ودعت الى فعل الخیرات واجتناب
الممکرات وزهدت فى الدنیا
ورغبت فى الاخرى وثبتت على
الطریقۃ المثلی وهدت الى صراط
الله المستقیم وشرعه القویم ونفت
عن القلوب رجس الشیطان
الرجیم ولهذا ثبت فى الصحیحین عن
أبی ہریرۃ رضی اللہ عنہ أن رسول
الله صلی اللہ علیہ وسلم قال ما من
نبی من الانبیاء الا قد أعطی من
الآیات ما آمن على مشلہ البشر
وانما کان الذی أوتیتہ وحیا أو حاء
الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم
تباعا یوم القیامۃ لفظ مسلم وقولہ
صلی اللہ علیہ وسلم وانما کان الذی
أوتیتہ وحیا أى الذی اختصت بہ
من بینہم هذا القرآن المعجز للبشر
أن یتعارضوہ بخلاف غیرہ من
الکتاب الالہیۃ فانہ لیس بمعجزۃ
عند کثیر من العلماء واللہ أعلم وله
علیہ الصلاۃ والسلام من الآیات
الدالۃ علی نبوتہ وصدقہ فما جاءہ

(١٤ ل - فتح البيان) ما لا يدخل تحت حصر ولله الحمد والمنة وقد قرر بعض المتكلمين الاجاز بطريق يشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في الصرفة فقال ان كان هذا القرآن معجزا في نفسه لا يستطيع البشر الاتيان بمثله ولا في قواهم معارضته فقد حصل المدعى وهو المطلوب وان كان في امكانهم معارضته بمثله ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له كان ذلك دليلا على أنه من عند الله لصرفه اياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك وهذه الطريقة وان لم تكن مرضية لان القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قرنا الا انها تصلح على سبيل التزل والمجادلة والمناخعة عن الحق وبهذه الطريقة أجاب الرازي في تفسيره عن سؤاله في السور القصار كالعصر وانا أعطيناك الكوثر وقوله تعالى فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين أمّا

الرفود بنسخ الراوندية وما يلي في النار لا ذر اسمها كالحطب ونحوه كما قال تعالى وما المقاسطون فكأنوا الجحيم حطباً وقال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آية ما وردوها وكل فيها الدون والمراد بالحجارة ههنا هي حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المنتمة وهي أشد الاجبارح اذ حبت أجارنا الله منها وقال عبد الملك بن ميسرة الرراد عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى وقودها الناس والحجارة قال هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والارض في السماء الدنيا بعد خالك الكافر بن رواه ابن جرير وهذا القطة وابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه وقال علي شرط الشيخين وقال (١٠٦) السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن

مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذنون به مع النار وقال مجاهد حجارة من كبريت أتت من الجيفة وقال أبو جعفر محمد بن علي حجارة من كبريت وقال ابن جرير حجارة من كبريت أسود في النار وقال لي عمرو بن دينار أصلب من هذه الحجارة وأعظم وقيل المراد بها حجارة الاصنام والانداد التي كانت تعبد من دون الله كما قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية حكاه القرطبي والرازي ورجحه على الاول قال لأن أخذ النار في حجارة الكبريت ليس بمستكر فعملها عذبة الحجارة أولى وهذا الذي قاله ليس بقوى وذلك ان النار اذا أضمرت بحجارة الكبريت كان ذلك أشد حرها وأقوى لسعيرها ولا سيما على ما ذكره السلف من انها حجارة من كبريت معدة لذلك ثم ان أخذ النار بهذه الحجارة أيضا مشاهد وهذا الجص يكون أجبارا فعمل فيه بالنار حتى

للابناء قيل فيه ورود الامم المراد به الخضر لان المراد بالعالمين الموزمانهم وقيل على جميع العالمين بما جعل فيهم الانبياء وقال في الكشاف على الجحيم من اناس كقوله باركافيهما للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة انتهى قال الرازي في تفسيره وهذا ضعيف لان لفظ العالم مشتق من العلم وهو الدليل وكلما كان دليلا على الله كان علما وكان من العالم وهذا تحقيق قول المتكلمين العالم كل موجود سوى الله وعلى هذا لا يمكن تخصيص لفظ العالم ببعض المحدثات انتهى أقول هذا الاعتراض ساقط اما أولا فدعوى اشتقاقه من العلم لا برهان عليه وأما ثانيا فلولا صحة هذا الاشتقاق كان المعنى موجودا بما يتحصل معه مفهوم الدليل على الله الذي يصح اطلاق اسم العلم عليه وهو كائن في كل فرد من افراد المخلوقات التي يستدل بها على الخالق وغايتها ان جمع العالم يستلزم ان يكونوا مفضلين على أفراد كثيرة من المحدثات وأما انهم مفضلون على كل المحدثات في كل زمان فليس في اللفظ ما يفيد هذا ولا في اشتقاقه ما يدل عليه وأما من جعل العالم أهل العصر فغايتها ان يكونوا مفضلين على أهل عصور لا على أهل كل عصر فلا يستلزم ذلك تفضيلهم على أهل العصر الذين فيهم نبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا على ما بعده من العصور ومثل هذا الكلام ينبغي استحضاره عند تفسير قوله تعالى وآتاكم ما لم يوت أحدكم من العالمين وعند قوله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وعند قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فان قيل ان التعريف في العالمين يدل على شموله لكل عالم قلت لو كان الامر هكذا لم يكن ذلك مستلزما لكونهم أفضل من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس فان هذه الآية ونحوها تكون مخصصة لتلك الآيات (واتقوا يوما) أي واخشوا عذاب يوم أحرمعناد الوعيد والمراد باليوم يوم القيامة أي عذابه (لا تجزي) لا تكفي ولا تقضي (نفس عن نفس شيئا) يعني حقارتهما وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولا ترد عنها شيئا أما أصاب ابل يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وقيل ان طاعة المطيع لا تقضي عن العاصي ما كان واجبا عليه والنفس الاولى هي المؤمنة والثانية هي الكافرة ومعنى التكبير التحقير أي شيئا يسيرا حقيرا (ولا يقبل منها شفاعة) أي في ذلك اليوم وذلك أن اليهود قالوا اشفع لنا آبائنا وأقاربنا الله عليهم ذلك والشفاعة مأخوذة من الشفع وهو الاثنان تقول

يصير كذلك وكذلك سائر الاجبار تقهرها النار وتحرقها وانما سمي هذا في حر هذه النار التي

استشفعته

وعودا بها وشدة ضررها وقوة لهبها كما قال تعالى كلما خبت زنادهم سعيرا وهكذا راجح القرطبي أن المراد بها الحجارة التي تسعير بها النار لتحمروا يشتد لهبها قال ليكون ذلك أشد عذابا لأهلها قال وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل مؤذ في النار وهذا الحديث ليس بمحفوظ ولا معروف ثم قال القرطبي وقد فسر بمعنيين أحدهما ان كل من آذى الناس دخل النار والاخر أن كل ما يؤذى في النار يآذي به أهلها من السباع والبهائم وغير ذلك وقوله تعالى أعدت للكافرين الاظهر ان الضمير في أعدت عائدا الى النار التي وقودها الناس والحجارة ويحتمل عوده الى الحجارة كما قال ابن مسعود ولا منافاة بين القولين في المعنى لأنهما

منلا زمان وأعدت أي أرصدت وحصلت للكافرين بانه ورسوله كما قال ابن اسحق عن محمد بن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أعدت للكافرين أي لمن كُن على مثل ما أنتم عليه من الكفر وقد استدلل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على أن الار موجودة الآن لقوله تعالى أعدت أي أرصدت وهنت وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك منها تهاجت الجنة والنار ومنها استأذنت النار بها فقات رب أي كل بعضي بعضا فأن لها يقين نفس في الشتاء ونفس في الصيف وحديث ابن مسعود سمعنا وجبة فقلنا ما هذه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبرأتني به من شقيهم منذ سبعين سنة الآن وصل إلى قعرها وهو عند مسلم وحديث صلاة الكسوف ولبلة الاسرى وغير ذلك من (١٠٧) الاحاديث المتواترة في هذا المعنى وقد خالفت

المعتزلة بحيلهم في هذا وافقهم القاضي منذ بن سعيد البلوطي قاضي الاندلس * (تبيينه ينبغي الوقوف عليه) * قوله تعالى فأنوا بسورة من مثله وقوله في سورة يونس بسورة مثله يعم كل سورة في القرآن طويلة كانت أو قصيرة لأنها نكرة في سياق الشرط قطع كما هي في سياق النبي عند المحققين من الأصوليين كما هو مقرر في موضعه فالأعجاز حاصل في طوال السور وقصارها وهذا ما أعلم فيه زاعمين الناس سلفا وخلفا وقد قال الرازي في تفسيره فإن قيل قوله تعالى فأنوا بسورة من مثله يتناول سورة الكوثر وسورة العصر وقليلاً أي الكافرون ونحن نعلم بالضرورة أن الاتيان بمثله أو بما يقرب منه ممكن فإن قلتم أن الاتيان بمثل هذه السور خارج عن مقدار البشر كان مكابرة والاقدام على هذه المكابرات مما يطرق بالتهمة إلى الدين قلنا فهذا السبب اخترنا الطريق الثاني وقلنا إن بلغت هذه السورة في النصيحة حد الأعجاز فقد حصل المقصود وإن لم يكن

استشفعته أي سأله أن يشفع لي أي يضم جأحه إلى جأحه عند المشفوع إليه لصل النفع إلى المشفوع له ونعيم منها يرجع إلى النفس المذكورة ثانياً أي إن جاءت بشفاعته شفيع ويجوز أن يرجع إلى النفس المذكورة أولاً أي إذا شفعت لم يقبل منها (ولا يؤخذ منها بعدل) أي فدية وهو مثل الشيء بالشيء والعديل بفتح العين الفداء وبكسرهما المثل وقيل بالفتح المساوي للشيء فقه وقد راوب الكسر المساوي له في جنسه وبجرمه وأما العدل واحد الأعدال فهو بالكسر لا غير قاله السمين والضمير يرجع إلى النفوس المدلول عليه بالنكرة في سياق النبي والنفس تذكر وتوثب والمعنى كما قال السدي لا تغني نفس مؤمنة عن نفس كافرة من المنفعة شيئاً (ولا هم ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب والنصر العون والانصار الاعوان ومنه من أنصاري إلى الله والنصر أيضاً الانتقام يقال انتصر زيد لنفسه من خصمه أي انتقم منه لها والنصر أيضاً الاتيان يقال نصرت أرض بني فلان أي أيتها (واذنبناكم من آل فرعون) أي واذاكروا وادخلنا أسلافكم وأجدادكم فاعتدوهم ومنه عليهم لأنهم نجوا بنبأنا أسلافهم وهذا شروع في تفصيل نعم الله عليهم وفصلت بعشرة أمور انتهى بقوله واذا استقى موسى والنجاة النجوة من الأرض وهي ما ارتفع منها ثم سمي كل فائز وخارج من ضيق إلى سعة ناجيا وإن لم يلق على نجوة وآل فرعون قومه والال يضاف إلى ذوى الخطر ولا يضاف إلى البلدان فلا يقال من آل المدينة وجوزة الاخفش واختلفوا هل يضاف إلى المضمر أم لا فتحه قوم وسوغه آخرون وهو الحق وفرعون قيل هو اسم ذلك الملك بعينه وقيل أنه اسم لكل ملك من ملوك العمالة أولاد عمليق بن لاويز بن ارم بن سام بن نوح كما يسمى من ملوك الفرس كسرى ومن ملوك الروم قيصر ومن ملك الحبشة النجاشي وقيل فرعون اسم علم لمن كان ملكاً بمصر من القبط والعماليق واسم فرعون موسى المذكور هنا قابوس في قول أهل الكتاب وقال وهب اسم الوليد بن مصعب بن الزيان وعمراً من أربع مائة سنة وعاش موسى مائة وعشرين سنة قال المسعودي لا يعرف فرعون تفسير بالعربية وقال الجوهري إن كل عات يقال له فرعون وقد تفرعن وهو ذو فرعنة أي دهاء ومكر وقال في الكشاف تفرع فلان إذا عتي وتجبهر (يسمونكم) أي يكلفونكم ويولونكم قاله أبو عبيدة وقيل يذوقونكم ويلزمونكم أي أوصل السوم الدوام ومنه

كذلك كان امتناعهم من المعارضة مع شدة ذواعيهم إلى توحيين أمره معجزاً فعلى التقديرين يحصل المعجز هذا الفظه بحروفه والصواب أن كل سورة من القرآن معجزة لا يستطيع البشر معارضتها طويلاً كانت أو قصيرة قال الشافعي رحمه الله لو تدبر الناس هذه السورة لسقطتهم والعصران الإنسان لني خسران الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبواصوا بالحق وبواصوا بالصبر وقد روي ساعن عمرو بن العاص أنه وفد على مسيلة الكذاب قبل أن يسلم فقال له مسيلة ماذا أنزل على صاحبكم عك في هذا الحين فقال له عمرو لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال وما هي فقال والعصران الإنسان لني خسر ففكر ساعة ثم رفع رأسه فقال ولقد أنزل على مثلها قال وما هو فقال يا برياء بر انما أنت أذنان وصدر وسائر لحق ففر ثم قال كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو والله إنك لتعلم إلى

لا علم أنك تكذب (ويشير الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها رزقا فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) لما ذكر تعالى ما أعد له لأعدائه من الأشقاء الكافرين به وبرسله من العذاب والتكال عطف يذكّر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة وهذا معنى تسمية القرآن مثاني على أصح أقوال العلماء كما سنبسطه في موضعه وهو أن يذكر الإيمان ويتبع بذكر الكفر أو بعكسه أو حال السعداء ثم الأشقياء أو بعكسه وحاصله ذكر الشيء ومقابله وأما ذكر الشيء ونظيره فذلك التشابه كما سنوضحه إن شاء الله فلهذا قال تعالى وبشر (١٠٨) الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار

فوصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار أي من تحت أشجارها وغرفها وقد جاء في الحديث أن أنهارها تجري في غير أخذ ودواء في الكوثر أن حافته قباب اللؤلؤ المجوف ولا مسافة بينهما فطينها المسك الأذفر وحصباءها اللؤلؤ والجوهر نسأل الله من فضله أنه هو البر الرحيم وقال ابن أبي حاتم قرأ على الربيع بن سليمان حديثنا أسد ابن موسى حديثنا أبو ثوبان عن عطاء ابن قررة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهار الجنة تفجر من تحت تلألأ آخر من تحت جبال المسك وقال أيضا حديثنا أبو سعيد حديثنا وكيع عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال قال عبد الله أنهار الجنة تفجر من جبل مسك وقوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قالوا هذا الذي رزقنا من قبل قال أنهم أتوا بالثمرة في الجنة فلما نظروا إليها قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وهكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ونسره

سائمة الغنم لما دوتها الرعي وفي الكشف أصالة من سام السابعة إذا طلبها كأنه يبعث يبعونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه انتهى (سوء العذاب) أي أشد وأسوأ وأفظع وان كان كله سيئا وسوء كل ما يغني الإنسان من أمر دنيوي وآخرى (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) الذبح في الأصل الشق وهو فري أو داج المذبح قيل ذبحوا منهم اثني عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وهل نساء جمع نسوة أو جمع امرأة من حيث المعنى قولان والمراد يترك نساءكم أحياء ليستخدموهن ويمتنهوهن وإنما أمر بذبح الأبناء واستحياء النساء لأن الكهنة أخبروه بأنه يولد مولود يكون هلاكا على يده ويعبر عن البنات باسم النساء لأنه جنس يصدق عليهن وقالت طائفة أنه أمر بذبح الرجال واستدلوا بقوله نساءكم والاول أصح بشهادة السبب ولا يخفى ما في قتل الأبناء واستحياء البنات للخدمة ونحوها من انزال الذل بهم والصاق الإهانة الشديدة بجمعهم لما في ذلك من العار والاشارة بقوله (وفي ذلكم) إلى جملة الأمر من الانجاء والذبح قاله ابن عطية (بلائكم ربكم عظيم) أي اختبار وامتحان والبلاء يطلق تارة على الخير وتارة على الشر فان أريد به هنا الشر كانت الإشارة إلى ما حصل بهم من النعمة بالذبح ونحوه وان أريد به الخير كانت الإشارة إلى النعمة التي أنعم الله عليهم بالانجاء وما هو مذكروا قبله من تفضيلهم على العالمين وقد اختلف السلف ومن بعدهم في مرجع الإشارة فخرج الجمهور الاول ورجح الآخرون الآخر قال ابن كيسان أبلأوه بلاءه في الخير والشر وقيل الأكثر في الخير بليته وفي الشر بلاءه في الاختبار بليته وبلاءه قاله النحاس استدلل به بعض من يقول بالتشابه وقال ان القوم كانوا هم بأعيانهم فلما نطأوا عليهم مدة التلاشي والبلي نسوا فذكروا قال الكرمانى وهذا محال وجهل بكلام العرب فان العرب تخاطب بمثل هذا وتغنى الجدة الأعلى والاب الأبعد (واذ فرقا بكم البحر) أي فلقنا وأصل الفارق الفصل ومنه فرق الشعر ومنه وقرأنا فرقناه أي فصلناه والباء في بكم بمعنى اللام أو السببية والمراد أن فرق البحر كان بسبب دخولهم فيه لما صاروا بين الماءين صار الفرق بهم وأصل البحر في اللغة الاتساع أطلق على البحر الذي هو مقابل البر لما فيه من الاتساع بالنسبة إلى النهر والخليج ويطلق على الماء المالح وقال السيوطي في مفتحات الاقران البحر هو القلزم وكميته أبو خالدة كما روى عن قيس بن عباد قال ابن عساکر كأنه كنى بذلك

ابن جرير وقال عكرمة قالوا هذا الذي رزقنا من قبل قال معناه مثل الذي كان بالامس وكذا قال الربيع بن أنس وقال مجاهد يقولون ما أشبهه به قال ابن جرير وقال آخرون بل تأويل ذلك هذا الذي رزقنا من قبل هذا الشدة مشابهة بعضه بعضا لقوله تعالى وأتوا به متشابها قال سديد بن داود حديثنا شيخ من أهل المصصة عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال يؤتى أحدهم بالحقة من الشيء فبأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيقول هذا الذي آتينا به من قبل فيقول الملائكة كل قالوا واحد والطعم مختلف وقال ابن أبي حاتم حديثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا امرئ بن يساف عن يحيى بن أبي كثير قال عشب الجنة الزعفران

و ثبانتها المسك و يطوف عليهم الولدان بالقوا كدنيا كانوا ثم يؤتون عذلتها فيقول لهم أهل الجنة هذا الذي اتيتونا نغابه فتقول لهم الولدان كوا فالا لون واحد واطعم مختلف وهو قول الله تعالى وأتوا به متشابهة وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالبة وأتوا به متشابهة قال يشبه بعضه بعضا و يختلف في الطعم قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد و الربيع بن أنس والسدي فخذ ذلك وقال ابن جرير بأسناده عن السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى وأتوا به متشابهة يعني في اللون والمرأى وليس يشتمه في الطعم وهذا اختيار ابن جرير وقال عكرمة وأتوا به متشابهة قال يشبه ثم الدنيا غيران ثم الجنة أطيب وقال سفيان (١٠٩) الثوري عن الاعمش عن أبي طسان عن ابن

لطول بقائه وروى أبو يعلى بسند ضعيف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال فاق البحر
لبني اسرائيل يوم عاشوراء انتم سى (فأنجيناكم) أى أخرجناكم منه (وأغرقنا آل فرعون)
فيه ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام موسى ذلك اليوم شكر الله عز وجل والمراد بالفرعون
هنا هو وقومه وأتباعه والغرق الرسوب فى الماء وتجوز به عن المداخلة فى الشئ تقول
غرق فلان فى اللهوفه وغرق قاله السمين (وأنتم تنظرون) يعنى الى اهلاكهم وقيل
الى مصارعهم أى حال كونكم ناظرين اليهم بأبصاركم أو المعنى ينظر بعضكم الى بعض آخر
من السالكين فى البحر وقيل نظروا الى أنفسيهم ينجون والى آل فرعون يغرقون قيل ان
البحر قد فهم حتى نظروا اليهم وهذه الواقعة كما أنهم موسى معجزة عظيمة تنزلها أطم الجبال
ونعمة عظيمة لا وائل بن اسرائيل موجبة عليهم شكرها باللسان والبال كذلك اقتصاصها
على ما هي عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب
الآبية وتقدلها النفوس الغبية موجبة لآعقابهم أن يتقوها بالاذعان ويقبواها
بصميم الجنان فلا تأثرت أوائلهم بمشاهدتها ورؤيتها ولا تذكرت أو آخرهم بتذكيرها
وروايتها فمالها من عصابة ما أعصاها وطائفة ما أطعها وقد ثبت فى الصحيحين وغيرهما
من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فرأى اليهود
يصومون يوم عاشوراء فقال ما هذا اليوم قالوا هذا يوم صالح نجي الله فيه بنى اسرائيل
من عدوهم فصامه موسى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحن أحق بموسى
منكم فصامه وأمر بصومه (واذا وعدنا) قراءة الجمهور وواعدنا قال النحاس وهى أجود
وأحسن وليس هو من الوعد والوعيد فى شئ وإنما هو من باب الموافقة يعنى من المواعد
وهو من الله الامرو من موسى القبول وذلك ان الله وعده بمجىء الميعات (وموسى) اسم
أبجى عبرى معرب غير منصرف فموسى بالعبرية الماء والشجر سمى موسى لانه أخذ من بين
الماء والشجر ثم قلبت الشين سيناً فسمى موسى (أربعين ليلة) قال الزجاج تمام أربعين ليلة
وهى عند أكثر المفسرين ثلاثون من ذى القعدة وعشر من ذى الحجة وبه قال العامة
وإنما خص الليالى بالذكرون الايام لانها غرر الشهور ولان الليلة أسبق من اليوم فهى
قبله فى الرتبة وقيل لأن الاشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة أقدم من
الضوء والمعانى متقاربة (ثم اتخذتم العجل) أى جعلتم العجل الها قال الحسن البصرى

والله أعلم ونزهة تعالى وهم فيها البون هذا هو مقام السعادة فانهم مع هذا الفنعيم في مقام أمين من الموت والانتقام فلا اخر له ولا
 انتفاء بل في نعيم سرمدى أبهى على الدوام والله المسئول أن يحشرنا في رحمتهم انه جواد كريم برحمته (ان الله لا يستحي أن
 يضرب مثلا معوضة فتفوقها فاما الذين آمنوا فعملوا أن الله الحق من وهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا
 يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين آمنوا وعملوا الصالحات من بعد ما قطعوا ما أمر الله به أن يوصل
 ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون) قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن
 مسعود وعن ناس من الصحابة لما ضرب الله (١١٠) هذين المثالين للمنافقين يعني قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً

وقوله او كصيب من السماء الايات
 الثلاث قال المنافقون الله أعلى
 وأجل من أن يضرب هذه الامثال
 فأمر الله هذه الآية الى قوله
 تعالى هم الخاسرون وقال عبد
 الرزاق عن معمر عن قتادة لما ذكر
 الله تعالى العنكبوت والذباب قال
 المشركون ما بال العنكبوت
 والذباب يذكران فأمر الله ان الله
 لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة
 فما فوقها وقال سعيد عن قتادة اي
 ان الله لا يستحي من الحق أن يذكر
 شئاً ما قل أو كثر وان الله حين ذكر
 في كتابه الذباب والعنكبوت قال
 اهل الضلالة ما اراد الله من ذكر
 هذا فأمر الله ان الله لا يستحي ان
 يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها
 قلت العبارة الاولى عن قتادة فيها
 اشعار أن هذه الآية تمكية وارس
 كذلك وعبارة رواية سعيد عن قتادة
 أقرب والله أعلم وروى ابن جرير
 عن مجاهد نحو هذا الثاني عن قتادة
 وقال ابن أبي حاتم روى عن الحسن
 واسماعيل بن أبي خالد نحو قول
 السدي وقتادة وقال أبو جعفر
 الرازي عن الربيع بن أنس في هذه

كان اسم رجل بن اسرائيل الذي عبدهم موت رقيب به جوت (من بعده) أي بعد
 مضى موسى الى الطور وقد ذكر بعض المفسرين انهم عدوا عشرين يوما وعشرين ليلة
 وقالوا قد اختلف موعده فالتجوا العجل وهذا غير بعيد منهم فقد كانوا يسلكون طرائق
 من التبعث خارجة عن قوانين العقل مخالفة لما يخاطبون به بل ويشاهدونه بأبصارهم
 فلا يقال كيف يعدون الايام والليالي على تلك الصفة وقد صرح لهم في الوعد بأنها
 أربعون ليلة والمعنى من بعد عبادتك العجل وسمى العجل بجلا لاستعجالهم عبادته كذا
 قيل وليس بشئ لان العرب تطلق هذا الاسم على ولد البقر وقد كان جعله لهم السامري
 على صورة العجل (وأنتم ظالمون) أي وأنتم ضارون لأنفسكم بالمعصية حيث وضعتم
 العبادة في غير موضعها وقيل انما سماهم ظالمين لانهم أشركوا بالله وخالفوا موعدهم
 قيل والذين عبدهم منهم ثمانية آلاف وقيل كلهم الا هرون مع اثني عشر ألفا وهذا أولى
 (ثم عنونا عنكم) أي محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم والعفو يجوز أن يكون بعد العقوبة
 والغفران لا يكون معها وهذا هو الفرق بينهما وما هو من الاضداد يقال عفت الريح الاثر
 أي أذهبته وعفا الشئ أي كثر ومنه حتى عفوا وقال أبو السعود العفو محو الجرم من
 عفاه درسه وقد يجي لازما قال عرف المنزل الخالي * عقامن بعد أحوال
 عفاه كل حثان * كثير الويل هطال

(من بعد ذلك) أي من بعد عبادتكم العجل (لعلكم تشكرون) ما أنعم الله به عليكم
 من العفو عن ذنوبكم العظيم الذي وقعتم فيه وتسترون بعد ذلك على الطاعة وأصل
 الشكر في اللغة الظهور قال الجوهري الشكر التناء على المحسن بما أولاه من
 المعروف يقال شكرته وشكرت له وباللام أفصح والشكران خلاف الكفران (وإذا
 آتينا موسى الكتاب والفرقان) الكتاب التوراة بالاجماع من المفسرين واختلفوا
 في الفرقان فقال الفراء وقطرب المعنى آتينا موسى التوراة ومحمد الفرقان وقد قيل ان
 هذا غلط أو قبح ما فيه أن الفرقان مختص بالقرآن وليس كذلك فقد قال تعالى ولقد آتينا
 موسى وهرون الفرقان قال الزجاج ان الفرقان هو الكتاب أعيد ذكره تأكيذا وقيل
 ان الواصلة وهي قدراد في المنعوت وقيل ان المعنى ذلك المنزل جامع بين كونه كتابا وقارفا
 بين الحق والباطل وهو كقوله آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل

الآية قال هذا مثل ضربه الله للدينان البعوضة تها ما جاعت فاذا سمت ماتت وكذلك مثل هؤلاء القوم
 الذين ضرب لهم هذا المثل في القرآن اذا امتلأوا من الدنيا ياخذهم الله عند ذلك ثم تلى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل
 شئ يحكمك ارواه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العباس بنحوه فالتأويل في هذا الاختلاف
 في سبب النزول وقد اختار ابن جرير ما حكاه السدي لانه أسس بالسورة وهو مناسب ومعنى الآية انه تعالى أخبرنا انه لا يستحي
 اي لا يستنكف وقيل لا يستحي أن يضرب مثلا ما ياي مثل كان بئى شئ كان صغيرا كان او كبيرا وما همنا للة فليس وتكون
 بعوضة منصوبة على البطل كما تقول لا ضرب بن ضربا ما فيصدق بآدنى شئ او تكون انكروا موصوفة ببعوضة واختار ابن جرير أن

فما واصله وبعوضة معربة باعرا بها قال وذلك سائح في كلام العرب انهم يعربون صله ما ومن باعرا بها لانهم ما يكونان معرفة تارة ونكرة اخرى كما قال حسان بن ثابت يكتفي بفاضلا على من غيرنا حب النبي محمد ايانا قال ويجوز ان تكون بعوضة منصوبة بجذف الجار وتقدير الكلام ان الله لا يستحي ان يضرب مثلاً ما بين بعوضة الى ما فوقها وهذا الذي اختاره الكسائي والقراء وقرأ الخليل وابراهيم بن عتبة بعوضة بالرفع قال ابن جني وتكون صله لما وحذف النعائد كافي قوله تعالى ما على الذي أحسن أي على الذي هو أحسن وحكي سيبويه ما نأى الذي قائل للشيء أي بالذي هو قائل للشيء وقوله تعالى فما فوقها فيه قولان أحدهما فنادونها في الصغروا الحقارة كما اذا وصف رجل باللؤم والشح فيقول السامع (١١١) نعم وهو فوق ذلك يعني فيما وصفت وهذا قول

الكسائي وأبي عبيد قاله الرازي وأكثر المحققين وفي الحديث لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لماسق كافر منها شربة ماء والثاني فما فوقها الماهو كبر منها لانه ليس شيء أحقر ولا أصغر من البعوضة وهذا قول قتادة بن دعامة واختيار ابن جرير فانه يؤيده ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم بشاة شوكه فما فوقها الا كتب له به ادرجة ومحبت عنده به اخطيئة فأخبر انه لا يستغفر شيئاً يضرب به مثلاً ولو كان في الحقارة والغر كالبعوضة كما لا يستنكف عن خلقها كذلك لا يستنكف من ضرب المثل بها كما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت في قوله يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلمهم الذباب شيئاً لا يستمقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب وقال مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت

شيء وقيل الفرقان الفرق بينهم وبين قوم فرعون أنجي الله هؤلاء وأعرق هؤلاء وقال ابن زيد الفرقان انفراق البحر والشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان الشرح من الكرب أو النصر وقيل انه الجنة والبيان بالآيات التي أعطاه الله من العصا واليد وغيرهما وهذا أولى وأرجح ويكون العطف على باب كانه قال آتينا موسى التوراة والآيات التي أرسلنا بها معجزة له (لعلكم تهتدون) يعني بالتوراة أي لكي تهتدوا للتدبر والتفكير فيه والعمل والاعتقاد بما يحويه (واذ قال موسى لقومه) يعني الذين عبدوا العجل والقوم يطلق تارة على الرجل دون النساء ومنه قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال ولانساء من نساء ومنه ولو طأذ قال لقومه أراد الرجال وقد يطلق على الجميع كقوله تعالى انا أرسلنا نوحا الى قومه والمراد هنا بالقوم عبدة العجل وهذا شروع في بيان كيفية العقوبة والقوم ليس له واحد من لفظة ومفرده رجل (يا قوم انكم ظالمات أنفسكم باقتحامكم العجل) يعني الهاتعبدونه فكأنهم قالوا ما نمنع فقال قتلوا الى بارئكم) أي ارجعوا الى خالقكم واعزموا وصموا بالتوبة والبارئ الخالق وقيل البارئ هو المبدع المحدث والخالق هو المقدّر الناقل من حال الى حال وفي ذكر البارئ هنا إشارة الى عظيم جرمهم أي قتلوا الى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره وأصل التركيب تلخيص الشيء عن غيره اما على سبيل التفضي كبرى المريض من مرضه والمديون من دينه أو الانشاء كبر الله آدم من الطين (فاقتلوا أنفسكم) أي اجمعوا القتل متعقباً للتوبة تماماً الى قال القرطبي وأجمعوا على انهم يؤمر كل واحد من عبدة العجل بأن يقتل نفسه بيده قاتلاً قاتلاً وقيل بعضهم بعضاً وقيل وقت الذين عبدوا العجل ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلهم فتاب الله على الباقي منهم عن ابن عباس قال أمر موسى قومه عن أمر ربه أن يقتلوا أنفسهم واحتجى الذين عكفوا على العجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا فأخذوا الخناجر بأيديهم وأصاب منهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضاً فانتجبت الظلمة عنهم عن سبعين ألف قتيل كل من قتل منهم كانت له توبة وكل من بقي كان له توبة وعن علي قال قال الموصي ما تو بقنا قال يقتل بعضكم بعضاً فأخذوا السكاكين فجعل الرجل يقتل أخاه وأباه وابنه لا يسأل من قتل حتى قتل منهم سبعون ألفاً فأوحى الله الى موسى فارتفعوا أيديهم وقد غفر لمن قتل وتيب على من بقي

لو كانوا يعلمون وقال تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتقون وقال تعالى ضرب الله مثلاً عبدان أحدهما كان يتق الله والآخر كافر بالله العظيم قالوا لا بد لهما من مولد أبنا يؤجبه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل الآية كما قال ضرب الله مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فإيعازنا لكم الآية وقال ضرب الله مثلاً رب الا فيه شركاء متشاكسون الآية وقال وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم

يعتقونها الا انما علمون وفي القرآن أمثال كثيرة قال بعض السلف اذا سمعت المثل في القرآن فلم تقم به بكيت على نفسي لان الله قال
 وتلك الامثال نضرب للناس وما يعقلها الا العالمون وقال مجاهد في قوله تعالى ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما
 فرقتها الامثال تغيرها كبرها يؤمن بها المؤمنون يعلمون انها الحق من ربهم وريحهم الله بها وقال قتادة فاما الذين آمنوا
 فيعلمون انه الحق من ربهم اى يعلمون انه كلام الرحمن وانه من عند الله وروى عن مجاهد والحسن والريث بن أنس نحو ذلك
 وقال ابو العباس فاما الذين آمنوا يعلمون انه الحق من ربهم يعنى هذا المثل واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا
 كما قال في سورة المدثر وما جعلنا صاحب النار (١١٢) الاملاكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وليستعقن الذين

(ذلكم) يعنى هذا القتل وتحمل هذه الشدة (خير لكم) لان الموت لا بد منه (عند
 بارئكم) من حيث انه طهارة من الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية
 (كتاب عدكم) اى فعلتم ما امرت به فقبوا وزعنكم وهذه الفاء التفسير وفاء التفصيل
 وهذا من كلام الله تعالى عليهم به على طريق الالتفات من التكلم الذى يقتضيه السياق
 الى الغيبة وقيل انه من جملة كلام موسى لقومه والاول اولى (انه هو التواب) اى
 الرجاء بالغفرة القابل للتوبة البالغ في قبولها منهم (الرحيم) بخلقه (واذ قلتم يا موسى
 لن نؤمن لك) اى لا نصدقك بان ما سمعنا كلام الله (حتى نرى الله جهرة) اى عيانا
 ظاهر السياق ان القائلين بهذه المقالة هم قوم موسى قيل هم السبعون الذين اختارهم من
 لم يعبدوا العجل وذلك انهم لما سمعوا كلام الله قالوا له بعد ذلك هذه المقالة معتبرين عن
 عبادة اصحابهم العجل فخرج بهم موسى وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به والجهرة
 استعيرت للمعينة وأصلها الظهور (فأخذتكم الصاعقة) لفرط العناد والتعنت
 وطلب المستحيل قيل هي الموت وفيه ضعف وقيل سبب الموت واختلقوا في ذلك
 السبب فقيل ان نار انزلت من السماء فأحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل أرسل
 جوعاس الملائكة فسمعوا بحسهم فحروا صاعقين مبشرين بوماؤله والاول اولى والمراد
 بأخذ الصاعقة اصابتها اياهم وسيأتى في الاعراف انهم ماؤا بالرحمة اى الزلزلة ويمكن
 الجمع بأنه حصل لهم الجميع وقيل المراد بالصاعقة الموت واستدل عليه بقوله الا ان ثم
 بعثناكم من بعد موتكم ولا موجب للمصر الى هذا التفسير لان المصعوق قد بعثت كما في هذه
 الآية وقد يغشى عليه ثم يفيق كفى قوله تعالى وخر موسى صعقا فلما أفاق وما يؤجج
 بعد ذلك قوله (وأنتم تنظرون) فانما لو كانت الصاعقة عبارة عن الموت لم يكن لهذه
 الجملة كثير معنى بل قد يقال انه لا يصح ان ينظروا الموت النازل بهم الا ان يكون المراد نظر
 الاسباب المؤثرة للموت قيل انهم نظروا أوائل الصاعقة النازلة بهم الواقعة عليهم
 لا آخرها الذى ماؤا عنده والمعنى ينظر بعضهم الى بعض كيف يأخذهم الموت وكيف
 يحيا وانما عوقبوا بأخذ الصاعقة لهم لانهم طلبوا ما لم يأذن به الله من رؤيته في الدنيا
 (ثم بعثناكم من بعد موتكم) المراد بذلك الاحياء لهم لوقوعه بعد الموت فبعثوا بعد الموت
 ليستوفوا آجالهم قاله أنس ولو أنهم كانوا قد ماؤا الانقضاء آجالهم لم يبعثوا الى يوم

أوتوا الكتاب ويرداد الذين آمنوا
 ايماننا ولا يران الذين أوتوا الكتاب
 والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم
 مرض والكافرون ماذا اراد الله
 بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء
 ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك
 الا هو وكذلك قال عهنا يضل به
 كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا
 الفاسقين قال السدى في تفسيره
 عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن
 عباس وعن مرة عن ابن مسعود
 وعن ناس من الصحابة يضل به كثيرا
 يعنى به المنافقين ويهدي به كثيرا يعنى
 به المؤمنين فيزيد هؤلاء ضلالة الى
 ضلالهم لتكذيبهم بما قد علموه
 حقا يقينا من المثل الذى ضرب به
 الله بما ضرب لهم وانه لما ضرب به
 موافق فذلك اضلال الله اياهم به
 ويهدي به يعنى المثل كثيرا من أهل
 الايمان والتصديق فيزيدهم هدى
 الى هدايتهم وايمانا الى ايمانهم
 لتصديقهم بما قد علموه حقا يقينا
 انه موافق لما ضرب به الله له مثلا
 واقراهم به وذلك هداية من الله
 لهم به وما يضل به الا الفاسقين قال
 هم المنافقون وقال ابو العباس وما

يضل به الا الفاسقين قال هم أهل النفاق وكذا قال الريس بن أنس وقال ابن جريج عن مجاهد عن ابن
 القيسية
 عباس وما يضل به الا الفاسقين قال يقول يعرفه الكافرون فيكفرون به وقال قتادة وما يضل به الا الفاسقين فسقوا فاضلهم الله على
 فسقهم وقال ابن ابى حاتم حدثنا عن اسحاق بن سليمان عن أبى سنان عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن سعد بن يضل به كثيرا
 يعنى الخوارج وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد قال سألت أبى فقلت قوله تعالى الذين يتقون عباد الله من بعد
 مشاقه الى آخر الآية فقال هم الخوارج وهذا الاسناد واضح عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فهو تفسير على المعنى لان
 الآية تريد منها التخصيص على الخوارج الذين خرجوا على علي بالهروان فان أولئك لم يكونوا حال نزول الآية وانما هم داخلون

بوصفهم فيهم مع من دخل لانهم سوا خوارج لخروجهم عن طاعة الامام والقيام بشرائع الاسلام والفاسق في اللغة هو الخارج عن الطاعة أيضا وتقول العرب فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرتها اولهذ يقال للفأرة فوسقت لخروجها عن بجرها للفساد وثبت في الصحيحين عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور فالفاسق يشمل الكافر والعاصي ولكن فسق الكافر أشد وأفسد والمراد من الآية الفاسق الكافر والله أعلم بدليل انه وصفهم بقوله تعالى الذين يتقضون عهد الله من بعدم مشاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون وهذه الصنات صنات الكفار المبينة (١١٣) لصفات المؤمنين كما قال تعالى في سورة

القيامة وأصل البعث الاثارة للشيء من محله وقد تكون عن اعماء ونوم ولهذا قيد بالبعث بالموت وقد ذهب المعتزلة ومن تابعهم الى انكار الرؤية في الدنيا والاخرة وذهب من عداهم الى جوازها في الدنيا والاخرة ووقعها في الاخرة وقد تواترت الاحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم في الاخرة وهي قطعة الدلالة لا ينبغي لمنصف أن يتسلل في مقابلهما بتلك القواعد الكلامية التي جاء بها أقدماء المعتزلة وزعموا ان العقل قد حكم بهم ادعوى مبنية على شفا جرف غار وقواعد لا يستريحها الا من لم يحظ من العلم بالمنافع بنصيب وسيا يتك بيان ما تمسكوا به من الادلة القرآنية وكلها خارج عن محل النزاع بعيد من موضع الحجة وليس هذا موضع المقال في هذا المسئلة وقد استوعب الحافظ ابن القيم الكلام عليها في كتابه حادي الارواح بما يشي العليل ويروي الغليل فليرجع اليه (لعلكم تشكرون) انما صان ذلك اي بالبعث بعد الموت قاله أبو السعود وما كثرتموه قاله البيضاوي (وظلنا عليكم الغمام) اي جعلناه كالكلام والغمام جمع غمامة قاله الاخفش قال الفراء ويجوز غمام قال ابن عباس غمام أبر من هذا وأطرب وهو الذي يأتي الله فيه يوم القيامة وهو اني جاءت فيه الملائكة ترمي بدروك من عندهم في التيه وقال قتادة كان هذا الغمام في البرية ظلال عليهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضي لهم بالليل اذ لم يكن قر والتيه وادين الشام ومصر وقد ردت عدة فراسخ مكشرا فيه أربعين سنة متحيرين لا يمتدون الى الخروج (وأمرنا عليكم المن والسرى) يعنى في التيه قال قتادة طعمهم ذلك حين برزوا الى البرية فكان المن يسقط عليهم في محلهم من طلوع النجم الى طلوع الشمس سقوط النبل أشد ياضا من اللبن وأحلى من العسل فيأخذ الرجل قدر ما يكفيه يومه ذلك فان تعدى ذلك فسد ما بقي عنده حتى اذا كان يوم سادسه يوم الجمعة أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه فبقى عنده لانه كان يوم عبدا لا يشخص فيه لاهم المعيشة ولا اطلبه شيء وهذا كله في البرية وقد ذكر المفسرون ان هذا جرى في التيه بين مصر والشام لما امتنع امران دخولا مدينة الجبارين وقالوا موسى اذهب أنت وربك فمنا لا راسي ما بقي بسطة في سررة المائدة وكان عدد الذين ناهوا سمائة ألف ومائتا كلهم في التيه الا من لم يبلغ العشرين ومات فيه موسى وهرون وكان موت موسى بعد حرون بسنة والمر قبل هو التريخيين وعلى هذا أكثر المفسرين وهو طل ينزل من السماء

القيامة وأصل البعث الاثارة للشيء من محله وقد تكون عن اعماء ونوم ولهذا قيد بالبعث بالموت وقد ذهب المعتزلة ومن تابعهم الى انكار الرؤية في الدنيا والاخرة وذهب من عداهم الى جوازها في الدنيا والاخرة ووقعها في الاخرة وقد تواترت الاحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم في الاخرة وهي قطعة الدلالة لا ينبغي لمنصف أن يتسلل في مقابلهما بتلك القواعد الكلامية التي جاء بها أقدماء المعتزلة وزعموا ان العقل قد حكم بهم ادعوى مبنية على شفا جرف غار وقواعد لا يستريحها الا من لم يحظ من العلم بالمنافع بنصيب وسيا يتك بيان ما تمسكوا به من الادلة القرآنية وكلها خارج عن محل النزاع بعيد من موضع الحجة وليس هذا موضع المقال في هذا المسئلة وقد استوعب الحافظ ابن القيم الكلام عليها في كتابه حادي الارواح بما يشي العليل ويروي الغليل فليرجع اليه (لعلكم تشكرون) انما صان ذلك اي بالبعث بعد الموت قاله أبو السعود وما كثرتموه قاله البيضاوي (وظلنا عليكم الغمام) اي جعلناه كالكلام والغمام جمع غمامة قاله الاخفش قال الفراء ويجوز غمام قال ابن عباس غمام أبر من هذا وأطرب وهو الذي يأتي الله فيه يوم القيامة وهو اني جاءت فيه الملائكة ترمي بدروك من عندهم في التيه وقال قتادة كان هذا الغمام في البرية ظلال عليهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضي لهم بالليل اذ لم يكن قر والتيه وادين الشام ومصر وقد ردت عدة فراسخ مكشرا فيه أربعين سنة متحيرين لا يمتدون الى الخروج (وأمرنا عليكم المن والسرى) يعنى في التيه قال قتادة طعمهم ذلك حين برزوا الى البرية فكان المن يسقط عليهم في محلهم من طلوع النجم الى طلوع الشمس سقوط النبل أشد ياضا من اللبن وأحلى من العسل فيأخذ الرجل قدر ما يكفيه يومه ذلك فان تعدى ذلك فسد ما بقي عنده حتى اذا كان يوم سادسه يوم الجمعة أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه فبقى عنده لانه كان يوم عبدا لا يشخص فيه لاهم المعيشة ولا اطلبه شيء وهذا كله في البرية وقد ذكر المفسرون ان هذا جرى في التيه بين مصر والشام لما امتنع امران دخولا مدينة الجبارين وقالوا موسى اذهب أنت وربك فمنا لا راسي ما بقي بسطة في سررة المائدة وكان عدد الذين ناهوا سمائة ألف ومائتا كلهم في التيه الا من لم يبلغ العشرين ومات فيه موسى وهرون وكان موت موسى بعد حرون بسنة والمر قبل هو التريخيين وعلى هذا أكثر المفسرين وهو طل ينزل من السماء

(١٥ ل - فتح البیان) وانكارهم ذلك وكتمانهم علم ذلك الناس بعد اعطائهم الله من انفسهم المشاق ليبينه للناس ولا يكتونه فاخبر تعالى انهم يذودوناه وشرهم واشتروا به ثم قليلا وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله وهو قول مقاتل بن حيان وقال آخرون بل عني بهذا الاية بجميع أهل الكفر والشرك والتناق وعهده الى جميعهم في ترجيده ما وضع لهم من الادلة الدالة على ربوبيته وعهده اليهم في أمره ونهيهم ما احتج به لرسوله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم ان يأتي بعلمه الشاهدة لهم على صدقهم قالوا ونقضهم ذلك تركهم الاقرار بما قد تبين لهم صحتها بالادلة وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم ان ما أتوا به حق وروى عن مقاتل بن حيان أيضا شرا هذا شر حسن واليه ما انزى من شري ناله قال فان قلت فما المراد بعهد الله قلت ما ذكر في

عقولهم من الجدة على التوحيد كن أمر وصامهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى
إذا أخذ المشاق عليهم من الكتب المتزلة عليهم كقوله وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وقال آخرون العهد الذى ذكره تعالى هو العهد
الذى أخذ عليهم حين أخرجهم من ملب آدم الذى وصف فى قوله وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على
أنفسهم ألسن بربكم قالوا بلى شهدنا لا ينسئ وتقصمهم ذلك تركهم الوفاء به وهكذا روى عن مقاتل بن حيان أيضا حكى هذه
الاقوال ابن جرير فى تفسيره وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله تعالى الذين يتقصون عهد الله
من بعد مشاقه الى قوله أولئك هم الخاسرون (١١٤) قال حى ست خصال من المنافقين إذا كانوا فىهم النجاسة على الناس

على شجر أو حجر ويحلو وينقده سلا ويحجف جفاف الصنغ كرمعناه في القاموس
وقيل المن العسل وقيل شراب حلو وقيل خبز الرقاق قاله رجب وقيل هو صندريم
جميع ما من الله به على عباده من غير تعب ولا زرع ومنه ما ثبت في صحيح البخاري رسل
من حديث سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الكثرة من المن الذي أنزل
على موسى وقد ثبت مثله من حديث أبي هريرة عند أحمد والترمذي ومن حديث جابر
وأبي سعيد وابن عباس عند النسائي وقد قالوا يا موسى قد قلنا المن بحلاوته فادع لنا
ربك أن يطعمنا اللحم فأرسل الله عليهم السلاوى قيل هو السمانى كجبارى طائر يذبحونه
فما كانوا يعظمونه عليهم الجنوب قال ابن عطية السلاوى طائر باجاع المفسرين قال
القرطبي ما دعه من الاجاع لا يصح وقد قال المورج أحد علماء اللغة والتفسير انه
العسل وبه قال الجوهري وقال ابن يحيى السلاوى طائر يشبه السمانى وخاصيته ان يأكل
الحبة يلين القلوب القاسية عوت اذا سمع صوت الرعد كما ان الخطاف يقتله البرد قبله
الله تعالى ان يسكن جزائر البحر التي لا يكون فيها مطر ولا رعد الى انتضاء أو ان المطر
والرعد فيخرج من الجزائر ويتشرف الى الارض قال الاخفش السلاوى لا واحد له من
لغته مثل الخير والشر وهو يشبه أن يكون واحده سلاوى مثل جماعته وقال الخليل
واحدة سلاوة وقال الكسائى السلاوى واحدة وجعه سلاوى وقيل هو السمانى بعينه
فكان الرجل يأخذ ما يكفيه يوماً وليلة فاذا كان يوم الجمعة يأخذ ما يكفيه ليومين لأنهم
يكن ينزل يوم السبت شئ (كوا) أى وقتنا لهم كوا (من ضيات) أى حلالان
أومستلذات (ما رزقناكم) ولا تدخروا لعد استدل به على أن الضيف لا يملك ما قدم له
وانه لا يتصرف الا باذن (وما ظلمونا) أى وما بنحسوا حقنا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)
بأخذهم أكثر مما حاد لهم فاستحقوا بذلك عذابي وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم
بلا مؤنة ولا تعب فى الدنيا ولا حساب فى العقبى فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر وتقدير
الانفس فيبذل الاختصاص وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على تماديهم فى الظلم واستمرارهم على الكفر (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) سميت
قرية لاجتماع الناس فيها وقد يطلق عليهم بما رزقوا من الله تعالى واسأل القرية يحتمل الوجهين
مشقة من قريت أى جمعت لجمعها لاهلها تقول قريت الماء فى الحوض أى جمعته

أَظْهَرُوا هَذِهِ الْخِصَالِ إِذَا أَحْدَثُوا
كُذِبُوا وَإِذَا وَعِدُوا أَخْلَفُوا وَإِذَا
أَوْثَمُوا خَانُوا وَتَقْضُوا عَهْدَ اللَّهِ مِنْ
بَعْدِ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ وَقَطَعُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
أَنْ يُوَصَّلَ وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ
وَإِذَا كَانَتِ الظُّهْرَةُ عَلَيْهِمْ أَظْهَرُوا
الْخِصَالِ الثَّلَاثَ إِذَا أَحْدَثُوا كُذِبُوا
وَإِذَا وَعِدُوا أَخْلَفُوا وَإِذَا أَوْثَمُوا
خَانُوا وَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ
أَيْضًا وَقَالَ السُّدِّيُّ فِي تَفْسِيرِهِ
بِاسْتِادَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى الَّذِينَ يَنْقُضُونَ
عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ هُوَ
مَا عَهْدَ إِلَهُهِمْ فِي الْقُرْآنِ فَأَقْرَبُوا بِهِ ثُمَّ
كَفَرُوا فَانْقَضَوْهُ وَقَوْلُهُ وَيَقْطَعُونَ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ قِيلَ الْمُرَادُ بِهِ
صَلَةُ الْأَرْحَامِ وَالْقُرَابَاتِ كَمَا فُسِّرَ
قَتَادَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فَيُهْلِعُ عَشِيمَ
أَنْ يُوَلِّيمَ أَنْ تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ
وَتَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ وَرَبِّحَهُ ابْنُ جَرِيرٍ
وَقِيلَ الْمُرَادُ أَعْمَ مِنْ ذَلِكَ فَكُلُّ مَا أَمَرَ
اللَّهُ بِوَصْلِهِ وَفَعَلَ فَقَطَعُوهُ وَتَرَكَوهُ
وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حِجَابٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى
أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ قِيلَ فِي
الْآخِرَةِ وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى أُولَئِكَ
لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ وَقَالَ
الْضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كُلُّ شَيْءٍ نَسَى

الله الى غير أهل الاسلام من اسم مثل خاسر فاعني به الكفر ومانسبه الى أهل الاسلام فاعني به الدين واسم
وقال ابن جرير في قوله تعالى أو لئن لم يخسر الخاسرون جمع خاسر وهم الناصون أنفسهم حظوظهم بمعصيتهم الله من رحمته
كما يخسر الرجل في تجارته بأن يضع من رأس ماله في بيعه وكذلك المنافق والكافر خسر بحرمان الله اياه ورحمته التي خلقها لعباده
في القيامة أخرج ما كانوا الى رحمته يقال منه خسر الرجل يخسر خسر أو خسر أو خساراً كما قال جرير بن عطية
ان سلبطاني الخسارانه * أولاد قوم خلقوا افقه (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم ميتكم ثم يخرجكم
ثم اليه ترجعون) يقول تعالى محتجاً على وجوده وقدرته وانه الخالق المتصرف في عباده كيف تكفرون بالله أي كيف يتحدون

وجوده أو تعبدون معه غيره وكنتم أمواتا فأحياكم ثم أي قد كنتم علما فماخرجكم إلى الوجود كما قال تعالى أم خلقوا من غير شيء أم هم
 الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون وقال تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
 والآن في هذا كثرة وقال سفيان الثوري عن أبي إسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالوا ربنا
 أمنا أنتين وأحييتنا أنتين فاعترفنا بذنوبنا قال هي التي في البقرة وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يعنيكم وقال ابن جرير عن
 عطاء بن ابن عباس كنتم أمواتا فأحياكم أمواتا في أصلا بآياتكم لم تكونوا شيئا حتى خلقكم ثم يعنيكم مرة الحق ثم يعنيكم
 حين يعنيكم قال وهي مثل قول تعالى أمنا أنتين وأحييتنا أنتين وقال (١١٥) الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى

ربنا أمنا أنتين وأحييتنا أنتين
 قال كنتم ترابا قبل أن يخلقكم
 فهذه ميتة ثم أحياكم فخلقكم
 فهذه حياة ثم يعنيكم فترجعون
 إلى القبور فهذه ميتة أخرى ثم
 يعنيكم يوم القيامة فهذه حياة
 فهذه ميتتان وحياتان فهو كقوله
 كف تكفرون بالله وكنتم أمواتا
 فأحياكم ثم يعنيكم ثم يعنيكم
 وهكذا روى عن السدي بسنده
 عن أبي مالك وعن أبي صالح عن
 ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود
 وعن ناس من الصحابة وعن أبي
 العالية والحسن ومجاهد وقتادة وأبي
 صالح والضحاك وعطاء الخراساني
 نحوه ذلك وقال الثوري عن السدي
 عن أبي صالح كيف تكفرون بالله
 وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يعنيكم
 ثم يعنيكم ثم إليه ترجعون قال
 يحيى بن بكير في القبر ثم يعنيكم وقال
 ابن جرير عن يونس عن ابن وهب
 عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال
 خلقهم في طهر آدم ثم أخذ عليهم
 المشاق ثم أماتهم ثم خلقهم في
 الأرحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم
 القيامة وذلك كقوله تعالى قالوا

واسم ذلك الماء قري بكسر القاف قال جمهور المفسرين القرية هي بيت المقدس وبه
 قال مجاهد وقال ابن عباس هي أريحا قرية الجبارين قال ابن الأثير قرية بالغور قرية
 من بيت المقدس وجزم القاضي وغيره بالأول وقيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم
 العمالقة فعلى هذا يكون انتقال يوشع بن نون لأنه هو الذي فتح أريحا بعد موسى لأن
 موسى مات في التيمه وعلى الأول القائل موسى عليه السلام وقيل قرية من قري الشام
 (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) أمر أباحه ورغدا كثيرا وسعا أي أكلارغدا (وادخلوا
 الباب) الذي أمرتم بدخوله هو باب في بيت المقدس يعرف اليوم بباب حطة وقيل هو باب
 القبة التي كان يصلي إليها موسى وبنو إسرائيل ومن قال إن القرية أريحا قال ادخلوا
 من أي باب كان من أبوابها وكان لها سبعة أبواب (سجدا) أي منحنين كالراكعين
 أو خضعاء متواضعين والسجود قيل هو هنا الانحناء وقيل التواضع والخضوع واستدلوا
 على ذلك بأنه لو كان المراد السجود الحقيقي الذي هو وضع الجبهة على الأرض لامتنع
 الدخول المأمور به لأنه لا يمكن الدخول حال السجود قال في الكشف أنهم أمروا
 بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكر الله وتواضعا واعتراضه أبو حيان في النهر الماد فقال
 لم يؤمروا بالسجود بل هو قيد في وقوع المأمور به وهو الدخول والأحوال نسب تقييدية
 والأوامر نسب اسنادية انتهى ويجب أن لا يفتقد الأمر بالتقيد أمر بالتقيد فن قال أخرج
 مسرعا فهو أمر بالخروج على هذه الهيئة فلو خرج غير مسرع كان عند أهل اللسان
 مخالفا للأمر ولا ينافي هذا كون الأحوال نسبا تقييدية فان اتصافها بكونها قيودا
 مأمورا بها هو شيء زائد على مجرد التقيد (وقولوا حطة) قيل الحطة في الأصل اسم للهيئة
 من الخط كالجلسة والقعدة وقيل هي آتوبة معناه الاستغفار وقال ابن فارس في المجمل
 حطة كلمة أمر وأمرها قالوا حطت أوزارهم أي لا يدرى معناها قال الرازي في تفسيره
 أمرهم بأن يقولوا ما يدل على التوبة وذلك لأن التوبة صفة القلب فلا يطع الغير عليها
 وإذا اشتهر واحد بالذنوب ثم تاب بعده لم يمحى توبته لمن شاهد منه الذنب لأن التوبة
 لا تتم إلا بآتيها وكون التوبة لا تتم إلا بذلك لا دليل عليه بل مجرد عقد القلب عليها
 يكفي سواء أطلع الناس على ذنبه أم لا وربما كان التوبة على وجه لا يطع عليها
 إلا الله عز وجل أحب إلى الله وأقرب إلى مغفرته وأما رفع ما عند الناس من اعتقادهم

ربنا أمنا أنتين وأحييتنا أنتين وهذا غريب والذي قبله والصحيح ما تقدم عن ابن مسعود وابن عباس وأولئك الجماعة من التابعين
 وهو كقوله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الآية كما قال تعالى في الأصنام أموات غير أحياء
 وما يشعرون الآية وقال وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها جبالا فتنة يا كافرين (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا
 ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) لماذا كرتعالى دلالة من خلقهم وما يشاهدونه من أنفسهم
 ذكر دليل آخر مما يشاهدونه من خلق السموات والأرض فقال هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء
 فسواهن سبع سموات أي قصد إلى السماء والاستواء عن نامض معنى القصدي أو القبال لأنه عدى بالي فسواهن أي خلق السماء

سبعاً والسماء بينهما اسم جنس فلهذا قال فسواء من سبع سموات وهو بكل شيء عليم أى وعلمه محيط بجميع ما خلق كما قال ألا يعلم من خلق وتنفصيل هذه الآية في سورة حم السجدة وهو قوله تعالى قل أنشأكم لسكرونها بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداد ذلك رب العالمين وجعل فيها راسي من فوقها وبأركها فيها رقد فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظ ذلك تقدير العزيز العليم ففي هذا دلالة على أنه تعالى ابتداء بخلق الأرض أولاً ثم خلق السموات سبعة وهذا شأن البناء أن يبدأ بعمارة أسافله (١١٦) ثم أعاليه بعد ذلك وقد صرح المفسرون بذلك كما سنذكره بعد هذا إن شاء

بقائه على المعصية فذلك باب آخر (تغفل لكم خطاياكم) أي نستر عدا عليكم من الغفر وهو
الستر لان المغفرة تستر الذنوب وخطايا جمع خطية (وستزيد المحسنين) أي تزيدهم ثوابا
أو احسانا الى احسانهم المتقدم وهو اسم فاعل من احسن وقد ثبت في الصحيحين ان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم
تكن تراه فإنه يرأك (فبدل الدين ظموا قولا غير الذي قيل لهم) قيل انهم قالوا حنطة وقيل
قالوا باسانهم حطاسمقانا أي حنطة جراء استخفافا منهم بأمر الله وقيل غير ذلك
والصواب انهم قالوا حبة في شجرة قالوا ذلك استهزاء أخرجه البخاري وسلم من حديث
أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي رواية عن ابن عباس عند ابن جرير وابن
المنذر حنطة في شجرة والاول أرجح لكونه في الصحيحين وبدلوا الفعل أيضا حيث دخلوا
يرحقون على استأذانهم قال الكاظمي الهرازي فيه دليل على انه لا يجوز تغيير الاقوال
المخصوص عليها وأنه يتعين استماعها وقال الرازي يحجج به فيما ورد من التوقيف في الاذكار
والاقوال وأنه غير جاز تغييرها وربما احتج به علينا المخالف في تجوز تحريم الصلاة بالنظر
للعظيم والتيسير وفي تجوز القراءة بالفارسية وفي تجوز النكاح بلفظ الهبة وما جرى
مجري ذلك (فانما على الدين ظموا) هو من وضع الظاهر موضع المضمر ولم تكن تقدر في كل
محل بما يناسبه تعظيما كقوله أولئك حرب الله ألا ان حرب الله وتحقيرا كقوله أولئك
حرب الشيطان ألا ان حرب الشيطان أوازاله لبس أو غير ذلك وهي مبسوطة في الاتقان
للجلال السيوطي وكانقرر في علم البيان وهي هنا تعظيم الامر عليهم ومبالغة في تقبيح
فعلهم وشأنهم (رجز من السماء) يعني عذابا والرجز العذاب قيل أرسل الله عليهم
طاعونا فيلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا وأخرج مسلم وغيره من حديث اسامة
ابن زيد وسعد بن مالك وخزيمة بن ثابت قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان
هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عذب به اناس من قبلكم فاذا كان بارض وأنتم بها
فلا تخرجوا منها واذا بلغكم انه بارض فلا تدخلوها ومن المعلوم ان الطاعون ضرب
الجن للانس فهو أراضى لاسماوى وانما قيل فيه من السماء لأن القضاء به يقع فيها قال
الخلال السيوطي فهلك منهم في ساعة سبعون ألفا أو أقل انتهى وهذا الوعاء غير الذى حل
بهم في التية (بما كانوا يفسقون) أى يعصون ويخرجون عن أمر الله تعالى وفي الاعراف

الله فاما قوله تعالى أَنزَلْنَاهُ نَسِيجًا
أَمْ السَّمَاءِ بِنَا أَرْفَعُ سَمَكُهَا فَسَوْأَ مَا
وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضَمَكُهَا
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ
مِنْهَا مَاءَهَا وَرَعَاهَا الْجِبَالُ أَرْسَاهَا
مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فَقَدْ قِيلَ إِنَّ
ثُمَّ هِيَ تَنَاثَى لِعَطْفِ الْخَبِيرِ عَلَى
الْخَبِيرِ لِعَطْفِ الْفَعْلِ عَلَى الْفَعْلِ
كما قال الشاعر
قل لمن ساد ثم ساد ثم ساد ثم ساد

ثم قد ساد قبل ذلك جدته
وقيل ان الدحي كان بعد خلق
السموات والارض رواه علي بن
أبي طلحة عن ابن عباس وقد قال
الستدي في تفسيره عن أبي مالك
وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن
مرة عن ابن مسعود وعن ناس من
الصحابة هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا ثم استوى الى السماء
فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء
عليم قال ان الله تبارك وتعالى
كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا
غير ما خلق قبل الماء فلما أراد ان
يخلق الخلق أخرج من الماء دحانا
فارتفع فوق الماء فسماه عليه فسماه
سماء ثم أنس الماء فجعله أرضا

واحدة ثم ففعتها فجعلها سبع أرضين في يومين في الاحد والاثني خلق الارض على حوت والحوت عو الذي يظلمون ذكره الله في القرآن والقلم والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الارض ففكره الحوت فاضطرب فتمزلات الارض فأرسي عليها الجبال فزرت فالجبال تفخر على الارض فذلك قوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي أن تمسدهم وخلق الجبال فيها وأقوات اهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثة والاربعة وذلك حين يقول قل أنسكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها يقول أنبث شجرها وقدر فيها أقطارها ولاهيا في أربعة أيام سواء السائتين

يقول من سأل فهكذا الأمر ثم استوى إلى السماء وهي دخان وذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم
فجعلها سبع سموات في يومين وأوحى في الخميس والجمعة والنامسى يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض وأوحى في كل
سماء أمرها قال خلق الله في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد ومما لا يعلم ثم زين السماء
الدينا بالكواكب فجعلها زينة وحفظا تحفظ من الشياطين فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش فذلك حين يقول
خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ويقول كما تارة تفافتناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي وقال ابن
جرير حدثني الثني حدثنا عبد الله بن صالح حدثني أبو معشر (١١٧) عن سعيد بن أبي سعيد عن عبد الله بن سلام أنه

قال إن الله بدأ الخلق يوم الأحد
فخلق الأرضين في الأحد والاثني
وخلق الأقوات والرواسي في
الثلاثاء والأربعاء وخلق السموات
في الخميس والجمعة وفرغ في آخر
ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم
على عمل فملاك الساعة إلى تقوم
فيها الساعة وقال مجاهد في قوله
تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الأرض جميعا قال خلق الله الأرض
قبل السماء فلما خلق الأرض ثار
منها دخان فذلك حين يقول ثم
استوى إلى السماء وهي دخان
فسواحن سبع سموات قال بعضهم
فوق بعض وسبع أرضين يعني
بعضها تحت بعض وهذه الآية
دالة على أن الأرض خلقت قبل
السماء كما قال في آية السجدة
قل أنتم كنتم تكفرون بالذي خلق
الأرض في يومين وتجعلون له أندادا
ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها
اقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين
ثم استوى إلى السماء وهي دخان
فقال لها وللأرض ائتيا طوعا
أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن

يظلمون تنبها على أنهم جامعون بين هذين الوصنين (واذ تستقي موسى لقومه) أي طلب
السقياء لقومه وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألو موسى أن يستقي لهم ففعل
والاستسقاء إنما يكون عند عدم الماء وحبس القطر ومعناه في اللغة طلب السقياء في
الشرع ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صفته من الصلاة والدعاء وهذا تذكير
لنعمة أخرى كفروها (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) وكانت العصا من آس الجنة طولها
عشرة أذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق وقيل
نبغة جعلها آدم معه من الجنة فوارثها الأنبياء حتى وصات إلى شعيب فأعطاه موسى
كذا قيل والله أعلم والخبر يحتمل أن يكون معينا فيكون اللام للعهد وهو الذي فربوه
فلما سأله السقياء ضربه ويحتمل أن لا يكون معينا فتكون للجنس وهو أظهر في المعجزة
وأقوى للحجة (فانفجرت منه اثنا عشرة عينا) يعني على عدد أسباب بني إسرائيل
والمعنى فضربه فانفجرت والانفجار الانشقاق وانفجر الماء انفتح قال المفسرون انفجرت
وانفجرت بمعنى واحد وقيل انفجرت عرفت وانفجرت سالت قال ابن عطية ولا خلاف
أنه كان جبراهيل يخرج من كل جهة ثلاث عيون إذا ضرب موسى سالت العيون وإذا
استغنى عن الماء جفت (قد علم كل أناس مشربهم) المشرب موضع الشرب وقيل هو
المشرب بنفسه وفيه دليل على أنه يشرب من كل عين قوم منهم لا يشربون غيرهم قيل
كان لكل سبط عين من تلك العيون لا يتعداها إلى غيرها والأسباط ذرية الاثني عشر
من أولاد يعقوب وكل عين تسيل في قناة إلى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة العسكر اثنا
عشر ميلا (كلوا) أي قلنا لهم كلوا المني والسوى (واشربوا) أي الماء المتفجر من الحجر
(من رزق الله) فهذا كله من رزقه كان آياتهم بلا مشقة ولا كلفة (ولانعموا في الأرض
مفسدين) عني يعني عينا وعنا يعثرون وعنا يعثرون عينا لغات بمعنى أفسد قال في
الكشاف العني أشد الفساد فمصلحهم لا تمادوا في الفساد في حال فسادكم لأنهم كانوا
متمادين فيه انتهى وفي هذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه السلام حيث انفجر من الحجر
الصغير ما روى منه الجمع الكثير ومعجزة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أعظم منه لأنه انفجر
الماء من بين أصبعيه فروى منه الجم الغفير لأن انفجار الماء من بين الدم والجمع أعظم
من انفجاره من الحجر (واذ قلتم) أي اذكروا يا بني إسرائيل اذ قال أسلافكم وهذا

سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظنا ذلك تقدير العزيز العليم فهذه وهذه الدالتان
على أن الأرض خلقت قبل السماء وهذا ما لا أعلم فيه نزاعا بين العلماء إلا ما نقله ابن جرير عن قتادة أنه زعم أن السماء خلقت قبل
الأرض وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره لقوله تعالى أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسقاها وأغشش آياتها
وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها فخرج منها ما هو عاها والجبال أرساها قال الرازي كخلق السماء قبل الأرض وفي صحيح
البخاري أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء وأن الأرض انما دحيت بعد خلق السماء وكذلك
أجاب غير واحد من علماء التفسير قديما وحديثا وقد حذرنا ذلك في سورة النزاعات وحاصل ذلك أن الدجى مفسر بقوله تعالى

والارض بعد ذلك دحاشا أخرج منها ما هو مرعاشا والجبال أرساها ففسر الدحي بأخراج ما كان. ودعا فيها بالقود الى التسفل لما
أكتبت سورة الخلق فات الارضية ثم السماوية حتى بعد ذلك الارض فاخرجت ما كان مرعافها من المياه فنبئت النباتات على
اختلاف أصنافها وصفاتها وأزهارها وأشكالها وكذلك جرت هذه الافلاك فدارت بما فيها من الكواكب الثوابت والسمرة
والله سبحانه وتعالى أعلم وقد ذكر ابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسير هذه الآية الحديث الذي رواه مسلم والنسائي في التفسير أيضا
من رواية ابن جرير قال أخبرني اسمعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله (١١٨) التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق الشجر فيها يوم

تذكر بحماسة أخرى صدرت منهم واستناد الفعل الى فروعههم وتوجيه التوبيخ اليهم لما
بينهم وبين أصولهم من الاتحاد (يا موسى ان نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج
لنا مما تبت الأرض من بقلها وقناها وفومها وعدسها وبصلها) هذا تفجير منهم بما
صاروا فيه من النعمة والرزق الطيب والعيش المستلذ ونزوع ما ألقوه قبل ذلك من
خشونة العيش ويحتمل أن لا يكون هذا منهم تشوقا الى ما كانوا فيه وبطرا لما صاروا
اليه من المعيشة الرفيعة بل هو باب من تعنتهم وشعبه من شعب تعجر فهم كما هو دأبهم
وهيجهم في غالب ما قص علينا من أخبارهم وقال الحسن البصري انهم كانوا أهل
كرث وأبصال وأعداس فترعوا الى عكرهم عكر السوء واشتاق طبايعهم الى ما جرت
عليه عادتهم فقالوا ان نصبر على طعام واحد أي نوع منه والمراد بالطعام الواحد هو المن
والسوى وهما وان كانا طعامين لكن لما كانوا يا كون أحدهما بالآخر جعلوهما طعاما
واحدا وقيل لتكرهما في كل يوم وعدم وجود غيرهما معهما ولا تبديلهما والبقل كل
نبات ليس له ساق والشجر ماله ساق وقال في الكشف البقل ما أنبتته الأرض من الخضر
والمراد به أطائب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهاها
انتهى وجمعه بقول والقنا معروف الواحد قناؤه وفيها الغتان كسر القاف وضحاها
والمشهور الكسر والقوم قيل هو الثوم وقد قرأه ابن مسعود بالناء وروى نحو ذلك عن
ابن عباس وقيل القوم الخنطة واليه ذهب أكثر المفسرين كما قال القرطبي وقد رجع
هذا ابن النحاس قال الجوهري وعن قال بهذا الزجاج والخنش وقال بالاول الكسائي
والنضر بن شميل وقيل القوم السنبل وقيل الحص وقيل القوم كان جبايخز والعنيس
والبصل مع وفان قيل انما طلبوا هذه الأنواع لانها تعين على تقوية الشهوة ولانهم ملوا
من البقاء في التيه فسألوا عنه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وكان غرضهم الوصول
الى البلاد لتلك الاطعمة والاول أولى (قال) يعني موسى عليه السلام لهم وقيل
القاتل هو الله والاول اولي (أتستبدلون الذي هو أدنى) أي اخس وأردأ وهو الذي طلبوه
والاستبدال وضع الشيء موضع الآخر قال الزجاج ادنى مأخوذ من الدو أي القرب وقيل
من الدناءة وقيل أصله أدون من الدون أي الردي والهمز لا نكار مع الترخيب والمراد
أضعفون هذه الاشياء التي هي دون موضع المن والسوى اللذين هما خير منهما من جهة

الاثنين وخلق المكر ويوم الثلاثاء
وخلق النور يوم الأربعاء وبث
فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم
بعد العصر يوم الجمعة من آخر
ساعة من ساعات الجمعة فيما بين
العصر الى الليل وهذا الحديث
من غرائب صحيح مسلم وقد تكلم
عليه علي بن المديني والبخاري
 وغير واحد من الحفاظ وجعلوه
من كلام كعب وان أباه ريرة انما
سمعه من كلام كعب الاخبار
وانما اشتبه على بعض الرواة
فجعلوه مرفوعا وقد حرر ذلك
البيهقي (واذا قال ربك للملائكة
انني جاعل في الارض خليفة قالوا
أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك قال اني اعلم ما لا تعلمون) يخبر
تعالى بامتنانه على بني آدم بتوحيه
بدكرهم في المساء الاعلى قبل
ايجادهم فقال تعالى واذا قال ربك
للملائكة أي واذا ذكر يا محمد اذا قال
ربك للملائكة واقصص على
قومك ذلك وحكي ابن جرير عن
بعض أهل العربية وهو أبو عبيدة
أنه زعم ان اذهما زائدة وان تقدير

الكلام وقال ربك ورد ابن جرير قال القرطبي وكذا رده جميع المفسرين حتى قال الزجاج هذا ابتراء
من أي عبدة اني جاعل في الارض خليفة أي قوما يخلف بعضهم بعضا قريبا بعد قرن وجبالا بعد جيل كما قال تعالى هو الذي جعلكم
خلائف الارض وقال ويجعلكم خلفاء الارض وقال ولونشاء بلعلمنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وقال خلف من بعدهم
خلف وقرئ في السداة اني جاعل في الارض خليفة حكاهما الزمخشري وغيره ونقل القرطبي عن زيد بن علي وليس المراد ههنا بالخليفة
ادم عليه السلام فقط كما يقوله طائفة من المفسرين وعزاه القرطبي الى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل وفي ذلك نظر بل
الخلاف في ذلك كثير حكاه الرازي في تفسيره وغيره والظاهر انه لم يرد ادم عينا اذ لو كان ذلك احسن قول للملائكة أتجعل فيها

من يفسد فيهم أو يفسد الدماء فانهم أرادوا ان من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص او بما فهموه ومن الطبيعة البشرية فانه أخبرهم انه يخلق هذا الصنف من صلصال من جامسنون أو فهموا من الخليفة انه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ويردعهم عن المحارم والمآثم قاله القرطبي أو انهم قاسوهم على من سبق كما سئذ كرا أقوال المفسرين في ذلك وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ولا على وجه الحسد بل على وجه كفايته وهم بعض المفسرين وقد وصفهم الله تعالى بانهم لا يسبقونه بالقول أى لا يسألونه شيأ لم يأذن لهم فيه وههنا لما أعلمهم بانه سيخلق في الارض خلقا قال قادة وقد تقدم اليهم انهم يفسدون فيهم فافعلوا أو تجعل فيهم من يفسد فيهم أو يفسد الدماء الآية (١١٩) وانما هو سؤال استعمال واستكشاف عن

الاستلذاذ والوصول من عند الله بغير واسطة أحد من خلقه والحل الذي لا تطرقه الشبهة وعدم الكلفة بالسعي والتعب في تحصيله (بالذى هو خير) أى أشرف وأفضل وهو ما هم فيه (أهبطوا مصرا) أى انزلوا مصرا واتقلوا من هذا المكان الى مكان آخر فالهبوط لا يختص بالنزول من المكان العالى الى الاسفل بل قد يستعمل في الخروج من أرض الى أرض مطلقا قاله الشهاب وظاهر هذا ان الله أذن لهم بدخول مصر وقيل ان الامر للتجيز والاهانة لانهم كانوا في التبدل لا يمكنهم هبوط مصر لانسد الطرق عليهم اذ لو عرفوا طريق مصر لما قاموا أربعين سنة متعيرين لا يمتدون الى طريق من الطرق فهو مثل قوله تعالى كونوا حجارة أو حديد اقال الخليل وسيبويه أراد مصر من الامصار ولم يرد المدينة المعروفة وهو خلاف الظاهر بل يجوز صرفه مع حصول العلمية والتأنيث لانه ثلاثي ساكن الأوسط وبه قال الاخفش والكسائي والمصر في الاصل الحد الفاصل بين الشين وقيل المصر البلدة العظيمة (فان لكم مآسا أتم) يعنى من نبات الارض (وضربت عليهم) أى على فروعه وأخلافهم (الذلة) أى الهوان وقيل الجزية وزى اليهودية وفيه بعد والاول أولى والمعنى جعلت الذلة محيطة بهم مشتهلة عليهم والزمو الذل والهوان بسبب قتلهم عيسى في زعمهم والذلة بالكسر الصغار والحقارة والذلة بالضم ضد العجز (والمسكنة) أى الفقر والفاقة وسمى الفقير مسكينا لان الفقر أسكنه وأقعدته عن الحركة ومعنى ضرب الذلة والمسكنة الزامهم بذلك والقضاء به عليهم قضاء مستقرا لا يفارقهم ولا يتفصل عنهم مع دلالة على ان ذلك مشتهل عليهم اشتغال القباب على من فيها أو لازم لهم لزوم الدرهم المضروب لسكنته وهذا الخبر الذى أخبر الله تعالى به وهو معلوم في جميع الأزمنة فان اليهود أقامهم الله أذل الفرق وأشدتهم مسكنة وأكثرهم تصاعرا لم ينتظم لهم جمع ولا خفقت على رؤسهم راية ولا ثبتت لهم ولاية بل مازالوا عبدا العصى في كل زمن وطروقة كل مخل في كل عصر ومن تمسك منهم بنصيب من المال وان بلغ في الكثرة أى مبلغ فهو متظاهر بالفقر مرتد بأثواب المسكنة ليدفع عن نفسه اطماع الطامعين في ماله اما بحق كنفير ما عليه من الجزية أو بباطل كما يفعل كثير من الظلمة من التجارى على الله بظلم من لا يستطيع الدفع عن نفسه فلا ترى أحدا من أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود كأنهم فقراء وان كانوا أغنياء مياسير (وباءوا) رجعوا يقال باء بكذا أى

العصر فبكث هؤلاء ويصعدوا لئلا بالاعمال كما قال عليه الصلاة والسلام يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل فتولاهم آتيناهم وهم يصلون وتركاهم وهم يصلون من تفسير قوله لهم انى أعلم ما لا تعلمون وقيل معنى قوله تعالى جوابا لهم انى أعلم ما لا تعلمون انى لى حكمة مفصلة في خلق هؤلاء والحالة ما ذكرتم لا تعلمونها وقيل انه جواب ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال انى أعلم ما لا تعلمون أى من وجودا بليس ينسبكم به وليس هو كما وصفتم أنفسكم به وقيل بل تضمن قولهم أن تجعل فيهم من يفسد فيهم من ان بقاءكم في السماء أصل لكم وأليق بكم ذكرها الرازي مع غيرها من الاجوبة والله أعلم * ذكر أقوال المفسرين ببسط

فما ذكرناه قال ابن جرير حدثني الناعم بن الحسن حدثني الحجاج عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن وأبي بكر عن الحسن
وقادة قالوا ل الله لائكة اني جاعل في الارض خليفة قال لهم اني فاعل هذا وه عند الله أخبرهم بذلك وقال السدي استشار
الملائكة في خلق آدم واد ابن أبي حاتم وقال زكريا عن قتادة بن شريك وهذا العبارة ان لم ترجع الى معنى الاخبار فنتهاست
وعبارة الحسن وقادة في رواية ابن جرير احسن والله أعلم في الارض قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا جابر بن
عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دحيت الارض من مكة وأقول من طاف بالبيت
الملائكة فقال الله اني جاعل في الارض يعني (١٢٠) مكة وهذا مرسل وفي سنده ضعف وفيه مدرج وهو ان المراد

رجع والمراد أنهم رجعوا (بغضب من الله) أو صاروا أحقاء بغضبه وقال أبو بصير في الزجاج
احتملوه وقيل أقروا به وقيل استحقوه وقيل لازموه وهو الوجه يقال بؤأه منزلا فبؤأ
أي الزمة فبؤأه (ذلك) أي ما تقدم من ضرب الذلة وما بعده (بأنهم كانوا يكفرون بآيات
الله ويقتلون النبيين بغير حق) أي بسبب كفرهم بالله وقتلهم الانبياء بغير حق بحق
عليهم اتباعه والعمل به ولم يخرج هذا المخرج التقييد حتى يقال انه لا يكون قتل الانبياء
بحق في حال من الاحوال لمكان العصمة بل المراد اني هذا الامر عليهم وتعليمه وانه ظلم
بحق في نفس الامر ويمكن ان يقال انه ليس بحق في اعتقادهم الباطل لان الانبياء
لم يعارضوهم في مال ولا جاه بل أرشدوهم الى مصالح الدين والدنيا كما كان من شعبا
وذكر يا ويحيى فانهم قتلوهم وهم يعلمون ويعتقدون انهم ظالمون وانما جادلهم على ذلك
حب الدنيا واتباع الهوى عن ابن مسعود قال كانت بنو اسرائيل في اليوم يقتل ثلثمائة
نبي ثم يقيمون سوق بقتلهم في آخر النهار (ذلك) تكرير الاشارة لقصد التأكيذ وتعليم
الامر عليهم وتمويله وبمجموع ما بعد الاشارة الاولى والاشارة الثانية هو السبب لضرب
الذلة وما بعده وقيل يجوز ان يكون الاشارة الثانية الى الكفر والقتل فيكون ما بعده
سببا للسبب قاله الزنجشيري وهو بعيد جدا (بمعاصوا) أمرى (وكانوا يعتدون)
الاعتداء تجاوزا الحد في كل شيء أي يتجاوزون أمرى ويرتكبون محاري (ان الذين
آمنوا) قبل ان المراد بهم المنافقون بدلالة جعلهم مقتربين اليه ودوا النصارى والصائبين
أي آمنوا في الظاهر والاولى ان يقال ان المراد الذين صدقوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وصاروا من جملة أتباعه وكانه سبحانه أراد ان يبين ان حال هذه الملة الاسلامية وحال من
قبلها من سائر الملل يرجع الى شيء واحد وهو أن آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل
صالحا استحق ما ذكره الله من الاجر ومن فاته ذلك فاته الخير كله والاجر دقه وجمله
والمراد بالايان ههنا هو ما ينسب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله لما سأل جبريل
عليه السلام عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره
وشره ولا يتصف بهذا الايمان الا من دخل في الملة الاسلامية فمن لم يؤمن بمحمد صلى الله
عليه وآله وسلم ولا بالقرآن فليس بمؤمن ومن آمن به ما صار مسلما مؤمنا ولم يبق يهوديا
ولا نصرانيا ولا مجوسيا (والذين دادوا) معناه صاروا ويهودا قيل هو نسبته اليهم في يهود

بالارض مكة والله أعلم فان الظاهر
ان المراد بالارض أعم من ذلك
خليفة قال السدي في تفسيره عن
أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن
عباس وعن مرة عن ابن مسعود
وعن ناس من الصحابة ان الله تعالى
قال لله لائكة اني جاعل في الارض
خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك
الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون
في الارض ويتحاسدون ويقتل
بعضهم بعضا قال ابن جرير فكان
تأويل الآية على هذا اني جاعل في
الارض خليفة مني يخلفني في
الحكم بالعدل بين خلقي وان ذلك
الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في
طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه
وأما الانسداد وسفك الدماء بغير
حقها فمن غير خلفائه قال ابن جرير
وانما معنى الخلافة التي ذكرها الله
انما هي خلافة قرن منهم قرنا قال
والخليفة الفعلي من قرك خلف
فلان فلان في هذا الاثر اذا قام
مقامه فيه بعده كما قال تعالى ثم
جعلناكم خلائف في الارض من
بعدهم لتنظروا كيف تعملون ومن
ذلك قيل للسلطان الاعظم خليفة

لانه خلف الذي كان قبله فقام بالامر فكان معه خلفا قال وكان محمد بن اسحق يقول في قوله تعالى اني
ابن جاعل في الارض خليفة يقول ساكنوا عماري بعد ما يسكنها خلقا ليس منكم قال ابن جرير وحديثنا أبو كريب حدثنا عثمان
ابن سعيد حدثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال ان اول من سكن الارض الجن فافسدوا فيها
وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضا قال فبعث الله اليهم ابليس فقتلهم ابليس ومن معه حتى احرقهم بجزائر البحور وأطراف
الجبال ثم خلق آدم فاسكنه اياها فلذلك قال اني جاعل في الارض خليفة وقال سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن ابن سابط
اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال يعنون به نبي آدم وقال عبد الرحمن بن زبدي بن أسلم

قال الله للملائكة اني اريد ان اخلق في الارض خلقا واجعل فيها خليفة وليس لله عز وجل خلق الا الملائكة والارض وليس فيها خلق قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وقد تقدم ما رواه السدي عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة ان الله أعلم الملائكة بما تفعل ذرية آدم فقالت الملائكة ذلك وتقدم انما رواه الضحاك عن ابن عباس ان الجن أفسدوا في الارض قبل بنى آدم فقالت الملائكة ذلك فقا سوا هؤلاء بأولئك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا يوم معاوية عن الأعمش عن بكير بن الأخنس عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال كان الجن ينزلون في الارض قبل أن يخلق آدم بأن في سنة فأفسدوا في الارض وسفكوا الدماء فبعث الله جنودا من الملائكة (١٢١) فضر بهم حتى ألحقوا بجزائر البحور فقال

ابن يعقوب بالذال المعجمة فقلبتا العرب دال المهملة وقيل معنى هادوا تابوا التوبة ثم عبادوا العجل ومنه قوله تعالى انا هدانا اليك أي تبنا وقيل ان معناه السكون والموادعة وقال في الكشف معنى دخل في اليهودية (والنصارى) قال سيبويه مفردة نصران ونصرانة كندمان وندمانة ولكن لا يستعمل الا بياء النسب فيقال رجل نصراني وامرأة نصرانية وقال الخليل واحد النصارى نصرى وقال الجوهري ونصران قرية بالشام تنسب اليها النصارى ويقال ناصرة فعلى هذا فالبياء للنسب وقال في الكشف ان البياء للمبالغة كالتى في أخرى سمو بذلك لانهم نصر والمسيح (والصائبين) جمع صابى وقيل صاب والصابى في اللغة من خرج ومال من دين الى دين ولهذا كانت العرب تقول لمن أسلم قد صابا سمو اهذه الفرقة صابئة لانها خرجت من دين اليهود والنصارى وعبدوا الملائكة وقيل عبدوا الكواكب وقال البيضاوى انهم قوم بين اليهود والمجوس انتهى ثم جعل هذا اللقب علما للطائفة من الكفار وقيل هم يدعون أنهم على دين صابى بن شيث بن آدم والاول أولى قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه في الرد على المنطقين ان حران كانت دار هؤلاء الصابئة وفيها ولد ابراهيم عليه السلام أو انتقل اليها من العراق على اختلاف القولين وكان بها هيكل العلة الاولى هيكل العقل الاول هيكل النفس الكلية هيكل زحل هيكل المشتري هيكل المريخ هيكل الشمس وكذلك الزهرة وعطارد والقمر وكان هذا دينهم قبل ظهور النصرانية فيهم ثم ظهرت النصرانية فيهم مع بقاء أولئك الصابئة المشركين حتى جاء الاسلام ولم يزل بها الصابئة والفلاسفة في دولة الاسلام الى آخر وقت ومنهم الصابئة الذين كانوا يغادروا غيرهم أطباء وكهانا وبعضهم لم يسلم ولما قدم الفارابي حران في اثناء المائة الرابعة دخل عليهم وتعلم منهم وأخذ عنهم ما أخذ من المتفلسفة وكان ثابت بن قرة الحراني صاحب الزيج قد شرح كلام ارسطو في الالهيات وقد رأيت به ويست بعض ما فيه من الفساد فان فيه ضلالا كثيرا وكذلك كان دين أهل دمشق وغيره قبل ظهور دين النصرانية وكانوا يصلون الى القطب الشمالى ولهذا يوجد في دمشق مساجد قديمة فيها قبله الى القطب الشمالى وتحت جامع دمشق معبد كبير له قبله الى القطب الشمالى كان لهؤلاء فان الصابئة نوعان صابئة حنفاء موحدون وصابئة مشركون فالاول هم الذين آتى الله عليهم بهذه الآية فأخى على من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من هذه

الله للملائكة انى جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال انى أعلم ما لا تعلمون وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالبة في قوله تعالى انى جاعل في الارض خليفة الى قوله أعلم ما تفسدون وما كنتم تكتمون قال خلق الله الملائكة يوم الاربعاء وخلق الجن يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة ففكفروا من الجن فكانت الملائكة تهبط اليهم في الارض فتقاتلهم ويغيهم وكان الفساد في الارض فن ثم قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها كما أفسدت الجن ويسفك الدماء كما سفكوا قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مبارك بن فضالة أخبرنا الحسن قال قال الله للملائكة انى جاعل في الارض خليفة قال لهم انى فاعل فآمنوا برهم فعلمهم علما وطوى عنهم علما علمه ولم يعلموه فقالوا بالعلم الذى علمهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال انى أعلم ما لا تعلمون قال الحسن ان

(١٦ ل - فتح البیان) الجن كانوا في الارض يفسدون ويسفكون الدماء ولكن جعل الله في قلوبهم ان ذلك سيكون فقالوا بالقول الذى علمهم وقال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة في قوله اتجعل فيها من يفسد فيها كان الله أعلمهم انه اذا كان في الارض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء ذلك حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أشام الرازى حدثنا ابن المبارك عن معروف يعني ابن خريوذ المكي عن سمع أباج عن محمد بن علي يقول السجبل ملك وكان هروث وماروت من أعوانه وكان في كل يوم ثلاث لحات في ام الكتاب فنظر نظرة لم تكن له فابصر فيها خلق آدم وما كان فيه من الامور فاسر ذلك الى هروث وماروت وكانان أعوانه فلما قال تعالى انى جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها

ويسفك الدماء فالأدلة استطلاعة على الملائكة وهذا أثر غريب ويتقدير صحته إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر فهو نقله عن أهل الكتاب وفيه نكارة فوجب رده والله أعلم ومقتضاه أن الذين قالوا ذلك إنما كانوا اثنين فقط وهو خلاف السباق وأغرب منه ما رواه ابن أبي حاتم أيضا حيث قال حدثنا أبي حدثنا هشام بن أبي عبيد الله حدثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير قال سمعت أبي يقول أن الملائكة الذين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك كانوا عشرة آلاف فخرجت نار من عند الله فأحرقتهم وهذا أيضا سراييلي منكر كما نرى قبله والله أعلم قال ابن جرير رحمه الله تعالى وقال بعضهم إنما قالت الله أنه كائن من خلق آدم فقالوا أتجعل

الملائكة ما قالت أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لأن الله أذن لهم في السؤال عن ذلك بعد ما أخبرهم أن ذلك كائن من بني آدم فسأله الملائكة فقالت على التعجب منها وكيف يعصونك يا رب وأنت خالقهم فأجابهم ربهم أني أعلم ما لا تعلمون يعني أن ذلك كائن منهم وإن لم تعلموه أنهم من بعض ما ترونه لي طاعة قال وقال بعضهم ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما يعلموا من ذلك فكانهم قالوا يا رب خبرنا مسألة استخبار منهم لآعلى وجه الإنكار واختاره ابن جرير وقال سعيد بن قتادة قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا استشار الملائكة في خلق آدم فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقد علمت الملائكة أنه لا شيء أكروه عند الله من سفك الدماء والفساد في الأرض ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون فكان في علم الله أنه سيكون من تلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساءلوا الجنة قال وذكرنا عن ابن عباس أنه كان يقول إن الله لما أخذ في خلق آدم عليه السلام من

قالت الملائكة ما الله خالق خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم منافاة لما خلق آدم وكل خلق مبسلي كما ابتليت السموات والأرض بالطاعة فقال الله تعالى أطيعوا عا أو كرها قالوا أينا طاعتين وقوله تعالى ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة قال التسيح التسيح والتقديس الصلاة وقال السدي عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال يقولون نصل لك وقال مجاهد ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال نعظمك ونكبرك وقال الضحاك التقديس التطهير وقال محمد بن اسحق ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال

لأنه صلى ولأننا شاكركم به وقال ابن جرير التقديس هو التعظيم والتطهير ومنه قولهم سبوح قدوس يعني بقولهم سبوح
تنزيهه وبقولهم قدوس طهارة وتعظيم له وكذلك قيل للارض أرض مقدسة يعني بذلك المظهره فمعنى قول الملائكة اذوا نحن
نسبح بحمدك ونزهك ونبركك مما يضيفه اليك أهل الشرك بك ونقدس لك ننسبك الى ما هو من صفاتك من الطهارة من الادناس
وما أضاف اليك أهل الكفر بك وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل
قال ما اصابني الله الملائكة سبحان الله وبحمده وقال روى البيهقي عن عبد الرحمن بن قريط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
أسرى به سمع تسبيحاً في السموات العلى سبحان العلى العلى سبحانه وتعالى (١٢٣) قال اني أعلم ما لا تعلمون قال قتادة فكان

من المفسرين أن موسى لما جاء بني اسرائيل من عند الله بالالواح قال لهم خذوها
والتمزوها فقالوا الا الآن يكلمنا الله بها كما كلمك فصعقوا ثم أحياوا فقال لهم خذوها
والتمزوها فقالوا لأمر الله الملائكة فاقطعت جبلا من جبال فلسطين طوله فرسخ في
مثله وكذلك كان عسكرهم فجعل عليهم مثل الظلة وأوتوا بحر من خلفهم ونار من قبل
وجوههم وقبل لهم خذوها وعليكم المشاق أن لاتضعوها والاسقط عليكم الجبل
فسجدوا وتوبوا لله وأخذوا التوراة بالمشاق قبل وسجدوا على انصاف وجوههم اليسرى
وجعلوا يلاحظون الجبل بأعينهم التي وهم سجود فصار ذلك سنة في سجود اليهود قيل
فكانت لهم بعد هذا القسر والالجاء قبول واذعان اختياري أو كان يكفي في الامم
السابقة مثل هذا الايمان قال ابن جرير عن بعض العلماء لو أخذوها أول مرة لم يكن
عليهم مشاق قال ابن عطية والذي لا يصبغ سواه أن الله سبحانه اخترع وقت سجودهم
الايمان لأنهم آمنوا كرها وقلوبهم غير مطمئنة انتهى وهذا تكلف ساقط حله عليه
الحفاظة على ما قدر تسمي له من قواعد مذهبية قد سكن قلبه اليها كغيره وكل عاقل يعلم
أنه لا سبب من أسباب الاكراه أقوى من هذا أو أشد منه ونحن نقول أكرههم الله على
الايمان فآمنوا مكرهين ورفع عنهم العذاب بهذا الايمان وهو نظير ما ثبت في شرعنا من
رفع السيف عن تكلم بكلمة الاسلام والسيف مصلحت قد هزم حامله على رأسه وقد ثبت في
الصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لمن قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا عن
قتله بأنه قالها تقية ولم يكن عن قصد صحيح أنت فتشت عن قلبه وقال لم أوهم أن اتعب
عن قلوب الناس قال القفال انه ليس اجبار على الاسلام لان الجبر ماسلب الاختيار
بل كان اكراهها وهو جائز ولا يسلب الاختيار كالحاربة مع الكفار فأما قوله لا اكراه
في الدين وقوله أفانت تكره الناس فقد كان قبل الامر بالقتال ثم نسخ ذكره الشهاب
(خذوا ما آتيناكم) أي قلنا لهم خذوها ما أعطيناكم (بقوة) القوة الجدة والاجتهاد
(واذكروا ما فيه) أي ادرسوا ولا تنسوه والمراد بذكر ما فيه أن يكون محفوظا عندهم
ليعملوا به (لعلكم تتقون) أي لكي تتجوز من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى أو رجاء
منكم أن تكونوا متقين (ثم توليت) أصل التولى الادبار عن الشيء والاعراض بالجسم
ثم استعمل في الاعراض عن الامور والاديان والمعتقدات انساها وجزا (من بعد ذلك)

في علم الله انه سيكون في تلك الخليفة
أنبياء ورسول وقوم صالحون
وساكنوا الجنة وسماي عن ابن
مسعود وابن عباس وغير واحد
من الصحابة والتابعين أقوال في
حكمة قوله تعالى قال اني أعلم
ما لا تعلمون وقد استدل القرطبي
 وغيره بهذه الآية على وجوب
نصب الخليفة لينصل بين الناس
فيما اختلفوا فيه ويقطع تنازعهم
وينتصر لمطلوبهم من ظالمهم
ويقيم الحدود وينجز عن تعاطي
الفواش الى غير ذلك من الامور
المهمة التي لا يمكن اقامتها
الا بالامام وما لا يتم الواجب الابه
فهو واجب والامامة تنال بالنص
كما يقوله طائفة من أهل السنة في
أبي بكر وبالاياء اليه كما يقول
اخرى منهم أو باستخلاف الخليفة
آخر بعده كما فعل الصديق
بعمر بن الخطاب أو بتركه شورى
في جماعة صالحين كذلك كما فعله
عمر أو باجتماع أهل الحل والعقد
على مبايعته أو بمبايعة واحد منهم
له فيجب التزامها عند الجمهور
وحكي على ذلك امام الحرميين

الاجماع والله أعلم أو بفكر واحد الناس على طاعته فجب ان لا يؤدي ذلك الى الشقاق والاختلاف وقد نص عليه الشافعي وهل
يجب الاشهاد على عقد الامامة فيه خلاف فذهب من قال لا يشترط وقيل بلى ويكفي شاهدان وقال الجبائي يجب أربعة وعاقدة
ومعقوده كما ترك عمر رضي الله عنه الامر شورى بين ستة فوقع الامر على عاقده وهو عبد الرحمن بن عوف ومعقوده وهو عثمان
واستنبط وجوب الاربعة الشهود من الاربعة الباقي وفي هذا نظر والله أعلم ويجب أن يكون ذكرا حرا بالغاعاقلا مسلما عدلا
مجتهدا بصيرا سليما الأعضاء خيرا بالحروب والآراء فرشي على الصحيح ولا يشترط الهاشمي ولا المعصوم من الخطا خلافا للغة
الروافض ولو فسق الامام هل ينزل أم لا فيه خلاف والصحيح انه لا ينزل لقوله عليه الصلاة والسلام الا ان تروا كفرا بواحا

عندكم من الله فيه برهان وهل له أن يعزل نفسه فيه خلاف وقد عزّل الحسن بن علي رضي الله عنه نفسه وسلم الأمر إلى معاوية
 لكن هذا العذر وقد مدح على ذلك فأما نصب أمامين في الأرض أو أكثر فلا يجوز لقوله عليه الصلاة والسلام من جاءكم وأمركم
 بجميع يريد أن يفرق بينكم فاقبلوه كأنتما من كان وهذا قول الجمهور وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد منهم إمام الحرمين
 وقالت الكرامسة يجوز اثنين فأكثر كما كان على ومعاوية أمامين واجبي الطاعة قالوا إذا جاز بعث نبين في وقت واحد وأكثر
 جاز ذلك في الإمامة لأن النبوة أعلى رتبة بلا خلاف وحكى إمام الحرمين عن الأستاذ أبي إسحق أنه يجوز نصب أمامين فأكثر
 إذا تابعت الاقطار واتسعت الاقاليم (١٢٤) بينهما وتردد إمام الحرمين في ذلك قلت وهذا يشبه حال الخلفاء في

العباس بالعراق والفاطميين بمصر
 والأمويين بالمغرب ولنقرر هذا
 كله في موضع آخر من كتاب
 الأحكام إن شاء الله تعالى (وعلم
 آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على
 الملائكة فقال أنبئوني بأسماء
 هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا
 سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك
 أنتم العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم
 بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم
 قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب
 السموات والأرض وأعلم ما تبدون
 وما كنتم تكتمون) هذا مقام ذكر
 الله تعالى فيه شرف آدم على
 الملائكة بما اختصه من علم الأسماء
 كل شيء دونهم وهذا كان بعد
 سجودهم له وإنما قدم هذا الفصل
 على ذلك المناسبة ما بين هذا المقام
 وعدم علمهم بحكمة خلق الخليقة
 حين سألوا عن ذلك فأخبرهم تعالى
 بأنه يعلم ما لا يعلمون ولهذا ذكر الله
 هذا المقام عقب هذا السبب لهم
 شرف آدم بما فضل به عليهم في
 العلم فقال تعالى وعلم آدم الأسماء
 كلها قال السدي عن حديثه عن
 ابن عباس وعلم آدم الأسماء كلها

أي المشاق أو رفع الطور أو آية التوراة والمراد هنا عراضهم عن المشاق المأخوذ عليهم
 من بعد البرهان لهم والترهيب بأشدهما يكون وأعظم ما تجوز العقل وتقدره الأفهام
 وهو رفع الجبل فوق رؤسهم كأنه ظلة عليهم (قلولا) حرف امتناع لوجود تختص بالجبل
 الاسمية (فضل الله عليكم) بأن تدارككم بلطفه والفضل الزيادة والخير والافضل
 والاحسان قاله ابن فارس في المجمل (ورحمته) حتى أظهر والتوبة (أسكنتم من الخاسرين)
 أي المغبونين بذهاب الدنيا والهالكين بالعذاب في العقبي والخسران النقصان (ولقد
 علمتم) أي عرفتم فتعدى لواحد فقط والفرق بينهما أن العلم يستدعي معرفة الذات وما هي
 عليه من الاحوال والمعرفة تستدعي معرفة الذات أو الفرق أن المعرفة يسبقها جهل
 بخلاف العلم ولذلك لا يجوز إطلاقها عليه سبحانه (الذين اعتدوا منكم) أي جاوزوا الحد
 (في السبت) يقال سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه أعمالهم وأصل السبت
 في اللغة القطع لان الأشياء تمت فيه وانقطع العمل وقيل هو مأخوذ من السبوت وهو
 الراحة والدعة وقال في الكشف السبت مصدر سببت اليهود اذا عظمت يوم السبت
 انتهى وفيه نظر فان هذا اللفظ موجود واشقاقه مذكور في لسان العرب قبل فعل اليهود
 ذلك وقد ذكر جماعة من المفسرين أن اليهود افرقت فرقتين ففرقة اعتدت في السبت
 أي جاوزت ما أمر الله به من العمل فيه فصادوا السمك الذي نهاهم الله عن صيده فيه
 والفرقة الاخرى انقسمت الى فرقتين ففرقة جاهرت بالنهي واعتزلت وفرقة لم توافق
 المعتدين ولا صادوا معهم لكنهم جالسوهم ولم يجاهروهم بالنهي ولا اعتزلوا عنهم فحجهم
 الله جميعا ولم ينح الا الفرقة الاولى فقط وهذه من جملة المحن التي امتحن الله بها هؤلاء الذين
 بالغوا في المعرفة وعاندوا أنبياءهم وماز الوافي كل موطن يظهر ون من جناتهم وسحق
 عقولهم وتغنم نوعان أنواع التعسف وشعبة من شعب التكلف فان الخيانت كانت في
 يوم السبت كما وصف الله سبحانه بقوله اذا تأتيتهم حياتهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبون
 لا تأتيتهم كذلك بلوهم فاحتالوا لصيدها وحفروا الخفائر وشقوا الجداول فكانت
 الخيانت تدخلها يوم السبت فيصيدونها يوم الاحد فلم ينتفعوا بهذه الخيالة الباطلة
 وكانت هذه القصة في زمن داود بقريه بأرض أيلة (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أمر
 بحويل وتسخير وتكوين وهو عبارة عن تعالى القدرة بنقلهم عن الحقيقة البشرية إلى

قال عليه أسماء ولده انسانا انسانا والدواب فقبل هذا الجار هذا الجمل هذا القرس وقال الضحاك عن
 ابن عباس وعلم آدم الأسماء كلها قال هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس انسان ودواب وسما وأرض وسهل وبحر وجبل
 وجمار وأشياء ذلك من الامم وغيرها وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عاصم بن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن
 عباس وعلم آدم الأسماء كلها قال علمه اسم الحففة والقدر قال نعم حتى القسوة والفسسة وقال مجاهد وعلم آدم الأسماء كلها قال
 علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء وكذلك روى عن سعيد بن جبيرة وقمادة وغيرهم من السلف انه علمه أسماء كل شيء وقال الربيع
 في رواية عنه أسماء الملائكة وقال جند الشاى أسماء النجوم وقال عبد الرحمن بن زيد علمه أسماء ذريته كلها واختار ابن

بحر يرأه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية لانه قال ثم عرضهم وهذا عبارة عما يعقل وهذا الذي رجع به ليس بلازم فانه لا ينبغي ان يدخل معهم غيرهم ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب كما قال تعالى والله خلق كل دابة من ما فهمم من عشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير وقد قرأ عبد الله بن مسعود ثم عرضهن وقرأ أبي بن كعب ثم عرضها أي المسميات والتصحیح انه علم أسماء الاشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفسية يعني أسماء الذوات والافعال الكبير والمصغر ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية في كتاب التفسير من صحيحه حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام عن قتادة عن (١٢٥) أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال وقال لي خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأمسكك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاستفّع لنا الى ربك فيريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويزكر ذنبه فيستحي أن يتوا نوحا فانه أول رسول بعثه الله الى أهل الارض فيأتونه فيقول لست هناكم ويزكر سؤاله رب ما ليس له به علم فيستحي فيقول اتوا خليل الرحمن فيأتونه فيقول لست هناكم فيقول اتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتونه فيقول لست هناكم ويزكر قتل النفس بغير نفس فيستحي من ربه فيقول اتوا عيسى عبدا الله ورسوله وكلمة الله وروحه فيأتونه فيقول لست هناكم اتوا محمدا عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فانطلق حتى استأذن علي بن أبي قحافة فاذارأت ربي وقعت ساجدا فمد عني ما شاء الله

حقيقة القرردة أي كونوا معددين عن الرحمة مطرودين عن الشرف وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات والخاسي المبعد ومنه قوله تعالى يقلب النك المصخر خاسئا أي مبعدا وقوله اخسئوا فيها أي تساعدوا وتساعدوا ويكنون الخاسي بمعنى الصاغر والمراد هنا كونوا بين المصير الى أشكال القردة مع كونهم مطرودين صاغر ين فقردة خبر الكون وخاسئين خبر آخر وقيل انه صفة لقردة والاول أظهر وعن ابن عباس قال مسحهم الله فقردة بمعصيتهم ولم يعيش مسيح قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل قال الحسن انقطع ذلك النسل وقال مجاهد مسخت قلوبهم ولم يسخروا قردة وانما هو مثل ضربه الله لهم كقوله مثل الجار يحمل أسفارا وقال ابن عباس صار شباب القوم فقردة والمشيخة صاروا خنازير واختلف في مرجع الضمير في قوله (فجعلناها) فقيل المسخرة والعقوبة وقيل الامنة وقيل القرية وقيل القردة وقيل الخستان والاول أظهر (نكالا) أي عقوبة وعبرة والنكال الزجر والعقاب والنكل القيد لانه يمنع صاحبه (لما بين يديها وما خلفها) أي عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لما بعدهم الى يوم القيامة وقيل من الذنوب التي عملوا قبل وبعد قاله ابن عباس (وموعظة للمتقين) من قومهم أو لكل متى سمعها الموعظة مأخوذة من الاتعاظ والأزجار والوعظ التخويف وقال الخليل الوعظ التذكير بالخير (واذ قال موسى لقومه) تو بئح آخر لا خلاف بنى اسرائيل تذكير بعض جنبايات صدرت من أسلافهم أي اذكروا وقت قول موسى لا صولاكم وقد قتل لهم قتيلا لا يدري قاتله وسأله أن يدعوا الله أن يبينه لهم فذاعه والقتيل اسمه عاميل (ان الله يأمركم أن تذبجوا بقرة) قيل ان قصة ذبح البقرة المذكورة هنا مقدم في التلاوة ومؤخر في المعنى على قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها ويجوز أن يكون قوله اذ قتلتم مقديا في التزول ويكون الامر بالذبح مؤخرا قال السرخي وانما أخر أول القصة تقديمالذبح مساوهم وتعدد الهالكين أبلغ في توجيههم على القتل ويجوز أن يكون ترتيب نزولها على حسب تلاوتها فكان الله أمرهم بذبح البقرة حتى ذبحوها ثم وقع ما وقع من أمر القتل فأمر وان يضربوا ببعضها هذا على فرض أن الواو تقتضي الترتيب وقد تقرر في علم العربية أنها مجرد الجمع من دون ترتيب ولا معية والبقرة اسم لا تثنى ويقال للذكر ثور وقيل انه أطلق عليه ما وأصله من البقر وهو الشق

ثم يقال ارفع رأسك وسل تعطه وقل بسمع واشفع تشفع فأرفع رأسي فأجده بتمجيد يعلمني ثم أشفع فيحذلي حذافأدخلهم الجنة ثم أعود اليه فاذا رأيت ربي مثله ثم أشفع فيحذلي حذافأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة ثم أعود الرابعة قول ما بقي في النار الامن حسنه القرآن ووجب عليه الخلود هكذا ساق البخاري هذا الحديث ههنا وقد رواه مسلم والنسائي من حديث هشام وهو ابن أبي عبد الله الدستوائي عن قتادة به وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث سعيد وهو ابن أبي عروبة عن قتادة ووجه ابراهه ههنا والمقصود منه قوله عليه الصلاة والسلام فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأمسكك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فذل هذا على أنه علمه أسماء جميع المخلوقات ولهذا قال ثم عرضهم على الملائكة يعني المسميات كما قال عبد الرزاق عن

دعمر عن قتادة قال ثم عرض تلك الاسماء على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرض الملائكة على وقال ابن جرير عن مجاهد ثم عرض أصحاب الاسماء على الملائكة وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني الخياط عن جرير بن حازم ومبارك بن فضالة عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقتادة قال علم اسم كل شيء وجعل يسمى كل شيء باسمه وعرضت عليه أمة وهذا الاسناد عن الحسن وقتادة في قوله تعالى ان كنتم صادقين اني لم أخلق خلقا الا كنتم أعلم منه فأخبروني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين (١٢٦) وقال الضحاك عن ابن عباس ان كنتم صادقين ان كنتم تعلمون اني لم

أجعل في الارض خليفة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ان كنتم صادقين ان بني آدم يفسدون في الارض ويسفكون الدماء وقال ابن جرير وأولى الاقوال في ذلك تأويل ابن عباس ومن قال بقوله ومعنى ذلك فقال أنبئوني بأسماء من عرضته عليكم أيها الملائكة القائلون أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء من غيرنا أم منا فمن نسمي بسمه ملك ونقدس لك ان كنتم صادقين في قلوبكم اني ان جعلت خليفة في الارض من غيركم عصاني وذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء وان جعلتم فيها أطمعوني واتبعتهم أمري بالتعظيم لي والتقديس فاذا كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضت عليكم وأنتم تشاء عدوهم فأنتم عما هو غير موجود من الامور الكائنة التي لم توجد أخرى ان تكونوا غير عالمين قالوا سبحانه لا علم لنا الا ما علمنا انك أنت العليم الحكيم هذا تقدس وتنزيه من الملائكة

لانها تنشق الارض بالحرث قال الازهرى القراسم جنس وجعه بائر (قالوا آتخذنا هزوا) أي نحن نسألك أمر القتل وأنت تأمرنا بدم بقره وانما قالوا ذلك ليعلم ما بين الامرين في الظاهر ولم يعلموا موجه الحكمة فيه والهزوهنا اللعب والسخرية وانما يفعل ذلك أهل الجهل لانه نوع من العبث الذي لا يفعله العقلاء ولهذا أجابهم موسى بالاستعاذة بالله سبحانه من الجهل (قال) يعني موسى (أعوذ بالله) أي أستعنه (أن أكون من الجاهلين) أي بالجواب لاعلى وفق السؤال أو من المستهزئين بالمؤمنين وهذا أبلغ من قولك أن أكون جاهلا (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أي ما سنها وهذا السؤال عن صفة البقرة لانه حقيقة فأنها معروفة وهذا نوع من أنواع تعنتهم المألوفة فقد كانوا يسلكون هذه المسالك في غالب ما أمرهم الله به ولو تركوا التعنت والاستئثار المتكلفة لاجراهم ذبح بقرة من عرض البقر ولكنهم شددوا فشد الله عليهم (قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر) أي لاهي كبيرة ولا صغيرة والنارض المسنة التي لم تلد ومعناها في اللغة الواسع قال في الكشف وكأنها سميت فارض لانها فرضت سننها أي قطعتها وبلغت آخرها انتهى ويقال للشيء القديم فارض والبكر الصغيرة الفتية التي لم تحمل ولم تلد ويطلق في انثالبها ثم وبني آدم على ما لم يقتضه الفعل ويطلق أيضا على الاول من الاولاد (عوان بين ذلك) أي نصف بين سنين والعوان المتوسطة بين سنين الفارض والبكر وهي التي قد ولدت بطناً وبطنين ويقال هي التي قد ولدت مرة بعد مرة والجمع عون بالضم والاشارة الى الفارض والبكر وهم ما وان كاسامؤنين فقد أشير اليهم بما عاينوا للمذ كرك على تأويل المذ كور كانه قال ذلك المذ كور وجاز دخول بين المقضية لشيئين لان المذ كور متعدد (فافعلوا ما تؤمرون) به أي من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال وهذا تجديد للامرو تأكيده وزجر لهم عن التعنت فلم ينفعهم ذلك ولا ينجع فيهم بل رجعوا الى طبيعتهم وعادوا الى عكرهم واستقروا على عادتهم المألوفة (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها (اللون واحد الالوان وجهه والمفسرين على أنها كانت جميعها صفراء قال بعضهم حتى قرنها وظلفها وقال الحسن وسعيد بن جبيرانها كانت صفراء القرن والظلف فقط وهو خلاف الظاهر والمراد بالصفرة هنا الصفرة المعروفة وروى عن الحسن أن صفراء معناه سوداء وهذا

لله تعالى أن يحيط أحد بشيء من علمه الا بما شاء وأن يعلموا شيئا الا ما علمهم الله تعالى ولهذا قالوا سبحانه لا علم لنا الا ما علمنا انك أنت العليم الحكيم أي الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعلمك من تشاء ومنعك من تشاء لك الحكمة في ذلك والعدل التام قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن مجاهد عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس سبحانه الله قال تنزيه الله نفسه عن السوء قال ثم قال عز لعل وأصحابه عنده لا اله الا الله قد عرفنا خافا سبحانه الله فقال له على كلمة أحبها الله لنفسه ورضيها وأحب أن يقال قال وحدثنا أبي حدثنا ابن فضيل بن النضر بن عدى قال سألت رجل من بني مهران عن سبحانه الله قال اسم يعظم الله به ويحاشاه من السوء وقوله تعالى قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم

قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال زيد بن أسلم قال أنت جبرائيل أنت ميكائيل أنت اسرافيل حتى عدد الاسماء كلها حتى بلغ الغراب وقال مجاهد في قول الله قال يا آدم أنتهم باسمائهم قال اسم الحامة والغراب واسم كل شيء وروى عن سعيد بن جبيرة والحسن وقادة نحو ذلك فلما ظهر فضل آدم عليه السلام على الملائكة عليهم السلام في سرده ما علمه الله تعالى من أسماء الاشياء قال الله تعالى للملائكة ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون أي ألم أقدم اليكم اني أعلم الغيب الطاهر والخفي كما قال تعالى وان تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى وكما قال اخبارا عن الهددانه قال سليمان ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء (١٢٧) في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما

تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وقيل في قوله تعالى وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون غير ما ذكرناه فروى الضحاك عن ابن عباس وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال أعلم السر كما أعلم العلانية يعني ما كنتم ابليس في نفسه من الكبر والاعتزاز وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قال قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الآية فهذا الذي أبدوا وما كنتم تكتمون يعني ما أسر ابليس في نفسه من الكبر وكذلك قال سعيد بن جبيرة ومجاهد والسدي والضحاك والثوري واختار ذلك ابن جرير وقال أبو العالية والربيع ابن أنس والحسن وقادة هو قولهم لم يخلق ربنا خلقا الا كما أعلم منه وأكرم عليه منه وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فكان الذي أبدوا هو قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وكان الذي كتموا بينهم قولهم لن يخلق

وهذا من بدع التفاسير ومن ذكراتها وليت شعري كيف يصدق على اللون الاسود الذي هو أفتح الألوان انه يسر الناظرين وكيف يصح وصفه بالفقوع الذي يعرف كل من يعرف لغة العرب أنه لا يجري على الاسود بوجه من الوجوه فانهم يقولون في وصف الاسود حاله وحلكه ودجوجي وغريب قال الكسائي يقال فققع لونها اذا خلصت صفرة وقال في الكشف الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه ومعنى (تسر الناظرين) تدخل عليهم السرور اذا نظر واليهما العجايب واستحسننا اللونها قال وهب كانت كأن شعاع الشمس يخرج من جلدها يعجبهم حسنها وصفاء لونها (قالوا ادع لنا ربك بيننا وما هي) أي سائمة وعاملة وعلى هذا فليس هذا السؤال تكريرا للسؤال الاول كما ادعاه بعضهم قاله الخطيب (ان البقر تشابه عليا) أي التيس واشتبه أمرها علينا أي ان جنس البقر متشابه عليهم لكثرة ما يتصف منها بالعوان الصفراء الفاقعة (وانا ان شاء الله لمهتدون) وعدوا من أنفسهم بالاهتداء الى ما دلهم عليه والامتنال لما أمر به قيل لولم يستثنوا لما بينت لهم اخر الدهر (قال انه يقول انها بقرة لادلول) أي ليست مذلة والدلول التي يذل لها العمل (سيرا لارض) أي تقابها للزراعة (ولانسق الحرت) أي ليست بسانية يعني من النواضع التي يسقى عليها ويسقى الزرع وحرف النقي الآخر توكيد لا قول أي هذه بقرة غير مذلة بالحرت ولا بالنضج ولهذا قال الحسن كانت البقرة وحشية وقال قوم ان قوله تثير فعل مستأنف والمعنى ايجاب الحرت لها والنضج بها والاول ارجح لانها لو كانت مثيرة ساقية لكانت مذلة لبريضة وقد نفي الله ذلك عنها (مسلمة) أي بريئة من العيوب والمسئلة هي التي لا عيب فيها وقيل مسئلة من العمل وهو ضعيف لان الله سبحانه قد نفي ذلك عنها والتأسيس خبر من التأكيد والافادة أولى من الاعادة (لاشية فيها) أي لالون فيها غير لونها والشية مأخوذة من وشى الثوب اذا نسج على لونين مختلفين وثور موسى في وجهه وقوائمه سواد ويقال ثورا شيه وفرس أبلق وكبش أخرج وتيس أبرق وغراب أبقع كل ذلك بمعنى أبلق والمراد ان هذه البقرة خالصة الصفرة ليس في جسمها لمعة من لون آخر فلما سمعوا هذه الاوصاف التي لا تبقى بعد هاريب ولا يخالج سامعها شك ولا تتحمل الشركة بوجهه من الوجوه أقصروا من غوايتهم واتبهوا من رقتهم وعرفوا بمقدار ما وقعهم فيه تعنتهم من التصديق عليهم (قالوا الا نجت بالحق)

ربنا خلقنا الا كما أعلم منه وأكرم ففروا ان الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قصة الملائكة وآدم فقال الله للملائكة كالم تعلموا هذه الاسماء فليس لكم علم انما أردت أن أجعلهم لفسد وافيها هذا عندى قد علمته فكذلك أخفت عنكم أي أجعل فيها من يعصيني ومن بطعني قال وقد سبق من الله لآمل أن جهنم من الجنة والناس أجعين قال ولم تعلم الملائكة ذلك ولم يدروه قال فلما رأوا ما أعطى الله آدم من العلم أقروا بالفضل وقال ابن جرير وأولى الاقوال في ذلك قول ابن عباس وهو أن معنى قوله تعالى وأعلم ما تبدون وأعلم مع علمي غيب السموات والارض ما تظهرونه بأسمائهم وما كنتم تخفون في أنفسكم فلا يخفى على شيء سوء عندى سرائرهم وعلايتكم والذي أظهره

بالسنتهم قولهم أتعجل فيها من يفسد فيها والذي كانوا يكتمون ما كان عليه منطوي بابليس من الخلاف على الله في أمره والتكبر عن طاعته قال وصح ذلك كما تقول العرب قتل الجيش وهزموا وانما قتل الواحد أو البعض وهزم الواحد أو البعض فيخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول يخرج الخبر عن جميعهم كما قال تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات ذكرا أن الذي نادى انما كان واحدا من بني تميم قال وكذلك قوله وأعلم ما تدون وما كنتم تكتمون (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابي واستكبر وكان من الكافرين) وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لا دم امتين بها على ذريته حيث أخبرانه تعالى أمر الملائكة بالسجود لا دم وقد دل على ذلك أحاديث أيضا (١٢٨) كثيرة منها حديث الشناعة المتقدم وحديث موسى عليه السلام

أى أو ضحت لنا الوصف وبيئت لنا الحقيقة التي يجب الوقوف عندها فحصلوا لك البقرة الموصوفة بتلك الصفات قيل آل في الآن للتعريف الحضورى وقيل زائدة لازمة (فدبحوها) وامتلأوا الأمر الذي كان يسير افسس وهو كان واسعا فضيقوه (وما كادوا يفعلون) ما أمر وابه لما وقع منهم من التبط والتعنّت وعدم المبادرة فكان ذلك مظنة للاستبعاد محلا للمجبي بعبارة مشعرة بالتبط والتعنّت الكائن منهم وقيل انهم ما كادوا يفعلون لعدم وجدان البقرة المتصفة بهذه الاوصاف وقيل لارتعاضها وقيل لخوف انكشاف أمر المقتول والاول أرجح وقد استدل جماعة من المنسرين والاصوليين بهذه الآية على جواز النسخ قبل امكان النعل وليس ذلك عندي بصحيح لوجهين الاول ان هذه الاوصاف الزائدة بسبب تكرار السؤال حتى من باب التقييد لله أمور به لا من باب النسخ لان باب التقييد لم يكن فيه دليل على ما قالوه فانه قد كان يتكتم بعد الأمر الاول ان يعدوا الى بقره من عرض البقر فيذبحوها ثم كذلك بعد الوصف بكونها جامعة بين الوصف بالعوان والصفرة ولا دليل يدل على أن هذه المحاورية بينهم وبين موسى عليه السلام واقعة في لحظة واحدة بل الظاهر أن هذه الاسئلة المتعنتة كانوا يتواطون عليها ويدبرون الرأي بينهم في أمرها ثم يردونها وأقل الاحوال الاحتمال القاصح في الاستدلال وعن عبيدة السلماني قال كان رجل من بني اسرائيل عقيما لا يولد له وكان له مال كثير وكان ابن أخيه وارثه فقته له ثم احب له ليل افوضه على باب رجل منهم ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسخروا وركب بعضهم الى بعض فقال ذوال رأي منهم علام يقتل بعضهم بعضا وهذا رسول الله فيكم فأمر موسى فذكر وأذلك له فقال ان الله يامركم أن تذبحوا بقره الآية قال فلو لم يعترضوا لاجترأت عنهم أدنى بقرة ولكنهم شددوا فشدد عليهم حتى انتهوا الى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقره غيرها فقال والله لا أنقصها من مل جلدها ذهابا فأخذوها وبال جلدها ذهابا فذبحوها فاضربوه ببعضها فقام فقالوا من قتلك فقال هذا ابن أخيه ثم مال ميتا فلم يعط من ماله شيئا ولم يورث قاتل بعده وعن ابن عباس ان القليل وجد بين قريتين وان البقرة كانت لرجل كان يبرأ أباه فاشترىوها بوزنهم اذها وقد روى في هذا قصص مختلفة لا يتعلق بها كثير فائدة وفي

رب أرفى آدم الذي أخرجنا وفسده من الجنة فلما اجتمع به قال أنت آدم الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته قال وذكر الحديث كما سيأتي ان شاء الله وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حي من احياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحرث وكان خازنا من خزان الجنة قال وخلق الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي قال وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهولسان النار الذي يكون في طرفها اذا ألهت قال وخلق الانسان من طين فأول من سكن الارض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا قال فبعث الله اليهم ابليس في جند من الملائكة وهم هذا الحي الذين يقال لهم الجن فقتلهم ابليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال فلما فعل ابليس

ذلك اغتر في نفسه فقال قد صنعت شيئا لم يصنع أحد قال فاطلع الله على ذلك من قلبه ولم تطلع عليه الملائكة

الذين كانوا معه فقال الله تعالى للملائكة الذين كانوا معه اني جاعل في الارض خليفة فقالت الملائكة جميعا لا اتعجل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما أفسدت الجن وسفكك الدماء وانما بعثنا عليهم لذلك فقال الله تعالى اني أعلم ما لا تعلمون يقول اني قد اطلعت على قلب ابليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واعتزاده قال ثم أمر بتر به آدم فرزعت خلق الله آدم من طين لازب واللازب اللزج الطيب من حمامة سنون منن وانما كان جأ مسخونا بعد التراب خلق منه آدم بيده قال فكشك أربعين ليلة جسدا ملقا وكان ابليس يأتيه فيضرب به برجله فيصل فيصوت فهو قول الله تعالى من صلصال كالفخار يقول كاشي المنفرج

الذي ليس بعصمت قال ثم يدخل في فيه ويخرج من دبره ويدخل من دبره ويخرج من فيه ثم يقول لست شيا لصالفة ولا شيء
 ما خلقت واتن سلطت عليك لا هلكتك ولتن سلطت على لاعصيتك قال فلما نفخ الله فيه من روحه أتت النفخة من قبل رأسه
 فجعل لايجري شيء منها في جسده الا صار له ما ودما فلما انتهت النفخة الى سرته نظر الى جسده فأعجبه ما رأى من جسده فذهب
 لينفض فلم يتدرفه و قول الله تعالى وخلق الانسان عجولا قال فخر لا صبر له على سراع ولا ضراء قال فلما تمت النفخة في جسده عطس
 فقال الحمد لله رب العالمين بالهام الله فقال الله لا يرجعك الله يا آدم قال ثم قال تعالى للملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون
 الملائكة الذين في السموات اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم فجمعون الا ابليس (١٢٩) أي واستكبر لما كان حدث نفسه

من الكبر والاعتزاز فقال لا أسجد له
 وأنا خير منه وأكبر سنا وأقوى
 خلقتا خلقتني من نار وخلقته من
 طين يقول ان النار أقوى من
 الطين قال فلما رأى ابليس أن يسجد
 أبلسه الله أي آيسه من الخير كله
 وجعله شيطانا رجيا عقوبة
 لمعصيته ثم علم آدم الاسماء كلها
 وهي هذه الاسماء التي يتعارف بها
 الناس انسان ودابة وأرض وسهل
 وبحر وجبل وحمار وأشباه ذلك من
 الأسماء وغيرها ثم عرض هذه الاسماء
 على أولئك الملائكة يعني الملائكة
 الذين كانوا مع ابليس الذين خلقوا
 من نار السموم وقال لهم أبشروني
 بأسماء هؤلاء أي يقول أخبروني
 بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ان
 كنتم تعلمون لم أجعل في الأرض
 خليفة قال فلما علمت الملائكة
 موجودة الله عليهم فيما تكلموا به
 من علم الغيب الذي لا يعلمه غيره الذي
 ليس لهم به علم قالوا سبحانه تنزيها
 لله من أن يكون أحد يعلم الغيب
 غيره تبنا اليك لاعلم لنا الا ما علمنا
 تبريأ منهم من علم الغيب الا ما علمنا
 كما علمت آدم فقال يا آدم أبشروني

الانصاة أحكام منها الاستدلال بقوله ان الله يأمركم على أن الأمر لا يدخل في عموم
 الأمر فان موسى لم يدخل في الأمر بدليل قوله فذبحوها ومنها الاستدلال على أن السنة
 في البقرة الذبح ومنها الاستدلال على جواز ورود الأمر بمجلا وتأخير بيانه ومنها دلالة
 قوله لا فارض ولا بكر وقوله مسلمة على جواز الاجتهاد واستعمال غائب الظن في الأحكام
 لان ذلك لا يعلم الا بالاجتهاد ومنها ان المستتر في يستحق سعة الجهل ومنها دلالة قوله ان
 شاء الله على الاستثناء في الأمور ومنها دليل أهل السنة في أن الأمر لا يستلزم المشيئة
 ومنها الدلالة على حصر الحيوان بالوصف وجواز السلم فيه ومنها دلالة قوله فافعلوا
 ما تؤمرون على أن الأمر على الفور ويدل على ذلك انه استقصى هم حين لم يبادروا الى فعل
 ما أمرهم به وقال فذبحوها وما كادوا يفعلون (واذ قلتم نفسا) أي واذكروا يا بني
 اسرائيل وقت قتل هذه النفس وما وقع فيه من القصة والخطاب لليهود المعاصرين للنبي
 صلى الله عليه وآله وسلم واسناد القتل والتدريء اليهم لان ما يصدرون الاسلاف ينسب
 للاخلاف توخيها وتقريعا قال الرازي في تفسيره اعلم أن وقوع القتل لا بد أن يكون
 متقدما لمره تعالى بالذبح فأما الاخبار عن وقوع القتل وعن أنه لا بد أن يضرب القتل
 ببعض تلك البقرة فلا يجب أن يكون متقدما على الاخبار عن قصة البقرة فقول من يقول
 هذه القصة يجب أن تكون متقدمة في التلاوة وعلى الأولى خطأ لان هذه القصة في نفسها
 يجب أن تكون متقدمة على الأولى في الوجود فأما التقدم في الذكرفغير واجب لانه تارة
 يقدم ذكر السبب على الحكم وأخرى على العكس من ذلك فكأنهم لما وقعت لهم تلك
 الواقعة أمرهم الله بذبج البقرة فلما ذبحوها قال واذ قلتم نفسا من قبل ونسب القتل
 اليهم ليكون القاتل منهم انتهى والقتل اسمه عاميل ذكره الكرماني وقيل نكار حكاية
 الماوردي وقائله ان أخيه وقيل أخوه (فأذا رآتم فيها) اختلفتم وتنازعتم لان المتنازعين
 يدرب بعضهم بعضا أي يدفعه (والله يخرج ما كنتم تكتمون) أي ما كنتم ينسبكم من أمر
 القتل فالله مظهر لمعباده ومبين لهم وعن المسيب بن رافع قال ما عمل رجل حسنة في
 سبعة أسيات الا أظهرها الله وما عمل رجل سيئة في سبعة أسيات الا أظهرها الله وتصدق
 ذلك في كتاب الله والله يخرج ما كنتم تكتمون وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن ابن
 عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو أن رجلا عمل عملا في خفرة صماء

(١٧ ل - فتح البیان) باسم اسم يقول أخبرهم بأسمائهم فلما أبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم أيتها الملائكة خاصة اني أعلم غيب
 السموات والأرض ولا يعلم غيري وأعلم ما تبدون وتول ما تظهرون وما كنتم تكتمون يقول أعلم السركا أعلم العلانية يعني ما كنتم
 ابليس في نفسه من الكبر والاعتزاز هذا ساق غريب وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها وهذا الاسناد الى ابن عباس يروي به تفسير
 مشهور وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى
 الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل ابليس على مناب السماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة
 يقال لهم الجن واناسهم الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره وقال ما أعطاني الله هذا الا لمزية لي

على الملائكة فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطعم الله على ذلك منه فقال الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فقالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتعبدون ويمتثل بعضهم بعضا قالوا ربنا أجبعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ويشتت نسجهم بذلك وتقدس الله قال اني أعلم ما لا تعلمون يعني من شأن ابليس فبعث الله جبريل الى الارض ليأتمه بدين منها فقال الرب اني أعوذ بالله من ان تنقص مني أو تشينني فرجع ولم يأخذ وقال الرب انها عادت بك فأعذتها فبعث ميكائيل فعادت منه فعادها فرجع فقال كما قال جبريل فبعث ملك الموت فعادت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره فأخذ من وجه الارض وخط ولم يأخذ (١٣٠) من مكان واحد وأخذ من تربة جحر اعرى يساعى سرداء ذلك خرج سوا

آدم مختلفين فصعد به فبسل التراب حتى عاد طينا لازبا واللازب هو الذي يلتصق ببعضه بعض ثم قال للملائكة اني خالق بشر من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين خلقه الله بيده لئلا يتكبر ابليس عنه ليقول له تتكبر عما علمت يسدي ولم أتكبر أنا عنه بخلقه بشر افكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ففرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه فكان أشدهم فرعاه منه ابليس فكان يمر به فيضرب به فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول من صلصال كالفخار ويقول لاهر ما خلقت ودخل من فيه فخرج من دبره وقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فان ربكم صمد وهذا أجوف اثنين سلطت عليه لاهلكه فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله الجدة فقال الحمد لله

لا باب لها ولا كوة خرج عمله الى الناس كما تنما كان وأخرج البيهقي من حديث عثمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كانت له سريرة صالحة أو سبب أظهر الله عليه من هارء يعرف به الموقر فاصح ولجاعة من العجاجة والتابعين كلمات تفيد هذا المعنى (فقلما اضربوه ببعضها) يعني القتل واختلف في تعيين البعض الذي أمر وaban يضربوا به القتل فقل بل ساءها وقيل بحجب الذنب وقيل بفخذها اليين وقال ابن عباس بالعظم الذي يلي الغضروف وهو أصل الأذن ولا حاجة الى ذلك مع ما فيه من القول بغير علم ويكفي أن نقول أمرهم الله بأن يضربوه ببعضها فأى بعض ضربوا به فقد فعلوا ما أمر وابه وما زاد على هذا فافهم من فضول العلم اذا لم يرد به رها ونليس في الكتاب العزيز والسنة المطهرة ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضى التخيير (كذلك يحيى الله الموتى) أى كمثل هذا الاحياء يوم القيامة فلا فرق بينهم فى الجواز والامكان والغرض من هذا الرد عليهم فى انكار البعث وهذا يقتضى أن يكون الخطاب مع العرب لأمع اليهود لانهم يقررون بالبعث والحزاء وعلى هذا الجملة اعترض فى خلال الكلام المسوق فى شأن اليهود (ويريكم آياته) أى علاماته ودلائله الدالة على كمال قدرته وهذا يحتمل أن يكون خطابا لمن حضر القصة ويحتمل أن يكون خطابا للموجودين عند نزول القرآن والرؤية هنا بصريّة (لعلكم تعقلون) أى تمنعون أنفسكم عن المعاصى وقد أخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ فى العظمة عن وهب بن منبه قصة طويلة فى ذكر البقرة وصاحبها لا حاجة الى التطويل بذلك رها وقد استوفىها السيوطى فى الدر المنثور (ثم) موضوعة للترخى فى الزمان ولا تراخى خنافهى محمولة على الاستبعاد مجازا (قست قلوبكم) أى يست وجفت وقيل غلظت واسودت وصلبت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه والقسوة الصلابة والبس وهى عبارة عن خلوهما من الانابة والاذعان لا يات الله مع وجود ما يقتضى خلاف هذه القسوة من احياء القليل وتكلمه وتعيينه لقائه وفيه استعارة تجميعية تشبيه الحلال القلوب فى عدم الاعتبار والاعتباط بالقسوة والاشارة بقوله (من بعد ذلك) الى ما تقدم من الايات الموجبة للين القلب ورقته التى جاء بها موسى أو احياء القليل بعد ضرب به بعض البقرة وهذا مؤكدا للاستبعاد المذكور أشد تأكيده (فهى) أى القلب فى الغلظة والشدة (كالجاراة) أى كالشيء الصلب الذى لا يتخلل فيه قيل أوفى قوله (أو أشد قسوة) بمعنى الواو

يرجك ربك فلما دخلت الروح فى عنقه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل الروح الى جوفه اشتبه الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه فجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول الله تعالى خلق الانسان من عجل فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا ابليس أى أن يكون مع الساجدين أى واستكبر وكان من الكافرين قال الله له ما منعك ان تسجد اذ أمرتك لما خلقت يسدي قال أنا خير منه لم أكن لاسجد لبشر خلقته من طين قال الله له اخرج منها فها يكون لك عني ما ينبغي لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين والصغار هو الذل قال وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرض الملائكة على الملائكة فقال أنبؤنى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أن بنى آدم يفسدون فى الارض ويسفكون الدماء فقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمنا انك أنت اعلم الحكيم قال الله يا آدم أنبئهم بأسمائهم

فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما يدور وما سمعتموه من قولهم يجعل فيهم امن يتسدف فيها فهذا الذي ابدوا واعلم ما كنتمون يعني ما أسرا بليس في نفسه من الكبر فهذا الاسناد الى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي ويوقع فيه اسراييليات كثيرة فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة أو انهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم والحاكم يروي في مستدركة بهذا الاسناد بعينه أشياء ويقول على شرط البخاري والغرض ان الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لا دم دخل ابلis في خطابهم لانه وان لم يكن من عنصرهم الا انه كان قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم فلهذا دخل في الخطاب لهم ودم في مخالفة الامر وسنسط المسئلة ان شاء الله تعالى عند (١٣١)

عن أمر ربه ولهذا قال محمد بن اسحق عن خلد بن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال كان ابلis قبل ان يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الارض وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً فلذلك دعاه الى الكبر وكان من حي يسمون جنا وفي رواية عن خلاد عن عطاء عن طاوس أو مجاهد عن ابن عباس أو غيره بنحو وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعني ابن العوام عن سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كان ابلis اسمه عزازيل وكان من أشرف الملائكة ثم أدوى من ذوى الاجنحة الاربعة ثم أبلs بعد وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس كان ابلis من أشرف الملائكة ثم كرمهم قبيلة وكان خازناً على الخنات وكان له سلطان سماء الدنيا وكان له سلطان الارض وهكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس سواء وقال صالح مولى التوامنة عن ابن عباس ان من الملائكة قبيلة

كفي قوله تعالى آثموا وكفورا وقيل هي بمعنى بل واختاره أبو حيان وعلى أن أو على اصلها أو بمعنى الواو فالعطف على قوله كالخجارة أي هذه القلوب هي كالخجارة أو هي أشد قسوة منها فاشبهوها بأي الامر من شتم فأنكم مصيبون في هذا التشبيه وقد أجاب الرازي في تفسيره عن وقوع أو ههنا مع كونها التريديد الذي لا يليق بعلم الغيوب بشانية أوجه (وان من الخجارة) قال في الكشف انه بيان لفصل قلوبهم على الخجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله أو أشد قسوة انتهى وفيه أن محجى البيان بالواو غير معروف ولا مألوف والاولى جعل ما بعد الواو تذيلاً أو حالاً (لما تفجر منه الانهار) قيل أراد به جميع الخجارة وقيل أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى ليلقي الاسباط والتفجر التفج بالسة والكثرة (وان منها لما يشفق فيخرج منه الماء) يعني العيون الصغار التي هي دون الانهار التفجر التفج والشق واحد الشقوق وهو يكون بالطول أو بالعرض بخلاف الانفجار فهو الانفتاح من موضع واحد مع اتساع الحرق والمراد أن الماء يخرج من الخجارة من مواضع الانفجار والانشقاق (وان منها لما يهبط من خشية الله) أي أن من الخجارة لما ينحط من المكان الذي هو فيه الى أسفل منه من الخشية التي تدخله وتحمل به وقيل ان الهبوط مجاز عن الخشوع منها والتواضع الكائن فيها لبقاء الله عز وجل فهو مثل قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله واختاره ابن عطية وقد حكى ابن جرير عن فرقة ان الخشية للخجارة مستعارة كما استعيرت الارادة للجدار وذكر الجاحظ ان الضمير في قوله وان منها راجع الى القلوب لا الى الخجارة وهو فاسد فان الغرض من سياق هذا الكلام هو التصريح بان قلوب هؤلاء بلغت في القسوة وفرط اليلis الموجهين لعدم قبول الحق والتأثر للمواعظ الى مكان لا تبلغ اليه الخجارة التي هي أشد الاجسام صلابة وأعظمها صلابة فانها ترجع الى نوع من الين وهو تفجرها بالماء وتشققها عنه وقبولها لما توجهه الخشية لله من الخشوع والانقياد بخلاف تلك القلوب وفي قوله (وما الله بغافل عما تعملون) من التهديد وتشديد الوعيد ما لا يخفى فان الله عز وجل اذا كان عالماً بما يعملونه مطلعاً عليه غير غافل عنه كان مجازاتهم بالمرصاد (أفقطمعون) الهمة للاستفهام وتدخل على ثلاثة من حروف العطف الفاء كما هنا والواو كقوله الاتي أولاً يعملون وشم كقوله آثم اذا ما وقع واختلف في مثل هذه التراكيب فذهب الجمهور

يقال لهم الجن وكان ابلis منهم وكان يسوس ما بين السماء والارض فعصى فسخه الله شيطاناً رجيماً واه ابن جرير وقال قتادة عن سعيد بن المسيب كان ابلis رئيس ملائكة سماء الدنيا وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا اعدى بن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال ما كان ابلis من الملائكة طرفه عين قط وانه لأصل الجن كما ان آدم أصل الانس وهذا السناد صحيح عن الحسن وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم سواء وقال شهر بن حوشب كان ابلis من الجن الذين طردتهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء واه ابن جرير وقال سنيد بن داود حدثنا هشيم ثبناً ناعداً عبد الرحمن بن يحيى عن موسى بن غير وعثمان بن سعيد ابن كمال عن سعد بن مسعود قال كانت الملائكة تقابل الجن ففسى ابلis وكان صغيراً فكان مع الملائكة تبعه بعد معها فلما أمروا

بالسجود لا آدم سجدوا فابى ابليس فلذلك قال تعالى الا ابليس كان من الجن وقال ابن جرير حدثنا محمد بن سنان البرازي حدثنا ابو عاصم عن شريك عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس قال ان الله خلق خلقا فقال اسجدوا الا آدم فقالوا لا ننعل فبعث الله عليهم نارا فاسرقتم ثم خلق خلقا آخر فقال اني خالق بشر امن طين اسجدوا الا آدم قال فابى فبعث الله عليهم نارا فاسرقتم ثم خلق خلقا آخر فقال اسجدوا الا آدم قالوا نعم وكان ابليس من اولئك الذين ابوا ان يسجدوا الا آدم وعذاب قريب ولا يكاد يصرح اسناده فان فيه رجلا منهم ما ومثله لا يصح به والله اعلم وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابو اسامة حدثنا صالح بن حيان حدثنا عبد الله بن بريدة قوله تعالى وكان من الكافرين من (١٣٢) الذين ابوا فاسرقتم النار وقال ابو جعفر رضى الله عنه عن الربيع عن ابي

العالية وكان من الكافرين يعنى من العصاة وقال السدي وكان من الكافرين الذين لم يتخلعهم الله يومئذ يكونون بعد وقال محمد بن كعب القرظي ابتداء الله خلق ابليس على الكفر والضلالة وعمل بعمل الملائكة فصبره الله الى ما أبدى عليه خلقه من الكفر قال الله تعالى وكان من الكافرين وول قتادة في قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا الا آدم فكانت الطاعة لله والسجدة لا آدم اكرم الله آدم ان اسجد له ملائكته وقال بعض الناس كان هذا سجود شجرة وسلام واكرام كما قال تعالى ورفع ابويه على العرش وخر واله سجدا وقال يا بئس هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها راي حقا وقد كان هذا مشروعا في الامم الماضية ولكنه نسخ في ملتنا قال معاذ قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لاساقفتهم وعلمائهم فانت يا رسول الله احق ان يسجد لك فقال لا لو كنت امر ابشر ان يسجد لبشر لا امرت المرأة ان تسجد لزوجهان عظم حقها عليها ورجحه

الى ان الهمزة مقدمة من تأخير لان اليها الصدر والتقدير فأتطمعون وألا يعلمون وثم اذا وذهب النخشي الى انها دخلت على محذوف دل عليه سياق الكلام والتقدير هنا أتسمعون أخبارهم وتعلمون أحوالهم فتطمعون (أن يؤمنوا الكفر) مع أنهم لم يؤمنوا بموسى هذا الاستفهام فيه معنى النكار كأنه أليس منهم من ايمان هذه الفرقة من اليهود والخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوله صلى الله عليه وآله وسلم والجمع للتعظيم (وقد كان فريق منهم) قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى عليه السلام يوم الميقات والفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه (يسمعون كلام الله) أى التوراة وقيل أنهم سمعوا خطاب الله لموسى عليه السلام حين كلمه وعلى هذا فيكون الفريق هم السبعون الذين اختارهم موسى (ثم يحرفونه) أى يغيرونه ويبدلونه والتحريف الامالة والتحويل وثم للتراخي ما في الزمان أو في الرتبة والمراد من التحريف أنهم عدوا الى ما سمعوه من التوراة فجعلوا حلاله حراما وفجروا ذلك بما فيه موافقة لاهوائهم كتحريفهم صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسقاط الحدود عن أشرفهم أو سنعوا كلام الله لموسى عليه السلام فزادوا فيه ونقصوا وهذا الخبر عن اصرارهم على الكفر وانكار على من طمع في ايمانهم وحالهم هذه الحال أى ولهم سلف حرفوا كلام الله وغيروا شرائعه وهم مقتدون بهم يتبعون سبيلهم (من بعد ما عقلاه) أى علموا صحة كلام الله وحراده فيه (وهم يعلمون) أى ذلك الذي فعلوه هو تحريف مخالف لما أمرهم الله به من تبليغ شرائعه كما هي فهمم وقعدوا في المعصية عالمين به اذ ذلك أشد لعقوبتهم وأبين اضلالتهم واعلم أن التوراة والانجيل اللذين عند اليهود والنصارى الآن اختلف فيهما هل هما مبتدآن ومحرران لفظا أو تأويلان فاما التوراة فأفطر فيها قوم وقالوا كلها أو جلها مبديل وذهبت طائفة من الفقهاء والمحدثين الى ان ذلك انما وقع في التأويل فقط كما صرح به البخاري واختاره الفخر الرازي وغيره لقوله تعالى قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وهو أمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالاحتجاج بها والمبديل لا يتجبه به ولما اختلفوا في الرجم لم يكنهم تغيير آياته منها وتوسط طائفة وهو الحق فلو ابدل بعض منهم ما حرف لفظه وأول بعض منهم ما غير المراد منه وان لم يعط منها موسى لبني اسرائيل غير سورة واحدة وجعل ما عداها عند أولادهم فلم تزل عندهم حتى قتلوا عن آخرهم

الرازي وقال بعضهم بل كانت السجدة لله وآدم قبله فيها كما قال تعالى أقم الصلاة لذكرك الشمس وفي هذا التنظير في نظرو الاظهر أن القول الاول أولى والسجدة لا آدم اكراما واعظاما واحتراما وسلاما وهي طاعة لله عز وجل لانها امتثال لامره تعالى وقد قواه الرازي في نفسه بوجه وضعف ما عدا من القولين الآخرين وهما كونه جعل قبله اذ لا يظهر فيه شرف والاخر أن المراد بالسجود الخضوع لا الاشياء ووضع الجبهة على الارض وهو ضعيف كما قال قتادة في قوله تعالى فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين حسد عدو الله ابليس آدم عليه السلام على ما أعطاه الله من الكرامة وقال أنا ناري وهذا طين وكان

بدء الذنوب الكبر استكبر عدو الله ان يسجد لآدم عليه السلام قلت وقد ثبت في الصحيح لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وقد كان في قلب ابليس من الكبر والكفر والعناد ما اقتضى طرده وابعاده عن جناب الرحمة وحضرة القدس قال بعض المعربين وكان من الكافرين أى وصار من الكافرين بسبب امتناعه كما قال فكان من المغرقيين وقال فتسكونا من الظالمين وقال الشاعر

أى وقد صارت وقال ابن فورل تقديره وقد كان في علم الله من الكافرين (١٣٣) ورجحه القرطبي وذكره هنامة سئل

فقال قال علماؤنا من أظهر الله على يديه من ليس بنبي كرامات وخوارق للعادات فليس ذلك إلا على ولايته خلافا لبعض الصوفية والرافضة هذا الفقه ثم استدلل على ما قال بأننا لا نقطع بهذا الذى جرى الخارق على يديه أنه يوافي الله بالإيمان وهو لا يقطع لنفسه بذلك يعنى والولى هو الذى يقطع له بذلك فى نفس الامر قلت وقد استدلل بعضهم على ان الخارق قد يكون على يدى غير الولي بل قد يكون على يد الساجر والكافر أيضا بما ثبت عن ابن صياد انه قال هو الدخ حين خبأه رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين و بما كان يصدر عنه انه كان يلاء الطريق اذا غضب حتى ضربه عبد الله بن عمر و بما ثبت به الاحاديث عن الدجال بما يكون على يديه من الخوارق الكثيرة من أنه يأمر السماء ان تطر فطر والارض ان تثبت فتثبت وتتبعه كنوز الارض مثل الياسيب وانه يقتل ذلك الشاب ثم يحييه الى غير ذلك من الامور الموهولة وقد

فى وقعة يجتنبه و بعد ذلك جمع عزير بعضا منها من حفظها فهو الذى عندهم اليوم وليس أصلها وفيه زيادة ونقص وخلاف ترجمة وتأويل وأما الانجيل فقمه تبديل وتحرير فى بعض ألفاظه ومعانيه وهو مختلف النسخ والاناجيل أربعة كما فصله بعضهم فى كتاب عقده لذلك سماه المزميد فى التوحيد (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) نزلت فى اليهود قال ابن عباس ان منافق اليهود كانوا اذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا لهم آمنا بالذى آمنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانما نجد نعتة وصفته فى كتابنا (واذا خلا بعضهم الى بعض) يعنى كعب بن الاشرف وكعب بن أسد وهب ابن يهودار وساء اليهود لا وامنافق الى ود على ذلك وعن عكرمة انه انزلت فى ابن سوريا و (قالوا أئمتد نؤمنهم بما فتح الله عليهم) وذلك ان ناسا من اليهود أسلموا ثم نافقوا فكانوا يحدون المؤمنين من العرب بما عذب به اباؤهم وقيل ان المراد ما فتح الله عليهم فى التوراة فى صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والفتح عند العرب القضاء والحكم والفتاح القاضى بلغته المن والفتح النصر ومن ذلك قوله تعالى يستفتحون على الذين كفروا وقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ومن الاول ثم ينتج بيننا بالحق وهو خير الفاتحين أى الحاكمين ويكون الفتح يعنى الفرق بين الشيعين وقيل معناه الانزال وقيل الاعلام أو التبيين أو المن أى ما من به عليكم من نصركم على عدوكم (ليحاجوكم به) أى ليخاصمكم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد أقررتم أنه نبي حق فى كتابكم ألا تتبعونه (عند ربكم) فى الدنيا والآخرة وقيل عند معنى فى وقيل عند ذكر ربكم والاول أولى والمحاجة ابراز الحجة أى لا تخبروهم بما حكم الله به عليكم من العذاب فيكون ذلك حجة لهم عليكم فيقولون نحن أكرم على الله منكم وأحق بالخير منه والحجة الكلام المستقيم وحاجت فلانا فحججته أى غلبته بالحجة (أفلا تعقلون) ما فيه الضرر عليكم من هذا التحديث الواقع منكم لهم وهذا من عام مقولهم ثم ونجهم الله سبحانه فقال (أولا يعلمون) أى اليهود (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) ما يخفون وما يسرون ويظهرون من جميع أنواع الاسرار وأنواع الاعلان ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان وتحرير الكلام عن مواضعه قال ابن عباس هذه الايات فى المنافقين من اليهود وقال أبو العالية ما يسرون من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله

قال يونس بن عبد الاعلى الصد فى قلت للشافعى كان الليث بن سعد يقول اذا رأى ايتم الرجل يشى على الماء يطير فى الهواء حتى تغربوا ثم على الكتاب والسنة فقال الشافعى قصر الليث رحمه الله بل اذا رأى ايتم الرجل يشى على الماء يطير فى الهواء فلا تغربوا حتى تعرضوا ثم على الكتاب والسنة وقد حكى الرازى وغيره قولين العلماء هل المأمور بالسجود لآدم خاص بملائكة الارض أو عام فى ملائكة السموات والارض وقد رجح كلام من القولين طائفة وظاهر الآية الكريمة العموم فوجد الملائكة كلهم أجعون الأبلين فهذه أربعة أوجه مقبولة للعموم والله أعلم (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامنا فيها شجرة ولا تقربا هذه الشجرة فتسكونا من الظالمين فازالهما الشيطان عنها فأخرجهم مما كانا فيه وقالوا اهبطا

بعضكم بعض عدو ولكم في الارض مستقر وسع الى حين) يقول الله تعالى اخباراً عما كرم به ادم بعد ان اضر الملائكة بالجهنم فوجدوا ابليس انه اباح الجنة يسكن منها حيث يشاء وياكل منها ما يشاء وعند أي هيننا واسعاطينا وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه عن حديث محمد بن عيسى الدامغاني حدثنا سلمة بن الفضل عن مسكان بن عيسى عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أرايت آدم أنبيا كان قال نعم بيارسولا يكلمه الله قبيلا يعني عينا ناديا قال اسكن أنت وزوجك الجنة وقد اختلفت في الجنة التي أسكنها آدم أي في السماء أو في الارض قالوا كثيرون على الاول وحكي القرطبي عن المعتزلة والقدرية القول بانهم في الارض وسيأتي (١٣٤) تقرير ذلك في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وسيأتي الآية يقتضي أن حواء خلقت قبل دخول آدم الجنة وقد

وسلم وتكذبهم وما يعلنون حين قالوا للمؤمنين آمنا وقد قال بعثل هذا جماعة من السلف (ومنهم أتيمون) أي ومن اليهود والاي منسوب الى الامة الامة التي هي على أصل ولادتهم من أمهاتهم تعلم الكتابة ولا تحسن القراءة للمكتوب ومنه حديث ان أمة أمة لا تكتب ولا تحسب وقال أبو عبيدة انما قبل لهم أميون لنزول الكتاب عليهم كما أنهم نسبوا الى أم الكتاب فكانت قال ومنهم أهل كتاب وقيل هم نصارى العرب وقيل هم قوم كانوا أهل كتاب فرفع كتابهم لذنوب ارتكبوها وقيل هم الجحوس حكاية المهدوي وقيل غير ذلك والراجح الاول وقيل أميون أي عوام ومن هذا شأنه لا يطعم في ايامه (لا يعلمون الكتاب الا أماني) أي أنهم لا علم لهم به الا ما هم عليه من الاماني التي يتصورها ويعملون بها أنفسهم والاماني جمع امنية وهي ما يتناهى الانسان انفسه فهو لا يعلم لهم بالكتاب الذي هو التوراة لما هم عليه من كونهم لا يكتبون ولا يقرؤون المكتوب والاستثناء منقطع أي لكن الاماني ثابتة لهم من كونهم مغفور اليهم عبادته لانفسهم من الاعمال الصالحة أو بما لهم من السلف الصالح في اعتقادهم وقيل الاماني الا كاذب الخلق قاله ابن عباس أي ولكن يعتمدون أكاذب أخذوها تقليدا من المخرفين أو مواعيد فارغة سمعوها منهم من أن الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وقيل الاماني التلاوة ومنه قوله تعالى الا اذا نطق الشيطان في امنيته أي اذا نطق الشيطان في تلاوته أي لا علم لهم الا مجرد التلاوة من دون تفهم وتدبر وقراءة عارضة عن معرفة المعنى وقيل الاماني التقدير قال الجوهري يقال مني له أي قدر قال في الكشاف والاشتقاق من مني اذا قدر لان المتني يقدر في نفسه ويحزم ما يتناهى وكذلك الخلق والقارئ يقدران كلمة كذا بعد كذا انتهى وقيل هو من التني وهو قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودة وغير ذلك مما تنموه والمعنى لكن يتنمون أشياء لا تحصل لهم (وان هم الا يظنون) أي ليسوا على يقين والظن هو التردد والراجح بين طرفي الاعتقاد الغير الحازم كذا في القاموس أي ما هم الا يترددون بغير حزم ولا يقين وقيل الظن هنا بمعنى التكذب وقيل هو مجرد الحدس لما ذكر الله سبحانه أهل العلم بأنهم غير عاملين بل يحرفون كلام الله من بعد ما عقولهم وهم يعملون ذكر أهل الجهل منهم بأنهم يتكلمون على الاماني ويعتمدون على الظن الذي لا يقفون من تقليد هم على غيره ولا يظفرون بسواه (فويل للذين يكتبون الكتاب

صرح بذلك محمد بن اسحق حيث قال لما فرغ الله من معادته ابليس أقبل على آدم وقد علمه الاسماء كلها فقال يا آدم أتنبئهم بأسمائهم الى قوله انك أنت العليم الحكيم قال ثم ألقيت السنة على آدم فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم عن ابن عباس وغيره ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الايسر ولا مكانه لحا وادم نائم لم يرب من نومه حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة ليسكن اليها فلما كشف عنه السنة وهب من نومه رآها الى جنبه فقال فيا رب نعم والله أعلم لحى ودمي وزوجتي فسكن اليها فلما روجه الله وجعل له سكناً نفسه قال له قبيلا يا آدم اسمك أنت وزوجك الجنة وكلا منهما رعدا حيث شئتما ولا تقر باهذه الشجرة فتكونا من الظالمين ويقال ان خلق حواء كان بعد دخول الجنة كما قال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أخرج ابليس من الجنة وأسكن ادم الجنة فكان يعيش فيها وحيداً ليس له زوج يسكن اليه فنام نومة

فاستمتع وعنده رأسه امرأة فاعده خلقها الله من ضلعه فسأها ما أنت قالت امرأة قال ولم تخلقت قالت لتسكن الي قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه ما اسمها يا آدم قال حواء قال انها خلقت من شيء عني قال الله يا آدم اسمك أنت وزوجك الجنة وكلا منهما رعدا حيث شئتما وأما قولنا ولا تقر باهذه الشجرة فهو اختيار من الله تعالى وامتحان لا دم وقد اختلف في هذه الشجرة ما عني فقال السدي عن حماد بن عيسى عن ابن عباس الشجرة التي نهي عنها آدم عليه السلام هي الكرم وكذا قال سعيد بن جبير والسدي والشيبي وجعدة بن هبيرة ومحمد بن قيس وقال السدي أيضاً في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن

عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ولا تقر بأهذه الشجرة هي الكرم وترتفع بهم ودانها الخنطة وقال ابن جرير وابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسمعيل بن سمرة الاحمسي حدثنا أبو يحيى الجاني حدثنا أبو الضمير أبو عمر الخزاز عن عكرمة عن ابن عباس قال الشجرة التي نهى عنها آدم عليه السلام هي السنبلة وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن عيينة وابن المبارك عن الحسن بن عمار عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال هي السنبلة وقال محمد بن اسحق عن رجل من أهل العلم عن حجاج عن مجاهد عن ابن عباس قال هي البروق قال ابن جرير وحدثني المثنى بن ابراهيم حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا القاسم حدثني رجل من بني تميم ان ابن عباس كتب الى أبي الجليلي أنه عن الشجرة التي أكل منها آدم (١٣٥) والشجرة التي تاب عندها آدم فكتب اليه

أبو الجليلي سألتني عن الشجرة التي نهى عنها آدم وهي السنبلة وسألتني عن الشجرة التي تاب عندها آدم وهي الزيتون وكذلك فسره الحسن البصري ووهب بن منبه وعطية العوفي وأبو مالك ومحارب بن ثثار وعبد الرحمن بن أبي ليلى وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل اليمن عن وهب بن منبه انه كان يقول هي البروق لكن الحجة منها في الجنة ككلا البقر وألين من الزبد وأحلى من العسل وقال سفیان الثوري عن حصين عن أبي مالك ولا تقر بأهذه الشجرة قال النخلة وقال ابن جرير عن مجاهد ولا تقر بأهذه الشجرة قال التينة وبه قال قتادة وابن جرير وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كانت الشجرة من أكل كل منها أحدث ولا ينبغي ان يكون في الجنة حدث وقال عبد الرزاق حدثنا عمر بن عبد الرحمن بن مهران قال سمعت وهب ابن منبه يقول لما سكن الله آدم وزوجته الجنة ونهاه عن أكل الشجرة وكانت شجرة عصفونها

بأيديهم) الويل الهلاك قال القراء الاصل في الويل وي أي حزن كما تقول وي لفلان أي حزن له فوصلته العرب باللام قال الخليل ولم يسمع على بناءه الا وحي وويس وويه وويك وويب وكاه متقارب في المعنى وقد فرق بينهما قوم وهي مصادر لم تنطق العرب بأفعالها وجاز الابداء به وان كان نكرة لان فيه معنى الدعاء وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الويل واد في جهنم وي في الكفار أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره أخرجه الترمذي وقال حديث غريب والتحريف السنة والكتابة معروفة والمعنى انهم يكتبون الكتاب المحرف ولا يبينون ولا ينكرونه على فاعله أو ما يكتبونه من التأويلات الزائفة وقوله بأيديهم تأكد لان الكتابة لا تكون الا باليد فهو مثل قوله ولا طائر يطير بجناحه وقوله يقولون بافواههم قال ابن السراج هو كتابة عن أنه من تلقا ثم دون ان ينزل عليهم وفيه أنه قد دل على أنه من تلقا ثم قوله يكتبون الكتاب فاسناد الكتابة اليهم في ذلك (ثم يقولون هذا) أي جميعا على الاول وبخصوصه على الثاني وثم للتراخي الرتبة فان نسبة المحرف والتأويل الزائغ الى الله سبحانه صريحا أشد شناعة من نفس التحريف والتأويل (من عند الله ليستروا به) أي بما كتبوا (ثم اقليل) أي المأكل والرشاء والاشتراء الاستبدال ووصفه بالقليل لكونه فانيا لا ثواب فيه أو لكونه حراما لا تحل به البركة فهو لاء الكتابة لم يكتبوا بالتحريف ولا بالكتابة لذلك الحرف حتى نادوا في المحافل بانه من عند الله لينالوا بهذه المعاصي المتكررة هذا العرض التزوي والعوض الخفية واستدل به النبي على كراهة كتابة المصنف بالاجرة (فويل لهم عما كتبت أيديهم) تأكيد لقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ومع ذلك فيه نوع مغايرة لان هذا وقع تعليلا فهو مقصود وذلك وقع صلة فهو غير مقصود والكلام في هذا كالذي فيما قبله من جهة أن التكرير للتأكيد (فويل لهم عما يكتبون) قيل من الرشاء ونحوها وقيل من المعاصي وكررا الويل تغليظا عليهم وتعظيما لفعالهم وهتكالا لاستمرارهم وقال السعد التقطاراني انما كرر الله الهلاك مرتب على كل واحد من الفعلين على حدة لاعتلى مجموع الامر بن والتكسب مسبب لجاء النظم على هذا الترتيب وقد ذكر صاحب الدر المنثور آثارا عن جماعة من السلف أنهم كرهوا بيع المصاحف مستبدلين بهذه الآية

متشعب بعضهم من بعض وكان لها أثر تأكله الملائكة لخلدهم وهي الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته فهذه أقوال ستمت في تفسير هذه الشجرة قال الامام العلامة أبو جعفر بن جرير رحمه الله والصواب في ذلك ان يقال ان الله عز وجل شأوه من آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فأكل منها ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين لان الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا من السنة الصحيحة وقد قيل كانت شجرة البروقيل كانت شجرة العنب وقيل كانت شجرة التين وجاز ان تكون واحدة منها وذلك علم اذا علم لم تنفع العلم به علمه وان جهل جاهل لم يضربه جهله به والله أعلم وكذلك ربح الابهام الرازي في تفسيره وغيره وهو الصواب وقوله تعالى فأزلهما الشيطان عنها ليصبح ان يكون الضمير في قوله عن عائد الى الجنة فيكون

معنى الكلام كما قرأتم فان الله ما يفتحها ما بهم ان يكون عائد على اقرب المذكورين وهو الشجرة فيكون معنى الكلام كما
 دل الحسن وقتنا فذراهم أى من قبل الزل فعلى هذا يكون تقدير الكلام فان الله الشيطان عن أى بسببها كما قال تعالى يؤمن
 عنه من أن أى بصرف بسبب من حوام أو شرا ليدل على تعالى فآخر جهنما كما فقه أى من اللباس والمثل والرحب والرزق إلى
 والراحة وقلنا اقبلوا بعصمكم بعض عدوكم بسببكم ومنع الى حين أى قرار أو رزاق وأجل الى حين أى الى وقت مؤقت
 ومقدار معز ثم تقوم القيامة وقد ذكر المفسرون من السلف كالتدب بأسايد وأى العلية وهب من منبه وغيرهم ههنا أخبارا
 اسرايلية عن قصة الجنة وأبليس وكيف (١٣٦) جرى من دخول إبليس الى الجنة وسوسته وسبب ذلك ان شاء الله في

ولاد لاله فيم على ذلك ثم ذكر آثارا عن جماعة منهم أنهم جوزوا ذلك ولم يكرهوه (وقالوا)
 أى اليهود (لن نؤمن) أى تصدينا (الدار الا أياما معدودة) استثناء مفرغ أى قدرنا
 مقدرا يحصرها العد ويلزمها في العادة القلة ثم رفع عنا العذاب وقد اختلف في سبب
 نزول هذه الآية قال ابن عباس ان اليهود كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة
 وانما عذاب بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا في النار وانما هي سبعة أيام معدودة
 ثم نفع العذاب فانزل الله في ذلك هذه الآية وعن عكرمة قال اجبعت يهود يوما
 فخاصوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا لن نؤمنك الا بأربعين يوما ثم اختلفنا فيها
 ناس وأشاروا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم ورديده على رأسه كذبتم بل أنتم خلدون تخلدون فيها لا تخلفكم فيها ان شاء الله
 أبدا فقام نزلت هذه الآية وأخرج أحمد والبخاري والدارمي والنسائي من حديث أى
 هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأل اليهود في خبر من أهل النار قالوا نكون
 فيها يسيرا ثم تخلفونا فيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ائمنوا بالله
 لا تخلفكم فيها أبدا والمراد بقوله (قل ان أخذتم عند الله عهدا) الانكار عليهم لما صدر
 منهم من هذه الدعوى الباطلة أنهم ان تسبهم النار الا أياما معدودة أى لم يتقدم لكم مع الله
 عهد بهذا ولا أسلفتم من الاعمال الصالحة ما يصدق هذه الدعوى حتى يتعين الوفاء بذلك
 وعدم اخلاف العهد أى ان أخذتم عهدا (قلن يخلف الله عهدا) هذا جواب
 الاستفهام المتقدم في قوله أخذتم وقال ابن عطية هذا اعتراض بين أثناء الكلام قال
 الرازي العهد في هذا الموضع يجري مجرى الوعد وانما سمى خبره سبحانه عهدا لان خبره
 أو كرم من العهود المؤكدة (أم تقولون) أم متصلة وحينئذ الاستفهام للتقرير المؤدى
 الى التبكيت أو منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه (على الله ما لا تعلمون بلى)
 اثبات لما بعد حرف النفي مختص به خبرا واستفهاما أى بلى تمسكم النار أبدا لاعلى الوجه
 الذى ذكرتم من كونه أياما معدودة (من كسب سيئة) المراد بها الحسن هنا ومنه ما روى
 تعالى وجرأ سيئة سيئة لهمها ومن يعمل سوءا يجزيه ثم أوضح سبحانه أن مجرد كسب السيئة
 لا يوجب الخلود في النار بل لابد أن يكون سببه محبة طابه فقال (وأطاعت به خطيئته)
 أى أحذقت به من جميع جوانبه فلا تبقى له حسنة وسدت عليه مسالك النجاة قيل هي

سريرة الاعراف فينبأنا القصة أبسط
 منها احبنا والله الموفق وقد قال ابن
 أبى حاتم ههنا حدثنا على بن الحسن
 ابن اشكاب حدثنا على بن عاصم
 عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة
 عن الحسن بن أبى بن كعب قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ان الله خلق آدم رجلا طولا الا كثر
 شعر الرأس كأنه شملة سمى قنبا
 ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول
 ما بدا منه عورته فلما انظر الى عورته
 جعل يشتد في الجنة فأخذت شعره
 شجرة فثاقتها فثاقتها الرجن يا آدم
 متى ترفل مع كلام الرجن قال
 يارب لا ولعن استحياء قال
 وحديثي جعفر بن أحمد بن الحكم
 القرشي سنة أربع وخمسين ومائتين
 حدثنا سليمان بن منصور بن عمار حدثنا
 على بن عاصم عن سعيد عن قتادة
 عن أبى بن كعب قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لما ذاق آدم
 من الشجرة فثاقتها بآفة شجرة
 بشعره فنودي يا آدم أفرأى ما نى قال
 بل حياء منك قال يا آدم اخرج من
 جوارى فبعزنى لا يساكنى فيها
 من عصائى ولو خلقت مثلك ملاء

الارض خلقتهم عصاى لا سكنتم دار العاصين هذا حديث غريب وفيه اذ تطاع بل اعضاء بين قتادة وأبى بن كعب الشرك
 رضى الله عنه وقال الحاكم حدثنا أبو بكر بن باكويه عن محمد بن أحمد بن النضر عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عمار بن أبى معاوية
 الجبلى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال ما سكن آدم الجنة الا ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس ثم قال صحيح على شرح
 الشيخين ولم يخرجاه وقال عبد بن حمد في تفسيره حدثنا روح عن هشام عن الحسن قال لبث آدم في الجنة ساعة من نهار تلك
 الساعة ثلاثون ومائة سنة من أيام الدنيا وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال خرج آدم من الجنة للساعة التاسعة
 أو العاشرة فأخرج آدم معه عصا من شجر الجنة على رأسه تاج من شجر الجنة وهو الاكليل من ورق الجنة وقال السدى قال الله

أهبطوا منها جميعاً فهبطوا ونزل آدم بالهند ونزل معه الحجر الأسود وقبضة من ورق الجنة فبشبه بالهند فنبئت شجرة الطيب فأعما
أصل ما يجاء به من الطيب من الهند من قبضة الورق التي هبط بها آدم وأما قبضها آدم أسفا على الجنة حين أخرج منها وقال عمران
ابن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أهبط آدم بدحنا أرض بالهند وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو
زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جري عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس قال أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال لها دحنا
بين مكة والطائف وعن الحسن البصري قال أهبط آدم بالهند وحواً بمجدة وابليس بدستيسان من البصرة على أميال
وأهبطت الجنة بأصهان رواه ابن أبي حاتم وقال محمد بن أبي حاتم (١٣٧) حدثنا محمد بن عمار بن الحرث حدثنا محمد بن
سعيد بن سابق حدثنا عمر بن أبي

الشرك قاله ابن عباس ومجاهد وقيل هي الكيكة وتفسيرها بالشرك أولى لما ثبت في
السنة توأتر من خروج عصاة الموحدين من النار ويؤيد ذلك كونها نازلة في اليهود وان
كان الاعتبار بعموم اللفظ بالخصوص السبب وعليه إجماع المفسرين وبهذا يطل
تثبت المعتزلة والخوارج قال الحسن كل ما وعد الله عليه النار فهو الخطيئة استدل
به على أن المعلق على شرطين لا ينبغي بأحدهما (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)
والخوارج في النار هو للكفار والمشركين فيتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية
بالكفر والشرك (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي جعوا بين الإيمان والعمل الصالح
فإن قلت لودل الإيمان على العمل لكان ذكر العمل الصالح بعد الإيمان تكراراً قلت
آمنوا يفيد الماضي وعملوا يفيد المستقبل فكانه قال آمنوا ثم عملوا عليه آخراً ويدخل
فيه جميع الأعمال الصالحة (وأولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لا يخرجون منها
ولا يموتون وأتى بالقاف في الشق الأول دون الثاني أي نادى بسبب الخلود في النار عن الشرك
وعدم تسبب الخلود في الجنة عن الإيمان بل هو بمحض فضل الله تعالى (وإذا أخذنا)
الخطاب مع بني إسرائيل وهم اليهود المعاصرون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بما وقع من
أسلافهم فبما خلفهم بسوء صنيع أسلافهم أي أذكروا إذا أخذنا مناسقهم وقيل الخطاب
لنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين والأول أولى لأن المقام مقام تذكيرهم وهذا
شروع في تعداد بعض آخر من قبائح أسلاف اليهود بما ينادى بعدم إيمان أسلافهم
ليؤذيمهم التأمّل في أحوالهم إلى قطع الطمع في إيمانهم (ميتاق بني إسرائيل) الذين كانوا
في زمن موسى وقد تقدم تفسير الميتاق المأخوذ على بني إسرائيل وقال مكي إن الميتاق
الذي أخذه الله عليهم هنا هو ما أخذهم عليه في حياتهم على ألسن أنبيائهم وهو قوله
(لا تعبدون إلا الله) خبر بمعنى النهي وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من الاعتناء بشأن
النهي عنه وتأمّل كد طلب امتثاله حتى كأنه امتثل وأخبر عنه وعبادة الله أثبت توحيد
وتصديق رسوله والعمل بما أنزل الله في كتبه (وبالوالدين إحساناً) أي معاشرتهما
بالمعروف والتواضع لهما وامتثال أمرهما وسائر ما أوجبه الله على الولد للوالديه من
الحقوق ومنه البر بهما والرجة لهما والنزول عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله
ويوصل إليهما ما يحتاجان إليه ولا يؤذيمهما وإن كانا كافرين وأن يدعوهم إلى الإيمان

سعيد بن سابق حدثنا عمر بن أبي
قيس عن الزبير بن عدي عن ابن
عمر قال أهبط آدم بالصنفا وحواً
بالمروة وقال رجاء بن سلمة أهبط آدم
عليه السلام يده على ركبته
مطاطراً رأسه وأهبط ابليس مشبكاً
بين أصابعه رافعاً رأسه إلى السماء
وقال عبد الرزاق قال معمر
أخبرني عوف عن قسامة بن زهير عن
أبي موسى قال إن الله حين أهبط آدم
من الجنة إلى الأرض علمه صنعة كل
شيء وزوده من ثمار الجنة فشاركهم
هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير
وتلك لا تتغير وقال الزهري عن
عبد الرحمن بن هرم عن الأعرج عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس
يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل
الجنة وفيه أخرج منها رواه مسلم
والنسائي وقال الرازي أعلم أن في
هذه الآية تهديد أعظم أعظم عن كل
المعاصي من وجوه الأول أن من
تصور ما جرى على آدم بسبب إقدامه
على هذه الزلة الصغيرة كان على وجل
شديد من المعاصي قال الشاعر
يا ناظر أيرنو بعيني راقد
ومشاهد الأمر غير مشاهد

(١٨ ل - فتح البيان) فصل الذنوب إلى الذنوب وترجيح درج الجنان ونيل فوز العابد أنسيت ربك حين أخرج آدم
منها إلى الدنيا بذهب واحد قال ابن القيم ولكن ناسي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم قال الرازي عن فتح الموصلي
أنه قال كما قوم من أهل الجنة فسمانا ابليس إلى الدنيا فليس لنا إلا الهمة والحزن حتى نرد إلى الدار التي أخرجنا منها فإن قيل فإذا كانت
جنة آدم التي أخرج منها في السماء كما يقوله الجمهور من العلماء فكيف تمكن ابليس من دخول الجنة وقد طرد من هناك طرداً
قدرياً والقدرى لا يخالف ولا يمانع فالجواب أن هذا بعينه استدلال به من يقول إن الجنة التي كان فيها آدم في الأرض لا في السماء
كما دبسطنا هذا في أول كتابنا البداية والنهاية وأجاب الجمهور بأجوبة أحدها أنه منع من دخول الجنة مكرماً فاما على وجهه

السرقوا الا هانة فلا يتبع ولهذا قال بعضهم كما جاء في التوراة انه دخل في فم الحية الى الجنة وقد قال بعضهم يحتمل انه وسوس لهم ما هو خارج باب الجنة وقال بعضهم يحتمل انه وسوس لهم ما هو في الارض وهذا في السماء ذكرها الزمخشري وغيره وقد اورد القرطبي ههنا أحاديث في الحيات وقتلهم وبين حكم ذلك فأجاد وأفاد (فقلني آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) قيل ان هذه الكلمات مفسرة بقوله تعالى قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وروى هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية والريبع بن أنس والحسن وقتادة وشهد بن كعب القرظي ومالك بن معمر بن عطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد (١٣٨) بن أسلم وقال أبو اسحق السبيعي عن رجل من بني تميم قال آتت ابن عباس فسأله

بالرفق واللين وكذا ان كانا ذا ستين يأمرهما بالمعروف من غير عنف ولا يقول لهما أف (وذئ القربى) أي القرابة عطف على الراديين لأن حقهما تابع لحقهما والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين والقربى مصدر كالرحمى والعقبى وهم القرابة والاحسان بهم صلتهم والقيام بما يحتاجون اليه بحسب الطائفة وتدر ما تبلغ اليه القدرة (والنساء) جمع يقيم واليتيم في بني آدم من فقد أبوه وفي سائر المخلوقات من فقدت أمه وأصله الانفراد يقال صبي يتيم أي مشرد من أبيه فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتيم وتجب رعايته حتى يتيم ثلاثة أمور انفقوا عنه وعطلوه عن يتوم بصلته اذا لم يدروا شأنه يقتنع بنفسه ولا يتوم بجهنم (والنساء) جمع مسكين وعمر من أمكنه الحاجة وذلك وهو أشد فقرا من الفقير عند أكثر أهل اللغة وكثير من أهل اللغة وروى عن الشافعي أن الفقير أو أذل من المسكين وقد ذكر في العلم لهذا البحث أدلة مستوفاة في مواضعنا (وقولنا للناس حسنا) أي قولنا حسنا حسنا مبالغة وتروى حسنا بنعتين وهي لغة أهل الحجاز وحسن بغير تنوين على انه مصدر كقوله شري والمراد به ما فيه من خلق وإرشاد كما لا يخفى قال النحاس وهذا لا يجوز في العربية لا يقال من حسنا شيئا لا بالالف واللام نحو النسي والكبرى والحسنى وهذا قول سيبويه وقرازي بن ثابت وابن مسعود وحسنا قال النحاس حسنا بمعنى واحد مثل الجعل والتعل والرشد والرشد فهو حسنة منسوبة لا مصدر كما فهم من عبارة النحاس فمستند ما لا شك في حسنا والمناظر أن هذا القول الذي أمرهم الله به لا يختص بروع مع سيد بل كل ما صدق عليه انه حسن شرعا كان من جملة ما صدق عليه هذا الأمر وقد قيل ان ذلك هو كلمة التوحيد وقيل الصدق وقيل الأمر بالمعروف وقيل هو الذين في الأول والعشرون حسن الذين والذين عن المنكر وقيل غير ذلك قيل ان الخطاب للعالمين من الميرود في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلهذا عدل عن الغيبة الى الخطاب فإنه ابن عباس وقيل ان الخطاب به هم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام وانما عدل من الغيبة الى الخطاب على ما روي في الالتفات وتقديم تنبيه قوله (وأتىو السلام) أي أتوا النبي وهو خطاب لبني اسرائيل فالمراد الصلاة التي كانوا يصلونها والركعة التي كانوا يجزونها قال ابن عطية ستر ذلكهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتنزل النار على ما يصل ولا تنزل على ما لا يصل والخطاب في قوله (ثم يقيم لهم) قيل انما هو من

ما الكلمات التي تلي آدم من ربه قال علم شأن الحج وقال سفيان الثوري عن عبد العزيز بن رفيع أخبرني من سمع عبيد بن عباس يروى رواية قال أخبرني جهاشد عن عبيد بن عباس أنه قال قال آدم يارب خطيتي التي أخطأت شيء كذبته على قبل أن تخلقني أو شيء استدعته من قبل نفسي قال بل شيء كذبته عليك قبل أن أخلقك قال فكما كذبته على فأعزني قال فذلك قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقال السدي عن حماد عن ابن عباس فتلقى آدم من ربه كلمات قال قال آدم عليه السلام يارب ألم تخلفني يدي قبل له بلي ونفقت في من رويك قبل له بلي وعطست فقلت برحمتك الله وسبقت رحمتك غضبك قبل له بلي وكنت على أن أعمل هذا قبل له بلي قال أرايت ان تبذل أنت راجعي الى الجنة قال نعم وهكذا رواد العوفي وسعيد بن جبير وسعيد بن معبد عن ابن عباس بنحوه ورواد الحاكم في مستدركه من حديث ابن جبير عن ابن عباس وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه

وهكذا أفسره السدي وعوفي وقد روى ابن أبي عمير هذا الحديث عن ابن عباس بنحوه حديثا عن ابن عباس عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آدم عليه السلام أرايت يارب ان تبذل هذا الوجه وفيه الخطيئة قال نعم فذلك قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وهذا الحديث غير مبني على هذا الوجه وفيه الخطيئة قال أبو اسحق الرازي عن الريبع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قال ان آدم لما أصاب الخطيئة قال أرايت يارب ان تبذل وأصلحت قال الله اذا أخطأنا الجنة فليس الكلمات ومن الكلمات أيضا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقال ابن أبي شيبة عن مجاهد انه كان يقول في قول الله تعالى فتلقى

آدم من ربه كليات فتاب عليه قال الكلمات اللهم لا اله الا انت سبحانك و بحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين
 اللهم لا اله الا انت سبحانك و بحمدك رب اني ظلمت نفسي فارحني انك خير الراحين اللهم لا اله الا انت سبحانك و بحمدك رب اني ظلمت
 نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم وقوله تعالى انه هو التواب الرحيم أي انه يتوب على من تاب اليه و اناب كقوله ألم يعلموا
 ان الله يقبل التوبة عن عباده وقوله ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه الآية وقوله ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يذهب كل سيئته من الآيات الدالة على
 أنه تعالى يغفر الذنوب ويتوب على من يتوب وهذا من لطفه بخلقه ورحته بعبده لا اله الا هو التواب الرحيم (قلنا اهبطوا منها جميعاً
 فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٣٩) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك

أصحاب النار هم فيها خالدون)
 يقول تعالى مخبراً عما أئذ به آدم وزوجته وابلis حين أهبطهم
 من الجنة والمراد الذرية أنه سينزل الكتب ويبعث الانبياء والرسل
 كما قال أبو العليسة الهدي الانبياء والرسل والبينات والبيان وقال
 مقاتل بن حيان الهدي محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن الهدي
 القرآن وهذا القولان صحيحان وقول أي العالسة أعم فمن اتبع
 هداي أي من أقبل على ما أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل فلا
 خوف عليهم أي فيما يستقبلونه من أمر الآخرة ولا هم يحزنون على
 ما فاتهم من أمور الدنيا كما قال في سورة طه قال اهبطوا منها جميعاً
 بعضهم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل
 ولا يشقى قال ابن عباس فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن
 اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أجمعين
 كما قال ههنا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها
 خالدون أي يخلدون فيها لا يحد

منهم في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم مثل سالفهم في ذلك وفيها التفات من
 الغيبة الى الخطاب أي أعرضتم عن العهد ومن قوائد الالتفات نظرية الكلام وصيانة
 السمع عن الخبر والملا للما حبلت عليه النفوس من حب التقلات والساعة من
 الاستقرار على منوال واحد كما هو مقر في محله والاعراض والتولي بمعنى واحد وقيل
 التولي بالجسم والاعراض بالقلب (الا قليلا منكم) منصوب على الاستثناء وهو من
 أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه (وأنتم
 معرضون) كاعراض آبائكم أمرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم
 المنزلة عنده بما التزموا به ثم أخبر عنهم أنهم ما وفوا بذلك (واذا أخذنا منكم) قيل
 هو خطاب لمن كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اليهود والمراد اسلافهم
 المعاصرون لموسى على سنن التد كيرات السابقة وهذا شروع في بيان ما فعلوه بالعهد
 المتعلق بحقوق العباد بعد بيان ما فعلوا بالعهد المتعلق بحقوق الله وما يجرى مجراها وقيل
 لا تأتهم وفيه تفرغ لهم وتوبخ (لا تسفكون) أي لا تريقون والسفك الصب وقد
 تقدم (دماءكم) أي لا يفعل ذلك بعضكم ببعض أو لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك
 دماءكم فيكأنكم سفكتم دماء أنفسكم فهو من باب المجاز بأدنى ملائسة أولانه
 بوجهه قصاصا فهو من باب اطلاق المسبب على السبب (ولا تخربون أنفسكم من دياركم)
 أي لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تنقلوا شأنا فتخرجوا بسببه من دياركم والدار
 المنزل الذي فيه أبنية المقام بخلاف منزل الارتحال وقال الخليل كل موضع حله قوم فهو
 دار لهم وان لم يكن فيه أبنية وقيل سميت دارا لدورها على سكانها كما يسمى الحائط حائطا
 لاحاطته على ما يحويه (ثم أقررتم) من الاقرار أي حصل منكم الاعتراف بهذا الميثاق
 المأخوذ عليكم انه حق (وأنتم تشهدون) يا معشر اليهود الشهادة ههنا بالقلوب وقيل هي
 بمعنى الحضور أي انكم الآن تشهدون على أسلافكم بذلك وعلى هذا اسناد الاقرار اليهم
 مجاز وكان الله سبحانه قد أخذ في التوراة على بني اسرائيل ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا
 ينفقه ولا يسترقه (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخربون فريقامنكم من ديارهم
 تظاهرون عليهم بالانغم والعداون) أي أنتم هؤلاء الحاضرون المشاهدون تخالفون
 ما أخذ الله عليكم في التوراة وأصل المظاهرة المعاونة مستقمة من الظاهر لأن بعضهم

لهم عنها ولا يحصى وقد أورد ابن جرير ههنا حديثا سابقه من طريقين عن أبي سلمة سعيد بن زيد عن أبي نضرة المذنب مالك بن
 بضعه عن أبي سعيد واسمه سعد بن مالك بن سنان الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فلا
 يموتون فيها ولا يحيون ولكن أقوام أصابهم النار بنحيطا بهم فأما تمهم أمانة حتى اذا صاروا خفا أذن في الشفاعة وقد رواه مسلم
 من حديث شعبة عن أبي سلمة به وذكر هذا الاضطراب الثاني لما يتعلق به بعد من المعنى المغاير الاول وزعم بعضهم انه تأكد وتكرير
 كما يقال قم قم وقال آخرون بل الاضطراب الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني من السماء الدنيا الى الارض والصحيح الاول والله
 أعلم (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ويا أيها الذين آمنوا اعبأوا بآياتي مصدقا

لما سمعكم ولا تكفروا أول كفر به ولا تستروا بآياتي ثم اقلدوا آياتي فاتقون) يقول تعالى أحمرأبى إسرائيل بالدخول في الإسلام
ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام ومنهجا لهم يذكر أيهم إسرائيل وهو نبي الله يعقوب عليه السلام وتندري بآتي
العبد الصالح المطمع لله كثر زامل أيكم في متابعة الحق كما تقول ابن الكريم أفعول كذا يابن النجاء بارز الأبطال يابن العالم
اطلب العلم ونحو ذلك ومن ذلك أيضا قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا فاسرائيل هو يعقوب بدليل سارواه
أنوداود الطيالى حدثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب قال حدثني عبد الله بن عباس قال حضرت عصابة من اليهودي
الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم هل تعلمون (١٤٠) ان اسرائيل يعقوب قالوا اللهم نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم

يقوى بعضا فيكون له كالظهير ومنه قوله تعالى وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله
والملائكة بعد ذلك ظهير والمعنى تعاوون عليهم بالمعصية والظلم والاثم في الاصل الذنب
وجمع اثم ويطلق على الفعل الذي يستحق به صاحبه الذم واللوم وقيل هو ما تقر منه
النفس ولا يطمئن اليه القلب والاية تحت مل ما ذكرنا وتحتمل ان يتجاوز به عما وجب
الاثم اقامة للسبب مقام المسبب والعدوان التجاوز في الظلم وهو مصدر كالكفران
والغفران والمشهور ضم فائه وفيه لغة بالكسر (وان يأتوكم) أي الفريق الذي
تخرجونه من داره وقت الحرب حال كونه (أسارى) جمع أسير وهو من يؤخذ تهرأ فصيل
بمعنى منفعول أو جمع أسرى وهو جمع أسير كرجى وجرى وبه قرأ جزء قال أبو حاتم ولا
يجوز أسارى وقال الزجاج يقال أسارى كما يقال سكارى قال ابن فارس يقال في جمع
أسير أسرى وأسارى انتهى فالعجب من أبي حاتم حيث ينكر ما ثبت في التنزيل وقراءة
الجمهور والاسر مشتق من السير وهو القيد الذي يشده المحمل فسمى أسيرا لانه يشده وثاقه
ثم سمي كل أخيد أسيرا وان لم يشده (تفادوهم) أي بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقيل
تبادلهم وهو متفاداة الأسير والفداء هو ما يؤخذ من الأسير ليفك به أسره يقال فداء وفاداه
أعطى فداءه وأنقذه (وخو) ضمير الشأن ويسمى ضمير القصص ولا يرجع الاعلى ما بعده
وفادته الدلالة على تعظيم الخبر عنه وتفخيمه (محرم عليكم اخراجهم) قال المفسرون كان
الله سبحانه قد أخذ على بني إسرائيل في التوراة أربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج
وترك المظاهرة وفداء أسراهم فأعرضوا عن كل ما أمروا به الا الفداء فوجبهم الله على ذلك
بقوله (أقتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) أي ان وجدتموه في يد غيركم
فدتموهم وأنتم تقتلونهم بأيديكم فكان ايمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم
على مناقضة أفعالهم لانهم أتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض وهذا هو مناط
التوبيخ حسب ما يفيد ترتيب النظم الكريم لأن من قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقي
لكون الكل من عند الله داخلا في المشاق (فاجزأ من يفعل ذلك منكم) يا معشر اليهود
(الآخرة في الحياة الدنيا) الخزي الهوان والعذاب وقد وقع هذا الجزاء الذي وعد الله به
الملاعين اليهود وموفر اقصاروا في خزي عظيم عا لصدق بهم من الذل والمهانة بالاسر والقتل
وضرب الجزية والجلأ فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الاجلاء

اشهد وقال الأعمش عن اسمعيل بن
رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن
عبد الله بن عباس ان اسرائيل
كقولك عبد الله وقوله تعالى
واذكر و انعمتى التي أنعمت عليكم
قال مجاهد نعمة الله التي أنعم بها
عليهم فيمأسى وفيما سوى ذلك
أن فجر لهم الحجر وأنزل عليهم المن
والسوى ونجاهم من عبودية آل
فرعون وقال أبو العالية نعمته ان
جعل منهم الانبياء والرسل وأنزل
عليهم الكتب قلت وهذا كقول
موسى عليه السلام لهم يا قوم
اذكر و انعمتى التي أنعمت عليكم
اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم
ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحد من
العالمين يعني في زمانهم وقال محمد
ابن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد
عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن
ابن عباس في قوله تعالى اذكروا
نعمتى التي أنعمت عليكم أي بلائ
عندكم وعند آبائكم لما كان
ينجاهم به من فرعون وقومه وأفوا
بعهدى أوف بعهدكم قال يعهدى
الذي أخذت في أعناقكم للنبي
صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم أنبئ

لكم ما وعدتكم عليه من تصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والغلال التي كانت في أعناقكم والتي
بذنو بكم التي كانت من احداثكم وقال الحسن البصرى هو قوله تعالى ولقد أخذ الله مشاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر
نقيبا وقال الله اني دعيتكم لن أقم الصلاة وآتيتكم الزكاة وآمنتكم برسلي وأقرضتكم الله قرضا حسنا لا كفرن عنكم سيئاتكم
ولا دخلتكم جنات تجري من تحتها الأنهار الآية وقال اخرون هو الذي أخذ الله عليهم في التوراة انه سيعيث من بني اسمعيل نيبا
عظيما يطاعه جميع الشعوب والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم فن اتبعه غفر الله له ذنبه وأدخل الجنة وجعل له آخرين وقد أورد
الرازي بشارات كثيرة عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال أبو العالية وأفوا بعهدى قال عبيد الله

عباده دين الاسلام وان يتبعوه وقال الفخاك عن ابن عباس أوف بعهدكم قال أرض عنكم وأدخلكم الجنة وكذا قال السدي
والفخاك وأبو العالية والريبع بن أنس وقوله تعالى وإياي فارهبون أي فاحشون قاله أبو العالية والسدي والريبع بن أنس وقتادة
وقال ابن عباس في قوله تعالى وإياي فارهبون أي أن أنزل بكم ما أنزلت من كان قبلكم من آبائكم من النعمات التي قد عرفتم من
المسيح وغيره وهذا انتقال من الترهيب إلى الترغيب فدعاهم إليه بالرغبة والرغبة لعلهم يرجعون إلى الحق وتباعدوا عن الرسول صلى
الله عليه وسلم والاتعاظ بالقرآن وزواجره وامتنال أوامرهم ونصديق أخباره والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ولهذا قال
وآمنوا بما أنزلت صدق ما معكم يعني به القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله (١٤١)

عليه وسلم النبي الأحمى العربي بشيرا
ونذيرا وسيرا جاعلهم في مشقة لا على
الحق من الله تعالى مصداق لما بين
يديه من التوراة والإنجيل قال
أبو العالية رحمه الله في قوله تعالى
وآمنوا بما أنزلت صدق ما معكم
يقول يا معشر أهل الكتاب آمنوا
بما أنزلت صدق ما معكم يقول
لأنهم يجحدون محمدا صلى الله عليه
وسلم مكتوبا عنده في التوراة
والإنجيل وروى عن مجاهد
والريبع بن أنس وقتادة نحوه ذلك
وقوله ولا تكونوا أول كافرين قال
بعض المعربين أول فريق كافر به
أو نحوه ذلك قال ابن عباس ولا
تكونوا أول كافرين به وعندكم فيه
من العلم ما ليس عند غيركم قال أبو
العالية يقول ولا تكونوا أول من
كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم يعني
من خفكم أهـ ل الكتاب بعد
سماعكم ببعثه وكذا قال الحسن
والسدي والريبع بن أنس واختار
ابن جرير أن الضمير في قوله به عائد
على القرآن الذي تنادم ذكره في
قوله بما أنزلت وكلا القولين صحيح
لأنهم ماتوا لا زمان لأن من كفر
بالقرآن فقد كفر بمحمد صلى الله

والنبي من منازلهم إلى أريحا وأدراعات من أرض الشام (ويوم القيامة يدعون إلى أشد
العذاب) يعني النار لأنهم جاؤا بدين جديد ومعصية فظيمة وهذا خبر من الله سبحانه
بأن اليهود لا يزالون في عذاب موفرا لازم لهم بالجزية والصغار والذلة والمهانة (وما الله
بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد عظيم (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) بأن
آثروها عليها لأن الجمع بين ذات الدنيا والآخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا
فاته لذات الآخرة قال قتادة استحبوا قليل الدنيا على كثير الآخرة (فلا يخفف عنهم
العذاب) أبدا ماداموا (ولاهم نصرون) أي لا يمنعون من عذاب الله لا يوجد لهم ناصر
يدفع عنهم ولا يثبت لهم نصر في أنفسهم على عدوهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي
أعطيناه التوراة بجلالة واحدة مفصلة محكمة شرع في بيان بعض آخر من جناباتهم
وتصديده بالجلالة القسمية لاظهار كمال الاعتناء به (وقفينا من بعده بالرسول) أي اتبعنا
والتقفة الاتباع والارداق وهو أن يقفوا أثر الآخرة مأخوذ من القفا وهو مؤخر العنق
والمراد أن الله سبحانه أرسل على أثره رسلا جعلهم تابعين له وكانت الرسل من بعده موسى
إلى زمن عيسى متواترة يظهر بعضهم في أثر بعض والسريرة واحدة وهم أنبياء بنى
إسرائيل المبعوثون من بعده كالموسى بن بابل والماس ومنشائل واليسع ويونس وزكريا
ويحيى وشعيا وحزقييل وداود وسليمان وأرميا وهو الخضر وعيسى بن مريم فهو لاء الرسل
بعثهم الله وأنخبهم من أمة موسى وأخذ عليهم ميثاقا غليظا أن يؤدوا إلى أمتهم صفة محمد
صلى الله عليه وآله وسلم وصفة أمته وكانوا يحكمون بشريعة موسى إلى أن بعث الله
عيسى خباهم بشريعة جديدة وغير بعض أحكام التوراة فذلك قوله (وآتينا عيسى بن
مريم البينات) أي الدلائل الواضحات وهي الأدلة التي ذكرها الله في آل عمران والمائدة
وهي الآيات التي وضع على يديه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وخلقه من الطين
كهية الطير وإبراء الأسماء والأخبار بكثير من الغيوب وما ورد عليه من التوراة والإنجيل
الذي أحدث الله الله وقيل هي الإنجيل واسم عيسى بالسرانية يسوع وعيسى
بالسرانية عيسى الخادم ثم سمي به فلذلك لم ينصرف وفي لسان العرب هي المرأة التي تكبر
مخالطة الرجال قال أبو السعد وهو بالعبرية من النساء كالزير من الرجال ووزنه مفعول
إذا لم يثبت ففعل ذكر السيوطي في التفسير أن مدة ما بين موسى وعيسى ألف وتسعمائة

عليه وسلم ومن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كفر بالقرآن وأما قوله أول كافر به فيعني به أول من كفر به من بنى إسرائيل لانه
قد تقدمهم من كفار قریش وغيرهم من العرب بشر كثير وانما المراد أول من كفر به من بنى إسرائيل مباشرة فان يهود المدينة
أول بنى إسرائيل خوطبوا بالقرآن فكفرهم به يستلزم أنهم أول من كفر به من جنسهم وقوله تعالى ولا تشتروا بها نفوسكم فقالا
يقول لا نعتاضوا عن الإيمان بما يأتي ونصديق رسولنا بالدنيا وشهواتها فانها قليلة فأنه قال عبد الله بن المبارك أنبا ناعبد الرحمن
ابن زيد بن جابر عن هرون بن يزيد قال سئل الحسن يعني البصري عن قوله تعالى ثمنا قليلا قال الثمن القليل الدنيا بمحمد أفيرها
وقال ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله تعالى ولا تشتروا بها نفوسكم فقالا ثمنا قليلا ان آياته كتابه الذي أنزله إليهم

وان الغن القليل الدنيا وشهواتها وقال السدي ولا تشربوا باي ثمن قليل يقول لا تأخذوا طمعا قليلا ولا تسبقوا اسم الله فذلك
الطمع هو الثمن وقال ابو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالمة في قوله تعالى ولا تشربوا باي ثمن قليل يقول لا تأخذوا
ثمنه أجر قال وهو مكتوب عندهم في الكتاب الاول يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا وقيل معناه لا تعترضوا عن البيان ولا يضاع
ونشر العلم النافع في الناس بالكتمان واللبس لتستروا على رياستكم في الدنيا القليلة الخفية انزائلا عن قريب وفي سنن أبي داود
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يتبع به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من
الدنيا لم يرح رائحة الجنة يوم القيامة فأما تعليم (١٤٢) العلم بأجرة فان كان قد تعين عليه فلا يجوز أن يأخذ عليه أجرة

سنة وخمس وعشرون سنة (وأيدناه بروح القدس) التأييد التقوية وروح القدس
من اضافة الصفة الى الموصوف أي الروح المقدسة والقدس الطهارة والمقدس المظهر
قبل هو جبريل قاله ابن مسعود أيد الله به عيسى وسمي جبريل روحا وأضيف الى القدس
لأنه كان يتكلم في الله له من غير ولادة وقيل القدس هو الله عز وجل وروحه جبريل
وقيل المراد بروح القدس الاسم الذي كان يحيي به عيسى الموتي واسم الله الاعظم وقيل
المراد به الانجيل وقيل المراد به الروح المنفوخ فيه أيده الله به لما فيه من القوة وقد ثبت
في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اللهم أيد حسان روح القدس وكان
جبريل يسير مع عيسى حيث سار فلم يفارقهما حتى صعد به الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين
سنة (أفكلاما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم) أي بما لا يوافقها ولا يعاها وأصل الهوى
الميل الى الشيء قال الجوهري وسمى الهوى هوى لانه يهوى بصاحبه الى النار وبجهم
الله سبحانه به هذا الكلام المعنون به مزة التوبيخ (استكبرتم) عن اجابته احتقار الارسل
واستبعاد الرسالة والسين رائدة للمبالغة (فقرىقا كذبتهم وفريقا تقتلون) الفاء للتفصيل
ومن الفرق المكذبين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ومن الفرق المقتولين يحيى
وزكريا عليهما الصلاة والسلام وسائر من قتله (وقالوا قلوبنا غلف) جمع أغلف المراد به
خبا الذي عليه غشاوة تمنع من وصول الكلام اليه فلا يعي ولا يفقه قال في الكشف هو
مستعار من الغلف الذي لم يفتح كقوله قلوبنا في آية ما تدعونا اليه وقيل ان الغلف
جمع غلاف مثل حار وجراى قلوبنا أو عمية للعلم فباله لا تفهم عنك وقد وعينا علما
كثيرا ففتح مستغنون بما عندنا عن غير فذر الله عليهم ما قالوه فقال (بل لعنهم الله
بكفرهم) أي طردهم وأبعدهم من كل خير وأصل اللعن في كلام العرب الطرد والابعاد
(فقل لا يؤمنون) وصف ايمانهم بالقلة لانهم الذين قص الله عليهم من عبادهم
ومحرفهم وشدة حاجتهم وبعدهم من اجابة الرسل ما قصه ومن جله ذلك انهم يؤمنون
بعض الكتاب ويكفرون ببعض وقال معبر المعنى لا يؤمنون الا بقليل مما في أيديهم
ويكفرون بأكثره قال الواقدي معناه لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا قال الكسائي
تقول العرب مررنا بأرض فلما تنبت الكراث والبصل أي لا تنبت شيئا وأخرج أحمد
بسند جيد عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القلوب أربعة قلب

ويجوز أن يتناول من بيت المال
ما يقوم به حاله وعياله فان لم يحصل
له منه شيء وقطعه التعليم عن
التكسب فهو كالمتبعين عليه
واذا لم يتبعين عليه فانه يجوز أن
يأخذ عليه أجرة عند مالك
والشافعي وأجد وجهور العلماء
كما في صحيح البخاري عن أبي سعيد
في قصة اللديغ ان أحق ما أخذتم
عليه أجر اكتاب الله وقوله في قصة
الخطوبة زوجتها بما علك من
القرآن فاما حديث عبادة بن
الصامت انه علم رجلا من أهل
الصفة شيئا من القرآن فأهدى له
قوسا فسأل عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ان أحبت أن
تطوق بقوس من نار فأقبله فتركه
رواه أبو داود وروى مثله عن أبي
ابن كعب حرقوا عافان صح اسناده
فهو صحيح عند كثير من العلماء
منهم أبو عمر بن عبد البر على انه لما
علمه الله لم يجز بعده هذا ان يعترض
عن ثواب الله بذلك القوس فأما اذا
كان من أول الامر على التعليم
بالأجرة فانه يصح كما في حديث
الديغ وحديث سهل في الخطوبة

وان الله أعلم وقوله وياي فائقون قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عمرو والدوري حدثنا أبو اسعيل المؤدب عن عاصم
الاحول عن أبي العالمة عن طلق بن حبيب قال التقوى أن تعمل بطاعة الله رجا رجة الله على نور من الله وأن تترك معصية الله
على نور من الله تخاف عقاب الله ومعنى قوله وياي فائقون انه تعالى يتوعدهم فيما يتوعدونه من كتمان الحق واظهار خلافه
ومخالفتهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتبوا الحق وأنتم تعلمون وأفهموا الصلوات وأوالوا الزكاة
واركعوا مع الزا كعين) يقول تعالى ناديا لليهود عما كانوا يعتدونه من تلبس الحق بالباطل وتعميم به وكتمانهم الحق واظهارهم
الباطل ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتبوا الحق وأنتم تعلمون فهاهم عن الشينين معا وأمرهم باظهار الحق والتصریح به ولهذا

قال الخليل عن ابن عباس ولا تلبسوا الحق بالباطل ولا تلبسوا الباطل بالحق وقال أبو العالية ولا تلبسوا الحق بالباطل يقول ولا تلبسوا الحق بالباطل وأدوا النصيحة لعباد الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويروى عن سعيد بن جبيرة والربيع بن أنس نحوه وقال قتادة ولا تلبسوا الحق بالباطل قال ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالاسلام وأنتم تعلمون ان دين الله الاسلام وأن اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله وروى عن الحسن البصري نحوه ذلك وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبعما جاء به وأنتم تجددونه مكتوبا عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم (١٤٣) وروى عن أبي العالية نحوه ذلك وقال

مجاهد والسدي وقاتدة والربيع بن أنس وتكتموا الحق يعني محمد صلى الله عليه وسلم قلت وتكتموا يعني لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبعما جاء به وأنتم تجددونه مكتوبا عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم (١٤٣) وروى عن أبي العالية نحوه ذلك وقال

أجر دفيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مر بوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فاما القلب الاجرد فقلب المؤمن سراج به نوره واما القلب الاغلف فقلب الكافر واما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر واما القلب المصفح فقلب فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يتدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يدها القيح فأى المادتين غلبت على الاخرى غلبت عليه وقال قتادة لا يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين كان أكثر منهم وقليل فرما نافيلا يؤمنون فهو على حد قوله آمنوا وجه النهار واكفروا آخره (ولما جاءهم) أى اليهود (كتاب من عند الله) هو القرآن (مصدق لما معهم) من التوراة والانجيل انه يخبرهم بما فيه ما يؤمنون ولا يخالفه (وكانوا من قبل) مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يستفتحون) أى يستنصرون به والاستفتاح الاستنصار أى كانوا من قبل يطلبون من الله النصرة على أعدائهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي يجدون صفته عندهم في التوراة وقليل الاستفتاح هنا بمعنى الفتح أى يخبرونهم بانه سيبعث ويعرفونهم بذلك (على الذين كفروا) يعني مشركي العرب وذلك انهم كانوا اذا أخرجهم أمر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظلم زمان نبي يخرج تصديق ما قلنا فنقتلهم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا يعني محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعرفوا انه نبي من غير بني اسرائيل (كفروا به) أى جحدوه وأنكروا به وبغيا وحسدا (فلعنة الله على الكافرين) أى عليهم وضع الالفاظ موضع المضر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واستعالت عليهم وشملتهم واللام للعهد أو للجنس ودخلوا فيه دخولا أو لبا (بئس ما اشتروا به أنفسهم) أى بئس الشيء وقال القراء بئسما بجملة شيء واحد ركب كجدا أى بئسما باعوا به حظ أنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق (أن يكفروا بما أنزل الله) يعني القرآن (بغيا) أى حسدا قال الاصمعي البغي مأخوذ من قولهم قد بغى الجرح اذا فسد وقل أصله الطلب ولذلك سميت الزانية بغيا وهو عليه لقوله يكفروا قاله القاضي وقال الزنجشري هو عليه لقوله اشتروا وقوله الاتي ان ينزل عليه لقوله بغيا أى لان ينزل والمعنى انهم باعوا أنفسهم بهذا الثمن الجنس حسدا ومما فسده (أن ينزل الله من فضله) وليس بواجب عليه (على من يشاء من عباده فباؤا)

ان يركعوا مع الراكعين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقول كونوا معهم ومنهم وقال علي بن طلحة عن ابن عباس يعني بالزكاة طاعة الله والاخلاص وقال وكيع عن أبي جناب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وآتوا الزكاة قال ما يوجب الزكاة قال ما تان فصاعدا وقال مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله تعالى وآتوا الزكاة قال فريضة واجبة لا تنفع الاعمال الا به وبالصلاة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن أبي حيان الميمى عن الحارث العكلي في قوله تعالى وآتوا الزكاة قال صدقة الفطر وقوله تعالى واركعوا مع الراكعين أى وكونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم ومن أخص ذلك وأكمل الصلاة وقد استدلل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة وأبسط ذلك في كتاب الاحكام الكبير ان شاء الله تعالى وقد تكلم القرطبي

على مسائل الجماعة والامامة فاجاد (أتأمررون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) يقول تعالى كيف يليق بك يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمررون الناس بالبر وتنسون أنفسكم فلا تأمررون بما تأمررون الناس به وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فتسبهم وامن ردتكم وتبصر رامن عمايتكم وهذا كما قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى أتأمررون الناس بالبر وتنسون أنفسكم قال كان بنو اسرائيل يأمررون الناس بطاعة الله ويتقوا وادوا بالبر ويخالفون فغيرهم الله عز وجل وكذلك قال السدي وقال ابن جريج أتأمررون الناس بالبر أهل (١٤٤) الكتاب والمنافقون كانوا يأمررون الناس بالصوم والصلاة ويدعون

العمل بما يأمررون به الناس نعيمهم الله بذلك فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة وقال محمد بن اسحق عن محمد بن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وتنسون أنفسكم أي تتركون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون أي تهنون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي اليكم في تصديق رسولي وتنقضون ميثاقى ويخفون ما تعلمون من كتابي وقال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية يقول أتأمررون الناس بالدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما أمرتم به من اقام الصلاة وتنسون أنفسكم وقال أبو جعفر ابن جريح عن علي بن الحسن حدثنا سلم الحري حدثنا محمد بن الحسين عن أيوب السجستاني عن أبي قلابة في قول الله تعالى أتأمررون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب قال أبو الدرداء رضي الله عنه لا يفقه الرجل كل الفقه

أي فرجعوا وصاروا أحقاء (بغضب على غضب) قيل الغضب الاول لعبادتهم المجل والناني لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل لكفرهم بعيسى عليه السلام والانجيل ثم لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن وقيل لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم البغي عليه وقيل ابن عباس الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها والناني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل غير ذلك والتسكير للتعليم (والكافرين عذاب مهين) ذوا هانة مأخوذ من الهوان قيل وهو ما اقتضى الخلود في النار (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) وهو القرآن وقيل كل كتاب أي صدقوا بالقرآن أو صدقوا بما أنزل الله من الكتب (قالوا لو من بما أنزل علينا) أي التوراة (ويكفرون) الواو للحال (بما وراءه) أي بما سواه من الكتب قاله النخعي وما بعده يعني الانجيل والقرآن قاله أبو عبيدة قال الجوهرى وراء بمعنى خلف وقد يكون بمعنى قدام وامام فهى من الاضداد ومنه قوله تعالى وكان وراءهم ملك أي قدامهم وفي الموازنة للامدى وراء ليست من الاضداد انما هو من المواراة والاستتار كما استتر عنكم فهو وراء خلفا كان أو قدما اذا لم تروه لم تشاهد فاما اذا رآته فلا يكون وراء ومنه قوله تعالى وكان وراءهم ملك أي انه كان امامهم وصح ذلك لانهم لم يعاينوه ولم يشاهدوه انتهى قال الخفاجى وهذا لا ينافى قول البيضاوى ولذلك عدم الاضداد لان معناه انه لما أطلق على خلف وقدام وهما ضدان عددا تسمعا على عادة أهل اللغة وان كان موضوعا للمعنى شامل لهما لانه مصدر بمعنى الستر فيهما الكنه قد يستعمل بمعنى الساتر وقد يستعمل بمعنى المستور ولذا قال في القاموس هو من الاضداد أولا وقيل انه مضاف الى الفاعل مطلقا لان الرجل يوارى ما خلقه على من هو قدما وما قدما على من هو خلفه انتهى (وهو الحق) يعنى القرآن (مصدق لما معهم) يعنى التوراة (قل) يا محمد (فلم تقبلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء وهذا كذب لهم لان الايمان بالتوراة منافي لقتل اشرف خلقه وهذا الخطاب وان كان مع الحاضرين من اليهود فالمراد به اسلافهم ولكنهم لما كانوا يرضون بافعال سلفهم كانوا مثلهم وفي الآية دليل على ان من رضى بالمعصية فكانه فاعل لها (ولقد جاءكم موسى) هذا داخل تحت الامر السابق أي وقل لهم لقد جاءكم موسى والغرض منه بيان كذبهم هكذا افاده البيضاوى وكثير من

حتى يفت الناس في ذات الله ثم يرجع الى نفسه فيكون لها أشد مقاما وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المفسرين في هذه الآية هؤلاء اليهود اذا جاء الرجل سألهم عن الشيء ليس فيه حق ولا رشوة أمرهم بالحق فقال الله تعالى أتأمررون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون والغرض ان الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونههم على خطيئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمررون بالخير ولا يفعلونه وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له بل على تركهم له فان الامر بالمعروف معروف وهو واجب على العالم ولكن الواجب والاولى بالعالم أن يفعل مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم كما قال شعيب عليه السلام وما أريد أن أخالفكم الى ما أنها كم عنه ان أريد الاصلاح ما استطعت وما توفى في الا بالله عليه توكلت واليه أئيب فكل

من الامر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قول العلماء من السلف والخلف وذهب بعضهم الى أن ترك تكب المعاصي لا ينهي غيره عنها وهذا ضعيف وأضعف منه تسكهم بهذه الآية فإنه لا حاجة لهم فيها والصحيح أن العالم بأمر بالمعروف وإن لم يفعله وينهي عن المنكر وإن ارتكبه قال مالك عن ربيعة سمعت سعيد بن جبير يقول لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بالمعروف ولا ينهي عن المنكر قال مالك وصدق من ذا الذي ليس فيه شيء (قلت) ولكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيرة فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم ولهذا جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك كما قال الامام أبو القاسم الطبراني (١٤٥) في معجمه الكبير حدثنا أحمد بن محمد بن المعلى

الدمشقي والحسن بن علي العمري قالوا حدثنا هشام بن عمار حدثنا علي بن سليمان الكلبى حدثنا الاعمش عن أبي تيمية الهجيمي عن جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضي للناس ويحرق نفسه هذا حديث غريب من هذا الوجه حديث آخر قال الامام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا وكيع حدثنا جناد بن سلمة عن علي بن زيد هو ابن جندب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بي على قوم تقرض شفاهم بمقاريض من نار قال قلت من هؤلاء قالوا خطباء أمك من أهل الديار من كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون ورواه عبد ابن حميد في مسنده وتفسيره عن الحسن بن موسى عن جناد بن سلمة به ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث يونس بن محمد المؤدب

المفسرين وفيه نظر أشاره أبو السعود (بالينبات) أى بالدلالات الواضحة والمجرات الظاهرة والينبات يجوز أن يراد به التوراة أو التسع الآيات المشار إليها بقوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ويجوز أن يراد بها الجميع (ثم اتخذتم العجل من بعده) أى من بعد النظر في تلك الينبات أو من بعد موسى لما ذهب الى الميقات ليلى بالتوراة (وأنتم ظالمون) أى حال كونكم ظالمين بهذه العبادة الصادرة منكم عناداً بعد قيام الحجية عليكم وانما كرهه بكتبت اليهم وتأكيدهم للحجة عليهم (واذا أخذنا منافعكم ورفعنا فوكم الظور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) قد تقدم تنفسيراً أخذ الميثاق ورفع الظور والامر بالسمع معناه الطاعة والقبول وليس المراد مجرد الادراك بحاسة السمع ومنه قوله سمع الله ان جده أى قبل وأجاب (قالوا سمعنا) أى سمعنا قولك بحاسة السمع (وعصينا) يعنى أمرنا بقولنا أى لا نقبل ما نأمرنا به ويجوز أن يكونوا أرادوا بقولهم سمعنا ما هو معهود من تلاعبهم واستعمالهم المغالطة في مخاطبة أبنائهم وذلك بأن يحملوا قوله تعالى اسمعوا على معناه الحقيقي أى السماع بالحاسة ثم أجابوا بقولهم سمعنا أى أدركنا ذلك بالسمع عملاً بوجوب ما نأمرنا به ولكنهم لما كانوا يعلمون ان هذا غير مراد الله عز وجل بل مراده بالامر بالسمع الامر بالطاعة والقبول لم يقتصر على هذه المغالطة بل خذوا الى ذلك ما هو الجواب عندهم فقالوا وعصينا (وأشر بواي قلوبهم العجل) أى تدخل حبه في قلوبهم ورسخ فيها صورته لقرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما تدخل الصبغ الثوب والشراب أعماق البدن وفيه تشبيه بديع أى جعلت قلوبهم لتمكن حب العجل منها كأنها تشربه وانما عبر عن حب العجل بالشرب دون الاكل لأن شرب الماء يغفل في الاعضاء حتى يصل الى باطنها والطعام يتجاوزها ولا يتغلغل فيها قال أبو السعود في قلوبهم بيان لمكان الاشرب كما في قوله تعالى انما بآكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد انتهى قيل ان موسى أمر أن يبرد العجل ويذرى في النهر وأمرهم أن يشربوا منه فن بنى في قلبه شيء من حب العجل ظهر سحالة الذهب على شاربته وما بعده والاشرب محالطة المائع للجامد ثم اتسع فيه حتى قيل في الانوان نحو اشرب بياضه حمرة (بكفرهم) الباء للسببية أى بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا تبسمة أو حاولية ولم يروا جسماً أعجب منه فتمكن في قلوبهم ماسؤل لهم السامرى (قل

(١٩ ل - فتح البیان) والحجاج بن منهال كلاهما عن جناد بن سلمة به وكذا رواه يزيد بن حرون عن جناد بن سلمة به ثم قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن ابراهيم حدثنا موسى بن حرون حدثنا اسحق بن ابراهيم التستري يبلغ حدثنا مكي بن ابراهيم حدثنا عمر بن قيس عن علي بن زيد عن ثمامة عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مررت ليلة أسرى بي على أناس تقرض شفاهم وألسنتهم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء خطباء أمك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وأخر جناد بن حبان في صحيحه وابن أبي حاتم وابن مردويه أيضاً من حديث هشام الدستوائى عن المغيرة يعنى ابن حبيب بن مالك بن ديار عن مالك بن دينار عن ثمامة عن أنس بن مالك قال لما عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

مر يقوم تقرر ضفافهم فقال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الخطباء من أممك يا حرون الناس بالبر وينسون أنفسهم أفلا يعقلون حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا يعلى بن عيسى حدثنا الاعشى عن أنس قال قال الله لا تكون أول من اقتحمه والله فقال انكم ترون أني لا أكله إلا سمعكم اني لا أكله فيما بيني وبينه ما دون أن اقتحم آخر الأخب أن أكون أول من اقتحمه والله لا أقول لرجل انك خير الناس وان كان على أمير بعد أن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قالوا وما سمعته يقول قال سمعته يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق به أفتابه فيدور به في النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون يا فلان ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف (١٤٦) وتنهانا عن المنكر فيقول كنت أأمركم بالمعروف ولا آتية وأنهم عمر

بسماء يا أمركم به إيمانكم) الذي زعمتم انكم تؤمنون بما أنزل عليكم وتكفرون بما وراءه فان هذا الصنع وهو قولكم سمعنا وعصينا في جواب ما أمرتم به في كتابكم وأخذ عليكم المساق به مناد عليكم بأبلغ نداء بخلاف ما زعمتم وكذلك ما وقع منكم من عبادة العجل ونزول حبه من قلوبكم منزلة الشراب هو من أعظم ما يدل على انكم كاذبون في قولكم تؤمن بما أنزل علينا لصادقون فان زعمتم ان كتابكم الذي آمنتم به أمركم به ما هذا فبئس ما يا أمركم به إيمانكم بكتابكم وفي هذا من التهمك ما لا يخفى (ان كنتم مؤمنين) بزعمكم والمعنى لستم بمؤمنين لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل والمراد أبائهم أي فكذلك لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمدًا والإيمان به الإياض بتكذيبه (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله) أي نعمها لأن الدار الآخرة في الحقيقة هي انقضاء الدنيا وهي للفريقين وهذا رد عليهم لما ادعوا أنهم يدخلون الجنة ولا يشاركونهم في دخولها غيرهم والزام لهم عتائين به أنهم كاذبون في تلك الدعوى وأنهم صادرون عنهم لاعتن برهان (خالصة) مصدر كالعافية والعاقبة وهو بمعنى الخلوص والمراد أنه لا يشاركونهم فيها غيرهم اذا كانت اللام في قوله (من دون الناس) للجنس أو لا يشاركونهم فيها المسلمون ان كانت اللام للعهد وهذا أرجح لقولهم في الآية الأخرى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وهو مؤكده لأن دون تستعمل للاختصاص يقال هذا ذي دنك أو من دنك أي لاحق لك فيه وقد تأتي في غير هذا الالاتقاص في المنزل أو المكان أو المقدار (فمتموا الموت) أي فاطلبوه واسألوه وانما أمرهم بتقوى الموت لأن من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من الحياة إذ لا سبيل الى دخولها الا بعد الموت ولما كان ذلك منهم مجرد دعوى أجزموا (ان كنتم صادقين) في قولكم ودعواكم ولماذا قال سبحانه (وان يتوبوا أبدا) هو ظرف زمان يصدق بالماضي والمستقبل تقول ما فعلت أبدا ذكره السهيمي وقال غنائل وفي الجمعة لا لان لن أبلغ في النبي من لا ودعواهم هنا بالغة فاطعة فتناسب ذكر كل فيها (بما قدمت في الجمعة قاصرة مردودة وهي زعمهم أنهم أولياء الله فتناسب ذكرها فيها) (بما قدمت أي بما قدمت من الذنوب التي يكون فاعلها غير آمن من العذاب بل غير طامع في دخول الجنة فضلا عن كونها خالصة له مختصة به وانما أضاف العمل الى السد لان أكثر جنائيات الانسان تكون من يده وقيل ان الله سبحانه صرفهم عن التمسك ليجعل ذلك آية

المنكر وآتيه ورواه البخاري ومسلم من حديث سليمان بن مهران الاعشى به نحوه وقال أحمد حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعافى الأئمة يوم القيامة ما لا يعافى العلماء وقد ورد في بعض الآثار انه يغفر للجاهل سبعين مرة حتى يغفر للعالم مرة واحدة ليس من يعلم كمن لا يعلم وقال تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب وروى ابن عساكر في ترجمة الوليد ابن عتبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أناسا من أهل الجنة يطلعون على أناس من أهل النار فيقولون بم دخلتم النار فوالله ما دخلنا الجنة الا بما تعلمنا منكم فيقولون انا كنا نقول ولا نفعل ورواه ابن جرير الطبري عن أحمد ابن يحيى الخباز الرملي عن زهير بن عباد الرواسي عن أبي بكر الزاهري عبد الله بن حكيم عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن الوليد بن عتبة قد ذكره وقال الضمالي عن ابن عباس انه جاءه رجل فقال يا ابن عباس اني أريد أن أمر بالمعروف وأنهي عن المنكر قال أبلغت ذلك قال أرجو انه

قال ان لم تخش أن تفتضح شلث آيات من كتاب الله فافعل قال وما هن قال قوله تعالى أنما من الناس بالبر وينسون أنفسهم أن حكمت هذه قال لا قال فالحرف الثاني قال قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون أحكمت هذه قال لا قال فالحرف الثالث قال قول العبد الصالح شعيب عليه السلام وما أريد أن أخالفكم الى ما أنتمأكم عنه ان أريد الا الإصلاح أحكمت هذه الآية قال لا قال فائدة بفساد رواه من مردويه في تفسيره وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا زيد بن الجرح حدثنا عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن المسيب بن رافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من دعا الناس الى قول أو عمل ولم يعمل هو به لم يزل في نفل سخط الله حتى يكف أو يعمل ما قال أو دعا إليه اسناده فيه ضعف وقال ابراهيم النخعي اني لأبكره القصص لثلاث آيات قوله تعالى أأمر ون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقوله يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وقوله اخبارا عن شعيب وما أريد أن أخالفكم الى ما أنها كم عنه ان أريد الا اصلاح ما استطعت وما توفقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها الكبيرة الاعلى الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون) يقول تعالى أمر أعيبه فيما يؤملون من خير الدنيا والآخرة بالاستعانة بالصبر والصلاة كما قال مقاتل بن حيان في تفسير هذه الآية (١٤٧) استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على

لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمراد بالتي هنا هو التلفظ بما يدل عليه لا مجرد خطوره بالقلب وميل النفس اليه فان ذلك لا يرد في مقام الحاجة ومواطن الخصومة ومواقف التحدي وفي تركهم للتي أو صرف فهم عنه محجز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانهم قد كانوا يسلكون من التجرف والتجري على الله وعلى أنبيائه بالدعوى الباطلة في غير موطن ما قد حكاه عنهم التنزيل فلم يتركوا عاداتهم هنا الا لما قد تقرر عندهم من أنهم اذا فعلوا ذلك التفتي نزل بهم الموت اما امر قد علموه أو للصرفة من الله عز وجل وقد يقال قد ثبت النبي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن تتي الموت فكيف أمره الله أن يأمرهم بما هو منهى عنه في شريعته ويجاب بأن المراد هنا الزامهم الحجة واقامة البرهان على بطلان دعواهم عن ابن عباس قال قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان كنتم في مقالكم صادقين فقولوا اللهم أمتنا فوالذي نفسي بيده لا يقول لها رجل منكم الا غص بريقه فمات مكانه وعنه لو أن اليهود تمنوا الماتوا لولوا أممقا عندهم من النار (والله عليم بالظالمين) فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه أعظم من الكفر لأن كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافر فلهذا كان أعظم وكانوا أولى به (ولتجدنهم) اللام للقسمة والنون للتاكيد أي والله لتجدنهم يا محمد وهذا بلغ من قوله وان يقتلوه أبدا (أحرص الناس على حياة) زيادة على عدم تتي الموت والحرص أشد الطلب وتكثير حياة للتحقير أي أنهم أحرص الناس على حقير حياة وأقل لبث في الدنيا فكيف بحياة كثيرة وليست متناول وقال في الكشف انه أراد بالتكثير حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة وتبعه في ذلك الرازي والخازن في تفسيرهما (ومن الذين أشركوا) عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل أحرص من الناس ومن الذين أشركوا ووجه ذكرهم بعد ذكر الناس مع كونهم داخلين فيهم للدلالة على مزيد حرص المشركين من العرب ومن شابههم من غيرهم فمن كان أحرص منهم وهم اليهود كان بالغافي الحرص الى غاية لا يقادر قدرها وانما بلغوا في الحرص الى هذا الحد الفاضل على حرص المشركين لانهم يعلمون بما يحل بهم من العذاب في الآخرة بخلاف المشركين من العرب ونحوهم فانهم لا يقرنون بذلك فكان حرصهم على الحياة دون حرص اليهود والاول وان كان فيه سر وج من الكلام في اليهود الى غيرهم من مشركي العرب لكنه أريح لعدم استمرامه للتكلف ولا ضير في استطراد ذكر

الفرائض والصلاة فأما الصبر فقيل انه الصيام نص عليه مجاهد قال القرطبي وغيره ولهذا يسمى رمضان شهر الصبر كما نطق به الحديث وقال سفيان الثوري عن أبي اسحق عن جري بن كليب عن رجل من بني سليم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصوم نصف الصبر وقيل المراد بالصبر الكف عن المعاصي ولهذا قرنه بأداء العبادات وأعلىها فعل الصلاة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن حنيفة بن اسمعيل حدثنا اسحق بن سليمان عن أبي سنان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الصبر صبران صبر عند المصيبة حسن وأحسن منه الصبر عن محارم الله قال وروى عن الحسن البصري نحو قول عمر وقال ابن المبارك عن ابن لهيعة عن مالك بن دينار عن سعيد بن جبير قال الصبر اعتراف العبد لله بما أصيب فيه واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه وقد يجزع الرجل وهو يتجمل لا يرى منه الا الصبر وقال أبو العالية في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قال على مر ضات

الله واعلموا انهم من طاعة الله وأما قوله والصلاة فان الصلاة من أكر العون على النيات في الامر كما قال تعالى أتأمر ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر الآية وقال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي قال قال عبد العزيز بن أخو حذيفة قال حذيفة يعني ابن اليمان رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى ورواه أبو داود عن محمد بن عيسى عن يحيى بن زكريا عن عكرمة بن عمار كاسيأتي وقد رواه ابن جري من حديث ابن جريج عن عكرمة بن عمار عن محمد بن أبي عبيد بن أبي قدامة عن عبد العزيز بن اليمان عن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ورواه بعضهم عن

عبد العزيز بن أبي حذيفة ويقال أخى حذيفة مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا مسلم بن عثمان العسكري حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة قال قال عكرمة بن عمار قال محمد بن عبد الله الدؤلي قال عبد العزيز قال حذيفة رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب وهو مشتمل في شمله يصلي وكان اذا حزبه أمر صلى حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن أبي أسحق سمع حارثة بن مضرب سمع عليا رضي الله عنه يقول لتقدر أيتنا ليدبر وما فينا الا نائم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ويدعو حتى أصبح قال ابن جرير وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه مر بأبي هريرة وهو منبطح على بطنه فقال له اشكم درد (١٤٨) ومعه أنه أوجع بطنه قال نعم قال قم فصل فان الصلاة شفاء قال ابن جرير

وقد حدثنا محمد بن الفضل ويعقوب ابن ابراهيم قالوا لحدثنا ابن عيسى حدثنا عيسى بن عبد الرحمن عن أبيه أن ابن عباس نفي اليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم نفي عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين وقال سبند عن ججاج عن ابن جريج واستعينوا بالصبر والصلاة قال انهما معونتان على رجة الله والضمير في قوله وانها لكبيرة عائد الى الصلاة نص عليه مجاهد واختاره ابن جرير ويحتمل أن يكون عائدا على ما يدل عليه الكلام وهو الوصية بذلك كقوله تعالى في قصة قارون وقال الذين أوثوا العلم وملككم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون وقال تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم أي وما يليق هذه الوصية الا الذين صبروا

حرص المشركين بعد ذكر حرص اليهود وقال الرازي ان الثاني أخرج ليكون ذلك أبلغ في ابطال دعواهم وفي اظهار كذبهم في قولهم ان الدار الاخرة لنا لا لغيرنا انتهى ويجب عنه بأن هذا الذي جعله من جفا قد أفاده قوله تعالى ولتجدنهم أحرص الناس ولا يستلزم استئناف الكلام في المشركين أن لا يكونوا من جملة الناس (يودأحدهم) بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف وهم المجوس أي بقى أحدهم (لويعمر ألف سنة) أي تعمر ألف سنة وانما خص ألف بالذكر لان العرب كانت تذكر ذلك عند ارادة المبالغة ولا نهائية العقود ولا نهائية المجوس فيما بينهم يقولون زى هزار سال أي عش ألف سنة أو ألف نيزوز أو ألف مهرجان فيختمهم وهذا كناية عن الكثرة فليس المراد خصوص هذا العدد والمعنى أن اليهود أحرص من المجوس الذين يقولون ذلك (وما عو بزخرجه) أي بما عده قبل هو راجع الى أحدهم كما جرى عليه الجلال وعلى هذا يكون قوله أن يعمر فاعلام زخرجه وقيل هو لم يدل عليه يعمر من مصدره أي وما التعمير عزخرجه ويكون قوله أن يعمر بدلائله وحكي الطبري عن فرقة أنها قالت هو عماد وقيل هو ضمير الشأن واليه نحا النار سي تبعا للكوفيين وقيل ما تيمية وهو مبتدأ خبره بزخرجه على زيادة الباء وقيل ما هي الجازية والضمير اسمها وما بعده خبرها والاول أرجح وكذلك الثاني والثالث ضعيف جدا لأن العماد لا يكون الا بين شيئين ولهذا يسمونه ضمير الفصل والرابع فيه أن ضمير الشأن يفسر بجملة سالمة عن حرف جر كما حكاه ابن عطية عن النحاة والزخرجة النخبة يقال زخرجه فترجح أي نخبته فتعني وتباعد (من العذاب) من بمعنى عن أي النار (أن يعمر) أي لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب (والله بصير بما يعملون) لا يخفى عليه خافية من أحوالهم (قل من كان عدوا لجبريل) أي بسبب نزوله بالقرآن المشتمل على سمهم وتكذيبهم هذه الآية قد أجمع المفسرون على أنها نزلت في اليهود قال ابن جرير الطبري وأجمع أهل التأويل جميعا أن هذه الآية نزلت جوابا على اليهود اذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم ثم اختلفوا ما كان سبب قولهم ذلك فقال بعضهم انما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أمر نبوته ثم ذكر روايات في ذلك وجبريل اسم ملك وهو أعجمي فلذلك لم ينصرف والقول باشتقاقه من جبروت الله بعيد لأن الاشتقاق لا يكون في الاسماء

وما يلقاها أي يؤتاها ويلهمها الا ذو حظ عظيم وعلى كل تقدير فقوله تعالى وانها لكبيرة أي شقة ثقيلة الاعلى الاعمدة الخاشعين قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يعني المصدقين بما أنزل الله وقال مجاهد المؤمنتين حقا وقال أبو العالية الاعلى الخاشعين وقال مقاتل بن حيان الاعلى الخاشعين يعني به المتواضعين وقال الضحاك وانها لكبيرة قال انها الثقيلة الاعلى الخاضعة لطاعة الخاشعين سطوته المصدقين بوعده ووعيدوه وهذا يشبه ما جاء في الحديث لقد سألت عن عظيم وأنه ليسير على من يسره الله عليه وقال ابن جرير معنى الآية واستعينوا أيها الاحبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله وبإقامة الصلاة المسانعة من الفحشاء والمنكر المقربة من رضا الله العظيمة أقامتها الاعلى الخاشعين أي المتواضعين المستكينين لطاعته المتدلين

وما يلقاها أي يؤتاها ويلهمها الا ذو حظ عظيم وعلى كل تقدير فقوله تعالى وانها لكبيرة أي شقة ثقيلة الاعلى الاعمدة الخاشعين قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يعني المصدقين بما أنزل الله وقال مجاهد المؤمنتين حقا وقال أبو العالية الاعلى الخاشعين وقال مقاتل بن حيان الاعلى الخاشعين يعني به المتواضعين وقال الضحاك وانها لكبيرة قال انها الثقيلة الاعلى الخاضعة لطاعة الخاشعين سطوته المصدقين بوعده ووعيدوه وهذا يشبه ما جاء في الحديث لقد سألت عن عظيم وأنه ليسير على من يسره الله عليه وقال ابن جرير معنى الآية واستعينوا أيها الاحبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله وبإقامة الصلاة المسانعة من الفحشاء والمنكر المقربة من رضا الله العظيمة أقامتها الاعلى الخاشعين أي المتواضعين المستكينين لطاعته المتدلين

من مخافته هكذا قال والظاهر أن الآية وإن كانت خطبا في سياق انذار بني اسرائيل فانهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص وانما هي عامة لهم ولغيرهم والله أعلم وقوله تعالى الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون هذا من تمام الكلام الذي قبله أي أن الصلاة أو الوصال للفقير الأعلى الخاشع الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم أي يعلمون أنهم محشورون اليه يوم القيامة معروضون عليه وأنهم اليه راجعون أي أمورهم راجعة إلى مشيئته يحكم فيها ما يشاء بعدله فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات وترك المسكرات فاما قوله يظنون أنهم ملاقوا ربهم قال ابن جرير رحمه الله العرب قد تسمى اليقين ظنا والشك ظنا نظير تسميتهم الطلبة سدفه والضياع سدفه والمغيث صارخا والمستغيث (١٤٩) صارخا وما أشبه ذلك من الاسماء التي

يسمى بها الشيء وضده كما قال دريد
ابن الصمة

فقلت لهم ظنوا بأني مدح

سراتهم في الفارسي المسرود

يعني بذلك يظنوا بأني مدح يأتيكم

وقال عمر بن طارق

فان يعبر واقومي وأقعد فيكم

وأجعل مني الظن غيما مرجا

يعني وأجعل مني اليقين غيما مرجا

قال والشواهد من أشعار العرب

وكلامها على أن الظن في معنى

اليقين أكثر من أن تحصر وفيها

ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية ومنه

قول الله تعالى ورأى المجرمون النار

فظنوا أنهم مواقعوها ثم قال ابن جرير

حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عاصم

حدثنا سفيان عن جابر عن مجاهد

كل ظن في القرآن يقين أي ظننت

وظنوا وحدثني المثنى حدثنا

اسحق حدثنا أبو داود الجبزي عن

سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

قال كل ظن في القرآن فهو علم وهذا

سند صحيح وقال أبو جعفر

الرازي عن الربيع بن أنس عن

أبي العباس في قوله تعالى الذين

يظنون أنهم ملاقوا ربهم قال

الاجمعية وكذا قول من قال انه مركب تركيب الاضافة أو تركيب مزج نحو وحضر موت وفيه ثلاث عشرة لغة أفصحها وأشهرها بنو قنديل والضمير في قوله (فانه) يحتمل وجهين الاول أن يكون لله ويكون الضمير في قوله (نزل) لجبريل أي فان الله سبحانه نزل جبريل (على قلبك) وفيه ضعف كما يفيد قوله مصداقا لما بين يديه الثاني أنه لجبريل والضمير في قوله نزل للقرآن أي فان جبريل نزل القرآن على قلبك وخص القلب بالذكر لانه موضع العقل والعلم وخزانة الحفظ وبيت الرب وقد قيل انه في الدماغ (بأذن الله) أي بعلمه وارادته وتيسيره وتسهيله وقال ابن الخطيب تفسير الاذن هنا بالامر أي بأمر الله أولى من تفسيره بالعلم لانه حقيقة في الأمر مجاز في العلم ويجب الحمل على الحقيقة ما أمكن وإذا كان نزوله بأذن الله فلا وجه للعداوة وانما يكون لها وجه لو كان النزول برأيه (مصدقا لما بين يديه) هو التوراة كما سلف أو جميع الكتب المنزلة وفي هذا دليل على شرف جبريل وارتفاع منزلته وانه لا وجه لمعاداة اليهود له حيث كان منه ما ذكر من تنزيل الكتاب على قلبك أو من تنزيل الله له على قلبك وهذا وجه الربط بين الشرط والجواب أي من كان معاديا لجبريل منهم فلا وجه لمعاداته له فانه لم يصدر منه الا ما يوجب المحبة دون العداوة أو من كان معاديا له فان سبب معاداته أنه وقع منه ما يكرهونه من التنزيل وليس ذلك بذنب له وان كرهوه فان هذه الكراهة منهم له بهذا السبب ظلم وعدوان لأن هذا الكتاب الذي نزل به هو مصدق لكتابهم وموافق له (وهدى وبشرى للمؤمنين) أي في القرآن هداية للمؤمنين إلى الأعمال الصالحة التي يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها إذا أتوا بها وعذاب وشدة على الكافرين ثم أتبع سبحانه هذا الكلام بحمله مشتملة على شرط وجراء تتضمن الذم لمن عادى جبريل بذلك السبب والوعيد الشديد له فقال (من كان عدا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل) العداوة من العبد هي صدور المعاصي منه لله تعالى والبغض لأوليائه والعداوة من الله للعبد هي تعذبه بذنبه وعدم التجاوز عنه والمغفرة له قال الكرماني قدم الملائكة على الرسل كما قدم الله على الجميع لأن عداوة الرسل بسبب نزول الكتب ونزولها بتنزيل الملائكة وتنزيلهم لها بأمر الله فذكر الله ومن بعده على هذا الترتيب وانما خص جبريل وميكائيل بعد ذكر الملائكة لقصد النشر يفاهما والدلالة على فضلها ما أنهما وان كانا من الملائكة فقد صارا باعتبار

الظن ههنا يقين قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد والسدي والربيع بن أنس وقتادة نحو قول أبي العباس وقال سديد عن حجاج عن ابن جرير الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم علموا أنهم ملاقوا ربهم كقوله اني ظننت أني ملاق حساسه يقول علمت وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (قلت) وفي الصحيح ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أزوجك ألم أكرمك ألم أسخر لك الخيل والابل وأدرك ترأس وترتع فقول بلى فيقول الله تعالى أظننت انك ملاق فيقول لا فيقول الله اليوم أنساك كما نسيتني وسيأتي مبسوطا عند قوله تعالى نسوا الله فنسيهم ان شاء الله تعالى (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنا في فضلكم على العالمين) يذكرهم تعالى بسالف نعمه على آبائهم وأسلافهم وما كان فضلهم به من ارسال الرسل منهم وانزال الكتب عليهم وبعث

سائر الامم من اهل زمانهم كما قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال تعالى واذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم مالم يؤت احدكم من العالمين قال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي
العالية في قوله تعالى واتى فضلكم على العالمين قال بما أعطوا من الملك والرسول والكتب على عالم من كان في ذلك الزمان فان لكل
زمان عالما وروى عن مجاهد والربيع بن أنس وقتادة واسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك ويجب الحل على هذا لأن هذه الامة افضل
منهم لقوله تعالى خطابا لهذه الامة كنتم خيرا امة اخرجت للناس تأخرون بالمعروف وتسبقون عن المنكر وتؤمنون بالله ولما
أهل الكتاب لكان خيرا لهم وفي المسانيد (١٥٠) والسنن عن معاوية بن حيدة القشيري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنتم توفون سبعين امة أنتم خيرها
وأكرمها على الله والاحاديث في
هذا كثيرة تذكركم عند قوله تعالى
كنتم خيرا امة اخرجت للناس وقيل
المراد تفضل بنوع ما من الفضل
على سائر الناس ولا يلزم تفضيلهم
مطلقا حكاه الرازي وفيه نظر
وقيل انهم فضلو على سائر الامم
لاشتمال امة منهم على الانبياء منهم
حكاه القرطبي في تفسيره وفيه نظر
لان العالمين عام يشمل من قبلهم
ومن بعدهم من الانبياء فابراهيم
الخليل قبلهم وهو افضل من سائر
انبيائهم ومحمد بعدهم وهو افضل
من جميع الخلق وسيد ولد آدم في
الدنيا والاخرة صلوات الله وسلامه
عليه (واقتوا يوما لا تجزي نفس
عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة
ولا يؤخذ منها عدل ولا هم
يضررون) لماذا كرمهم تعالى بنعمه
أولا عطف على ذلك التحذير من
طول نعمته بهم يوم القيامة فقال
واتقوا يوما يعني يوم القيامة
لا تجزي نفس عن نفس شيئا أي
لا يغني أحد عن أحد كما قال ولا تزر
وزرته وزر أخرى وقال لكل امرئ

ما له من المزية بمنزلة جنس آخر أشرف من جنس الملائكة تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة
التغاير الذاتي كما ذكره صاحب الكشف وقدره علماء البيان وفي جبريل ثلاث عشرة لغة
ذكرها ابن جرير الطبري وغيره وفي ميكائيل ست لغات وهما اسمان أعجميان قبل معناه
عبد الله لأن جبروميل بالسريانية هو العبد والاي هو الله والعرب اذا نطق بالعجمي
تساهلت فيه وقال ابن جني خلطت فيه والاولى ما ذكرناه (فان الله عدو للكافرين) فاما
عداوتهم لله فانهم لا تضرو ولا تؤثرو وعداوتهم لهم تؤذيهم الى العذاب الاليم الدائم الذي
لا ضير أعظم منه (ولقد أنزلنا اليك يا محمد آيات بينات) أي واخبات دالة على معانيها
وعلى كونها من عند الله مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام أو علامات دالة
على نبوتك (وما يكفر بها) أي ما يجذب هذه الآيات (الا الفاسقون) أي الخارجون عن
طاعتنا وما أمرنا به والظاهر أن المراد جنس الناس قبيح ويحتمل أن يراد اليهود لان الكلام
معهم والاول أولى لانهم داخلون فيه دخولا أوليا (أو كلما عاهدوا عهدا) استقهم
انكار (بذوق ريق) أصل البذوق طرح والاقام منه شئ اللقيط منبذوا ومنسحق
النبيذ وهو الترويض الزيب اذا طر حافي الماء وهو حقيقة في الاجرام واستناده الى العهد
بجاز (منهم) يعني اليهود (بلا كثرهم لا يؤمنون) يعني كفر فريق منهم بنقض العهد
وفريق منهم بالحد للحق والمعنى على انكار الباقية والمناسبة أي لا ينبغي منهم بهذا العهد
كلما عاهدوه (ولما جاءهم رسول من عند الله) يعني بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا
أسنع عليهم مما قبله (مصداق لمعهم) أي بسحبة التوراة وأن التوراة بشرت بنبوته محمد
صلى الله عليه وآله وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان مجزءا من بعثته مصداقا
للتوراة فانفقت التوراة والقرآن (بذوق ريق من الذين أوثوا الكتاب) أي اليهود (كتاب
الله) أي التوراة قال السدي لما جاءهم صلى الله عليه وآله وسلم عارضوه بالتوراة
فانفقت التوراة والفرقان فنبذوا التوراة لموافقة القرآن لها وأخذوا بكتاب آصف
وسحر شاروت وماروت فلم يوافق القرآن أولئك منهم لما كفروا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم
وبما أنزل عليه بعد أن أخذ الله عليهم في التوراة الايمان به وتصدقته واتباعه وبين لهم
صفتهم كان ذلك منهم نبذ التوراة ونقضها لها ورفضها فيها ويجوز أن يراد بالكتاب هنا
القرآن أي لما جاءهم رسول من عند الله مصداق لمعهم من التوراة نبذوا كتاب الله

منهم يومئذ شأن يغضبهم وقال يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده الذي
شئنا فهدأ أبلغ المقامات ان كلاما من الوالد وولده لا يغني أحدهما عن الآخر شيئا وقوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة يعني من
الكافرين كما قال فاستشفعهم شفاعة الشافعين وكما قال عن أهل النار فمالنا من شافعين ولا صديق حميم وقوله تعالى لا يؤخذ منها
عدل أي لا يقبل منها فدا كما قال تعالى ان الذين كفروا وماؤواهم كفار فلن يقبل من أحدكم ملء الارض ذهبوا ولا اقتدى به وقال
ان الذين كفروا وان لهم ما في الارض جميعا ومثله منعة ليقبذوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم وقال تعا
وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها وقال فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا وانما أكم النار هي مولاكم الآية فأنه

تعالى أنهم ان لم يؤمنوا برسوله ويتابعوه على ما بعثه به ووافوا الله يوم القيامة على ما هم عليه فانه لا ينفعهم قرابة قريب ولا شفاعة
 ذى جاه ولا يقبل منهم فداء ولو جعل الارض ذهباً كما قال تعالى من قبل أن ياتي يوم لا يسع فيه ولا خلة ولا شفاعة وقال لا يسع
 فيه ولا خلل قال سنده حدثني حجاج بن حريج قال قال مجاهد قال ابن عباس ولا يؤخذ منها عدل قال بدل والبذل القدية
 وقال السدي اما عدل فبعدلها من العدل يقول لوجه من عمل الارض ذهباً تقضى به ما تقبل منها وكذا قال عبد الرحمن بن زيد
 ابن أسلم وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله ولا يقبل منها عدل يعني فداء قال ابن أبي حاتم وروى
 عن أبي مالك والحسن وسعيد بن جبيرة وقادة والربيع بن أنس نحو ذلك (١٥١) وقال عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن

الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه
 عن علي رضى الله عنه في حديث
 طويل قال والصرف والعدل
 التطوع والقرية وكذا قال
 الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي
 العاتكة عن عمر بن هانئ وهذا
 القول غريب ههنا والقول الاول
 أظهر في تفسير هذه الآية وقد ورد
 حديث يقويه وهو ما قال بن جرير
 حدثني فحج بن ابراهيم حدثنا علي
 ابن حكيم حدثنا جدي بن عبد الرحمن
 عن أبيه عن عمرو بن قيس الملائي
 عن رجل من بني أمية من أهل
 الشام أحسن عليه الثناء قال قيل
 يا رسول الله ما العدل قال العدل
 القدية وقوله تعالى ولا هم
 ينصرون أى ولا أحد يغضب لهم
 فينصرهم وينقذهم من عذاب
 الله كما تقدم من أنه لا يعطف عليهم
 ذو قرابة ولا ذوجه ولا يقبل منهم
 فداء هذا كله من جانب التلطف
 ولا لهم ناصر من أنفسهم ولا من
 غيرهم كما قال فالهم من قوة ولا
 ناصر أى أنه تعالى لا يقبل فيمن
 كفر به فدية ولا شفاعة ولا ينقذ
 أحد من عذابه منقذ ولا يخلص

الذى جاء به هذا الرسول والاول أولى لان النبذ لا يكون الا بعد التسك والقبول ولم
 يتسكوا بالقرآن (وراء ظهورهم) هذا مثل يضرب لمن يستخف بالشيء فلا يعمل به تقول
 العرب اجعل هذا خلف ظهرك وذر أدنك وتحت قدمك أى اتركه وأعرض عنه (كانهم
 لا يعلمون) تشبيه لهم عن لا يعلم شياع كونهم يعلمون علماء يقيمون التوراة بما يجب عليهم
 من الايمان بهذا النبي ولكنهم لم يعلموا بالعلم بل عملوا على ما لا يعلم من نذ كتاب الله
 وراء ظهورهم كانوا بمنزلة من لا يعلم وعلماء اليهود تجاهلوا وجههم على ذلك عداوة
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا قليلين (واتبعوا) عطف على نذ (ما تتلو الشياطين على
 ملك سليمان) يعنى اليهود والتلاوة القراءة قال الزجاج على عهد سليمان وقيل المعنى في
 زمن ملكه وقيل في قصصه وصفاته وأخباره قال الضراء تصلى على وفى في هذا الموضع
 والاول أظهر وقيل يضمن تلوا معنى تتقول أى تتقول على ملك سليمان وهذا أولى فان
 التجوز في الأفعال أولى من التجوز في الحروف وقد كانوا يظنون أن هذا هو علم سليمان
 وانه يستجيزه ويقول به فرد الله ذلك عليهم وقال (وما كفر سليمان) يعنى بالسحر ولم يعمل
 به وسليمان علم أعجمي فلذلك لم ينصرف وقال أبو البقاء فيه العجمة والتعريف والالف
 والنون وهذا الثابت اذا دخله الاشتقاق والتعريف وقد تقدم أنهم لا يدخلان في
 الاسماء العجمية وفيه تنزيه سليمان عن السحر ولم يقدم أن أحد انساب سليمان الى
 الكفر ولكن لما نسبته اليه الى السحر صاروا بمنزلة من نسبته الى الكفر لان السحر
 يوجب ذلك وقالوا ان سليمان ملك الناس بالسحر ولهذا أثبت الله سبحانه كفر الشياطين
 فقال (ولكن الشياطين كفروا) أى بتعليمهم قرأ ابن عاصم والكوفيون سوى عاصم ولكن
 بالتخفيف ورفع الشياطين والباقيون بالتشديد والنصب عن ابن عباس قال ان الشياطين
 كانوا يسترقون السمع من السماء فاذا سمع أحدهم بكلمة حق كذب معها ألف كذبة
 فأشربتها قلوب الناس واتخذوها دواوين فأطلع الله على ذلك سليمان بن داود فأخذها
 فدفعها تحت الكرسي فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق فقال ألا ادلكم على كنز
 سليمان الذى لا كنز له مثل كنزه المضع قالوا نعم فخرجوه فاذا هو بحرقنا سحنتها
 الا هم وأزل الله عذر سليمان فيما قالوا من السحر فقال واتبعوا الآية أخرجه الحاكم
 وصححه وأخرج النسائي وابن أبي حاتم عنه قال كان آصف كاتب سليمان وكان يعلم

منه أحد ولا يجير منه أحد كما قال تعالى وهو يميز ولا يجار عليه وقال فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد وقال مالك
 لا تنصرون بل هم اليوم مستسلمون وقال فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم الآية وقال
 الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى مالكم لا تنصرون مالكم اليوم لا تمنعون منها هيأت ليس ذلك لكم اليوم قال ابن جرير
 وتأويل قوله ولا هم ينصرون يعنى أنهم يومئذ لا ينصرهم ناصر كما لا ينفع لهم شافع ولا يقبل منهم عدل ولا فدية بطلت هنالك
 المحاباة واضمحلت الرشا والشفاعات وارتفع من القوم الناصر والتماعون وصاروا الخكم الى الجبار العدل الذى لا يتفقد له الشفعاء
 والنصير فيجزى بالسيئة مثلهن بالحسنه أضعافها وذلك نظير قوله تعالى وقضوهم انهم مسؤولون مالكم لا تنصرون بل هم اليوم

مستسلمون (واذنبيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك لعلكم تتقون) يقول تعالى إذ کروا بنی اسرائیل نعمتی علیکم اذنبیناکم من آل فرعون یسومونکم سوء العذاب ائی خلاصتکم منهم واثقتکم من ایدیهم صیبتهم موسی علیه السلام وقد کانوا یسومونکم ائی یوردونکم ویدقونکم ویولونکم سوء العذاب وذلك ان فرعون لعنه الله کان قد سار رأی رؤیاء الله رأی ناراً خرجت من بیت المقدس فدخلت بیوت القبط ببلاد مصر الا بیوت بنی اسرائیل مضمونها ان زوال ملکة یدکی یدکی رجل من بنی اسرائیل ویقال بعد تحدت (١٥٢) سماره عنده بأن بنی اسرائیل یوقعون خروج رجل منهم یتكون لهم به دولة

ورفعة وهكذا جاء فی حدیث الثنون كما سیأتی فی موضعه فی سورة طه ان شاء الله تعالی فعند ذلك أمر فرعون لعنه الله بقتل کل ذکر یولد بعد ذلك من بنی اسرائیل وان تترك البنات وأمر باستعمال بنی اسرائیل فی مشاق الاعمال وأرد لها وهنما فسر العذاب بذبح الابناء فی سورة ابراهیم عطف علیه كما قال یسومونکم سوء العذاب ویذبحون أبناءکم ویستحيون نساءکم وسیأتی تفسیر ذلك فی أول سورة القصص ان شاء الله تعالی وبه الثقة والمعونة والتأیید ومعنی یسومونکم یولونکم قاله أبو عبدة كما یقال سامه خطه خسف اذا أولاه ایاها قال عمرو بن کنثوم

اذا مالک سام الناس خسفا

أبناء ان نقر الخسف فینا وقيل معناه یدبون عذابکم كما یقال سائمة الغنم من ادامتها الرعی نقله القرطبی وانما قال ههنا یذبحون أبناءکم ویستحيون نساءکم لیکون ذلك تفسیراً للنعمة علیهم فی قوله یسومونکم سوء

الاسم الاعظم وكان یتکب کل شیء بأمر سلیمان ویدفعه تحت کرسیه فلما مات سلیمان أخرجه الشیاطین فکتبوا بین کل سطرین سحراً وکفراً وقالوا هذا الذی کان سلیمان یعمل به فاکفره جهال الناس وسبوه ووقف علماءهم فلم یزل جهالهم یسبونہ حتی أنزل الله علی محمد صلی الله علیه وآله وسلم واتبعوا الایة (یدلمون الناس السحر) وهو ما یفعله الساحر من الحیل والتخیلات الاتی یحصل بسببها المصحور ما یحصل من الخواطر الفاسدة الشبهة بما یقع لمن یرى السراب فیظنه ماء وما یظنه راكب السفینة أو الدابة من أن الجبال تسیر وهو متیق من سحر الصبی اذا خدعته وقيل أصل الخفاء فان الساحر یفعله خفیة وقيل أصله الصفر لان السحر مصروف عن جهته وقيل أصله الاسمة لان من سحرک استمالک وقال الجوهری السحر الاخذة وکل ما طف مأخذه ودق فهو سحر والساحر العالم وقال الغزالی السحر نوع یستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمر حسابیة فی مطالع النجوم فیتخذ من تلك الخواص هیکل علی صورة الشخص المسحور ویترصد له وقت مخصوص من المطالع وتقرن به کلمات یتلفظ بها من الذکر والفحش المخالف للشرع ویتوصل بسببها الی الاستغاثة بالشیاطین وتحصل من مجموع ذلك بحکم اجراء الله العادة أحوال غریبة فی الشخص المسحور انتهی وقد ذکر أبو السعود أنواعاً من السحر فلیرجع الیه وقد اختلف حل للاحقیقة أم لا فذهب المعتزلة وأبو حنيفة الی أنه خدع لأصل له ولا حقیقة وذهب من عداهم الی أن له حقیقة مؤثرة وقد صرح أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم سحر سحره لیبذل الاعصم الیه وادی حتی کان یخیل الیه أنه یأتی الشیء ولم یکن قدأناه ثم شفاه الله سبحانه والکلام فی ذلك یطول وعبد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم السحر من البکائر وشاهد بالشرب كما فی الصحیحین (و) ائی ویعلمون الناس (ما أنزل علی الملائکین) فهو معطوف علی السحر والمراد به ما وخذوا العطف لتغایر الاعتبار أو هو نوع أقوى منه أو علی ما تلوا وما ینهم ما اعتراض ائی واتبعوا ما أنزل الخ قال السیدی هذا سحر آخر خاصه به فان کلام الملائكة فیمابینهم اذا علمته الانس فصنع وعمل به کان سحراً (بیابیل) ائی فی بابل وهو اسم أرض أو بلد فی سواد العراق أو أرض الکوفة قاله ابن مسعود وقيل جبل دماوند وقيل نهانند وقيل نصیبین وقيل المغرب ومنع الصرف للجمعة والعلمیة أو للتأیید والعلمیة سمیت بذلك لتبلیل السنة الخلاق بها والبلدة

العذاب ثم فسر بهذا القول ههنا واذ کروا نعمتی الاتی أنعمت علیکم وأما فی سورة ابراهیم فلما قال وذکرهم بایام التفرقة الله ائی بایادیه ونعمه علیهم فناسب ان یقول ههنا یسومونکم سوء العذاب ویذبحون أبناءکم ویستحيون نساءکم فعتطف علیه الذبح لیدل علی تعدد النعم والایادی علی وفرعون علم کل من ملک مصر کافر من العمالمیق وغيرهم كما أن قیصر علم علی کل من ملک الروم مع الشام کافراً وکسری لمن ملک الفرس وتسع لمن ملک الین کافراً والنجاشی لمن ملک الحبشة و بطلموس لمن ملک الیند ویقال کان اسم فرعون الذی کان فی زمن موسی علیه السلام الولید بن مصعب بن الزیان وقيل مصعب بن الزیان فکان من سلالة علی بن الاود بن ارم بن سام بن نوح وکنیة أبومرّة وأصله فارسی من اصطخر وأما ما کان فعله لعنه الله وقوله تعالی

وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال ابن جرير وفي الذي فعلنا بكم من انجائنا آباءكم كما كنتم فيه من عذاب آل فرعون بلاء لكم من ربكم عظيم أي نعمة عظيمة عليكم في ذلك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى بلاء من ربكم عظيم قال نعمة وقال مجاهد بلاء من ربكم عظيم قال نعمة من ربكم عظيمة وكذا قال أبو العالية وأبو مالك والسدي وغيرهم وأصل البلاء الاختبار وقد يكون بالخير والشر كما قال تعالى ونبأكم بالشر والخير فتنة وقال أبو ناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون قال ابن جرير وأكثر ما يقال في الشر بلوته أو ببلوته بلاء وفي الخير بلاء بلاء بلاء (١٥٣) قال زهير بن أبي سلمى

بحرئ الله بالاحسان ما فعلا بكم
وأبلاهما خيرا بلاء الذي يلو
قال جهم بن المغيرة لأنه أراد فأنعم
الله عليهم ما خيرا نعم التي يجتبر بها
عباده وقيل المراد بقوله وفي ذلكم بلاء
إشارة إلى ما كانوا فيه من العذاب
المهين من ذبح الإبناء واستحياء
النساء قال القرطبي وهذا قول
الجمهور ولفظه بعدما حكى القول
الأول ثم قال وقال الجمهور
الإشارة إلى الذبح ونحوه والبلاء
ههنا في الشر والمعنى وفي الذبح
مكروه وامتحان وقوله تعالى
واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم
وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون
معناه وبعد أن أنقذناكم من آل
فرعون وخرجتم مع موسى عليه
السلام خرج فرعون في طلبكم
ففرقنا بكم البحر كما أخبر تعالى عن
ذلك مفصلا كما سيأتي في مواضعه
ومن أبسطها في سورة الشعراء أن
شاء الله فأنجيناكم أي خلاصناكم
منهم وخرجنا بينكم وبينهم
وأغرقناهم وأنتم تنظرون ليكون
ذلك أشقى لصدوركم وأبلغ في أهانة
عدوكم قال عبد الرزاق آباءنا معمر

الفرقة وقيل إن ما في قوله وما أنزل على الملوك ناقة والواو عاطفة على قوله وما كفر
سليمان وفي الكلام تقديم وتأخير والتقدير وما كفر سليمان وما أنزل على الملوك
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر يسابل (هاروت وماروت) فهاروت
وमारوت بدل من الشياطين على قراءة التشديد والنصب في قوله ولكن الشياطين كفروا
ذكره ابن جرير وأما على قراءة التخفيف والرفع فهو منصوب على الذم وهو بدل بعض
ومن فسرهما بقبيلتين من الجن يكون عنده بدل كل وقال ابن جرير فإن قال لنا القائل
وكيف وجه تقديم ذلك قيل تقديمه ان يقال واتبعوا ما اتلوا الشياطين على ملك سليمان
وما كفر سليمان وما أنزل الله على الملوك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
يسابل هاروت وماروت فيكون معنيا بالملوك جبريل وميكائيل لأن سحرة اليهود فيما
ذكر كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود
فأكذبهم الله بذلك وأخبر بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر
وبرأ سليمان مما نالوه من السحر وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين وإنما تعلم الناس
ذلك يسابل وأن الذي يعلمونهم ذلك رجلان أحدهما هاروت والآخر ماروت فيكون
هاروت وماروت على هذا التأويل ترجعة عن الناس وردا عليهم انتهى يعني أنه بدل من
الناس أي يعلمان الناس خصوصاً هاروت وماروت وقال القرطبي في نفسه بعد أن
حكى معنى هذا الكلام ورجح أن هاروت وماروت بدل من الشياطين ما لفظه هذا أولى
ما حلت عليه الآية وأصح ما قيل فيها ولا يلتفت إلى سواه فالسحر من استخراج الشياطين
للطاقة بجوهرهم ودقة أفهامهم وأكثر ما يتعاطاه من الأنس النساء وخاصة في حال طمأنينة
قال الله ومن شر النفاثات في العقد ثم قال إن قيل كيف يكون اثنان بدلا من جمع والبدل
انما يكون على حد المبدل منه ثم أجاب عن ذلك بأن الاثنين قد يطلق عليهما الجمع أو انهما
خصا بالذكور دون غيرهما لتمردهما ويؤيد هذا أنه قرأ ابن عباس والخنزيرة والحسن
الملكين بكسر اللام ولعل وجه الخزم بهذا التأويل مع بعده وظهور تكلفه تنزيه الله
سبحانه أن ينزل السحر إلى أرضه فتنة لعباده على ألسن ملائكته وعندى أنه لا موجب
لهذا التعسف الخفاف لما هو الظاهر فإن الله سبحانه أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن
بنهر طحوت ولهذا يقول الملك انما نحن فتنة ويؤيده ما قال أبو السعود أن مقام وصف

(٢٠ ل - فتح البيان) عن أبي اسحق الهمداني عن عمرو بن ميمون الأودي في قوله تعالى واذا فرقنا بكم البحر إلى قوله وأنتم
تنظرون قال لما خرج موسى بنى إسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال لا تتبعوهم حتى تصبح الديكة قال فوالله ما صاح لي لتتذدك حتى
أصبحوا فدعا بشاة فدبحت ثم قال لا أفرغ من كبدها حتى يجمع إلى ستمائة ألف من القبط فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع إليه
ستمائة ألف من القبط فلما أتى موسى البحر قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع بن نون أين أمر ربك قال أما ما يشير إلى البحر
فأقيم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغمر فذهب به الغمر ثم رجع فقال أين أمر ربك يا موسى فوالله ما كذبت ولا كذبت فعل

ذلك ثلاث مرات ثم أوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ففلق فكان كل فرق كالطود العظيم يقول مثل الجبل ثم سار موسى ومن معه واتبعهم فرعون في طريقهم حتى إذا استأوا فيه أضيقه الله عليهم فلذلك قال وعمر قنائل فرعون وأنتم تنظرون وكذلك قال غير واحد من السلف كما ساقى بيانه في موضعه وتدور أن هذا اليوم كان يوم عاشوراء كما قال الإمام أحمد حدثنا عثمان حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء (١٥٤) فقال ما هذا اليوم الذي تصومون قالوا هذا يوم صالح خذنا يوم

نحي الله عز وجل فيه بنى إسرائيل من عذوبهم فصامه موسى عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أحق بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصومه وروى عن هذا الحديث البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق عن أيوب السخيتاني به شيوخنا تقدم وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو الزريع حدثنا سلام يعني بن سليم عن زيد العمى عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلق الله البحر لبنى إسرائيل يوم عاشوراء وهذا ضعف من هذا الوجه فان زيد العمى فيه ضعف وشيخنا يزيد الرقاشي أضعف منه (وأذوا عذنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تتكفرون وإذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) يقول تعالى وإذا كروا نعمتي عليكم في عتوي عنكم لعلكم تتقون العجل بعد ذهاب موسى لملاقات ربه عند انقضاء أمسه المواعيد وكانت

الشياطين بالكفر واضل الناس مما لا تلاحظه وصف رؤسائهم بعد ذلك من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان الآية في حكم تضييع المبدأ منه وقال عاروت وماروت عطف بيان للمساكين علمان لهما وقرى يرفع على عمارات وماروت انتهى المراد منه قال ابن جرير روى عن كثير من السلف اني انهما كانا ملكين من الجن وانهما أتتا إلى الارض فكان من أمرهما ما كان وكان عبد الرحمن بن أبي ربيعة يقرأها وما أنزل على الملكين داود وسليمان وقال النخعي عن عبد العباس بن أحمد بن عماروت وماروت اسمان أعجميان لا يعرفان وعبد اسر يان ويصمغان على حواريت ومواريت وحوارية وموارية وليس من زعمه اشتقاقا من الحيرة والحمر وهو أن كسر يصيب لعدم انصرفهما في كمال استحقاق كما ذكرنا تصرفا فخرج اليه في شعب اليماني من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنشرفت الملائكة على الدنيا فرأت بنى آدم يعصون فقلت يا رب ما أجول هؤلاء وما أقل معرفتهم هؤلاء يعظمون فقال الله لو كنتم في سلاخيه لعصيتوني قالوا كيف يكون هذا ونحن نسمع بحديثنا ونقدس له قال فاختاروا منكم مائة من الملائكة فاختاروا عاروت وماروت ثم أخذوا إلى الارض وركبت فيهما ثم واثبتا بنى آدم ومثلت ليهما امرأة واحدة حتى واقعا فنعصت فقال الله اختار عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فنظر أحدهما صاحبه قال ما تقول قال أقول ان عذاب الدنيا ينقطع وان عذاب الآخرة لا ينقطع فاختار عذاب الدنيا فيسأ اللذان ذكرته في حديثه وما أنزل على الملكين الآية وقد رويت هذه القصة عن ابن عمر بانها طوي في بعضها انه يروي ذلك ابن عمر عن كعب بن جابر كما أخرجه جماعة من أهل الآثار وأخرج أحمد وصححه عن علي بن أبي طالب ان هذه المرأة تدعى العروبة الزهرية والنجم أنا أحمد قال ابن كثير وهذا الاسناد درجة ثقات وهو غريب جدا وعن ابن عباس الزهرية امرأة وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حنبل عن ابن عمر اني فتن بها الملك كان سميت في هذه شي أنكر كعب الخراء يعني الزهرية وقيل وكنت من ظم أو من أهل فارس ملكة في بلد وكنت من أجل انك كنت من جنسها الله كوكبا وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأحمد وصححه ونسبته في الشعب عنه فان كركصة طويلة وفيها انتصر بين الملكين شربا الخمر وزينا المرأة وتلاها وعن ابن مسعود قال انهم أنزلت اليه زهرية في صورة

أربعين يوما وحى المذكرة في الاعراف في قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتينا بها عشرين قيل لهم ذوالقعدة امرأة بكاء وعشر من ذى الحجة وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون وانجائهم من البحر وقوله تعالى وإذا آتينا موسى الكتاب والفرقان رحوما يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلالة لعلكم تهتدون وكان ذلك أيضا بعد دخوله من البحر كما دل عليه سياق الكلام في سورة الاعراف ولتروا تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب والفرقان الا اني بصائر الناس وهدى ورجة عليهم يتذكرون وقيل ان اوزاثة والمعنى ونسأ آتينا موسى الكتاب والفرقان وهذا غريب وقيل عطف عليه وان

كان المعنى واحدا كما في قول الشاعر وقد تم الادب لرافشه ، فالتى قولها كذا وبينا وقال الآخر
 ألا حبذا هند وأرض بها هند ، وهند أتى من دونها التأى والبعد فالكذب هو المين والتأى هو البعد وقال عنتره
 حيث من طلل تقادم عهده * أقوى وأقبر بعد أم الهشم فغطف الاقمار على الاقواء وهو هو (واذ قال موسى لقومه يا قوم
 انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقبلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب
 الرحيم) هذه صفة توبته تعالى على بنى اسرائيل من عبادة العجل قال الحسن (١٥٥) البصرى رحمه الله فى قوله تعالى واذ

قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم
 أنفسكم باتخاذكم العجل فقال
 ذلك حين وقع فى قلوبهم من شأن
 عبادتهم العجل ما وقع حتى قال الله
 تعالى ولما سقط فى أيديهم ورأوا
 انهم قد ضلوا قالوا لنم لم يرجعنا ربنا
 ويغفر لنا الآية قال فذلك حين
 يقول موسى يا قوم انكم ظلمتم
 أنفسكم باتخاذكم العجل وقال
 أبو العالية وسعيد بن جبيرة والربيع
 ابن أنس فتوبوا الى بارئكم أى الى
 خالقكم قلت وفى قوله ههنا الى
 بارئكم تنبيه على عظم جرمهم أى
 فتوبوا الى الذى خلقكم وقد
 عيذتم معه غيره وقد روى النسائي
 وابن جرير وابن أبى حاتم من حديث
 يزيد بن هرون عن الاصمعي بن زيد
 الوراق عن القاسم بن أبى أيوب عن
 سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال
 فقال الله تعالى ان توبتهم أن يقتل
 كل واحد منهم من لقي من والدوده
 فبقته بالسيف ولا يالى من قتل فى
 ذلك الموطن فتاب أولئك الذين
 كانوا اخي على موسى وهرون
 ما طلع الله على ذنوبهم فاعترفوا
 بها وفعلا ما أمروا به فغفر الله

أمرأة وانهم ما وقعوا فى الخطيئة وقد روى فى هذا الباب قصص طويلة وروايات مختلفة
 استوفاهما السيوطى فى الدر المنثور وذكر ابن كثير فى تفسيره بعضها ثم قال وقد روى فى
 قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كجاهد والسدى والحسن البصرى وقتادة
 وأبى العالية وغيرهم وقصصا خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع
 فى تفصيلها الى أخبار بنى اسرائيل اذ ليس فيها حديث مرفوع متصل الاسناد الى
 الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن اجمال القصة
 من غير بسط ولا اطباق فيها فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن على ما أراد الله تعالى والله
 تعالى أعلم انتهى وقال أبو السعود ههنا معذبان يسابل قيل معلقان بشعورهم ما قيل
 منكوسان يضربان بسيطا الحديد الى قيام الساعة وهذا مما لا تعويل عليه لما أن مداره
 رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لدلالة العقل والنقل انتهى ومثله فى الخازن وشعوره فى
 المظهرى وهذا القول يقتضى ان هذه القصة غير صحيحة وانهم لم تثبت بنقل معتبر وتبع
 أبو السعود فى ذلك البيضاوى التابع فى ذلك للفخر الرازى والسعد التفتازانى وغيرهما
 ممن أطال فى ردها لكن قال الشيخ زكريا الانصارى الحق ما أفاده شيخنا حافظ عصره
 الشهاب ابن حجران لها طرافة تفيد العلم بصحتها فقد رواها هريرة فوعة الامام أحمد وابن حبان
 والبيهقى وغيرهم وموقوفة على ابن مسعود وابن عباس وغيرهم بأسانيد صحيحة قال
 الخفافى قال المحدثون وجميع رجاله غير موثق بهم لكن قال خاتمة الحفاظ الشهاب ابن
 حجران له طرقا كثيرة جعته فى جزء مفرد يكاد الواقف عليها يقطع بصحتها اكثر من وقوة
 تخارجها وقال بعضهم بلغت طريقه ثيفا وعشرين انتهى قلت والبيضاوى لما استبعد
 هذا الموقوف ولم يطلع عليه قال انه يحكى عن اليهود ولعله من رموز الاولين ذكره الخطيب
 وكذا أصل الكلام طعنوا فى هذه القصة وعدوها من المحالات لمسخ الانسان كوكبا كما
 بينوه فى كتبهم وحاول البيضاوى التوفيق بانها غشيلات كقصص ابسال وسلامان وحريز
 مقطان وغير ذلك مما وضعه المتقدمون والمتأخرون اشارة الى أن القوى لو ركت
 فى تلك لعصت وأسماء الله وما جأته تلحق السفلى بالعلوى ونحوه هذا وقد أطنب الشيخ ابن
 حجر المكي فى جواب الرازى واستبعاده لهذه القصة فى كتابه الزاوج بالامزيد عليه
 وقال القرطبي بعد سياق بعض تلك قلنا هذا كله ضعيف بعيد عن ابن عمر وغيره لا يصح

للقائل والمتقول وهذا قطع من حديث الفتون وساقى فى سورة طه بكلامه ان شاء الله وقال ابن جرير حديث عبد الكريم بن الهشم
 حدثنا ابراهيم بن بشار حدثنا سفيان بن عيينة قال قال أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال موسى لقومه توبوا الى بارئكم
 فاقبلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم قال أمر موسى قومه عن أمر ربه عز وجل أن
 يقبلوا أنفسهم قال وأخبر الذين عبدوا العجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا على العجل فأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابهم ظلمة
 شديدة جعل يقتل بعضهم بعضا فانجحت الظلمة عنهم وقد جأوا عن سبعين ألف قتيل كل من قتل منهم كانت له توبة وكل من بقى كانت له

قوة وقال ابن جرير أخبرني القاسم بن أبي برة أنه سمع سعيد بن جبيرة ومجاهدا يقولان في قوله تعالى فاقبلوا أنفسكم قال أقام بعضهم إلى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضا لا يختار رجل على قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى شوبه فطرحوا ما بأيديهم فكشف عن سبعين ألف قبيل وإن الله أوحى إلى موسى أن حسي فقد اكتنفت فذلك حين ألوى موسى شوبه وروى عن علي رضي الله عنه نحو ذلك وقال قتادة أمر القوم بشديد من الأمر فقاموا يتساحرون بالشفار يقتل بعضهم بعضا حتى بلغ الله فيهم ثقتهم فسقطت الشفار من أيديهم فامسك عنهم القتل (١٥٦) فجعل لهم توبة ولم يقتل شهادة وقال الحسن البصري أصابهم ظلة

منه شيء فاقبلوا تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه وسفر أروء إلى رساله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ثم ذكر ما معناه أن العقل يجوز وقوع ذلك منهم لكن وقوع هذا البخار لا يدرك إلا بالسمع ولم يصح انتهى وأقول هذا مجرد استبعاد وقد ورد الكتاب العزيز في هذا الموضع بما تراه ولا وجه لآخر أجده عن ظاهرهم هذه التكلفات وما ذكره من أن الأصول تدفع ذلك فعلى فرض وجود هذه الأصول فيبي محصية بما وقع في هذه القصة ولا وجه لمنع التخصيص وقد كان ابليس بتلك المنزلة العظيمة وصار أشد البرية وأكفر العالمين (وما يعلمان من أحد) أي هاروت وماروت أو الرجالان والاول أولى قال الزجاج تعليم انذار من السحر لا تعليم دعاء اليه قال وهو الذي علمه أكثر أهل اللغة والنظر ومعناه انهما يعلمان على النهي فيقولان لهم لا تتعلموا كذا وقد قيل أن قوله يعلمان من الاعلام لا من التعليم وقد جاء في كلام العرب تعليم بمعنى أعلم كحكاية ابن الأباري وابن الأعرابي وهو كثير في أشعارهم (حتى يقولوا) أي الآن ينسخها أولا أو أن يقولوا (انما نحن قسنة) هو على ظاهره أي ابتلاء واختبار من الله لعباده ومحنة وقيل انه استمراء منهم لانهم انما يقولونه لمن قد تحقق ضلاله والاول أولى والمعنى انما نحن ابتلاء فنعمل بما تعلم منا واعتد حقيقة كفر من توقي عن العمل به واتخذ ذريعة للاعتناء عن الاعتراض بئس لبي على الايمان فلا تكفر باعتقاد حقيقة وجود العمل به قاله أبو السعود قال الخفاجي فيه إشارة إلى أن الاجتناب واجب احتياطا وكلا لا يحرم الفلسفة المنصوب للذب عن الدين برد الشبهة وإن كان أغلب أحواله التحريم كذلك تعلم السحر إن فرض فشود في صقع وأر بدتين فساد له لم يرجعوا إلى الحق وهو لا ينافي إطلاق القول بالتحريم فأعرفه انتهى قلت أخرج البزار بإسناد صحيح والحاكم وصححه عن ابن مسعود من أتى كاهنا أو ساحرا أو صدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد وأخرج البزار عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تطير أو نظير أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن عقد عقدة أو من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد وأخرج عبد الرزاق عن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تعلم شيئا من السحر قليلا أو كثيرا كان آخر عهده من الله وفي قوله ما (فلا تكفر) أبلغ انذار وأعظم تحذير أي إن هذا ذنب يكون من فعله كافر فلا تكفروا فيه

حسد فسقط بعضهم بعضا ثم انكشف عنهم فجعل توبتهم في ذلك وقال السدي في قوله فاقبلوا أنفسكم قال فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف فكان من قتل من الفريقين شهيدا حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا حتى قتل منهم سبعون ألفا وحتى دعا موسى وهرون ربنا أهلك بني إسرائيل ربنا البقية البقية فأمرهم أن يلقوا السلاح وتاب عليهم فكان من قتل منهم من الفريقين شهيدا ومن بقي مكفرا عنه فذلك قوله فتأب عليهم انه هو التواب الرحيم وقال الزهري لما أمرت بنو إسرائيل بقتل أنفسهم أبرزوا ومعهم موسى فاضطربوا بالسيوف وتطاعنوا بالخناجر وموسى رافع يديه حتى اذا فتر بعضهم قالوا يا بني الله ادع الله لنا وأخذوا بعضديه يسندون يديه فلم يرل أمرهم على ذلك حتى اذا قبل الله توبتهم قبض أيديهم بعضهم عن بعض فألقوا السلاح وحزن موسى وبنو إسرائيل للذي كان من القتل فيهم فأوحى الله جل

شأؤ إلى موسى ما يحزنك أما من قتل منهم فحي عندى برزقون وأما من بقي فقد قبلت توبته فمفسر بذلك دليل موسى وبنو إسرائيل رواه ابن جرير بإسناد جيد عنه وقال ابن اسحق لما رجع موسى إلى قومه وأحرق العجل وذراد في اليم خرج إلى ربه بمن اختار من قومه فأخذتهم بالعاقبة ثم بعثوا فأسأل موسى ربه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل فقال لا الآن يقتلوا أنفسهم قال فبلغني انهم قالوا لموسى نصبر لآمر الله فأمر موسى من لم يكن عبدا للعجل أن يقتل من عبده جاسوا بالافنية وأصلت عليهم القوم السيوف فجعلوا يقتلونهم فيش موسى فبكى إليه النساء والصبيان يطلبون العفو عنهم فتأب الله عليهم وعفا

عنهم وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لما رجع موسى إلى قومه وكانوا سبعين رجلا قد اعتزلوا مع هرون العجل لم يعبدوه فقال لهم موسى انطلقوا إلى موعديكم فقالوا يا موسى ما من توبة قال بلى اقلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم الآية فاختطوا السيوف والجرز والخناجر والسكاكين قال وبعث عليهم ضبابا قال فجعلوا يتلأمسون بالأيدي ويقتل بعضهم بعضا قال ويلقي الرجل آياه وأخاه فيقتله وهو لا يدري قال ويتنادون فيها رحم الله عبدا صبر نفسه حتى يبلغ الله رضاه قال فقتلهم شهداء وتيب على أحيائهم (١٥٧) ثم قرأ آياتكم انه هو التواب الرحيم

(واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك

حتى نرى الله جهرة فأخذتكم

الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم

من بعد موتكم لعلكم تشكرون)

يقول تعالى واذكر وانعني عليكم

في بعثي لكم بعد الصعق اذ سألتكم

رؤيتي جهرة عيانا مما لا يستطيع

لكم ولا لامثالكم كما قال ابن جرير

قال ابن عباس في هذه الآية واذ

قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى

الله جهرة قال علانية وكذا

قال ابراهيم بن طهمان عن عباد

ابن اسحق عن أبي الحويرث عن

ابن عباس انه قال في قول الله تعالى

لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة

أي علانية أي حتى نرى الله وقال

قتادة والريبع بن أنس حتى نرى

الله جهرة أي عيانا وقال أبو جعفر

عن الريبع بن أنس هم السبعون

الذين اختارهم موسى فساروا

معهم قال فسمعوا كلاما فقلوا

لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة

قال فسمعوا صوتا فصعقوا يقول

ماثوا وقال مروان بن الحكم فيما

خطب به على منبر مكة الصاعقة

صيحة من السماء وقال السدي في

دليل على ان تعلم السحر كفر وظاهره عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد بين من تعلمه

ليكون ساحرا ومن تعلمه ليقدّر على دفعه وبه قال أحد (فيتعلمون منهما) يعني من الملكين

(ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أي سحرا يكون سببا في التفريق بينهما كالتمويه والتخييل

والنفث في العقود ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضاء والنشور والخلاف بين الزوجين

ابتلاء من الله تعالى وفي اسناد التفريق إلى السحرة وجعل السحر سببا لذلك دليل على أن

للسحر تأثير في القلوب بالحب والبغض والجمع والفرقة والقرب والبعد وقد ذهب طائفة

من العلماء إلى أن الساحر لا يقدر على أكثر مما أخبر الله به من التفرة لأن الله ذكر ذلك

في معرض الذم للسحر وبين ما هو الغاية في تعليمه فلو كان يقدر على أكثر من ذلك

لذكره وقالت طائفة أخرى أن ذلك خرج مخرج الاغلب وأن الساحر يقدر على غير ذلك

المنصوص عليه وقيل ليس للسحر تأثير في نفسه أصلا لقوله تعالى (وما هم بضارين به

من أحد الا بذن الله) والحق انه لا تنافي بين القولين المذكورين فإن المستفاد من جميع

ذلك ان السحر تأثير في نفسه وحقيقة ثابتة ولم يخالف في ذلك الا المعتزلة وأبو حنيفة كما

تقدم وهذا الاستثناء مفرغ من أعم الاحوال (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) يعني

السحر لانهم يقصدون به العمل أولان العلم يجزى إلى العمل غالبا وفيه تصرع بيان السحر

لا يعود على صاحبه بفائدة ولا يجلب اليه منفعة بل هو ضرر محض وخسران صرف وشر

يحت قال أبو السعد هو دونه ان الاجتناب عما لا تؤمن غوايته خير كعلم الفلسفة التي

لا يؤمن ان تجزى إلى الغواية وان قال من قال

عرفت الشر لا للشر ولا يمكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

انتهى (ولقد علموا) يعني اليهود (ان اشتراه) أي اختار السحر والمراد بالشراء هنا

الاستبدال أي من استبدل ما يتناول الشياطين (ماله في الآخرة من خلاق) أي من نصيب

كما عند أهل اللغة كذا قال الزجاج (ولبئس ما شروا به أنفسهم) أي باعواها وقد أثبت لهم

العلم في قوله ولقد علموا ونفاه عنهم في قوله (لو كانوا يعلمون) واختلفوا في توجيه ذلك

فقال قطرب والاختفش ان المراد بقوله ولقد علموا الشياطين والمراد بقوله لو كانوا يعلمون

الانس وقال الزجاج ان الاول للملكين وان كان بصيغة الجمع فهو مثل قولهم الزيدان

قوله فاخذتكم الصاعقة الصاعقة نار وقال عروة بن ربيعة في قوله وأنتم تنظرون قال صعق بعضهم وبعض ينظرون ثم بعث هؤلاء

وصعق هؤلاء وقال السدي فاخذتكم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم

وقد أهلك خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلك كما فعل السفهاء منا فأوحى الله إلى موسى ان هؤلاء السبعين ممن

اتخذوا العجل ثم ان الله أحياهم فقاموا وعاش ارجل رجل ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيمون قال فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم

من بعد موتكم لعلكم تشكرون وقال الريبع بن أنس كان موتهم عقوبة لهم فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم وكذا

قال قتادة وقال ابن جرير حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق قال لما رجع موسى الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لا خبيث ولا سامي ما قال وحرق العجل وذراه في اليم اختار موسى منهم سبعين رجلا اخيرا فالخير وقال انطلقوا الى الله وتوبوا الى الله مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم ورائكم من قومكم صوموا وتطهروا واطهروا واثابكم بغير جرمهم الى طور سيناء لوقت لم يره وكان لا ياتيه الا باذن منه وعلم فقال له السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما امر واياه وخرجوا لبقاء الله قالوا يا موسى اطلب لنا الى ربك نسبح (١٥٨) كلام ربنا فقال افعل فلما ذنا موسى من العجل وقع عليه الغمام

حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه الله وقع على جبهته فوساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونه بالجاب ودنا القوم حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا ساجدا فسمعوه وهو يكلم موسى بأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ اليه من أمره انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا موسى ان تؤمن لك حتى نرى الله جهرة نأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فأتوا جميعا وقام موسى يناشده ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي قد سفهوا أفهلك من ورائي من بني اسرائيل بما يفعل السفهاء منا أي ان هذا لهم دلالا واخترت منهم سبعين رجلا اخيرا فالخير أرجع اليهم وليس معي منهم رجل واحد الذي يصدقوني به ويأمنوني عليه بعد هذا انادنا باليك فلم يزل موسى يناشده ربه عز وجل ويطلب اليه حتى ردا اليهم أرواحهم وطلب اليه التوبة لبني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا

الآن يقولوا أنفسهم هذا سياق محمد بن اسحق وقال اسمعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير لما تاب بنو اسرائيل من عبادة العجل وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعض كما أمرهم الله به أمر الله موسى أن يأتيه في كل أناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موسى فاختر موسى سبعين رجلا على عينه ثم ذهب بهم ليعتذروا واساق البقية وهذا السياق يقتضي أن الخطاب توجه الى بني اسرائيل في قوله واذقتم يا موسى ان تؤمن لك حتى نرى الله جهرة والمراد السبعون المختارون منهم ولم يحك كثير من المفسرين سوادا وقد أغرب الرازي في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء السبعين انهم بعد احياهم قالوا يا موسى

إِنَّكَ لَا تَذَلُّبُ. إِنَّ اللَّهَ شَيْءُ الْأَعْظَالِ فَادْعُهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا آتِيَاءَ فَيَدْعُو عَبْدُكَ فَاجَابَ اللَّهُ دَعْوَهُ وَهَذَا غَرِيبٌ جَدِيدٌ لَا يَعْرِفُ فِي رِمَانِ مُوسَى نَبِي سُوَى هِرُونَ ثُمَّ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ وَقَدْ غَطَّ أَهْلُ الْكِتَابِ أَيْضًا فِي دَعْوَاهُمْ أَنْ هُوَ لَا عَزَا وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ مُوسَى الْكَلِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ سَأَلَ ذَلِكَ فَخُفِّعَ مِنْهُ فَكَيْفَ يَنَالُهُ هُوَ لَا السَّبْعُونَ الْقَوْلَ الثَّانِي فِي الْآيَةِ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ نَأْسَلُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ لَهُمْ مُوسَى لِمَا رَجَعَ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ الْإِلَاحُ قَدْ كُتِبَ فِيهَا التَّوْرَةُ فَوَجَدَهُمْ يَعْجُدُونَ لِلْجَلِّ فَأَمَرَهُمْ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ فَفَعَلُوا فَتَبَايَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ إِنَّ هَذِهِ الْإِلَاحُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ أَمْرٌ كَمِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ (١٥٩) وَنَهَيْكُمْ الَّذِي نَهَاكُمْ عَنْهُ فَقَالُوا وَمَنْ

عبدى ولكن قولوا فتاى وما أشبه ذلك ثم توعدهم بالهوى بقوله (ولله كافرين عذاب أليم) ويحتمل أن يكون وعيدها شاملا لجنس الكفرة (ما يؤذون الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليهم من خير من ربكم) فيه بيان شدة عداوة الكفار للمسلمين حيث لا يؤدون أنزال الخير عليهم من الله سبحانه وقد قيل بأن الخير الوحي وقيل غير ذلك والظاهر أنهم لا يؤدون أن ينزل على المسلمين أى خير كان فهو لا يختص بنوع معين كما يفيد وقوع هذه التكررة في سياق النفي وتأكيده العموم بدخول من الزيادة عليها وإن كان بعض أنواع الخير أعظم من بعض فذلك لا يوجب التخصيص (والله يختص برحمته) أى يميز (من يشاء) تمييزه والرحمة قيل هى القرآن والاسلام وقيل النبوة وقيل جنس الرحمة من غير تعيين كما يفيد ذلك الاضافة الى منه تعالى (والله ذو الفضل العظيم) فكيف لا يؤدون أن يختص برحمته من يشاء من عباده وكل خير ناله عبادته في دينهم وديناهم فانه منه ابتداء وتفضلا عليهم من غير استحقاق أحد منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه (ما ننسخ من آية) كلام مستأنف قاله أبو السعود وقال الهنسى لم يعطف لشدة ارتباطه بما قبله والنسخ في كلام العرب على وجهين أحدهما النقل كقولهم نسخ كتاب من آخر وعلى هذا يكون القرآن كله منسوخا عنى من اللوح المحفوظ ولا مدخل لهذا المعنى في هذه الآية ومنه انا كنا ننسخ ما كنتم تعملون أى نأمر بنسخه الثاني الابطال والازالة وهو المقصود هنا وهذا القسم الثاني ينقسم الى قسمين عند أهل اللغة أحدهما ابطال الشيء زواله واقامة آخر مقامه ومنه نسخت الشمس الظل اذا أذهبتة وحلت محله وهو معنى قوله ما ننسخ من آية وفى صحيح مسلم لم تكن نبوة قط الا تنسخت أى تحوالت من حال الى حال والثاني ازالة الشيء دون ان يقوم مقامه آخر كقولهم نسخت الريح الاثر ومن هذا المعنى فينسخ الله ما يليق الشيطان أى يزيله وروى عن أبى عبيدان هذا قد كان يقع فى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكانت تنزل عليه السورة ترفع فلا تلى ولا يكتب ومنه ما روى عن أبى وعائشة ان سورة الاحزاب كانت تعدل سورة البقرة فى الطول قال ابن فارس النسخ نسخ الكتاب والنسخ ان يزيل أمر اكان من قبل يعمل به ثم ينسخه بحادث غيره كالأية تنزل بأمر ثم تنسخ بأمرى وكل شئ خلف شيا فقد انتسخه قال نسخ الشيب الشباب وتناخ الورثة أن تموت ورثة بعد ورثة وأصل الميراث قائم

العبادات وهم في ذلك مكلفون وخذوا واضعوا لله أعلم (وظللنا عليكم الغمام وأرسلنا عليكم المني والساوي كما ومن طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) لماذا كرتعالي ما دفعه عنهم من النقم شرع يذكركم أيضا بما أسبغ عليهم من النعم فقال وظللنا عليكم الغمام وهو جمع غمامة سمى بذلك لانه يغيم السماء أي يوارىها ويسترها وهو السحاب الأبيض ظلاوا به في التيه ليقوم حر الشمس كجراواه النساء وغيره عن ابن عباس في حديث الفتون قال ثم ظلل عليهم في التيه بالغمام قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عمر والربيع بن أنس وأبي مجاز والضحك والسدي فجو قول ابن عباس وقال الحسن وقتادة وظللنا عليهم الغمام كان هذا في

البرية ظلل عليهم الغمام من الشمس وقال ابن جرير قال آخر وهو غمام أبر من هذا وأطيب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي
حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وظلنا عليهم الغمام قال ليس بالسحاب هو الغمام الذي يأتي الله فيه يوم
القيامة ولم يكن الإلهم وهكذا رواه ابن جرير عن المثني بن إبراهيم عن أبي حذيفة وكذا رواه الثوري وغيره عن ابن أبي نجيح عن
مجاهد وكان يريد والله أعلم أنه ليس من رى هذا السحاب بل أحسن منه وأطيب وأجسى منظرا كما قال سند في تفسيره عن حجاج
ابن محمد عن ابن جرير قال قال ابن عباس وظلنا (١٦٠) عليهم الغمام قال غمام أبر من هذا وأطيب وهو الذي يأتي الله

فيه في قوله هل ينظرون الآن
يأتيهم الله في ظلل من الغمام
والملائكة وهو الذي جاءت فيه
الملائكة يوم بدر قال ابن عباس
وكان معهم في التيسه وقوله تعالى
وأنزلنا عليكم المن اختلفت
عبارات المفسرين في المن ماهو
فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
كان المن ينزل عليهم على الأشجار
فيغدون اليه فيأكلون منه ماشاءوا
وقال مجاهد المن صمغة وقال
عكرمة المن شيء أنزله الله عليهم مثل
الطل شبهه الرب الغليظ وقال
السدي قالوا يا موسى كيف لنا بما
ههنا أين الطعام فانزل الله عليهم
المن فكان يسقط على شجرة
الزنجبيل وقال قتادة كان المن
ينزل عليهم في محلهم سقوط النبل أشد
بياضا من اللبن واحلى من العسل
يسقط عليهم من طلوع الفجر الى
طلوع الشمس يأخذ الرجل منهم
قدر ما يكفيه يومه ذلك فاذا تعدى
ذلك فسد ولم يبق حتى اذا كان يوم
سادسه يوم جمعه أخذ ما يكفيه
ليوم سادسه ويوم سابعه لانه كان
يوم عيد لا يشخص فيه لامر

وكذا تناسخ الازمنة والقرون وقال ابن جرير معنى ما تنسخ ما تنقل من حكم آية الى غيره
قنبله وتغيره وذلك ان يحول الحلال حراما والحرام حلالا والمباح محظورا والمحظور
مباحا ولا يكون ذلك الا في الامر والنهي والحظر والاطلاق والمنع والاباحة فاما الاخبار
فلا يكون فيها نسخ ولا منسوخ وأصل النسخ من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة الى
أخرى فكذلك معنى نسخ الحكم اني غيره انما هو تحويله الى غيره وسواء نسخ حكمها
أو خطها اذ هي في كافي حالتها منسوخة انتهت وقد جعل علماء الاصول مباحث النسخ
من جملة مقاصد ذلك الفن فلان طول بذكره بل تحصل من أراد الاستيفاء عليه على كل ما
حصول المأمول من علم الاصول فليرجع اليه وقد اتفق أهل الاسلام على ثبوت سلفا
وخلفا وهو جائز عقلا وواقع سمعا ولم يخالف في ذلك أحد الا من لا يعتد بخلافه ولا يؤبه
بقوله وقد استهر عن اليهود أقامهم الله انكاره وهم محجوبون بما في التوراة فان الله قال
لنوح عليه السلام عند خروجه من السفينة اني قد جعلت كل دابة مأكلا لك ولذريتك
واطلعت ذلك لكم كنبات العشب ما خلا الدم فلاتأكلوه ثم قد حرم على موسى وعلى بني
اسرائيل كثيرا من الحيوان وثبت في التوراة ان آدم كان يزوج الاخ من الاخت
وقد حرم الله ذلك على موسى عليه السلام وعلى غيره وثبت فيها ان ابراهيم عليه السلام
أمر بنوح ابنه ثم قال الله لا تذبحه وان موسى عليه السلام أمر بني اسرائيل ان يقتلوا
من عبد منهم العجل ثم أمرهم برفع السيف عنهم وحرم عليهم العمل يوم السبت ولم يحرمه
على من كان قبلهم ونحو هذا كثير في التوراة الموجودة بأيديهم والقرآن الكريم نسخ جميع
الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والاخيل وغيرهما ونسخ الآية بيان انها تعبد
بقراءتها أو بالحكم المستفاد منها أو بما جمعا وانساؤها اذها من القلوب (أو نساها)
بفتح النون والسين والهمزة ومعنى هذه القراءة تؤخرها عن النسخ من قولهم نساها
الامر اذا أخرته قال ابن فارس ويقولون نساها الله في أجلك وأنساها الله وأجلك وقد نسا
القوم اذا أخر واوتباعه واونساهاهم انا أي أخرتهم وقيل معناه تؤخر نسخ لفظها أي تركه
في ام الكتاب فلا يكون وقيل نساهاهم اعنكم لا تقرأوا لاتذكروقرئ نساهاهم النون من
النسيان الذي بمعنى الترك أي تركها فلا تبدلها ولا تنسخها ومنه قوله تعالى نسوا الله
فنسواهم أي تركوا عبادته فتركهم في العذاب وحكي الاخرى ان معناه نساهاهم بتركها يقال

معيشته ولا يطلبه لشيء وهذا كله في البرية وقال الربيع بن انس المن شراب كان ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء أنسيته
ثم يشربونه وقال وهب بن منبه وسئل عن المن فقال خبز رقاق مثل الذرة أو مثل النقي وقال أبو جعفر بن جرير حدثني محمد بن
اسحق حدثنا أبو أحمد حدثنا اسرائيل عن جابر عن عامر وهو الشعبي قال عسلكم هذا جزؤ من سبعين جزأ من المن وكذا قال
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم انه العسل ووقع في شعرامية بن أبي الصلت حيث قال فرأى الله انهم بمضيح * لا بدى مزرع ولا مشورا
فسناها عليهم غاديات * ويرى مزرعهم خلايا وخورا عسلانا طفوا ماء فراتا * وحليب اذ بهجة من مورا

فالتأطف هو السائل والحليب المزمور الصافي منه والقرص أن عبارات المفسرين متقاربة في شرح المن فقههم من فسر بالطعام ومنهم من فسر بالشراب والظاهر والله أعلم أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كد فالمن المشهور أن كل وحده كان طعاما وحلاوة وان خرج مع الماء صار شرابا طيبا وان ركب مع غيره صار نوعا آخر ولكن ليس هو المراد من الآية وحده والدليل على ذلك قول البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير بن حريث عن سعيد ابن زيد رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الكفاة من المن (١٦١) وماؤها شفاء للعين وهذا الحديث رواه

الامام أحمد عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك وهو ابن عمير به وآخرجه الجامعة في كتبهم الأباود من طرق عن عبد الملك وهو ابن عمير به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه البخاري ومسلم من رواية الحكم عن الحسن العري عن عمرو ابن حريث به وقال الترمذي حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر ومجود بن غيلان قال حدثنا سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم والكفاة من المن وماؤها شفاء للعين تنرد باخرجه الترمذي ثم قال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث محمد بن محمد بن عمرو والامام أحمد عن سعيد بن عامر عنه وفي الباب عن سعيد بن زيد وأبي سعيد وجابر كذا قال وقدرناه الحافظ أبو بكر بن مردويه في نفسه يروى من طريق آخر عن أبي هريرة فقال حدثنا أحمد بن الحسن ابن أحمد البصري حدثنا أسلم بن سهل حدثنا القاسم بن عيسى حدثنا

أنس بن مالك أي أمرته بتركه ونسيته تركته وقال الزجاج ان القراءة بضم النون لا يتوجه فيها معنى الترك لا يقال أنسى بمعنى ترك قال وماروى عن ابن عباس أو نسيها أي نتركها لا نبدلها فلا يصح والذي عليه أكثر أهل اللغة والنظر أن معنى أو نسيها نبي لكم تركها من نسي إذا ترك ثم تعديده وقد ثبت في البخاري وغيره عن أنس ان الله أنزل في الذين قتلوا في بئر معونة ان بلغوا قومنا ان قد لقينار بنافرضي عنا وأرضانا ثم نسخ وهكذا ثبت في مسلم وغيره عن أبي موسى قال كنا نقرأ سورة نسيها في الطول والشدة براءة فأنسيتها غيراني حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لا يبغي واديانا لنا ولا يعلأ جوفه إلا التراب وكنا نقرأ سورة نسيها بناحدى السمحات وألها سيج لله ما في السموات فأنسيتها غيراني حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألوا عنها يوم القيامة وقدروى مثل هذا من طريق جماعة من الصحابة ومنه آية الرحمن كما رواه عبد الرزاق وأحمد وابن حبان عن عمر (نأت بخير منها أو مثلها) أي نأت بما هو أنفع للناس منها في العاجل والآجل أو في أحدهما أو بما هو مماثل لها من غير زيادة ومراجع ذلك الى اعمال النظر في المنسوخ والناسخ فقد يدى يكون الناسخ أخف فيكون أنفع لهم في العاجل وقد يكون أنقل وثوابه أكثر فيكون أنفع في الآجل وقد يستويان فتحصل المماثلة وقال الشافعي الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة وتابعه على ذلك طائفة واستدل بهذه الآية وليس بصحيح والحق جواز نسخ الكتاب بالسنة والكلام في هذا معروف في أصول الفقه (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) هذه الآية تفيد أن النسخ من مقدوراته وان انكاره انكار لقدرة الالهية والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد هو وأتمته وفيه دليل على جواز النسخ والاستغناء للتقرير وهكذا قوله (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) أي له التصرف فيها بما لا يحد ولا اختراع ونفذ الامر في جميع مخلوقاته فهو أعلم بمصالح عبادهم وما فيه النفع لهم من أحكامه التي تعبدتهم بها وشرعها لهم وقد يختلف ذلك باختلاف الاحوال والازمنة والاشخاص وهذا وان كان خطا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لكنه فيه تكذيب لليهود المنكرين للنسخ (ومالكهم من دون الله من ولي ولا نصير) بينه ما عموم وخصوص من وجه فان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا عن المنصور وفيه إشارة الى تعالى الخطابين السابقين

(٢١ ل - فتح البيان) طلحة بن عبد الرحمن عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكفاة من المن وماؤها شفاء للعين وهذا حديث غريب من هذا الوجه وطلحة بن عبد الرحمن هذا السلي الواسطي يكنى بأبي محمد رقبيل أبو سليمان المؤدب قال فيه الحافظ أبو أحمد بن عدى روى عن قتادة أشياء لا يتابع عليها ثم قال الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الكفاة تجدرى الارض فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم الكفاة من المن وماؤها شفاء للعين

والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم وهذا الحديث قد رواه النسائي عن محمد بن بشار به وعنه عن غندر عن شعبة عن أبي بشر
جعفر بن إياس عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة عن محمد بن بشار عن عبد الأعلى عن خالد الخذاء عن شهر بن حوشب بقصة
الكفاة فقط وروى النسائي أيضا وابن ماجه من حديث محمد بن بشار عن أبي عبد الصمد بن عبد العزيز بن عبد الصمد عن مطر
الوراق عن شهر بن حوشب بقصة العجوة عند النسائي وبالقصتين عند ابن ماجه وهذه الطريق ممتطعة بين شهر بن حوشب وأبي هريرة فأن لم
يسمع منه بدليل ما رواه النسائي في الولاية (١٦٢) من سننه عن علي بن الحسين الدرهمي عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبي

عروبة عن قتادة عن شهر بن
حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن
أبي هريرة قال خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم يذكرون
الكفاة وبعضهم يقول جددى
الأرض فقال الكفاة من المن وماؤها
شفاء للعين وروى عن شهر بن
حوشب عن أبي سعيد وجابر كما قال
الامام أحمد حدثنا أسباط بن محمد
حدثنا الأعمش عن جعفر بن إياس
عن شهر بن حوشب عن جابر بن
عبد الله وأبي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكفاة من المن وماؤها شفاء للعين
والعجوة من الجنة وهي شفاء من
السم وقال النسائي في الولاية أيضا
حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن
جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر
جعفر بن إياس عن شهر بن حوشب
عن أبي سعيد وجابر رضى الله
عنهما أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الكفاة من المن وماؤها شفاء
للعين ثم رواه أيضا وابن ماجه من
طريق عن الأعمش عن أبي بشر عن
شهر عنهما به وقد روى أعمى النسائي

بالامة أيضا وهذا صنع من لاولى آلهم غيره ولا نصير سواء فعلهم ان يتلقوه بالقبول
والامتنال والتعظيم والاخلال وقد ذهب جمهور أهل الأصول الى جواز نسخ القرآن
بالسنة المتواترة وخالف في ذلك الشافعي وتابعه على ذلك طائفة واختلاف المانعون فيهم
من منعه عقلا كالحرث المحاسبي وعبد الله بن سعيد القلانسي وهو رواية عن أحمد بن
حنبل ومنهم من منعه سمعا كالشيخ أبي حامد الأسفرايى احتج الجمهور بان التكليف
بمتواتر السنة كالتكليف بالآية القرآنية وبأن ذلك قد وقع في هذه الشريعة المطهرة واحتج
الآخرين بقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها وتقدير الدلالة من
وجهين أحدهما ان ما ينسخ به القرآن يجب أن يكون خيرا أو مثلا والسنة ليست كذلك
ثانيهما انه قال نأت والضمير لله سبحانه فيجب ان لا ينسخ الا بما يأتى به الله وهو القرآن
وأجاب الاولون عن ذلك بان المراد بقوله نأت بخير منها أو مثلها أى بحكم خير منها أو مثلها
في حق المكلف باعتبار الثواب وهذا صحيح ولا يخالفه الضمير في قوله نأت فان القرآن
والسنة جميعا من عند الله سبحانه قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي بوحي
والكلام في المسئلة طويل وهو مدقون في الأصول بما لا يتسع المقام لسطه فالحق
الجواز وما نسخ الكتاب بما نسخ من آحاد السنة فقد منعه الجمهور لان الآحاد لا يفتقد
القطع والكتاب مقطوع به وذهب جماعة من متأخري الحنفية الى جواز نسخ القرآن
بالخير المشهور وقال في جمع الجوامع ان نسخ القرآن بالآحاد جائز غير راقع وقال أبو بكر
الباقلاني والغزالي وأبو عبد الله البصري انه جائز في عصره صلى الله عليه وآله وسلم
لا بعده وذهب جمع من الظاهرية الى جوازه ووقوعه وأقول ان النزاع ان كان في قطعة
المتن فلا شك ان القرآن كذلك وما صح من آحاد السنة ليس بقطع وان كان النزاع في
الدلالة فان كان القرآن المنسوخ عموما أو محتملا فدلالته ظنية كدلالة ما صح من الآحاد
والذى يصلح ان يكون محلا للنزاع هما هو الثاني لا الاول على انه قد وقع نسخ القطعي بالظني
فان استقبال بيت المقدس ثبت ثبوتا قطعيا متواترا ثم ان أهل قباء استندروا الى الكعبة
وهم في الصلاة بخبر واحد ولم ينكر عليهم ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك
ثبت نسخ الوصية للوالدين والاقربى بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا وصية لوارث
وكذلك نسخ قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد بقوله عائشة رضى الله تعالى عنهما لم يوفى

من حديث جرير وابن ماجه من حديث سعيد بن أبي سلمة كلاهما عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن أبي نضرة عن رسول
أبي سعيد رواه النسائي وحديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكفاة من المن وماؤها شفاء للعين ورواه ابن مردويه عن
أحمد بن عثمان عن عباس الدوري عن لاحق بن صواب عن عمار بن رزيق عن الأعمش كابن ماجه وقال ابن مردويه أيضا حدثنا
أحمد بن عثمان حدثنا عباس الدوري حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاخوص عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد
الرحمن بن أبي ليلى عن أبي سعيد الخدري قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتاب فقال الكفاة من المن وماؤها

شفاء للعين وأخرجه النسائي عن عمرو بن منصور عن الحسن بن الربيع به ثم ابن مردويه رواه أيضا عن عبد الله بن الحنفى عن الحسن بن سلام عن عبيد الله بن موسى عن شيبان عن الأعمش به وكذا رواه النسائي عن أحمد بن عثمان بن حكيم عن عبيد الله بن موسى وقد روى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه كما قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم حدثنا جندون بن أحمد حدثنا جويرية بن أثيم حدثنا جندون بن أبي شبيب عن الجواب عن أنس ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تداروا في الشجرة التي اجثت من فوق الارض ما لها من قرار فقال بعضهم نحسبها الكفاة (١٦٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما يشاء ونسخ قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى الى تحريم ما لا يهنيه صلى الله عليه وآله وسلم عن أكل كل ذي ناب والكلام في هذا يطول ومجمله مطولات كتب الاصول فان استيقنا الكلام في هذه المسئلة يحتاج الى رسالة مستقلة والله أعلم وعدة الآيات المنسوخات قد بلغها بعضهم الى خمسين آية لكن قال الشيخ أحمد بن حنبل في مسنده في حديثه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نسخ القرآن في خمس آيات انتهى وعندى ان في هذه النسخ نظر أيضا كما بينته في دليل الطالب وأما الاحاديث المنسوخة فعدتها عند ابن الجوزي أحد وعشرون حديثا وعند الحافظ ابن القيم أقل من عشرة أحاديث كما أفاد في اعلام الموقعين وقال النسخ الواقع في الاحاديث الذي أجمعت عليه الامة لا يبلغ عشرة أحاديث البتة ولا شطرها انتهى وقال الزرقاني في شرح الموطأ مذهب الحديث والاصوليين والفقهاء انه متى أمكن الجمع بين الحديثين وجب الجمع انتهى وفي الدراسات لمحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بطلان النسخ الاجتهادى في أجزائه مفردة هيتم غاية الفسخ لمسئلة النسخ وهو الاكثر في دعاوى المتأخرين لاسيما الفقهاء الحنفيين والنسخ المعول عليه عند المتقدمين هو المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأما غيره فتعدية وتجاوز من العبد الى التبريع انتهى وتفصيل ذلك ذكرناه في افادة الشيوخ بمقدار النسخ والمنسوخ (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سأل موسى من قبل) أم بمعنى بل وفي هذا توخي وتقريع أى سؤال المثل ما سأل موسى حيث سألوه أن يريهم الله جهرة الى غير ذلك وسألوا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي بالله والملائكة قبيلا ورويت في سبب نزول هذه الآية روايات لا تطول بذكرها (ومن تبدل كفر بالايان) أى يستبدل ويأخذ به بترك النظر في الآيات البينات واقتراح غيرها والباء العوض كما استظهره السفاقي لالسبب كما قال به أبو البقاء قيل خطاب للمؤمنين أعلمهم ان اليهود أهل غش وحسد (فقد ضل سواء السبيل) من اضافة الصفة الى الموصوف أى الطريق المستوى أى المعتدل أى الحق ومعنى ضل أخطأ وسواء هو الوسط من كل شئ قاله أبو عبيدة ومنه قوله تعالى في سواء الجحيم وقال الفراء السواء القصد أى ذهب عن قصد الطريق وسبته أى طريق طاعة الله (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ تَمُوتَ مِنْهُمْ يَكْفُرَ الْيَهُودُ) فيه اخبار المسلمين بجرس اليهود على قتلهم وردتهم عن الاسلام

الكفاة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وفيها شفاء من السم وهذا الحديث محفوظ أصله من رواية جندون بن سلمة وقد روى الترمذي والنسائي من طريقه شيئا من هذا والله أعلم وروى عن شهر بن عباس كما رواه النسائي أيضا في الوليمة عن أبي بكر أحمد بن علي ابن سعيد عن عبيد الله بن عون الخراز عن أبي عبيدة الحساد عن عبد الحليم بن عطية عن عبيد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الكفاة من المن وماؤها شفاء للعين فقد اختلف كما ترى فيه على شهر بن حوشب ويحتمل عندى انه حفظه ورواه من هذه الطرق كلها وقد سمعته من بعض الصحابة وبلغه عن بعضهم فان الاسانيد اليه جيدة وهو لا يتعمد الكذب وأصل الحديث محفوظ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما تقدم من رواية سعيد بن زيد رضى الله عنه وأما السلوى فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس السلوى طائر يشبهه بالسمانى كانوا يأكلون منه وقال السدى في خبره ذكره عن أي مالان وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة السلوى طائر يشبه السمانى وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا قرة بن خالد عن جهم عن ابن عباس قال السلوى هو السمانى وكذا قال مجاهد والشعبي والبخاري والحسن وعكرمة والربيع بن أنس رجهم الله تعالى وعن عكرمة اما السلوى فطير كبير يكون بالجنة أكبر من العصفور أو نحو ذلك وقال قتادة السلوى كان من طير الى الجنة تحشرها عليهم الريح الجنوب وكان الرجل يذبح منها قدر ما يكفيه يومه ذلك فاذا تعدى فسد ولم يبق عنده حتى اذا كان

يوم سادسة ليوم جعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسة ويوم سابعة لانه كان يوم عبادة لا يشخص فيه شيء ولا يطلبه وقال وهب بن منبه
 السلاوي طيرين مثل الحمامة كان يأتيهم فيأخذون منه من سبت الى سبت وفي رواية عن وهب قال سألت بنو اسرائيل موسى عليه
 السلام لحما فقال الله لا طعمهم من أقل لحم يعلم في الارض فأرسل عليهم ريحا فاذرت عندهم السلاوي وهو السمائي مثل
 ميل في ميل قيد رمح في السماء فقبوا اللغد فتلى اللحم وخزن الخبز وقال السدي لما دخل بنو اسرائيل التيه قالوا لموسى عليه السلام
 كيف لنا بما ههنا أين الطعام فأترل (١٦٤) الله عليهم المن فكان ينزل على الشجر الزمخيم والسلاوي وهو طائر يسمى

السمائي أكبر منه فكان يأتي
 احدهم فينظر الى الطير فان كان
 سمينا ذبحه والا أرسله فاذا سمى اتاه
 فقالوا هذا الطعام فأين الشراب
 فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر
 فانفجرت منه اثني عشرة عينا
 فشرب كل سبط من عين فقالوا هذا
 الشراب فأين الظل فظلل عليهم
 الغمام فقالوا هذا الظل فأين اللباس
 فكانت ثيابهم تطول معهم كما
 تطول الصبيان ولا يتخرق لهم ثوب
 فذلك قوله تعالى وظللنا عليهم
 الغمام وأزلفنا عليهم المن والسلاوي
 وقوله واذا استسقى موسى لقومه
 فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت
 منه اثنا عشرة عينا قد علم كل
 أناس مشربهم كلوا واشربوا من
 رزق الله ولا تعثوا في الارض
 مفسدين وروى عن وهب بن منبه
 وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو
 ما قاله السدي وقال سنيدي عن ججاج
 عن ابن جريج قال قال ابن عباس
 خلق لهم في التيه ثياب لا تتخرق
 ولا تدرن قال ابن جريج فكان
 الرجل اذا أخذ من المن والسلاوي

والتشكيك عليهم في دينهم (لو) مصدرية (ردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسد من
 عند أنفسهم) يحتمل أن يتعلق بقوله وذأى وذو ذلك من عند أنفسهم ويحتمل أن يتعلق
 بقوله حسد أي حسدا ناشئا من عند أنفسهم وهو قوله لقوله وذ الحسد عن زوال نعمة
 الانسان (من بعد ما تبين لهم الحق) يعني في التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به بغيا وحسدا (فأعفوا واصفحوا) والعفو ترك
 المؤاخدة بالذنب والصفح ازالة أثره من القس صفحت عن فلان اذا أعرضت عن ذنبه
 وقد ضربت عنه صفحا اذا أعرضت عنه وقيل هامة مقاربان والعطف على هذا التاكيد
 وحسنه تغاير اللفظين وفيه الترغيب في ذلك والارشاد اليه وقد نسخ ذلك بالامر بالقتال
 قاله أبو عبيدة (حتى يأتي الله بأمره) أي افعلا وذلك الى أن يأتي الحكم الامر من الله
 سبحانه في شأنهم بما يختاره ويشاؤه وما قد قضى به في سابق علمه وهو قتل من قتل منهم
 واجلاء من أجلى وضرب الجزية على من ضربت عليه والسلام على من أسلم (ان الله على
 كل شيء قدير) فيه وعيد وتهديد لهم عظيم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا
 لانفسكم من خير) حث من الله سبحانه لهم على الاشتغال بما ينفعهم ويعود عليهم
 بالمصلحة من اقامة الصلاة وآتاء الزكاة وتقديم الخير الذي يتأبون عليه حتى يمكن الله لهم
 وينصرهم على المخالفين لهم (تجدوه عند الله) يعني ثوابه وأجره حتى القرة والقيمة مثل
 أحد (ان الله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه شيء من قليل الاعمال وكثيرها وفيه ترغيب
 في الطاعات واعمال البر وجرع من المعاصي (وقالوا) أي أهل الكتاب من اليهود
 والنصارى (ان يدخل الجنة الامن كان هودا أو نصارى) قال الفراء يجوز أن يكون هودا
 بمعنى يهوديا وأن يكون جمع هائد والنصاري جمع نصران أو نصري والمرادهم والملد نسبة
 ونصاري شجران وقد مدت اليهود على النصارى لفظا لتقدمهم زمانا فبطل في هذا الكلام
 حذف وأصله وقالت اليهود ان يدخل الجنة الامن كان يهوديا وقالت النصارى ان يدخل
 الجنة الامن كان نصريا هكذا قال كثير من المفسرين وسبقهم الى ذلك بعض السلف
 وظاهر النظم القرآني ان طائفتي اليهود والنصارى وقع منهم هذا القول وانهم يحتجون
 بذلك دون غيرهم ووجه القول بأن في الكلام حذف ما هو معلوم من ان كل طائفة من
 هاتين الطائفتين تضلل الاخرى وتنفي عنها انما اعلى شيء من الدين فضلا عن دخول الجنة

فوق طعام يوم فسد الا أنهم كانوا يأخذون في يوم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصح فاسدا قال ابن عطية السلاوي
 طيرا يجاع المفسرين وقد غلط الهذلي في قوله انه العسل وأنشد في ذلك مستشهدا

وقاسمها بالله جهدا انتم * أأذن السلاوي اذا ما أثورها
 لان المؤرخ أحد علماء اللغة والتفسير قال انه العسل واستدل بيت الهذلي هذا وذكر انه كذلك في لغة كانه لانه يسيل به ومنه عز
 سلوان وقال الجوهر السلاوي العسل واستشهد بيت الهذلي ايضا والسلاوية بالضم جرره كانوا يقولون اذا صب عليها ماء المطر

فشربها العاشق سلى قال الشاعر شربت على سلاوة ما عذرة * فلا وجدديد العيش يا حى ما أسألو واسم ذلك الماء السلوان وقال بعضهم السلوان دواء يشفى الحزين فيسألو الأطباء يسمونه مقرح قالوا والسلوان جمع بلطف الواحد أيضا كما يقال سماني للمفرد والجمع وويلي كذلك وقال الخليل واحدة وأنشد واني لتعرفني لذكر الكهنة * كما انقضى السلوانة من بلل القطر وقال الكسائي السلوان واحدة وجعه سلاوى نقله كله القرطبي وقوله تعالى كما ومن طبيبات ما رزقناكم أمر أباحية وإرشاد وامتنان وقوله تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أى أمرناهم (١٦٥) بالاكل عمار زفاهم وان يعبدوا كما

قال كما ومن رزق ربكم
راشكر والله الفوا وكفروا فظلموا
أنفسهم هذا مع ما شاهدوه من
الآيات البينات والمجربات القاطعات
وخوارق العادات ومن ههنا تبين
فضيلة أصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم وورضى عنهم على سائر أصحاب
الانبياء في صبرهم وثباتهم وعدم
تغتمهم مع ما كانوا معه في اسفاره
وغزواته منها عام تبول في ذلك
القيظ والحر الشديد والجهد لم
يسألوا خرق عادة ولا إيجاد أمر مع
ان ذلك كان سهلا على النبي صلى
الله عليه وسلم ولكن لما أجهدهم
الجوع سألوه في تكثير طعامهم
فجبعوا ما معهم فجاء قدر مبرك
الشاة فدعا الله فيه وأمرهم فلقوا
كل وعاء معهم وكذا لما احتاجوا
الى الماء سأل الله تعالى فجاءتهم
سحابة فامطرهم فشربو اوسقوا
الابل وملؤا أسقيتهم ثم نظروا فإذا هي
لم تجاوز العسكر فهذا هو الاكمل
في اتباع الشيء مع قدر الله مع
متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم
(واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا

كما في هذا الموضع فإنه قد حكى الله عن اليهود أنهم قالت ليست النصراني على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء (تلك أمانيهم) أى شهوراتهم الباطلة التي تمنوها على الله
بغير حق والاماني جمع أمنية قد تقدم تفسيرها والاشارة بقوله تلك الى ما تقدم لهم من
الاماني التي آخرها أنه لا يدخل الجنة غيرهم وقيل ان الاشارة الى هذه الامنية الاخرة
والقدير مثال تلك الامنية أمانيهم على حذف المضاف ليطلق أمانيهم (قل هاؤوا) يقال
للمفرد المذكر هات وللمؤنث هاتي وهو اسم فعل بمعنى احضر وقيل اسم صوت بمعنى ها
التي بمعنى احضر وقيل فعل أمر وهذا هو الصحيح (برهانكم) أى جنتكم على دعواكم ان
الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا ونصرانيا دون غيرهم والبرهان الدليل الذي يحصل
عنده اليقين قال ابن جرير طلب الدليل هنا يقتضى اثبات النظر ويرد على من ينفيه
والبرهان مشتق من البره وهو القطع ومنه برهته من الزمان أى القطعة منه وقيل لونه
أصلية لشبهته في برهن يبرهن برهنة والبرهنة البيان ووزنه فعال لا فعلن (ان كنتم
صادقين) أى في تلك الاماني المجردة والدعوى الباطلة قال الرازي دلت الآية على ان
المدعى سواء ادعى نفيًا وإثباتًا فلا بد له من الدليل والبرهان وذلك من أصدق الدلائل على
بطلان القول بالتقليد انتهى ثم رد عليهم فقال (بلى) وهو إثبات لما نفوه من دخول غيرهم
الجنة أى ليس كما تقولون بل يدخلها (من أسلم وجهه لله) أى استسلم وقيل أخلص
وحص الوجه بالذكور لكونه أشرف ما يرى من الانسان ولانه موضع السجود وجمع
الحواس والمشاعر الظاهرة وفيه ينظر والعز والذل وقيل ان العرب تخبر بالوجه عن جملة
الشيء وان المعنى هنا الوجه وغيره وقيل المراد الوجه هنا المقصد أى من أخلص مقصده
ومجموع الشرط والجزاء رد على أهل الكتاب وابطل تلك الدعوى (وهو محسن) موحد
أى متبع في عمله لله (قله أحر عند ربه) أى ثواب عمله وهو الجنة (ولا خوف عليهم) أى
في الآخرة ما في الدنيا فالمؤمنون أشد خوفًا وحزنًا من غيرهم لاجل خوفهم من العاقبة
(ولاهم يحزنون) على ما فاتهم من الدنيا واللموت (وقالت اليهود ليست النصراني على
شيء) قاله رافع بن حرملة (وقالت النصراني ليست اليهود على شيء) بيان لتضليل كل فريق
صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليل كل من عدا على وجه العموم قبل نزول في يهود
المدينة ونصارى نجران تناظر واعند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وارتفعت أصواتهم

منها حيث شتم رعدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة تغفر لكم خطاياكم وسيزيد المحسنين قبل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل
لهم فانزلنا على الذين ظلموا جزا من السماء بما كانوا يفسقون يقول تعالى لا تأثمهم على نكولهم عن الجهاد ودخولهم الارض
المقدسة لما قدموا من بلاد مصر رحبة موسى عليه السلام فأمره بالدخول الارض المقدسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم اسرائيل
وقتل من فيها من العماليق الكفرة فنكولوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا فرماهم الله في التيسع عقوبة لهم كما ذكره تعالى في
سورة المائدة ولهذا كان أصح القولين ان هذه البلدة هي بيت المقدس كما نص على ذلك السدي والريسي بن أنس وقادة وأبو

مسلم الاصله: اني وغير واحد قد قلنا ان الله في حاكيا عن موسى ياتون من ارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا تردوا الايات
وربما يكونون من ارض مصر فيحكي عن ابن عباس ر عبد الرحمن بن زيد وهذا بعيد لانهم البست على طريقهم وهم قاصدون بيت المقدس
لا ارض مصر وان بعد من ذلك قول من ذهب الى انهم من سكاك الرازي في تفسيره والحق الاول انهم ايت المقدس وهذا كما
نرجوا من النبي بعد اربعين سنة مع يوشع بن نون عليه السلام وفقها الله عليهم عشية جمعة وقد حست لهم الشمس برشد قليلا
في امكن الفتح ولما فتحوا امروا (١٦٦) ان يدخلوا الباب باب البلد مسجد ابي شكر الله تعالى على ما اذنهم به عليهم من

فتح والدمر ورد بلدهم عليهم
رائداهم من ابيه والصلال قال
اعوفى في تفسيره عن ابن عباس
انه كان يقول في قوله تعالى وادخلوا
الباب سجدا أي ركعا وقال ابن
جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا
أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن
الاعمش عن المنهال بن عمرو عن
سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله
وادخلوا الباب سجدا قال ركعا من
باب صغير واه الحاكم من حديث
سفيان به ورواه ابن أبي حاتم من
حديث سفيان وهو الثوري به
وزاد فدخلوا من قبل استأخهم
وقال الحسن البصري أمروا ان
يسجدوا على وجوههم حال
دخولهم واستبعده الرازي وحكى
عن بعضهم ان المراد ههنا بالسجود
الخضوع لتعذر جله على حقيقته
وقال خفيف قال عكرمة قال ابن
عباس كان الباب قبل القبلة وقال
ابن عباس ومجاهد السدي وقتادة
واخفاك هو باب الحطة من باب
المياه بيت المقدس وحكى الرازي
عن بعضهم انه عنى بالباب جهة من

وقاوا هذا القول وفيه أن كل طائفة بنى الخير عن الاخرى ويتضمن ذلك اشارته نفسها
تجبر الرحمة الله سبحانه قال في الكشاف ان الشيء هو الذي يصح وبعده قال وحده
مبالغة عجيبة لان المحال والمعدوم يقع عليهم اسم الشيء واذا انفي اطلاق اسم الشيء عليه
فقد بولغ في ترك الاعتماد به الى ما ليس بعد. وهكذا قولهم أقل من لا شيء (رحميتون
الكتاب) أي التوراة والانجيل وليس فيها هذا الاختلاف فكان حتى كل منهم أن
يعترف بحقيقة دين صاحبه حسبا ينطق به كتابه فان كتب الله تعالى متصادقة وقيل المراد
جنس الكتاب وفي هذا أعظم توبيخ وأشد تفرع لان الوقوع في الدعوى الباطلة والتكلم
بما ليس عليه برهان هو وان كان قبيحا على الاطلاق لكنه من أهل العلم والدراسة كتب
الله أشد قبحا وأقطع جرما وأعظم ذنبا (كذلك) أي مثل ذلك الذي سمعت به بعينه لا قولا
مغاير له (قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) المراد بهم كفار العرب الذين لا كتاب لهم قالوا
مثل مقالة اليهود اقتداء بهم لانهم جهلة لا يتقرون على غير التقليد بل يعتقدون انه من
أهل العلم وقيل المراد بهم طائفة من اليهود والنصارى وهم الذين لا علم عندهم وقال عطاء
هم أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قريش وحمير وبنو نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في
أنبيائهم انهم ليسوا على شيء (فالله يحكم بينهم يوم القيامة) أي بين الحق والمبطل (فبما
كاوا فيه يختلفون) من أمر الدين أخبر سبحانه بأن هو المتولى لفصل هذه الخصومة التي
وقع فيها الخلاف عند الرجوع اليه فيعذب من يستحق التعذيب وينجي من يستحق النجاة
قال الرازي واعلم ان هذه الواقعة بعينها وقعت في امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فان
كل طائفة تكفر الاخرى مع اتفاقهم على تلاوة القرآن انتهى (ومن أظلم ممن منع مساجد
الله أن يذكر فيها اسمه) هذا الاستفهام فيه أبلغ دلالة على ان هذا الظلم غير متناه وانما بمنزلة
لا ينبغي أن يلحقه سائر أنواع الظلم أي لا أحد أظلم ممن يمنع مساجد الله أي من يأتي اليها
للصلاة والتلاوة والذكر وتعليمه (وسعى في خرابها) قال أبو البقاء الخراب اسم مصدر بمعنى
التخريب وقال غيره هو مصدر خرب المكان يخرب خرابا وهو خرب السعي في هدمها ورفع
بنيانها ويجوز أن يراد بالخراب تعطيلها عن الطاعات التي وضعت لها فيكرن اعم من قوله
ان يذكر فيها اسمه فيشمل جميع ما يمنع من الامور التي بنيت لها المساجد لتعلم العباد وتعليم
والتعود للاعتكاف وانتظار الصلاة ويجوز أن يراد ما هو اعم من الامرين من باب عموم

جهنم القبلة وقال خفيف قال عكرمة قال ابن عباس فدخلوا على شق وقال السدي عن أبي سعيد الرازي عن أبي الجاز
الكنود عن عبد الله بن مسعود قيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوا مقنعي رؤسهم أي رافعي رؤسهم خلافا لما أمر به وقوله
تعالى وقولوا حطة قال الثوري عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وقولوا حطة قال مغيرة استغفروا وروى
عن عطاء الحسن وقتادة والرياح بن أنس نحوه وقال الخليل عن ابن عباس وقولوا حطة قال قولوا هذا الامر حتى كما قيل لكم
وقال عكرمة قولوا لا اله الا الله وقال الاوزاعي كتب ابن عباس الى رجل قد سماه فسأله عن قوله تعالى وقولوا حطة فكتب

الله أن آمر وأبازنوب وقال الحسن وقادة أي احطط عنا خطايانا تغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين وقال هذا جواب الامر أي اذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيئات وضاعفنا لكم الحسنات وحاصل الامر أنهم أمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول وان يترفوا بنزولهم ويستغفروا منها والشكر على النعمة عندها والمبادرة الى ذلك من المحبوب عند الله تعالى كما قال تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فسر بعض الصحابة بكثرة الذكروا الاستغفار عند الفتح والنصر وفسره ابن عباس بأنه نهي الى (١٦٧) رسول الله صلى الله عليه وسلم أجله

فيما وأقره على ذلك عمر رضي الله عنه ولا منافاة بين ان يكون قد أمر بذلك عند ذلك ونهى اليه روح الكريمة أيضا ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يظهر عليه الخضوع جدا عند النصر كما روى انه كان يوم الفتح فتح مكة داخلها من النيسة العليا وانه خاضع لربه حتى ان عشوته ليس مورك رحله شكر الله على ذلك ثم لما دخل البلد اعتسل وصلى ثمانى ركعات وذلك فحى فقال بعضهم هذه صلاة الضحى وقال آخر ونبل هي صلاة الفتح فاستحبوا الامام وللا مير اذا فتح بلدا أن يصلى فيه ثمانى ركعات عند أول دخوله كما فعل سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه لما دخل ايوان كسرى صلى فيه ثمانى ركعات والصحيح انه يفصل بين كل ركعتين بتسليم وقيل يصليها كلها بتسليم واحد والله أعلم وقوله تعالى فبذل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم قال البخارى حدثني محمد حدثنا عبد الرحمن بن مدهدى عن ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن

المجاز كما قيل في قوله تعالى انما يعبد الله (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) هذا استثناء مفرغ من أهم الاحوال أي ما كان ينبغي للمؤمنين دخولها في جميع الاحوال الا حال خوفهم وخشوعهم وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها روى أنو نصراني الا خائفان علم به قتل وقيل أخفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذم والقتل على الحرب وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعورية والاول أولى وفيه ارشاد للعباد من الله عز وجل انه ينبغي لهم ان يعنوا مساجد الله من أهل الكفر من غير فرق بين مسجد ومسجد وبين كافر وكافر كما يفهمه عموم اللفظ ولا ينافيه حصول السبب الخاص وان يجعلوهم بحالة اذا أرادوا الدخول كانوا على وجل وخوف من ان يقطن لهم أحد من المسلمين فينزلون بهم ما يوجب الاهانة والاذلال وليس فيه الاذن لنا بتكثيرهم من ذلك حال خوفهم بل هو كناية عن المنع لهم من دخول مساجدنا وقيل معناه ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يعنواهم منها أو ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعد المؤمنين بالنصر واستخلاص المساجد منهم وقد أنجز وعده (لهم في الدنيا خزي) يعنى الصغار والذلل والقتل والسبي وقيل هو ضرب الجزية عليهم واذلاهم وقيل غير ذلك وقد تقدم تفسيره (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) يعنى النار قال ابن عباس ان قريشا منعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام يعنى في ابتداء الاسلام فأمر الله من أعظم الآية ترزت في خراب بيت المقدس على يد فلطيوس الرومى ولم يزل خرابا حتى بناء المسلمون في عهد عمر رضي الله تعالى عنه وقال السدي هم الروم كانوا ظاهرا وبجتنصر على خراب بيت المقدس وليس في الارض رومى يدخله اليوم الا وهو خائف ان يضرب عنقه وقد أخيف باداء الجزية فهو يؤديها وأما خزيهم في الدنيا فانه اذا قام المهدي وفتح القسطنطينية قتلهم فذلك الخزي وعن قتادة أنهم الروم وعن كعب أنهم النصارى لما ظهروا على بيت المقدس حرقوه وفيه انه لا خلاف بين أهل العلم بالسيرة ان عهد بجنصر كان قبل مولد المسيح بدهر طويل والنصارى كانوا بعد المسيح فكيف يكونون مع بجنصر في تحريب بيت المقدس وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال هم المشركون حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وآله

أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدوا وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا وقالوا حطة حبة في شعرة ورواه النسائي عن محمد بن اسمعيل بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن موهب قالوا عن محمد بن عبيد بن محمد عن ابن المبارك ببعضه مستندا في قوله تعالى حطة قال فبدلوا وقالوا حبة وقال عبد الرزاق أنبا ناعم عن همام بن منبه انه سمع أباه هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدوا وقولوا حطة تغفر لكم خطاياكم فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم فقالوا حبة في شعرة وهذا حديث صحيح رواه البخارى عن اسحق بن نصر ومسلم

عن محمد بن رافع والترمذي عن عبد الرحمن بن محمد كلهم عن عبد الرزاق به وقال الترمذي حسن صحيح وقال محمد بن اسحق كان
تدبيرهم كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوامنة عن أبي هريرة وعن لا آتهم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال دخلوا الباب الذي امروا ان يدخلوا فيه مسجد ابرحقون على استأصاهم وهم يقولون حنطة في شعيرة وقال أبو داود حدثنا
أحمد بن صالح وحدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله (١٦٨) عليه وسلم قال الله لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم

وسلم عن البيت يوم الحديبية قال أبو صالح ليس للمشركين ان يدخلوا المسجد الا خائفين
عن قتادة قال يعطون الجزية عن يدهم صاغرون وقال مساجد الله وانما وقع المنع
والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام لان الحكم عام وان كان
السبب خاصا ورجح الطبري القول الاول وقال ان النصارى هم الذين سعووا في خراب بيت
المقدس بدليل ان مشركي العرب لم يسعوا في خراب المسجد الحرام وان كانوا قد سعوا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الاوقات من الصلاة فيه وأيضا الآية التي قبل
هذه والتي بعدها في ذم أهل الكتاب ولم يجز لمشركي مكة ذكر ولا للمسلمين الحرام فحين ان
يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثاني بدليل ان النصارى يعظمون بيت
المقدس أكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع حجهم قال الرازي وعندى
فيه وجه خامس وهو أقرب الى رعاية النظم وهو انه لما حوت القبلة الى الكعبة شق ذلك
على اليهود فكأنوا يمنعون الناس عن الصلاة الى الكعبة ولعلمهم سعووا أيضا في تخريب
الكعبة وفي تخريب مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهذا التأويل أولى بما قبله
انتهى وفي أحكام القرآن انه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع
فتخصيصه ببعض المساجد أو ببعض الأزمنة محال قلت وهذا هو الصواب فان الاعتبار
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويدخل فيه السبب الخاص دخولا أوليا (ولله المشرق
والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) المشرق موضع الشروق والمغرب موضع الغروب وهما
اسماء مكان وقيل اسماء صدر أى الاشراف والاعراب أى هما مال الله وما بينهما من الجهات
والمخوقات فيشمل الارض كلها أى أى جهة تستقبلونها فهناك وجه الله أى المكان
الذى يرتضى لكم استقباله وذلك يكون عند التماس جهة القبلة الى أمرنا بالتوجه
اليها بقوله سبحانه فول وجهك شطر المسجد الحرام رحيما كنتم فولوا وجوهكم شطره قال
في الكشف والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس فقد
جعلت لكم الارض مسجدا فصولا في أى بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان
التولية ممكنة في كل مكان لا يختص أما كنتم في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان
انتهى وهذا التخصيص لا وجه له فان النظم أوسع منه وان كان المقصود به بيان السبب
فلا بأس وأين هذا اسم شرط وهى ظرف مكان وتكون اسم استفهام أى اضافى مشترك

خطاياكم ثم قال أبو داود حدثنا
أحمد بن مسافر حدثنا ابن أبي فديك
عن هشام بن عمار عن هشام بن عمار
في كتاب الحروف مختصرا وقال
ابن مردويه حدثنا عبد الله بن
جعفر حدثنا ابراهيم بن مهدي
حدثنا أحمد بن محمد بن المنذر القزاز
حدثنا محمد بن اسمعيل بن أبي فديك
عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم
عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد
الخدري قال سرتنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من
آخر الليل أجزنا في ثنية يقال لها ذات
الحظيل فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما مثل هذه الثنية الليلة
الا كمثل الباب الذى قال الله لبني
اسرائيل ادخلوا الباب سجدا
وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم
وقال سفيان الثوري عن أبي اسحق
عن البراءة يقول السفهاء من الناس
قال اليهود قيل لهم ادخلوا الباب
سجدا قال ركعوا وقولوا حطة أى
منغفرة فدخلوا على استأصاهم وجعلوا
يقولون حنطة جرافها شعيرة فذلك
قول الله تعالى فبدل الذين ظلموا

قولا غير الذى قيل لهم وقال الثوري عن السدي عن أبي سعد الازدي عن أبي السكوني عن ابن مسعود وقولوا
حنطة فقالوا حنطة حبة جرافها شعيرة فأنزل الله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم وقال أسباط عن السدي عن مرة عن
ابن مسعود انه قال انهم قالوا حط اسمعنا ثأر به من باقى بالعربية حبة حنطة جرافها شعيرة سوداء فذلك قوله تعالى
فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم وقال الثوري عن الاعشى عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس في قوله تعالى ادخلوا الباب
سجدا قال ركعوا من باب صغير فدخلوا من قبل استأصاهم وقالوا حنطة فذلك قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم وهكذا

روى عن عطاء ومجاهد وعكرمة والفضالة والحسن وقتادة والريبع بن أنس ويحيى بن رافع وحاصل ما ذكره المفسرون وما دل عليه السياق أنهم بدلو أمر الله لهم من الخسوع بالقول والفعل فامروا أن يدخلوا سجدا فدخلوا برحمة على أساتهم من قبل أساتهم رافعي رؤسهم وأمر وأن يقولوا حطة أى احطط عنا ذنوبنا وخطايانا فاستهزؤا فقالوا حطة في شعيرة وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم وهو خروجه عن طاعته ولهذا قال فأنزلنا على الذين ظلموا رجلا من السماء بما كانوا يفسقون وقال الفضالة عن ابن عباس (١٦٩) كل شئ في كتاب الله من الرجز يعنى به

العذاب وهكذا روى عن مجاهد وأبي مالك والسدى والحسن وقتادة أنه العذاب وقال أبو العالية الرجز الغضب وقال الشعبي الرجز ما الطاعون واما البرد وقال سعيد بن جبير هو الطاعون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن إبراهيم بن سعد يعنى ابن أبي وقاص عن سعد ابن مالك واسامة بن زيد عن خزيمة بن ثابت رضى الله عنهم قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري به وأصل الحديث في الصحيحين من حديث حبيب بن أبي ثابت إذا سمعتم الطاعون بارض فلا تدخلوها الحديث قال ابن جرير أخبرني يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس عن الزهري وأخبرني عامر بن سعد بن أبي وقاص عن اسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الامم

بينهم ما وثم اسم اشارة للامكان البعيد خاصة مثل هنا وقال أبو البقاء نائب عن هناك وليس بشئ (ان الله واسع عليم) فيه ارشاد الى سعة رحمة وأنه يوسع على عباده في دينهم ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم وقيل واسع يعنى أنه يسع عليه كل شئ كما قال وسع كل شئ علما وقال القراء الواسع الجواد الذي يسع عطاؤه كل شئ عن ابن عباس قال أول ما نسخ من القرآن فيما ذكرنا والله أعلم شأن القبلة قال الله تعالى والله المشرق والمغرب الآية فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق ثم صرفه الله الى البيت العتيق ونسخها فقال ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلى على راحلته تطوعا أينما توجهت به ثم قرأ ابن عمر هذه الآية أينما تولوا فثم وجه الله وقال في هذا أنزلت هذه الآية وأخرج نحوه عنه ابن جرير والدارقطني والحاكم وصححه وقد ثبت في صحيح البخارى من حديث جابر وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يصلى على راحلته قبل المشرق فإذا أراد أن يصلى المكتوبة نزل واستقبل القبلة وصلى وأخرج عبد بن حميد والترمذي وضعفوا ابن ماجه وابن جرير وغيرهم عن عامر بن ربيعة قال كأم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة سوداء مظلمة فتر لنا منزلا فجعل الرجل يأخذ الاجار فيعمل مسجدا فيصلى فيه فلما ان أصبحنا اذا نحن قد صلينا على غير القبلة فقلنا يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة فأنزل الله والله المشرق والمغرب الآية فقال مضت صلاتكم عن ابن عباس قال قبله الله أينما توجهت شرقا وغربا وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة أخرجه ابن أبي شيبة والترمذي وصححه وابن ماجه (وقالوا اتخذ الله ولدا) القائل هم اليهود والنصارى فالله يود قالوا عز رب ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله وقيل هم كفار العرب قالوا الملائكة بنات الله أخرجه البخارى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قال الله تعالى كذبني ابن آدم وشقني فاما تكذيبه اياي فزعم أني لا أقدر أعبد كذا كان وأما شقته اياي فقوله لى ولد فسبحاني ان اتخذ صاحبة أو ولدا وأخرج نحوه أيضا من حديث أبي هريرة وفي الباب أحاديث والمراد بقوله (سبحانه) تنزيهه الله تعالى عما نسبوا اليه من اتخاذ الولد وفيه رد على

(٢٢٢ ل - فتح البیان) قبلكم وهذا الحديث أصله مخرج في الصحيحين من حديث الزهري ومن حديث مالك عن محمد بن المنكدر وسالم بن أبي النضر عن عامر بن سعد بن خنوخ (وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم) كلاوا شرابا من رزق الله ولا تعنوا في الارض مفسدين يقول تعالى واذكر وانعمي عليكم في اجابتي لنيكم موسى عليه السلام حين استسقى لكم وتيسري لكم الماء واخر اجد لكم من حجر يمدل معكم وتفعيري الماء لكم منه من ثلثي عشرة عينا لكما سبط من أسباطكم عن قد عرفوا فكلوا من المن والسلاوى وشرابا من هذا الماء الذي

أَتَبِعْتَهُ لَكُمْ بِالسَّعْيِ مِنْكُمْ وَلَا كَذَّ وَأَعْبَدُوا الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ ذَلِكَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ وَلَا تَقْبَلُوا النِّعَمَ بِالْعِصْيَانِ
فَتَسْلُبُوهَا وَقَدْ بَسَطَ الْمُقْسِرُونَ فِي كَلَامِهِمْ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَعَلَ بَيْنَ ظَهْرَانِهِمْ جَبْرَ مَرْجِعٍ وَأَمْرَ مُوسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ فَضَرَبَهُ بَعْضُهُمَا فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْهُ ثَلَاثُ عِمُونَ وَأَعْلَمَ كُلُّ سَبِيطٍ عَيْنَهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْهَا لَا يَرْتَحِلُونَ
مِنْ مَنَقَلَةٍ إِلَّا وَجَدُوا ذَلِكَ مَعَهُمْ بِالْمَكَانِ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ بِالْمَنْزِلِ الْأَوَّلِ وَهَذَا قِطْعَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ
أَبِي حَاتِمٍ وَهُوَ حَدِيثُ الْفَتَوَنِ الطَّوِيلِ وَقَالَ (١٧٠) عَطِيَّةُ الْعَوْفِي وَجَعَلَ لَهُمْ جَبْرًا مِثْلَ رَأْسِ النُّورِ يَحْمِلُ عَلَى نَوْرٍ فَإِذَا

القائلين بأنه اتخذ ولدا لان اتخاذ الولد لبقاء النوع والله منزّه عن الفناء والزوال (بل له ما فى
السموات والارض) أى بل هو مالك ما فيهما فكيف ينسب اليه الولد وهو لا القائلون
داخلون تحت ملكه والولد من جنسهم لامن جنسه ولا يكون الولد لامن جنس الوالد
(كل له قاتنون) أى مطعون ومقرّون له بالعبودية والقانت المطيع الخاضع أى كل
من فى السموات والارض كائننا ما كان من أولى العلم وغيرهم مطيعون له خاضعون
لعظمته خاشعون لجلاله لا يستعصى شئ منهم على تكويّنه وتقديره ومشيئته والقنوت
فى أصل اللغة القيام قال الزجاج فخلق قاسون أى قاتنون بالعبودية اما اقرارا واما
ان يكونوا على خلاف ذلك فاطر الصنعة بين عليهم وقيل أصله الطاعة ومنه والقائنين
والقاتات وقيل السكوت ومنه قوموا لله قاتنين ولهذا قال زيد بن ارقم كانتكم
فى الصلاة حتى نزلت وقوموا لله الآية فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وقيل القنوت
الصلاة والاولى ان القنوت لفظ مشترك بين معان كثيرة قيل هي ثلاثة عشر معنى وهى
مبينة وقد نظمها بعض أهل العلم واختلف فى حكم الآية فقليل هو خاص وقيل عام لان
لفظة كل تقتضى الشمول والاحاطة (بديع السموات والارض) ابداع الشئ انشاء
لا عن مثال وكل من انشأ ما لم يسبق اليه قيل له مبدع والاصل بديع سمواته أى بدعت
لجميعها على شكل فائق حسن غريب (وادا قضى أمرا) أى أحكمه وأتقنه قال الازهرى
قضى فى اللغة على وجوه من جمعها الى انقطاع الشئ وتماحه قيل هو مشترك بين معان
يقال قضى بمعنى خلق ومنه فقضاهن سبع سموات وبمعنى أعلم ومنه وقضينا الى بنى
اسرائيل فى الكتاب وبمعنى أمر ومنه وقضى ربك ان لا تعبدوا الاياه وبمعنى ألزم ومنه
قضى عليه القاضى وبمعنى أوفاد ومنه فلما قضى موسى الاجل وبمعنى أراد ومنه فاذا قضى
أمر او التقدير اذا قضى أمر اى يكون ويحصل فلفظ يكون المقدّر هو العامل فى اذا والامر
واحد الامور وقد ورد فى القرآن على أربعة عشر معنى الاول الدين ومنه حتى جاء الحق
ونظر أمر الله الثانى بمعنى القول ومنه فاذا جاء أمرنا الثالث العذاب ومنه لما قضى
الامر الرابع عيسى ومنه فاذا قضى أمر اى أوجده عيسى عليه السلام الخامس
القتل ومنه فاذا جاء أمر الله السادس فتح مكة فتربصوا حتى يأتى الله بامرہ السابع
قتل بنى قريظة وجاهلاء النصير ومنه فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامرہ والثامن

ينزلوا من الزلا وضعوه فضر به موسى
 عليه السلام بعصاه فانفجرت منه
 اثنتا عشرة عينا فاذا سار واجلوه
 على نور فاستسك الماء وقال عثمان
 بن عطاء الخراساني عن أبيه كان
 لبني اسرائيل حجر فكان يضعه
 هرون ويضر به موسى بالعصا
 وقال قتادة كان حجرا طوريا من
 الطور يحملونه معهم حتى اذا
 نزلوا ضربه موسى بعصاه وقال
 الزمخشري وقيل كان من رخام
 وكان ذراعاً في ذراع وقيل مثل
 رأس الانسان وقيل كان من الجنة
 طوله عشرة أذرع على طول موسى
 وله شعبتان يتقدان في الظلمة وكان
 يحمل على حمار قال وقيل أشبطه
 آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع
 الى شعيب فدفعه اليه مع العصا
 وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه
 حين اغتسل فمال له جبريل ارفع
 هذا الحجر فان فيه قدرة ولل فيه
 معجزة فحمله في مخلاته قال
 الزمخشري ويحتمل أن تكون
 اللام الجنس لالعهد أي اضر
 الشيء الذي يقال له الحجر وعن
 الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا

الحسن ثم يامره ان يضرب جارا
بعينه قال وهذا أظهر في المعجزة وأبين في القدرة فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر ثم يضرب به فيبين فقالوا
ان فقد موسى هذا الحجر عطشنا فأوحى الله اليه أن يكلم الحجاره فتفجر ولا عيبا بالعصا العلمهم يقولون والله أعلم وقال يحيى بن النضر
قلت لجوهر كيف علم كل أناس مشربهم قال كان موسى يضع الحجر ويقوم من كل سبط رجل ويضرب موسى الحجر فيفجر منه
اثنا عشرة عينا فينتزع من كل عين على رجل فيدعو ذلك الرجل سبطه الى تلك العين وقال الضحاك قال ابن عباس لما كان
الأنبياء في التيه شق لهم من الحار اهدا وقال الثوري عن أنس سمعت عن عكرمة عن ابن عباس قال ذلك في التيه ضرب لهم

موسى الحجر فصار منه اثنتا عشرة عينا من ماء لكل سبط منهم عين يشربون منها وقال مجاهد نحو قول ابن عباس وهذه القصة شبيهة بالقصة التي في سورة الاعراف ولكن تلك مكينة فلذلك كان الاخبار عنهم بضمير الغائب لان الله تعالى يقص على رسوله صلى الله عليه وسلم ما فعل بهم وأما في هذه السورة وهي البقرة فهي مدنية فلهذا كان الخطاب فيها متوجها اليهم وأخبر هناك بقوله فأنجست منه اثنتا عشرة عينا وهو أول الانفجار وأخبر ههنا بآل اليه الحال آخر وهو الانفجار فناسب ذكر الانفجار ههنا وذلك هناك والله أعلم وبين السياقين تباين من عشرة أوجه لفظية (١٧١) ومعنوية قد سألت عثمان الزمخشري في تفسيره

وأجاب عنها بما عنده والامر في ذلك قريب والله أعلم (واذ قلتم يا موسى ان نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقناها وفومها وعدسها وبصلها قال ان تبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خيرا اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم) يقول تعالى واذكروا نعمتي عليكم في انزالي عليكم المن والسلوى طعاما طيبا نافعا هنيئا سهلا واذكروا دبركم وخبركم مزارقتكم وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالطعمة الدنيئة من البقول ونحوها مما سألتهم قال الحسن البصري فبطر واذلك فلم يصبروا عليه وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه وكانوا قوما أهمل اعداس وبصل وبقل وفوم فقالوا يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقناها وفومها وعدسها وبصلها وانما قالوا على طعام واحد وهم يأكلون المن والسلوى لانه لا يتبدل ولا يتغير كل يوم فهو ما كل واحد قال بقل والقنا والعدس والبصل كلها معروفة

القيامة ومنه أتى أمر الله التاسع القضاء ومنه يدبر الامر العاشر الوحي ومنه ينزل الامر بينهم والحادى عشر أمر الخلائق ومنه ألى الله تصير الامور والثاني عشر النصر ومنه هل لنا من الامر من شيء والثالث عشر الذنب ومنه فذاقت وبال أمرها والرابع عشر الشأن ومنه وما أمر فرعون برشده هكذا ورد هذه المعاني باطول من هذا بعض المفسرين وليس تحت ذلك كثير فائدة فاطلاقه على الامور المختلفة لصدق اسم الامر عليها (فانما يقول له كن فيكون) الظاهر في هذا المعنى الحقيقي وانه يقول سبحانه هذا اللفظ وليس في ذلك مانع ولا جاء ما يوجب تأويله ومنه قوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقال تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون وقال وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقد قيل ان ذلك مجاز وانه لا قول وانما هو قضاء يقتضيه فعبر عنه بالقول وقال البيضاوي ليس المراد حقيقة أمر وامتنال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلامهله بطاعة المأمور المطيع بلا توقف انتهى وهذا من أنفاسه الفلسفية وكلم له من أشباه ذلك وأمثاله (وقال الذين لا يعلمون) قيل هم اليهود وقيل النصارى ووجه ابن جرير لانهم المذكورون في الآية وقيل مشركو العرب وعليه أكثر المفسرين (ولولا) حرف تخفيض أى هلا (يكلمنا الله) مشافهة من غير واسطة بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فعلم انه نبي أو بواسطة الوحي النبلى اليك وهذا منهم استتبار وتعت (أو تأتينا) لذلك (آية) أى علامة على نبوته وهذا منهم بخود (كذلك) أى مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد (قال الذين من قبلهم) قيل هم اليهود والنصارى في قول من جعل الذين لا يعلمون كفار العرب أو الامم السالفة في قول من جعل الذين لا يعلمون اليهود والنصارى أو اليهود في قول من جعل الذين لا يعلمون النصارى (مثل قولهم) وذلك ان اليهود سألوا موسى ان يرسم الله جهرة وان يسميهم كلام الله وسألوه من الايات ما ليس لهم مسئلته (تشابهت قلوبهم) أى في التعت والعمى والعناد والافتراح وقال القرأى في اتفاقهم على الكفر والامسا تشابهت أقاويلهم الباطلة (قد بينا الايات) أى زلناها بينة بان جعلناها كذلك في أنفسها كما في قولهم سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل لا تأينها بعد ان لم تكن بينة (لقوم يوقنون) أى يعترفون بالحق وينصفون في القول ويدعون لوامر الله سبحانه لكونهم مصدقين له سبحانه

وأما القوم فقد اختلف السلف في معناه فوقع في قراءة ابن مسعود وثوبها بالناء وكذا افسره مجاهد في رواية تليث بن أبي سليم عنه بالثوم وكذا الربيع بن أنس وسعيد بن جبير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا أبو عمار يعقوب بن اسحق البصري عن يونس عن الحسن في قوله وفومها قال قال ابن عباس الثوم قال وفي اللغة القديمة قوموا للتابعي اخترنا قال ابن جرير فان كان ذلك صحيحا فانه من الحروف المبجلة كقولهم وقعوا في عاثر وشروا عافور وشروا ثا في واثا في ومغافير ومغاثير وأشباه ذلك مما تقلب القاء والناء فالتقارب مخرجهما والله أعلم وقال آخرون القوم الخنطة وهو البر الذي يعمل منه الخبز قال ابن أبي

حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءةً أن أبا ابن وهب قراءتاً حدثني نافع بن أبي نعيم أن ابن عباس سئل عن قول الله وقومها بما قاموا
قال الخنطة قال ابن عباس أما سمعت قول أحبيبة بن الجلاح وهو يقول
قد كنت أغنى الناس شخصاً واحداً * ورد المدينة عن زراعة قوم وقال ابن جرير حدثنا علي بن الحسن حدثنا مسلم بن الحنفية
حدثنا عيسى بن يونس عن رشيد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس في قول الله تعالى وقومها قال القوم الخنطة بلسان بني حاتم
وكذا قال علي بن أبي طلحة والفتح عن ابن عباس وعكرمة عن ابن عباس أن القوم الخنطة وقال سفيان الثوري

عن ابن جرير عن مجاهد وعطاء
وقومها قالوا خبزنا وقال هشيم
عن يونس عن الحسن وحسين عن
أبي مالك وقومها قال الخنطة وهو
قول عكرمة والسدي والحسن
البصري وقتادة وعبد الرحمن بن
زيد بن أسلم وغيرهم قاله أعلم وقال
الجوهري القوم الخنطة وقال ابن
دريد القوم السنبلة وحكى
القرطبي عن عطاء وقتادة أن القوم
كل حب يختبز قال وقال بعضهم
هو الحص لغة شامية ومنه يقال
لبائسه فامى مغير عن فروى قال
البخاري وقال بعضهم الحبوب
التي تؤكل كلها قوم * وقوله تعالى
قال أتستبدلون الذي هو أدنى
بالذي هو خير فيه تقرير لهم وتوبيخ
على ما سألوهم من هذه الاطعمة
الدينية مع ما هم فيه من العيش
الرغيد والطعام الهنيء الطيب
النافع * وقوله تعالى اهبطوا مصراً
هكذا هم منون مصروف مكتوب
بالالف في المصاحف الائمة العثمانية
وهو قسرة الجمهور بالصرف قال
ابن جرير ولا أستخيز القراءة بغير
ذلك لا جماع المصاحف على ذلك

وقال ابن عباس اهبطوا مصراً قال مصر أمّ الامصار رواه ابن حاتم من حديث أبي سعيد البقال
سعيد بن المربان عن عكرمة عنه قال وروى عن السدي وقتادة والريبع بن أنس نحو ذلك وقال ابن جرير وقع في قراءة أبي بن
كعب وابن مسعود اهبطوا مصر من غير اجراء يعنى من غير صرف ثم روى عن أبي العالية والريبع بن أنس أنهم ما فسر ذلك بعضهم
فرعون وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي العالية والريبع وعن الاعشى أيضاً قال ابن جرير ويحتمل أن يكون المراد مصر فرعون
على قراءة الاجراء أيضاً ويكون ذلك من باب الاتباع لكاتب المصحف كما في قوله تعالى قوارير اقواريرا ثم توقف في المراد ما هو أصح

فرعون أم مصر من الأمصار وهذا الذي قاله فيه نظروا الحق أن المراد مضر من الأمصار كما روى عن ابن عباس وغيره والمعنى على ذلك لأن موسى عليه السلام يقول لهم هذا الذي سألتكم ليس بأمر عزيز بل هو كثير في أي بلد دخلتموها وجدتموه فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل الله فمه ولهذا قال أن تبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم أي ما طلبتم ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والاشر ولا ضرورة فيه لم يجابوا اليه والله أعلم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأوا بعصب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق (١٧٣) ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يقول تعالى

كتاب لمن تبعك منهم (أتبع أهواءهم) أي أهواء اليهود والنصارى (بعد الذي جاءك من العلم) أي البيان بأن دين الله هو الإسلام وأن القبلة هي قبلة إبراهيم وهي الكعبة ويحتمل أن يكون تعريضاً لآلته وتحذير لهم أن يواقعوا شيئاً من ذلك أو يدخلوا في أهواء أهل المال ويطلبوا رضا أهل البدع أخرج الثعلبي عن ابن عباس قال إن اليهود والمدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قبلة ثم فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله هذه الآية وجواب القسم قوله (مآل من الله من ولى) يلى أمره ويقوم بك (ولانصير) ينصرك ويمنعك من عقابه وفي هذه الآية من الوعيد الشديد الذي ترجفه القلوب وتنصدع منه الأفئدة ما يوجب على أهل العلم الحاملين لحجج الله سبحانه والقائمين ببيان شرائعه ترك الدهان لاهل البدع المتذهبين بهذا السوء التاركين للعمل بالكتاب والسنة المؤثرين لمحض الرأي عليهم ما فإن غالب هؤلاء أن أظهر قبولا وأبان من أخلاقه لينا لا يرضيه إلا اتباع بدعته والدخول في مداخله والوقوع في حباله فإن فعل العالم ذلك بعد أن علمه الله من العلم ما يستفيد به أن هدى الله هو مافى كتابه وسنة رسوله لا ما هم عليه من تلك البدع التي هي ضلالة محضة وجهالة بينة ورأى منهاراً وتقليد على شفا جرف هار فهو إذا ذلك ماله من الله من ولى ولانصير ومن كان كذلك فهو لا تحالة مخذول وهالك بلا شك وشبهة (الذين آتيناهم الكتاب) هم اليهود والنصارى قاله قتادة وقيل هم المسلمون والكتاب هو القرآن وقيل من أسلم من أهل الكتاب وقال ابن عباس نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب وكانوا أربعين رجلاً غمائية من رهبان الشام منهم بحري الراهب والباقي من الحبشة وقيل هم المؤمنون عامة (يتلونه حق تلاوته) أي يقرؤنه كما أنزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل المراد بالتلاوة أنهم يعملون بما فيه فيحلالون حلاله ويحرمون حرامه فيكون من تلايته أو إذا تبعه أي يتبعونه حق اتباعه ومنه قوله تعالى والقمر إذا تلاها أي اتبعها قاله ابن عباس وقال عمر بن الخطاب يعني إذا مررت بكرا الجنة يسأل الجنة وإذا مررت بكرا النار تعوذ من النار وقال زيد بن أسلم تسلكون به كما أنزل ولا يكتونه عن قتادة قال هم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن الحسن قال يعملون بحكمه

وضربت عليهم الذلة والمسكنة أي وضعت عليهم وألزموا بها شرعاً وقدر أي لا يزالون مستذلين من وجدهم استذلهم وأهانهم وضرب عليهم الصغار وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء مستكينون قال الضحاك عن ابن عباس وضربت عليهم الذلة والمسكنة قال هم أصحاب القبالات يعني الجزية وقال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن وقتادة في قوله تعالى وضربت عليهم الذلة قال يعطون الجزية عن يدهم صاغرون وقال الضحاك وضربت عليهم الذلة قال الذل وقال الحسن أذلهم الله فلا منعة لهم وجعلهم تحت أقدام المسلمين ولقد أدركتهم هذه الأمة وأن الجوس لتجيبهم الجزية وقال أبو العباس والرياسة والريسة أنس والسدى المسكنة الفاقة وقال عطية العوفي الخراج وقال الضحاك الجزية وقوله تعالى وبأوا بغضب من الله قال الضحاك استجقوا الغضب من الله وقال الربيع بن أنس حدثت عليهم غضب من الله وقال سعيد بن جبيرة وبأوا بغضب

من الله يقول استوجبوا سخطاً وقال ابن جرير يعني بقوله وبأوا بغضب من الله أنصرفوا ورجعوا ولا يقال بأه الأموصولا أما بخير وأما بشر يقال منه بأه فلان بذنبه يوبه يوبأوبه ومنه قوله تعالى إلى أي أريد أن تبوء باثمي وأثلك يعني تتصرف متحملهما وترجع بهما قد صارا عليك دوني فعني الكلام إذا رجعوا منه صرفين متحملين غضب الله قد صار عليهم من الله غضب ووجب عليهم من الله سخط وقوله تعالى ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق يقول تعالى هذا الذي جازي سناهم من الذلة والمسكنة وإحلال الغضب بهم من الذلة بسبب استكبارهم عن اتباع الحق وكفرهم بآيات الله وإهانتهم حلة الشرع وهم الأنبياء وأتباعهم

فانتصوهم الى أن أفضى بهم الحال الى أن قتلوههم فلا كفر أعظم من هذا انهم كفر وابات الله وقتلوا أنبياء الله بغير الحق ولهذا جاء في الحديث المنفق على صحته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكبر بطر الحق وغطت الناس وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا اسبعيل عن ابن عون عن عمرو بن سعيد عن جديدين عبد الرحمن قال قال ابن مسعود كنت لأعجب عن النجوى ولا عن كذا ولا عن كذا فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده مالك بن مرارة الراوى فذكرته من آخر حديثه وهو يقول يا رسول الله قد قسم لي من الجبال ما ترى فأحب أن أحدا (١٧٤) من الناس فضلى بشرا كين فافوقهم ما أليس ذلك هو البغي فقال

و يؤمنون بمتشابهه ويكون ما أشكل عليهم الى عالمه وقبل يسدبرونه حتى تدره ويتفكرون في معانيه وحقائقه وأسراره (أولئك يؤمنون به) أى يصدقون به فان كانت الآية في أهل الكتاب فالمعنى ان المؤمن بالتوراة الذى يتلوها حتى تلاوتها هو المؤمن بحمد صلى الله عليه وآله وسلم لان في التوراة نعمته وصفته وان كانت في المؤمنين عامة فالمعنى ظاهر (ومن يكفر به) أى يحصد ما فيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (فاولئك هم الخاسرون) أى خسروا أنفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايان (يا بني اسرائيل اذكر وانعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين واتقوا يوا ما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) قدم مثل هذا في صدر السورة وقد تقدم تفسيره وهذا من العام الذى يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه وقبل انه رد على اليهود في قولهم ان آباءنا يشفعون لنا ووجه التكرار الحث على اتباع الرسول النبي الامي ذكر معناه ابن كثير في تفسيره وقبل للتوكيد وتذكير النعم وفيه عظة لليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال البقاعي في تفسيره انه لما طال المدى في استقصاء تذكيرهم بالنعم ثم في بيان عوارضهم وهتك أستارهم وختم ذلك بالترهيب لتضييع أديانهم بأعمالهم وأحوالهم وأقوالهم أعاد ما صدر به قصتهم من التذكير بالنعم والتذكير من حلول النقم يوم يجمع الامم ويدوم فيه الندم لمن زلت به القدم ليعلم أن ذلك فذلك القصة والمقصود بالذات الحث على انتهاز الفرصة انتهى وأقول ليس هذا بشئ فإنه لو كان سبب التكرار ما ذكره من طول المدى وأنه أعاد ما صدر به قصتهم لذلك كان الاولى بالتكرار واللاحق بإعادة الذكر هو قوله سبحانه يا بني اسرائيل اذكر وانعمتى التى أنعمت عليكم وأفوا بعهدهم وأوف بعهدكم وأبى فارهون فان هذه الآية مع كونها أول الكلام معهم والخطاب لهم في هذه السورة هي أيضا أولى بان تعاد وتكرر لما فيها من الاصر بتذكيرهم بالنعم والوفاء بالعهود والرهبة لله سبحانه وبهذا تعرف صحة ما قدمناه لك عند أن شرع الله سبحانه في خطاب بني اسرائيل من هذه السورة فراجع ثم حكى البقاعي بعد كلامه السابق عن الحراني انه قال كرره تعالى اظهارا لمقصود التمام آخر الخطاب باوله ليتخذ هذا الافصاح والتعليم أصلا لما يمكن بان يرد من

لا ليس ذلك من البغي ولكن البغي من بطر أو قال سفته الحق وغطت الناس يعنى رد الحق واتقص الناس والازدراء بهم والتعاضم عليهم ولهذا لما ارتكب بنو اسرائيل ما ارتكبه من الكفر بآيات الله وقتلهم أنبياءه أحل الله بهم بأسه الذى لا يردوكساهم ذلا في الدنيا موصولا بذل الآخرة جزاء وفاقا قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن الأعشى عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبد الله ابن مسعود قال كانت بنو اسرائيل في اليوم تقتل ثلاثمائة ثم يقيمون سوق بقلهم من آخر النهار وقد قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبان حدثنا عاصم عن أبي وائل عن عبد الله يعنى ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبي أو قتل نبيًا وامام ضلالة وممثل من المشركين وقوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وهذه علة أخرى في مجازاتهم بما جاوزوا به انهم كانوا يعصون ويعتدون فالعصيان فعل

المنهجي والاعتداء المجاوزة في حد المأذون فيه والمأمور به والله أعلم (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لما بين تعالى حال من خالف أو امره وارتكب زواجره وتعدى في فعل ما لا اذن فيه وانتكح المحارم وما أحل بهم من النكال به تعالى على أن من أحسن من الامم السالفة واطاع فان له جزاء الحسن وكذا ذلك الامر الى قيام الساعة كل من اتبع الرسول النبي الامي فله السعادة الابدية ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا هم يحزنون على ما يتر كونه ويخلفونه كما قال تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

يخزئون وكان يقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار في قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا عن أي عمر العدوي حدثنا شافعيان عن ابن أبي شحيب عن مجاهد قال قال سلمان رضي الله عنه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل دين كنت معهم فذكرت من صلاتهم وعبادتهم فنزلت ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر الى آخر الآية وقال السدي ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا الآية نزلت في أصحاب

سلمان الفارسي بينما هو يحدث النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذكر أصحابه فآخبره خبرهم فقال كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون أنك ستبعث نبيا فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبى الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان هم من أهل النار فاشتد ذلك على سلمان فانزل الله هذه الآية فكان

إيمان اليهود (١) أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكا وإيمان النصارى ان من تمسك بالانجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منهم حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فلم يتبع محمدا صلى الله عليه وسلم منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والانجيل كان هالكا قال ابن أبي حاتم وروى عن سعيد بن جبير نحو هذا قلت وهذا لا ينافي ما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم

نحوه في سائر القرآن حتى كان الخطاب اذا انتهى الى غاية خاتمة يجب ان يلحق القلب بداية تلك الغاية فيتلوها ليكون في تلاوته جامع للطرفين الثناء وفي تفهيمه جامع للمعاني طرفي المعنى انتهى وأقول لو كان هذا سبب التكرار كان الاولى به ما عرفناك واما قوله وليتخذ ذلك أصلا لما يرد من التكرار في سائر القرآن فعلوم ان حصول هذا الامر في الاذهان وتقرره في الافهام لا يختص بتكرار آية معينة يكون اقتراح هذا المقصد بها فلم يتم حينئذ التمكن في تكريرها تين الايتين بخصوصهما والله الحكمة البالغة التي لا تبلغها الافهام ولا تدركها العقول فليس في تكلف هذه المناسبات المتعسفة الا ما عرفناك به هنالك فتذكر

(واذا بتلى ابراهيم ربه يكلمات) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولي اسرائيل والايتلاء الاخبار والامتحان أي ابتلاء بما أمر به وهو استعارة تعبها واقعة على طريق التمثيل أي فعل معه فعلا مثل فعل المختبر والغرض من هذا التذكير بفتح أهل الملل المتخالفين وذلك لان ابراهيم يعترف بفعله جميع الطوائف قديما وحديثا فخشي الله عن ابراهيم أمورا توجب على المسلمين والهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لان ما أوجبه الله على ابراهيم جاء به محمد وفي ذلك حجة عليهم وابراهيم اسم أعجمي معناه في السريانية أب رحيم كذا قال الماوردي قال ابن عطية ومعناه في العربية ذلك قال السهيلي وكثيرا ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي وفيه لغات وكان مولدا ابراهيم بالسوس من أرض الاهاز وقيل بيبايل وقيل بكوني وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بجزان ولا يمكن أباده نقله الى أرض بابل وهي أرض غمر وذالجبار وقد أورد صاحب الكشف هنا سؤالا في رجوع الفهر الى ابراهيم مع كون رتبته التأخير وأجاب عنه بأنه قد تقدم لفظا فرجع اليه والامر في هذا أوضح من ان يشغل بذكره وأورد في مثله الاستدلال أو بسوء دوجه القرطاس بايضاحه وقد اختلف العلماء في تعيين الكلمات فقل هي شرائع الاسلام وقيل ذبح ابنه وقيل أداء الرسالة وقيل حتى خصال الفطرة وقيل قوله اني جاع لك للناس اماما وقيل الطهارة قال الزجاج وهذه الاقوال ليست بمتناقضة لان هذا كله مما ابتلى به ابراهيم انتهى وظاهر النظم القرآني أن الكلمات هي قوله اني جاع لك وما بعده ويكون ذلك بيانا للكلمات وجاء عن بعض السلف ما وافق ذلك وعن آخرين ما يخالفه والحق أنه اذا لم يصح شيء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا جاءنا من طريق تقوم

الآخر الآية (٢) فانزل الله بعد ذلك ومن يفتح غير الاسلام دينافن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين فان هذا الذي قاله ابن عباس اخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقتا ولا عملا الا ما كان وافقا لشريعته محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثه بما بعثه به فاما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة قاله يهودا تابع موسى عليه السلام الذين كانوا يتبعوا الى التوراة في زمانهم واليهود من اليهودية المودة أو اليهودية التوبة كقول موسى عليه السلام انا هدنا الملك أي تبنا فكأنهم سموا بذلك في الاصل لتوبتهم ومودتهم في بعضهم لبعض وقيل لسببتهم الى يهودا كبرأولاد يعقوب وقال أبو عمرو بن

العلاء لانهم يتحدون أي يتركون عند قراءة التوراة فلما بعث عيسى صلى الله عليه وسلم وجب على بني اسرائيل اتباعه والالتحاق به
فاجتنبوه وأهل دينه هم النصارى وسجوا بذلك لتناصرهم فيما بينهم وقد يقال لهم أنصاراً أيضاً كما قال عيسى عليه السلام من أنصاري
إلى الله قال الخواريون نحن أنصار الله وقيل انهم انما سوا بذلك من أجل انهم نزلوا أرضاً يقال لها ناصرة قاله قتادة وابن جرير
وروى عن ابن عباس أيضاً والله أعلم والنصارى جمع نضران كنشأوا جمع نشوان وسكاري جمع سكران ويقال للمرأة نضرة
قال الشاعر نضرة لم تحف فلما بعث الله (١٧٦) محمد صلى الله عليه وسلم خاتماً للنبيين ورسولاً إلى بني آدم على الإطلاق

بها الحجة في تعيين تلك الكلمات لم يبق لنا إلا أن نقول انهم ما ذكره الله سبحانه في كتابه قال
إني جاعل للناس إماماً ويكون ذلك بيانا للكلمات أو السكوت وحالة العلم في ذلك على
الله سبحانه وإماماً روى عن ابن عباس ونحوه من الصحابة ومن بعدهم في تعيينها فهو
أولاً أقوال الصحابة ولا تقوم بها الحجة فضلاً عن أقوال من بعدهم وعلى تقدير أنه لا مجال
للاجتهاد في ذلك وإن له حكم الرفق فقد اختلفوا في التعيين اختلافاً منع معه العمل
ببعض ما روى عنهم دون البعض الآخر بل اختلفت الروايات عن الواحد منهم كما روى
عن ابن عباس فكيف يجوز العمل بذلك وبه إذ تعرف ضعف قول من قال أنه يصار إلى
العموم ويقال تلك الكلمات هي جميع ما ذكرهنا فإن هذا يستلزم تفسير كلام الله
بالضعيف والمتناقض وما لا تقوم به الحجة وعلى هذا فيكون قوله إني جاعل مستأنفاً كأنه
قيل ماذا قال له وقال ابن جرير ما حاصله أنه يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ذلك
وجاء أن يكون بعض ذلك ولا يجوز الجزم بشيء منها لأنه المراد على التعيين الإجماع
أو إجماع ولم يصح في ذلك خبر ينقل الواحد ولا ينقل الجماعة الذي يجب التسليم له ثم قال
إن الذي قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس أولى بالصواب يعني أن الكلمات هي قوله
إني جاعل للناس إماماً وقوله وعهدنا إلى إبراهيم وما بعده ورجح ابن كثير أنها تشمل جميع
ما ذكره وفيه بعد (فأتمن) أي قام بهن أتم قياماً ومثل أكل امتثال واختلاف هل كان
هذا ابتلاء قبل النبوة أو بعده فاقبل بالاول دليل السياق فإنه يدل على أن قيامه عليه
السلام بهن كالسبب لأن يجعله الله إماماً والسبب يتقدم على المسبب وقبل بالثاني لأن
التكليف لا يعلم إلا من جهة الوحي الإلهي وذلك بعد النبوة وقيل إن قسر الابتلاء
بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وإن قسر بما وجب عليه من شرائع
الدين كان ذلك بعد النبوة (قال إني جاعل للناس) أي لاجلهم (إماماً) يقتدى بذلك
وهديك وسنتك والامام هو الذي يؤتم به ومنه قيل للطريق إمام وللبناء إمام لأنه يؤتم بذلك
أي يهتدى به السالك والامام لما كان هو المقصد للناس لكونهم يأتمون به ويهتدون
بهديه أطلق عليه هذا اللفظ إذ لم يبعث بعده نبي إلا كان من ذريته مأموراً باتباعه في
الجملة وإبراهيم يعترف بفضل جميع الطوائف قديماً وحديثاً فاللهود والنصارى فانهم
مقرون بفضلهم ويتشرفون بالنسبة اليه وانهم من أولاده وأما العرب في الجاهلية فانهم

وجب عليهم تصديقه فيما أخبر
وطاعته فيما أمر والانتكاف
عما عندهم من وهو لا هم
المؤمنون حقاً وسميت أمة محمد
صلى الله عليه وسلم مؤمنين لكثرة
إيمانهم وشدة إيمانهم ولأنهم
يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية
والغيوب الآتية وأما الصابئون
فقد اختلف فيهم فقال سفيان
الثوري عن ليث بن أبي سليم عن
مجاهد قال الصابئون قوم بين
المجوس واليهود والنصارى ليس
لهم دين وكذا رواه ابن أبي شيبة عنه
وروى عن عطاء وسعيد بن جبير
نحو ذلك وقال أبو العالبة والربيع
ابن أنس والسدي وأبو الشعثاء
جابر بن زيد والضحك واسحق بن
راهويه الصابئون فرقة من أهل
الكتاب يقرؤون الزبور ولهذا قال
أبو خنيفة واسحق لابأس بنبأهم
ومنا تخمهم وقال هشيم عن مطرف
كأعند الحكمين بن عتبة خذته رجل
من أهل البصرة عن الحسن أنه
كان يقول في الصابئين انهم
كالمجوس فقال الحكمين ألم أخبركم
بذلك وقال عبد الرحمن بن مهدي

عن معاوية بن عبد الكريم سمعت الحسن ذكر الصابئين فقال هم قوم يعبدون الملائكة وقال ابن جرير
حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن قال أخبرني زيدان الصابئين يصلون إلى القبلة ويصلون
الحسن قال فأراد أن يضع عنهم الجزية قال خبر بعد أنهم يعبدون الملائكة وقال أبو جعفر الرازي بلغني أن الصابئين قوم يعبدون
الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون للقبلة وكذا قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى
أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه قال الصابئون قوم بمنازل العراق وهم بكوفة وهم يؤمنون بالنبيين كاهم ويصومون

من كل سنة ثلاثين يوما ويصلون الى الميعن كل يوم خمس صلوات وسئل وهب بن منبه عن الصادق عليه السلام اني يعزب الله رسده
وليس له شريعة يعمل بها ولم يحدث كفرا وقال عبد الله بن وهب قال عبد الرحمن بن زيد الصائغون دين من الاديان كانوا يجزيرة
الموصل يقولون لا اله الا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي الا قول لا اله الا الله قال ولم يؤمنوا برسول فمن أجل ذلك كان
المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه هؤلاء الصائغون يشبهونهم بهم يعني في قول لا اله الا الله وقال الخليل هم قوم
يشبه دينهم دين النصارى الآن قبلتهم فقومهم الجندوب يزعمون أنهم (١٧٧) على دين نوح عليه السلام وحكي القرطبي عن

مجاهد والحسن وابن أبي نجيح أنهم
قوم ترك دينهم بين اليهود
والمجوس ولا تؤكل ذبائحهم
ولا تنكح نسائهم قال القرطبي
والذي تحصل من مذهبهم فيما
ذكره بعض العلماء أنهم موحدون
ويعتقدون تأثير النجوم وانها
فاعلة ولهذا أفق ابوسعيد
الاصطخري بكفرهم للقادر بالله
حين سأله عنهم واختار الرازي ان
الصائغين قوم يعبدون الكواكب
يعني ان الله جعلها قبله للعبادة
والدعاء أو يعني ان الله فوض تدبير
أمر هذا العالم اليها قال وهذا
القول هو المنسوب الى الكشرايين
الذين جاءهم ابراهيم عليه السلام
راد عليهم ومبطلا لقولهم وأظهر
الاقوال والله أعلم قول مجاهد
ومتابعيه ووهب بن منبه أنهم قوم
ليسوا على دين اليهود والنصارى
ولا المجوس ولا المشركين وانما هم
قوم باقون على فطرتهم ولادين
مقرر لهم يتبعونه ويعتقونه ولهذا
كان المشركون ينسبون من أسلم
بالصائغ أي انه قد خرج عن سائر
أديان أهل الارض اذ ذاك وقال

أيضا يعرفون بفضله ويشرفون على غيرهم به لانهم من أولاده ومن ساكني حرمة
وخدام بيته ولما جاء الاسلام زاده الله شرفا وفضلا حتى الله عن ابراهيم امورا توجب
على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاعتراف
بدينه والالتحاق بشريعته لان ما أوجبه الله على ابراهيم هو من خصائص دين محمد صلى الله
عليه وآله وسلم وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانتساب
لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والايان به وتصديقه (قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي
الظالمين) يحتمل أن يكون ذلك دعاء من ابراهيم أي واجعل من بعض ذريتي أئمة ويحتمل
أن يكون هذا من ابراهيم لقصد الاستقهام وان لم يكن بصيغته أي ومن ذريتي ماذا
يكون يارب فاخبره أن فيهم عصاة وظلمة وانهم لا يصلحون لذلك ولا يقومون به ولا ينالهم
عهد الله سبحانه وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة امامة النكل وان كانوا على الحق
عن قتادة قال هذا عند الله يوم القيامة لا ينال عهده ظالما فاما في الدنيا فقد نالوا عهده
فوارثوه المسلمين وغادوهم ونكحهم فلما كان يوم القيامة قصر الله عهده وكرامته على
أوليائه وعن مجاهد قال لا تجعل اماما ظالما يقتدي به وعن ابن عباس قال يخبره انه ان
كان في ذرية ظالما لا ينال عهده ولا ينبغي له أن يولي شيئا من أمره والنيل الادراك وهو
العتاء والذرية مأخوذة من الذر لان الله أخرج الخلق من ظهر آدم عليه السلام حين
أشبههم على أنفسهم كالذر وقيل مأخوذة من ذرأ الله الخلق يذرؤهم اذ خلقهم وفي
الكتاب العزيز فاصبح هشيا تذرؤه الرياح وقال الخليل انما هو اذرية لان الله تعالى ذرأها
على الارض كما ذرأ الزرع البذر قال ابن فارس يؤخذ من هذا البابحة السعي في منافع
الذرية والقربة وسؤال من سده ذلك واختلف في المراد بالههه فقيل الامامة وقيل النبوة
وقيل عهد الله أمره وقيل الامان من عذاب الآخرة ورجحه الزجاج والاول أظهر كما يفيد
السياق وقد استدل بهذه الآية جماعة من أهل العلم على أن الامام لا بد أن يكون من أهل
العدل والعمل بالشرع كما ورد لانه اذا راغ عن ذلك كان ظالما ويمكن أن ينظر الى ما يصدق
عليه اسم العهد وما يفيد الاضافة من العموم فيشمل جميع ذلك اعتبارا بعموم اللفظ
من غير نظر الى السبب ولا الى السياق فيستدل به على اشتراط السلامة من وصف الظلم
في كل من تعلق بالامور الدينية وقد اختار ابن جرير ان هذه الآية وان كانت ظاهرة في

(٢٣ ل - فتح انسان) بعض العلماء الصائغون الذين لم تبلغهم دعوة نبي الله أعلم (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلو افاض الله عليكم ورجته لكنتم من
الخاسرين) يقول تعالى مذكر اني اسراييل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق بالايان به وحده لا شريك له واتبع رسوله وأخبر
تعالى انه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق رؤسهم ليعروا عهوده وعليه وما أخذوه بقوة وجزم وامثال كما قال تعالى واذ
تقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون فالطور هو الجبل كما فسر به

في الاعراف ونص على ذلك ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن والفضال والربيع بن أنس وغير واحد وهذا ظاهر وفي رواية عن ابن عباس التوراة ما أثبت من الجبال وما لم يثبت فليس يظن وفي حديث التتو عن ابن عباس انهم لما استنوعوا الطاعة رفع عليهم الجبل ليستعوا وقال السدي فلما أرى أن يسجدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم فظنوا اليه وقد غشهم فذقوا أجدا فسجدوا على شقوقه والشقوق لا تحرقهم الله فكشف عنهم فذابوا والله ما يجد أحب إلى الله من سجدة كشف بها العذاب عنهم فيهم يسجدون كذلك (١٧٨) وذلك قول الله تعالى ورونا فوقكم الطور وقال الحسن في قوله

الخبر انه لا يشال عهد الله بالامامة ظالمات فيها اعلام من الله لا براهم اخليل انه سيوجد من ذرية من هو ظالم لنفسه انتهى ولا يخفى ان الله لا يجدوى لكلامه هذا فالاولى ان يقال ان هذا الخبر في معنى الامر لعباده أن لا يولوا أمور الشرع ظالما وانما ظالمنا في معنى الامر لان اخباره تعالى لا يجوز أن يتخلف وقد علمنا انه قد نال عهد من الامامة وغيره كثير من الظالمين (واذ جعلنا البيت مثابة للناس) أي لاجلهم أو لاجل مناسكهم والبيت هو الكعبة غلب عليه كجلب النجم على الثريا ويدخل فيه جميع الحرم بوصفه بكونه أمنا كما ساقى ومثابة مصدر من ثاب ثوبا مثابة أي مر جعابرج احتجاج اليه بعد تفرقهم عنه وقيل المثابة من الثواب أي يثابون هنالك وقال مجاهد المراد انهم لا يقصون منه أوطارهم قال الاخفش ودخلت الياء لكثرة من ثوب اليه فيسمى كعلامة ونسابة وقال غيره هي للتأنيث وليست للمبالغة وهو مصدر وأسم مكان قولان (وأما) هو اسم مكان أي موضع آمن وهو أطير من جعله اسم الفاعل على سبيل الجواز كقوله حرما آمنافان الآمن هو الساكن والمليجي والاول لا يجاز فيه وقد استدل بذلك جماعة من أهل العلم على أنه لا يقام الخد على من جأ اليه ويريد ذلك قوله تعالى ومن دخله كان آمنا وقيل ان ذلك منسوخ وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمة الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بجمرة الله الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبل ولم يحل لي الاساعه من نهاري فو حرام بجمرة الله الى يوم القيامة لا يعصده ولا يفرصده ولا يلقط لقطته الا من عرفنا ولا يحتمل خلاه فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيهم ويوتهم فقال الا الاذخر أخرجه البخاري ومسلم وكان الناس يامنون فيه من أذى المشركين فانهم كانوا لا يعرضون لاحل مكة ويقولون هم أهل الله وقال ابن عباس في الآية معاذوا لمجا (واخذوا من مقام ابراهيم صلى) قرئ على انه فعل ماض أي واتخذوه مصلى وقرئ على صيغة الامر ويجوز أن يكون تقديره وظلنا اتخذوا والمقام في اللغة موضع القيام قال النحاس هو من قام يقرم يكون مصدرا واسما للموضع ومقام من أقام ومن التبعيض وهذا هو الظاهر وقيل بمعنى في وقيل زائدة على قول الاخفش وليس بشئ اختلف في تعيين المقام على أقوال أصحها أنه الحجر الذي يعرفه الناس ويصلون عنده ركعتي الطواف وقيل

خذوا ما آتيناكم بقوة يعني التوراة وقال أبو العالية والربيع ابن أنس بقوة أي بطاعة وقال مجاهد بقوة يعمل بها فيه وقال قتادة خذوا ما آتيناكم بقوة القوة الجدا والاذقته عليكم قال فافرو بذلك أنهم يأخذون ما أتوا بقوة ومعنى قوله والاذقته عليكم أي اسقطه عليكم يعني الجبل وقال أبو العالية والربيع وأذكروا ما فيه يقول أقر وأما في التوراة وأعماله وقوله تعالى ثم توليتهم من بعد ذلك فلولا فضل الله يقول تعالى ثم بعد هذا المشاق المؤكدة العظيم توليت عنه وان شئتم وتقصتوه فلولا فضل الله عليكم ورحمته أي بتوبته عليكم وارساله النبيين والمرسلين اليكم لكنكم من الخاسرين بتقصكم ذلك المشاق في الدنيا والاخرة (ولقد علم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناهم قردة لئلا يبين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) يقول تعالى ونقد علمت يا معشر اليهود ما أحل من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله

وخالفوا وعهد وميثاقه فيما أخذهم عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره اذا كان مشروعا عليهم فتحملوا على اصطفايا الحيات في يوم السبت بمأوضوعوا منها من النصوص والجبال والبرك قبل يوم السبت فلما جئت يوم السبت على عاتقها الكثرة نسبت تلك الجبال والحبل فلم تخلص منها يومها ذلك فلما كان الليل أخذوا بعد انقضاء السبت فلما فعلوا ذلك سخطهم الله الى صورة القردة وهي أشبه بشئ بالاناس في الشكل اظاهر وليست بإنسان حقيقة فكذلك أعمال هؤلاء وحياتهم لما كانت مشابهة للحق في الظاهر ومخالفة له في الباطن كان جزاؤهم من جنس عملهم وهذه القصة مبسطة في سورة الاعراف حيث يقول

تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ ذاتهم حيث انهم يوم سبتهم شرعوا يوم لا يسبقون لانا فيهم كذلك يبلوهم بما كانوا ينسقون القصة بكلها وقال السدي أهل هذه القرية هم أهل آيلة وكذا قال قتادة وسنورد أقوال المفسرين هناك مبسطة ان شاء الله وبه الثقة وقوله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي شيبة عن مجاهد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال مسخت قلوبهم ولم يحسوا قردة وانما هو مثل ضرب به الله كمثل الجار يحمل أسفارا ورواه ابن جرير عن المثني عن أبي حذيفة وعن (١٧٩) محمد بن عمر الباهلي وعن أبي عاصم عن

المقام الحرم كله روى ذلك عن عطاء ومجاهد وقيل عرفة والمزدلفة وقال الشعبي الحرم كله مقام والمعنى اتخذوا مصلى كأنشاء عند مقام ابراهيم والعنبدية تصديق بجهاته الاربع والتخصيص بمصلى المصلى خلقه انما استفيد من فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة بعده أخرجه البخاري وغيره من حديث أنس عن عمر بن الخطاب قال وافقت ربي في ثلاث ووافقتني ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فزلت هذه الآية وقالت يا رسول الله ان نسألك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فزلت آية الحجاب واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسأوه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه ان طلقكن ان يبدل أزواجهن منكن فزلت كذلك وأخرجه مسلم وغيره مختصرا من حديث ابن عمر عنه وأخرج مسلم وغيره من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رمى ثلاثا أشواط ومشى أربع حتى اذا فرغ عدلى مقام ابراهيم فصلى خلقه ركعتين ثم قرأوا اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وفي مقام ابراهيم عليه السلام أحاديث كثيرة مستوفاة في الامهات وغيرها والاحاديث الصحيحة تدل على أن مقام ابراهيم هو الحجر الذي كان يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أنه اسمعيل به ليقوم فوقه كما في البخاري من حديث ابن عباس وهو الذي كان ملاصقا بجدار الكعبة وأول من نقله عمر ابن الخطاب كما أخرجه عبد الرزاق والبيهقي بإسناد صحيح وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق مختلفة وأخرج ابن أبي حاتم من حديث جابر في وصف حج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لما طاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له عمر هذا مقام ابراهيم قال نعم وأخرج نحوه ابن مردويه قبل كان أثر أصابع رجلي ابراهيم فيه فاندست بكثرة المسح بالأيدي وانما أمره بالصلاة عنده ولم يؤمر بالصلاة وتقبيله وقد روى البخاري في بدء قصته المقام أثر طويلا عن ابن عباس وقد روى حديث الترمذي أن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما واختلفوا في قوله مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة التي هي الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقامه قبله أمره بالصلاة عنده وهذا هو الصحيح لان لفظ الصلاة اذا أطلق لا يعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع الذي يصلي فيه (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن تطهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع

عيسى عن ابن أبي شيبة عن مجاهد به وهذا سند جيد عن مجاهد وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي غيره قال الله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت الآية وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعل الله منهم القردة والخنازير فزعهم ان شباب القوم صاروا قردة وان الشيخة صاروا خنازير وقال شيبان النخعي عن قتادة فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فصار القوم قردة تعاروا لها أذنان بعد ما كانوا رجالا ونساء وقال عطاء الخراساني نودوا يا أهل القرية كونوا قردة خاسئين فجعل الذين نهوهم يدخلون عليهم فيقولون يا فلان ألم ننهمكم فيقولون برؤسهم أي بلى وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن حدثنا عبد الله بن محمد بن ربيعة بالمصيصية حدثنا محمد بن مسلم يعني الطائفي عن ابن أبي شيبة عن مجاهد عن ابن عباس قال انما كان الذين اعتدوا في السبت فجعلوا قردة فواقاهم هلكوا ما كان للمسخ نسل وقال الضحاك عن ابن عباس فسحقهم الله قردة ببعصيتهم يقول اذ لا يحيون في الارض الا ثلاثة أيام قال ولم بعش مسخ فظف فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة الايام التي ذكرها الله في كتابه فسحق هؤلاء القوم في صورة القردة وكذلك يفعل بمن يشاء كما يشاء يحوله كما يشاء وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالمة في قوله كونوا قردة خاسئين قال يعني أدلة صاغرين وروى عن مجاهد وقاتلة والربيع وأبي مالك نحوه وقال محمد بن اسحق عن داود بن أبي الحصين عن عكرمة قال قال ابن عباس ان

الله انما افترض على بني اسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم يوم الجمعة فثالثوا الى السبت ففعلوه وتركوها امر وابه
فما اثاروا الا زوم السبت ابتلاهم الله فيه فخرم عليهم ما حل لهم في غيره وكانوا في قرية بين ايلة والطور يقال لها مدين فخرم الله
عليهم في السبت الحيتان صيدها واكلها وكانوا اذا كان يوم السبت اقبلت اليهم شرعاً على الساحل يجرهم حتى اذا ذهب السبت
ذهب فلم يروا حونا صغيراً ولا كبيراً حتى اذا كان يوم السبت اتين شرعاً حتى اذا ذهب السبت ذهب فكانوا كذلك حتى طال عليهم
الامد وقرموا الى الحيتان عمد رجل منهم (١٨٠) فأخذ حوتاً من يوم السبت فخرمه بخيط ثم أرسله في الماء وأوتله وتدفى

الساحل فأوثقه ثم تركه حتى اذا
كان الغد جاء فأخذه أي اني لم أخذه
في يوم السبت فانطلق به كله حتى
اذا كان يوم السبت الآخر عاد
لمثل ذلك ووجد الناس ريح
الحيتان فقال أهل القرية والله
لقد وجدنا ريح الحيتان ثم عثروا
على صنيع ذلك الرجل قال ففعلوا
كما فعل وصنعوا سراراً ما طويلاً
لم يجعل الله عليهم العقوبة حتى
صادوها علانية وباعوها بالاسواق
فقات طائفة منهم من أهل البقية
ويحكم اتقوا الله ونهروهم عما
كانوا يصنعون فقات طائفة
أخرى لم تأكل الحيتان ولم تنه
القوم عما صنعوا لم تعظون قوماً الله
مهلكهم أو معدنهم عذاباً شديداً
قالوا معدرة الى ربكم بسخطنا
اعمالهم ولعالمهم يتقون قال ابن
عباس فبيناهم على ذلك أصبحت
تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم
فقدوا الناس فلم يروهم قال فقال
بعضهم لبعض ان للناس شأنا
فانظروا ما هو فذهبوا ينظرون
في دورهم فوجدوها مغلقة عليهم
قد دخلوها لئلا تغلقوها على

السجود) معنى عندها نأمرنا وأوحينا وقيل ألزمتنا وأوجبتنا ومن أغرب ما نقل في
تسمية اسم عيسى أن ابراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولداً ويقول في دعائه اسمع يا إيل وإيل
بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه وقيل هو اسم العجمي وفيه لعتان اللام
والنون ويجمع على سماعل وسمايل وأساميع والمراد بالتطهير قيل من الأوثان قال ابن
عباس وقيل من الآفات والرب وقول الزور والرجس قاله مجاهد وسعيد بن جبير
وقادة وقيل من الكفار وقيل من النجاسات وطواف الجنب والحنث وكل خبيث
والظاهر انه لا يختص بنوع من هذه الأنواع وأن كلما يصدق عليه مسمى التطهير فهو
يتناولها ما تناولا شويماً أو بدلياً أو اضافته في قوله بيتي للتشريف والتكريم والمراد بالبيت
الكعبة والطائف الذي يطوف به أي الدائر حوله وقيل الغرب الطارئ على مكة
والعاكف المقيم وأصل العكوف في اللغة اللزوم واللبث والاقبال على الشيء وقيل هو
المجاور دون المقيم من أهلها والمراد بقوله الركع السجود المصلون وخص هذين الركعتين
بالذكر لانهما أشرف أركان الصلاة عن ابن عباس قال اذا كان قائماً فهو من الطائفتين
واذا كان جالساً فهو من العاكفين واذا كان مصلياً فهو من الركع السجود وعن عمار بن
الخطاب انه سئل عن الذين ينامون في المسجد فقال هم العاكفون وفي الآية مشروعية
طهارة المكان للطواف والصلاة قال الرازي واليكما الهراشي وفيها دلالة على أن الطواف
للغربة أفضل والصلاة للمقيم أمثل قلت ولم يظهر لي وجه ذلك قالوا وفيها دلالة على جواز
الصلاة في نفس الكعبة حيث قال بيتي خلافاً لما لك قلت وفيه أن الطواف لا يكون في
نفس الكعبة قال الرازي وفيها دلالة على أن الطواف قبل الصلاة قلت وقد سبقه بذلك ابن
عباس وفيها دلالة على جواز المجاورة بمكة لأن قوله والعاكفين يحمله والسجود جمع ساجد
شعراً فاعدو وقعدو وهو مناسب لما قبله وقيل انه مصدر نحو الدخول والعود والمعنى ذوى
السجود ذكره أبو البقاء والاول أولى ولتقارب الآخرين ذاتاً وزماناً ترك العاطف بينهما
وجمع صفتين جمع سلامة وآخر بين جمع تكسیر لاجل المقابلة وهو نوع من الفصاحة واذا
قال ابراهيم رب اجعل هذا أي مكة وقيل الحرم (بلداً آمناً) والمراد الدعاء لاهله من ذريته
وغيرهم كقوله عيشة راضية أي راض صاحبها أو الاسناد الى المكان بجاز كما في ليل نائم
أي نائم فيه قاله السعداء اقتاراني وعلى هذا المراد أن المتحجب اليه فاسند اليه مبالغة وقد

أنفسهم كما يغلق الناس على أنفسهم فاصبحوا فيها قردة وانهم ليعرفون الرجل بعينه وانه لقرد والمرأة
بعينها وانها القردة والصبي بعينه وانه لقرد قال قال ابن عباس فلولا ما ذكر الله اني الذي نهوا عن سوء القداء هلك الله الجميع منهم
قال وهي القرية التي قال جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم واسئلكم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الآية وروى الضحاك عن
ابن عباس نحو ما من هذا وقال السدي في قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال هم
أهل ايلة وهي القرية التي كانت حاضرة البحر فكانت الحيتان اذا كان يوم السبت وقد حرم الله على اليهود أن يعملوا في السبت

شيا لم يبق في الجرحوت الا خرج حتى يخرجن خراطيمهن من الماء فاذا كان يوم الاحد من سفل البحر فلم ير منهن شي حتى يكون يوم السبت فذلك قوله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتهم حينئذ يوم سبتهم شرعا وتوم لا يستون لتأتهم فاشتهى بعضهم السم فجعل الرجل يحفر الحفيرة ويجعل لها نهر الى البحر فاذا كان يوم السبت فتح النهر فاقبل الموج بالحيات يضربها حتى يلقها في الحفيرة فيريد الحوت أن يخرج فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر فيكث فيها فاذا كان يوم الاحد جاء فاخذ فجعل الرجل يشوى السمك فيجد جاره ورائحه فيسأله (١٨١) فيخبره فيصنع مثل ما صنع جاره حتى

فشا فيهم أكل السمك فقال لهم علماءهم ويحكم انما تصطادون يوم السبت وهو لا يحل لكم فقالوا انما صعدناه يوم الاحد حين أخذنا فقال الفقهاء لا ولكمكم صدمتوه يوم فتحتم له الماء فدخل قال وغلبوا أن ينهوا فقال بعض الذين نهوهم لبعض لم تعظون قوما لله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يقول لم تعظوهم وقد وعظتوهم فلم يطعوك فقال بعضهم معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما أتوا قال المسلمون والله لانساكنكم في قرية واحدة فقسما القرية يجدار فتح المسلمون بابا والمعتدون في السبت بابا ولعنهم داود عليه السلام فجعل المسلمون يخرجون من بابهم والكفار من بابهم فخرج المسلمون ذات يوم ولم يفتح الكفار بابهم فلما أبطوا عليهم تسور المسلمون عليهم الحائط فاذا هم قردة يشب بعضهم على بعض ففتحوا عنهم فذهبوا في الارض فذلك قول الله تعالى فلما عتوا عما نهم واعنه قلنا لهم كوفوا قردة خاسئين وذلك حين يقول لعن الذين كفروا من بني

ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة ما بين لايتها فلا يصاد صيدها ولا يقطع عضاها كما أخرجه أحمد ومسلم والنسائي وغيرهم من حديث جابر وقد روى هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طريق جماعة من الصحابة وثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهي حرام الى يوم القيامة أخرجه البخاري وأهل السنن من حديث أنى هريرة تعليقا وابن ماجه من حديث صفية بنت شيبة وفي الباب أحاديث غير ما ذكرنا ولا تعارض بين هذه الأحاديث فان ابراهيم عليه السلام لما بلغ الناس أن الله حرمها وانهم لم تزل حرما آمنا نسب اليه أنه حرمها أي أظهر للناس حكم الله فيها والى هذا الجمع ذهب ابن عطية وابن كثير وقال ابن جرير انها كانت حرما ولم يعبد الله الخلق بذلك حتى سأله ابراهيم فخرمها وتعبدهم بذلك انتهى وكلا الجمعين حسن (وارزق أهلهم من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) انما سأل ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمره فاستجاب الله له وجعل مكة حرما آمنا تجبي اليه ثمرات كل شيء عن محمد بن مسلم الطائفي قال بلغني انه لما دعا ابراهيم للحرم نقل الله الطائف من فلسطين ومن للتبعية أي بعض الثمرات ولم يقبل من الحبوب لما في تحصيله من الدل الحاصل بالحرث وغيره فاقصره على الثمرات لتشريفهم وقيل من البسان وليس بشيء اذ لم يقدم بهم يسين بها والمراد بالامن المذكور في قوله مشابه للناس وأمناهو الامن من الاعداء والخسف والمسخ والمراد ههنا من الامن هو الامن من القحط ولهذا قال وارزق أهلهم من الثمرات ذكره الكرخي والمعنى وارزق من آمن من أهل يدون من كفر وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم لما سأل ربه أن يجعل النبوة والامامة في ذريته فأجاب الله بقوله لا ينال عهدى الظالمين وصار ذلك تأديا لله في المسئلة فلا جرم خص ههنا بعائنه المؤمنين دون الكافرين ثم أعلمه أن الرزق في الدنيا يستوى فيه المؤمن والكافر بقوله (قال ومن كفر فامتهمه) أي سأرزق الكافر أيضا (قليل) أي في الدنيا مائة حباته وعن محمد بن كعب القرظي قال دعا ابراهيم للمؤمنين وترك الكفار ولم يدع لهم شي فقال تعالى ومن كفر فامتهمه الآية وعن ابن عباس قال كان ابراهيم احتجرا على المؤمنين دون الناس فأنزله الله ومن كفر فانا أرزقهم أيضا كما أرزق المؤمنين أخلق خلقا لا أرزقهم ثم قرأ ابن عباس

اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم الآية فهم القردة (قلت) والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب اليه مجاهد رحمه الله من أن مسخهم انما كان معنويا لا صوريا بل الصحيح انه معنوي صوري والله تعالى أعلم وقوله تعالى فجعلناهم نكالا قال بعضهم الضمير في جعلناهم عائد على القردة وقيل على الخيانت وقيل على العقوبة وقيل على القرية حكاه ابن جرير والصحيح أن الضمير عائد على القرية أي فجعل الله هذه القرية والمراد أهلها بسبب اعتداؤهم في سبتهم نكالا أي عاقبناهم عقوبة فجعلناهم عبرة كما قال الله عن فرعون فأخذناه نكالا الآخرة والاولى وقوله تعالى لما بين يديه ما يؤم خلفها أي من القرى

قال ابن عباس يعني جعلناها بما أحلناهم من العقوبة عبرة لما حولها من القرى كما قال تعالى ولقد آتيناكم ما حولكم من القرى
 ومصرنا الآيات لعلهم يرجعون ومنه قوله تعالى أولم ير أنانا أنقى الارض نقصها من أطرافها الآية على أحد الأقوال فالمراد
 لما بين يديها وما خلفها في المكان كما قال سعيد بن جبير لما بين يديها وما خلفها قال من يحضرهم من الناس يومئذ وروى عن اسمعيل بن أبي
 خلفها من القرى وكذا قال سعيد بن جبير لما بين يديها وما خلفها قال من يحضرهم من الناس يومئذ وروى عن اسمعيل بن أبي
 خالد وقتادة وعطية العوفي جعلناها مكانا لآلها (١٨٢) بين يديها قال ما قبلها من الماضين في شأن السبت وقال أبو العالية

والربيع وعطية وما خلفها لما
 أتى بعدهم من الناس من بني
 اسرائيل أن يعملوا مثل عملهم
 وكان هؤلاء يقولون المراد لما بين
 يديها وما خلفها في الزمان وهذا
 مستقيم بالنسبة الى من يأتي بعدهم
 من الناس أن تكون أهل تلك
 القرية عبرة لهم وأما بالنسبة الى
 من سلف قبلهم من الناس فكيف
 يصح هذا الكلام أن تفسر الآية
 به وهو أن يكون عبرة لمن سبقهم
 وهذا العمل أحد من الناس لا يقوله
 بعد تصوره فتعين أن المراد بما بين
 يديها وما خلفها في المكان وهو
 ما حولها من القرى كما قاله ابن
 عباس وسعيد بن جبير والله أعلم
 وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع
 ابن أنس عن أبي العالية فجعلناها
 مكانا لما بين يديها وما خلفها أي
 عقوبة لما خلا من ذنوبهم وقال
 ابن أبي حاتم وروى عن عكرمة
 ومجاهد والسدي والفراء وابن
 عطية لما بين يديها من ذنوب القوم
 وما خلفها لمن يعمل بعدها مثل
 تلك الذنوب وحكي الرازي ثلاثة
 أقوال أحدها أن المراد بما بين

كلامه هؤلاء هؤلاء الآية فالظاهر أن هذا من كلام الله سبحانه ردا على ابراهيم حيث
 طلب الرزق للمؤمنين دون غيرهم ويحتمل أن يكون كلاما مستقلا بنا بالخال من كفر
 ويكون في حكم الاخبار عن حال الكافرين بهذه الجملة الشرطية أي من كفر فاني أمتعه
 في هذه الدنيا بما يحتاجه من الرزق الى منتهى أجله وذلك قليل لانه ينقطع (ثم اضطره) أي
 الزهر المضطر لكفره بعد هذا التمتع (الى عذاب النار) أخبر سبحانه انه لا ينال الكفرة من
 الخير الا تمتعهم في هذه الدنيا وليس لهم بعد ذلك الا ما هو شر محض وأما على قراءة من قرأ
 فامتعه واضطره بصيغة الامر فهي سببية على أن ذلك من جملة كلام ابراهيم وأنه لما فرغ
 من الدعاء للمؤمنين دعا للكافرين بالامتناع قليلا ثم دعا عليهم بأن يضطرهم الله الى عذاب
 النار وحاصل معنى اضطره ألزمه حتى أصيره مضطرا لذلك لا يجده عنه مخلصا ولا منه
 متحولا (وبئس المصير) أي المرجع هي والواو فيه ليست للعطف والازم عطف الانشاء
 على الاخبار بل للاستئناف كما قال في المغني في قوله واتقوا الله ويعلمكم الله (واذرفع
 ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل) حكاية حال ماضية استحضار الصورة العجيبة
 والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس قاله أبو عبيدة والفراء وهي صفة غالبية من القعود
 بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعودك الله وقال الكسائي هي الجدر
 والمراد برفعها رفع ما هو مبني فوقها لارتفاعها في نفسها فانهم لم ترفع لكن لما كانت متصلة
 بالبناء المرتفع فوقها صارت كأنها مرفوعة بارتفاعها أو المراد بها اسافات البناء فان كل ساق
 قاعدة لما بين يديها عليه مرفوعة بناؤها أو المراد برفع مكاتبه ودعاء الناس الى حجه وفي إيهام
 القواعد وتبينها بنايا بقوله من البيت تفخيم لشأنها (ربنا) أي قائلين ربنا وقرأ أبي وابن
 مسعود يقولان ربنا (تقبل منا) أي طاعتنا يا ربنا وعبادتنا (انك أنت السميع)
 لدعائنا (العليم) بنيتا وقد أكثر المفسرون في تفسير هذه الآية من نقل أقوال السلف في
 كيفية بناء البيت ومن أي أشجار الارض بنى وفي أي زمان عرف ومن حجه وما ورد فيه من
 الأدلة الدالة على فضله أو فضل بعضه كالجزر الأسود وفي الدر المنثور من ذلك ما لم يكن في
 غيره فليرجع اليه وفي تفسير ابن كثير بعض من ذلك ولما لم يكن ما ذكره متعلقا بالتفسير
 نذكره وفي القسط لاني على البخاري بنيت الكعبة عشر مرات الاول بناء الملائكة
 الثاني بناء آدم الثالث بناء ابنه شيث بالطين والحجارة وغرق في الطوفان الرابع بناء ابراهيم

يديها وما خلفها من تقدمها من القرى بما عندهم من العلم بخبرها بالكتب المتقدمة ومن بعدها هو الثاني
 المراد بذلك من يحضرهم من القرى والامم والثالث انه تعالى جعلها عقوبة لجميع ما ارتكبه من قبل هذا الفعل وما بعده وهو
 قول الحسن (قلت) وأرجح الأقوال المراد بما بين يديها وما خلفها من يحضرهم من القرى يبلغهم خبرها وما حل بها كما قال تعالى
 ولقد آتاكم ما حولكم من القرى الآية وقال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة الآية وقال تعالى أفلا يرون
 أنا أنقى الارض نقصها من أطرافها فجعلهم عبرة ونكالا لمن في زمانهم وموعظة لمن يأتي بعدهم بالخبر المتواتر عنهم ولهذا قال

وموعظة للمتقين وقوله تعالى وموعظة للمتقين قال محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وموعظة للمتقين الذين من بعدهم الى يوم القيامة وقال الحسن وقتادة وموعظة للمتقين بعدهم فيميتون نعمة الله ويحذرونها وقال السدي وعطية العوفي وموعظة للمتقين قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قلت) المراد بالموعظة ههنا الزاجر اى جعلنا ما أحللتنا بهؤلاء من البأس والشكال في مقابلة ما ارتكبوه من محارم الله وما تحيوا به من الحيل فليحذروا المتقون صنيعهم لئلا يصيبهم ما أصابهم كما قال الامام أبو عبد الله بن بطة حدثنا أحمد بن محمد بن مسلم حدثنا الحسن بن (١٨٣) محمد بن الصباح الزعفراني حدثنا يزيد بن

هرون حدثنا محمد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتركبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بادنى الحيل وهذا السناد جيد وأحمد بن محمد بن مسلم هذا وثقه الخافظ أبو بكر الخطيب البغدادي وباقي رجاله مشهورون على شرط الصحيح والله أعلم (واذ قال موسى لقومه ان الله باهر كم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) يقول تعالى واذكروا يا بني اسرائيل نعمتي عليكم في خرق العادة لكم في شأن البقرة وبيان القتال من هو بسيمها واحياء الله المتول ونصه على من قتله منهم (ذكر بسط القصة) قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا يزيد بن هرون أن أبا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني قال كان رجل من بني اسرائيل عقيما لا يولد له وكان له مال كثير وكان ابن أخيه وارثه فقتله ثم احتل له ليلافوضه

الخامس بناء العمالقة السادس بناء جرهم والذي بناه منهم هو الحرث بن مضاض الاصغر السابع بناء قصي خامس حدث النبي صلى الله عليه وآله وسلم الثامن بناء قريش التاسع بناء عبد الله بن الزبير في أوائل سنة أربع وستين العاشر بناء الحجاج انتهى حاصله قال سليمان الجلي وهذا بحسب ما اطالع عليه والا فتد بناءه بعد ذلك بعض الملوك سنة ثمان وتسع وثلاثين كما نقله بعض المؤرخين قال الرازي فيه ان بناء المسجد قريته وفيه استحباب الدعاء بقول الاعمال (ربنا واجعلنا مسلمين لك) أي ثابتين عليه أوزدنا منه قيل المراد بالاسلام هنا مجموع الايمان والاعمال (ومن ذرينا أمة مسلمة لك) من التبعية أو للتبيين قال ابن جرير انه أراد بالذرية العرب خاصة وكذا قال السهيلي قال ابن عطية وهذا ضعيف لان دعوته ظهرت في العرب وغيرهم من الذين آمنوا به والامة الجامعة في هذا الموضع وقد تطلق على الواحد ومنه قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة فأتاه الله وتطلق على الدين ومنه انا وجدنا آباءنا على أمة وتطابق على الزمان ومنه واذا كر بعد أمة قيل أراد بالامة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بدليل قوله وابتع فيهم رسولا منهم (وأرنا مناسكا) عني من الرؤية البصرية والمناسك جمع نسك وأصله في اللغة الغسل يقال نسك ثوبه اذا غسله وهو في الشرع اسم للعبادة وقيل واحدا من نسك والمراد هنا مناسك الحج وقيل مواضع الذبح وقيل جميع التعبدات قال علي لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قال قد فعلت اى رب فأرنا مناسكا ابرزها لنا وعلمنا فاعت الله جبريل فخرج به وفي الباب آثار كثيرة عن السلف من الصحابة ومن بعدهم يتضمن ان جبريل أرى ابراهيم المناسك وفي أكثرها ان الشيطان تعرض له (وتب علينا) أي تجاوز عنا والمراد بالتوبة التثبيت لانهم جامع صومان لاذنب لهم ما وقيل المراد وتب على الطلعة معنا (انك أتت التواب) اى المتجاوز عن عباده (الرحيم) بهم (ربنا وابتع فيهم رسولا منهم) منهم فيهم راجع الى الامة المسلمة المذكورة سابقا وقرأ أبي في آخرهم ويحتمل ان يكون الضمير راجعا الى الذرية وهم العرب من واد اسمعيل وقد أجاب الله لاراهيم عليه السلام هذه الدعوة فبعث في ذرية رسولا منهم وهو شمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخبر عن نفسه انه دعوة ابراهيم كما أخرجه أحمد من حديث العرياض بن سارية وغيره وروى اده هذه الدعوة وقد أجمع على ذلك المفسرون لان ابراهيم انما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذرية بمكة غير شمد صلى الله عليه وآله وسلم فدل

على باب رجل منهم ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلموا وركب بعضهم على بعض فقال ذر والراى منهم والنهي على من يتل بعضكم بعضا وهذا رسول الله فيكم فانوا موسى عليه السلام فذكر واذ لك له فقال ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قال فلولم يعترضوا الاجزأت عنهم أدنى بقرة ولكنهم شددوا فاستدع عليهم حتى انتهوا الى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غير ذاة قال والله لا أتدبها من مل عجلدها ذاهبا فخذوها بمل عجلدها ذاهبا فذبحوها فاضرب يدها فقام فذاة الرا من قتال فقال هذا الابن أخيه ثم مال ميتا فلم يعط من ماله شيئا فلم يورث قاتل بعد وزوا ابن

بحر من حديث أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة بن جهم عن ذلك والله أعلم ورواه عبد بن جهم في تفسيره أنباء يزيد بن هرون
 ورواه آدم بن أبي إياس في تفسيره عن أبي جعفر هو الرأزي عن هشام بن حسان به وقال آدم بن أبي إياس في تفسيره أنباء أبي جعفر
 الرأزي عن الربيع عن أبي العباس في قول الله تعالى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قال كنت رجل من بني إسرائيل وكان غنيا ولم
 يكن له ولد وكان إقرب وكان ورثه فقتله ليرثه ثم ألقاه على مجمع الطريق وأتى موسى عليه السلام فقال له إن قريبي قتل وأتى إلى
 أمر عظيم وإلى لا أجد أحدا بيني وبينك من (١٨٤) قتل غيرك يا بني الله قال قتلت موسى في الناس فقتل أنشد الله من كان

عنده من هذا علم إلا بينه لنا فلم يكن
 عندهم علم فأقبل القائل على موسى
 عليه السلام فقال له أنت نبي الله
 فسل لنا ربك أن سنأفك ربه
 فأوحى الله أن الله يأمركم أن تذبحوا
 بقرة فحججوا من ذلك فقالوا أنتخذنا
 هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من
 الجاهلين قالوا ادع لنا ربك بين لنا
 ما هي قال أنه يقول أنها بقرة
 لا فارض يعني لا هزمة ولا بكر يعني
 ولا صغيرة عوان بين ذلك أي نصف
 بين البكر والهزمة قالوا ادع لنا
 ربك بين لنا ما لو أنها قال أنه يقول أنها
 بقرة صفراء فاقع لونها أي صاف
 لونها نسر الناظرين أي تعجب
 الناظرين قالوا ادع لنا ربك بين لنا
 ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن
 شاء الله لمهتدون قال أنه يقول أنها
 بقرة لا ذلول أي لم يذلها العمل تثير
 الأرض ولا تنقي الحث يعني
 وليست بذلول تثير الأرض ولا تنقي
 الحث يعني ولا تعمل في الحث
 مسلمة يعني مسلمة من العيوب لاشية
 فيها يقول لا بياض فيها قالوا الآن
 جئت بالحق فذبحوها وما كادوا
 يفعلون قال ولو أن القوم حين

على أن المراد به محمد صلى الله عليه وآله وسلم والرسول هو المرسل قال ابن المنبر
 يشبه أن يكون أصلا فاقه مرسل ومرسل إذا كانت سهلة السير ماضية أمم أنوف
 ويقال جاء القوم أرسالا أي بعضهم في أثر بعض (يتلو عليهم آياتك) وهو أنقرآن (ويعلمهم
 الكتاب) أي معاني الكتاب من دلائل التوحيد والنبوة والأحكام الشرعية والكتاب
 هو القرآن (والحكمة) أي ويعلمهم الحكمة وهي الإصابت في القول والعمل ووضع كل
 شيء موضعه والمراد بالحكمة هنا المعرفة بالدين والنسبة في التأويل والتفهم للشرعية
 وقال قتادة في السنة وقيل هي الفصل بين الحق والباطل وقال ابن قتيبة هي العلم
 والعمل ولا يكون الرجل حكيما حتى يجتمعهما وقال ابن دريد كل كتم وعظمت أودعت
 إلى مكرمة أو نهت عن قبيح فهي حكمة وقيل إن المراد بالآيات ظواهر الانشائات والكتاب
 معانيها والحكمة الحكم وهو مراد الله بالخطاب وقيل غير ذلك (ويؤتيهم التزكية)
 التطهير من الشرك وسائر المعاصي (إن أنت العزيز الحكيم) أي الذي لا يعجزه شيء
 قال ابن كيسان وقال الكسائي العزيز الغالب والحكيم العالم (ومن يرغب عن ملة
 إبراهيم إلا من سفه نفسه) الاستعظام للانكار قال الزجاج وابن جني سفيه يعني جليل أي
 جليل أمر نفسه فلم يفكر فيها أنها مخلوقة لله فيجب عليه عبادته وقال أبو عبيدة المعنى
 أحلك نفسه وقال الأخفش أي فعل به ما من الله ما عار به سقيها وقال الزجاج
 أمرتها واستخف بها عن أبي العباس قال رغبت اليهود والنصارى عن ملته واتخذوا
 اليهودية والنصرانية عديلة عن الله وتركوا ملة إبراهيم الأمام وبذلك بحث الله
 نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن قتادة من غلب عن الإتيان بهذا الرسول الذي
 حودودة إبراهيم فقد رغب عن ملة إبراهيم فيه إشارة إلى لزوم اتباع ملته فيما لم يثبت تحريمه
 (ولقد اصطفيناه في الدنيا) تعليل للحصر قبله واللام جواب قسم محذوف والغرض من
 الحجة والبيان لقوله ومن يرغب والاصطفاء الاختيار أي اختارناه في الدنيا بأمر الله والحمد
 كما شاهدوه وبقوله جليل بعد جليل (وأنه في الآخرة من الصالحين) أمر مغيب فاحتاج
 الأخبار به إلى فضل تأكيده مع الاتيان على إخفاء الذين لهم الدرجات العلى فكيف
 يرغب عن ملته راغب (أذ قال له ربه أسلم) يحتمل أن يكون متعلقا بقوله اصطفيناه أي
 اختارناه وقت أمره بالأسلام ويحتمل أن يتعلق بمحذوف هو أذكر قال في الكشف

أمر واذبح بقرة استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها كانت يا خروا كن شددوا على أنفسهم فتداته عليهم قيل
 ولولا أن القوم استنصوا فقالوا وإنا إن شاء الله لمتدون لما هدوا الله أبدا فبلغناهم لم يجدوا البقرة التي نعت لهم إلا عنب عجز
 وعند حاجياتي وهي القيمة عليهم فلما علمت أنه لايز كواهم غيرها أضعفت عليهم الثمن فأبوا موسى فأخبروه أنهم لم يجدوا أخذ الثمن
 الاعتد فلانة وإنها سألت أضعاف ثمنها فقال موسى إن الله قد خفف عليكم فتدتم على أنفسكم فاعطوها رضا حكمة ففعلوا
 واشتروها فذبحوها فامرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظمها فيضربوا به القليل ففعلوا فرجع إليهم وحدهم فيهم

فَاتَلَهُ ثُمَّ عَادَ مِثْلًا كَمَا كَانَ فَاخْذَ قَاتَلَهُ وَهُوَ الَّذِي كَانَ أَنَّى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَشَكَّى إِلَهُ فَقَاتَلَهُ
 حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ فِي شَأْنِ الْبَقْرَةِ وَذَلِكَ أَنَّ سُحَّامَ بْنَ إِسْرَائِيلَ
 عَلَى عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَكْرًا مِنَ الْمَالِ وَكَانَ بَنُو أَخِيهِ فَقَرَأَ لِمَالِهِمْ وَكَانَ الشَّيْخُ لَا وَلَدَ لَهُ وَكَانَ بَنُو أَخِيهِ وَرِثَتُهُ
 فَقَالُوا لَيْتَ عَمَّا قَدَّمَاتٍ فَوَرِثْنَا مَالَهُ وَانَّهُ لَمَاتَ طَوَّلَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَمُوتَ عَنْهُمْ أَتَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ لَهُمْ هَلْ لَكُمْ أَلَى أَنْ تَقْتُلُوا عَمَّكُمْ
 فَتَرَوْا مَالَهُ وَتَغْرَمُوا أَهْلَ الْمَدِينَةِ الَّتِي لَسْتُمْ بِهَا دِيْنَتَهُ وَذَلِكَ أَنَّهُمَا كَاتَا (١٨٥) مَدِينَتَيْنِ كَانُوا فِي أَحَدِهِمَا وَكَانَ الْقَتِيلُ إِذَا قُتِلَ

وَطَرَحَ بَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ قَيْسَ مَا بَيْنَ
 الْقَتِيلِ وَالْقَرِيْبَيْنِ فَإِنَّهُمَا كَانَتَا
 أَقْرَبَ إِلَيْهِمَا غَرِمَتْ الْمَدِينَةُ وَأَنْهَمُ لَهَا
 سَوَّلَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ وَطَوَّلَ
 عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَمُوتَ عَنْهُمْ عَمُّهُمَا إِلَيْهِ
 فَقَتَلُوهُ ثُمَّ عَمِدُوا فَطَرَحُوهُ عَلَى بَابِ
 الْمَدِينَةِ الَّتِي لَيْسَ وَافِيهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ
 أَهْلُ الْمَدِينَةِ جَاءَ بَنُو أَخِي الشَّيْخِ
 فَقَالُوا عَمَّا قُتِلَ عَلَى بَابِ مَدِينَتِكُمْ
 فَوَاللَّهِ لَتَغْرَمَنَّ لِنَادِيَةٍ عَمَّا قَالَ أَهْلُ
 الْمَدِينَةِ نَقَسَمُ بِاللَّهِ مَا قَتَلْنَا وَلَا
 عَلِمْنَا قَاتِلًا وَلَا فَتَحْنَا بَابَ مَدِينَتِنَا
 مِنْذُ أَغْلَقَ حَتَّى أَصْبَحْنَا وَأَنْهَمُ عَمِدُوا
 إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا أَتَوْهُ
 قَالَ بَنُو أَخِي الشَّيْخِ عَمَّا وَجَدْنَاهُ
 مَقْتُولًا عَلَى بَابِ مَدِينَتِهِمْ وَقَالَ أَهْلُ
 الْمَدِينَةِ نَقَسَمُ بِاللَّهِ مَا قَتَلْنَا وَلَا فَتَحْنَا
 بَابَ الْمَدِينَةِ مِنْ حِينَ أَغْلَقْنَاهُ حَتَّى
 أَصْبَحْنَا وَأَنْ جَبْرَائِيلُ جَاءَ بِأَمْرِ
 السَّمِيعِ الْعَلِيمِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ
 السَّلَامُ فَقَالَ قُلْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ
 أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً فَضَرَبَ بَعْضُهَا
 وَقَالَ السَّادِي وَإِذَا قَالَ مُوسَى
 لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا
 بَقْرَةً قَالَ كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
 مَكْرًا مِنَ الْمَالِ فَكَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ

قِيلَ إِذْ كَرِثَ ذَلِكَ الْوَقْتُ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ الْمَصْطَفَى الصَّالِحُ الَّذِي لَا يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةٍ مِثْلَهُ وَزَادَ أَبُو السَّعُودِ
 وَانَّهُ مَا نَالَ الْأَلْبَابُ دَارَةَ لِلْإِذْعَانِ وَالْإِقْبَادِ لِمَا أَمْرُهُ بِهِ وَخِلَاصُ سِرِّهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ
 قَالَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ حِينَ خَرَجَ مِنَ السَّرْبِ وَذَلِكَ عِنْدَ اسْتِدْلَالِهِ بِالْكَوْكِبِ وَاطْلَاعِهِ عَلَى
 أَمَارَاتِ الْحُدُوثِ فِيهَا وَاقْتِنَارِهَا إِلَى مُحَدِّثٍ مَدْرُومٍ وَمَعْنَى أَسْلَمَ انْقِدَ اللَّهُ وَأَخْلَصَ دِينَهُ
 وَعِبَادَتُكَ لَهُ وَأَسْتَقِمَّ وَفَوِّضْ أُمُورَكَ إِلَى اللَّهِ أَوْ أَدْعُنْ وَأَطِيعْ وَأَوَابْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ
 الْإِسْلَامِ (قَالَ أَسْلَمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) أَيْ فَوَّضْتَ أَمْرِي إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَدْ حَقَّقَ
 ذَلِكَ حَيْثُ لَمْ يَسْتَعِنْ بِأَحَدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حِينَ أَتَى فِي النَّارِ (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ)
 الضَّمِيرُ فِي هَذَا رَاجِعٌ إِلَى الْمَلَةِ الْخَنِيفَةِ أَوَّلَى الْكَلِمَةِ أَيْ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ
 وَهُوَ أَصُوبٌ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ مَذْهَبُ كَوْنِ رَأْيٍ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا أَنْتَهَى وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ مِنْ بَعْدِهِ
 هُوَ اتِّبَاعُ مِلَّةٍ لَا يَجُوزُ التَّكَلُّمُ بِكَلِمَةِ الْإِسْلَامِ فَالْتَّوَصُّيَةُ بِذَلِكَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ وَأَوَّلَى بِهِمْ قِيلَ
 كَانُوا ثَمَانِيَةً مِنْهُمْ اسْمُ عَمِيلٍ وَهُوَ أَوَّلُ أَوْلَادِهِ وَقِيلَ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ (وَيَعْقُوبُ) مَعْطُوفٌ عَلَى
 إِبْرَاهِيمَ أَيْ وَأَوْصَى يَعْقُوبُ بَنِيهِ كَمَا وَصَّى إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ وَقُرِئَ بِضَبٍّ
 يَعْقُوبُ فَيَكُونُ دَاخِلًا فِيهِمَا أَوْ صَاهُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ الْقَشِيرِيُّ وَهُوَ بَعِيدٌ لِأَنَّهُ يَعْقُوبُ لَمْ يَدْرِكْ
 جَدَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَانَّمَا زِلْ بَعْدَ مَوْتِهِ (يَا بَنِي) قِيلَ أَنَّهُ مِنْ مَقُولِ إِبْرَاهِيمَ وَقِيلَ مِنْ مَقُولِ
 يَعْقُوبَ (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ) الْمُرَادُ بِالْدِّينِ مِلَّةُ الَّتِي لَا يَرْغَبُ عَنْهَا إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ
 وَهِيَ الْمِلَّةُ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ (فَلَا تَخْشَوْنَ الْإِنْسَانَ تَضْغُونَهُ) (فَلَا تَخْشَوْنَ الْإِنْسَانَ تَضْغُونَهُ)
 إِيحَازُ بَلِيغٌ وَالْمُرَادُ الزَّمَا الْإِسْلَامُ وَلَا تَنْفَارُ قُوَّةَ حَتَّى تَمُوتُوا وَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ مَقْرُوعٌ مِنْ أَعْمِ
 الْأَحْوَالِ أَيْ لَا تَمُوتُوا عَلَى حَالَةٍ غَيْرِ حَالَةِ الْإِسْلَامِ وَلَيْسَ فِيهِ نَهْيٌ عَنِ الْمَوْتِ الَّذِي هُوَ
 قَهْرِي وَلِهَذَا قَالَ السَّيْرُطِيُّ نَهَى عَنْ تَرْكِ الْإِسْلَامِ وَأَمَّا بِالنَّبَاتِ عَلَيْهِ إِلَى مَصَادِفَةِ الْمَوْتِ
 أَنْتَهَى وَالْمَعْنَى أَنَّ مَوْتَهُمْ لَا عَلَى حَالِ النَّبَاتِ عَلَى الْإِسْلَامِ مَوْتٌ لَا خَيْرَ فِيهِ وَإِنْ حَقَّ هَذَا
 الْمَوْتُ أَنْ لَا يَحْصُلَ فِيهِمْ عَنْ فَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ مُسْلِمُونَ أَيْ مُحْسِنُونَ بِرَبِّكُمْ الظَّنُّ وَبَدَلُ
 عَلَيْهِ مَا رَوَى عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ ثَلَاثَةَ
 أَيَّامٍ يَقُولُ لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُ الْإِسْلَامِيِّينَ حَتَّى يَخْرُجَ فِي الصَّحِيحِينَ (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ
 إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ) أَيْ مَا كُنْتُمْ حَاضِرِينَ حِينَ اخْتَضَرَ يَعْقُوبُ وَقُرْبَ مِنَ الْمَوْتِ
 وَأَمْ هَذِهِ قَبْلَ هِيَ الْمَنْقَطَعَةُ وَقِيلَ هِيَ الْمَنْصَلَةُ وَفِي الْهَمْزَةِ الْأَنْكَارُ الْمَقْبُولُ لِلتَّحْقِيرِ

(٢٤ ل - فَتْحُ الْبَيَانِ) وَكَانَ لَهُ ابْنٌ أَحْمَدُ مَحْتَاجٌ خُطِبَ إِلَيْهِ ابْنُ أَخِيهِ ابْنَةُ فَايَ أَنْ يَزُوجَهُ فَغَضِبَ الْفَتَى وَقَالَ وَاللَّهِ لَا قَاتِلَ
 عَمِّي وَلَا أَخْذَنَ مَالَهُ وَلَا نَكَحْنَ ابْنَتَهُ وَلَا كَانَ دِيْنَتَهُ فَأَتَاهُ الْفَتَى وَقَدْ قَدَّمَ تَجَارِفِي بَعْضَ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ يَا عَمُّ انْظُرْ مَعِيَ
 نَحْدُثُ مِنْ تِجَارَةِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَعَلِّي أَنْ أَصِيبَ مِنْهَا فَانْهَمُ إِذَا رَأَوْهُ سَعَى أَعْطَاوْنِي تَخْرِجَ الْعَمِّ مَعَ الْفَتَى لِيَلَا فَلَمَّا بَلَغَ الشَّيْخُ ذَلِكَ السَّبْطَ
 قَتَلَهُ الْفَتَى ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ كَانَتْهُ بَطْلَبُ عَمِّهِ كَانَتْهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ هُوَ فَلَمْ يَجِدْهُ فَانْطَلَقَ نَحْوَهُ فَإِذَا هُوَ بِذَلِكَ السَّبْطِ حَتَّى مَعِينِ
 عَلَيْهِ فَاخْذَهُمْ وَقَالَ قَتَلْتُمْ عَمِّي فَأَذْرُوا إِلَيَّ دِيْنَتَهُ بِجَعْلٍ يَكْفِي وَيَحْتَوِ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ وَيُنَادِي وَاعْمَدُوا فَرَفَعَهُمْ إِلَى مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِمْ

بالديه فقالوا له يا رسول الله ادع لنا ربك حتى بين لنا من صاحبه فيؤخذ صاحب القضية فوالله ان ديتهم علينا الهينة ولكن نسئلي
ان نغير به فذلك حين يقول تعالى واذ قلتم نفسا فادار اثم فيها والله يخرج ما كنتم تكتمون فقال لهم موسى ان الله يا امرئكم ان
تذبحوا بقرة قالوا نسألك عن القليل وعن قلبه وتقول ادبحوا بقرة اثمنا قال اعدوا لله ان اكون من الجاهلين قال ابن عباس
فلما عترضوا بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا وتعتسوا على موسى فشد الله عليهم فقالوا ادع لنا ربك بين لنا ما هي قال
انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكرعوان (١٨٦) بين ذلك والفارض الهرمة التي لا تولد والبكر التي لم تلد الا ولدا واحدا

والتوبيخ والخطاب لليهود والنصارى الذين ينسبون الى ابراهيم والى بنيه انهم على
اليهودية والنصرانية فزال ذلك عليهم وقال لهم اشهدتم يعقوب وعلمت ما اوصى به بنيه
فتدعون ذلك عن علم اثم لم تشهدوا بل اثمتم فتدعون والشهادة اجمع شاهد ولم ينصرف لان
فيه ألف التأييد التي لتأييد الجماعة والمراد بحضور الموت حضور مقدماته وسعي
يعقوب لانه هو وأخوه العيص كانوا أمين في بطن واحد فقط دم العيص وقت الولادة في
الخروج مسابقة يعقوب فتأخر يعقوب عنه ونزل على اثره وعقبه في الخروج (اذ قال
لبنيه) يعني لا ولادة الاثنى عشر (ما تعبدون) أى أى شئ تعبدون وانما جاء بما دون من
لان المعبودات من دون الله عالمها جادات كالآوان والنار والشمس والكواكب
(من بعدى) أى من بعد موتى (قالوا نعبد الهك والدة اياك ابراهيم واسماعيل واسحق)
واسماعيل وان كان عمالي يعقوب فان العرب تسمى العم ابا والخاله أما وعم الرجل صرأ به
وقرى ابيك فقل اريد ابراهيم وحده ويكون اسمعيل واسحق عطفاء على ابيك وان كان
هو اباك حقيقة وابراهيم جده ولكن لابراهيم مزيد خصوصية وقيل ابيك جمع كاري عن
سيويه ان ابيك جمع سلامة ومثله أبون وقدم اسمعيل على اسحق لانه أسبق منه في الولادة
باربع عشرة سنة وانه جدينا صلى الله عليه وآله وسلم (الها واحد او نحن له مسلمون)
أى مخلصون التوحيد والعبودية (تلك أمة قد دخلت لها ما كسبت ولكم ما كسبت) تلك
اشاره الى ابراهيم وبنيه ويعقوب وبنيه وما بعده بيان لحال تلك الامم وحال المخاطبين
بان لكل من الفريقين كسبه لا ينفعه كسب غيره ولا يناله منه بشئ ولا يضره ذنب غيره
وفيه الرد على من يتكلم على عمل سلفه ويرقح نفسه بالاماني الباطلة ومنه ما ورد في
الحديث من ابطأ به عماله لم يسرع به نسبته والمراد انكم لا تتقنعون بحسناتهم
ولا تأخذون بسيئاتهم وفيه ابطال مذهب من يجبر تعذيب أولاد المشركين تبعالا بأنهم
قال ابن فارس وفيه اثبات الكسب للعبد (ولا تستأمنون عما كانوا يعملون) أى عن
أعمالهم كما لا يستأمنون عن أعمالكم ومثله ولا تزروا زورا أخرى وان ليس للانسان
الاماسعى (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهمدوا) وهذا من آخر من ففون كفرهم
واضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في أنفسهم قال ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود
كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وهب بن يهودا وفي نصارى نجران السيد والعاقب

والعوان النصف التي بين ذلك التي
قد ولدت وولد ولدها فافعلوا
ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك بين
لنا ما لوها قال انه يقول انها بقرة
صفراء فافعل لوها قال نقي لوها تسر
الناظرين قال تعجب الناظرين
قالوا ادع لنا ربك بين لنا ما هي ان
البقرة تنسبه علينا وانا ان شاء الله
لمتدون قال انه يقول انها بقرة
لاذلول تثير الارض ولا تنقى الحرت
مسلمة لاشية فيها من بياض ولا
سواد ولا حرة قالوا الا نجت
بالحق فطلبوها فلم يقدر واعياها
وكان رجل في بني اسرائيل من
أبر الناس بأبيه وان رجلا مر به
معده لؤلؤ يبيعه وكان أبوه نائما
تحت رأسه المفتاح فقال له الرجل
تشتري مني هذا اللؤلؤ بسبعين ألفا
فقال له الفتى كما أنت حتى يستيقظ
أى فآخذه منك بثمانين ألفا قال
الآخر أيقظ اباك وهو لك بستين ألفا
فجعل التاجر يحيط له حتى بلغ ثلاثين
ألف وزاد الآخر على ان ينتظر
أباه حتى يستيقظ حتى بلغ مائة ألف
فلما أكثر عليه قال والله لا أشتريه
منك بشئ أبدا وأبى أن يوقف أباه

فعوضه الله من ذلك اللؤلؤ ان جعل له تلك البقرة فترت به بنو اسرائيل يطلبون البقرة وأبصر والبقرة عنده فسالوه واحباهم ما
أن يبيعهم اياها ببقرة ببقرة فأبى فاعطوه ثنتين فأبى فزادوه حتى بلغوا عشرة فقالوا والله لا نتركك حتى تأخذها منك فانطلقوا به الى
موسى عليه السلام فقالوا يا نبي الله انا وجدناها عند هذا وأبى أن يعطيناها وقد أعطيناه ثمان فقال له موسى أعطهم بقرتك فقال
يا رسول الله انا أحق بمالي فقال صدقت وقال للقوم ارضوا صاحبكم فاعطوه وزنها ذهباً فأبى فاضعفوه له حتى أعطوه وزنها عشرة
حراب ذهباً فباعهم اياها وأخذ ثمنها فذبحوها قال اضر بوه ببعضها فضر بوه بالبضعة التي بين الكفتين فعاش فسالوه من قتلك

فقال لهم ابن أخي قال أقتله فأخذماله وأنكح ابنته فأخذوا الغلام فقتلوه وقال سبند حدثنا حجاج هو ابن محمد عن ابن جريج عن مجاهد وحجاج عن أنس معشر عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس دخل حديث بعضهم في حديث بعض قالوا ان سبطا من بني اسرائيل لما رأوا كثرة شرور الناس بنو امية فاعتزلوا شرور الناس فكانوا اذا أمسوا لم يتركوا أحدا منهم خارجا إلا أدخلوه وإذا أصبحوا قام رئيسهم فنظروا وأشرفوا فاذالم يرشيا فتح المدينة فكانوا مع الناس حتى يمسيوا قال وكان رجل من بني اسرائيل له مال كثير ولم يكن له وارث غير أخيه فطال عليه حياته فقتله ليرثه ثم حمله (١٨٧) فوضعه على باب المدينة ثم كن في مكان هو

وأصحابه قال فاشرف رئيس المدينة على باب المدينة فنظر فلم ير شيئا ففتح الباب فلما رأى القتل ردا الباب فناداه أخو المقتول وأصحابه هيات قتلهم ثم تردون الباب وكان موسى لما رأى القتل كثيرا في بني اسرائيل كان اذا رأى القتل بين ظهراني القوم أخذهم فكاد يكون بين أخي المقتول وبين أهل المدينة قتال حتى لبس الفريقان السلاح ثم كف بعضهم عن بعض فألوا موسى فذكروا له شأنهم قالوا يا موسى ان هؤلاء قتلوا قتيلا ثم ردوا الباب قال أهل المدينة يا رسول الله قد عرفت اعتزلنا الشرور وبنينا مدينة كما رأيت نعتزل شرور الناس والله ما قتلنا ولا علمنا قاتلا فأوحى الله تعالى اليه أن يذبحوا بقرة فقال لهم موسى أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وهذه السياقات عن عبادة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف ما والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني اسرائيل وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب فلهذا لا يعتمد عليها الا ما وافق الحق عندنا

وأصحابه ما خاصهم المؤمنون في الدين فكل فريق منهم يزعم انه أحق بدين الله (قل بل مله ابراهيم حنيفا) أي قل يا محمد في الرد عليهم هذه المقالة بل الهدي مله ابراهيم والحنيف المائل عن الأديان الباطلة الى دين الحق وهو في أصل اللغة الذي عمل قدماء كل واحدة الى آخرها أي تتبع مله ابراهيم حال كونه حنيفا وقال قوم الحنف الاستقامة فسمي دين ابراهيم حنيفا لاستقامته ويسمى معوج الرجلين أحنف تغاولا بالاستقامة كما قيل للدغ سليم وللمهلكة مفازة وقال مجاهد حنيفا متبعا وقال ابن عباس حاجا وعن خفيف قال الحنيف الخالص وقال أبو قلابة الحنيف الذي يؤمن بالرسول كلهم من أولهم الى آخرهم وأخرج أحمد عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثت بالحنيفية السمحة وأخرج أحمد والبخاري في الادب المفرد وابن المنذر عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله أي الأديان أحب الى الله قال الحنيفية السمحة ونصب مله على الاغراء قاله أبو عبيدة أي الزموها (وما كان) أي ابراهيم (من المشركين) وفي ثني كونه من المشركين تعريض باليهود لقولهم عزير ابن الله وبالنصارى لقولهم المسيح ابن الله أي ان ابراهيم ما كان على هذه الحالة التي أنتم عليها من الشرك بل باليه فكيف تدعون عليه انه كان على اليهودية أو النصرانية وتدعون أنكم على ملته (قولوا أما بالله وما أرنس المنان) أي القرآن (وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أي العصف وهذا خطاب للمسلمين وأمر لهم بأن يقولوا لهم هذه المقالة وقيل انه خطاب للكفار بأن يقولوا ذلك حتى يكونوا على الحق والاول أولى وأعاد الموصول لثلاثي توهم من اسقاطه اتحاد المنزل مع أبيه ليس كذلك وذرا سماعيل ومابعده لكونهم مروجين لهما متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها ومقررين لما أنزل على ابراهيم فكانه منزل عليهم أيضا والافليسوا منزلا عليهم في الحقيقة والاسباط أولاد يعقوب وهم اثنا عشر ولدا لكل واحد من الاولاد جماعة والسبط في بني اسرائيل بمنزلة القبيلة في العرب وسموا الاسباط من السبط وهو التسابع فسمي جماعة متابعون وقيل أصله من السبط بالتحريك وهو الشجر أي هم في الكثرة بمنزلة الشجر وقيل الاسباط حفدة يعقوب أي أولاد أولاده لأولاده لان الكثرة دائما كانت فيهم دون أولاد يعقوب في نفسه فهم أفراد لا اسباط (وما أوتى موسى) من التوراة وعبر بالاتباع دون الانزال فرار من التكرار الصوري الموجب

والله أعلم (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا غرض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شبة فيها قالوا الا ان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) أخبر تعالى عن تعنت بني اسرائيل وكثرة سؤالهم لرسولهم ولهذا الماضيقوا على أنفسهم ضيق الله عليهم ولو انهم ذبحوا أي بقرة كانت لو وقعت الموقع عنهم كما قال ابن عباس وعبدة وغير واحد ولكنهم شددوا فشد عليهم فقالوا ادع لنا ربك

بين لنا ما هي أي ما هذه البقرة وأي شيء صنعها قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا هشام بن علي عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال لو أخذوا أدنى بقرة لا كتفوا بها ولكنهم شددوا فشد عليهم اسناد صحيح وقدر واه غير واحد عن ابن عباس وكذا قال عبيدة السدي ومجاهد وعكرمة وأبو العالية وغير واحد وقال ابن جرير قال لي عطاء لو أخذوا أدنى بقرة لكتفتم قال ابن جرير صحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أمر وأدنى بقرة ولكنهم لما شددوا شدته عليهم وإيم الله لو أنهم لم يستموا لما بينت لهم آخر الأبد قال إنه (١٨٨) يقول إنها بقرة لافارضر ولا بكرأى لا كبيرة عرمة ولا صغيرة لم يلقها

للتفصيل في العبارة (وعيسى) من الإنجيل ولم يقل وما أوتي عيسى إشارة إلى اتحاد المنزل عليه مع المنزل على موسى فإن الإنجيل مقر للتوراة ولم يتخالفها إلا في تدريسيه فيه تسهيل كما قال ولا حيل لكم بعض الذي حرم عليكم (وما أوتي النبيون) المذكورون وغيرهم (من ربهم) يعني والكتب التي أوتي جميع الأنبياء وذلك كله حق وهدي ونور وإن الجمع من عند الله وإن جميع ما ذكر الله من أنبيائه كانوا على هدي وحق (لا تفرق) في الإيمان (بين أحد منهم) بل نؤمن بكل الأنبياء قال الأقرع معناه لأنؤمن بعضهم ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى قال في الكشف أحمد في معنى الجماعة وإذ ذلك مع دخول بين عليه وليس كونه في معنى الجماعة من جهة كونه نكرة في سياق النفي كما سبق إلى كثير من الأذهان وقال القرافي إن أحد الذي لا يستعمل إلا في معنى انسان باجاء أهل اللغة وأحد الذي يستعمل في الإثبات معناه الفرد من العدد إذا كان مسمى أحد اللفظين غير مسمى الآخر في اللغة وضابط الاشتقاق أن تجد بين اللفظين مناسبة في اللفظ والمعنى ولا يمكن أحدهما تغاير في الاشتقاق فإن وجدت المقصود به انسان فأنه ليست مقبولة عن واو وإن وجدت المقصود به نصف الاثنين من العدد فهو الصالح للإثبات والنفي وألفه منقلبة عن واو وانتهى وقد حقق المقام الخفا في العناية فليرجع إليه (ونحن له مسلمون) أي ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما الآية التي في البقرة قولوا آمنا بالله كلها وفي الآخرة آمنا بالله واشهد باننا مسلمون وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بالله الآية (فإن آمنوا عمل ما آمنتم به فقد أخذوا) هذا خطاب للمسلمين أيضا أي فإن آمن أهل الكتاب وغيرهم بعمل ما آمنتم به من جميع كتب الله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم فقد أخذوا وعلى هذا فغل زائدة كقولك ليس كمثل شيء وقيل إن المماثلة وقعت بين الإيمانين أي فإن آمنوا بعمل إيمانكم وقال في الكشف أنه من باب التبكيت لأن دين الحق واحد لا مثل له وخود دين الإسلام أي فإن حصلوا ديننا آخر مثل دينكم مساوينا في

الفعل كما قاله أبو العالية والسدي ومجاهد وعكرمة وعطية العوفي وعطاء الخراساني وهب بن منبه والبخاري والحسن وقتادة وقال ابن عباس أيضا وقال الضحاك عن ابن عباس عوان بن ذلك يقول نصف بين الكبيرة والصغيرة وهي أقوى ما يكون من الدواب والبقرة وأحسن ما تكون وروى عن عكرمة ومجاهد وأي أبو العالية والربيع بن أنس وعطاء الخراساني والضحاك نحو ذلك وقال السدي العوان النصف التي بين ذلك التي قد وادت وولد لها وقال هشيم عن جوير عن كثير بن زياد عن الحسن في البقرة كانت بقرة وحشية وقال ابن جرير عطاء عن ابن عباس بن لبس نعلان صفراء لم ير في سرور مادام لابسها وذلك قوله تعالى تسر الناظرين وكذا قال مجاهد وهب بن منبه كانت صفراء وعن ابن عمر كانت صفراء الطلاف وعن سعيد بن جبيرة كانت صفراء القرن والطلاف وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثت نصر بن علي حدثنا نوح بن قيس أنبا بآبو

رجاء عن الحسن في قوله تعالى بقرة صفراء فاقع لونها قال سودا شديدة السواد وخدا غريب والصحيح الأول ولهذا أكد صفراء بانه فاقع لونها وقال عطية العوفي فاقع لونها تكاد تسود من صفرتها وقال سعيد بن جبيرة فاقع لونها قال صافية اللون وروى عن أبي العالية والربيع بن أنس والسدي والحسن وقتادة فهو وقال شريك عن معمر بن ابن عمر فاقع لونها قال صاف وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس فاقع لونها شديدة الصفرة تكاد من صفرتها تبيض وقال السدي تسر الناظرين أي تعجب الناظرين وكذا قال أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس وقال وهب بن منبه إذا نظرت إلى جلدها تخيلت أن شعاع

الشمس يخرج من جلد لها وفي التوراة انها كانت حراء فاعل هذا خطافي التعريب أو كما قال الأول انها كانت شديدة الصخرة تضرب الى جرة وسواد والله أعلم وقوله تعالى ان البقر تشابه علينا أي لكثرتها فغيرنا هذه البقرة وصفها وحلها لنا وان شاء الله اذا ينتمى الناهتدون اليها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن يحيى الاودى الصوفي حدثنا أبو سعيد أحمد بن داود الحداد حدثنا سرور ابن المغيرة الواسطي ابن أخي منصور بن زاذان عن عباد بن منصور عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان بنى اسرائيل قالوا وان شاء الله لمهتدون لما أعطوا (١٨٩) ولكن استنموا ورواه الحافظ أبو بكر بن

مردويه في تفسيره من وجه آخر عن سرور بن المغيرة عن زاذان عن عباد بن منصور عن الحسن عن حديث أبي رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان بنى اسرائيل قالوا وان شاء الله لمهتدون ما أعطوا أبدا ولوانهم اعترضوا بقره من البقر فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشد الله عليهم وهذا حديث غريب من هذا الوجه وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة كما تقدم مثله عن السدي والله أعلم قال انه يقول انها بقره لاذلول تشير الارض ولا تسقى الحث أي انها ليست مثله بالحرارة ولا معدة للسقى في السانية بل هي مكرمة حسنة صبيحة مسلمة صحيحة لا عيب فيها لاشية فيها أي ليس فيها لون غير لونها وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مسلمة يقول لا عيب فيها وكذا قال أبو العباس والريبع وقال مجاهد مسلمة من الشمية وقال عطاء الخراساني مسلمة القوائم والخلق لاشية فيها قال مجاهد لا يباض

الحية والسداد فقد ائتمدوا وقيل ان الباء زائدة مؤكدة وقيل انها الاستعانة (وان تولوا فانهم في شقاق) أصله من الشق وهو الجانب كان كل واحد من الفريقين في جانب غير الجانب الذي فيه الآخر وقيل انه مأخوذ من فعل ما يشق ويصعب فكل واحد من الفريقين يحرص على فعل ما يشق على صاحبه ويصعج على كل واحد من المعينين قال أبو العالمة في شقاق أي فراق وقيل في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال (فسيكفيكمهم الله) أي من شر اليهود والنصارى والكفاية وعدو ضمان من الله لنبه صلى الله عليه وآله وسلم أنه سيكفيه من عانده وخالفه من المتولين وقد أنجز له وعد بما أنزله من بآسة بقرية والنصير وبني قينقاع وفيه معجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو اخبار بغيث (وهو السميع) لا قوا لهم (العليم) بأحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم جميع ما يضررون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم (صبغة الله) الخطاب للمسلمين أي قولوا للنصارى هذه المقالة والمعنى صبغة الله بالايان قال الاخفش وغيره أي دين الله وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يظهر النفوس انتهى وقال ابن عباس دين الله وقال مجاهد فطرة الله التي فطر الناس عليها وأخرج ابن مردويه والضاة في المختارة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان بنى اسرائيل قالوا يا موسى هل يصبغ ربك فقال اتقوا الله فناداه به يا موسى سألوكم هل يصبغ ربك فقل نعم أنا أصبغ الألوان الاحمر والابيض والاسود والألوان كلها في صبغتي وأنزل الله على نبيه صبغة الله الآية وعنه صبغة الله البياض وقد ذكر المفسرون ان أصل ذلك أن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في الماء وهو الذي يسمونه المعمودية ويجعلون ذلك تطهير لهم فاذا فعلوا ذلك قالوا الآن صار نصرانيا حقا فرد الله عليهم بقوله صبغة الله أي الاسلام ولا صبغة أحسن من صبغة الاسلام ولا أظهر وهو دين الله الذي بعث به نوحا ومن كان بعده من الانبياء وسماه صبغة استعارة قال البغوي اطلاق مادة لفظ الصبغ على التطهير مجاز تشبيهي وتقرير المشاكلة هنا مبسوط في التلخيص وشرحه للسعد وقيل الصبغة الاعتسال لمن أراد الدخول في الاسلام بدلا من معمودية النصارى ذكره الماوردي وقيل الصبغة الختان لانه يصبغ المختن بالدم وقيل الصبغة سنة

ولاسود وقال أبو العالمة والريبع والحسن وقتادة ليس فيها يباض وقال عطاء الخراساني لاشية فيها قال لونها واحدهم وروى عن عطية العوفي وهب بن منبه واسم عيل بن أبي خالد نحو ذلك وقال السدي لاشية فيها من يباض ولاسود ولا حرة وكل هذه الاقوال متقاربة في المعنى وقد زعم بعضهم أن المعنى في ذلك قوله تعالى انها بقره لاذلول ليست بمذلة بالعمل ثم استأنف فقال تشير الارض أي يعمل عليها بالحرارة لكنها لا تسقى الحث وهذا ضعيف لانه فسر الذلول الذي لم تذلل بالعمل بانها لا تشير الارض ولا تسقى الحث كذا قرره القرطبي وغيره قالوا الا الآن جئت بالحق قال قتادة الا الآن يثبت لنا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقيل ذلك والله

جاءهم الحق فذبحوها وما كادوا يفعلون قال الفضالة عن ابن عباس كادوا أن لا يفعلوا ولم يكن ذلك الذي أرادوا إلا أنهم أرادوا
 ان لا يذبحوها يعني أنهم مع هذا البيان وهذه الالامة والاجوبة والايضاح ما ذبحوها الا بعد الجهد في هذا ثم وذكنت أنه لم يكن
 غرضهم الا التعت فلها ما كادوا يذبحونها وقال محمد بن كعب ومحمد بن قيس فذبحوها وما كادوا يفعلون لكثرة ثمنها وفي هذا انظر
 لان كثرة الثمن لم يثبت الا من نقل في اسرائيل كما تقدم من حكاية أبي العلية والسدي ورواه العوفي عن ابن عباس وقد
 عبيده ومجاهد وروى بن منبه وأبو العالية (١٩٠) وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم اشتروها بجل كثير وفيه اختلاف في

قد قيل في ثمنها غير ذلك وقال
 عبد الرزاق أنا نا بن عبيدة أخبرني
 محمد بن سروق عن عكرمة قال
 ما كان ثمنها الا ثلاثة دنانير وهذا
 اسناد جيد عن عكرمة والظاهر انه
 نقله عن أهل الكتاب أيضا وقال
 ابن جرير وقال آخرون لم يكادوا
 أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة
 ان اطلع الله على قاتل القاتل
 انزى اختصموا فيه ولم يسند عن
 أحد ثم اختار ان الصواب في ذلك
 انهم لم يكادوا يفعلوا ذلك لعلاء
 ثمنها والفضيحة وفي هذا انظر بل
 الصواب والله أعلم ما تقدم من
 رواية الفضالة عن ابن عباس
 على ما وجهناه وبالله التوفيق
 * (مسألة) استدلل بهذه الآية
 في حصر صفات هذه البقرة حتى
 تعينت أو تم تقيدها بعد الاطلاق
 على صحة السلم في الحيوان كما هو
 مذهب مالك والوزاعي والثلث
 والشافعي وأحمد وجمهور العلماء
 سلفنا وخلفنا بدليل ما ثبت في
 الصحيحين عن النبي صلى الله عليه
 وسلم لا تنعت المرأة المرأة لزوجها
 كأنها ينظر إليها وكما وصف النبي

الله (ومن أحسن من الله صبغة) أي دينا وقيل تطهير الاله يطهر من أوساخ الكفر
 (ونحن له عابدون) أي مطيعون (قل أتحاجونني الله) أي قل يا محمد لله ودون النصارى
 الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم أتجدلونني أم لا أتجدلونني أم لا أتجدلونني أم لا
 تدن بهم أو أقرب منه وأخطوة عنده وذكنت قولهم نحن أنا الله وأحباؤه وأحباؤه
 أتجدلونني لا تطهار الحجج (وهو ربنا وربكم) أي نشركم نحن وأنتم في ربنا فثبتنا عبوديتنا
 له فكيف تدعون أنكم آتوني به منا وتحتاجونني ذلك ولأن يصطفي من عباده من يشاء
 (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) فليست بأولي الله منا وهو مثل قوله تعالى فقل لي عني
 ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون (ونحن المختصون) أي نحن
 أهل الاخلاص للعبادة دونكم وهو المعيار الذي يكون به التفاضل والخصلة التي يكون
 صاحبها أولى بالله سبحانه من غيره فكيف تدعون أنكم مافضن أولى بعبادتهم وأحق
 بالجل الثلاث حوال وفي الآية توبيخ ليهود قطع ما جوا به من الجدلة والمناظرة قيل
 وهذا الآية منسوخة بآية السيف (أم تقولون) أم هناك عبادة لله رب في قوله أتحاجونني
 أي أم تقولون ان هؤلاء لا يبيدوا على دينكم وعلى قراءة تقولون بل ياتونكم أم متفتحة أي
 بل يقولون وفيه تقريب وتوبيخ (ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا
 عودا وأنصارى) يعني أتزعمون أن ابراهيم ونيه كانوا على دينكم وملتكم وأنما حدثت
 اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم عليهم (قل أنتم عموهم أم الله) أي الله أعلم
 بذلك وقد أخبرنا بأنهم لم يكونوا يهودا ولا نصارى وأنتم تدعون أنهم كانوا كذلك فيل أنتم
 أعلم أم الله سبحانه والتفضيل على سبيل الاستنزاع أو على تقدير أن يرضيهم علم في الجلالة
 والافلامساركة (ومن ظلم من كتم) أي أخفى (شهادة عنده من الله) استدللهم انكار
 أي لا أحد أظلم بحتمل ان يراد بذلك انهم لا دخل الكتاب بأنهم يعلمون أن هؤلاء الالهياد
 ما كانوا يهودا ولا نصارى بل كانوا على الملة الاسلامية فقلوا أنفسهم بكنتمهم ليهود
 الشهادة بل بادعائهم لما هو مخالف لما هو أشد من أن يثبت من اقتصر على مجرد كتمهم الذي
 لا أحد أظلم منه ويحتمل أن المراد أن المسلمين لو كتموا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منهم
 ويكون المراد بذلك التعريض بأهل الكتاب وقيل المراد هنا ما كتموه من صفات محمد صلى
 الله عليه وآله وسلم (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد شديد وتهديد ليس عليه مزيد

صلى الله عليه وسلم بل الآية في قدر الخطا وشبه العبد بالصفات المذكورة بالحديث وقال أبو حنيفة وأعلام
 والثوري والكوفيون لا يصح السلم في الحيوان لانه لا تنصيط أحواله وحكي مثله عن ابن مسعود وحديثه من البيان وعبد الرحمن
 ابن حمزة وغيرهم (واذ قلتم نفسا فادار آثم قيم او الله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى
 ويربكم أيها العالمكم تعقلون) قال البخاري فادار آثم قيم فيها اختلفتم وهكذا قال مجاهد في رواية ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي حنيفة
 عن شبل عن ابن أبي نجيم عن مجاهد انه قال في حرارة تعالى واذا قلتم نفسا فادار آثم قيم اختلفتم وقال عطاء الخراساني والفضالة

القبيل جعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع جنة لهم على المعاد وفاصلا ما كان بينهم من الخصومة والعناد والله تعالى قد ذكر في هذه السورة مما خلقه من احياء الموتى في خمسة مواضع ثم بعثناكم من بعد موتكم وهذه القصة وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم اهلوف حذر الموت وقصة الذي مر على قرية وهى خاوية على عروشها وقصة ابراهيم عليه السلام والطيور الاربعة ونسب تعالى باحياء الارض بعد موتها على اعادة الاجسام بعد صيرورتها رميا كما قال ابو داود الطيالسي حدثنا شعبه اخبرني يعلى بن عطاء قال سمعت وكيع بن عدس يحدث عن ابي رزين العقيلي رضى الله عنه (١٩٢) قال قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى قال اما امرت

قبلتهم) وهى بيت المقدس (التي كانوا عليها) أى ثابتن مسقرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيقتها والقبلة هى الجهة التى يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلى يقابلها وتقبله ولما قال السفيها ذلك رد الله عليهم بقوله (قل لله المشرق والمغرب) فدل ان الامر بالتوجه الى أى جهة شاء لا يختص به مكان دون مكان لخاصة ذمته تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره أى امتثاله لا بخصوص المكان وتخصيص هاتين الجهتين بالذكر لم يذم ظهورهما حيث كان اخذهما مطالع الانوار والاصباح والاخر مغربهما لكثر توجه الناس اليهما لتحقيق الاوقات لتخصيل المقاصد والمهمات ذكره الكرخى (يهدى من يشاء) من عباده اشعار بان تحويل القبلة الى الكعبة من الهداية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا هل ملته (الى صراط مستقيم) يعنى الى جهة الكعبة وهى قبلة ابراهيم عليه السلام وقد اخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن البراء ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اول ما نزل المدينة نزل على اخوانه من الانصار وانه صلى الى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يحجه أن تكون قبلته قبل البيت وان اول صلاة صلاها العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فرعى اهل المسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الكعبة فداروا قبل البيت كما هم وكانت اليهود قد أعجبهم اذ كان يصلى قبل بيت المقدس وأهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك وكان الذى مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال وقتلوا فلم يدر ما تقول فيهم فأنزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم الآية وله طرق آخر وألفاظ متقاربة وعن ابن عباس قال ان أول ما نسخ في القرآن القبلة وعنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلى بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه وبعد ما تحول الى المدينة ستة عشر شهرا ثم صرفه الله الى الكعبة وفى الباب أحاديث كثيرة بمضمون ما تقدم وكذلك وردت أحاديث فى الوقت الذى نزل فيه استقبال القبلة وفى كيفية استدارة المصلين لما بعثهم ذلك وقد كانوا فى الصلاة فلا تطول بذكرها فيه الرد على من أنكروا النسخ ودلالة على جواز نسخ السنة بالقرآن لان استقبال بيت المقدس كان ثابتا بالسنة الفعلية لا بالقرآن (وكذلك) أى كما أن الكعبة وسط الارض كذلك (جعلناكم أمة وسطا) أى عدوا لاختيار الوسط

بوادى محمل ثم مررت به خضرا قال بلى قال كذلك التشور أو قال كذلك يحيى الله الموتى وشاهد هذا قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها احبا قنفه يا كلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وبخرا نافعها من العيون ليا كلوا من ثمره وما علمته أيديهم أفلا يشكرون* (مسئلة)* استدلل المذهب الامام مالك فى كون قول الجريح فلان قتلنى لو ثابته القصة لان القبيل لما حي سئل عن قتله فقال فلان قتلنى فكان ذلك مقبولا منه لانه لا يخبر حينئذ الابالحق ولا يتهم والحالة هذه ورجحوا ذلك الحديث أنس أن يهوديا قتل جارية على أوصاح لها فرضخ رأسها بين حجرين فقيل من فعل بك هذا أقولان أقولان حتى ذكروا اليهودى فأومأت برأسها فأخذ اليهودى فلم يزل به حتى اعترف فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرض رأسه بين حجرين وعند مالك اذا كان لوثا حلف أولياء القبيل قسامة وخالف الجمهور فى ذلك ولم يجمعوا قول

القبيل فى ذلك لوثا (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجار قلوبا يتفجر منه الانهار وان منها لما يشفق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون) يقول تعالى نوبخا بنى اسرائيل وتقرىعناهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى واحياءه الموتى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك كله فهى كالحجارة التى لا تلبس أبد اولها هذا نهي الله المؤمنين عن مثل حالهم فقال ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون قال العوفى فى تفسيره عن ابن عباس لما ضرب المقتول

بعض البقرة جلس أحيا ما كان قط ففعل له من قتلك قال بنو أخى قتلوا ثم قبض فقال بنو أخيه حين تمسده الله والله ما قتلناه فكذبوا بالحق بعد أن رأوه فقال الله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك يعنى أبناء أخى الشجر فهى كالجردة أو أشد قسوة فصارت قلوب بنى إسرائيل مع طول الأمد قاسية بعيدة عن الموعدة بعد ما شاهدوا من الآيات والمعجزات فهى فى قسوتها كالجردة التى لا علاج لئنها أو أشد قسوة من الجردة فان من الجردة ما يتفجر منها العيون بالنهار الجارية ومنها ما يشقى فيخرج منه الماء وان لم يكن جاريا ومنها ما يهبط من رأس الجبل من خشية الله وفيه ادراك لذلك بحسبه (١٩٣) كما قال تسبح له السموات السبع والارض

ومن فيهن وان من شئ الا يسبح

بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم

انه كان حليما غفورا وقال ابن أبى

نخيع عن مجاهد انه كان يقول كل

حجر يتفجر منه الماء أو يشقى عن

ماء أو يتردى من رأس جبل لمن

خشية الله نزل بذلك القرآن وقال

محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبى

محمد عن عكرمة أو سـعـيد بن جبير

عن ابن عباس وان من الجردة لما

يتفجر منه الانهار وان منها لما

يشقى فيخرج منه الماء وان منها

لما يهبط من خشية الله أى وان من

الجردة لأئـلـين من قلوبكم عما تدعون

السهـ من الحق وما الله بغافل عما

تعملون وقال أبو على الجياني فى

تفسيره وان منها لما يهبط من

خشية الله هو سـقـوط البرد من

السحاب قال القاضى الباقلانى

وهذا تاويل بعيد وتعبه فى

استبـداده الرازى وهو كما قال فان

هذا خروج عن اللفظ بلا دليل

والله أعلم وقال ابن أبى حاتم حدثنا

أبى حـدـثنا هشام بن عمار حدثنا

الحكم بن هشام الثقفى حدثني يحيى

ابن أبى طالب يعنى ويحيى بن

يعقوب فى قوله تعالى وان من الجردة لما يتفجر منه الانهار قال كثرة البكاء وان منها لما يشقى

فيخرج منها الماء قال قليل البكاء وان منها لما يهبط من خشية الله قال بكاء القلب من غير دموع العين وقد زعم بعضهم ان

هذا من باب الجحاز وهو اسناد الخشوع الى الجردة كما أسندت الآرادة الى الجردة فى قوله يريد أن ينقض قال الرازى والقرطبي

وغيرهما من الأئمة ولا حاجة الى هذا فان الله تعالى يخلق فيها هذه الصفة كفى قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض

والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وقال تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن الآية وقال والنجم والشجر

الخيار والعدل والآية صالحة للامرين وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفسير الوسط هنا بالعدل رواه أحمد والترمذى وصححه والنسائى وغيرهم عن أبى سعيد مر فوعا فوجب الرجوع الى ذلك ولما كان الوسط مجازا للغلو والتقصير كان محموداى هذه الامة لم تغل غلوا النصرارى فى عيسى ولا قصر واتقصر اليهود فى أنبيائهم ويقال فلان أو وسط قومه وواسطتهم ووسطهم أى خيارهم والآية دلت على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لاثبت به عدالتهم أى اخات قاله الكرخى وفيه دلالة على تفضيل هذه الامة على سائر الامم (لتكونوا) اللام لام كى تفيد العلية أو هى لام الصيرورة (شهداء على الناس) يعنى يوم القيامة أى تشهدون للانبيا على أنهم انهم قد بلغوهم ما أمرهم الله بتبليغه اليهم وقالت طائفة معنى الآية يشهد بعضكم على بعض بعد الموت وقيل المراد لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يصح الالبتهادة العدول (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أى على أمتهم بانهم قد فعلوا ما أمر بتبليغه اليهم ومثله قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهيدا وقيل عليكم بمعنى لكم أى يشهد لكم بالايمان وقيل معناه يشهد عليكم بالتبليغ لكم قال فى الكشف لما كان الشهيد كالرقيب والمهين على المشهود له جى بكامة الأسـ متعلا ومنه قوله تعالى والله على كل شئ شهيد وكنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد انتهى وانما أخر لفظ على فى شهادة الامم على الناس وقدمها فى شهادة الرسول عليهم لان الغرض كما قال صاحب الكشف فى الاول اثبات شهادتهم على الامم وفى الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وقيل ان شهيدا أشبه بالقواصل والمقاطع من عليكم فكان قوله شهيدا تمام الجلة ومقطعها دون عليكم وهذا الوجه يرتدى على الرخصى مذهب من أن تقديم المفعول يشعر بالاختصاص وأخرج أحمد والبخارى والترمذى والنسائى وغيرهم عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل باغت فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد فيقال لنوح من يشهدك فيقول محمد وآمنه فذلك قوله يعنى هذه الآية فتشهدون له بالبلاغ وأشهد عليكم وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أنا وأمتي يوم القيامة على كؤم مشرفين على الخلائق ما من

(٢٥ ل - فتح البيان)

يعقوب فى قوله تعالى وان من الجردة لما يتفجر منه الانهار قال كثرة البكاء وان منها لما يشقى

فيخرج منها الماء قال قليل البكاء وان منها لما يهبط من خشية الله قال بكاء القلب من غير دموع العين وقد زعم بعضهم ان

هذا من باب الجحاز وهو اسناد الخشوع الى الجردة كما أسندت الآرادة الى الجردة فى قوله يريد أن ينقض قال الرازى والقرطبي

وغيرهما من الأئمة ولا حاجة الى هذا فان الله تعالى يخلق فيها هذه الصفة كفى قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض

والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وقال تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن الآية وقال والنجم والشجر

يسجدان أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء ^{بإظهاره} الآية قالتا أين أطاعين لو أمرنا هذا القرآن على جبل الآية وقالوا بل لو دهم لم يشهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الآية وفي الصحيح هذا جبل يحبنا ونحبه وكثير الجذع المتواتر خبره وفي صحيح مسلم أني لأعرف جبرائيل على قبل أن أبعث أني لأعرفه الآن وفي نسخة الحجر الأسود أنه يشهد لمن استلم بحق يوم القيامة وغير ذلك مما في معناه وحكي القرطبي قولهم التخيير أي مثلهذا وهذا وهذا مثل جالس الحسن أو ابن سيرين وكذا أحكام الرازي في تفسيره وزاد قولاً آخر أنها اللابهم بألفها (١٩٤) مخاطب كقول القائل أكلت خبزاً أو تراوه يعلم أيهم أكل وقال آخر أنها

بمعنى قول القائل كل حلوا أو حاضاً أي لا يخرج عن واحد منهم ما أي وقلوبكم صارت كالخجارة أو أشد قسوة منها لا يخرج عن واحد من هذين الشيعتين والله أعلم (تبيينه) اختلاف علماء العربية في معنى قوله تعالى فهي كالخجارة أو أشد قسوة بعد الإجماع على استحالة كونها للشك فقال بعضهم أو ههنا بمعنى الواو تقديره فهي كالخجارة أو أشد قسوة كقوله تعالى ولا تطع منهم أتماً أو كندوراً عدواً أو سراً وكما قال النابغة الذبياني

قالت ألبتة ما هذا الحجام لنا

إلى حمامتنا أو نصفه فقد تريد ونصفه قاله ابن جرير وقال جرير بن عطية قال الخلافة أو كانت له قدراً

كما أنى ربه موسى على قدر قال ابن جرير يعني نال الخلافة وكانت له قدراً وقال آخرون أو ههنا بمعنى بل فتقديره فهي كالخجارة بل أشد قسوة وكقوله إذا فرق بينهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فكان قاب قوسين

أو أدنى وقال آخرون معنى ذلك فهي كالخجارة أو أشد قسوة عندكم حكاه ابن جرير وقال آخرون المراد

بذلك الإبهام على مخاطب كما قال أبو الأسود أحب محمد أحب أشديداً * وعباساً وحزرة الوصيا

فان يك حبهم رشد أصبه . وليس بخطئ ان كان غيباً قال ابن جرير قالوا ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكفاً أن حب من سمي رشد ولكنه أحبهم على من طبعه قال وقد ذكر عن أبي الأسود أنه قال هذه الآية قيل له شككت فقال كلا والله ثم انتزع يقول الله تعالى وأنا أو أياكم لعل هدى أو في ضلال مبين فقال أو كان شاكفاً من أخبر به من الهادي منهم ومن الضال وقال

الناس أحد الأوثان من بني كذبه قومه إلا ونحس فنهدها بلغ رسالة تربه وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال مررنا بمنزلة فائتي عليهما خيراً فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجبت ثلاثاً ووجبت ثلاثاً ووجبت ثلاثاً فائتي عليهما خيراً فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجبت ثلاثاً فقلت من أين أتيت عليه خيراً ووجبت له الجنة ومن أين أتيت عليه خيراً ووجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض ثلاثاً زاد الحكيم الترمذي ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية وفي الباب أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة عند أهل الصحاح والسنن وغيرهم (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) المراد بهذه القبلة هي بيت المقدس وبؤياً هذا قوله كنت عليها إذ كان نزول هذه الآية بعد صرف القبلة إلى الكعبة وقيل المراد الكعبة أي القبلة التي أتت عليها الآن بعد أن كانت إلى بيت المقدس ويكون كنت بمعنى الحال وقيل المراد بذلك القبلة التي كان عليها قبل استقبال بيت المقدس فإنه كان يستقبل في مكة الكعبة ثم لما هاجر توجه إلى بيت المقدس تألفنا لليهود ثم صرف إلى الكعبة وفيه أعاريب خمسة أحسنهم ما ذكرناه (الأنعم) استثناء مفرغ من أعم العلل (من يتبع الرسول) في التوجه إلى ما أمر به من القبلة أو الدين والالتفات إلى الغيبة مع إرادته صلى الله عليه وآله وسلم بعنوان الرسالة للإشارة بعلية الاتباع (من يتقلب على عقبيه) أي يرجع إلى الكفر وقد ارتد لذلك جماعة والمعنى ما جعلناهم إلا لنتبليهم يعني من يسلم لأمره ممن يرجع إلى ما كان عليه من الكفر فيترد قال ابن عباس لغير أهل اليقين من أهل الشك قيل المراد بالعلم هذا الرؤية وقيل لم يعلم النبي وقيل المراد لنعلم ذلك موجوداً حاصلًا وهكذا ما ورد مع لادبع لم الله سبحانه لا بد أن يأول بمثل هذا كقوله ولعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء (وإن كانت الكعبة) أي ما كانت إلا كعبية كما قاله الفراء والضمير في كانت راجع إلى ما يدل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من التحويل والتولية أو جعله أو الرد ذكره معنى ذلك الاختش ولا مانع من أن يرجع الضمير إلى القبلة المذكورة أي وإن كانت القبلة المتصفة بذلك كنت عليها الكعبة أي يتحوّل إليها على أهل الشرك والريب قاله ابن عباس (الاعلى الدين هدى الله) أي هداهم للإيمان فأنشروا صدورهم لتصديقك وقبلت ما جئت به عقولهم وهذا الاستثناء مفرغ لأن ما قبله في قوة النفي أي أنه لا تختل ولا تسهل الأعلى أهل الهدى

وقيل

بعضهم معنى ذلك فقالوا بكم لا تخرج عن أحد هذين الثنتين إما أن تكون مثل الجارية في القسوة وإما أن تكون أشد منها في القسوة قال ابن جرير ومعنى ذلك على هذا التأويل في بعضها كالجارية قسوة وبعضها أشد قسوة من الجارية وقد رجحه ابن جرير مع توجيه غيره قلت وهذا القول الأخير يقي شئها بقوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً رابع قوله أو كصيب من السماء وكقوله والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة مع قوله أو كمثلما في بحر لحي الآية أي أن منهم من هو هكذا ومنهم من هو هكذا والله أعلم وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا (١٩٥) محمد بن ثيرون حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي

التيج حدثنا علي بن حفص حدثنا

إبراهيم بن عبد الله بن حاطب عن

عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال

لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله

فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة

القلب وإن أبعدا الناس من الله

القلب القاسي روى الترمذي في

كتاب الزهد من جامعه عن محمد بن

عبد الله بن أبي التيج صاحب الامام

أحمد بن محمد ومن وجه آخر عن إبراهيم

ابن عبد الله بن الحرث بن حاطب به

وقال غريب لا تعرفه إلا من حديث

إبراهيم وروى البزار عن أنس

مرفوعاً أربع من الشقاء جود

العين وقساوة القلب وطول الأمل

والحرص على الدنيا (أنتظمعون

أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم

يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من

بعد ما علقوه وهم يعلمون وإذا تناثروا

الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا

بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم

بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند

ربكم أفلا تعقلون أو لا يعلمون أن

الله يعلم ما يسرون وما يعلنون

وقيل استثناء من مستثنى منه محذوف أي وإن كانت لكبيرة على الناس الأعلى الذين وقيل يحتمل كلا الوجهين والاول أولى وعن ابن جرير قال بلغني أن ناساً من أسلم رجعوا فقالوا امرؤ شهناء ومرءة ههنا (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وهذه اللام تسمى لام الجود عند البصريين وخبر كان محذوف أي ما كان الله يريد الاضاعة إيمانكم والكوفيون لا يتدرون شيئاً وإن اللام عندهم للتأكيد وهكذا القول فيما أشبهه هذا التركيب مما ورد في القرآن وغيره نحو وما كان الله ليطلعكم وما كان الله ليزدر قال القرطبي اتفق العلماء على أنه أنزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس ثم قال فسمى الصلاة إيماناً لاجتماعها على نية وقول وعمل وقيل المراد ثبات المؤمنين على الإيمان عند تحويل القبلة وعدم ارتيابهم كما ارتاب غيرهم والاول يتعين القول به والمصير إليه لما أخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن حبان والطبراني والحاكم وصححه عن ابن عباس قال لما وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى القبلة قالوا يا رسول الله فكيف بالذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل وما كان الله الآية وفي الباب أحاديث كثيرة وآثار عن السلف (إن الله بالناس) تعليل لما قبله (لرؤف رحيم) الرؤف كثير الرأفة وهي أشد من الرحمة وأكثر منها والمعنى متقارب وقدم الابلغ للتأصلة (قد نرى قلب وجهك) نصرته (في) جهة (السماء) قال القرطبي في تفسيره قال العلماء هذه الآية متقدمة في النزول على قوله سيقول السفهاء ومعنى قد تكثير الرؤية كما قاله صاحب الكشف وقيل للتحقيق والمعنى تحول وجهك إلى السماء قاله قطرب وقال الزجاج قلب عينيك في النظر إلى السماء والمعنى متقارب والمعنى مطلعاً إلى الوحي ومتشوقاً للامر باستقبال الكعبة وكان بذلك لأنها قبله إبراهيم ولأنها أدي إلى اسلام العرب (فلنولينك) هو ما من الولاية أي فلنعطيك ذلك أو من التولى أي فالتجملتك متولياً إلى جهتهم وهذه بشارته من الله صلى الله عليه وآله وسلم بما يجب والفاء هنا للتسبب وقيل المعنى نحولناك (قبله ترصدا) قال ابن عمر أي قبله إبراهيم نحو الميزاب وهذا أولى لقوله (فول وجهك شطر المسجد الحرام) المراد بالشر هنا الناحية والجهة ويرد بمعنى البعض مطلقاً ويكون بمعنى النصف من الشيء وبمعنى الجهة والنحو ويقال شطر أي بعد ومنه الشطر وهو الشاب البعيد من الخير القائب عن منزله والشطير البعيد ومنه

يقول تعالى أفنتطمعون أمها المؤمنون أن يؤمنوا لكم أي يتبادل لكم بالطاعة ولاء الفرقة الضالة من اليهود الذين شاهدوا آبائهم من الآيات البينات ما شاهدوه ثم قست قلوبهم من بعد ذلك وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه أي يتأولونه على غير تأويله من بعد ما علقوه أي فهمود على الخلية وبع هذا يحرفونه على بصيرة وهم يعلمون أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله وهذا المقام شبيه بقوله تعالى فيما أنقضهم مشاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلام عن مواضعه قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

وإن معه من المؤمنين يؤيهم منهم أن تطهرون أن يؤمنوا لكم وقد كن فريق منهم يسمعون كلام الله وليس قوله سمعوا التوراة
كلهم قد سمعوا ولكن هم الذين سالوا موسى رؤية ربهم فآخذتهم الصاعقة فيها وقال محمد بن اسحق فيما حدثني بعض أهل العلم
أنهم قالوا لموسى يا موسى قد حبل بيننا وبين رؤية ربنا تعالى فاسمعنا كلامه حين يكلمك فطلب ذلك موسى الى ربه تعالى فقال نعم
مرهم فليطهروا وليطهروا ثم يصوموا فتعلاوا ثم خرج بهم حتى أتوا الطور فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى أن يسجدوا
فوقعرا سجودا وكلهم ربه فسمعوا كلامه (١٩٦) يأمرهم وينهاهم حتى عقلوا منه ما سمعوا ثم انصرف بهم الى بني اسرائيل

فلما جئوهم حرف فريق منهم
ما أمرهم به وقالوا حين قال موسى
لبنى اسرائيل ان الله قد أتكم
بكذا وكذا قال ذلك الفريق الذين
ذكرهم الله انما قال كذا وكذا خلافا
لما قال الله عز وجل لهم فهم الذين
عنى الله لرسوله صلى الله عليه وسلم
وقال السدي وقد كان فريق منهم
يسمعون كلام الله ثم يحرفونه قال
هي التوراة حرفوها وهذا الذي
ذكره السدي أعظم ما ذكره ابن عباس
وابن اسحق وان كن قد اختاره
ابن جرير انظر السباق فانه ليس
يلزم من سماع كلام الله ان يكون منه
كما سمعوا الكليم موسى بن عمران عليه
الصلاة والسلام وقد قال الله تعالى
وان أحد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله أى مباغيا
اليه ولهذا قال قتادة في قوله ثم
يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم
يعلمون قال هم اليهود كانوا يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه
ووعوه وقال مجاهد الذين يحرفونه
والذين يكذبونهم العلماء منهم وقال
أبو العالية عدوا الى ما أنزل الله في
كتابهم من نعت محمد صلى الله عليه

منزل شطير وشطير اليه أى أقبل قال الراغب والشاطر أيضا من تباعد من الحق
ولا خلاف ان المراد بشطير المسجد هنا الكعبة وقد حكى القرطبي الاجماع على ان
استقبال عين الكعبة فرض على المعين وعلى ان غير المعين يستقبل الناحية ويستدل
على ذلك بما يمكنه الاستدلال به وعن البراء شطر المسجد قبله وعن ابن عباس قال نحوه
وقال أبو العالية تلقاه وقال ابن عباس البيت كنه قبله وتقبله البيت الباب وأخرج
البيهقي عنه من فروعنا البيت قبله لاهل المسجد والمسجد قبله لاهل الحرم والحرم قبله
لاهل الارض مشارقتها ومغارهم من أمى وقد أخرج ابن ماجه عن البراء قال صلينا
مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهرا وصرفت
القبلة الى الكعبة بعد دخوله الى المدينة بشهرين وكان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم اذا صلى الى بيت المقدس أكثر تغليب وجهه في السماء وعلم الله من قلب نبيه أنه
يهوى الكعبة فصعد جبريل فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتبعه بصرد
وهو يصعد بين السماء والارض ينظر ما يأتيه به فأرسل الله هذه الآية فقال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم لم ياجبريل كيف حالنا في صلاتنا الى بيت المقدس فأرسل الله يعنى
الآية التي قبل هذه واختلفت في وقت تحويل القبلة فقبل كان في يوم الاثنين بعد الزوال
للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم المدينة وعليه الاكثر وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا وقيل كان لثلاثة عشر
شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل في جمادى وقيل في نصف شعبان وقيل نزلت ورسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر
فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال
فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى أهل قباء في صلاة الصبح وأخرج
البخارى ومسلم عن أنس بن مالك قال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم أن فقال ان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة
فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستدأروا الى الكعبة وظاهر حديث البراء في
البخارى انها كانت صلاة العصر ووقع عند النساء من رواية أبي سعيد بن المعلى انها
الظهر (وحيث ما كنتم) أى من برأوى بحر مشرق أو مغرب وهذا خطاب الامة (فولوا)

وسلم خرفوه عن مواضعه وقال السدي وهم يعلمون أى أنهم أذنبوا وقال ابن وهب قال ابن زيد في قوله يسمعون وجوهكم
كلام الله ثم يحرفونه قال التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيهما حراما والحرام فيهما حلالا والحق فيهما باطلا
والباطل فيهما حقا اذ جاءهم الحق برشوة أخرجه الله واذ جاءهم المبطل برشوة أخرجه الله ذلك الكتاب فهو فيه حق واذ
جاءهم أحاديثهم شيأ ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمرهم وبالحق فقال الله لهم تأمروا الناس بالبر وتسنوا أنفسكم وأنتم
تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقوله تعالى واذ قالوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذ اخلا بعضهم الى بعض الآية قال محمد بن اسحق

حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وإذا قالوا الذين آمنوا قالوا آمنا أي إن صاحبكم رسول الله
ولكنه اليكم خاصة وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا لا نتحدوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم فأنزل
الله وإذا قالوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا لا نتحدونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أي تقرون
بأنه نبي وقد علمتم أنه قد أخذ له المشاق عليكم باتباعه وهو يخبرهم أنه النبي الذي كانت تظنون وتجد في كتابنا الجدة ولا تقروا به يقول
الله تعالى أولاً يعلمون إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وقال الضحاك (١٩٧) عن ابن عباس يعني المنافقين من اليهود كانوا

إذا قالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا آمنا وقال السدي هؤلاء
ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا وكذا قال الربيع بن أنس وقتادة
 وغير واحد من السلف والخلاف حتى قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
 فيما رواه ابن وهب عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
 قال لا يدخلان علينا قصبة المدينة
 الا مؤمن فقال رؤسائهم من أهل
 الكفر والنفاق اذهبوا فقولوا
 آمنوا وكفروا اذارجعتهم اليها
 فكأنوا يا نبي الله المدينة بالبر
 ويرجعون اليهم بعد العصر وقرأ
 قول الله تعالى وقالت طائفة من
 أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على
 الذين آمنوا وجه النهار واكفروا
 آخره لعلهم يرجعون وكانوا يقولون
 إذا دخلوا المدينة نحن مسلمون
 ليعلموا خبر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فأذا رجعوا رجعوا إلى
 الكفر فلما أخبر الله نبيه صلى الله
 عليه وسلم قطع ذلك عنهم فلم
 يكونوا يدخلون وكان المؤمنون
 يظنون أنهم مؤمنون فيقولون
 أليس قد قال الله لكم كذا وكذا

وجوهكم شطره) أي نحو البيت وتلقاه وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 قال ما بين المشرق والمغرب قبلة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل أراد
 بالشرق مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في أطول يوم
 من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان
 مستقبلاً للقبلة وهذا في حق أهل المشرق لأن المشرق الشترى جنوبي متباعد عن خط
 الاستواء عقداً رالميل والمغرب الصفي شمالي متباعد عن خط الاستواء والذي بينهما
 فقوسهما مكة والغرض لمن بمكة في القبلة أصابة عين الكعبة ولين بعد من مكة أصابة
 الجهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها وهذا أحد الأصول الدالة
 على تجويز الاجتهاد وفيه إيجاب استقبال الكعبة في كل صلاة فرضاً كانت أو نفلاً في
 كل مكان حضر أو سافر وهو مخصوص بالآية المتقدمة في نافله السفر على الراحة
 وبالأية الآتية في حال المسابقة (وان الذين آمنوا الكتاب) قال السدي هم اليهود خاصة
 والكتاب التوراة وقال غيره أحبار اليهود وعلماء النصارى لعموم اللفظ والكتاب التوراة
 والانجيل (ليعلمون أنه الحق من ربهم) الضمير في أنه راجع إلى ما يدل عليه الكلام من
 التحول إلى جهة الكعبة وعلم أهل الكتاب بذلك إما لكونه قد بلغهم عن أنبيائهم
 أو وجدوا في كتب الله المنزلة عليهم أن هذا النبي مستقبل الكعبة ولا نهم قد علموا من
 كتبهم وأنبيائهم أن النسخ سيكون في هذه الشريعة فيكون ذلك موجباً عليهم الدخول
 في الاسلام ومتابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل راجع إلى الشطر وقيل إلى النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم ويكون على هذا التفسير من خطابه بقوله فلنولينك إلى الغيبة
 والاول أولى (وما الله بغافل عما يعملون) قال السدي أنزل ذلك في اليهود والمعنى
 ما أناباه عما يفعل هؤلاء اليه ودفعنا أجازيهم عليه في الدنيا والآخرة (ولئن) لام قسم
 وان شرطية (آيت الذين آمنوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (بكل آية) أي بكل معجزة
 وبكل حجة وبرهان (ما تبعوا قبلك) أي الكعبة عندا وفي هذه الآية بمبالغة عظيمة وهي
 متضمنة للتسليم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وترويح خاطره بأن هؤلاء لا يؤثرونهم
 كل آية ولا يرجعون إلى الحق وان جاءهم بكل برهان فضلا عن برهان واحد وذلك لأنهم
 لم يتركوا اتباع الحق لدليل عندهم أو لشبهة طرأت عليهم حتى يوازنوا بين ما عندهم وما جاء

فيقولون بلى فإذا رجعوا إلى قومهم يعني الرؤساء فقالوا لا نتحدونهم بما فتح الله عليكم الآية وقال أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى
 الله عليكم يعني بما أنزل عليكم في كتابكم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرزاق عن معمر بن قتيادة أن محمد بن عيسى
 فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم قال كانوا يقولون سيكون نبي خلفا بعضهم ببعض فقالوا لا نتحدونهم بما فتح الله عليكم قول
 آخر في المراد بالفتح قال ابن جرير حدثني القاسم بن أبي برزعة عن مجاهد في قوله تعالى لا نتحدونهم بما فتح الله عليكم قال قام
 النبي صلى الله عليه وسلم يوم قرينة تحت حصونهم فقال يا أخوان القردة والخنازير وباعبدة الطاغوت فقالوا من أخبر بهذا

الامر محمد ما خرج هذا القول الامسكم اتحدونهم بما فتح الله عليكم بما حكم الله للفتح ليكون لهم حجة عليكم قال ابن جريج عن
جاهد هذا حين ارسل اليهم عليا فاذوا محمد صلى الله عليه وسلم وقال السدي اتحدونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليجاجوكم
ببندركم هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا فكانوا يحدون المؤمنين من العرب بما عذبوا به فقال بعضهم لبعض اتحدونهم
بما فتح الله عليكم من العذاب ليقولوا نحن احب الى الله منكم وأكرم على الله منكم وقال عطاء الخراساني اتحدونهم بما فتح الله
عليكم يعني بما قضى لكم وعليكم وقال (١٩٨) الحسن البصري هؤلاء اليهود كانوا اذا قالوا آمنوا قالوا آمنا واما

خلا بعضهم الى بعض قال بعضهم
لا اتحدوا أصحاب محمد بما فتح الله
عليكم بما في كتابكم ليجاجوكم به
عند ربكم فيخصه هوكم وقوله
تعالى اولوا يعلمون ان الله يعلم
ما يسرون وما يعلنون قال أبو
العالية يعني ما أسروا من كفرهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم
به وهم يحذونه مكتوبا عندهم وكذا
قال قتادة وقال الحسن ان الله
يعلم ما يسرون قال كان
ما أسروا منهم كانوا اذا تولوا عن
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وخلاب بعضهم الى بعض تناهوا ان
يخبر أحدهم منهم أصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم بما فتح الله عليهم بما في
كتابهم خشية ان يجاجهم أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم بما في كتابهم
عند ربهم وما يعلنون يعني حين
قولا لأصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم آمنوا وكذا قال أبو العالية
والريبيع وقد (ومهم أميون
لا يعلمون الكتاب الا ما في وانهم
الافلون فويل للذين يكتبون
الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من
عند الله ليستروا به ثمنا فلبا فويل

به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقبلوا عن غورهم عند وضوح الحق بل كان
تركهم للحق عموما وعنادا مع علمهم بأنهم ليسوا على شيء ومن كان هكذا فهو لا ينفع
بابرهان أبدا ولا اخبار في قوله (وما أنت بتابع) يكن أن يكون بمعنى النهي من الله
سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أي لا تتبع يا محمد (قبلةهم) ويكون أن يكون على
ظاهره دفعا لاطماع أهل الكتاب وقطعا لما يرجونه من رجوعه صلى الله عليه وآله وسلم
الى القبلة التي كان عليها وهذه الجملية أبلغ في النفي من قوله ما تبعوا قبلك من وجوه منها
كونها اسمية تكررها في الاسم مؤكدا انهم باباء (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) فيه
اخبار بان اليهود والنصارى مع حرصهم على متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما
عندهم هم مختلفون في دينهم حتى في هذا الحكم الخاص الذي قصه الله سبحانه على
رسوله فان بعضهم لا يتابع الاخر في استقبال قبلة قال في الكشف وذلك ان اليهود
تستقبل بيت المقدس والنصارى تستقبل مطع الشمس انتهى قال الشهاب ان كون
قبلة النصارى مطع الشمس صرحا به لكن وقع في بعض كتب القصة ان قبلة عيسى
كانت بيت المقدس وقال الحافظ ابن القيم في بدائع الفوائد قبلة أهل الكتاب ليست
بوحى وتوقيف من الله بل بمشورة واجتهاد منهم أما النصارى فلا ريب أن الله لم يأمرهم
في الانجيل ولا في غيره باستقبال المشرق وهم يرون بان قبلة المسيح قبلة بني اسرائيل
وهي الصخرة وانما وضع لهم أشياء خهم هذه القبلة فهم مع اليهود متفقون على ان الله لم
يشرع استقبال بيت المقدس على رسوله أبدا والمسلمون شاهدون عليهم بذلك الامر وأما
اليهود فليس في التوراة الامر باستقبال الصخرة البتة وانما كانوا ينصبون النابون
ويصلون اليه من حيث خرجوا فاذا قدموا نصبوه على الصخرة وصلوا اليه فلما رفع صلوا
الى موضعه وهو الصخرة (ولئن اتبعتم أهواءهم) يعني مرادهم ورضاهم لرجعت
الى قبلةهم (من بعد ما جئتكم من العلم) في أمر القبلة أو بانهم مقيمون على باطل وتناد
(الناداء المطمين) فيه من التهديد العظيم والرجز البليغ ما تقشعر له الجلود وترجف
منه الافرقة واذا كان الميل الى آشوية المخالفين لهذا الشريرة الغراء والملة الشريفة
من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو سيد ولد آدم بوجوب الظلم عليه وحاشاه
ان يكون من الظالمين فاطمأن بغيره من أمته وقد صان الله هذه الفرقة لاسلامية بعد

لهم مما كتب أيديهم وويل لهم مما يكسبون) يقول تعالى ومنهم أميون أي ومن أهل الذنوب قاله مجاهد ثبوت
والاميون جمع أي وهو الرجل الذي لا يحسن السبب قاله أبو العالية والريبيع وقتادة وبرايم النحوي وغير واحد وهو ظاهر في
قوله تعالى لا يعلمون الكتاب أي لا يدرون ما فيه ولهذا في صفات النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يلهي لانه لم يكن يحسن الكتابة كما قال
تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لا رتاب المبطلون وقال عليه الصلاة والسلام انا امة لا نكتب
ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا والحديث أي لافقة في عبادتنا ومواقفها الى كتاب ولا حساب وقال تبارك وتعالى هو الذي

بعث في الاميين رسولا منهم وقال ابن جرير نسبت العرب من لا يكتب ولا يخط من الرجال الى ائمة في جهل بالكتاب دون ابيه قال
وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهم ما قول خلاف هذا وهو ما حدثنا به أبو بكر يرب حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمار عن
أبي رزق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى ومنهم أमीون قال الاميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسل الله ولا كتابا أنزل الله
فكتبوا الكتاب بأيديهم ثم قالوا القوم سفلة جهال هذا من عند الله وقال قد أخبرناهم يكتبون بأيديهم ثم ساءهم أमीين بلخودهم كتب
الله ورسله ثم قال ابن جرير وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من كلام (١٩٩). العرب المستفيض بينهم وذلك ان الاى

عند العرب الذي لا يكتب قلت ثم
في صحة هذا عن ابن عباس به هذا
الاسناد تظن والله أعلم وقوله تعالى
الأماني قال ابن أبي طلحة عن ابن
عباس الأماني الأحاديث وقال
الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى
الأماني يقول الاقولا يقولون
بافواههم كذابا وقال مجاهد الا كذا
وقال سفيان عن جابر عن ابن
جرير عن مجاهد ومنهم أमीون
لا يعاون الكتاب الأماني قال أناس
من اليهود لم يكونوا يعاونون من
الكتاب شيئا وكانوا يكلمون بالظن
بغير ما في كتاب الله ويقولون هو من
الكتاب أماني يمتنونه عن الحسن
البصري نحوه وقال أبو العباس
والربيع وتمتددة الأماني يمتنون
على الله ما ليس لهم وقال عبد
الرحمن بن زيد بن أسلم الأماني قال
تمنوا فقلوا نحن من أهل الكتاب
وليسوا منهم قال ابن جرير والاشبه
بالواب قول الضحاك عن ابن
عباس وقال مجاهد ان الاميين
الذين وصفهم الله تعالى أنهم
لا يفقهون من الكتاب الذي أنزل
الله تعالى على موسى شيئا ولكنهم

ثبوت قدم الاسلام وارتفاع منار عن أن يميلوا الى شيء من هوى أهل الكتاب ولم يبق
الادسية شيطانية ووسيلة طاغوتية وهي ميل بعض من تحمل جميع الله الى هوى بعض
طوائف المبتدعة لما يرجوه من الخطام العاجل من أيديهم أو الجاهل لديهم ان كان لهم في
الناس دلة أو كانوا من ذوي الصولة وهذا الميل ليس بدون ذلك الميل بل اتباع أهوية
المبتدعة يشبه اتباع أهوية أهل الكتاب كما يشبه الماء الماء والبيضة البيضة والقرقرة
وقد تكون مفردة اتباع أهوية المبتدعة أشد على هذه الملة من مفردة اتباع أهوية
أهل المال لان المبتدعة يدعون الى ذلك والاضداد لما هالك ولا يزالون يتفانون من يميل
الى أهوية من من بدعة الى بدعة ويدعون من شذعة الى شذعة حتى يستلخوه من الدين
ويخرجوه منه وهو يظن أنه منه في الصمم وان الصراط الذي هو عليه هو الصراط
المستقيم هذا ان كان في عداد المقصرين ومن جملة الجاهل وان كان من أهل العلم والنهم
المميزين بين الحق والباطل كان في اتباعه لأهوية من أضله الله على علم وختم على قلبه
وصارفة على عبادته وصحية صبا الله على المقصرين لانهم يعتقدون انه في علم وفهمه
لا يميل الى الحق ولا يتبع الا الصواب فيضلون بضلاله فيكون عليه اثم واثم من اقتدى
به الى يوم القيامة نسأل الله اللطف والسلامة والهداية والكرامة (الذين آتيناهم
الكتاب) يعني علماء اليهود والنصارى وقيل اراد به مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام
وأصحابه (يعرفون) الذين لم يصل الله عليه وآله وسلم وان لم يسبق له ذكر دلالة الكلام
عليه وعدم اللبس ذكره القاضى ويقال عليه بل سبق ذكره بل نظر الرسول مرتين أى
يعرفون بوثرة روى ذلك عن مجاهد وقتادة وطائفة من أهل العلم وقيل يعرفون بتحويل
القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة بالطريق التي قدمنا ذكرها وبه قال جماعة من
المفسرين ويرجع صاحب الكشاف الاول وعندى ان الراجح الاخر كما يدل عليه السياق
الذي سبقت له هذه الايات (كما يعرفون أبناءهم) أنهم منهم لا يشكون فيه ولا يشبهه عليهم
كما لا يشبه عليهم أبناءهم من أبناء غيرهم يعني يعرفون ان القبلة التي صرفت اليها هي
قبلة ابراهيم وقبلة الانبياء قبلك كما يعرفون اولادهم قال ابن سلام لقد عرفته حين رأيته
كما عرف ابني ومعرفتي بعمد أشد وخص الابناء دون البنات والاولاد لان الذكور

يتخرون الكذب ويتخرون الباطل كدبا وزورا والتمنى في هذا الموضع هو تخليق الكذب وتخترعه ومنه الخبر المروى عن
عثمان بن عفان رضي الله عنه ما تغيت ولا تنيت يعني ما اخترعت الباطل ولا اخترعت الكذب وقيل المراد بقوله الاماني
بالشديد والتخفيف ايضا أى الاتلاوة فعل هذا يكون استثناء منقطعاً واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى الا اذا تنى أى تلاأ اثنى
الشيطان في أميته الآية وقال كعب بن مالك الشاعر غنى كتاب الله أولي ليله * وآخره لافى حجام المقادر وقال آخر
غنى كتاب الله آخر ليله * تنى داود الكتاب على رسل وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أبو سعيد بن جبير

عن ابن عباس لا يلمون الكتاب إلا ما نى وان هم الا يظنون أى ولا يدرون ما فيه وهم يجدون نبوتك بالظن وقال مجاهد وان هم الا يظنون يكذبون وقال قتادة وأبو العاصية والربيع يظنون بالله الظنون بغیر الحق وقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثم قليلا الآية هؤلاء صنف آخر من اليهود وهم الدعاة الى الضلال بالزور والكذب على الله وكل أموال الناس بالباطل والويل الهلاك والدمار وهى كتم شهرة فى اللغة وقال سفيان الثوري عن زياد بن فياض سمعت أبا عبيد (٢٠٠) يقول ويل صديدي فى أصل جهنم وقال عطاء بن يسار الويل وادنى

جهنم لوسيرت فيه الجبال لماعت وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس ابن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويل وادنى جهنم هم من وفى فيه الكافرا أربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره ورواه الترمذى عن عبد الرحمن بن حميد عن الحسن ابن موسى عن ابن لهيعة عن دراج به وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث ابن لهيعة قلت لم يتقدمه ابن لهيعة كما ترى ولكن الاقعة من بعده وهذا الحديث بهذا الاسناد مر فوجا منكروا لله أعلم وقال ابن جرير حدثنا المنفى حدثنا ابراهيم بن عبد السلام حدثنا صالح القشيري حدثنا على بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون قال الويل جيل فى النار رهر الذى

أعرف وأشهر وهم اصحبه الاباء ألزم وبقولهم المصق والالتفات عن الخطاب الى الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم له صلى الله عليه وآله وسلم من حيث ذاته ونسبه بل من حيث كونه مسطورا فى الكتاب منعوبا بالانعوت التى من جملتها انه صلى الله عليه وآله وسلم يصلى الى القبلة كانه قبل الذين آتاهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا تظهر جزالة النظم الكريم ذكره الكرخى (وان قرى بقاتهم) أى من علماء أهل الكتاب (ليكفون الحق) يعنى أمر القبلة أو صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكتم الحق هو عند أهل القول الاول نبوته صلى الله عليه وآله وسلم وعند أهل القول الثانى استقباله الكعبة (وهم يعلمون) ان كتمان الحق معصية (الحق) يحتمل أن يكون المراد به الحق الاول ويحتمل أن يراد به جنس الحق على انه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره قوله (من ربك) أى الحق هو الذى من ربك لا من غيره (فلا تكون من الممترين) خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والامراء الشك فيه الله سبحانه عن الشك فى كون الحق من ربه أوفى كون كتمانهم الحق مع علمهم وعلى الاول هو تعريض للامة أى لا يكن أحد من أمتيه من الممترين لانه صلى الله عليه وآله وسلم لا يشك فى كون ذلك هو الحق من الله سبحانه وفيه كفاية وهى أبلغ من التصريح (ولكل وجهة) أى لكل دين وجهة ولكل أهل ملة قبله والوجهة فعله من المواجهة فى معناها الجهة والوجه وهى اسم للمكان المتوجه اليه كالكعبة أو مصدر والمراد القبلة أى انهم لا يتبعون قبلة وأنت لا تتبع قبلة ولكل وجهة اما بحق واما باطل والضمير فى (هو موليا) راجع الى لفظ كل والهاء هى المقول الاول والثانى محذوف أى موليا وجهه فى صلاته والمعنى ان لكل صاحب ملة قبله صاحب القبلة موليا وجهه فقبله المسلمين الكعبة وقبله اليهود بيت المقدس وقبله النصارى مطلع الشمس أو لكل منكم أمة محمد قبله يصلى اليها من شرق أو غرب أو جنوب أو شمال اذا كان الخطاب للمسلمين ويحتمل أن يكون الضمير لله سبحانه وان لم يجز له ذلك كانه معلوم ان الله فاعل ذلك والمعنى ان لكل صاحب ملة قبله الله موليا اليه وقيل لكل واحد من الناس قبله وقرئ مولياها والضمير لواحد والمعنى الواحد موليا لها أى محمول ومصرف اليها (فاستبقوا الخيرات) أى فبادروا الى ما أمركم الله به من استقبال البيت الحرام كما يفيد السياق وان كان ظاهره الامر بالاستباق الى كل ما يصدق عليه انه

أنزل فى اليهود لانهم حرقوا التوراة زادوا فيها ما أحبوا ومحو منها ما يكرهون ومحو اسم محمد صلى الله عليه وسلم خير من التوراة ولذلك غضب الله عليهم فرفع بعض التوراة فقال تعالى فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وهذا غريب أيضا جدا وعن ابن عباس الويل المشقة من العذاب وقال الخليل بن أسجد الويل شدة الشر وقال سيبويه وويل لمن وقع فى الهلكة وويل لمن أشرف عليها وقال الاصمعى الويل تفجع والويل ترحم وقال غيره الويل الحزن وقال الخليل وفى معنى وويل ويح وويش ووييه وويلك وويى ومنهم من فرق بينها وقال بعض النحاة انما جاز الابتداء بها وهى نكرة لان فيها معنى الدعاء

ومنهم من جوز نصيبها بمعنى ألزهمهم ويلا قلت لكن لم يقرأ بذلك أحد وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما فويل
للذين يكتبون الكتاب بأيديهم قال هم أحبار اليهود وكذا قال سعيد عن قتادة هم اليهود وقال سفيان الثوري عن عبد الرحمن
ابن علقمة سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم قال نزلت في المشركين وأهل
الكتاب وقال السدي كان ناس من اليهود كتبوا كتابا من عندهم يبيعونه من العرب ويحدثونهم انه من عند الله فيأخذوا به ثمنا
قليل وقال الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس انه قال (٢٠١) يامعشر المسلمين كيف تألون أهل

الكتاب عن شيء وكتاب الله الذي
أنزل على نبيه أحدث أخبارا لله
تقرؤنه غضا لم يشب وقد حدثكم
الله تعالى ان أهل الكتاب قد بدلوا
كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم
الكتاب وقالوا هو من عند الله
ليشتروا به ثمنا قليلا أفلا ينهكهم
ما جاءكم من العلم عن مسألتهم
ولا والله ما رأيت منهم أحدا قاط
سألتهم عن الذي أنزل عليكم
رواه البخاري من طرق عن
الزهري وقال الحسن بن أبي
الحسن البصري الثمن القليل الدنيا
بجدافرها وقوله تعالى فويل لهم مما
كتبت أيديهم وويل لهم مما
يكتبون أي فويل لهم مما كتبوا
بأيديهم من الكذب والبهتان
والافتراء وويل لهم مما كوا به
من السحت كما قال الضحاك عن
ابن عباس رضي الله عنهما فويل
لهم يقول فاعذاب عليهم من الذي
كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب
وويل لهم مما يكتبون يقول مما
يأكلون به الناس السفلة وغيرهم
(وقالوا ان تمسنا النار الا انما
معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا

خير كما يفيد العموم المستفاد من تعريف الخيرات قال ابن زيد يعني الاعمال الصالحة
والمراد من الاستباق الى الاستقبال الاستباق الى الصلاة في أول وقتها فان الصلاة فيه
أفضل لان ظاهرا الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا أقل من الندب والآية دليل
لذهب الشافعي في أفضلية الصلاة في أول الوقت والسبق الوصول الى الشيء أولا وأصله
التقدم في السير ثم تجوز به في كل ما تقدم والخيرات واحدا خيرة بوزن فيعلة أو زنة فعلة
بجفنة وعلى كلا التقديرين فليست بالتفصيل (أيما تكونوا) أي في أي جهة من الجهات
المختلفة تكونوا (يأت بكم الله) الجزاء يوم القيامة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعد
لاهل المعصية بالعقاب ويجمعكم (جميعا) ويجعل صلاتكم في الجهات المختلفة كأنها
الى جهة واحدة (ان الله على كل شيء قدير) ومنه الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة
والعقاب المستحق العقوبة (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام)
الظاهر أن من هنا ابتدائية والا قرب أن تكون بمعنى في أي مكان سافرت
(وانه) أي التولي (للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون) بالياء والتاء وتقدم مثله
(ومن حيث خرجت) أي من أي مكان خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) كرر سبحانه هذا تأكيذا لاهل الامر استقبال الكعبة
وللاهتمام به لان موقع التحويل كان معني به في نفوسهم وقيل وجه التكرير أن النسخ
من مظان الفتن ومواطن الشبهة فاذا سمعوه مرة بعد أخرى ثبتوا وان دفع ما يحتلج في
صدورهم وقيل انه كرر هذا الحكم لتعدد علة فانه سبحانه ذكر التحويل ثلاث عالى الاولى
ابتغاء مرضاته والثانية جري العادة الالهية أن يولي أهل كل مله وصاحب دعوة جهته
يستقبل بها والثالثة دفع حجج المخالفين فقرن بكل علة معاولها وقيل أراد بالاول ول
وجهك شطر الكعبة اذا صليت لتقاءها ثم قال وحيثما كنتم معاشر المسلمين في سائر
المساجد بالمدينة وغيرها فولوا وجوهكم شطره ثم قال ومن حيث خرجت يعنى وجوب
الاستقبال في الاسفار فكان هذا امر بالتوجه الى الكعبة في جميع المواطن من نواحى
الارض (لثلاث) الاول لام كي وان هى المصدرية ولا نافية (يكون للناس عليكم حجة) قيل
أراد بالناس أهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود والمعنى لاجبة
لا حد عليكم في التولي الى غيره أى لتتقوا مجادلتهم لكم من قول اليهودي محمد ديننا ويتبع

(٢٦ ل - فتح البيان) قلن يخلف الله عهدهم أم تقولون على الله ما لا تعلمون يقول تعالى اخبارا عن اليهود فيما تفعلوه
وادعوه لانفسهم من أنهم لم تمسهم النار الاياما معدودة ثم ينبون منها فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى قل اتخذتم عند الله عهدا أى
بذلك فان كان قد وقع عهد فهو لا يخلف عهدهم ولكن هذا ما جرى ولا كان ولهذا أتى بأى بلى أى بلى تقولون على الله
ما لا تعلمون من الكذب والافتراء عليه قال محمد بن اسحق عن سيف بن سليمان عن مجاهد عن ابن عباس ان اليهود كانوا يقولون
ان هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وانما عذب بكل ألف سنة يوم ما في النار وانما هي سبعة أيام معدودة فأنزل الله تعالى وقالوا لن تمسنا

النار الأيا ماعدودة الى قوله خالدين ثم رواد عن محمد بن سعيد أو عن كريمة عن ابن عباس بخبره وقال العوفي عن ابن عباس وقالوا ان تمسنا النار الا اياما معدودة اليهود قالوا ان تمسنا النار الا اربعين ليلة زاد غيره وهي مدة عبادتهم العمل وحكاية القرطبي عن ابن عباس وقتادة وقال الضحاك قال ابن عباس زعمت اليهود انهم وجدوا في التوراة مكتوبا ان مابين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم التي هي ثابتة في أصل الحميم وقال أعداء الله انما عذب حتى ننهي الى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتهلك فذلك قوله (٢٠٢) تعالى وقالوا ان تمسنا النار الا اياما معدودة وقال عبد الرزاق عن

معمرو عن قتادة وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة يعني الايام التي عبدنا فيها العجل وقال عكرمة خاضعت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن ندخل النار الا أربعين ليلة وسيفلقنا فيها قوم آخرون يعنون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على رؤوسهم بل أنتم خالدون تخادون لا يخلفكم فيها أحد فأنزل الله عز وجل وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة الآية وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن جعفر حدثنا محمد بن محمد بن خضر حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا الليث بن سعد حدثني سعيد ابن أبي سعيد عن أبي هريرة قال لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا لي من كان من اليهود ههنا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألوكم فلا توافلوا قالوا كذبتم بل ألوكم فلا توافلوا صدق

قَبْلَنَا وَقَوْلِ الْمُشْرِكِينَ يَدْعَى مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَيَخَالِفُ قَبْلَتَهُ (الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بَعَثَ
 الْمُرْسَلِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْقَائِلِينَ مَا تَرَكْنَا قَبْلَنَا إِلَى الْكُفَّةِ الْأَمْلَاءِ إِلَى دِينِ قَوْمِهِ وَقِيلَ
 لَهُمْ مُشْرِكُوا الْعَرَبِ وَحُجَّتُهُمْ قَوْلُهُمْ رَاجِعَتْ قَبْلَتُنَا وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَيْسَ يَقُولُوا لَكُمْ قَدْ أَمَرْنَا
 بِاسْتِقْبَالِ الْكُفَّةِ وَاسْتَمَرَّتْ رُؤُسُهُمْ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْأَهْنَاءُ بِمَعْنَى الْوَاوِ وَأَبْطَلَ الرَّجَاحُ هَذَا
 الْقَوْلَ وَقَالَ أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ أَيْ لَكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَانْهَوْهُمْ بِحُجَّتِهِمْ وَمَعْنَاهُ الْأَمْنُ
 ظَلَمَ بِأَحْتِجَاجِهِ فِيمَا قَدْ وَضَحَ لَهُ كَأَنَّهُ يَقُولُ مَا لَكَ عَلَى حُجَّةِ الْأَنْ تَطْلُبُ أَيْ مَا لَكَ عَلَى حُجَّةِ
 وَلَكِنَّكَ تَطْلُبُ وَاسْمُ ظَلَمٍ حُجَّةٌ لِأَنَّ الْحُجَّتَ بِهَا سَمَّاهُ حُجَّةً وَأَنَّ كَانَتْ دَاحِضَةً وَرَجَحَ ابْنُ جَرِيرٍ
 الطَّبْرِيَّ أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ مُتَّصِلٌ وَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ أَنَّهُ تَكُونُ لِأَحَدِ حُجَّةٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَحْبَابِهِ فِي اسْتِقْبَالِهِمُ الْكُفَّةَ وَالْمَعْنَى لِأَحَدِهِمْ الْأَلْحُجَّةُ الدَّاحِضَةُ
 حُجَّتُ الْقَوْمِ أَوْ لَا هُمْ وَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا تَحْبِرُ فِي دِينِهِ وَمَا تَوَجَّهَ إِلَى قَبْلَتِنَا إِلَّا بِأَنَّهُ هَدَى مِنْهُ وَغَيْرُ
 ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الَّتِي لَمْ تَتَّبِعْ الْأَمْنُ عَابِدُونَ أَوْ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ مُنَافِقٍ قَالَ وَالْحُجَّةُ بِمَعْنَى
 الْحَاجَّةِ الَّتِي هِيَ الْمُخَاصِمَةُ وَالْمُجَادَلَةُ وَسَمَّاهُ تَعَالَى حُجَّةً وَحُكْمًا بِفَسَادِهَا حَيْثُ كَانَتْ مِنْ
 ظُلْمٍ وَرَجَحَ ابْنُ عَطِيَّةٍ أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعٌ كَمَا قَالَ الرَّجَاحُ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَهَذَا عَلَى أَنَّ
 يَكُونُ الْمُرَادُ بِالنَّاسِ الْيَهُودِ ثُمَّ اسْتَنْتَى كُفَّارَ الْعَرَبِ كَأَنَّهُ قَالَ لَكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا فِي نَوَائِلِهِمْ
 رَجَعَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى قَبْلَتِنَا وَسَبَّحَ إِلَى دِينِنَا كُلِّهِ (فَلَا تَحْشَوْهُمْ) أَيْ
 لَا تَخَافُوا وَاجِدَ اللَّهُمَّ فِي التَّوَلَّى إِلَيْهِ أَوْ مَطَاعَتِهِمْ فَانْهَادَ حُضْرَةً بَاطِلَةً لِأَنْ تُضْرَكَ (وَإِنْ خُوفِي)
 أَيْ أَحْذَرُوا عِقَابِي إِنْ أَتَيْتُمْ عِدَّتِي عَمَّا أَلَزَمْتُكُمْ بِهِ وَفَرْضَتُهُ عَلَيْكُمْ (وَلَا تَنْعَمُوا بِعَلَيْكُمْ)
 أَيْ بِهِدَايَاكُمْ إِلَى قَبْلَتِهِ إِبْرَاهِيمَ لَتَمَّ لَكُمْ الْمَلَّةُ الْحَنِيفِيَّةُ وَقِيلَ تَعَامُ النِّعْمَةُ الْمَوْتُ عَلَى
 الْإِسْلَامِ ثُمَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ثُمَّ رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى (وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) أَيْ لِكَيْ تَهْتَدُوا
 الضَّلَالَةَ وَلَعَلَّ وَعَسَى مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ (كَأَمْ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا
 وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) التَّشْبِيهُ وَاقْعُدْ عَلَى أَنَّ النِّعْمَةَ فِي الْقَبْلَةِ كَالنِّعْمَةِ
 فِي الرِّسَالَةِ وَقِيلَ مَعْنَى الْكَلَامِ عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ أَيْ فَادْكُرْ وَفِي كَأَمْ أَرْسَلْنَا قَالَهُ الرَّجَاحُ
 وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ وَالتَّعْبِيرُ بِصِغَةِ التَّكْلِيمِ الدَّالَّةُ عَلَى الْعِظَمَةِ بَعْدَ التَّعْبِيرِ بِالصِّغَةِ الَّتِي لَا دَلَالَתَ
 لَهَا عَلَيْهِمْ مِنْ قِبَلِ التَّقْنِ وَجَرَّ يَاعْلَى سَبْعِينَ الْكِبَرَاءَ وَفِيكُمْ خُطَابٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَالْعَرَبِ
 وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي أَرْسَالِهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَيْهِمْ لِمَنْفَعَتِهِ مِنَ الشَّرَفِ لَهُمْ وَلَا

وَبَرَرْتُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ أَنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ قَالُوا نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ وَإِنْ كَذَبْنَا لَشَعَرْتُ كَذَبْنَا الْمَعْرُوفُ
كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آيِنَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ قَالُوا كَيْفَ يَكُونُ فِيهِ إِسِيرًا ثُمَّ تَخَلَّفُوا فِيهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْسَوْا وَاللَّهِ لَا تَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ أَنْ سَأَلْتُكُمْ
عَنْهُ قَالُوا نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًّا فَقَالُوا نَعَمْ قَالَ فَاجْلِسْكُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَدْنَا أَنْ نَكُنْتَ كَاذِبًا إِنْ نَسْتَرْجِعُ
مِنْكَ وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرْكُ وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتَّيَّارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ الثَّبَّتِيِّ بْنِ سَعْدٍ بَنِيهِ (بُيُ) مِنْ كَسْبِ سَيِّئَةٍ وَأَخَاطَتْ

به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) يقول تعالى ليس الامر كما تظنون ولا كما تشتمون بل الامر انهم من عمل سيئة وأخطأت به خطيئته وهو من انى يوم القيامة وليست له حسنة بل جميع أعماله سيئات فهذا من أشل النار والذين آمنوا وعملوا الصالحات أى آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات من العمل الموافق للشرعة فهو من أهل الجنة وهذا المقام شبيه بقرينة تعالى ليس بامانيكم ولا ماني أشل المكذب من يعدل سواء يميز به ولا يجده من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعدل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو (٢٠٣) مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا

قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس بلى من كسب سيئة أى عمل مثل أعمالكم وكسب مثل ما كسرت به حتى يحيط به كفره فما له من حسنة وفي رواية عن ابن عباس قال الشريك قال ابن أبي حاتم وروى عن أبي وائل وأبي العالية ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والربيع بن أنس نحوه وقال الحسن أيضا والسدي السيئة الكبيرة من الكبائر وقال ابن جريج عن مجاهد وأخطأت به خطيئته قال بقلبه وقال أبو هريرة وأبو وائل وعطاء والحسن وأخطأت به خطيئته قالوا أخطأ به شره وقال الاعشى عن أي رزين عن الربيع بن خيثم وأخطأت به خطيئته قال الذي يموت على خطاياها من قبل أن يتوب وعن السدي وأبي رزين نحوه وقال أبو العالية ومجاهد والحسن في رواية عنهما وقتادة والربيع بن أنس وأخطأت به خطيئته الموجبة الكبيرة وكل هذه الاقوال متقاربة في المعنى والله أعلم

المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم أقرب الى قبول قوله والانقياد له والرسول هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم والآيات القرآن وذلك من أعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر والتركبة التطهير من دنس الشرك والذنوب وقيل محاسن الاعمال ومكارم الافعال والحكمة هي السنة المطهرة والفقه في الدين (ويعلمكم) من أخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبياء والخبر عن الحوادث المستقبل (ما لم تكونوا تعلمون) ذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتستقلون بعلمه بعقولكم (فاذكروني أذكركم) أمر وجوابه وفيه معنى المجازة قاله سعيد بن جبير والمعنى اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة حكاه عنه القرطبي وروى نحوه مرة قواعا وقيل الذي يكون باللسان وهو التسميع والتحميد ونحو ذلك من الاذكار المأثورة ويكون بالقلب وهو التفكير في الدلائل الدالة على وحدانيته وبدائع خلقه ويكون بالجوارح وهو الاستغراق في الاعمال التي أمروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التي للجوارح فيها فعل وقيل غير ذلك وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاذ كرتي في ملاخير منتهى وان تقرب الى شبرا تقرب اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقرب اليه باعانا وان اتاني عشي أتيت به هرولة أخرجه البخاري ومسلم وأخرج عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفقتاه وأخرج عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره كمثل الحي والميت وفي الباب أحاديث كثيرة (واشكروا لي) يعني بالطاعة ما أنعمت به عليكم قال الفراء شكرك وشكرتك واحد قال ابن عطية ولي أفصح وأشهر مع الشكر والشكر معرفة الاحسان والتحدث به وأصله في اللغة الظهور وقد تقدم الكلام فيه وقد ورد في فضل ذكر الله على الاطلاق وفضل الشكر أحاديث كثيرة كما أشيرنا اليه (ولا تكفرون) أى يجمع النعم وعصيان الامر والكفر هنا ستر النعمة لا التكذيب فنأطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفر وقد تقدم الكلام فيه (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة) لما فرغ سبحانه من ارشاد عباده الى

ويذكر ههنا الحديث الذي رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمرو بن قتادة عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيكم ومحقرات الذنوب فانهم يجتمعون على الرجل حتى يهلكوه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهم مثلا كمثل قوم نزلوا بأرض فلاة فخصر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيبي بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادا وأججوا ناراً فنجحوا ما قد فوافيها وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون أى من آمن بما كفرتم وعمل بما تاركتم

من دينه فليهم الجنة الذين فيهم يحبهم ان الثواب بالخير والشر مقيم على اخلاصه لا الانقطاع له (واذا حذنا مشاق بني اسرائيل
لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليهم
الاقليل منهم وانتم معرضون) يذكركم ربك وتعالى بني اسرائيل بما أمرهم به من الاوامر وأخذهم بميثاقهم على ذلك وانهم تولوا
عن ذلك كله وأعرضوا قصد اوعداهم يعرفونه ويذكرونه فأمرهم تعالى ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وبهذا أمر جميع خلقه
وان ذلك خلقهم كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك (٢٠٤) من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد

ذكره وشكره عقب ذلك بارشادهم الى الاستعانة بالصبر عن المعاصي وحفظ النفس
وبالصلاة التي هي عماد الدين ومعراج المؤمنين فان من جمع بين ذكر الله وشكره
واستعان بالصبر والصلاة على تأدية ما أمر الله به ودفع ما يرده عليه من المحن فقد هدى الى
الصواب ووفق للخير ومن الناس من جعل الصبر على الصوم وقصره ومنهم من جعله على
الجهاد ولا وجه لتخصيص نوع دون نوع والصبر حبس النفس على احتمال المكاره في
ذات الله وتوطئها على تحمل المشاق في العبادات وسائر الطاعات وتجنب الخزع
واخطورات والمعنى استعينوا على طلب الاخرة بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس
على تحصيل الذنوب وخصها بالذكور لكررها وعظمتها لانها أم العبادات ومنها جاذب
الكائنات (ان الله مع الصابرين) أي بالغون والمصر واجابة الدعوة وهذه المعية التي
أوصى الله فيها أعظم ترغيب لعباده سبحانه الى لزوم الصبر على ما ينوب من الخطوب
فمن كان الله معه لم يخش من الاحوال وان كانت كاجبال وهذه المعية خاصة بالمتقين
والمحسنين والصابرين وأما المعية العلم والقدرة فهي عامة في حق كل أحد وبالجملة تعليل
لما قبلها من الاستعانة بالصبر خاصة كما قال أبو السعود وبالصبر والصلاة كما قال الكرخي
(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء) قيل زنا فمين قتل يدر من المسلمين
وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وسمانية من الانصار وسماهم في اخرازم
باسمائهم وكان الناس يقولون فيهم مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا وانها فارق الله هذه
الآية وقيل ان الكفار قالوا ان الناس يقتلون أنفسهم ظلم المرضاة محمد صلى الله عليه
 وآله وسلم من غير فائدة فقلت هذه الآية وأخبر الله أن من قتل في سبيله فانه حي وانما
خص الشهداء لانهم قضوا على غيرهم عز وذلهم وهو أنهم يرفعون من مطاعم الجنة
وما كلفها وغيرهم نعمون بما دون ذلك (ولكن لا تشعرون) بهذه الحياة عند مشاهدتهم
لا بدانهم بعد سلب ارواحهم لانكم تحكمون عليهم بالموت في ظاهر الامر بحسب
ما يلغ اليه علمكم الذي هو بالنسبة الى علم الله كما ياخذ الطائر في منقاره من ماء البحر
وليسوا كذلك في الواقع بل هم أحياء في البرزخ تصل ارواحهم الى الجنان فيهم أحياء
من هذه الجهة وان كانوا أمواتا من جهة خروج الروح من أجسادهم وفي الآية دليل
على ثبوت عذاب القبر للعصاة وأن المطيعين لله يصل اليهم ارواحهم وهم في قبورهم في البرزخ

بعنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا
الله واجتنبوا الطاغوت وشذاخو
أعلى الحقوق وأعظمها وهو حق
الله تبارك وتعالى أن يعبد وحده
لا شريك له ثم بعد ذلك حق الخلقين
وأكد شهم وأولاهم بذلك حق
الوالدين ولي هذا يقرن تبارك
وتعالى بين حقه وحق الوالدين كما
قال تعالى أن اشكركم ولو اليك
الى المصير وقال تبارك وتعالى
وقضى ربك ان لا تعبدوا الاياه
وبالوالدين احسانا الى أن قال وآت
ذا القربى حقه والمساكين وابن
السييل وفي الصحيحين عن ابن
مسعود قلت يا رسول الله أي العمل
أفضل قال الصلاة على وقتها قلت
ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي
قال الجهاد في سبيل الله ولهذا
جاء في الحديث الصحيح أن رجلا
قال يا رسول الله من أبر قال أمك
قال ثم من قال أمك قال ثم من قال
أباك ثم أدناك ثم أدناك وتوله تعالى
لا تعبدون الا الله قال الزمخشري
خبر بمعنى الطلب وهو أكد وقبل
كان أصلا أن لا تعبدوا الا الله كما
قرأنا من قرأها من السلف فقد

ان فارفع وحكي عن أبي وابن مسعود انه ما قرأه لا تعبدوا الا الله ونقل هذا التوجيه القرطبي في تفسيره ولا اعتداد
عن سيويه قال واختاره الكسائي والقراء قال واليتامى وهم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء والمساكين الذين لا يجدون
ما ينتفون على أنفسهم وأهليهم وسيأتي الكلام على هذه الاصناف في عناية النساء التي أمرنا الله تعالى بها بصريحا في قوله
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا الآية وقوله تعالى وقولوا للناس حسنا أي كنوهم طيبا وليسوا بهم جالبا
وبيدخل في ذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر المعروف كما قال الحسن البصري في قوله تعالى وقولوا للناس حسنا فالحسن

من القول يا امر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلم ويعفو ويصفح ويقول للناس حسنا كما قال الله وهو كل خلق حسنت رضيه الله وقال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا أبو عامر الخراز عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تحقرن من المعروف شيئا وان لم تجد فالحق أحوال بوجه منطلق وأخرج مسلم في صحيحه والترمذي وصححه من حديث أبي عامر الخراز واسمه صالح بن رستم به وناسب ان يأمرهم بأن يقولوا للناس حسنا بعد ما أمرهم بالاحسان اليهم بالله ليعمل بجمع بين طرفي الاحسان الفعلي (٢٠٥) والقول ثم كذا الامر بعبادته والاحسان

الى الناس بالمعنيين من ذلك وهو الصلاة والزكاة فقال وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأخبرناهم قولوا عن ذلك كله أى تركوه وراء ظهورهم وأعرضوا عنه على عمد بعد العلم به الا القليل منهم وقد أمر الله هذه الامة بتطير ذلك في سورة النساء بقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا فقامت هذه الامة من ذلك بهيكل يقوم به أمة من الامم قبلها والله الجد والمنة ومن النقول الغريبة ههنا ما ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبي حدثنا محمد بن خلف العسقلاني حدثنا عبد الله بن يوسف يعني التميمي حدثنا خالد بن صبيح عن حميد بن عتبة عن أسد بن وداعة انه كان يخرج من منزله فلا يلتقي يهوديا ولا نصرانيا الا سلم عليه فقبل له ماشا نك تسلم على اليهودي والنصراني فقال ان الله تعالى

ولا اعتداد بخلاف من خالف في ذلك فقد تواترت به الاحاديث الصحيحة ودلت عليه الآيات القرآنية ومثل هذه الآية قوله تعالى ولا تحسن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وقدرت أحاديث في أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضرتا كل من ثمار الجنة فمنها عن كعب بن مالك مرفوعا عند أحمد والترمذي وصححه النسائي وابن ماجه وروى ان أرواح الشهداء على صور طيور يرض كما أخرجه عبد الرزاق عن قتادة قال بلغنا فاذ كذلك وروى أنها على صور طيور خضرتا أخرجه ابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الايمان عن أبي العالقة والآية تنزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر وفيها دلالة على أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراية وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطق الآيات والسنة وعلى هذا تخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومن يدا بهجة والكرامة (ولنبأونكم بشيئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات) أى لختبرنكم والامام جواب القسم أى والله لنبأونكم بأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والبلاء أصله المحنة أى تمحنكم لختبرنكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء أم لا وليظهر الطائع من العاصي والتسكير للتقليل أى بشيئ قليل من هذه الامور فان ما وقاهم عنه أكثر بالنسبة الى ما أصابهم بألف مرة فكذا ما يصيبهم بمعاندهم وانما أخبر به قبل الوقوع ليوطئوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسيبا أخبر به وليعلموا أنه شئ يسير له عاقبة محمودة والمراد بالخوف ما يحصل لمن يخشى من نزول ضرره من عدو أو غيره أو غيره وبالجوع الجماعة التي تحصل عند الجذب والقحط ونقص الاموال ما يحدث فيها بسبب الجوائح وما أوجبه الله فيها من الزكاة ونحوها عن رجا من حيوة قال يأتي على الناس زمان لا تحمل الخلقة فيه الاثرة ونقص الانفس الموت والقتل في الجهاد ونقص الثمرات ما يصيبهم من الآفات وهو من عطف الخاص على العام لشمول الاموال للثمرات وغيرها وقال الشافعي في تفسير هذه الآية الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان ونقص الاموال اخراج الزكاة والصدقات ونقص الانفس بالامراض ونقص الثمرات موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب وفي الحديث اذا مات ولد العبد قال الله لملائكته أقبضتم ولد عبدي قالوا نعم قال أقبضتم ثمرة فؤاده قالوا

يقول وقولوا للناس حسنا وهو السلام قال وروى عن عطاء الخراساني نحوه (قلت) وقد ثبت في السنة أنهم لا يبدئون بالسلام والله أعلم (واذا أخذنا من شياكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقر رتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون من دياركم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوككم أسارى تفادوهم وهو حرم عليهم آخر اجمعهم أفقتون من بعض الكتاب وتكفرون بعض فاجراء من يفعل ذلك منكم الاخرى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون)

يقول تبارك وتعالى منكر اعلی اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وما كانوا يعاونونه من القتال مع
الاوس والخزرج وذلك ان الاوس والخزرج وهم الانصار كانوا في الجاهلية عباداً لصنم وكانت بينهم حروب كثيرة وكانت يهود
المدينة ثلاث قبائل بنو قينقاع وبنو النضير وحلفاء الخزرج وبنو قريظة حلفاء الاوس فكانت الحرب اذا نشبت بينهم قاتل كل
فريق مع حلفائه فيقتل اليهودي أعداءه وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر وذلك حرام عليهم في دينهم ونص كتابهم
ويخرجونهم من بيوتهم وينتهبون ما فيهم من (٢٠٦) الاثاث والامتنعة والاموال ثم اذا وضعت الحرب اوزارها استقوا

نعم قال فماذا قال قالوا جلدك واسترجع قال ابناؤه بيتا في الجنة وسموه بيت الجدة أخرجه
الترمذي عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً وقال حديث حسن ولكن اللفظ القرآني
أوسع مما قال وأعم منه فلا يخص بشيء دون غيره (وبشر الصابرين) أمر لرسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم أول كل من يقدر على التبشير وقد تقدم معنى البشارة والصابر أصله
الحبس والجله عطف على وليلونكم عطف المضمون على المضمون أي الابتلاء حاصل
لكم وكذا البشارة لكن ابن صبر قاله سعد التفتازاني (الذين اذا أصابهم مصيبة) المصيبة
واحدة المصائب وهي النكبة التي يتأذى بها الانسان وان صغرت (قالوا) أي باللسان
والقالب لا باللسان فقط فان التلفظ بذلك مع الجزع قبس من وسخط للقضاء وذلك ان تصور
ما خلق لاجله وانه يرجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليري أن ما أتى الله عليه أضعاف
ما استرده منه فيؤمن عليه ويستسلم (انا لله وانا اليه راجعون) في الآخرة فيجازيها
وصفهم بأنهم المسترجعون عند المصيبة لان ذلك تسليم ورضا وفيه بيان أن هذه الكلمات
ملجأ للمصابين وعصمة للممتحنين فانها جامعة بين الاقرار بالعبودية لله والاعتراف بالبعث
والنشور والرجوع والتفويض الى الله والرضا بكل ما نزل به من المصائب وفي الحديث
من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقابه وجعل له خلفاً صالحاً راضياً
وأخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم أعطيت أمتي شيئاً لم يعطه أحد من الامم أن يقولوا عند المصيبة انا لله وانا اليه
راجعون ألا تسمع الى قول يعقوب عند فقد يوسف يا أسفا على يوسف وقد ورد في فضل
الاسترجاع عند المصيبة أحاديث كثيرة (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) الصلاة
هنا المغفرة قاله ابن عباس أو الثناء الحسن قاله الزجاج وعلى هذا فذكر الرجة لقصد
التأكيد وقال في الكشف الصلاة الرجة والتعطف فوضعت موضع الرافة وجع بينها
وبين الرجة كقوله رافة ورجة روف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورجة بعد رجة
انتهى وعبر عن المغفرة بلفظ الجمع للتبني على كثرتها وتنوعها قاله البيضاوي وأبو السعود
وقيل المراد بالرجة كشف الكربة وقضاء الحاجة وانما وصفوا هنا بذلك لكونهم فعلاً
ما فيه الوصول الى طريق الصواب من الاسترجاع والتسليم (وأولئك هم المهتدون) يعني
الى الاسترجاع وقيل الى الجنة وقيل الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم

الاسارى من الفريق المغلوب عملاً
بحكم التوراة ولهذا قال تعالى
أقتولون ويعض الكتاب
وتكفرون ببعض ولهذا قال
تعالى واذا أخذنا مشاقكم
لاتسفكون دماءكم ولا تخرجون
أنفسكم من دياركم أي لا يقتل
بعضكم بعضاً ولا يخرجهم من منزله
ولا يظاھر عليه كما قال تعالى فتوبوا
الى ربكم فاقبلوا أنفسكم ذلكم
خبر لكم عند ربكم وذلك أن
أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس
الواحدة كما قال عليه الصلاة
والسلام مثل المؤمنين في توادهم
وتراحمهم وتواصليهم بمنزلة الجسد
الواحد اذا اشتكى منه عضو
تداعى له سائر الجسد بالسبح والسم
وقوله تعالى ثم أقررتم وأنتم
تشهدون أي ثم أقررتم بمعرفة
هذا المشاق وحتمه وأنتم تشهدون
به ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم
وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم
الآية قال محمد بن اسحق بن يسار
حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن
جبير أو عن كريمة عن ابن عباس ثم أنتم
هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون

فريقاً منكم من ديارهم الآية قال أنباهم الله بذلك من فعلهم وقد حرم عليهم في التوراة سفك
دمائهم واقترض عليهم فيها فداء أسراهم فكانوا فريقين طائفة منهم بنو قينقاع وهم حلفاء الخزرج والنضير وقريظة وهم حلفاء
الاوس فكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الاوس
يظاھر كل واحد من الفريقين حلفاء على اخوانه حتى تسافكوا دماءهم بينهم وبايديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم
والاوس والخزرج أهل شرك يعبدون الاوثان ولا يعرفون الجنة ولا ناراً ولا بعثاً ولا قيامة ولا كتاباً ولا حلالاً ولا حراماً فاذا وضعت

العدلان

الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقا لما في التوراة وأخذوا به بعضهم من.

من أسراهم في أيدي

الآوس ويقتدى النصير وقرينة ما كان في أيدي الخزيج منهم ويطلبون ما ^ب ^ب وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم
مظاهرة لأهل الشرك عليهم يقول الله تعالى ذكره حيث أنبأهم بذلك أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض أي تفادونهم
بحكم التوراة تقتلونهم وفي حكم التوراة أن لا يقتل ولا يخرج من داره ولا يظهر عليه من بشرك بالله وبعد الاوثان من دونه
ابتغاء عرض الدنيا ففي ذلك من فعلهم مع الآوس والخزيج فيما بلغني نزلت (٢٠٧) هذه القصة وقال اسباط عن السدي

كانت قرينة حلفاء الآوس وكانت

النصير حلفاء الخزيج فكانوا

يقتتلون في حرب بينهم فتقاتل

بنو قرينة مع حلفائها النصير

وحلفاءهم وكانت النصير تقاتل

قرينة وحلفاءها ويغلبونهم فيخربون

ديارهم ويخرجونهم منها فإذا أسر

رجل من الفريقين كلاهما

جعلوا له حتى يفدوه فبعضهم

العرب بذلك ويقولون كيف

تقاتلونهم وتقدونهم قالوا أنا أمرنا

أن نفديهم وحررنا قتلناهم قالوا

فلم تقاتلونهم قالوا أنا نستحي أن

تستذل حلفاؤنا فذلك حين غيرهم

الله تبارك وتعالى فقال تعالى ثم

أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم

وتخربون ديارهم من ديارهم

الآية وقال اسباط عن السدي

عن الشعبي نزلت هذه الآية في

قيس بن الخطيم ثم أنتم هؤلاء

تقتلون أنفسكم وتخربون ديارهم

منكم من ديارهم الآية وقال

اسباط عن السدي عن عبد خير

قال غزونا مع سلمان بن ربيعة

الباهلي بالبحر فخاصرنا أهلها فقتلنا

المدينة وأصبنا سبائا واشترى

عبد الله بن سلام يهودية بسبع مائة فلما صر برأس

الجالوت نزل به فقال له عبد الله يارأس الجالوت هل لك في يجوز ههنا من أهل

دينك تشتريهم أم لا نعم قال أخذتهم بسبع مائة درهم قال فاني أربحك بسبع مائة أخرى قال فاني قد حلفت أن لا أقتصمهم من

أربعة آلاف قال لا حاجة لي فيها قال والله تشتريهم أم لا نعم قال تشتريهم أم لا نعم قال تشتريهم أم لا نعم قال تشتريهم أم لا نعم

أذنهم في التوراة أنك لا تجدهم ملوكا من بني إسرائيل الا شريتهم فاعتقته وان ياتوك أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم

قال أنت عبد الله بن سلام قال نعم قال جاءه باربعة آلاف فآخذ عبد الله ألفين ورد عليه ألفين وقال آدم بن أبي اياس في تفسيره

العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلوة والرحمة والعلاوة الهداية وقد وردت

أحاديث كثيرة في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين ذكرها المفسرون لا تطيل بذكرها هنا

فإنها معروفة في كتب الآثار (أن الصفا والمروة من شعائر الله) أصل الصفا في اللغة

الخبر الامس الصلب وهو هنا علم جبل من جبال مكة معروف وكذلك المروة علم لجبل

بمكة معروف وأصلها في اللغة واحدة المروى وهي الحجارة الصغار التي فيها لبن وقيل التي

فيها صلابة وقيل يعم الجميع وقيل انها الحجارة البيض البراقة وقيل انها الحجارة السود

والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة أي من أعلام مناسكهم والمراد بمواضع العبادة التي

أشعرها الله لاعلام الناس من الموقف والمسيح والمحر ومنه اشعار الهدى أي اعلامه

بغير زحديدة في سنامه والوجود شعائر بالهمز لزيادة حرف المد وهو عكس معاش

ومصايب (فن حج البيت) هو في اللغة القصد وفي الشرع الاتيان بمناسك الحج التي شرعها

الله سبحانه (أو اعتمر) العمرة في اللغة الزيارة وفي الشرع الاتيان بالنسك المعروف على

الصفة الثابتة فالحج والعمره قصد الزيارة (فلا جناح) أي فلا اثم (عليه أن يطوف) أي

يدور (بهما) ويسعى بينهما والجناح أصله الجناح وهو الميل ومنه الجواخ لا عوجا جها

ورفع الجناح يدل على عدم الوجوب وبه قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري وحكي

الرجح في الكشاف عن أبي حنيفة أنه يقول هو واجب وليس بركن وعلى تاركه دم

وقد ذهب الى عدم الوجوب ابن عباس وابن الزبير وأنس بن مالك وابن سيرين وعن أحمد

أنه سنة وأجمعوا على أنه مشروع فيها وانما الخلاف في وجوبه ومما يقوى دلالة هذه

الآية على عدم الوجوب قوله تعالى في آخر الآية (ومن تطوع خيرا) أي زاد على ما فرض

عليه من حج أو عمره أو طواف أو تطوع بالسعي أو فعل طاعة فرضا كان أو نفلا (فإن الله

شاكر عليم) مثبت على الطاعة لا يخفى عليه وذهب الجمهور الى أن السعي واجب ونسك

من جملة المناسك وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن واليه ذهب الشافعي

ومالك واستدلوا بما أخرجه الشيخان وغيرهما عن عائشة أن عروة قال لها رأيت قول

الله أن الصفا والمروة من شعائر الله الآية فأتى على أحد جناحا أن لا يطوف بهما

فقال عائشة بئس ما قلت يا ابن أخي انها لو كانت على ما أولتها كانت فلا جناح عليه

أن لا يطوف بهما ولكنهما إنما نزلت لان الانصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة

عبد الله بن سلام يهودية بسبع مائة فلما صر برأس الجالوت نزل به فقال له عبد الله يارأس الجالوت هل لك في يجوز ههنا من أهل

دينك تشتريهم أم لا نعم قال أخذتهم بسبع مائة درهم قال فاني أربحك بسبع مائة أخرى قال فاني قد حلفت أن لا أقتصمهم من

أربعة آلاف قال لا حاجة لي فيها قال والله تشتريهم أم لا نعم قال تشتريهم أم لا نعم قال تشتريهم أم لا نعم قال تشتريهم أم لا نعم

أذنهم في التوراة أنك لا تجدهم ملوكا من بني إسرائيل الا شريتهم فاعتقته وان ياتوك أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم

قال أنت عبد الله بن سلام قال نعم قال جاءه باربعة آلاف فآخذ عبد الله ألفين ورد عليه ألفين وقال آدم بن أبي اياس في تفسيره

يحدثنا ابو جعفر يعنى الرازى حدثنا الربيع بن أنس أخبرنا أبو العالى ان عبد الله بن سلام مر على رأس الخالوت بالكوفة وهو
ينادى من النساء لم يقع عليه العرب ولا ينادى من وقع عليه العرب فقال عبد الله أما انه مكتوب عندك في كتابك ان تصاد بهم
كلهن والذي أرسدت اليه الآية الكريمة وهذا السياق قد مر في قيامهم بأمر التوراة التي يعتقون صحة ما وخالفت شرعها مع
معرفة ذلك وشهادتهم لها بالحق فلهذا لا يؤمنون على ما فيها ولا على نقلها ولا يصدقون فيما كتبه من صفته رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونعته ومبعثه ومخرجه ومناجره (٢٠٨) وغير ذلك من شؤبه التي أخبر بها الانبياء قبله عليهم الصلاة والسلام

واليهود عليهم لعائن الله يتكافونه
بينهم ولهذا قال تعالى فاجزاء من
يشعل ذلك منكم الاخرى في الحياة
الدنيا أى بسبب مخالفتهم شرع الله
وأمره ويوم القيامة يردون الى
أشد العذاب جزاء على مخالفتهم
كتاب الله الذى بأيديهم وما الله
بغافل عما تعملون أولئك الذين
اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة أى
استحبوها على الآخرة واختاروها
فلا يخفف عنهم العذاب أى لا يفتر
عنهم ساعة واحدة ولا هم ينصرون
أى وليس لهم ناصر يتقدمهم بمهامهم
فيه من العذاب الدائم السرمدي
ولا ينجيهم منه (ولقد آتينا موسى
الكتاب وقفين من بعده بالرسول
وآتينا عيسى بن مريم البينات
وايدناه بروح القدس أفكلماءكم
رسول بما لا تهوى أنفسكم
استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا
تقتلون) ينعت تبارك وتعالى بنى
اسرائيل بالعتو والعناد والمخالفة
والاستكبار على الانبياء وانما
يتبعون أهواءهم فذكر تعالى انه
آتى موسى الكتاب وهو التوراة
فخروا وبطلوها وخالفوها وأمرها

البيئات واليهودى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
فيه اخبار بأن الذى يكتم ذلك ملعون وفيه دليل على جواز لعن الكافر بعد موته خلافا
لمن قال انه لا فائدة له واختلفوا من المراد بذلك ف قيل أحبار اليهود ورحب ان النصارى
الذين كتبوا أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقدرى عن جماعة من السلف ان
الآية نزلت في أهل الكتاب لكنهم نبوه نينا صلى الله عليه وآله وسلم وآية الرجم
وغيرها من الاحكام التي كانت في التوراة وقيل كل من كتم الحق وترك بيان
ما أوجب الله بيانه وهو الراجح لان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما نقرر في
الاصول فعلى فرض أن سبب النزول ما وقع من اليهود والنصارى من الكتم فلا ينافى ذلك
تناول هذه الآية لكل من كتم الحق وفي هذه الآية من الوعيد الشديد ما لا يتقدرده
فان من لعنه الله ولعنه كل من يأتي منه اللعن من عباده قد بلغ من الشقاوة والخسران
الى الغاية التي لا تلحق ولا يدرك كنهها وفي قول من البيئات واليهودى دليل على أنه يجوز
كتم غير ذلك كما قال أبو هريرة حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وعاين أماً أحدهما قبلته وما الاخر فلربنته قطع هذا البلعوم أخرجه البخارى
والضمير في بيانه راجع الى ما أنزلنا والكتاب اسم جنس وتعريفه بقيد شموله لجميع الكتب

وأولها وأرسل الرسل والنبين من بعده الذين يحكمون بشريعته كما قال تعالى أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها
النبينون الذين أسأروا الذين هادوا والرايون والاحبار بما استحقظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء الآية ولهذا قال تعالى وقفينا
من بعده بالرسول قال السدى عن أبي مالك أشعنا وقال غيره أردفنا الكل قريب كما قال تعالى ثم أرسلنا رسالتنا ترى حتى ختم أنبياء
بنى اسرائيل بعيسى بن مريم فجاء بمخالفة التوراة في بعض الاحكام ولهذا أعطاه الله من البيئات وهى المعجزات قال ابن عباس
من احيا الموتى وخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا بان الله وبراء الاسقام واخباره بالغيوب وتأييده بروح

القدس وهو جبريل عليه السلام ما يدهم على صدقه فيما جاءهم به فاشتد تكذيب بني اسرائيل له وحسددهم وعنادهم لمخالفة التوراة في البعض كما قال تعالى اخبارا عن عيسى ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم وحثكم بآية من ربكم الآية فكانت بنو اسرائيل تعامل الانبياء أسوأ المعاملة ففريقا يكذبونه وفريقا يقتلون وما ذاك الا لانهم ياتونهم بالامور المخالفة لاهوائهم وآرائهم وبالالزام باحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها فهذا كان ذلك يشق عليهم فكذبوهم ورموا قتلوا بعضهم ولهذا قال تعالى أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم (٢٠٩). وفريقا يقتلون والدليل على ان

روح القدس هو جبريل كما نص عليه ابن مسعود في تفسير هذه الآية وتابعه على ذلك ابن عباس ومحمد بن كعب واسماعيل بن خالد والسدي والربيع بن أنس وعطية العوفي وقمادة مع قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ما قال البخاري وقال ابن أبي الزناد عن أبيه عن أي هريرة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع لسان ابن ثابت منبراً في المسجد فكان ينافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافع عن نبيك فهذا من البخاري تعليقا وقد رواه أبو داود في سننه عن ابن سيرين والترمذي عن علي بن حجر واسماعيل بن موسى الزاري ثلاثتهم عن أبي عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه وهشام بن عروة كلاهما عن عروة عن عائشة به قال الترمذي حسن صحيح وهو حديث أبي الزناد وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن

وقيل المراد به التوراة واللحن الابعاد والطرد والمراد بقوله اللاعنون الملائكة والمؤمنون قاله الزجاج وغيره ووجه ابن عطية وقيل كل من يتأق منه اللعن فيدخل في ذلك الجن والانس وقال ابن عباس جميع الخلائق الا الجن والانس وقيل هم الانس والجن وقيل ما تلاعن اثنان من المسايين الاربعين الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحكام التوراة والانجيل وقيل هم الحشرات والبهائم ويؤيد ذلك ما أخرجه ابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم عن البراء بن عازب قال كنا في جنازة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان الكافر يضرب ضربة بين عينيه فسمعه كل دابة غير النقلين فتلعنه كل دابة سمعت صوته فذلك قول الله تعالى ويلعنهم اللاعنون يعني دواب الارض وعن مجاهد اذا أجذبت البهائم رعت على جفاري بن آدم وعنه ان دواب الارض والعقارب والخنفاص يقولون انما منعنا القطر بذنوبهم فيلعنونه وعن أبي جعفر فيلعنهم كل شيء حتى الخنفاص وقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن كتم العلم والوعيد لفاعله وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال لولا ايمان أنزلهم الله في كتابه ما حدثت شيئا أبدا ان الذين يكتمون الآية وقوله واذا أخذ الله مشاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكلفوه الى آخرها وهل اظهرها لبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شيء يعلمه من أمر الدين يجب عليه اظهاره والا فلا وفي الآية دليل على وجوب قبول قول الواحد لانه لا يجب عليه البيان الا وقد وجب قبول قوله (الا الذين تابوا وأصلحو وينوا) فيه استثناء التائبين الى الرجوع من الكفر الى الاسلام والمصلحين لما قد من أعمالهم والمبينين للناس ما بينه الله في كتبه وعلى ألسن رساله قال قتادة أصلحو ما بينهم وبين الله وبينوا الذي جاءهم من الله ولم يكتموه ولم يحجده (فالولئك أتوب عليهم) يعني المتجاوز عنهم وأقبل توبتهم قاله سعيد بن جبير (وأنا البواب) أي المتجاوز عن عبادي الرجاء بقولهم المنصرف عني الى (الرحيم) بهم بعد اقبالهم على والجملة اعتراض تذييل محقق لمضمون ما قبله والافتات الى التكلم للفتن في النظم الكريم مع ما فيه من التلوخ والرمز الى ما مر من اختلاف المبدأ في فعلية تعالى السابق وهو اللعن واللاحق وهو الرحمة

(٢٧ - فتح البيان) أبي هريرة أن عمر بن الخطاب مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فحفظ اليه فقال قد كنت أشهد فيه وفيه من هو خير منك ثم التقت الى أبي هريرة فقال أنشدك الله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أجب عن اللهم أيده بروح القدس فقال اللهم نعم وفي بعض الروايات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان اهجمهم أو هاجهم وجبريل معك وفي شعر حسان قوله وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس به خفاء وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الرحمن بن أبي حسين المكي عن شهر بن حوشب الاشعري ان نقر من اليهود سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أخبرنا عن الروح فقال

أنشدكم بالله وبأيمه عندى إسرائيل هل تعلمون انه جبرائيل وهو الذى يأتىنى قالوا نعم وفى صحيح ابن حبان عن ابن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان روح القدس نفث فى روعى انه ان تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فأتقوا الله
وأجملوا فى الطلب أقوال أخر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا من جابر بن الحرث حدثنا بشر عن أنس بن روق عن النخعي عن
ابن عباس وأيدنا بروح القدس قال هو الاسم الأعظم الذى كان عيسى يحيى به الموتى وقال ابن جرير حدثت عن المنجاب فذكر
وقال ابن أبي حاتم وروى عن سعيد بن جبير (٢١٠) نحو ذلك ونقله القرطبي عن عبيد بن عمير أيضاً قال وهو الاسم الأعظم

وقال ابن أنس في صحيح الروح هو حافظة
على الملائكة وقال أبو جعفر
الرازى عن الربيع بن أنس القدس
هو الرب تبارك وتعالى وهو قول
كعب وحكى القرطبي عن مجاهد
والحسن البصرى أنهم ما قالوا
القدس هو الله تعالى وروحه
جبريل فعلى هذا يكون القول
الأول وقال السدي القدس
البركة وقال العوفي عن ابن عباس
القدس الطهر وقال ابن جرير
حدثنا يونس بن عبد الأعلى أن
ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله
تعالى وأيدناه بروح القدس قال
أيد الله عيسى بالأنجيل روحاً كما
جعل القرآن روحاً كلاهما روح
من الله كما قال تعالى وكذلك أوحينا
إليك روحاً من أمرنا ثم قال ابن
جرير وأولى التأويلات فى ذلك
بالصواب قول من قال الروح فى
هذا الموضع جبرائيل فان الله تعالى
أخبر أنه أيد عيسى به كما أخبر فى
قوله تعالى إذ قال الله يا عيسى بن
مريم اذكر نعمتى عليك وعلى
والدتك إذ أيدتك بروح القدس
تكلم الناس فى المهدوكهلا واذ

(ان الذين كفروا) بالكتمان وغيره (وما تآوهم كفار) بجله حالته وأشباه الواوهم
أفصح خلافاً لمن جعل حذفها شاذاً وهو الزنجشري تعالى الفراء وقد استدل بذلك على
انه لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفا لا يعلم ولا ينافى ذلك ما ثبت عند صلى الله
عليه وآله وسلم من اعنه لقوم من الكفار بايعانهم لانه يعلم بالوحي ما لا تعلم وقيل يجوز
لعنه عملاً بظاهر الحال كما يجوز قتاله واستدل بقوله (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة)
على جواز لعن الكفار على العموم قال القرطبي ولا خلاف فى ذلك قال وليس لعن
الكافر بطريق الزجر له عن الكفر بل هو جزاء على الكفر واطهار فنج كفرة سواء كان
الكافر عاقلاً أو مجنوناً وقال قوم من السلف لا فائدة فى لعن من جن أو مات منهم
لا بطريق الجزاء ولا بطريق الزجر قال ويدل على هذا القول ان الآية دالة على الاخبار
عن الله والملائكة والناس بلغ عنهم لا على الامر به قال ابن العربي ان لعن العاصي
المعين لا يجوز باتفاق لما روى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى بشارب خمر مراً فقال
بعض من حضر لعنه الله ما أكثر ما يشر به فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تكونوا
عونا للشيطان على أخيكم والحديث فى الصحيحين (والناس أجمعين) قبل هذا يوم
القيامة وأما فى الدنيا فى الناس المسلم والكافر ومن يعلم بالعاصي ومعصيته ومن
لا يعلم فلا يتأتى اللعن له من جميع الناس وقيل فى الدنيا والمراد انه يلعنه غالب الناس
أو كل من علم بمعصيته منهم عن أبي العباس قال ان الكافر يوقف يوم القيامة فيأعنه
الله ثم يلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون وقال قتادة يعنى بالناس أجمعين المؤمنين
(خالد بن قيس) أى فى النار وقيل فى اللعنة وانما أضمرت لعنهم شأنها (لا تحق عنهم
العذاب ولا هم يتظرون) فيعتذرون قاله أبو العباس وقال ابن عباس لا يؤخرون
والانظار الامهال وقيل معناه لا يتظر الله اليهم فهو من النظر وقيل هو من الانتظار
أى لا ينتظرون ليعتذروا (واللهكم الله واحد) أى لا شريك له فى الألوهية ولا نظيره فى
الربوبية والتوحيد هو فى الشريك والقسم والشبه فالتعالى واحد فى أفعاله
لا شريك له يشاركه فى مصنوعاته وواحد فى ذاته لا قسم له وواحد فى صفاته لا شبهة شئ
من خلقه (لا اله الا هو) تقرير للوحدانية بنفى غيره من الألوهية وأشباهه (الرحمن
الرحيم) وقد تقدم تفسيرهما وفيه الارشاد الى التوحيد وقطع العلائق والاشارة الى ان

علمت الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل الآية فقد كراهه أيد به فلو كان الروح اسى أيد به هو الانجيل لكان قوله
واذ أيدتك بروح القدس واذ علمت الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل تكرير قول لا معنى له والله سبحانه وتعالى أعز وأجل ان
يخطب عباده بما لا يمدهم به (قلت) ومن الدليل على انه جبرائيل ما تقدم من أول السياق والله الحمد وقال الزنجشري بروح
القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجودور رجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب
تكرمة وقيل لأنه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوائف وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما قال فى القرآن روحاً من أمرنا وقيل باسم

الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى به (وهو من كلامه قولا اخر وهو ان المراد روح عيسى به) المهدسة المظهرة وقال الزحشري في قوله تعالى ففريقا كذبتهم وفريقا تقاتلون ان عالم يقل وفريقا قتلتم لانه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضا لانهم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم بالسحر وقد قال عليه السلام في مرض موته ما زالت أكلة خمر تعاذني فهذا أو انقطاع أبهرى قلت وهذا الحديث في صحيح البخاري وغيره (وقالوا قلوبنا غلب بل لعنهم الله بكفرهم فقل لا ما يؤمنون) قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس (وقالوا قلوبنا (٢١١) غلب أي في أكنة) وقال علي بن أبي طلحة

عن ابن عباس وقالوا قلوبنا غلب أي لا تفقه وقال العوفي عن ابن عباس وقالوا قلوبنا غلب هي القلوب المطبوع عليها وقال مجاهد وقالوا قلوبنا غلب عليها غشاوة وقال عكرمة عليها طابع وقال أبو العالية أي لا تفقه وقال السدي يقولون عليها غلاف وهو الغطاء وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فلا تعي ولا تفقه قال مجاهد وقاتة وقرأ ابن عباس غلب بضم اللام وهو جمع غلاف أي قلوبنا أو عية لكل علم فلا يحتاج الى علم قاله ابن عباس وعطاء بل لعنهم الله بكفرهم أي طردهم الله وأبعدهم من كل خير فقل لا ما يؤمنون قال قتادة معناه لا يؤمن منهم الا القليل وقالوا قلوبنا غلب هو كقوله وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله غلب قال تقول قلبي في غلاف فلا يخلص اليه مما تقول شئ وقرأوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وهذا الذي رجحه ابن جرير واستشهد به ما روى من حديث عرو بن مرة الجلي عن أبي

أول ما يجب بانه ويحرم كتمانها هو أمر التوحيد وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والدارمي وأبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه عن أسماء بنت زيد بن السكن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين واليهكم الله الواحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم واليه لا اله الا هو الحي القيوم وأخرج الديلمي عن أنس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ليس شئ أشد على حرمة الجن من هؤلاء الآيات التي في سورة البقرة واليهكم الله الواحد الآيتين (ان في خلق السموات والارض) لما ذكر سبحانه التوحيد بقوله واليهكم الله الواحد عقب ذلك بالدليل الدال عليه وهو هذه الامور الثمانية التي هي من أعظم صنعة الصانع الحكيم مع علم كل عاقل بانه لا يتيأس أحد من الآيات التي أثبتت الكفار ان يأتي بشئ منها أو يقتدر عليه أو على بعضه وهي خلق السموات وتعاقب الليل والنهار وجرى الفلك في البحر وانزال المطر من السماء واحياء الارض به وبث الدواب فيها بسببه وتصريف الرياح وتسخير السحاب فان من آمن نظره وأعمل فكره في واحد منها انبهر له وضاق ذهنه عن تصور حقيقته وتحتم عليه التصديق بان صانعه هو الله سبحانه وانما جمع السموات لانها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الاخرى ووحدة الارض لانها كلها من جنس واحد وهو التراب والآية في السماء سمكها وارتفاعها بغير عدد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية في الارض مددها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار والنبات (واختلاف الليل والنهار) تعاقبهما باقبال احدهما وادبار الآخر واضافة احدهما واطلام الآخر وقيل في الطول والقصر والزيادة والنقصان قال ابن الخطيب وعندي فيه وجه ثالث هو انهما كما يختلفان في الزمنة فهما يختلفان في الامكنة فان من يقول ان الارض كرة فكل ساعة عينها فتلك الساعة في موضع من الارض صبح وفي موضع آخر ظهر وفي آخر عصر وفي آخر غروب وفي آخر عشاء وهم جراح هذا اذا اعتبرنا البلاد المختلفة في الطول أما البلاد المختلفة في العرض فكل بلد يكون عرضه للشمس أكثر كانت أيامه الصيفية أطول وأيامه الشتوية بالضد من ذلك فهذه الاحوال المختلفة في الايام والليالي بحسب اختلاف اطوال البلاد وعروضها أمر عجيب قاله الكرخي وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة أقدم قال

البحري عن حذيفة قال القلوب أربعة فذكر منها وقلب أغلف مغضوب عليه وذلك قلب الكافر وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن المزري أنبأنا أبي عن جدي عن قتادة عن الحسن في قوله قلوبنا غلب قال لم تحتث وهذا القول يرجع معناه الى ما تقدم من عدم طهارة قلوبهم وانها بعيدة من الخير * قول آخر قال الضحاك عن ابن عباس وقالوا قلوبنا غلب قال يقولون قلوبنا غلب مملوءة لا تحتاج الى علم محمد ولا غيره وقال عطية العوفي عن ابن عباس وقالوا قلوبنا غلب أي أوعية للعلم وعلى هذا المعنى جاءت قراءة بعض الانصار فيها حكاه ابن جرير وقالوا قلوبنا غلب بضم اللام نقلها الزحشري أي جمع غلاف أي أوعية بمعنى

انهم ادعوا أن قلوبهم مملوءة بعلم لا يحتاجون معه إلى علم آخر كما كانوا يقولون بعلم التوراة وله هذا قال تعالى بل لعنهم الله بكفرهم فقل لا ما يؤمنون أي ليس الأمر كما ادعوا بل قلوبهم مملوءة مطبوع عليها كما قال في سورة النساء وقولهم قلوبنا غفلت بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وقد اختلفوا في معنى قوله فقل لا ما يؤمنون وقوله فلا يؤمنون الا قليلا فقال بعضهم فقليل من يؤمن منهم وقيل فقليل ايمانهم بمعنى انهم يؤمنون بما جاءهم به موسى من أمر المعاد والثواب والعقاب ولكنهم ايمان فقليل من يؤمن منهم وقيل فقليل ايمانهم بمعنى انهم يؤمنون بما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم انما كانوا غير مؤمنين بشيء لا ينفعهم لانه مغمور بما كفروا به من الذي (٢١٢)

تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وهذا أصبح القولين وقيل النور سابق الظلمة ويبنى على هذا الخلاف فائدة وهي ان الليلة هل هي تابعة لليوم قبلها أو لليوم بعدها فعلى القول الصحيح تكون الليلة لليوم بعد ما فيه تكون اليوم تابعاً لها وعلى القول الثاني تكون لليوم قبلها فتكون الليلة تابعة ليوم عرفة على القول الاول مستثنى من الاصل فانه تابع لليلة بعده وعلى الثاني جاء على الاصل والآية فيهما أن انتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون في النهار وطلب النوم والراحة يكون بالليل فاختلافهما انما هو لتخصيص مصالح العباد والنهار ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس وقال النضر بن شميل أول النهار طلوع الشمس ولا يعد ما قبل ذلك من النهار وكذا قال ثعلب والزجاج وقسم ابن الانباري الزمان الى ثلاثة أقسام قسم ما جعله الله ليلا محضاً وهو من غروب الشمس الى طلوع الفجر وقسم ما جعله نهاراً محضاً وهو من طلوع الشمس الى غروبها وقسم ما جعله مشتركاً بين الليل والنهار وهو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس لبقايا ظلمة الليل ومبادئ ضوء النهار وهذا باعتبار مصطلح أهل اللغة وأما في الشرع فالكلام في ذلك معروف (والفلك التي تجري في البحر) وهي السفن وافراده وجمعه بلفظ واحد وهو هذا يذكر ويؤث قال تعالى في الفلك المشحون والفلك التي تجري في البحر وقال حتى اذا كنتم في الفلك وجرى بينهم وقيل واحدة فلك بالتحريك مثل أسد وأسدة والآية في الفلك تسخيرها وجرى بينهم على وجه الماء وهي موقرة بالاثقال والرجال فلا ترسب وجرى بينهم بالريح مقلبة ومديرة وتسخير البحر لجل الفلك مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينبغي منه الا الله تعالى (بما يفتح الناس) يعني ركوبها والجل عليها في التجارات لطلب الارباح والآية في ذلك ان الله لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لماتت الغرض في منافعهم وأيضاً فان الله خص كل قطر من اقطار العالم بشيء معين وأخرج الكل الى الكل فصار ذلك سبباً يدعوهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب السفن وخوف البحر وغير ذلك فالجامل ينتفع لانه يرجع والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه (وما أنزل الله من السماء من ماء) أي المطر الذي به حياة العالم وخراج النبات والارزاق (فأحيى به الارض) أي اظهر نضارتها وحسنها (بعد موتها) أي بعد يبسها وجذبها بماء موتها تجازوا والآية في هذين ان الله جعل له سبباً لحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله

وانما قال فقل لا ما يؤمنون وهم بالجميع كافرون كما تقول العرب قلما رأيت مثلاً هذا فقط تريد ما رأيت مثل هذا فقط وقال الكسائي تقول العرب من زنى بارض فلما ثبتت أي لا ثبتت شيئاً حكاه ابن جرير رحمه الله والله أعلم (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) يقول تعالى ولما جاءهم يعني اليه وكتاب من عند الله وهو القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم يعني من التوراة وقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا أي وقد كانوا من قبل محي هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بحجته على أعدائهم من المشركين اذا قاتلهم يقولون انه سبيعت نبى في آخر الزمان نفتلكم معه قتل عاد وارم كما قال محمد بن اسحق عن عاصم بن عمرو بن قتادة الانصارى عن أشياخ منهم قال فينا والله وفيهم يعني في الانصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت

هذه القصة يعني ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به قالوا كما قد علمناهم قهر ادها في الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب وهم يقولون ان نبياً سبيعت الآن تتبعه قد أظلم زمانه فقتلكم معه قتل عاد وارم فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به يقول الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا قال يستنصرون يقولون نحن نعين محمد اعلينهم وليسوا كذلك بل يكذبون وقال محمد بن اسحق أخبرني محمد بن أبي محمد أخبرني بكرمة

أوسعيد بن جبير عن ابن عباس انهم ود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداد بن سلمة معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك وتجبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفة فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير ما جاءني بشي نعرفه وما هو بالذي كان ذلك من قولهم ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم الآية وقال العوفي عن ابن عباس (٢١٣) وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا

يقول يستنصرون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يعني بذلك أهل الكتاب فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه وقال أبو العالية كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذي ننبهه مكتوبا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم فلما بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدوا العرب وهم يعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال قتادة وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا قالوا كانوا يقولون انه سيأتي نبي فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال مجاهد فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين قال هم اليهود (بئسما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فبأوبغضب على غضب

عذوق الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وانزاله بمكان دون مكان (وبث فيها) أي في الأرض (من كل دابة) قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الأرض من جميع الخلق من الناس وغيرهم والآية في ذلك ان جنس الانسان يرجع الى أصل واحد وهو آدم مع ما فيهم من الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسننة والطباع والاخلاق والاصناف الى غير ذلك ثم يقاس على بني آدم سائر الحيوان والنبات والاشجار والظواهر ان قوله بئس معطوف على قوله فاحيا لانهما أمران متسببان عن انزال المطر وقال في الكشف ان الظاهر عطفه على أنزل وقال أبو حيان لا يصح عطفه على أنزل ولا على أحياء والصواب أنه على حذف الموصول أي وما بئس وفيه زيادة فائدة وهو جعله آية مستقلة وحذف الموصول شائع في كلام العرب انتهى (وتصريف الرياح) أي ارسالها عقيما وملقحة وصرافا ونصرا واهلا كاجارة وباردة ولينة وعاصفة وقيل تصرفها في مهاجها جنوبا وشمالا ودورا وقبولا وصبابا ونكباء وهي التي تأتي بين مهجين وقيل تصرفها أن تأتي السفن الكبار بقدر ما تحملها والصغار كذلك ولا مانع من حمل التصريف على جميع ما ذكر وعن أبي بن كعب كل شئ في القرآن من الرياح فهي رحمة وكل شئ من الريح فهي عذاب وقد ورد في التفسير عن سب الريح وأوصافها أحاديث كثيرة لا تعلق لها بالآية والآية في الريح انه جسم لطيف لا يمسك ولا يرى وهو مع ذلك في غاية القوة بحيث يقطع الشجر والصخر ويحرب البنيان العظيم وهو مع ذلك حياة الوجود فلو امكن طرفه عين لما كان كل ذي روح وأنت ما على وجه الأرض (والسحاب المسخر بين السماء والأرض) أي الغيم المذلل سمي سحبا لان سحابه في الهواء وسحب ذين سحبا وتسحب فلان على فلان اجترأ والمسخر المذلل وسخره بعثه من مكان الى آخر وقيل تسخره ثبوته بين السماء والأرض من غير عمد ولا علائق والاول اظهر والآية في ذلك أن السحاب مع ما فيه من الماء العظيمة التي تسيل منها الاودية العظيمة بين معلقا بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه ولا دعامة تبسده وفيه آيات أخر لا تحصى في هذه الأنواع الثمانية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد بقوله والهمكم الله الواحد لا اله الا هو (آيات لقوم يعقلون) أي دلالات على وحدانيته سبحانه لمن ينظر بصره ويتفكر بعقله وانما جمع آيات لان في كل واحد

وللکافرین عذاب مهین) قال مجاهد بئسما اشتروا به أنفسهم يهود مشركوا بالباطل وكنان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بان يبينوه وقال السدي بئسما اشتروا به أنفسهم يقول باعوا به أنفسهم يقول بئسما اعتاضوا لانفسهم ففرضوا به وعدوا الله من الكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم عن تصديقه وموازرتة ونصرته وانما جعلهم على ذلك البغي والحسد والكراهية لان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ولا حسد أعظم من هذا قال ابن اسحق عن محمد بن عكرمة أو سعيد بن عباس بئسما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده أي ان الله جعله من غيرهم فبأوب

بغضب على غضب قال ابن عباس في الغضب على الغضب فغضب عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم وغضب بكفرهم بهذا النبي الذي بعث الله اليهم (قلت) ومعنى ياوا الاستوجبوا واستحقوا واستقروا وبغضب على غضب وقال أبو العباس غضب الله عليهم بكفرهم بالانجيل وعيسى ثم غضب الله عليهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وعن عكرمة وقتادة مثله قال السدي أما الغضب الاول فهو حين غضب عليهم في الجبل وأما الغضب الثاني فغضب عليهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس (٢١٤) مثله وقوله تعالى والكافرين عذاب مهين لما كان كفرهم سببه البغي

والخسدة ومنشأ ذلك التكبر قوبلوا بالاهانة والصغار في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين حقيرين ذليلين راغبين وقد قال الامام أحمد حدثنا يحيى حدثنا ابن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلمونهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجننا في جهنم يقال له بولس تعلمون نار الانيار يسبقون من طينة الخبال عصارة أهل النار (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا تؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل ولم تقولون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون) يقول تعالى واذا قيل لهم أي لليهود وأمثالهم من أهل الكتاب آمنوا بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه واتبعوه قالوا نؤمن بما أنزل علينا أي

مما ذكر من هذه الانواع آيات كثيرة تدل على ان لها خالقاً مدبراً مختاراً (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) اظهار الاسم الجليل في مقام الانحصار لترتبة المهابة وتفتيح المضامى وابانة كمال قبح ما ارتكبوه ولما فرغ سبحانه من الدليل على وحدانيته أخبر أن مع هذا الدليل الظاهر المفسد لعظيم سلطانه وجليل قدرته وتفرده بالخلق قد وجد في الناس من يتخذ معه سبحانه نداً يعبدونه من الاصنام كذا قيل وقد تقدم نفسه الانداد مع ان هؤلاء الكفار لم يقتصروا على مجرد عبادة الانداد بل أحبوا حاجباً عليهما وأفرطوا في ذلك افراطاً بالغ حتى صار حبهم لهذه الاوثان ونحوها ممتة كفا في صدورهم كتمسك حب المؤمنين لله سبحانه ويجوز ان يكون المراد كحبهم لله أي عبادة الاوثان قاله الزجاج وابن كيسان ويجوز ان يكون مبنياً للمفعول ومعناه كما يحب الله ويعظمه والاول أولى لقوله (والذين آمنوا أشد حبا لله) فانه استدرأ لما يفيد التشبيه من التساوي أي ان حب المؤمنين لله أشد من حب الكفار للانداد لان المؤمنين يخصون الله سبحانه بالعبادة والدعاء والكفار لا يخصون أصنامهم بذلك بل يشركون الله معهم ويعتفون بأنهم انما يعبدون أصنامهم ليقربوهم الى الله ويمكن ان يجعل هذه الجملة دليلاً على الثاني لان المؤمنين اذا كانوا أشد حبا لله لم يكن حب الكفار للانداد كحب المؤمنين لله وقيل المراد بالانداد هنا الرؤساء والكبراء أي يطيعونهم في معاصي الله ويقوى هذا الضمير في قوله يحبونهم فانه لمن يعقل ويقويه أيضاً قوله سبحانه عقب ذلك اذ تبرا الذين اتبعوا الآية والحب نقيض البغض والمحبة الارادة وقيل في معنى الآية غير ذلك وايشار اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفتيح الحب والاشعار بعظمة (ولو يرى الذين ظلموا اذiron العذاب) قرأ أهل مكة بالياء وأهل الشام بالفوقية والمعنى على الاولى لو يرى الذين ظلموا في الدنيا عذاب الاخرة لعلوا حين يرونه (أن القوة لله جمعا) قاله أبو عبيدة قال النحاس وهذا القول هو الذي عليه أهل التفسير انتهى وعلى هذا فالرؤية هي البصرية لا القلبية وروى عن محمد بن يزيد المبرد قال هذا التفسير الذي جاء به أبو عبيدة بعيد وليست عبارته فيه بالجيدة لانه يقتدر ولو يرى الذين ظلموا العذاب فكأنه يجعله مشكوكا فيه وقد أوجبه الله تعالى ولكن التقدير وهو الاحسن ولو يرى الذين ظلموا أن القوة لله ويرى بمعنى يعلم أي لو يعلمون حقيقة قوة الله وشدة عذابه قال

وجواب يكفينا الايمان بما أنزل علينا من التوراة والانجيل ولا نقر الا بذلك ويكفرون بما وراءه يعني بما بعده وهو الحق ومصداقاً لما معهم أي وهم يعلمون أن ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم الحق مصداقاً لما معهم منصوباً على الحال أي في حال تصديقه لما معهم من التوراة والانجيل فالجدة قائمة عليهم بذلك كما قال تعالى الذين آمنوا هم كايكفرون أبناءهم ثم قال تعالى فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين أي ان كنتم صادقين في دعواكم الايمان بما أنزل اليكم فلم تقتلوا الانبياء الذين جاءكم بتصديق التوراة التي بأيديكم والحكم بها وعدم نسخها وأنتم تعلمون صدقهم قتلوهم بغيا وعنادا واستكبارا على رسل الله

فلمستم تتبعون الا مجرد الاهواء والآراء والتشبهى كما قال تعالى أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففرقا كذبتم وفريقا تقتلون وقال السدي في هذه الآية يعبرهم الله تبارك وتعالى قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مومنين وقال أبو جعفر بن جرير قل يا محمد ليهود بني اسرائيل اذا قالت لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا تؤمن بما أنزل الله علينا لم تقتلون ان كنتم مومنين بما أنزل الله أنبياء الله يا معشر اليهود وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم بل أمركم باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم وذلك من الله تكذيب لهم في قولهم تؤمن بما أنزل علينا وتعيير لهم * ولقد جاءكم (٢١٥) موسى بالبينات أى بالآيات الواضحات

والدلائل القاطعات على انه رسول

الله والله لا اله الا الله والآيات البينات

هى الطوفان والجراد والقمل

والضفادع والدم والعصا واليد

وفرق البحر وتظليلهم بالغمام والمن

والسلوى والحجر وغير ذلك من

الآيات التى شاهدوها ثم اتخذتم

العجل أى معبودا من دون الله فى

زمان موسى وأيامه وقوله من

بعده أى من بعد ما ذهب عنكم

الى الطور لما جاء الله عز وجل كما

قال تعالى واتخذ قوم موسى من بعده

من حلهم عجلا جسدا لاه خوار

وأنتم ظالمون أى وأنتم ظالمون فى

هذا الصنيع الذى صنعوه من

عبادتكم العجل وأنتم تعلمون انه

لا اله الا الله كما قال تعالى ولما سقط

فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا

لئن لم يرجعنا ربنا ويغفر لنا لنكونن

من الخاسرين (واذا أخذنا ميثاقكم

ورفعنا فوقكم الطور أخذوا

ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا

وعصينا وأشربوا فى قلوبهم السم العجل

بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم

ان كنتم مومنين (بعدد سبحانه وتعالى

عليهم خطأهم ومخالفتهم للميثاق

وعتوهم واعراضهم عنه حتى رفع الطور عليهم حتى قباهم ثم خالفوه ولهذا قالوا سمعنا وعصينا وقد تقدم تفسير ذلك وأشرى

قلوبهم العجل بكفرهم قال عبد الرزاق عن قتادة وأشرى فى قلوبهم العجل بكفرهم قال اشربوا حبه حتى خلص ذلك الى

قلوبهم وكذا قال أبو العالية والربيع بن أنس وقال الامام أحمد حدثنا عصام بن خالد حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني

عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن أبي الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حبل الشئ يعصى ويصم ورواه

أبو داود عن حيوة بن شريح عن ببيعة عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم به وقال السدي أخذ موسى عليه السلام العجل فذبحه

وجواب لو محذوف أى لتبينوا ضرر اتخاذهم الآلهة كما حذف فى قوله ولوترى اذ وقفوا على النار ولوترى اذ وقفوا على ربهم ومن قرأ بالرفوعة فالتقدير ولوترى يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين ظلموا فى حال رؤيتهم العذاب وفزعهم منه لعلمت أن القوة لله جميعا وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم علم ذلك ولكن خوطب بهذا الخطاب والمراد به أمته وقيل ان فى موضع نصب مفعول لاجله أى لان القوة لله ودخلت اذ وهى لما مضى فى اثبات هذه المستقبليات تقريرا للامر وتعييدا للوقوع وهو مما يتكرر فى القرآن كثيرا وجميع فى الاصل فعمل من الجمع وكأنه اسم جمع فلذلك يتبع تارة بالمفرد قال تعالى نحن جميع منتصر وتارة بالجمع قال تعالى جميع لينا محضرون وينصب حالا ويؤكد كدبى كل ويدل على الشمول كدلالة كل ولا دلالة له على الاجتماع فى الزمان (وان الله شديد العذاب) عطف على ما قبله وفائدة تهويل الخطاب وتفضيحه الامر فان اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عقوا مع القدرة عليه (اذتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب) أى تنزهه وتباعده عن ان السادة والرؤساء من مشركي الانس تبرؤا ممن اتبعهم على الكفر ورأوا معنى التابعين والمتبوعين العذاب قيل عند المعايضة فى الدنيا وقيل عند العرض والمساءلة فى الآخرة ويمكن أن يقال فيه ما جميعا اذ لا مانع من ذلك وقيل هم الشياطين يتبرؤن من الانس وبه قال قتادة والقول هو الاول وقد احتج جمع من أهل العلم بهذه الآية على ذم التقليد وهو مذكور فى موطئه (وتقطعت بهم) أى عنهم (الاسباب) بسبب كفرهم جمع سبب وأصله فى اللغة الحبل الذى يشده الشئ ويجذب به ثم جعل كل ما جرى شيا سببا فى مجازها والمراد به الوصل التى كانوا يواصلون بها فى الدين من الرحمة وغيرها وقيل هى الاعمال وقال ابن عباس هى المنازل وقال أبى صاهى الارحام وقال المودة وقيل اليهود والحلف (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة) أى رجعة الى الدنيا لكررة الرجعة والعودة الى حال قد كانت ولو هنا بمعنى التنى كانه قيل لمت لنا كرة ولهذا وقعت الفاء فى الجواب والمعنى ان الاتباع قالوا لوردنا الى الدنيا حتى نعمل صالحا (فتبرأ منهم) أى المتبوعين (كما تبرؤا منا) اليوم وهو جواب التنى (كذلك) أى كما أراهم الله العذاب (يربهم الله أعمالهم) السيئة وهذه الرؤية ان كانت البصرية فقوله (حسرات عليهم) منتصب على الحال وان كانت القلبية فهو

وعتوهم واعراضهم عنه حتى رفع الطور عليهم حتى قباهم ثم خالفوه ولهذا قالوا سمعنا وعصينا وقد تقدم تفسير ذلك وأشرى قلوبهم العجل بكفرهم قال عبد الرزاق عن قتادة وأشرى فى قلوبهم العجل بكفرهم قال اشربوا حبه حتى خلص ذلك الى قلوبهم وكذا قال أبو العالية والربيع بن أنس وقال الامام أحمد حدثنا عصام بن خالد حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن أبي الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حبل الشئ يعصى ويصم ورواه أبو داود عن حيوة بن شريح عن ببيعة عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم به وقال السدي أخذ موسى عليه السلام العجل فذبحه

بالمرد ثم ذرأه في البحر ثم لم يبق بحر يجري يومئذ الا وقع فيه شيء ثم قال لهم موسى اسبروا منه فشر بواقي كان يصبه فخرج على شاربيه
الذهب فذلك حين يقول الله تعالى وأشر بواقي قلوبهم العجل وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا اسير ائيل
عن أبي اسحق عن عمار بن عبد الرحمن السلمي عن علي بن رضى الله عنه قال عبد موسى الى العجل فوضع عليه المبار ففرد
بها وهو على شاطئ نهر فاشرب أحد من ذلك الماء ممن كان بعد العجل الا اصفر وجهه مثل الذهب وقال سعيد بن جبيرة وأشر بواقي
في قلوبهم العجل قال لما أحرق العجل برد (٢١٦) ثم نسب ففسوا الماء حتى عادت وجوههم كالزعفران وحكي القرطبي

عن كتاب التفسيرى انه ما شرب أحد
من عبد العجل الا جن ثم قال
القرطبي وهذا شيء غير ما ههنا لان
المقصود من هذا السياق انه ظهر
على شفاههم ووجوههم والمذكور
ههنا انهم أشر بواقي قلوبهم العجل
يعنى في حال عبادتهم له ثم أشد قول
الناطقة في زوجته عمة

تغلغل حب عمة في فؤادي
فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب
ولا حزن ولم يبلغ سرور
أكا اذا ذكرت العهد منها

أطير لو أن انسا نايطير
وقوله قل بئس ما يامركم به ايمانكم
ان كنتم مومنين أى بئس ما تعقدونه
في قديم الدهر وحديثه من كفركم
بآيات الله ومحالفتكم الانبياء ثم
اعتمادكم في كفركم بمحمد صلى الله
عليه وسلم وهذا أكبر ذنوبكم وأشد
الامور عليكم اذ كفرتم بحاتم الرسل
وسيد الانبياء والمرسلين المبعوث
الى الناس أجعين فكيف تدعون
لانفسكم الايمان وقد فعلتم هذه
الافاعيل القبيحة من نقضكم
المواثيق وكفركم بآيات الله

المفعول الثالث والمعنى ان أعمالهم الفاسدة يريهم الله اياها ففكروا عليهم هم حسرات
وندامات أو يريهم الله الاعمال الصالحة التي أوجبها عليهم فتركوها فيكون ذلك حسرة
عليهم والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه كانه انحسر عنه الجهل الذي حمله على
ما ارتكبه (وما هم بخارجين من النار) فيه دليل على خلود الكفار في النار وظاهر هذا
التركيب يفيد الاختصاص وجعله الزمخشري للتقوية لغرض له يرجع الى المذهب
والمبحث في هذا يطول عن ثابت بن معبد قال ما زال أهل النار يأملون الخروج منها
حتى نزلت هذه الآية (يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا) قيل انها نزلت في
نقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبنى مدلج فيما خرموه على أنفسهم من الحرث
والانعام حكاه القرطبي في تفسيره وهذا هو المشهور بخلاف ما جرى عليه القاضي من
أنها نزلت في قوم خرموا على أنفسهم رفيع الاطعمة والملابس فانه من جوح فاه
الكرخي ولكن الاعتبار بعوم اللفظ لا بخصوص السبب وسمى الحلال حلالا
لانحلال عقدة الحظر عنه والطيب هنا هو المستلذ كما قاله الشافعي وغيره وقال مالك
وغيره هو الحلال فيكون تأكيد القوله حلالا ومن في مما التبعيض للقطع بان في الارض
ما هو حرام كالخمار لا يؤكل أصلا وليس كل ما يؤكل يجوز تأكله فلذلك قال حلالا
والامر مستعمل في كل من الوجوب والتدب والاباحة الاول اذا كان لقيام البنية
والثاني كالاكل مع الضيف والثالث كغير ما ذكر وقيل معنى حلالا ما دون ما فيه شرعا
والطيب الحلال وان لم يستلذ كالادوية وفي هذه الآية دليل على ان كل ما لم يرد فيه
نص أو ظاهر من الايمان الموجودة في الارض فاصلا للحل حتى يرد دليل يقتضي تحريمه
وأوضح دلالة على ذلك من هذه الآية قوله تعالى وهو الذي خلق انفسكم ما في الارض جميعا
(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) جمع خطوة بالفتح والضم وهي بالفتح المزة وبالضمه لما بين
القدمين وقيل انهم ما لغتان وقرئ خطوات بضم الخاء والطاء والهمز على الواو قال
الاخفش وذهبوا به هذه القراءة الى أنها جمع خطيئة من الخطا لا من الخطو والمعنى على
قراءة الجهور لا تقتفوا أثر الشيطان وطرقه وترتبه وعمله وكل ما لم يرد به الشرع فهو
منسوب الى الشيطان وقيل هي الذنوب في المعاصي وقيل المحقرات من الذنوب والاولى
التعميم وعدم التخصيص بفرد أنواع قال ابن عباس ما خالف القرآن فهو من خطوات

الشیطان
وعبادتكم العجل من دون الله (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين ولن تمنوه ابا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) ولتجنبنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم
لو يعمر ألف سنة وما هو بمنزلة من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون قال محمد بن اسحق عن محمد بن ابي محمد عن عكرمة
أوسعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنه يقول الله تعالى لتبذ محمد صلى الله عليه وسلم قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله
خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أى ادعوا بالموت على أى الفريقين أكذب فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله

عليه وسلم ولن يتموه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين أي يعلمهم بما عندهم من العلم بل والكفر بذلك ولو تموه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي إلا مات وقال الضحالك عن ابن عباس فتمنوا الموت فسلوا الموت وقال عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن عكرمة قوله فتمنوا الموت إن كنتم صادقين قال قال ابن عباس لو تمنى يهود الموت لماؤا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا عنام سمعت الأعمش قال لا أظنه إلا عن المنال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقة وهذه أسانيد صحيحة (٢١٧) إلى ابن عباس وقال ابن جرير في تفسيره

و بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن اليهود تمنوا الموت لماؤا ولرأوا مقام أعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم رجعو إلا يجذبون أهلا ولا مالا حدثنا بذلك أبو كريب حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الامام أحمد عن اسمعيل ابن يزيد الرقي حدثنا فترات عن عبد الكريم به وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا ابراهيم بن عبد الله بن بشار حدثنا سرور بن المغيرة عن عباد بن منصور عن الحسن قال قول الله ما كانوا ليتنوه بما قدمت أيديهم قلت أرايت لو أنهم أحبوا الموت حين قيل لهم تمنوا الموت أترأهم كانوا مسنين قال لا والله ما كانوا ليتمنوه ولو تمنوا الموت وما كانوا ليتنونه وقد قال الله سمعت ولن يتموه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وهذا غريب عن الحسن ثم هذا الذي فسر به ابن عباس

الشیطان وقال عكرمة هي نزغات الشيطان وعن سعيد بن جبيرة قال هي تزيين الشيطان وقال قتادة كل معصية لله فهي من خطواته وعن ابن عباس ما كان من بين أو تدر في غضب فهو من الخطوات وكفارته كفارة يمين (أنه لكم عدو) تعليل للنهي عن الاتباع (مين) أي ظاهر العدو ومثله قوله تعالى أنه عدو مضل مبين وقوله إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقد أظهر الله عداوته بآية السجود لا دم ثم بين عداوته ما هي فقال (انما يأمركم) قيل استعير الأمر لتزيينه وبعثه لهم على الشر فيهم رأيتهم وتحقير الشائهم قاله البيضاوي وقيل لا حاجة إلى صرف الأمر عن ظاهره لأن حقيقة طلب الفعل ولا ريب أن الشيطان يطلب السوء والفحشاء ممن يريد اغواؤه (بالسوء) سعى السوء لأن السوء صاحب بسوء عاقبته وهو مصد رساء يسوءه سوءا ومساءة إذا أحرزته (والفحشاء) أصل سوء المنظر ثم استعمل فيما يقع من المعاني وقيل السوء القبيح والفحشاء التجاوز للحد في القبح وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه الحد قاله ابن عباس وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل وقيل إن كل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) أي بان تقولوا قال ابن جرير الطبري يريد ما حرموا من الخير والسابقة ونحوه مما جعلوه شرعا وقيل هو قولهم هذا حلال وهذا حرام بغير علم والظاهر أنه يصدق على كل ما قيل في الشرع بغير علم فيتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم يأذن فيها الله ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي يجدها الإنسان في قلبه وفاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وانما الشيطان كالعرض وقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما آلهينا عليه آياتنا) الضمير في لهم راجع إلى الناس في قوله يا أيها الناس لأن الكفار منهم وهم المقصودون هنا فعدل عن المخاطبة إلى الغيبة على طريق الالتفات مبالغة في بيان ضلالهم كأنه يقول للعقلاء انظروا إلى هؤلاء الحق ماذا يقولون وقيل مشركو العرب خاصة وقد سبق ذكرهم في قوله من يتخذ من دون الله أندادا ولغظ أبي السعد نزلت في المشركين أمر وابتاع القرآن وسائر ما أنزل الله من الحجج الظاهرة والبيانات الباهرة فيخصوا التقليد انتهى وقيل نزلت في اليهود وعلى

(٢٨ ل - فتح البيان) الآية هو المتعين وهو الدعاء على أي الفريقين أ كذب منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة ونقله ابن جرير عن قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس رجحهم الله تعالى ونظر هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فهم عليهم لعائن الله تعالى لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وقالوا إن يدخل الجنة الأمان كان هودا أو نصارى دعوا إلى المباهلة والدعاء على أ كذب الطائفتين منهم

ذلك لعلمهم ان من تمت الموت هلكت فذهبت دنياها وصارت الى اخرى الا في آخرتها كما امتنع فريق النصارى فهذا الكلام منه أوله حسن وآخره فيه نظر وذلك انه لا تطير الحجة عليهم على هذا التأويل اذ يقال انه لا يلزم من كونهم يعتقدون انهم صادقون في دعواهم انهم يمتنون الموت فانه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتنى الموت وكم من صالح لا يتمنى الموت بل يود أن يعبر ليزاد خيرا وترتفع درجته في الجنة كما جاء في الحديث خيركم من طال عمره وحسن عمله ولهم مع ذلك ان يقولوا عني هذا انها لم تعتقدون أيها المسلمون انكم أصحاب الجنة وأنتم لا تمتنون في حال الصحة الموت فكيف تلتزمون تأيلا يلزمكم وهذا كلامنا من تفسير الآية على هذا المعنى فالما على تفسير ابن عباس فلا يلزم عليه شيء من ذلك بل قيل (٢١٩) لهم كلام نصف ان كنتم تعتقدون

انكم أولياء الله من دون الناس وانكم أبناء الله واجباؤه وانكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار فباعلوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم واعلموا أن المباهلة تستاصل الكاذب للمحالة فلما يتقنوا ذلك وعرفوا صدقه نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وافترائهم وكتائبهم الحق من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ونعته وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويتحققونه فعلم كل أحد باطلهم وخزيهم وضلالهم وعنادهم عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة وسميت هذه المباهلة تمثيلا لان كل محق يود أن يهلك الله المبطل المناظر له ولا سيما اذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره وكانت المباهلة بالموت لان الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء ما لهم بعد الموت ولهذا قال تعالى ولن تنموا أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ولتجذبهم أحرص الناس على حياة أي على طول العمر لما يعلمون من ما لهم السوء

ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته فقال له رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل تتبع يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخير امنا فانزل الله في ذلك هذه الآية (أولو كان آباؤهم) الهزمة لانكاروا والواو اما للحال أو للعطف وجواب لو محذوف قاله أبو البقاء وتقديره لا تبعوهم والذي جرى عليه أبو السعدون لو في مثل هذا التركيب لا يحتاج الى جواب لان القصد منها تعميم الاحوال (لا يعقلون) أي لا يعلمون (شيئا) من أمر الدين وهذا اللفظ عام ومعناه خاص لانهم كانوا يعقلون كثيرا من أمور الدنيا فهذا يدل على جواز ذكر العام مع ان المراد به خاص (ولا يمتدون) الى الصواب وكيفية كتمانهم قال البيضاوي وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد ثم ضرب لهم مثلا فقال (ومثل الذين كفروا) في اتباعهم آباءهم وتقليد هم لهم وفي ذلك نهاية الزجر والردع لمن يسمعه عن ان يسلك مثل طريقهم في التقليد (كمثل الذي ينطق بما لا يسمع) فيه تشبيه واعظ الكافرين وداعيتهم وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرأي الذي ينطق بالغنى أو الابل فلا تسمع (الادعاء ونداء) ولا تفهم ما يقول هكذا فسر الزجاج والفراء وسيبويه وبه قال جماعة من السلف قال سيبويه لم يشبهوا بالناغى انما شبهوا بالمنعوق به والمعنى مثلك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومثل الذين كفروا كمثل الناعى والمنعوق به من الهائم الذى لا تفهم حذف الدلالة المعنى عليه وقال قطرب المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم ما لا يفهم يعنى الاصنام كمثل الراعى اذا نطق بغنمه وهو لا يدري أين هي وبه قال ابن جرير الطبرى وقال ابن زيد المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم الا كلمة الجماد كمثل الصائغ في جوف الدليل فيجيبه الصدى فهو يصيح بما لا يسمع ويحبه ما لا حقيقة فيه فهذه أربعة أقوال وقال البيضاوي المعنى ان الكفرة لانهم ما كهم في التقليد لا يلقون آذانهم الى ما يتلى عليهم فهم في ذلك كالهائم الذى ينطق عليهم فسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقد اختلف الناس في هذه الآية اختلافا كثيرا واضطربوا اضطرابا شديدا والذي لخصناه أقوال مذهب لكل قول منها تقدير ذكره السمين والنعيق زجر الغنم والصياح بها والعرب تضرب المثل برأى الغنم في الجهل ويقولون أجهل من رأى ضان قال ابن عباس مثل الذين كفروا ومثل البقر والجار والساة ان قلت لبعضها كلاما لم يعلم

وعاقبتهم عند الله الخاسرة لان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم وما يحاذرون منه واقع بهم للمحالة حتى وهم أحرص من المشركين الذين لا كآب لهم وهذا من باب عطف الخاص على العام قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعشى عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومن الذين أشركوا قال الاعاجم وكذا رواه الحاكم في مستدركه من حديث الثورى وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه قال وقد اتفق على سنده تفسير الصحابي وقال الحسن البصرى ولتجذبهم أحرص الناس على حياة قال المنافق أحرص الناس وأحرص من

أنا حدثكم عن شيء فغيرتوا لتابعني على الإسلام فقالوا ذلك لا
 عن أربع خصال نألت عنهن أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة وأخبرنا كيف ماء المرأة
 وماء الرجل وكيف يكون الذكركم والآنثى وأخبرنا بهذا النبي الذي في التوراة ومن وليه من الملائكة فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم عليكم عهد الله أني أنا بأتاكم لتتابعني فاعطوهم ما شاء الله من عهد وميثاق فقال لشركم بالذي أنزل التوراة على موسى
 هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب هرض مرضا شديدا فقال اسقمه منه (٢٢١) فذره لله فذرا لئن عافاه الله من مرضه

موضوعه للصبر ثبت متناوله الخطاب وتنفي ما عساه وقد حشرت ههنا التحريم في
 الامور المذكورة بعد ما أي ما حرم عليكم الا المية وهي كل ما فارقه الروح من غير ذكاة
 وقد خص هذا اليوم بمثل حديث أحسن لنا ميتان وديمان فاما الميتان فالجوارد
 والحوت وأما اليمان فالطحال والكبد أخرجه أحد رواين ماجد والدارقطني والحاكم
 وابن مردويه عن ابن عمر ومثل حديث جابر في العنبر الثابت في الصحيحين مع قوله تعالى
 احل لكم صيد البحر فالمراد بالمية غنمية البر لا مية البحر وقد ذهب أكثر أهل العلم
 الى جواز كل جميع حيوانات البحر حريمها وميتها وقال بعض أهل العلم انه يحرم من
 حيوانات البحر ما يحرم شبهه في البر وتوقف ابن حبيب في خنزير الماء قال ابن القاسم
 أنا أتقيعه ولا أراه حراما والدم هو الجاري السائل وكانت العرب تجعل الدم في المصارين
 ثم تشويهه وتأكله حرمة الله تعالى وقد اتفق العلماء على أن الدم حرام وفي الآية الاخرى
 أو دما مسفوحا فيحمل المطلق على المقيد لان ما خلط بالدم غير محرم قال القرطبي
 بالاجماع وقد روت عائشة أنها كانت تطبخ اللحم فتعول الصفرة على البرصة من الدم
 فيأكل ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا ينكره وأما لحم الخنزير فظاهر هذه الآية
 والآية الاخرى أعني قوله تعالى قل لأجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه إلا أن
 يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير أن المحرم انما هو اللحم فقط وقد أجمعت الامة
 على تحريم شحمه كما حكاه القرطبي في تفسيره وقد ذكرت جماعة من أهل العلم أن اللحم
 يدخل تحته الشحم وحكي القرطبي الاجماع أيضا على أن جملته الخنزير محرمة الا الشعر
 فإنه تجوز الخرازة به وقيل أراد بلحمه جميع اجزائه وانما خص اللحم بالذكركلانه المقصود
 لذاته بالاكل او اختلقتوا في نجاسته فقال الجمهور انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا اكل
 حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولو غ الخنزير الحديدي أنه
 كالكلب والقديم يكفي فيه غسله واحدة والآية قصر قلب الرد على من استحل هذه
 الاربعة وحرم الحلال غيرها كالسوائب ومع ذلك هو نسي أي ما حرم عليكم الا هذه
 الاربعة لا غيرها من البحرية وما بعدها في الآية وان كان حرم غيرها من الامور المذكورة
 في أول المسألة (وما أهل به لغير الله) يعني ما ذبح للاصنام والطواغيت وصيغ في ذبحه
 لغير الله وأصل الاهلال رفع الصوت يقال أهل بكذا أي صرخ ورفع صوته ومنه اهلال

ايحرم من أحب الطعام والشراب
 اليه وكان أحب الطعام اليه لحوم
 الابل وأحب الشراب اليه ألبانها
 فقالوا اللهم نعم فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد
 عليهم وأنشدكم بالله الذي لا اله الا هو الذي أنزل التوراة على
 موسى هل تعلمون ان ماء الرجل
 غليظ أبيض وان ماء المرأة رقيق
 أصفر فأيهما أكل كان له الولد والشبه
 باذن الله عز وجل واذا علا ماء الرجل
 ماء المرأة كان الولد ذكرا باذن الله
 واذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان
 الولد أنثى باذن الله عز وجل قالوا
 اللهم نعم قال اللهم اشهد وأنشدكم
 بالله الذي أنزل التوراة على موسى
 هل تعلمون ان هذا النبي الذي أتاكم
 عينا ولا ينم قلبه قالوا اللهم نعم
 قال اللهم اشهد قالوا أنت الآن
 خدشنا من وليك من الملائكة
 فعندها شجاعتك أو تفارقك قال
 فان وليي جبريل ولم يبعث الله نبيًا قط
 الا وهو وليه قالوا فعندها تفارقك
 ولو كان وليك سواه من الملائكة
 تابعناك وصدقناك قال فاصنعكم
 ان تصدقوه قالوا انه عدونا فأنزل

الله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه الى قوله لو كانوا يعلمون فعندها باءا وبغضب
 على غضب وقدر واه الامام أحمد في مسنده عن أبي النضر هاشم بن القاسم وعبد الرحمن بن جهم في تفسيره عن أحمد بن يونس
 كلاهما عن عبد الحميد بن بهرام به ورواه أحمد أيضا عن الحسين بن محمد المروزي عن عبد الحميد بنحوه وقدر واه محمد بن اسحق بن
 يسار حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب فذكره مرسل وازاد فيه قالوا فأخبرنا عن الروح قال
 فأنشدكم بالله وبأيامه عند بني اسرائيل هل تعلمون انه جبريل وهو الذي يأتيني قالوا اللهم نعم ولكنه عدو لنا وهو ملك انما يأتي

بالشدة وسنك الدماء فاولا ذلك اتبعك انزل الله تعالى فيهم قل من كان عدوا لجبريل الى قوله لا يعلمون وقال الامام أحمد
 حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أقبلت يهود على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا عن خمسة أشياء فان أبا تابناهم عرفنا أنك نبي واتبعناك فأخذ عليهم مأخذ إسرائيل
 على بنه اذ قال والله على ما نقول وكيل قال حاتوا قالوا فأخبرنا عن علامة النبي قال تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا أخبرنا كيف تؤت
 المرأة وكيف تذكر قال يلتقي المآن (٢٢٢) فإذا علماء الرجل ماء المرأة ذكرت وإذا علماء المرأة الرجل أنثت قالوا

أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه
 قال كان يشتكي عرق النسا فلم يجد
 شيئا يلاعه الا البان كذا
 قال أحمد قال بعضهم يعنى الابل
 فحرم لحومها قالوا صدقت قالوا
 أخبرنا ما هذا الرعد قال ملك من
 ملائكة الله عز وجل موكل
 بالسحاب بيديه أو في يديه مخراق
 من نار يزجر به السحاب يسوقه
 حيث أمره الله تعالى قالوا فما هذا
 الصوت الذي نسمع قال صوته قالوا
 صدقت قالوا انما بقيت واحدة
 وهي التي تتابعك ان أخبرتنا بها انه
 ليس من نبي الاول ملك يأتيه بالخبر
 فأخبرنا من صاحبك قال جبريل
 عليه السلام قالوا جبريل ذلك
 الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب
 عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل
 بالرحمة والقطر والنبات لكان
 فأمر الله تعالى قل من كان عدوا
 لجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله
 الى آخر الآية ورواه الترمذي
 والنسائي من حديث عبد الله بن
 الوليد بن وهب وقال الترمذي حسن
 غريب وقال سنيد في تفسيره
 عن حجاج بن محمد عن ابن جريج

الصبي واستلاله وهو صياحه عند ولادته ومنه الهلال لانه يصرخ عند رؤيته والمراد
 هنا ما ذكر عليه اسم غير الله تعالى كاللات والعزى اذا كان الذابح وثنيا والنار اذا كان
 الذابح مجوسيا ولا خلاف في تحريم هذا وأمثاله ومثله ما يقع من المعتقدين للاموات
 من الذبح على قبورهم فانه مما أهل به لغير الله ولا فرق بينه وبين الذابح للوثن قال
 مجاهد يعنى ما ذبح لغير الله أخرجه ابن أبي حاتم وفي تفسير النيسابوري للنظام قال
 العلماء لو أن مسلما ذبح ذبيحة وقصد بدبيحها التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته
 ذبيحة صر تداينتهى وقال صاحب الروض ان المسلم اذا ذبح للنبي صلى الله عليه وآله
 وسلم كثر انتهي وهذا القائل من الشافعية قال الشوكاني واذا كان الذبح لسيد
 الرسل صلى الله عليه وآله وسلم كثر اعنده فكيف بالذبح لسايرا لاسوات انتهى وقيل
 ان المراد بذلك ذبايح عبدة الاوثان التي كانوا يذبحونها الاصنام منهم كما تقدم وأجازوا
 ذبيحة النصارى اذا سمي عليها باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي
 وسعيد بن المسيب لعنهم قوله تعالى وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم وقال مالك
 والشافعي وأبو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه أنهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد أهولوا به
 لغير الله فوجب أن يحرم وروى عن علي أنه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون
 لغير الله فلا تأكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله قد أحل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون
 (فن اضطر) الى شيء من هذه المحرمات والمضطر هو المكلف بالشيء المباح اليه المكروه عليه
 والمراد هنا من خاف التلف والمضطر اما بأكراه فيبيع ذلك الى زوال الاكراه أو يجوع
 فيمخضه فان كانت دأمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وان كانت نادرة فقال الشافعي
 يا كل ما يسد به الرمق وبه قال أبو حنيفة وأويا كل قدر الشبع وبه قال مالك فاكل
 (غير باغ) بالاستئثار على مضطر آخر أو على الوالى وأصل البغي الفساد (ولاعاد) اسم
 فاعل أصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد والمراد بالبغى من يأكل فوق حاجته
 والعادى من يأكل هذه المحرمات وهو يجدها مندوحة وبلغته وقال ابن عباس باغى
 الميتة وعادى الاكل وقيل غير باغ على المسلمين ولا يعتد عليهم فيدخل في الباغى
 والعادى قاطع السيل والخارج على السلطان والمفارق للجماعة والأئمة والمفسد في
 الارض وقاطع الرحم وقيل المراد غير باغ على مضطر آخر ولا عاد لسد الجوعة قاله سعيد

ابن
 أخبرني القاسم بن أبي بزة ان يهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن صاحبه الذي ينزل عليه بالوحى قال جبرائيل ابن
 قالوا فانه عدونا ولا يأتي الا بالحرب والشدة والقتال فتركت قل من كان عدوا لجبريل الآية قال ابن جري قال مجاهد قالت يهود
 يا محمد ما نزل جبريل الا بشدة وحرب وقتال فانه لنا عدو فنزل قل من كان عدوا لجبريل الآية قال البخاري قوله تعالى من كان عدوا
 لجبريل قال عكرمة جبر وميك واسراف عبد ايل الله حدثنا عبد الله بن غير سمع عبد الله بن بكير حدثنا حميد عن أنس بن مالك
 قال سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرض يحترف فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انى سائلك

عن ثلاث لا يملهن الانبي ما أول اشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه او الى أمه قال أخبرني به هذه جبرائيل آتينا قال جبريل قال نعم قال ذلك عند الوالد من الملائكة فقرأ هذه الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك وأما أول اشراط الساعة فانه تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يا كلة أهل الجنة فزبادة كبدة الخوت واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة نزع قال أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله يا رسول الله ان اليهود يقوم بهت وان هم ان يعلموا باسلامي قبل ان تسألهم بهتوني فجاءت اليهود فقال لهم (٢٢٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجل عبد الله بن سلام فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال

أرايتم أن أسلم قالوا أعاذة الله من ذلك فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا هو شرنا وابن شرنا واتقوه فقال هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله انفر دبه البخاري من هذا الوجه وقد أخرجه من وجه آخر عن أنس بن مالك وفي صحيح مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريب من هذا السياق كما سأتى في موضعه ان شاء الله تعالى وحكاية البخاري كما تقدم عن عكرمة هو المشهور ان ايل هو الله وقد رواه سفيان الثوري عن خفيف عن عكرمة ورواه عبد بن حميد عن ابراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة ورواه ابن جرير عن الحسين بن يزيد الطحان عن اسحق بن منصور عن قيس بن عاصم عن عكرمة انه قال ان جبريل اسمه عبد الله وميكائيل اسمه عبد الله ايل الله ورواه يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس مثله سواء وكذا قال غير واحد من السلف كما

ابن جبير (فلا اسم عليه) في تناوله ولا حرج ومن أكلمه وهو غير مضطر فهدى واعمدى (ان الله غفور لمن أكل من الحرام (رحيم) به اذا حله الحرام في الاضطرار (ان الذين يكفون ما أنزل الله من الكتاب) المراد به هذه الآية علماء اليهود لانهم كفوا ما أنزل الله في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين وقال المتكلمون بل كانوا يكفون التأويل والمعنى يكفون معاني ما أنزل الله من الكتاب والاول أولى (ويسترون به) أي بالسكتان أو بما أنزل الله من الكتاب والاول أظهر والاشترأ هنا الاستبدال وقد تقدم تحقيقه (ثمنا قليلا) سماه قليلا لانقطاع مدته وسوء عاقبته وهذا السبب وان كان خاصا فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهو يشمل كل من كتم ما شرعه الله وأخذ عليه الرشا (أولئك مايا يكون في بطونهم) ذكر البطون دلالة وتأكيدا على أن هذا الاكل حقيقة اذ قد يستعمل مجازا في مثل أكل دنانير أرضى ونحوه وقال في الكشف معنى ما في بطونهم ظرف متعلق بما قبله لا حال مقدرة كما قال الكواشي (الانار) استثناء مفرغ أي أنه لو جب عليهم عذاب النار فسمى ما كلفوه نارا لانه يؤل اليها هكذا قال أكثر المفسرين وهو من مجاز الكلام وقيل انهم يعاقبون على كتمانهم بأكل النار في جهنم حقيقة ومنه قوله سبحانه ان الذين يأكلون أموال الناس ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) أي كلام رجسة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وعدم تكليم الله اياهم كناية عن حلول غضب الله عليهم وعدم الرضا عنهم يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه وقال ابن جرير الطبري المعنى ولا يكلمهم بما يحبونه ولا بما يكرهونه كقوله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون وانما كان عدم تكليمهم في معرض التهديد لان يوم القيامة هو اليوم الذي يكلم الله فيه كل الخلق بلا واسطة فيظهر عند كلامه السرور في أوليائه وضده في أعدائه (ولا ينكلمهم) لا ينكلمهم خيرا قاله الزجاج وقيل معناه لا يصلح أعمالهم الخبيثة فيظهرهم أولا ينزلهم منازل الاذكاء وقيل لا يظهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب أليم) أي وجيع يصل ألمه الى قلوبهم وهو النار (أولئك) أي الموصوفون بالصفات الستة من قوله ان الذين يكفون الى هنا وهذا بيان لحالهم في الدنيا بعد أن بين حالهم في الآخرة (الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالغفرة) أي اختاروا الضلالة على الهدى

سيأتى قريبا من الناس من يقول ايل عبارة عن عبد والكلمة الاخرى هي اسم الله لان كلمة ايل لا تتغير في الجميع فوازته عبد الله عبد الرحمن عبد الملك عبد القدوس عبد السلام عبد الكافي عبد الجليل فبعد موجود في هذا كله واختلفت الاسماء المضاف اليها وكذلك جبرائيل وميكائيل وعزرائيل واسرافيل ونحو ذلك وفي كلام غير العرب يقدمون المضاف اليه على المضاف والله أعلم ثم قال ابن جرير وقال آخرون بل كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين عربين الخطاب في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ذكره قال ذلك حديثي محمد بن المثنى حديثي ربي بن علية عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال نزل عمر الروحاء

فراى رجالا يتدرون اجارا يصاون اليها فقال ما بال هؤلاء قالوا يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ههنا قال فذكر ذلك وقال ايعارسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته الصلاة بواصلا ههنا ثم ارتحل فتركه ثم أنشأ يحدتهم فقال كنت أشهد اليهود يوم مدارسهم فأعجب من التوراة كيف تصدق القرآن ومن القرآن كيف يصدق التوراة فبينما أنا عندهم ذات يوم قالوا يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك قلت ولم ذلك قالوا لانك تغشانا وتأتينا فقلت افي آيتكم فأعجب من القرآن كيف يصدق التوراة ومن التوراة كيف تصدق (٢٢٤) القرآن قالوا وعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابن الخطاب ذلك

صاحبكم فالحق به قال فقلت لهم عند ذلك نشدتكم بالله الذي لا اله الا هو وما استرعاكم من حقه وما استودعكم من كتابه هل تعلمون انه رسول الله قال فسكتوا فقال لهم عالمهم وكبيرهم انه قد غلط عليكم فأجيبوه قالوا فانت عالمنا وكبيرنا فأجبه أنت قال أما اذا نشدتنا بما نشدتنا فانا نعلم انه رسول الله قلت ويحكم اذا هلكتم قالوا اننا منهم لك قلت كيف ذلك وأنتم تعلمون انه رسول الله ولا تتبعونه ولا تصدقونه قالوا ان لنا عدوا من الملائكة وسلمنا من الملائكة وانه قرن بنبوته عدونا من الملائكة قلت ومن عدوكم ومن سلمكم قالوا عدونا جبريل وسلمنا ميكائيل قالوا ان جبرائيل ملك القفاظة والغلظة والاعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا وان ميكائيل ملك الرحمة والرفقة والتخفيف ونحو هذا قال قلت وما منزلتكم من ربكم معز وجل قالوا اأحدهما عن يمينه والاخر عن يساره قال فقلت فوالذي لا اله الا هو انهم ما والذى بينهما لعدوان عاداهما وسلم لمن سالمهما وما ينبغي

واختار والعذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه وأخفوه وكان في اطهار الهدى والمغفرة وفي كتمان الضلالة والعذاب (فما أصبرهم على النار) حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل قد تقدم تحقيق معناه وذهب الجمهور ومنهم الحسن ومجاهد الى أن معناه التعجب والمراد تعجب المخلقين من حال هؤلاء الذين باشروا الاسباب الموجبة لعذاب النار فكأنهم بهذه المباشرة لاسباب صبروا على العقوبة في نار جهنم وحكي الزجاج أن المعنى ما أبقاهاهم على النار من قولهم ما أصبر فلا نأعلى الحبس أى ما أبقاهاهم وقيل المعنى ما أقل جرعههم من النار فجعل قلبه الجزع صبرا وقال الكسائي رقطرب أى ما أدومهم على عمل أهل النار وقيل ما استغفاهية ومعناه التوبخ أى شئ صبرهم على عمل أهل النار وهذا من مجاز الكلام وبه قال ابن عباس والسدي وعطاء وأبو عبيدة (ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق) أى ذلك الامر وهو العذاب قاله الزجاج وقال الاخفش ان خبر اسم الاشارة محذوف والتقدير ذلك معانوم والمراد بالكتاب ههنا القرآن أو التوراة والحق الصدق وقيل الحجة (وان الدين اختلفوا في الكتاب) يعنى في معانيه وتأويله فخرّفوه وبسّلوه وقيل آمنوا ببعض وكفروا ببعض والمراد بالكتاب قيل التوراة فادعى النصارى ان فيها صفة عيسى وأنكرهم اليهود وقيل خالفوا ما في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم واختلفوا فيها وقيل المراد القرآن والمختلفون هم كفار قريش يقول بعضهم هو سحر وكهانة وبعضهم يقول هو أساطير الاولين وبعضهم يقول غير ذلك وقيل المختلفون هم اليهود والنصارى (اننى شقاق) أى خلاف ومنازعة (بعيد) عن الحق وقد تقدم معنى الشقاق (ليس البر أن تولدوا ووجهكم قبل المشرق والمغرب) قيل ان هذه الآية نزلت للرد على اليهود والنصارى لما أكثروا الكلام في شأن القبلة عند تحويل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الكعبة وقيل ان سبب نزولها انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سائل عن الايمان فلهذه الآية حتى فرغ منها ثم سأله أيضا فلهذه الآية ثم سأله قسلاها قال واذا علمت بحسنة أحبها قلبك واذا علمت بسيئة أبغضها قلبك أخرجه ابن أبي حاتم وصححه عن أبي ذر قيل أشار سبحانه بذكر المشرق الى قبلة النصارى لانهم يستقبلون مطلع الشمس وأشار بذكر المغرب الى قبلة اليهود لانهم يستقبلون بيت المقدس وهو في جهة

الجبرائيل ان يسالم عدو ميكائيل وما ينبغي لميكائيل ان يسالم عدو جبرائيل قال ثم قلت فأتعت النبي صلى الله عليه وسلم فأتعت الغرب عليه وسلم فلحقته وهو خارج من خوخة لبنى فلان فقال يا ابن الخطاب ألا قرأت آيات نزلت قبل فقرأ على من كان عدو الجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله حتى قرأ الآيات قال قلت يا بنى وأمى يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد جئت وأنا أريد أن أخبرك وأنا أسمع اللطيف الخبير قد سبقني اليك بالخبر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو اسامة عن مجالد أبا ناعمر قال انطلق عمر بن الخطاب الى اليهود فقال أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجدون محمدا في كتبكم قالوا نعم قال فما يمنعكم ان

تبعوه قالوا ان الله لم يعث رسولا الا جعل له من الملائكة كفلا وان جبرائيل كفل محمد وهو الذي ياتيه وهو عدونا من الملائكة وميكائيل سلمنا لو كان ميكائيل الذي ياتيه سلمنا قال فاني انشدهم بآله الذي أنزل التوراة على موسى ما نزلتم ما عند الله تعالى قالوا جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله قال عمرواني أشهد ما ينزلان الا باذن الله وما كان ميكائيل ليسالم عدو جبرائيل وما كان جبرائيل ليسالم عدو ميكائيل فبينما هو عندهم اذ هم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا صاحبك يا ابن الخطاب فقام اليه عمرقاته وقد أنزل الله عز وجل من كان عدوا لله وملائكته ورسوله (٢٢٥) وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين

وهذان الاسنادان يدلان على ان الشعبي حدث به عن عمرو ولكن فيه انقطاع بينه وبين عمر فانه لم يذكر زمانه والله أعلم وقال ابن جرير حدثنا بشير حدثنا ابن يربز زريع عن سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب انطلق ذات يوم الى اليهود فلما انصرف رحبوا به فقال لهم عمر أما والله ما جئتمكم لحبكم ولا لرغبة فيكم ولكن جئت لاسمع منكم فسالهم وسألوه فقالوا من صاحب صاحبكم فقال لهم جبرائيل فقالوا ذلك عدونا من أهل السماء يطلع محمد على سرنا واذ جاءنا بالحرب والسنة ولكن صاحبنا ميكائيل وكان اذا جاءنا بالخصب والسلم فقال لهم عمر هل تعرفون جبرائيل وتذكرون محمد ا صلى الله عليه وسلم فزارقهم عمر عند ذلك وتوجه نحو النبي صلى الله عليه وسلم ليحدثه حديثهم فوجدته قد أنزلت عليه هذه الآية قل من كان عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله الآيات ثم قال حدثني المشني حدثنا آدم حدثنا أبو جعفر حدثنا

الغريب منهم اذ ذلك وزعم كل طائفة منهم ان البر في ذلك فأخبر الله تعالى ان البر ليس فيما زعوا ولكنه فيما بينه في هذه الآية وقيل المخاطب هم المسلمون وقيل هو عام لهم ولاهل الكتابين أي ليس البر مقصورا على أمر القبله والبر اسم جامع لكل طاعة وعمل الخير ويجوز أن يكون بمعنى البار ويطلق المصدر على اسم الفاعل كثير ومنه في التنزيل ان أصبح مأوكم غورا أي غائرا وهذا اختيار أبي عبيدة والمشرق جهة شروق الشمس والمغرب جهة غروبها وهذا مشكل بما تقدم من أن قبله اليهود انما هي بيت المقدس وهو بالنسبة الى المدينة شمال لا مغرب لان من استقبل بيت المقدس يكون فيها ظهره مقابلا لميزاب الكعبة ووجهه مقابلا لبيت المقدس الذي هو من جهة الشام وكذا بالنسبة لمكة فلم يظهر المراد من هذه الآية وقد تنبه أبو السعد لهذا وأجاب عنه بما لا يجدي شيئا فليست أملي فاني لم أر من حقق المقام والله أعلم (ولكن البر) أي لكن ذا البر وقرئ البار أوبر (من آمن بالله) والاخيرا وفق وأحسن والبر اسم جامع لكل طاعة واعمال الخير مما لا يختلف باختلاف الشرائع وما يختل باختلافها والمراد بالبر هنا الايمان والتقوى واليوم الآخر كذلك لان عبدة الاوثان كانوا يسكرون البعث بعد الموت (والملائكة) أي الايمان بهم كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا (والكتاب) قيل أراد به القرآن وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله (والنبيين) يعني أجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة لانه يدخل تحت كل واحد منها أشياء كثيرة مما يلزم المؤمن أن يصدق بها (وأتى المال على حبه) ثم رجع راجع الى المال وقيل الى الايتاء المدلول عليه بقوله وأتى المال وقيل انه راجع الى الله سبحانه أي على حب الله والمعنى على الاول انه أعطى المال وهو يحبه ويشعبه ومنه قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعلى الثاني انه يجب ايتاء المال وتطيب به نفسه وعلى الثالث انه أعطى من تضمنته الآية في حب الله عز وجل لا لغرض آخر وهو مثل قوله ويطعمون الطعام على حبه عن ابن مسعود قال يعطى وهو صحيح شحيح يأمل العيش ويخاف الفقر وأخرج الحاكم عنه مرفوعا مثله وعن أبي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم قال ان تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر ونامل الغنا ولا تهمل حتى اذا بلغت الخلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان أخرجه

(٢٩ ل - فتح البیان) قتادة قال بلغنا ان عمر أتى الى اليهود وما فذكر نحوه وهذا في تفسير آدم وهو أيضا منقطع وكذلك رواه أسباط عن السدي عن عمر مثل هذا أو نحوه وهو منقطع أيضا وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن يعني الدسوقي حدثنا أبو جعفر عن حصين بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ان يهوديا قال لعمر بن الخطاب فقال ان جبرائيل الذي يذكر صاحبكم عدونا فقال عمر من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين قال فنزلت على لسان عمر رضي الله عنه ورواه عبد بن حميد عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي جعفر هو الرازي وقال ابن جرير حدثني يعقوب

ابن ابراهيم حدثني هشيم أخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى في قوله تعالى من كان عدوا لجبريل قال قال اليهود
للمسيح لو ان مسكائيل كان هو الذي ينزل عليكم اتبعناكم فانه ينزل بالرحمة والغيث وان جبرائيل ينزل بالعذاب والنقمة فانه عدو
لنا قال فترت هذه الآية حدثنا يعقوب أخبرنا هشيم أخبرنا عبد الملك عن عطاء بن خنوه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة
عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال قال اليهود ان جبرائيل عدو لنا لانه ينزل بالشدة والسنة وان مسكائيل ينزل بالرحمة
في قوله قل من كان عدوا لجبريل قال قال اليهود ان جبرائيل عدو لنا لانه ينزل بالشدة والسنة وان مسكائيل ينزل بالرحمة
والعافية والخصب فبرائيل عدو لنا فقال الله (٢٢٦) تعالى من كان عدوا لجبريل الآية وأما تفسير الآية فتقوله

تعالى قل من كان عدوا لجبريل
فانه نزل به على قلبك باذن الله اى من
عادى جبرائيل فليعلم انه الروح
الامين الذى نزل بالذكر الحكيم
على قلبك من الله باذنه فى ذلك
فهو رسول من رسل الله ملكي
ومن عادى رسولا فقد عادى جميع
الرسل كما أن من آمن برسول فانه
يلزمه الايمان بجميع الرسل وكما
أن من كفر برسول فانه يلزمه
الكفر بجميع الرسل كما قال
تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسوله
ويريدون ان يفرقوا بين الله
ورسوله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض الآيتين فحكم
عليهم بالكفر المحقق اذا آمنوا
ببعض الرسل وكفروا ببعضهم
وكذلك من عادى جبرائيل فانه
عدو لله لان جبرائيل لا ينزل بالامر
من تلقاء نفسه وانما ينزل بأمر ربه
كما قال وما تنزل الا بأمر ربك
الآية وقال تعالى وانه لتنزيل رب
العالين نزل به الروح الامين على
قلبك لتسكون من المذيرين وقد
روى البخارى فى صحيحه عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله

الشيخان (ذوي القربى) يعنى أهل قرابة المعطى وقد قدم ذوى القربى لكون دفع المال اليهم صدقة وصلة إذا كانوا فقراء وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة أخرجه ابن أبى شيبة وأحمد والترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه والحاكم والبيهقى فى سننه من حديث سلمان بن عامر الضبى وفى الصحيحين وغيرهما من حديث زينب امرأة ابن مسعود أنها سألت رسول الله هل تجزئ عنهما من الصدقة النفقة على زوجها وأيتام فى حجرها فقال لك أجران أجر الصدقة وأجر القرابة وأخرج الطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى فى سننه من حديث أم كاثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح (والبسائى) أى وهكذا البسائى المحاوٍج الفقراء أولى بالصدقة من الفقراء الذين ليسوا يتماهى لعدم قدرتهم على الكسب واليتم هو الذى لا أب له مع الصغر (والمساكين) جمع مسكين والمسكين الساكن الى ما فى أيدي الناس لكونه لا يجد شياً (وابن البيل) المسافر المنقطع وجعل ابن السليل لازمة له وهو اسم جنس أو واحد أى يذهب الجمع (والسائلين) يعنى الطالبين للأحسان المستطعمين ولو كانوا أغنياء عن على بن أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للسائل حق ولو جاء على فرس أخرجه أحمد وأبو داود وعن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس أخرجه مالك فى الموطأ وعن أم حنبل قالت قلت يا رسول الله المسكين ليقوم على بائى فلم أجده شياً أعطيه أياه قال ان لم تجدى الا لطفاً فحرقه فأدفعه اليه فى يده أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث صحيح وفى رواية مالك فى الموطأ عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق (وفى الرقاب) يعنى المكاتبين وقيل خوفك النسيئة وعقوبة الرقبة وفداء الاسارى أى دفعه فى فكى أى لاجله وبسببه (وأقام الصلاة وأتى الزكاة) المفروضة فيه دليل على ان الايتام المتقدم هو صدقة التطوع لا صدقة الفريضة (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) الله والناس قبل المراد بالعهد ان قيام بجدود الله والعمل بطاعته وقيل النذر ونحوه وقيل الوفاء بما وعدهوا بالبر فى الحلف وأداء الامانات (والصابرين فى الباساء) الشدة والنقر (والضراء) المرض والزمانة والبأساء والضراء اجماعاً يتباعى فعلاً ولا فعل لهما

هزيرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عادى لي وليا فقد اذى نفسي بالحرب ولهذا غضب الله لجبرائيل على من عاداه فقال تعالى من لا يهملهم كان عدوا لجبريل فانه ينزل على قلوبك باذن الله مصدقا لما بين يديه أى من الكتب المتقدمة وهدى وبشرى للمؤمنين أى هدى لقلوبهم وبشرى لهم بالجنة وليس ذلك الا للمؤمنين كما قال تعالى قل هو الله الذى آمنوا هدى وشفاء الآية وقال تعالى وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين الآية ثم قال تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو الكافرين يقول تعالى من عادانى وملائكتى ورسلى ورسله تشمل رسله من الملائكة والبشر كما قال تعالى الله يصطفى من الملائكة

رسلا ومن الناس وجبريل وميكال وهذا من باب عطف الخاص على العام فانهم اذ خلا في الملائكة في عموم الرسل ثم خصصا بالذكر لان السياق في الانتصار لجبرائيل وهو السفير بين الله وأنبيائه وقرن معه ميكائيل في اللفظ لان اليهود زعموا ان جبرائيل عدوهم وميكائيل وليهم فاعلمهم الله تعالى ان من عادى واحدا منهما فقد عادى الآخر وعادى الله أيضا ولانه أيضا ينزل على أنبياء الله بعض الاحيان كما قرن برسول الله صلى الله عليه وسلم في ابتداء الامر ولكن جبرائيل أكثر وهي وظيفته وميكائيل موكل بالنبات والقطر هداك بالهدى وهذا بالرزق كما ان اسرافيل موكل بالنفخ (٢٢٧) في الصور للبعث يوم القيامة وله هذا جاء في الصحيح ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان اذا قام من الليل يقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وقد تقدم ما حكاها البخاري ورواه ابن جرير عن عكرمة وغيره أنه قال جبر وميك واسراف عبيد وايل الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الاعشى عن اسمعيل بن أبي رجا عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس قال انما كان قوله جبرائيل كقوله عبد الله وعبد الرحمن وقيل جبر عبد وايل الله وقال محمد بن اسحق عن الزهري عن علي بن الحسين قال ان الذين من اسم جبرائيل من اسمائكم قلنا لا قال اسمه عبد الله وكل اسم مرجعه الى ايل فهو الى الله عز وجل قال ابن أبي حاتم وروى عن عكرمة ومجاهد

لانهم اسمان وليس باسمة ونصب والصابر بن علي المدح وقيل على الاختصاص ولم يعطف على ما قبله ليزيد شرف الصبر وفضيلته قال أبو علي اذا ذكرت صفات للمدح أو الذم وخواف الاعراب في بعضها فذلك تفنن ويسمى قطعاً لان تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع الذكور ومن يداهتة لم يشانه قال الراغب ولما كان الصبر من وجه مبدأ للفضائل ومن وجه جامع للفضائل اذ لفضيلة الا والصبر فيها أثر بليغ غير اعرابه تنبيها على هذا المقصد وهذا كلام حسن فالأية جامعة لجميع الكمالات الانسانية وهي صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس (وجبر الباس) أي وقت الحرب وشدة القتال في سبيل الله وسمى الحرب باسمها فيه من الشدة (أو تلك الذين صدقوا) وصفهم بالصدق في أمورهم والوفاء بها وانهم كانوا جادين في الدين واتساع الحق وتحري البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزل لهم الاحوال قال ربيع صدقوا أي تكلموا بكلام الايمان فكانت حقيقة عمله قال وكان الحسن يقول هذا كلام الايمان وحقيقته العمل فان لم يكن مع القول عمل فلا شيء (وأولئك هم المتقون) عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط التضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم قال الواحدى ان الواو ات في هذه الاوصاف تدل على ان من شرائط البر استكمالها وجمعها فمن قام بها احدها لا يستحق الوصف بالبر وقيل هذه خاصة الانبياء لان غيرهم لا تجتمع فيه تلك الصفات وقيل هي عامة في جميع المؤمنين وهو الاولى اذ لا دليل على التخصيص وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط التضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) كتب معناه فرض وأثبت وهذا اخبار من الله سبحانه لعباده بأنه شرع لهم ذلك وقيل ان كتب هنا اشارة الى ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ والخطاب للقائنين وولاية الامور والقصاص أصله قص الاثر أي اتباعه ومنه القاص لانه يتبع الآثار وقص الشعر اتباع أثره فكان القاتل يسلك طريقا من القتل يقص أثره فيها ومنه قوله تعالى فارتد اعني آثارهما قصصا وقيل ان القصاص ما خوذ من القص وهو القطع يقال قصصت ما بينهم ما أي قطعته قيل نزلت في حين من احياء العرب اقتتلوا في الجاهلية بسبب قيسل فكانت بينهم قتلى وحر وب وجراحات كثيرة ولم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت في الاوس والخزرج وكان

والضحاك ويعبي بن يعمر نحو ذلك ثم قال حدثني أبي حدثنا أحمد بن أبي الخوارى حدثني عبد العزيز بن عمير قال اسم جبرائيل في الملائكة خادم الله قال حدثت به بأسليمان الداراني فانتفض وقال لهذا الحديث أحب الى من كل شيء في دفتر كان بين يديه وفي جبرائيل وميكال لغات وقرأت تذكر في كتب اللغة والقرأت ولم نطوّل كتابنا هذا بسر ذلك الآن يدور فهم المعنى عليه أو يرجع الحكم في ذلك اليه وبالله الثقة وهو المستعان وقوله تعالى فان الله عدو للكافرين فيه ايقاع المظهر مكان المضمحل حيث لم يقل فانه عدو بل قال فان الله عدو للكافرين كما قال الشاعر لا أرى الموت يسبق الموت شيء * سبق الموت ذا الغنا والفقير

وقال الآخر ليت الغراب غداً ينجدني * كن الغراب منقطع الاوداج وانما الظير الله هذا الاسم خيماً
لتقرير هذا المعنى وانظاره وعلامتهم ان من عادى ولي الله فقد عادي الله ومن عادى الله فان الله عدوه ومن كان الله عدوه فقد
خسر الدنيا والاخرة كما تقدم الحديث من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحاربة وفي الحديث الآخر اني لا دار الا لولائي كما يثار اليك
الحرب وفي الحديث الصريح من كنت خصمه خصته (ولقد أنزلنا اليك آيات عتات وما يكفر بها الا الفاسقون أو كذا شاهدوا
عهداً بذهابهم من بينهم بل أكثرهم لا يؤمنون (٢٢٨) ولما اجابهم رسول من عند الله مصدق لما سمعهم يتحدثون من الذين

أوتوا الكتاب كتاب الله وراة
ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتعزوا
ماتلوا الشياطين على مثل سليمان
وما كفر سليمان ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس السجود وما
أنزل على الملكين بسابل شاروت
وماروت وما يعلمان من أحد حتى
يقولوا انما نحن قسمة فلان تكفر
فتعلمون منهم ما ما يغترون به من
المرور وجه وما هم بضارين به من
أحد الا باذن الله ويتعلمون
ما يضرمهم ولا ينفعهم ولقد علوا
لمن اشتراهم الى الاخرة من خلاف
وليس ما شروا به أنفسهم لو كانوا
يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة
من عند الله خير لو كانوا يعلمون
قال الامام أبو جعفر بن جريفي
قوله تعالى ولقد أنزلنا اليك آيات
بينات الآية أي أنزلنا اليك يا محمد
علامات واضحات دالات على نبوتك
وتلك الآيات هي ما حواه كتاب
الله من خفايا علوم اليهود
ومكنونات سرائر أخبارهم
وأخباراً وأتاهم من بني اسرائيل
والنبا عما تضمنته كتبهم التي لم
يكن يعلمها الا أخبارهم وعلومهم
وما حرفة وأوتاهم وأراهم وبدلهم من أحكامهم التي كانت في التوراة فاصح الله في كتابه الذي أنزله على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم فكان في ذلك من أمره الآيات بينات لمن أنصف من نفسه ولم يدعها الى حلا كنها الحسد والبغى اذ كنى في
فطرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتى بمثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات بينات التي وصف من غير تعلم تعلبه
من بشر ولا أخذ شيئاً منه عن آدمي كما قال الفخاك عن ابن عباس ولقد أنزلنا اليك آيات بينات يقول فانت تعلمو عليهم وتجبرهم
به غدوة وعشبة وبين ذلك وانت عندهم أي لم تقرأ كتاباً وانت تجبرهم بما في أيديهم على وجهه يقول الله تعالى لهم في ذنبه عبرة

لما
محمد صلى الله عليه وسلم فكان في ذلك من أمره الآيات بينات لمن أنصف من نفسه ولم يدعها الى حلا كنها الحسد والبغى اذ كنى في
فطرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتى بمثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات بينات التي وصف من غير تعلم تعلبه
من بشر ولا أخذ شيئاً منه عن آدمي كما قال الفخاك عن ابن عباس ولقد أنزلنا اليك آيات بينات يقول فانت تعلمو عليهم وتجبرهم
به غدوة وعشبة وبين ذلك وانت عندهم أي لم تقرأ كتاباً وانت تجبرهم بما في أيديهم على وجهه يقول الله تعالى لهم في ذنبه عبرة

وبيان وعليهم حجة لا كذا يعلمون وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قال
ابن صوريا القنطري لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما سبقتنا بشي نعرفه وما أنزل الله عليك من آية ينسبته من فازل الله في
ذلك من قوله ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما تكفر بها إلا الفاسقون وقال مالك بن النيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذكرهم ما أخذ عليهم من المشاق وما عهد إليهم في محمد صلى الله عليه وسلم والله ما عهد إلينا في محمد وما أخذ علينا من آفا
فازل الله تعالى أو كلما عهدوا عهدا هذه فريق منهم وقال الحسن البصري (٢٢٩) في قوله بل أكثرهم لا يؤمنون قال

نعم ليس في الأرض عهد يعاهدون
عليه إلا نقضوه وينذوه يعاهدون
اليوم وينقضون غدا وقال
السدي لا يؤمنون بما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم وقال قتادة
نبتة فريق منهم أي نقضه فريق
منهم وقال ابن جرير أصل النبذ
المرح واللقاء ومنه سمي اللقطة
منبذاً ومنه سمي النبذ وهو التمر
والزبيب إذا طر حامي الماء قال
أبو الأسود الدبلي
نظرت إلى عنوانه فنبتة

لم يرد في الآيتين وهذه الآية مع الأحاديث الواردة في ذلك حجة على أصحاب الرأي
والبحث في هذا يطول واستدل بهذه الآية القائلون بأن الذكرا لا يقتل بالانثى وقرروا
الدلالة على ذلك بمثل ما سبق إذا سلم أولياء المرأة الزيادة على دية من دية الرجل وبه قال
مالك والشافعي وأحمد واسحق والثوري وأبو ثور وذهب الجمهور إلى أنه يقتل الرجل
بالمراة ولا زيادة وهو الحق وقد بسط الشوكاني البحث في نيل الاوطار فليرجع إليه
(فمن عني له من أخيه شيء فاتباع المعروف وأداء اليمين باحسان) من هنا عبارة عن القاتل
أو الجاني والمراد بالآخ المقتول أو الولي والشيء عبارة عن الدم والمعنى إن القاتل والجاني
إذا عني له من جهة الجاني عليه أو الولي دم أصابه منه على أن يأخذ منه شيئا من الدية
أو الارش فليتبع الجاني عليه أو الولي من عليه الدم فيما يأخذ منه من ذلك اتباعا بالمعروف
وليؤد الجاني ما رزقه من الدية أو الارش إلى الجاني عليه أو الولي أداء باحسان وقيل
أن من عبارة عن الولي والآخر يراد به القاتل والشيء الدية والمعنى إن الولي إذا جئ إلى العفو
عن القصاص إلى مقابل الدية فإن القاتل مخير بين أن يعطيها أو يسلم نفسه للقصاص
كما روي عن مالك أنه ثبت الخيار للقاتل في ذلك وذهب من عده إلى أنه لا يخير بل إذا
رضى الأولياء بالدية فلا خيار للقاتل بل يلزمه تسليمها وقيل معنى عني بذل أي من بذل له
شيء من الدية فليقبل وليتبع بالمعروف وقيل إن المراد بذلك أن من فضل له من الطائفتين
على الأخرى شيء من الديات فيكون عني بمعنى فضل وعلى جميع التقادير فتسكير شيء
للتقبل فيتناول العفو من الشيء اليسير من الدية والعفو الصادر عن فرد من أفراد الورثة
وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافرا وإن الفاسق مؤمن لأن الله تعالى خاطبه بعد
القتل بالإيمان وسماه مؤمنا حال ما وجب عليه من القصاص وقتل العمد والعدوان من
الكافر بالإجماع فدل على أن صاحب الكبيرة مؤمن وأنه تعالى أثبت الأخوة بين القاتل
وولي الدم وأراد بها الأخوة الإيمان فلولا أن الإيمان باق على القاتل لم ثبت له الأخوة وأيضا
ندب إلى العفو عن القاتل والعفو لا يليق إلا بمن المؤمن لا عن الكافر (ذلك تخفيف من
ربكم ورحمة) إشارة إلى العفو والدية أي إن الله شرع لهذه الأمة العفو من غير عوض
أو بعوض ولم يضيق عليهم كما ضيق على اليهود فإنه أوجب عليهم القصاص ولا عفو وكما
ضيق على النصارى فإنه أوجب عليهم العفو ولا دية وفيه تضيق على كل من الوارث

كنبتة نعلنا خلق من نعالكا
قلت فالقوم ذمهم الله بنبتهم
العهود التي تقدم الله اليهم في
التمسك بها والقمام بحقها ولهذا
أعقبهم ذلك التكذيب بالرسول
المبعوث اليهم وإلى الناس كافة
الذي في كتبهم نعتهم وصفتهم
وأخبارهم وقد أمر وأفيا باتباعه
وموارزته ونصرتة كما قال تعالى الذين
يتبعون الرسول النبي الأمي الذي
يجدونهم مكتوبا عندهم في التوراة
والإنجيل الآية وقال ههنا ولما
جاءهم رسول من عند الله مصدق
لما معهم الآية أي طرح طائفة
منهم كتاب الله الذي بأيديهم مما فيه

البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وراظه ورهم أي تركوها كأنهم لا يعلمون ما هم أو أقبلوا على تعلم السحر واتباعه ولهذا
أرادوا كيداً برسول الله صلى الله عليه وسلم وسحروه في شطوط مشاقة وجف طلع مذكر تحت راعوفة يثراء وان كان الذي يولي
ذلك منهم رجل يقال له ليسد بن الأعصم لعنه الله وقبحه فاطاع الله على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم وشفاه منه وأفتقه كما ثبت
ذلك مبسوطاً في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كما سألني بيانه قال السدي ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق
لما معهم قال لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموا بها فاتفقت التوراة والقرآن فنبتوا التوراة وأخذوا

بكتاب آصف وتحراروت وماروت فلم يوافق القرآن فذلك قوله كانوا يعلمون وقال قتادة في قوله كانوا يعلمون قال ان
القرم كانوا يعلمون ولكنهم سجدوا عليهم وكمودو وحمدوا به وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى واتبعوا ما تلو
الشياطين الاية وكان حين ذهب ملك سليمان ارتد فقام من الجن والانس واتبعوا الشهوات فلما أرجع الله الى سليمان ملكه وقام
الناس على الدين كما كان وان سليمان ظهر على كتبهم فدفنوها تحت كرسه ووفى سليمان عليه السلام حديثان ذلك فظهر الانس
والجن على الكتب بعد وفاة سليمان (٢٣٠) وقالوا هذا كتاب من الله نزل على سليمان فاخفاه عنا فاخذوا به فجعلوه

والقاتل فهذا تحقيق مما كتب على من كان قبلكم (فن اعتدى بعد ذلك فله عذاب
اليم) اي بعد التخفيف نحو ان ياخذ الدية ثم يقتل القاتل أو يعفو ثم يستقص وقد
اختلف أهل العلم فيمن قتل القاتل بعد أخذ الدية فقال جماعة منهم مالك والشافعي انه
كمن قتل ابتداء ان شاء الولي قتله وان شاء عفا عنه وقال قتادة وعكرمة والسدي وغيرهم
عذابه ان يقتل البتة ولا يمكن الحاكم الولي من العفو وقال الحسن عذابه ان يراد الدية
فقط ويبقى اسمه الى عذاب الآخرة وقال عمر بن عبد العزيز أمره الى الامام يصنع فيه
ما رأى وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي حاتم والبيهقي عن أبي شريح
الخزاعي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من أصيب بقتل أو خبل فإنه يختار احدي
ثلاث اما ان يقتص واما ان يعفو واما ان ياخذ الدية فان أراد الرابعة فخذوا على يديه ومن
اعتدى بعد ذلك فله نار جهنم خالدا فيها أبدا وعن قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم قال لا أعاقى رجلا قتل بعد أخذ الدية أخرجه ابن جرير وابن المنذر
وأخرج سمويه في فوائده عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر مثله
والعذاب الليم قيل هو عذاب الآخرة وقيل هو ان يقتل قصاصا ولا تقبل منه دية ولا يعفى
عنه والاول أظهر وأولى ويدل له الحديث المتقدم (ولكم في القصاص حياة) خطاب
لمريدي القتل ظلما وقال أبو السعود بيان للحكم المذكور على وجه بدعي لا تنال
غايته حيث جعل الشيء وهو القصاص محلا لضده وهو الحياة ونكر الحياة ليدل على
ان في هذا الجنس نوعان الحياة عظيم لا يبلغه الوصف وذلك لانهم كانوا يقتلون الجماعة
بالواحد فتشر الفسنة بينهم في شرع القصاص سلامة من هذا كله والمعنى ولكم في هذا
الحكم الذي شرعه الله بقاء حياة لان الرجل اذا علم ان يقتل قصاصا اذا قتل آخر كف
عن القتل وانزجر عن التسرع اليه والوقوع فيه فيكون ذلك بمنزلة الحياة للنفس
الانسانية وهذا نوع من البلاغة بليغ وجنس من الفصاحة رفيع فإنه جعل القصاص
الذي هو موت حياة باعتبار ما يؤل اليه من ارتداد الناس عن قتل بعضهم بعضا بقاء على
أنفسهم واستدامة حياتهم وقيل ان الحياة سلامة من القصاص في الآخرة فإنه اذا
اقتص في الدنيا لم يقص عنه في الآخرة والاول أولى وقال الخازن هذا الحكم غير
مختص بالقصاص الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع الجروح والشجاج وغير ذلك وقرأ

دينا فانزل الله تعالى ولما جاءهم
رسول من عند الله مصدق لما
معهم الاية واتبعوا الشهوات
التي كانت تتلو الشياطين وهي
المعازف واللعب وكل شيء يصد عن
ذكر الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا
أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة
عن الأعمش عن المنهال عن سعيد
ابن جبيرة عن ابن عباس قال كان
آصف كاتب سليمان وكان يعلم
الاسم الاعظم وكان يكتب كل شيء
ياهر سليمان ويدفنه تحت كرسه
فلما مات سليمان أخرجه الشياطين
فكتبوا بين كل سطرين سحرا
وكفروا وقالوا هذا الذي كان سليمان
يعمل بها قال فأكفر جهال
الناس وسبوه ووقف علماء الناس
فلم يرزل جهال الناس يسبون حتى
أنزل الله على محمد صلى الله عليه
وسلم واتبعوا ما تلو الشياطين على
ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن
الشياطين كفروا وقال ابن جرير
حدثني أبو السائب سلمة بن جندة
السوائي حدثنا أبو يعقوب عن
الأعمش عن المنهال عن سعيد بن
جبيرة عن ابن عباس قال كان

سليمان عليه السلام اذا أراد ان يدخل انخلأ أو ياتي شيامن نساءه أعطى الجرادة وهي امرأته خاتمه فلما أراد
الله ان يتلى سليمان عليه السلام بالذي ابتلاه به أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال هاتي خاتمي
فاخذه ولبسه فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والانس قال فجاءه سليمان فقال لها هاتي خاتمي فقالت كذبت لست سليمان
قال فعرف سليمان انه ابتلاه به قال فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الايام كتابا فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسى
سليمان ثم أخرجهوا وقرؤها على الناس وقالوا انما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب قال فبرئ الناس من سليمان وكفروه

حتى يثبت الله محمد صلى الله عليه وسلم قائل عليه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ثم قال ابن جرير حسن ثنا ابن جهم
 حدثنا جرير عن حصين بن عبد الرحمن عن عمران وهو ابن الحرث قال بينما نحن عند ابن عباس رضي الله عنهما اذ جاء رجل فقال له
 من أين جئت قال من العراق قال من أيه قال من الكوفة قال فما الخبر قال تركتهم يتحدثون أن عليا خارج اليهم فمزعزع ثم قال
 ما نقول لأبائك لو شعرنا ما كنا نساء ولا قسمنا ميراثه أما اني سأحدثكم عن ذلك انه كانت الشياطين يسترقون السمع من
 السماء فيجيء أحدهم بكلمة حق قد سمعها فاذا جرت منه وصدق كذب (٢٣١) معها سبعين كذبة قال فتشربها

قلوب الناس قال فاطلع الله عليها سليمان عليه السلام وقد فتنها تحت كرسيه فلما توفي سليمان عليه السلام قام شيطان الطريق فقال هل أدلكم على كنز الممنوع الذي لا كنز له مثله تحت الكرسي فانخرجه فقال هذا محرقتنا نحن الامم حتى بقاياها ما يتحدث به أهل العراق فانزل الله عز وجل واتبعوا ما اتوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا الآية وروى الحاكم في مستدركه عن أبي زكريا العنبري عن محمد بن عبد السلام عن اسحق ابن ابراهيم عن جرير به وقال السدي في قوله تعالى واتبعوا ما اتوا الشياطين على ملك سليمان أي على عهد سليمان قال كانت الشياطين تصعد الى السماء فتتعد منها مقام عدل للسمع فيستمعون من كلام الملائكة مما يكون في الارض من موت أو غيب أو أمر فيأتون الكهنة فيخبرونهم فتحادث الكهنة الناس فيحدثونه كما قالوا فلما آمنهم الكهنة كذبوا لهم وأدخلوا فيه غيره فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة

أبو الجوزاء ولكم في القصص حياة أي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة أو في كتاب الله حياة أي نجاة وقيل أراد حياة القلوب وقيل هو مصدر بمعنى القصاص والكل ضعيف والقراءة به منكرة (يا أولى الألباب) أي ذوى العقول الكاملة جعل هذا الخطاب موجها الى أولى الألباب وناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لانهم هم الذين ينظرون في العواقب ويتحامون ما فيه الضرر الاجل وأما من كان مصابيا بالحق والطيش والخفة فإنه لا ينظر عند سورة غضبه وغليان مر اجل طيشه الى عاقبة ولا يفكر في أمر مستقبل والألباب جمع لب وهو العقل الخالي من الهوى سمى بذلك لاحد وجهين اما لبنائه من لب بالمكان أقام به وامان اللباب وهو الخالص ثم علل سبحانه هذا الحكم الذي شرعه لعباده بقوله (لعلكم تتقون) أي تعملون عمل أهل القوى وتحامون القتل بالمحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له فيكون ذلك سببا للتقوى (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت) قد تقدم معنى كتب قريبا وحضور الموت حضورا سببا وأماراته وظهور علاماته من العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه معاناة الموت لانه في ذلك الوقت يجزعن الايضاء وانما لم يؤث الفعل المسند الى الوصية وهو كتب لوجود الفاصل بينهما وقيل لانها بمعنى الايضاء وقد روى جواز اسناد ما لا تأنيب فيه الى المؤث مع عدم الفصل وقد حكى سيويه قام امرأة وهو خلاف ما أطبق عليه أئمة العربية (ان ترك خيرا) شرط سبحانه ما كتبه من الوصية بان يترك الموصى خيرا أي مالا قال الزهري هو يطلق على القليل والكثير فوجب الوصية في الكل وقيل لا يطلق الا على المال الكثير وهو قول الاكثرين واختلاف أهل العلم في مقدار الخير قليل مازاد على سبعة مائة دينار وقيل ألف دينار وقيل مازاد على خمسة مائة دينار وقيل ستون دينار فافوقها وقيل من خمسة مائة الى ألف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال والخير هنا المال ويقع في القرآن على وجوه وبه تسميته خيرا على ان الوصية تستحب في مال طيب (الوصية) أي الايضاء والوصية في الاصل عبارة عن الامر بالشئ والعهد به في الحياة وبعد الموت وهي هنا عبارة عن الامر بالشئ بعد الموت وقد اتفق أهل العلم على وجوب الوصية على من عليه دين أو عنده وديعة أو نحوها وأما من لم يكن كذلك فذهب أكثرهم الى انها غير واجبة عليه سواء كان فقيرا أو غنيا وقالت طائفة انها واجبة

فاكتب الناس ذلك الحديث في الكتب وفشا ذلك في بني اسرائيل ان الجن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس لجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق ثم دفنها تحت كرسيه ولم يكن أحدهم من الشياطين يستطيع ان يدنو من الكرسي الاحترق وقال لا أسمع أحدا يذكر ان الشياطين يعلمون الغيب الا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان وخلف من بعد ذلك خلف تمثل الشيطان في صورة انسان ثم أتى نقر من بني اسرائيل فقال لهم هل أدلكم على كنز لا تأكلوه أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي فذهب معهم وأراههم المكان وقام ناحيته فقالوا له فادن فقال لا وليكني ههنا في أيديكم

فان لم يتجددوا فاقتلوني خفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان ان سليمان انما كان يضبط الانس والشیاطین والطیر بهذا السحر ثم طار وذهب وفشا في الناس ان سليمان كان ساحرا واتخذت بنو اسرائيل تلك الكتب فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم خاصموهم فاخذ ذلك حين يقول الله تعالى وما كفر سليمان ولكن الشیاطین کفروا وقال الربیع بن أنس ان اليهود سألوا محمد صلى الله عليه وسلم زمانا عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك الا أنزل الله سبحانه وتعالى ما سألوه عنه فيخصمهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا اعلم (٢٣٢)

واتبعوا ما تناولوا الشیاطین على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشیاطین کفروا يعلمون الناس السحر وان الشیاطین عدوا الى کتاب فکتبوا فيه السحر والکھانة وما شاء الله من ذلك فدفعوه تحت کرسی مجلس سليمان وكان عليه السلام لا يعلم الغیب فلما فرق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخذعوا الناس وقالوا هذا اعلم كان سليمان یکتبه ویحسنه الناس علیه فاخبرهم النبی صلی الله علیه وسلم بهذا الحديث فرفجعوا من عنده وقد خرجوا وقد أدهض الله حجتهم وقال مجاهد في قوله تعالى واتبعوا ما تناولوا الشیاطین على ملک سليمان قال كانت الشیاطین تستمع الوحي فاسمعوا من کلمة زادوا فيها ما تبين مثلها فارسل سليمان عليه السلام الى ما کتبوا من ذلك فلما توفى سليمان وجدته الشیاطین وعلمته الناس وهو السحر وقال سعید بن جبیر کان سليمان يتتبع ما یدى الشیاطین من السحر فيأخذه منهم فيدفعه تحت کرسیه في بیت خزانته فلم تقدر

(لوالدين والاقربين) لم يبين الله سبحانه ههنا القدر الذي كتب الوصية له لوالدين والاقربين فقبل الخمس وقيل الربع وقيل الثلث وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية هل هي محكمة أو منسوخة فذهب جماعة الى انها محكمة وقالوا هي وان كانت عامة فعناها الخصوص والمراد بها من الوالدين من لا يرث كالابوين الكافرين ومن هو في الرق ومن الاقربين من عدا الورثة منهم قال ابن المنذر أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على ان الوصية للوالدين اللذين لا يرثان والاقرباء الذين لا يرثون جائزة وقال كثير من أهل العلم انها منسوخة بآية المواريث مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا وصية لوارث وهو حديث صحيح بعض أهل الحديث وروى من غير وجه وللشيخ سعد التفتازاني فيه مناقشة وقال بعض أهل العلم انه نسخ الوجوب وبقي النذير روى ذلك عن الشعبي والنخعي ومالك (بالمعروف) أي بالعدل لا وكس فيه ولا شطط وقد أذن الله للميت بالثلث دون ما زاد عليه فلا يزيد على الثلث ولا يوصى الغني ويدع الفقير وعن علي لأن أوصى بالثلث أحب الي من أن أوصى بالربع ولأن أوصى بالربع أحب الي من أن أوصى بالثلث فمن أوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصى بالسدس أو بالثلث أو بالربع (حقا) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله معناه الثبوت والوجوب وقيل ثبوت نذب لا ثبوت فرض ووجوب (على المتقين) أي على الذين يتقون الشرك (فمن بدله بعد ما سمعه فانما سمعه على الذين يبدلونه) هذه التمهيد عائد الى الايضاء المفهوم من الوصية وكذلك التمهيد في قوله سمعه والتبديل التغير والتمهيد في انه راجع الى التبديل المفهوم من قوله بدله وهذا وعيد لمن غير الوصية المطابقة للحق التي لا حيف فيها ولا مضارة وانتهى بالاثم وليس على الموصي من ذلك شيء فقد تخلص مما كان عليه بالوصية به قال القرطبي ولا خلاف انه اذا أوصى بما لا يجوز لمثل ان يوصى بخمر أو خنزير أو شيء من المعاصي انه يجوز تبديله ولا يجوز امضاؤه كما لا يجوز امضاؤه ما زاد على الثلث قاله أبو عمرو انتهى والمبدلون اما الاوصياء بان ينكروا الوصية أو يغيروها ما في الكتابة أو في قسمة الحقوق أو الشهود بان يكتوا الشهادة أو يغيروها والمعنى فمن بدل قول الميت أو ما أوصى به وقيل التمهيد في بدله يعود على الوصية لانها بمعنى الايضاء وقيل على نفس الايضاء وقيل على الامر والفرض الذي أمر به الله وفرضه أو على الكتب أو الحق أو المعروف فهذه ستة أقوال أو لاها ما ذكرنا ولكن

هنا الشیاطین ان يصلوا اليه فدفنت انی الانس فقالوا لهم ائذرون ما العلم الذي كان سليمان یسخر به الشیاطین والیراج وغير ذلك قالوا نعم قالوا فانه في بیت خزانته ويحت کرسیه فاستنار به الانس واستخرجوه وعلموا بها فقال أهل الخجاز کان سليمان یعمل بهذا وهذا سحر فانزل الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تناولوا الشیاطین على ملک سليمان وما كفر سليمان ولكن الشیاطین کفروا وقال محمد بن اسحق بن یسار عدت الشیاطین حين عرفت موت سليمان بن داود عليه السلام فکتبه اصناف السحرة من کان یحب ان یبلغ کذا وکذا فلیفعل کذا وکذا حتی اذا صنفوا

أصناف السحر جعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا في عنوانه هذا ما كتب أصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم ثم دفنوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني اسرائيل حتى أحدثوا ما أحدثوا فلما عثروا عليه قالوا والله ما كان ملك سليمان الا بهذا فافشوا السحر في الناس فتعلموه وعلموه فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم الله فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نزل عليه من الله سليمان بن داود وعده فيمن عد من المرسلين قال من كان بالمدينة من اليهود ألا تعجبون من محمد بن زعيم ان ابن داود كان نبيا والله ما كان الاساحرا (٢٣٣) وأنزل الله في ذلك من قولهم واتبعوا ماتلو

الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا الآية وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا حسين بن حجاج عن أبي بكر عن شهر بن حوشب قال لما سلب سليمان ملكه كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان فكتبت من أراد أن يأتي كذا وكذا فليس تقبل الشمس وليقل كذا وكذا ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليس تدبر الشمس وليقل كذا وكذا فكتبت وجعلت عنوانه هذا ما كتب أصف بن برخيا للملك سليمان بن داود عليه السلام من ذخائر كنوز العلم ثم دفنته تحت كرسيه فلما مات سليمان عليه السلام قام ابليس لعنه الله خطيبا فقال يا أيها الناس ان سليمان لم يكن نبيا انما كان ساحرا فاتسوا سحره في متاعه وبيوته ثم دلهم على المكان الذي دفن فيه فقالوا والله لقد كان سليمان ساحرا هذا سحره بهذا تعبدنا وبهذا أقهرنا فقال المؤمنون بسل كان نبيا مؤمنا فلما بعث الله النبي محمد صلى الله عليه

هذا وقفة من حيث ان الكلام السابق انما هو في الوصية المنسوخة التي هي للوالدين والاقربين وقوله فن بدله الى آخر الآية انما هو في الوصية التي استقر عليها الشرع ويعمل بها الى الآن وعلى هذا فكيف يعود الضمير من الحكمة على المنسوخة قال سليمان الجبل فليأتأمل فاني لم أر من نبه على هذا انتهى قلت انما يردهذا على قول من قال بنسخ الوصية المذكورة وقد تقدم أن جماعة من أهل العلم ذهبوا الى أنها بحكمة فلا تأمل ولا تنبيه والله أعلم (ان الله سمع) لما أوصى به الموصى وقوله (عليه) بتبديل المبدل وفعل الوصى فيجازى عليه الاول بالخير والثاني بالشر (فن خاف) أي علم وهو مجاز والعلاقة بينهما ان الانسان لا يخاف شيئا حتى يعلم انه مما يخاف منه فهو من باب التعبير عن السبب بالمسبب ومنه قوله تعالى الآن يخافا أن لا يقيم احدا لله أي يعلم (من موص جنفا وأثما) الخنف المجاوزة من جنف يخنف اذا جاوز قاله النحاس وقيل الخنف الميل قاله في الصحاح والكشاف والاثم الظلم وقيل الخنف الخطأ في الوصية والاثم العمد (فأصلح بينهم) أي أصلح ما وقع بين الورثة من الشقاق والاضطراب بسبب الوصية بابطال ما فيه ضرر ومخالفة لما شرعه الله وأثبت ما هو حق كالوصية في قرابة غير وارث والضمير في بينهم راجع الى الورثة وان لم يقدم لهم مذكر لانه قد عرف أنهم المرادون من السياق وقيل راجع الى الموصى لهم وهم الابوان والقرابة (فلا اثم عليه) أي لا حرج عليه في الصلح وان كان فيه تبديل لانه خير بخلاف الاول فانه ضير (ان الله غفور رحيم) لمن أصلح وصيته بعد الخنف والميل عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الرجل يعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فحبب لهما النار الحديث أخرجه أبو داود والترمذي ومعنى المضارة في الوصية ان لا تضي أو ينقص بعضها أو يوصى لغير أهلها أو يخيف في الوصية ونحوها (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) قد تقدم معنى كتب ولا خلاف بين المسلمين أجمعين أن صوم رمضان فريضة افترضها الله سبحانه على هذه الامة والصيام أصل في اللغة الامساك وترك التنقل من حال الى حال ويقال للصمت صوم لانه امساك عن الكلام ومنه اني نذرت للرجل صوما أي امساكا عن الكلام وهو في الشرع الامساك عن المقطرات مع اقتران النية به من طلوع الفجر الى غروب الشمس وفي الآية توكيد للحكم وترغيب في التسعل وتطبيب

(٣٠ ل - فتح البيان) وسلم ذكر داود سليمان فقالا اليهود انظروا الى محمد ريحنا الحق بالباطل يذكرك سليمان مع الانبياء انما كان ساحرا يركب الريح فانزل الله تعالى واتبعوا ما تسوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان الآية وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الاعلى الصنعاني حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عمران بن جرير عن أبي مجلز قال أخذ سليمان عليه السلام من كل دابة عهدا فاذا أصيب رجل فسأل بذلك العهد خلى عنه فزاد الناس السجود والسحر فقالوا هذا يعمل به سليمان بن داود عليه السلام فقال الله تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وقال ابن أبي

حاتم حدثنا عصام بن رواد حدثنا آدم حدثنا المسعودي عن زياد مولى بن مصعب عن الحسن واتبعوا ماتوا الشياطين قال ثلث
الشعر وثلث السحر وثلث الكهانة وقال حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا ابراهيم بن عبد الله بن بشار الواسطي حدثني سرور بن المغيرة
عن عباد بن منصور عن الحسن واتبعوا ماتوا الشياطين على ملك سليمان وتبعته اليهود على ملكه وكان السحر قبل ذلك في الارض
لم يزلهم اولى لكنه اتبع على ملك سليمان فهذه تبذة من أقوال أئمة السلف في هذا المقام ولا يخفى ملخص القصة والجمع بين أطرافها
وأنة لا تعارض بين السماقات على اليبب (٢٣٤) الفهم والله الهادي وقوله تعالى واتبعوا ماتوا الشياطين على ملك سليمان

أى واتبعت اليهود الذين أوتوا
الكتاب من بعد اعراضهم عن
كتاب الله الذي بأيديهم ومخالفتهم
لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم
ماتوا الشياطين أى مات ربه
وتجبر به وتحدثه الشياطين على
ملك سليمان وعدها بعلى لانه
تضمن تلوث كذب وقال ابن
جرير على ههنا معنى فى أى تلوث
ملك سليمان ونقله عن ابن جرير
وابن اسحق قلت والتضمن أحسن
وأولى والله أعلم وقول الحسن
البصرى رحمه الله وكان السحر قبل
زمان سليمان بن داود صحيح لاشئ فيه
لان السحرة كانوا فى زمان موسى
عليه السلام وسليمان بن داود بعده
كما قال تعالى ألم تر الى الملا من بنى
اسرائيل من بعد موسى الآية ثم
ذكر القصة بعدها وفيها وقتل داود
جالوت وآناه الله الملك والحكمة
وقال قوم صالح وهم قبل ابراهيم
الخليل عليه السلام لنبيهم صالح انما
أنت من المسحورين أى المسحورين
على المشهور وقوله تعالى وما أنزل
على الملكين يابل هاروت وماروت
وما يعلمان من أحد حتى يقولا

لنفس) كما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم والمعنى
أن الصوم عبادة قديمة ما أدخل الله أمة من اقراضها عليهم لم يفرضها عليهم وحدهم
واختلف المفسرون فى وجه التشبيه ما هو فقيل هو قدر الصوم ووقته فان الله كتب على
اليهود والنصارى صوم رمضان فعبروا وقيل هو الوجوب فان الله أوجب على الامم
الصيام وقيل هو الصفة أى ترك الأكل والشرب ونحوه ما فى وقت فعلى الاول معناه
ان الله كتب على هذه الامة صوم رمضان كما كتبه على الذين من قبلهم وعلى الثانى ان
الله أوجب على هذه الامة الصيام كما أوجبه على الذين من قبلهم وعلى الثالث ان الله
سبحانه أوجب على هذه الامة الامسالة عن المفطرات كما أوجبه على الذين من قبلهم
(لعلكم تتقون) المراد بالتقوى المحافظة عليها وقيل تتقون المعاصى بسبب هذه العبادة
لانها تنكسر الشهوة وتضعف دواعى المعاصى كما ورد فى الحديث أنه جنة وأنه وجاء
(أيا ما معدودات) أى معينات بعدد معلوم ومقدرات ويحتمل أن يكون فى هذا الجمع
لكونه من جوع القلة إشارة الى تقليل الايام أى قليلات يعنى أقل من أربعين وقيل
انه كان فى ابتداء الاسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا وصوم عاشوراء ثم نسخ
ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبله ثم
الصوم وقيل ان المراد أيام شهر رمضان وعلى هذا فتكون الآية غير منسوخة وأخرج
البخارى فى تاريخه والطبرانى عن دغفل بن حنظلة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال كان على النصارى صوم شهر رمضان ففرض ملكهم فقالوا لئن شفاء الله ليزيدن
عشر اثم كان آخر فافوجع فوه فقال لئن شفاء الله ليزيدن سبعة ثم كان عليهم ملك
آخر فقال مانع من هذه الثلاثة الايام شيئا نتهوا فجعل صومنا فى الربيع ففعل فصارت
خمسين يوما وأخرج البخارى ومسلم عن عائشة قالت كان عاشوراء يصام فلما أنزل
رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر (فن كان) حين حضوره ووجود الشخص فيه
(منكم مريضا) ولو فى أثناء اليوم بخلاف السفر فلا يبيح له الفطر اذا طرأ فى أثناء اليوم
وهذا سر التعبير بعلى فى السفر دون المرض قيل للمريض حالتان ان كان لا يطيق الصوم
كان الافطار عزيمة وان كان يطيقه مع تضرر ومشقة كان رخصة وهذا قال الجمهور
(أو على سفر) أى مستعيا على السفر ومتكاثره بان كان متلبسا به وقت طلوع الفجر

انما نحن فتنه فلا تكفرو فيعلمون منهم ما يفرقون به بين المؤمن وزوجه اخلف الناس فى هذا المقام فذهب
بعضهم الى أن مانافية أعنى التى فى قوله وما أنزل على الملكين قال القرطبي مانافية ومعطوف على قوله وما كفر سليمان ثم قال
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين وذلك ان اليهود كانوا يزعمون انه نزل به جبريل وميكائيل
فاكذبهم الله وجعل قوله هاروت وماروت بدلا من الشياطين قال وصح ذلك اما لان الجمع يطلق على الاثنين كفى قوله تعالى فان كان
له اخوة أول كونهم الهما اتباع أو ذكرامن بينهم لتمردهما تقدير (٣) الكلام عنده يعلمون الناس السحر يابل هاروت وماروت ثم

(٣) قوله تقدير الكلام الخ كذا فى النسخ التى بايدينا ولا يخفى انه لا يتم التقدير الابد كالمبدل منه على اعرابه وهو قوله ولكن
الشياطين وانه سقط من الناس خير اه معجحه

قال وهذا أولى ما حلت عليه الآية وأصح ولا يلتفت إلى ما سواه وروى ابن جرير بإسناده عن طريق العوفي عن ابن عباس في قوله وما أنزل على الملكين ببابل الآية يقول لم ينزل الله السحر وبإسناده عن الربيع بن أنس في قوله وما أنزل على الملكين قال ما أنزل الله عليهم السحر قال ابن جرير فتأويل الآية على هذا وأتبعوا ما تناولوا الشياطين على ملك سليمان من السحر وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذي معناه المقدم قال فان قال لنا قائل كيف (٢٣٥) وجهه تقديم ذلك قيل وجهه تقديمه ان يقال

واختلف أهل العلم في السفر المبيح للأفطار فقيل مسافة قصر الصلاة والخلاف في قدرها معروف وبه قال الجمهور وقال غيرهم بمقادير لا دليل عليها والحق ان ما صدق عليه مسمى السفر فهو الذي يباح عنده الفطر وهكذا ما صدق عليه مسمى المرض فهو الذي يباح عنده الفطر وقد وقع الاجماع على الفطر في سفر الطاعة واختلفوا في الأسفار المباحة والحق ان الزخعة ثابتة فيه وكذا اختلفوا في سفر المعصية (فعدة من أيام أخر) أي فعله عدة ما أفطر من أيام أخر يصومها بدله وأخر جمع أخرى تأنيث آخر ينفتح الخاء اوجع أخرى بمعنى آخر تأنيث آخر بكسر الخاء وفيه الوصف والعدل واختلف النحاة في كيفية العدل فيه على أقوال والعدة فعله من العدد وهو بمعنى المعدود أي فعله عدة أو فالحكم عدة أو قالوا يجب عدة من غير أيام مرضه وسفره واليه ذهب الظاهرية وبه قال أبو هريرة وليس في الآية ما يدل على وجوب التتابع في القضاء (وعلى الذين لا يطيقونه) لكبر أو مرض لا يرجي برؤه وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية هل هي محكمة أو منسوخة فقيل انها منسوخة وانما كانت رخصة عند ابتداء فرض الصيام لانه شق عليهم وكان من أطمع كل يوم مسكينا ترك الصوم وشو يطيقه ثم نسخ ذلك وهو قول الجمهور وروى عن بعض أهل العلم أنهم لم تنسخ وأنها رخصة للشيوخ والعجائز خاصة اذا كانوا لا يطيقون الصيام الاجمعة وهذا يناسب قراءة التشديد وهو يطوقونه أي يكافؤونه والناسخ لهذه الآية عند الجمهور وقوله تعالى فمن شه منكم الشهر فليصمه (فدية طعام مسكين) وقرئ مساكين والفدية الجزاء وهو القدر الذي يبذله الانسان بقى به نفسه من تقصير وقع منه في عبادة ونحوها وقد اختلفوا في مقدار الفدية فقيل كل يوم صاع من غير البر ونصف صاع منه وقبل مد فقط أي من غالب قوت البلد وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاء وسجود أي قدر ما يأكله في يومه وروى ان أنس ابن مالك ضعف عن الصوم عما قبل موته فصنع جفنة من ثريد ودعائلا من مسكينا فأطعمهم عن ابن عباس بسند صحيح أنه قال لا تم ولله حامل أو مرضعة أنت بمنزلة الذين لا يطيقون الصوم عليك الطعام لا قضاء عليك عن ابن عمر أن احدي بناته أرسلت تسأله عن صوم رمضان وهي حامل قال تفطروا وتطعم كل يوم مسكينا وقد روى نحو هذا عن جماعة من التابعين (فمن تظوع خيرا فهو خير له) قال ابن شهاب معناه من أراد الاطعام مع

واسعوا ما تناولوا الشياطين على ملك سليمان من السحر وما كفر سليمان وما أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون معناه بالملكين جبريل وميكائيل عليهم السلام لان سحرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم ان الله أنزل السحر على اسنان جبريل وميكائيل الى سليمان بن داود فاكذبهم الله بذلك وأخبرني به محمد اصيل الله عليه وسلم ان جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر وبرأ سليمان عليه السلام مما فعلوه من السحر وأخبرهم ان السحر من عمل الشياطين وانها تعلم الناس ذلك ببابل وان الذين يعلمونهم ذلك رجال ان اسم احدهما هاروت واسم الآخر ماروت فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجحة عن الناس وردا عليهم هذا اللفظ بحرفه وقد قال ابن أبي حاتم حدثت عن عبيد الله ابن موسى اخبرنا فضيل بن مرزوق عن عطية وما أنزل على الملكين قال ما أنزل الله على جبريل وميكائيل السحر قال ابن أبي

حاتم واخبرنا الفضل بن شاذان اخبرنا محمد بن عيسى اخبرنا يعلى يعني ابن اسد اخبرنا بكر يعني ابن مصعب اخبرنا الحسن بن أبي جعفر أن عبد الرحمن بن أبيزى كان يقرأها وما أنزل على الملكين داود وسليمان وقال أبو العالمة لم ينزل عليهم السحر يقول علما الايمان والكفر فالسحر من الكفر فهما ينهايان عنه أشد النهي رواه ابن أبي حاتم ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول وان ما معنى الذي وأطال القول في ذلك وادعى ان هاروت وماروت ملكان أنزلهم الله الى الارض وأذن لهما في تعليم السحر اختبارا لعباده واتحانا بعد أن بين لعباده ان ذلك مما ينهاي عنى عنه على السنة الرسل وادعى ان هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك لانهما

امثلا ما أمر به وهذا الذي سلكه عزيز جدا وأغرب من نفسه قول من زعم ان هاروت وماروت قبيلان من الجن كما زعم ابن حزم وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن الضحاك بن حماد أنه كان يقرؤها وما أنزل على المسكين ويقول هما عجلان من أهل بابل ووجه أحبب هذا القول أنزال بمعنى الخلق لا بمعنى الإيحاء في قوله تعالى وما أنزل على المسكين كما قال تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد وينزل لكم من السماء رزقا وفي الحديث ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء وكما يقال أنزل الله الخير والشر وحكى القرطبي عن ابن عباس (٢٣٦) وابن أبي عمير والحسن البصري أنهم قرؤوا وما أنزل على المسكين بكسر

الصوم وقال مجاهد معناه من زاد في الأ طعام على المد وقيل من أظم مع المسكين مسكينا آخر (وأن تصوموا) أي ان صيامكم (خير لكم) أيها المطيقون من الإفطار مع الفدية وكان هذا قبل النسخ وقيل معناه وأن تصوموا في السفر والمرض وغير الشاق وقيل هو خطاب مع الكافة لان القط عام فرجوعه الى الكل أولى وهو الأصح وقد ورد في فضل الصوم أحاديث كثيرة جدا (أن كنتم تعلمون) أن الصوم خير لكم وقيل المعنى اذا صمت علمتم ما في الصوم من المعاني المورثة للخير والتقوى ولا رخصة لاحد من المكافئين في افطار رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة أحدها السفر والمرض والحيض والنفاس وأهلها اذا أفطروا فعليهم القضاء دون الفدية والثاني الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما أفطرتا وعليهما القضاء والفدية وبه قال الشافعي وذهب أهل الرأي الى انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجز والكبرية والمرضى الذي لا يرجى برؤه فعليهم الفدية دون القضاء (شهر) أي ذلكم شهر أو كتب عليكم الصيام صيام شهر وقرئ بالنصب أي صوموا شهر ولا هل اللغة فيه قولان أشهرهما أنه اسم لمدة الزمان الذي يكون مبدؤه الهلال ظاهرا الى ان يستتر سمي بذلك شهرته في حاجة الناس اليه من المعاملات والثاني ما قاله الزجاج انه اسم للهلال نفسه و(رمضان) علم لهذا الشهر الخصوص وهو علم جنس مركب تركيبا اضافيا وكذا باقي اسماء الشهور وهو ممنوع من الصرف للعلمية والزيادة وهو ما خوذ من رمضان الصائم يرمض اذا احترق جوفه من شدة العطش والرمضاء ممدود أشد الحر ومنه الحديث الثابت في الصحيح صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال أي أحرقت الرمضاء أجوافها قال الجوهرى وشهر رمضان يجمع على رمضانات ورمضاء يقال انهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام الحرف سمي بذلك، وقيل انما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب أي يمحرقها بالاعمال الصالحة وقال الماوردي ان اسمه في الجاهلية ناتق وانما سموه بذلك لأنه كان ينتقم لشدة حره عليهم وقد حققنا ذلك في كتابنا القلعة العجلان مما تنس الى معرفته حاجة الانسان فليرجع اليه وقد أخرج أبو حاتم وأبو الشيخ وابن عسدي والبيهقي في سننه عن أبي هريرة مرفوعا وموقوفا لا تقولوا رمضان فان رمضان اسم من أسماء الله تعالى ولاكن قولوا شهر رمضان وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من صام رمضان

اللام قال ابن أبي عمير وهما داود وسليمان قال القرطبي فعلى هذا تكون مانافية أيضا وذهب آخرون الى الوقت على قوله يعلمون الناس السحر ومانافية قال ابن جرير حدثني يونس اخبرنا ابن وهب اخبرنا الليث عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد وسأله رجل عن قول الله يعلمون الناس السحر وما أنزل على المسكين بيابيل هاروت وماروت فقال الرجلان يعلمان الناس ما أنزل عليهم ما ويعلمان الناس ما لم ينزل عليهم خاف فقال القاسم ما أبالي أيتهما كانت ثم روى عن يونس عن أنس بن عياض عن بعض أصحابه ان القاسم قال في هذه القصة لا أبالي أي ذلك كان اني آمنت به وذهب كثير من السلف الى انهما كانا ملكين من السماء وانهما أنزل الى الارض فكان من أمرهما ما كان وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه الامام أحمد في مسنده رجه الله كما سنورده ان شاء الله وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا وبين ما ورد من الدلائل على عصمة الملائكة ان هذين سبق في

علم الله لهما هذا فيكون تخصصهما فلا تعارض حينئذ كما سبق في علمه من أمر ابليس ما سبق وفي قول ايماناً انه كان من الملائكة لقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابي الى غير ذلك من الايات الدالة على ذلك مع ان شأن هاروت وماروت على ما ذكر أخف مما وقع من ابليس لعنه الله تعالى وقد حكاه القرطبي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وكعب الاحبار والسدي والكلبي* (ذكر الحديث الوارد في ذلك ان صححه سنداه ورفعناه وبيان الكلام عليه)* قال الامام أحمد بن حنبل رجه الله تعالى في مسنده أخبرنا يحيى بن بكير حدثنا زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع عن عبد الله بن

عمر رضي الله عنهما انه سمع نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان آدم عليه السلام لما أهبطه الله الى الارض قالت الملائكة أي رب
 أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني
 آدم قال الله تعالى للملائكة هلموا لمكين من الملائكة حتى نهبطهما الى الارض فنتظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت
 فاهبطا الى الارض ومثلتهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فاسالاها فتنسها فقالت لا والله حتى تكلم به هذه الكلمة
 من الاشرار فقالوا والله لا نشرك بالله شيأ أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي (٢٣٧) • تحمله فسالها فتنسها فقالت لا والله
 حتى تقتلها هذا الصبي فقال لا والله

لا تقتلها أبدا فذهبت ثم رجعت
 بقدر خسر تحمله فسالها فتنسها
 فقالت لا والله حتى تشرب هذا الخمر
 فشر باسكرا فوقع عليها وقتلا
 الصبي فلما أفاقا قالت المرأة والله
 ما تركت شيأ أبنتها على الاقد
 فعلمت ما حين سكرت ما تخبر ابن
 عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
 فاختار عذاب الدنيا وهكذا رواه
 أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن
 الحسن عن سفيان عن أبي بكر بن
 أبي شيبة عن يحيى بن بكير به وهذا
 حديث غريب من هذا الوجه
 ورواه كلهم ثقات من رجال
 الصحيحين الاموسى بن جبير هذا
 وهو الاصحارى السلي مولا لهم
 المديني الحذاء وروى عن ابن عباس
 وأبي امامة بن سهل بن حنيف ونافع
 وعبد الله بن كعب بن مالك
 وروى عنه ابنه عبد السلام وبكر
 ابن مضر وزهير بن محمد وسعيد بن
 سلمة وعبد الله بن لهيعة وعرو بن
 الحرث ويحيى بن أيوب وروى له
 أبو داود وابن ماجه وذكره ابن أبي
 حاتم في كتاب الجرح والتعديل ولم

ايما ناوا احتسابا بغفرله ما تقدم من ذنبه وثبت عنه انه قال من قام رمضان ايمانا واحتسابا
 غفرله ما تقدم من ذنبه وثبت عنه انه قال شهر اعيد لا ينقصان رمضان وذو الحجة وقال
 اذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وهذا كله في الصحيح وثبت عنه في أحاديث كثيرة
 غير هذه أنه كان يقول رمضان بدون ذكر الشهر وقد ورد في فضل رمضان أحاديث كثيرة
 (الذي أنزل فيه القرآن) أي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر قيل أنزل فيه من
 اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم كان ينزل به جبريل فجما فجما الى الارض وقيل أنزل في
 شأنه القرآن وهذه الآية أعظم من قوله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر وقوله انا أنزلناه في
 ليلة مباركة يعني ليلة القدر والقرآن اسم لكلام الله تعالى علم لما بين الدفتين وهو بمعنى
 المقروء كالمشروب يسمى شرابا والمكتوب يسمى كتابا وقيل هو مصدر قرأ يقرأ ومنه قوله
 تعالى وقرآن الفجر أي قراءة الفجر وعن الشافعي أنه قال القرآن اسم وليس بمهموز وليس
 هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا انه ليس مشتق
 وذهب الاكثر ون الى أنه مشتق من القرء وهو الجمع فسمى قرآنا لانه يجمع السور
 والآيات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال والآيات الدالة على
 وحدانية الله تعالى وقيل في معنى الآية الذي نزل بفرض صيامه القرآن كما تقول نزلت
 هذه الآية في الصلاة والزكاة ونحو ذلك روى هذا عن مجاهد والضحك وهو اختيار
 الحسن بن الفضل وأخرج أحمد وابن جرير ومحمد بن نصر وابن أبي حاتم والطبراني
 والبيهقي في الشعب عن واثله بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أنزلت
 صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزل الزبور لثماني عشرة خلت من رمضان وأنزل
 الله القرآن لاربعة وعشرين خلت من رمضان وأخرج أبو يعلى وابن مردويه عن
 جابر بن عبد الله لكنه قال وأنزل الزبور لاثني عشر وزاد وأنزل التوراة لست خلون من
 رمضان وأنزل الانجيل لثماني عشرة خلت من رمضان وعن ابن عباس قال انه أنزل
 في ليلة القدر وفي رمضان وفي ليلة مباركة جلة واحدة ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم
 رسلا في الشهور والايام وعنه قال نزل القرآن جلة لاربعة وعشرين من رمضان
 فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم ترتيبا وعنه انه قال ليلة القدر هي الليلة المباركة وهي في رمضان أنزل القرآن

يحك فيه شيأ من هذا ولا هذا فهو مستور الحال وقد تقدم عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
 وسلم وروى له متابع من وجه آخر عن نافع كما قال ابن مردويه حدثنا علي بن أحمد حدثنا هشام بن علي بن هشام حدثنا عبد الله
 ابن رباح حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا موسى بن سرجس عن نافع عن ابن عمر سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول فذكره بطوله
 وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنا القاسم أخبرنا الحسين وهو سيد بن داود صاحب النفسير أخبرنا الفرج بن فضالة عن
 معاوية بن صالح عن نافع قال سافرت مع ابن عمر فلما كان من آخر الليل قال يا نافع انظر طلعت الجراء قلت لا امرتين أو ثلاثا ثم قلت

قد طلعت قال لا مرحبا بها ولا أهلا قلت سبحان الله خيم مسخر سامع مطيع قال ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الملائكة قالت يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والنزوب قال اني ابتليتهم وخافيتكم قالوا فكيف كانهم ما عصيناك قال فاختاروا ملكين نسكهم قال فلم يأواجهم أن يختاروا فاختاروا شارورا وماروتا وهذا أنبأ عن ريان جدا وأقرب ما يكون في هذا أنفس رواه عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار عن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال عبد الرزاق في تفسيره (٤٣٨) عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار قال

بجلة واحدة من مكة الى البيت المعمور ثم نزل به جبريل فجاء في ثلاث وعشرين سنة
 (عندئذ التماس) أي عاديا اليهم من الضلال بالبحار (و بينات من الهدى) من عطف
 الخاص على العام اظهاوا الشرف المظوف بافراد بالذكريان القرآن يشمل محكمه
 ومتشابهه والبيانات تختص بالمحكم منه قيل الهمدى الاول في الاحكام الاعتقادية
 والهمدى الثاني في القربى فقيما ستغيران (والفرقان) هو ما فرق بين الحق والباطل أي
 فصل (عن شهد منكم الشهر) هذا من أنواع انجاز الغوى وهو اطلاق اسم الكفر على
 الجزأ طلى الشهر وهو اسم للكن وأراد جزأ منه وقد فسر على زابن عمران من شهد اول
 الشهر (فليصمه) جيعه والعنى ومن حضر ولم يكن في سفر بل كان مقيم فليصمه فيه قال
 جماعة من السلف واختلف ان من أدرك شهر رمضان مقيما غير مسافر لم يصمه سفر
 بعد ذلك أرا دام واستدلوا بهذه الآية وقال الجمهور انه اذا سافر ففطر لان معنى الآية
 انه حضر الشهر من أوله الى آخره لا اذا حضر بعضه وسافر فانه لا يصم عليه الا وهو
 ماحضر وهذا امر اخرج وعليه دليل الادلة الصحيحة من السنة وقد كان يخرج صلى الله
 عليه وآله وسلم في رمضان فيفطر وقيل حتى رؤية الهلال ولما قال النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته أخرجه الشيخان ولا خلاف انه يصوم
 رمضان من رأى الهلال ومن أخرجه ثم قيل يجوز فيه خبر الواحد قاله أبو ثور وقيل خبر
 الجمع قاله مالك (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) قد تقدم تفسيره وواف
 كرو لان الله تعالى ذكر في الآية الاولى تخصيص المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ
 بقوله عن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصصر على هذا الاحتمال ان يشغل النسخ الجمع
 فاعاد بعد ذكر النسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم أن الحكم فيه سابق على ما كان
 عليه وقد أطال بعضهم في بيان مسائل المرض والسفر في تفسير هذه الآية والامر ظاهر
 (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فلذلك أباح النطر للسفر والمرض وفيه ان
 هذا مقصود من مقاصد الرب سبحانه ومراعاة من مراد الله في جميع أمور الدين ومشارف قوله
 تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم يسرا ولا تعسرا وايسرا ولا شرا ولا تنفرا ولا حرجا في الصحيح واليسر السهل الذي لا عسر
 فيه عن ابن عباس قال اليسر الانظار في الضر والعسر الصوم في السفر (وانكبه حرا)

ذكرت الملائكة أعمال بني آدم وما ياتون من التزويب فقبل ليسم اختاروا منكم اثنين فاختاروا حاروت وماروت فقال له سألني أرسل الي بني آدم رسلا وليس بيني وبينكم رسول انزلا لا تشركاني شيئا ولا تزنيوا ولا تشربا النحر قال كعب فوالله ما أسيا من يومها الذي أخطب فيه حتى استكتمه لأجمع ما نهيا عنه رواه ابن جرير من طريقين عن عبد الرزاق به ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن عاصم عن موسى بن سفیان الثوري به ورواه ابن جرير أيضا حدثني المنفي أخبرنا المعلى وهو ابن أسد أخبرنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة حدثني سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن كعب الأجباز فذكره فيه أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر من الأسنادين المتقدمين وسألم أثبت في أيهم من مولاة نافع فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأجباز عن كتب بني إسرائيل والله أعلم (ذكر الأثر الزاردي في ذلك) وعن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين قال ابن جرير حدثني

المثنى حدثنا إخراج أخبرنا جاد عن خاله أخذ عن عمير بن سعيد قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول كانت
الزبداء امرأة جميلة من أهل فارس وإنما أحاطت إلى الملكين شاروت وماروت فراودا عن نفسها فبقيت عليها إلا أن يعلم أنها
الكلام الذي إذا تكلم به أحد يعرج به إلى السماء فتعلم أنها تكلمت به فعرجت إلى السماء فتسخت كوكبا وهذا الاستاذ درجة
ثمان وهو غريب جدا وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الفضل بن شاذان أخبرنا محمد بن عيسى أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا معاوية
عن أبي خازم عن عمير بن سعيد عن علي رضي الله عنه قال سمعنا مكان من ملائكة السماء يعني وما أنزل على المسلمين ورواه الشيخان

أبو بكر بن مردويه في تفسيره بسنده عن مغيب عن مولا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي مرفوعا وهذا لا يثبت من هذا الوجه ثم رواد من طريقين آخرين عن جابر عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الزهرة فأنها هي التي فتنت المسلمين هاروت وماروت وهذا أيضا لا يصح وهو منكر جده والله أعلم وقال ابن جرير حدثني المثنى بن إبراهيم أخبرنا الخياط بن منهال حدثنا جاد عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالوا جميعا لما كثر بنو آدم وعصوا دعت الملائكة عليهم والارض والجبال (٢٣٩) وبنا لا تملهم فأوحى الله إلى الملائكة أني

أزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم وأنزلت الشهوة والشيطان في قلوبهم ولو زلت لعلتم أيضا قال فحدثوا أنفسهم أن لو استلوا اعتصموا فأوحى الله إليهم أن اختاروا ملكين من أفضلكم فاختاروا هاروت وماروت فأهبطا إلى الارض وأنزلت الزهرة إليهما في صورة امرأة من أهل فارس يسمونها يندخت قال فوقعا بالخطيئة فكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فلما وقعا بالخطيئة استغفروا لمن في الارض ألا أن الله هو العفو الرحيم فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختار عذاب الدنيا وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي أخبرنا عبد الله يعني ابن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن يونس بن خباب عن مجاهد قال كنت نازلا على عبد الله بن عمر في سفر فلما كان ذات ليلة قال لعلامة انظر هل طلعت الجمر إلا من حبابها ولا أهلا ولا حياها الله هي صاحبة الملكين

العدة قال في الكشاف علة للأمر بعراة العدة عن الربيع قال عدة رمضان وقال الغمام عدة ما أفطر المريض في السفر وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال صوموا الرؤيته وأفطروا الرؤيته فان غم عليكم فاكلوا العدة ثلاثين يوما (ولتسكروا الله) علة لما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر والمراد بالتسكير هنا هو قول القائل الله أكبر قال الجهور ومعهما الحظ على التكبير في آخر رمضان وقد وقع الخلاف في وقته فروى عن بعض السلف أنهم كانوا يكبرون ليلة الفطر وقيل إذا رأوا أهلال شوال كبروا إلى انقضاء الخطبة وقيل إلى خروج الامام وقيل هو التكبير يوم الفطر قال مالك هومن حين يخرج من داره إلى أن يخرج الامام وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة يكبر في الاضحية ولا يكبر في الفطر عن ابن مسعود أنه كان يكبر الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد وعن ابن عباس انه كان يكبر الله أكبر كبير الله أكبر كبير الله أكبر وأجل والله الحمد الله أكبر على ما هدانا وعنه قال حق على الصائمين اذا نظروا إلى شهر شوال أن يكبروا لله حتى يفرغوا من عيدهم لان الله تعالى يقول ولتسكروا الله (على ما هداكم) أي أرشدكم إلى طاعته وإلى ما يرضى به عنكم قيل على هنا على بابهم من الاستعلاء كأنه قيل ولتسكروا الله حامدين على ما هداكم قاله الزمخشري الثاني انه بمعنى لام العلة والاول أولى لان المجاز في الحرف ضعيف وما في ما هداكم مصدريه أي على هدايته اياكم أو موصولة بمعنى الذي وفيه بعد (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه وقد تقدم تفسيره وهو علة الترخيص والتيسير قاله في الكشاف وهذا نوع من ألفاظ لطيف المسالك لا يكاد يمتد إلى تبيينه الا لانتقاد من علماء البیان (وإذا سألك عبادي عني) يحتمل أن يكون السؤال عن القرب والبعد كما يدل عليه قوله (فأني قريب) ويحتمل أن يكون السؤال عن إجابة الدعاء كما يدل على ذلك قوله اجيب دعوة الداع ويحتمل ان السؤال عما هو أهم من ذلك وهذا هو الظاهر مع قطع النظر عن السبب الذي أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه من طريق الصلت بن حكيم عن رجل من الانصار عن أبيه عن جده قال جابر جمل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله أقرئ بر بنا فتناجي به أم بعبد فتناديه فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فترلت هذه الآية واخرج عبد الرزاق وابن جرير عن الحسن

قالت الملائكة يا رب كيف تدع عصاة بني آدم وهم يسفكون الدم ويتهكمون محارمك ويفسدون في الارض قال اني ابتليهم فاعل ان ابتليتكم بمثل الذي ابتليتهم به فعلتم كالذي يفعلون قالوا لا قال فاختاروا من خياركم اثنين فاختاروا هاروت وماروت فقال لهما اني مهبطكم إلى الارض وعاهد السكبان لا تشركا ولا تزيوا ولا تخونا فأهبطا إلى الارض وألقى عليهما الشهوة وأهبطت لهما الزهرة في أحسن صورة امرأة فتعرضت لهما فإوداها عن نفسها فقالت اني على دين لا يصلح لأحد ان يأتيي الا من كان على مثله قالوا ما دينك قالت المجوسية قالوا الشرك هذا شي لا تقرب به فكثرت عنهما ما شاء الله تعالى ثم تعرضت لهما

فراوداه عن نفسه ان قالت عاشت ما غير ان لي زوجا وانا كره ان يطالع علي هذا مني فاقضح فان اقررني الى ديني وشرطت الى ان
تصعدني الى السماء فقلت فاقتر الهاندينها واتيها فميربان ثم صعدا بها الى السماء فلما انتهيا بها الى السماء اختطفت منهما
وقطعت أجنحتهم فافترقا فخانقين ناديين يكران وفي الارض نبي يدعو بين الجمعتين فاذا كان يوم الجمعة أجيب فقال الاول اني اقلنا
فسألناه فطلب لنا التوبة فاتياد فقال رجك الله كيف يطلب التوبة أدخل الارض لاهل السماء قال ان انا قد ابتلينا قال اني اني يوم
الجمعة فاتياد فقال سأ أجبت فيكم بشي (٢٤٠) اني اني في الجمعة الثانية فاتياد فقال اختار ا فقد خيرت ان اخترت ما معافاة

قال سال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أين ربنا فأنزل الله هذا الآية وأخرج
ابن مردويه عن انس انه قال أعزاني النبي صلى الله عليه وآله وسلم أين ربنا فأنزلت
وعن ابن عباس قال قال لهم والمدينة يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كيف يسمع ربنا
دعاءنا وانت ترعهم أن يسموا بين السماء وخمسائة عام وان غلط كل سماء مثل ذلك فترأت
هذه الآية وقيل انهم سأله في اي ساعة تدعور ربنا فأنزلت والقرب قيل بالاجابة وقيل
بالعلم وقيل بالانعام وقال في الكشف انه تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة
انجابته حاجته من سألته عن قرب مكانه فاذا دعى اسرعت تلييته قيل والقرب استعارة بعبية
تمثيلية والافه ومتمتع عن القرب الحسي لتعاليه عن المكان ونظيره ونحن اقرب اليه من
جبل الوريد قاله الكرخي والحق ان القرب من الصفات تؤمن به وغره على ما جاء
ولا تؤول ولا تعطى وعن ابي موسى الاشعري قال لما غر رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم خيبر أو قال توجه الى خيبر أشرف الناس على وادفروا أصواتهم بالكبير الله
اكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ايها الناس اربعوا على
انفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غايبا انكم تدعون سمعا بصيرا قريبا وهو معكم
اخرجه البخاري ومسلم ومعنى اربعوا ارفعوا بها وقيل أمسكوا عن الجهر فانه قريب
يسمع دعاءكم (اجيب دعوة الداع اذا دعان) معنى الاجابة هو معنى ما في قوله تعالى ادعوني
استجب لكم وقيل معناه اقبل عبادة من عبدني بالدعاء لما ثبت عنه صلى الله عليه وآله
وسلم من ان الدعاء هو العبادة كما اخرجه ابوداود وغيره من حديث النعمان بن بشير
والطاهر ان الاجابة هنا هي باقية على معناها اللغوي وكون الدعاء من العبادة لا يستلزم ان
الاجابة هي القبول للدعاء أي جعله عبادة متقبلة قال الاجابة امر آخر غير قبول هذه العبادة
والمراد أن الله سبحانه يحب ما شاء وكيف شاء فقد يحصل المطالب قريبا وقد يحصل
بعيد او تدفع عن الداعي من البلاء ما لا يعلمه بسبب دعائه وهذا مقيد بعدم اعتدائه
الداعي في دعائه كما في قوله سبحانه ادعوا ربكم تضرع وخفية انه لا يحب المعتدين ومن
الاعتداء أن يطلب ما لا يستحقه ولا يصلح له كن يطلب منزلة في الجنة مساوية لمنزلة الانبياء
أو فوقها وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال ما من مسلم يدعوا الله بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها إحدى ثلاث

الدنيا وعذاب الآخرة وان أحببتا
فعذاب الدنيا وانما يوم القيامة
على حكم الله فقال أحدهما ان الدنيا
لم ينض منها الا القليل وقال
الآخر ويحك اني قد أطعنت في
الامر الاول فاطعني الا ان عذابا
يفنى ليس كعذاب يبق فقال اتنا
يوم القيامة على حكم الله فآخاف
ان يعذبنا قال لا اني أرجو ان علم
الله ان انا قد اخترت عذاب الدنيا مخافة
عذاب الآخرة ان لا يجتمعها
علينا قال فاخترنا عذاب الدنيا
لخفة الا في بكرات من خدي في قلب
مملوءة من نار عالمها سافلها وهذا
اسناد جيد الى عبد الله بن عمر
وقد تقدم في رواية ابن جرير من
حديث معاوية بن صالح عن نافع
عنه رفعه وهذا أثبت وأصح اسنادا
ثم هو والله أعلم من رواية ابن عمر
عن كعب كما تقدم بيانه من رواية
سالم عن أبيه وقوله ان الزهرة
نزلت في صورة امرأة حسنة وكذا
في الماروي عن علي فيه غرابة جدا
واقرب ما ورد في ذلك ما قال ابن
أبي حاتم أخبرنا عن عاصم بن رواد
أخبرنا آدم أخبرنا أبو جعفر حدثنا

الربيع بن أنس عن قيس بن عباد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما وقع الناس من بعد آدم عليه السلام
فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله قالت الملائكة في السماء يارب هذا العالم الذي انا خلقته لم لعبادتك وطاعتك قد وقعوا
قيما وقعوا فيه وركبوا الكفر وقتل النفس وأكل المال الحرام والزنا والسرقة وشرب الخمر فجمعوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم
فقيل انهم في غيب فلم يعذروهم فقيل لهم اختاروا من أفضلكم ملكين أمرهما وأنها ما فاختارا وهاروت وهامروت فاهبطا
الى الارض وجعل لهما شهوات بنى آدم وأمرهما الله ان يعبداه ولا يشركا به شيئا ونهي عن قتل النفس الحرام وأكل المال الحرام

وعن الزنا والسرقة وشرب الخمر فلبث في الارض زمانا يحكم بين الناس بالحق وذلك في زمن ادريس عليه السلام وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب وانهما أتيا عليهما بالخضعا لها في القول وأراداها على نفسها فأبى الا ان يكونا على أمرها وعلى دينها فأخبرت لهما صانفا قالت هذا أعمده فقالا لا حاجة لنا في عبادة هذا فذبا فعبرا ماشاء الله ثم أتيا عليهما فأراداها على نفسها ففعلت مثل ذلك فذبا ثم أتيا عليهما فأراداها على نفسها فلما رأتا انهن ما قد أبيا أن يعبدا الصنم قات لهما اختارا أحدا للخلال الثلاث اما أن تعبدا هذا الصنم (٢٤١) واما أن تقتلانه هذه النفس واما أن تشربا هذا

الخمر فقالا كل هذا لا ينبغي وأعون هذا شرب الخمر فشربا بالخمر فأخذت فيهما فواقعا المرأة فخشيا ان يخبر الانسان عنهما فقتلاه فلما ذهب عنهما السكر وعلما ما وقعافيه من الخطيئة أرادا أن يصعدا الى السماء فلم يستطيعا وحيل بينهما ما وبين ذلك وكشف الغطاء فيما بينهما وبين أهل السماء فنظرت الملائكة الى ما وقعافيه فحبوا كل العجب وعرفوا الله من كان في غيب فهو أقل خشية ففعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الارض فنزل في ذلك والملائكة يسبحون بحمدهم ويستغفرون لمن في الارض فقبل لهما اختارا عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فقالا أما عذاب الدنيا فانه ينقطع ويذهب وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له فاختارا عذاب الدنيا فجعلوا لهما ما بينهما يعذبان وقد رواه الخاصكم في مستدركه مطولا عن أبي زكريا العنبري عن محمد بن عبد السلام عن اسحق بن راھويه عن حكام ابن سالم الرازي وكان ثقة عن أبي جعفر الرازي به ثم قال صحيح الاسناد

خصال اما أن يجعل له دعوة واما أن يدخر له في الآخرة واما أن يصرف عنه من سوء مثلها وثبت في الصحيح أيضا من حديث أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي (فليستجيبوا لي) أي كما أجبتهم اذا دعوني فليستجيبوا لي فيما دعوتهم اليه من الايمان والطاعات وقيل معناه انهم يطلبون اجابة الله سبحانه لدعائهم باستجابتهم له أي القيام بما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه وقال مجاهد أي فليطيعوني والاجابة في اللغة الطاعة من العبد والاثابة والعطاء من الله (وليؤمنوا لي) اللام فيه لامر كما فيما قبله أي وليدوموا على الايمان (لعلهم يرشدون) أي يهتدون قاله الربيع بن أنس والرشد خلاف الخي قال الهروي الرشد والرشدو الرشد الهدى والاستقامة ومنه هذه الآية وقد ورد في فضل الدعاء وآدابه أحاديث كثيرة ذكرها أهل التفسير وهي في الصحاح والسنن لا تطول بذكرها (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) فيه دلالة على ان هذا الذي أحله الله كان حراما عليهم وهكذا كان كما يفيد السبب لنزول الآية فقد أخرج البخاري وأبو داود والنسائي وغيرهم عن البراء بن عازب قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان الرجل صائما ففطر افطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري كان صائما فكان يومه ذلك يعمل في أرضه فلما حضر الافطار أتى امرأته فقال هل عندكم طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب ذلك فغابته عنه فنام وجاءت امرأته فلما رآته نائما قالت خيبة لك أمت فلما انصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت هذه الآية الى قوله من الفجر ففرحوا بها فرحاشديدا والرفث كناية عن الجماع وعن ابن عباس قال الدخول والتغشى والافضاء والمباشرة والرفث واللمس واللمس ههنا الجماع غير أن الله حتى كريم يكنى بما شاء عما شاء قال الزجاج الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من امرأته وكذا قال الازهري وقيل الرفث أصله قول للفحش رفث وأرفت اذا تكلم بالقبيح وليس هو المراد هنا وعدى الرفث بالي لتضمينه معنى الافضاء (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) نعليل لما قبله وجعل النساء لباسا للرجال والرجال لباسا لهن لا متزاج كل واحد منهما بالآخر عند الجماع كالامتزاج الذي يكون بين الثوب واللبسه قال أبو عبيدة وغيره

(٣١ ل - فتح البيان) ولم يخرجاه فهذا أقرب ما روي في شأن الزهرة والله أعلم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا مسلم أخبرنا القاسم بن الفضل الحذائي أخبرنا يزيد يعني الفارسي عن ابن عباس ان أهل السماء الدنيا أشرفوا على أهل الارض فرأوهم يعملون بالمعاصي فقالوا يا رب أهل الارض كانوا يعملون بالمعاصي فقال الله أنتم معي وهم في غيب عني فقبل لهم سم اختاروا منكم ثلاثة فاختاروا منهم ثلاثة على أن يهبطوا الى الارض على أن يحكموا بين أهل الارض وجعل فيهم شهوة لا دميمين فامروا أن لا يشربوا خمر ولا يقتلوا نفسا ولا ينزوا ولا يسجدوا الوثن فاستقال منهم واحد فأقبل فأهبطا اثنان الى الارض فأتتهما امرأته من

أحسن الناس يقال لي ما نهى قيو ارجع اثم آتيا مني فاجتمعوا عند خافوا اذا فقلت ايما لاحتى ثمر اخري وقتلا ابن
جاري وتجد انوني فقال لا لا تجد ثم راي من نجر ثم قتل ثم مجدا فاشرق آذن السبع عليهم وقلت ايما اخبرني بالكلية التي
اذ انتم اضرما فأخبرها فطارون تحت جودتي هذه لوزعروا ما ههنا فأسرى اليهم سليمان بن داود فخيرها بين عذاب الدنيا
وعذاب الآخرة فأختر عذاب الدنيا فبقيا ما كان بين اسماء والارض وهذا السبوق فيه زيادة كثيرة واغراب وفكرت والله اعلم
بالصواب وقال عبد الرزق قال معسر (٢٤٢) قال قتادة ويزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن رزق قال قال قتادة

يدل المراد من وفريش وازار وقيل ان جعل كل واحد منهم ليس له حرفة
يسر دعه اجتمع عن أعين الناس وعن ابن عباس من مكن لكم وأنتم مكن لغيركم
قل لا يملك شيء أو شيء يكون أحسن من الزوجين والآخر وقتل في سبب تزول
هذه الآية أحديث عن جماعة من الصحابة فهو قاله لبراء (عم الله آتكم كنتم تحتلون
أنفسكم) أي تخونونها بالباشرة في ليلتي الصوم قال خذوا حذركم يعني وعسا من الخيانة
قال القتيبي أصل الخيانة أن يترقى الرجل على شيء فغير يترقى الامانة فيه انتهى وإنما
سألهم أن يترقى في أنفسهم لأن ضرر ذلك ما لا يعلم (قداب عليكم) يحتمل معنيين أحدهما
قبول التوبة من خيانتهم فانفسهم والآخر التحذير عنهم بالرخصة والاباحة كقوله
علم أن لن تحصد قداب عليكم يعني خذت عنكم وكفونهم فمن يجهل فصيام شهر من
متابعين توبة من الله يعني تحتينار هكذا قوله (وعفا عنكم) يحتمل المعفوس من الذنب
ويحتمل التوسعة والتسهيل (قالان) قال أبو البقاء الا ان حقيقة الوقت التي أتت فيه
وقد يقع على الماتى القريب منذ وعى المستقبل القريب تزيلا عن قرب منزلة الحاضر
وهو المراد هنا وقد تقدم الكلام على الا ان (ياشروهن) أي جمعوهن في جود نزل لكم
في ليلتي الصوم وسبب الجماعة مباشرة لما سبق بشره كل واحد بصاحبه قيل هذا
لاهر والثلاثة بعد ذلك باحتراقه دليل على جواز نسخ الكتاب بسنة (وابتغوا ما كتب
أنتم لكم) تا كليل قبله أو تأسيس والثاني أولى أي ابتغوا بما شرقة نتم حصول
ما هو معظم المصدور من النكاح وهو حصول التسلل والونه قيل فيه نهى عن التعلل
وقيل عن غير الماتى واستقدير ابتغوا الخلل الذي كتب الله لكم وقيل المراد ابتغوا
القرآن بما بيع لكم فيه قال الزوج وغيره وقيل ابتغوا الرخصة والتوسعة وقيل
ابتغوا ما كتب لكم من الاما والزوجات وقيل ابتغوا ليلة التدر وقيل غير ذلك مما
لا يفيد هذه النظم القرآني ولان عليه دليل آخر وقرأ أحسن البصري وابتغوا بعين
المصلحة من الانباع (وكذا واشر بواحق بينكم أخيط الأبيض من الخيط الاسود
من الفجر) هو تشبيه المنع والمراد هنا أخيط الأبيض هو المعترض في الأفق لا النسي هو
كذب السرحان فانه الفجر الكذاب الذي لا يحل شأ ولا يحرمه والمراد يا خيط الاسود
سواد الليل والبيان ان يتنازأ أحدهما عن الآخر وذلك لا يكون الا عند دخول وقت

هاروت وماروت كأنما ملكين من
الملائكة فاحبنا اليكم بين الناس
وذلك ان الملائكة مخر وامن حكمهم
بى آدم فخاكت انيها امر آتخافا
ليانم ذهابا بعد ان خيل بينهما
وبين ذلك ثم خيرا بين عذاب الدنيا
وعذاب الآخرة فأختر عذاب
الدنيا وقال معسر قال قتادة
فكنا يعلمان الناس السحر فأخذ
عليهما أن لا يعلمان أحدا حتى
يقولا انما نحن قسنة فلا تكفر
وقال أسباط عن السدي له قال
كل من أمر هاروت وماروت انهما
طعنا على أهل الارض في أحكامهم
فقبل لهما انى أعطيت بى آدم
عشر من الشهوات فيها يصوتني
قال هاروت وماروت ربنا لو
أعطيتنا تلك الشهوات ثم نزلنا
لحكمنا بالعدل فقال لهما انزلنا فقد
أعطيتكما تلك الشهوات العشر
فاحكم بين الناس فترى ليا بيل ديناوند
فكنا يحكم حتى اذا أسما عرجا
فاذا أسجما هبطا فبى لا كذلك
حتى أنهما امر آتخاصم زوجيا
فأعجبهما حسنها واسمها بالعربية
الزهريرة وبالنبطية يمدحت

وبالفارسية آناهيد فقال أحدهما لصاحبه انهم العجبي قال الآخر قد أردت ان أذكرك فاستحييت منك الفجر
فقال الآخر هل لك ان أذكرها لنفسها فان نعم ولكن كيف لنا بعداب الله قال الآخر التزوج ورجة الله فلما جات فتخاصم
زوجيا ذكر اليها نفسها فقالت لاحتى تقص لي على زوجي فقص اليها على زوجيا ثم واعدتها تحبة من الخرب ديانها فيها فامياها
لذلك فلما أراد الذي يواقعها قالت ما أبا الذي أفعل حتى تخبرني بأى كلام تصعدان الى السماء وبأى كلام تنزلان منها فأخبرها
فبككت فصعدت فأنابها الله تعالى ما تنزل به فثبت مكانها وجعلها الله كوكبا فكان عبد الله بن عمر كلما راها لعنوا وقال ههنا

التي قتلت هاروت وماروت فلما كان الليل أراد ان يصعدا فلم يطيقا فعرفا الهلكة فغيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
فاختارا عذاب الدنيا فعلقا بابل وجعلوا يكلمان الناس كلامهما وهو السحر وقال ابن أبي شيبة عن مجاهد ما شأن هاروت
وماروت فان الملائكة عجبته من ظم بني آدم وقد جاءتهم الرسل والكتب والبينات فقال لهم ربهم تعالوا فاختاروا منكم ملكين
أنزلهم في الأرض فاختاروا فلم يألو هاروت وماروت فقال لهما حين أنزلهما أعجبتم من بني آدم من ظلمهم ومعصيتهم وانما
نأتىهم الرسل والكتب من وراء رءوا وانك ليس بيني وبينكما رسول فافعلوا (٢٤٣) كذا وكذا وكذا وكذا وكذا فامرهما

الفجر أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سهل بن سعد قال كان رجال اذا أرادوا الصوم
ربطوا أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين
لرؤيتهما فأنزل الله من الفجر فعملوا أنه يعني الليل من النهار وفي الصحيحين وغيرهما
عن عدي بن حاتم أنه جعل تحت وسادته خيطين أبيض وأسود جعل ينظر إليهما فلا يتبين
له الأبيض من الأسود فغدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فقال ان
وسادك أدن لعريض انما ذلك بياض النهار من سواد الليل وفي رواية في البخاري وغيره
انه قال له انك لعريض العقل وفي رواية عند ابن جرير وابن أبي حاتم انه فتح منه قبل من
الاولى لابتداء الغاية والثانية للبيان قاله السيوطي وقال الزخشري وغيره الثانية
للتبعض أي حال كون الخيط الأبيض بعضا من الفجر وفي تجويز المباشرة الى الصبح
دلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم من أصبح جنباً (ثم أعادوا الصيام الى الليل)
أمر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام عند أبي حنيفة وقال الشافعية انما ورد
هذا في بيان أحكام صوم الفرض ويدل على إباحة الفطر من النفل حديث عائشة في
مسلم وفيه أنه ذى لحاحيس قال آتني فلقاً أصبحت صائماً فأكل وقيل للوجوب في صوم
الفرض وللندب في صوم النفل وقيل للوجوب فيهما وفي الآية التصريح بأن للصوم
غاية هي الليل فعند إقبال الليل من المشرق وادبار النهار من المغرب يقطر الصائم ويحمله
الأكل والشرب وغيرهما (ولا تأشروهن) قيل المراد بالمباشرة هنا الجماع وقيل يشمل
التقبيل واللمس اذا كانا بشهوة لا اذا كانا بغير شهوة فهما جائزان كما قاله عطاء الشافعي
وابن المنذر وغيرهم وعلى هذا يحمل ما حكاه ابن عبد البر من الإجماع على أن المعتكف
لا يباشر ولا يقبل فتكون هذه الحكاية للإجماع مقيدة بأن يكون بشهوة (وأنتم
عاكفون في المساجد) الاعتكاف في اللغة الملازمة يقال عكف على الشيء اذا لازمه
ولما كان المعتكف يلزم المسجد قيل له عاكف في المسجد ومعتكف فيه لانه يجلس
نفسه لهذه العبادة في المسجد والاعتكاف في الشرع ملازمة طاعة مخصوصة على شرط
مخصوص وقد وقع الإجماع على أنه ليس بواجب وعلى أنه لا يكون الا في المسجد بين
سبحانه في هذه الآية أن الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى يخرج من
اعتكافه ولا اعتكاف أحكام مستوفاة في كتب الفقه وشروح الحديث وأقول ان قوله

بأمر وهما هما ثم نزل على ذلك
ليس أحد أطوع لله منهما حكماً
فعند لا فكانا يحكمان في النهار بين
بني آدم فاذا أمسبا عرجا فكانا مع
الملائكة وينزلان حين يصبحان
فيحكمان فبعدلان حتى أنزلت
عليهما الزهرة في أحسن صورة
امرأة تخاصم فقضيا عليها فلما
قامت وجد كل واحد منهما في نفسه
فقال أحدهما لصاحبه وجدت
مثل الذي وجدت قال نعم فبعنا
إليها ان اثنتا ناقض لك فبارجعت
قالا وقضيا لها فأتتهما فكشفا لهما
عن عورتيهما وانما كانت سواتهما
في أنفسهما ولم يكونا كبني آدم
في شهوة النساء ولداتها فلما بلغا
ذلك واستحالا افتتنا فطارت الزهرة
فرجعت حيث كانت فلما أمسبا
عرجا فجزعا فلم يؤذن لهما ولم
تحملهما أجنحتهما فاستغاثا
برجل من بني آدم فأتياه فقال ادع
لنار بك فقال كيف يشنع أهل
الأرض لأهل السماء قال اسمعنا
ربك يذكرنا بخير في السماء
فوعدهما يوماً وغدا يدعوا لهما
فدعا لهما فاستجاب له فغيرا بين

عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فنظر أحدهما الى صاحبه فقال ألا تعلم ان أفواج عذاب الله في الآخرة كذا وكذا في الخلد وفي
الدنيا تسع مرات مثلها فأمر أن ينزل بابل فثم عذابهم ما وزعم انهم ما علقان في الحديد مطويان يصفقان باجنحتهما وقد روى
في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كجهاذ والسدّي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والريعي بن أنس
ومقاتل بن حيان وغيرهم وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها الى أخبار بني
اسرائيل اذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الاسناد الى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق

القرآن اجمال القصة من غير بسط ولا اطناب فيها فمن نؤمن بما ورد في القرآن على ما اراده الله تعالى والله أعلم بحقيقته الحاصل وقد ورد في ذلك أثر غريب وسياق عجيب في ذلك أحينا أن ننبه عليه قال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى أخبرنا الربيع ابن سليمان أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت قدمت على امرأته من أهل دومة الجندل جاءت بتبختري رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حديثه ذلك تسأل عن أشياء دخلت فيه من أمر السحر (٢٤٤) ولم تعمل به وقالت عائشة رضي الله عنها عروة يا ابن أخي فرأيت ما تبكي حين

لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفها فكانت تكي حتى أتى لارجها وتقول اني أخاف ان أكون قد هلكت كان لي زوج فغاب عني فدخلت على عجز فشكلت ذلك اليها فقالت ان فعلت ما أمرك به فاجعله يأتيك فلما كان الليل جاءني بكليين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن شيء حتى وقفنا بابل وإذا برجلين معلقين بارجلهما فقالا ما جاء بك قلت تعلم السحر فقالا نعم نحن قسمة فلا تكفري فارجمي فأبيت وقلت لا قال فاذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت ففزعتم ولم أفعل فرجعت اليهما فقالا أفعلت فقلت نعم فقالا هل رأيت شيئا فقلت لم أر شيئا فقالا لم تفعل ارجعي الى بلادك ولا تكفري فأريت وأيت فقالا اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت فافشعرت وخفت ثم رجعت اليهما وقالت قد فعلت فقالا رأيت فقلت لم أر شيئا فقالا كذبت لم تفعل ارجعي الى بلادك ولا تكفري فانك على رأس أمرك فأريت وأيت فقالا

اذهي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت اليه فبليت فيه فرأيت فارسا مقبعا بجديد خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه وجاب حتى ما أراه فبليت مقبعا فقلت فقالا رأيت فارسا مقبعا خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه فقلت ذلك ايمانك خرج منك اذهبي فقلت للمرأة والله ما أعلم شيئا وما قال لي شيئا فقالت بلى لم تريد شيئا الا كان خذي هذا القمح فابذري فبذرت وقلت اطلعي فاطلع وقلت احفلي فاحفلت ثم قلت افركي فافركت ثم قلت ايسبي فايستبت ثم قلت اطعني فاطعنت ثم قلت اخبري فاخبرت فلما رأيت اني لا اريد شيئا الا كان سقط في يدي ونذمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئا ولا أفعل ابدا

تعالى ولا تبشروهن وأنتم عاكفون في المساجد جعله انشائية تنهيبة مسوقة لتحرير مباشرة النساء في حال الاعتكاف في المساجد فتقوله في المساجد متعلق بقوله عاكفون وليست لبيان النهي عن مباشرة النساء في المساجد من غير فرق بين المعتكف وغيره ولو كان كذلك لم تكن لقوله وأنتم عاكفون فائدة ثم هذا الاعتكاف المذكور في الآية قد ينهيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لامتة باعتكافه غير مرة هو وزوجاته وأصحابه بمحضه فكان صلى الله عليه وآله وسلم اذا أراد الاعتكاف أمر بجماعه فضرب في المسجد كما ثبت في الصحيحين وغيرهما أقام فيه لا يخرج منه الا الحاجة الانسان ويعود مسرعا لا يعود مريضاً ولا يشتغل بشيء كما ثبت في دواوين الاسلام فهذا هو الاعتكاف الشرعي الذي علمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن زعم أن المراد به مطلق اللبث ولو في غير المسجد نظر الى أصل معناه اللغوي فقد قدم الحقيقة اللغوية على الحقيقة الشرعية وهو خلاف ما تقرر في الاصول بل خلاف ما عليه أهل العلم سلفا وخلفا ولو كان الاعتكاف المشروع هو مجرد اللبث ولو في غير المسجد لكان اللبث في داره وفي سوقه وفي المصاطب ونحوها معتكفا اذا حصلت منه النية وحذا خلاف ما في القرآن الكريم وخلاف ما ثبت في آثارنا في السنة المطهرة وخلاف ما فهمه المسلمون من هذه العبادة بل خلاف ما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله كافي سنن سعيد بن منصور من حديث ابن مسعود قال لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا اعتكاف الا في المساجد الثلاثة أو قال الا في مسجد جامعة وأما ما فهمه بعض الناس من جواز الوطء للمعتكف في غير المسجد فبرده ما رواه أبو داود عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت السنة على المعتكف أن لا يعود مريضاً ولا يشهد جنازة ولا يعس امرأته ولا يباشرها ولا يخرج لحاجة الا لما لا بد منه ولا اعتكاف الا بصوم ولا اعتكاف الا في مسجد جامع وقد تقرر أن قول الصحابي من السنة أو السنة له حكم الرفع وهذا الحديث كما يدل على تحريم الوطء على المعتكف يدل على أنه لا اعتكاف الا في مسجد جامع فهو يرد عليه من جهتين وقد ذكر الشوكاني الكلام على هذا الحديث في شرحه على المستقى فليرجع اليه (تلك حدود الله فلا تقربوها) أي هذه الاحكام حدود الله وأصل الحد المنع ومنه سمي النواصب والسيحان حداداً وسميت الاوامر والنواهي حدود الله لانها تمنع

منع اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت اليه فبليت فيه فرأيت فارسا مقبعا بجديد خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه وجاب حتى ما أراه فبليت مقبعا فقلت فقالا رأيت فارسا مقبعا خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه فقلت ذلك ايمانك خرج منك اذهبي فقلت للمرأة والله ما أعلم شيئا وما قال لي شيئا فقالت بلى لم تريد شيئا الا كان خذي هذا القمح فابذري فبذرت وقلت اطلعي فاطلع وقلت احفلي فاحفلت ثم قلت افركي فافركت ثم قلت ايسبي فايستبت ثم قلت اطعني فاطعنت ثم قلت اخبري فاخبرت فلما رأيت اني لا اريد شيئا الا كان سقط في يدي ونذمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئا ولا أفعل ابدا

ورواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن سليمان به مطولا كما تقدم وزاد بعد قولها ولا افعله ابدا فسالت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حد الله وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يومئذ متوافرون فادروا ما يقولون لها واكلهم هاب وخاف ان يقتلها بما لا يعلمه الا انه قد قال لها ابن عباس أو بعض من كان عنده لو كان ابوالحسين او احدهما قال هشام فلو جاءتنا فقتلناها بالضممان قال ابن أبي الزناد وكان هشام يقول انهم كانوا من اهل الورع والخشية من الله ثم يقول هشام لو جاءتنا مثلها اليوم لوجدت نوكي أهل حق وتكاف بغير علم فهذا السناد جيد الى عائشة رضي الله عنها وقد استدل (٢٤٥) بهذا الاثر من ذهب الى ان الساحر

لقد تمكن في قلب الاعيان لان هذه المرأة بذرت واسمعت في الحال وقال آخرون بل ليس له قدرة الاعلى التخيل كما قال تعالى سيجروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وقال تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى واستدل به على ان بابل المذكورة في القرآن هي بابل العراق لا بابل ديناوند كما قاله السدي وغيره ثم الدليل على انها بابل العراق ما قال ابن أبي حاتم اخبرنا علي بن الحسين اخبرنا احمد بن صالح حدثني ابن وهب حدثني ابن لهيعة ويحيى بن أزهر عن عمار بن سعد المرادي عن أبي صالح الغفاري ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه مر ببابل وهو يسير فساء المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال ان حبيبي صلى الله عليه وسلم نهاني ان أصلي بأرض المقبرة ونهاني ان أصلي ببابل فانها ملعونة وقال ابو داود اخبرنا سليمان بن داود أخبرنا ابن وهب ويحيى بن أزهر عن عمار بن سعد المرادي عن أبي صالح الغفاري ان

تمنع أن يدخل فيها ما ليس منها وأن يخرج عنها ما هو منها ومن ذلك سميت الحدود حدودا لانها تمنع أصحابها من العود ومعنى النهي عن قربانها النهي عن تعديها بالخالفه لها وقيل ان حدود الله هي محارمه فقط ومنها المباشرة من المعتكف والافطار في رمضان لغير عذر وغير ذلك مما سبق النهي عنه ومعنى النهي عن قربانها على هذا واضح وقيل حدود الله فرائض الله وقيل المقادير التي قدرها ومنع من مخالفتها (كذلك بين الله آياته للناس لعلهم يتقون) أي كايين لكم هذه الحدود بين لكم معالم دينه وأحكام شريعته والعلامات الهادية الى الحق (ولانا كوا أموالكم بينكم بالباطل) هذا يعبر جميع الأمة بجميع الأموال لا يخرج عن ذلك الا ما ورد دليل الشرع بأنه يجوز أخذه فانه مأخوذ بالحق لا بالباطل وما كقول بالحل لا بالاثم وان كان صاحبه كارها كقضاء الدين اذا امتنع منه من هو عليه وتسلم ما وجبه الله من الزكاة ونحوها ونفقة من أوجب الشرع نفقته والحاصل أن ما لم يبح الشرع أخذه من مال الكفة فهو ما كقول بالباطل وان طابت به نفس مال الكفة ككبر البغي وحلوان الكاهن وخن الخمر والملاهي وأجرة المغنى والقسار والرشوة في الحكم وشهادة الزور والخيانة في الوديعة والامانة والا كل بطريق التعدي والنهب والغصب والباطل في اللغة الذهاب الرائل والمعنى بالسبب الباطل أو مبطلين أو متلبسين بالباطل عن ابن عباس قال هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال ويخاصم الى الحكم وهو يعرف أن الحق عليه وقال مجاهد معناها لا تخاصم وأنت تعلم أنك ظالم (وتدلوها الى الحكم) مجزوم عطف على تأكلوا فهو من جملة المنهي عنه أي لا تلقوا أمور تلك الأموال التي فيها الحكومة الى الحكم يقال أدلى الرجل بحجته أو بالأمر الذي يرجو النجاح به تشبيها بالذي يرسل الدلو في البئر يقال أدلى دلوه أرسلها والمعنى أنكم لا تجمعوا بين كل الأموال بالباطل وبين الأدلاء بها الى الحكم بالحلج الباطلة والمعنى لا تسرعوا بالخصومة في الأموال الى الحكم ليعينوكم على ابطال حق أو تحقيق باطل وأما الاسراع بها لتحقيق الحق فليس مذموما وفي هذه الآية دليل أن حكم الحاكم لا يخلل الحرام ولا يجرم الحلال من غير فرق بين الأموال والفروع فمن حكم له القاضي بشئ مستند الى حكمه الى شهادة زور أو بين فاجرة فلا يحل له أكله فان ذلك من أكل أموال الناس بالباطل وهكذا اذا أرشى الحاكم فحكم له بغير الحق فانه من أكل أموال

عليها مر ببابل وهو يسير فساء المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال ان حبيبي صلى الله عليه وسلم نهاني ان أصلي بأرض المقبرة ونهاني ان أصلي ببابل فانها ملعونة حدثنا ابن وهب اخبرني يحيى بن أزهر وابن لهيعة عن حجاج بن شداد عن أبي صالح الغفاري عن علي بن عيسى حديث سليمان بن داود قال فلما خرج منها برز وهذا الحديث حسن عند الامام أبي داود لانه رواه وسكت عليه فقيه من الفقه كراهية الصلاة بأرض بابل كما تكبره بديار ثمود الذين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدخول الى منازلهم الا ان يكونوا باكين قال أصحاب الهيئة وبعد ما بين بابل وهي من اقليم

العراق عن البحر المحيط الغربي ويقال له اوقناوس سبعون درجة ويسمون هذا طولا واما عرضها وشويعها مائة وربع وسبع
الارض من ناحية الجنوب وهو المسامت خط الاستواء اثنان وثلاثون درجة والله اعلم وقوله تعالى وما يعلم من احسن
يقول انما نحن قسمة فلا تكفر قال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن قيس بن عباد عن ابن عباس قال فاذا انا هم الا في
يريد البحر نهياه اشد التهي وقال له انما نحن قسمة فلا تكفر وذلك انهم باعوا الخير والشر والكفر والايمان فعدوا ان السحرون
الكفر قال فاذا اني علمت امر امان ياتي (٢٤٦) مكان كذا وكذا فاذا انا هم ايمان الشيطان فعدوا انما خرج من

النور فنظر اليه ساطعا في السماء
فيقول يا حسرتا ما يولي له ماذا صنع
وعن الحسن البصري انه قال
في تفسير هذه الآية نعم انزل الملكات
بالسحر ليعلم الناس البلاء الذي
اراد الله ان ينزل به الناس فاخذ
عليهما المشاق ان لا يعلم احدا حتى
يقولا انما نحن قسمة فلا تكفر
رواه ابن ابي حاتم وقال قتادة كان
اخذ عليهما ان لا يعلم احدا حتى
يقولا انما نحن قسمة أي بلاء ابتلىنا
به فلا تكفر وقال السدي اذا
اناخذنا انسان يريد السحر وعظه
وقال له لا تكفر انما نحن قسمة فاذا
أي قال له انت هذا الرماة فدل عليه
فاذا بال عليه خرج منه نور فسطع
حتى يدخل السماء وذلك الايمان
واقبل شي أسود كهيئة الدخان حتى
يدخل في سامعه وكل شي وذيئ
غضب الله فاذا أخبر بها بذلك
علماء السحر فذلك قول الله تعالى
وما يعلمان من احدا حتى يقولوا انما
نحن قسمة فلا تكفر الآية وقال
سند عن ججاج عن ابن جريج في
هذه الآية لا يجترئ على السحر
الا كافر وأما القسمة فيمى الخسة

الناس بالباطل ولا خلاف بين أهل العلم ان حكم الحاكم لا يحل الا حرام ولا يحرم الا حلال
وقد روى عن أبي حنيفة ما يخالف ذلك وهو مردود بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى
الله عليه وآله وسلم كفي حديث أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
انكم تختصمون الي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحججه من بعض فاقضى له على نحو
ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شي فلا يأخذه فانما اقطع له قطعتين من النار وروى
الحسين وغيرهما وقيل معناه لا تأكلوا المال بالباطل وتشتبهوا الى الحكم والاول
أولى وكان شرح القاضي يقول اني لا قضى لك واني لا اظنك ظالما ولكن لا يسعي الا ان
أقضى بما يحضرني من اليمة وان قضائي لا يحل لك حراما (لما كوا فترقان أموال
الناس بالاثم) أي قطعة أو جزأ أو طائفة فغير بالفرق عن ذلك وأصل الفرق ان تقطع
الغنم تشد عن معظمها وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير لئلا كوا أموال فرق من
الناس بالاثم وسمي الظلم والعسوان اثما باعتبار تعلقه بفعاذه قال ابن عباس أي بالتميز
الكاذبة وقيل بشهادة الزور (وأنتم تعلمون) أي حال كونكم عالمين بكم على الباطل
أو أن ذلك باطل ليس من الحق في شي وهذا أشد لعقابهم وأعظم بحرهم (بما كانوا عن
الأخوة) أي عن فائدة اختلافها لان السؤال عن ذاتها غير مفيد وقد أخرج ابن عسار
بسند ضعيف عن ابن عباس قال نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن عتبة وعمار جنان
من الانصار قال لا يارسول الله ما بال اليك يمدو ويطلع دقا مثل الخيط ثم يزيد حتى
يعظم ويستوى ثم لا يزال ينقص وينقص حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد فنزلت
في موافقت الناس في حل دينهم وأصومهم ونظروهم وأوقات حجهم وأجارتهم وأوقات
الحض وعدد نسائهم والشروط التي الى أجل وليست خالف بينه وبين الشمس التي هي
دائمة على حالة واحدة والاعلام جمع حلال وجمعها باعتبار حلال كل شهر أو كل ليلة تترى لا
لاختلاف الاوقات سترلة اختلاف في الذوات واليه لال اسم لما يمد في أول الشهر وفي آخره
قال الاصمعي هو حلال حتى يستدير وقيل هو حلال حتى يبرضوه السماء وذلك ليلة
السابع واما قبل لهلال لان الناس يرفعون أصواتهم بالأخبار عنه عند رؤيته ومنه
استهل الصبي اذا صاح واستهل وحيته وتهل اذا ظهر فيه السرور واليلا في الحقيقة
واحد وجمعها باعتبار أوقاته واختلاف في ذاته واختلاف أهل اللغة الى متى يحيى هلالا

والاختبار ومنه قول الشاعر وقد قن الناس في دينهم * وخلا ابن عقان شرطويلا وكذا قوله تعالى فقال
اخبارا عن موسى عليه السلام حيث قال ان شي الا فتنة أي ابتلاؤك واختبارك وامتحانك تصل بهم من تشاء وتهدى من تشاء
وقد استدلل بعضهم بهذه الآية على تكفير من تعلم السحر واستشهد به بالحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المنقر
أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن همام عن عبد الله قال من أتى كاهنا أو ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل
على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا اسناد صحيح وله شاهد آخر وقوله تعالى فيستعلمون منهم ما يفرقون به بين المرء وزوجه

أى فيتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون به فيما يتصرفون فيه من الأفاعيل المذمومة مما انهم ليصرفون به بين الزوجين مع ما ينهسان من الخطلطة والاتلاف وهذا من صنيع الشياطين كما رواه مسلم في صحيحه من حديث الاعمش عن أبي سفيان عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان ليضع عرشه على الماء فيبيع ثمره في الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتسبيح أحدهم فيقول ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا فيقول ابليس لا والله ما صنعت شيئا وبجي أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه (٢٤٧) . وبين أهله قال فيقر به ويدينه ويلتزمه

ويقول نعم أنت وبسبب التفريق

بين الزوجين بالسحر ما يخيل إلى

الرجل أو المرأة من الآخر من سوء

منظر أو خلق أو نحو ذلك أو عقد أو

نغصة أو نحو ذلك من الأسباب

المقتضية للفرقة والمرع عبارة عن

الرجل وتأتيه امرأة ويثنى كل منهما

ولا يجتمعان والله أعلم وقوله تعالى

وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله

قال سفيان الثوري الا بقضاء الله

وقال محمد بن اسحق الا بتخليصة الله

بينه وبين ما أراد وقال الحسن

البصري وما هم بضارين به من أحد

الا باذن الله قال نعم من شاء الله

سلطهم عليه ومن لم يشأ الله لم يسلط

ولا يستطيعون من أحد الا باذن الله

كما قال الله تعالى وفي رواية عن الحسن

انه قال لا يضر هذا السحر الا من

دخل فيه وقوله تعالى وينعلمون

ما يضرهم ولا ينفعهم أى يضرهم في

دينهم وليس له نفع ولا يضرهم ولقد

علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من

خلاق أى واقعد علم اليهود الذين

استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسول

صلى الله عليه وسلم لمن فعل فعلهم

ذلك انه ماله في الآخرة من خلاق

فقال الجمهور لليتين وقيل لثلاث ثم يكون قرا وقال أبو الهيثم لليتين من أول الشهر ولليتين من آخره وما بينهما مقر (قل هي مواقيت) الذي قرره أبو السعود والخازن ان الجواب مطابق للسؤال وفي الآية بيان وجه الحكمة في زيادة الهلال ونقصانه وان ذلك لاجل بيان المواقيت التي بوقت الناس عباداتهم ومعاملاتهم كالصوم والقطر والحج ومدة الحمل والعدة والاجارات والايمان وغير ذلك ومثله قوله تعالى وتعلموا عدد السنين والحساب وقيل هو جواب بغير ما سأل عنه تنبيها على أن الأولى لهم أن يسألوا عن هذا الجواب لاعتناء سبب الاختلاف فهو من قبيل الغيبات التي لا غرض للمكلف في معرفتها ولا يليق أن تبين له والمواقيت جمع الميعات وهو الوقت والفرق بين الوقت وبين المدة والزمان أن المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها إلى منتهاها والزمان مدة منقسمة إلى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لأمور وكل ما جاء في القرآن من السؤال أجيب عنه بقيل بلافاة في طه ويسألونك عن الجبال فقل لان الجواب في الجميع كان بعد وقوع السؤال وفي طه كان قبله اذ تقديره ان سئلت عن الجبال فقل (للناس) أى لا غرضهم الديني والديني كما أشار لذلك بتعداد الامثلة اذ الالهة ليست مواقيت لذوات الناس (والحج) عطف على الناس أى يعلم بها وقته فلوا استمرت على حاله لم يعرف ذلك قال سيديو به الحج بالفتح كالزوال والشدو بالكسر كاذ كرصدان بمعنى وقيل بالفتح مصدر وبالكسر الاسم وانما أفرد سبحانه الحج بالذكر لانه مما يحتاج فيه إلى معرفة الوقت ولا يجوز فيه النس عن وقته ولعظم المشقة على من التبس عليه وقت مناسكه أو أخطأ وقتها أو وقت بعضها وقد جعل بعض علماء المعاني هذا الجواب أعنى قوله قل هي مواقيت الخ من الاسلوب الحكيم كما تقدم وهو تلقى المخاطب بغير ما يترقب تنبيها على أنه الأولى بالقصد ووجه ذلك انهم سألوا عن أجرام الالهة باعتبار زيادتها ونقصانها فاجيبوا بالحكمة التي كانت تلك الزيادة والنقصان لاجلها الكون ذلك أولى بان يقصده السائل وأحق بان يتطلع لعلمه (وليس البر بان تأق البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأق البيوت من أبوابها) توجه اتصال هذا السؤال عن الالهة والجواب بأنها مواقيت للناس والحج أن الانصار كانوا اذا حجوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم اذ ارجع أحدهم إلى بيته بعد احرامه قبل تمام حجه لانهم يعتقدون أن الحرم لا يجوز أن يحول بينه

قال ابن عباس ومجاهد والسدي من نصيب وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ماله في الآخرة من خلاق وقال سعد بن قتادة ماله في الآخرة من خلاق قال ولقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله اليهم ان الساحر لا خلاق له في الآخرة وقوله تعالى ولبئس ما شرابها بنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمتوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون يقول تعالى ولبئس البدل ما استبدلوا به من السحر عوضا عن الايمان ومتابعة الرسول لو كان لهم علم بما وعظوا به ولو أنهم آمنوا واتقوا لمتوبة من عند الله خير أى ولو أنهم آمنوا بالله ورسوله واتقوا المحارم لكان منوبة الله على ذلك خير لهم مما استخاروا لانفسهم

ورضوا به كما قال تعالى وقال الذين آمنوا العلم ويلكم ثواب الله خير من آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون وقد استدبل بقوله رلوانهم آمنوا واتقوا من ذهب الى تكفير الساحر كما هو رواية عن الامام احمد بن حنبل وطائفة من السلف وقيل بل لا يكفر ولكن حده ضرب عنقه لما رواه الشافعي واحمد بن حنبل والاخبار ناسفان هو ابن عيينة عن عمرو بن دينار انه سمع بجالة بن عبدة يقول كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان اقتلوا كل ساحر وساحرة قال فقتلنا ثلاث سواحر وقد اخرج به البخاري في صحيحه ايضا وهكذا صح ان حفصة ام المؤمنين (٢٤٨) سحرتم اجارية لها فامرت بها فقتلت قال الامام احمد بن حنبل صح عن ثلاثة

من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قتل الساحر وروى الترمذي من حديث اسمعيل بن مسلم عن الحسن بن جندب الازدي انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حده الساحر ضربه بالسيف ثم قال لا تعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه واسمعيل بن مسلم يضعف في الحديث والصحيح عن الحسن بن جندب موقوفا قلت قد رواه الطبراني من وجه آخر عن الحسن بن جندب مرفوعا والله اعلم وقد روى من طرق متعددة ان الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد اليه رأسه فقال الناس سبحان الله يسبي الموتى وراه رجل من صالحى المهاجرين فلما كان الغد جاء مشتملا على سيفه وذهب يلعب لعبة ذلك فاخذت رجل سيفه فضرب عنق الساحر وقال ان كان صادقا فليجي نفسه وتلا قوله تعالى اتأتون السحر وأنتم تبصرون فغضب الوليد اذ لم يستأذنه في ذلك فسجنه ثم أطلقه والله اعلم وقال الامام

وبين السماء حائل فكانوا يتسمون ظهور بيوتهم وقد ورد هذا المعنى عن جماعة من الصحابة والتابعين وقال أبو عبدة ان هذا من ضرب المثل والمعنى ليس البر أن تسألوا الجهال ولكن البر التقوى وأسألوا العلماء كما تقول آتيت الامر من بابيه وقيل هو مثل في جماع النساء وانهم أمر واباتيناهن في القبل لافي الدبر وقيل غير ذلك والبيوت جمع بيت وقرئ بضم الباء وكسرها (واتقوا الله لعلكم تفلحون) قد تقدم تفسير التقوى والفلاح (وقاتلوا في سبيل الله) لا خلاف بين أهل العلم ان القتال كان ممنوعا قبل الهجرة لقوله فاعف عنهم واصفح وقوله واهجرهم هجر اجيالا وقوله لست عليهم بصيطر وقوله اذفع بالتي هي أحسن ونحو ذلك مما نزل بمكة فلما هاجر الى المدينة أمره الله سبحانه بالقتال ونزلت هذه الآية قال أبو العالية انها أول آية نزلت في القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقاتل من قاتله ويكف عن كفه عنه حتى نزلت سورة براءة وقيل أول ما نزل قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا احتجى نزل قوله تعالى اقتسوا للمشركين وقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة قيل انه نسخ بها سبعون آية والمعنى قاتلوا في طاعة الله وطلب رضوانه عن موسى الاشعري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاقل جمية ويقاقل رياء أى ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (الذين يقاتلونكم) قال جماعة من السلف المراد بهن من عبد النساء والصبيان والشيوخ والرمي والرهبان والمجانين والمكافيف ونحوهم وجعلوا هذه الآية محكمة غير منسوخة (ولا تعتدوا) المراد بالاعتداء أهل القول الاول هو مقالة من لم يقاتل من الطوائف الكفرية والمراد به على القول الثاني مجاوزة قتل من يتحقق القتل الى قتل من لا يستحقه عن تقدم ذكره قال ابن عباس أى لا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ الكبار ولا من أتى السلم وكف يده فان فعلتم فقد اعتديتم وقال عمر بن عبد العزيز ان هذه الآية في النساء والذرية (ان الله لا يحب المعتدين) أى لا يريدهم الخير عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أو صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا بالله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغلوا ولا تقتلوا ولا تغلوا ولا تغلوا ولا تقتلوا (واقتلواهم)

ابو بكر الخلال اخبرنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني ابي اخبرنا يحيى بن سعيد حدثني ابو اسحق عن حارثة قال كان حيث عند بعض الاحرار رجل يلعب فجاء جندب مشتملا على سيفه فقتله قال آراه كان ساحر او جل الشافعي رحمه الله قصة عمرو وحفصة على سحر يكون شركا والله اعلم (فصل) حكى ابو عبد الله الرازي في تفسيره عن المعتزلة انهم انكروا وجود السحر قال وربما كفروا من اعتمد وجوده قال وأما أهل السنة فقد جوزوا ان يقدر الساحر ان يطير في الهواء ويقلب الانسان جارا او الجار انسانا الا انهم قالوا ان الله يخلق الاشياء عند ما يقول الساحر تلك الرقي والكلمات المعينة فاما ان يكون المؤثر في ذلك هو الشياطين والنجوم فلا

خلافا للفلاسفة والمخمين والصائبة ثم استدلل على وقوع السحر وأنه بخلاق الله تعالى بقوله تعالى وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ومن الاخبار بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وان السحر عمل فيه وبقصة تلك المرأة مع عائشة رضي الله عنها وما ذكرت تلك المرأة من آياتها بابل وتعلمها السحر قال وبما يذكر في هذا الباب من الحكايات الكثيرة ثم قال بعد هذا المسئلة الخامسة في أن العلم بالسحر ليس بقبیح ولا محظور اتفق المحققون على ذلك لان العلم الذي شريف وأيضا المسموم قوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولان السحر لم يعلم لما أمكن (٢٤٩) الفرق بينه وبين المعجزات والعلم بكون المعجزة

معجزا واجب وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجبا وما يكون واجبا فكيف يكون حراما وقيحا هذا اللفظ بحر وفه في هذه المسئلة وهذا الكلام فيه نظر من وجوه أحدها قوله العلم بالسحر ليس بقبیح ان عني به ليس بقبیح عقلا فخالقوه من المعتزلة ينعون هذا وان عني انه ليس بقبیح شرعا ففي هذه الآية الكريمة تبشيع لتعلم السحر وفي الصحيح من أني عرافا أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد وفي السنن من عقد عقدة وثنت فيها فقد سحر وقوله ولا محظور اتفق المحققون على ذلك كيف لا يكون محظورا مع ما ذكرناه من الآية والحديث واتفاق المحققين يقتضي أن يكون قد نص على هذه المسئلة أئمة العلماء أو أكثرهم وأين نصوصهم على ذلك ثم ادخاله علم السحر في عموم قوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فيه نظر لان هذه الآية انحالت على مدح العالمين العلم الشرعي ولم قلت

حيث ثقفتوهم يقال ثقف ثقفا ورجل ثقيف اذا كان محكما لما يتواراه من الامور قال في الكشف والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لا قرانه انتهى قال أبو السعود أصل الثقف الخذف في ادراك الشيء علما أو عملا وفيه معنى الغلبة قال ابن حجر الخطاب للمهاجرين والضيم لِكفار قريش انتهى والمعنى واقتلوهم حيث وجدتموهم وأدركتموهم في الحل والحرم وأن لم يبتدؤكم وتحقق القول فيه أن الله تعالى أمر بالجهاد في الآية الأولى بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الآية أمرهم بالجهاد معهم سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا واستغنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام (وأخرجهم من حيث أخرجكم) أي أخرجهم من مكة وقد استل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر به فأخرج من مكة من لم يسلم عند أن فتحها الله عليه (والفتنة أشد من القتل) أي الفتنة التي أرادوا ان يقتلوا بها وهي رجوعكم الى الكفر أشد من القتل وقيل المراد بالفتنة المحنة التي تنزل بالانسان في نفسه أو أهله أو ماله أو عرضه وقيل المراد بالفتنة الشرك الذي عليه المشركون لانهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم فأخبرهم الله أن الشرك الذي هم عليه أشد مما يستعظمونه وقيل المراد بفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم اياهم في الحرم أو من قتلهم اياكم ان قتلواكم والظاهر ان المراد بالفتنة في الدين بأي سبب كان وعلى أي صورة اتفق فانها أشد من القتل لانه يؤدي الى الخلود في النار والقتل ليس كذلك ولذا جعل أشد منه (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلواكم فيه) اختلف أهل العلم في ذلك فذهبت طائفة الى أنها محكمة وأنه لا يجوز القتال في الحرم الا بعد ان يتعدى متعدي القتال فيه فانه يجوز دفعه بالمقاتلة له وهذا هو الحق وقالت طائفة ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويجب ان هذا الاستدلال بان الجمع ممكن هنا ببناء العام على الخاص فيقتل المشرك حيث وجد الا بالحرم وبما يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم انها لم تحل لاحد قبله وانها أحلت لي ساعة من نهار وهو في الصحيح وقد احتج القائلون بالنسخ بقتله صلى الله عليه وآله وسلم لابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة وبجواب عنه بانه وقع في تلك الساعة التي أحل الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم (فان قاتلواكم) أي في المسجد الحرام هذا مفهوم الغاية (فاقتلواهم) أي فقاتلواهم (كذلك) أي

(٣٢ - فتح البيان ل) ان هذا منه ثم ترقيه الى وجوب تعلمه بانه لا يحصل العلم بالمعجز الا به ضعيف بل فاسد لان أعظم معجزات رسولنا عليه الصلاة والسلام هي القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ثم ان العلم بأنه معجز لا يتوقف على علم السحر أصلا ثم من المعلوم بالضرورة أن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعامةهم كانوا يعلمون المعجز وي فرقون بينه وبين غيره ولم يكونوا يعلمون السحر ولا تعلموه ولا علموه والله أعلم ثم قد ذكر أبو عبد الله الرازي أنواع السحر ثمانية الاول سحر الكذابين والكشدين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحركة وعجم السارة وكانوا يعتقدون انها

مدبرة العالم وانها تاتي بالخبر والشروع الذين بعث الله اليهم ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم مبطلا لمقاتلتهم وراذا لمذهبهم وقد استقصى في كتاب السر المكشوف في مخاطبة الشمس والنجوم المنسوب اليه كذا كره القاضي ابن خلكان وغيره ويقال انه تاب منه وقبل بل صنفه على وجه اظهر الفضيلة الاعلى سبيل الاعتقاد وهذا هو المظنون به الا انه ذكر فيه طريقته في مخاطبة كل من هذه الكواكب السبعة وكيفية ما يفعلون وما يلبسون وما يتسكنون به قال والنوع الثاني سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية ثم استدل على ان الزهم له تأثير بآثار الاثبات (٢٥٠) يمكنه ان يمشي على الجسر الموضوع على وجه الارض ولا يمكنه

المشي عليه اذا كان ممدودا على نهر أو نحوه قال وكما اجبت الاطباء على نهي المعروف عن النظر الى الاشياء الحرة والمصروع الى الاشياء القوية للمعان أو الدوران وما ذاك الا لان النفوس خلقت منطبعة للاوهام قال وقد اتفق العقلاء على ان الاصابة بالعين حق وله ان يستدل على ذلك بما ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين قال فاذا عرفت هذا فانه قول النفس التي تفعل هذه الافاعيل قد تكون قوية جدا فتستغنى في هذه الافاعيل عن الاستعانة بالالات والادوات وقد تكون ضعيفة فتحتاج الى الاستعانة بهذه الات وتحقيقه ان النفس اذا كانت مشغلة عن البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات صارت كانهاروح من الارواح السماوية فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم واذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه الذات البدنية فحينئذ لا يكون لها تأثير البتة الا في هذا البدن

القتل والاحراج (جزء الكافرين) مطلقا بان يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم فثبت بهذا تحريم القتال في الحرم الا ان يقاتلوا فيكون دفع الهم (فان انتهوا) عن قتالكم وعن الكفر ودخول في الاسلام (فان الله غفور) لماسلف (رحيم) بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (وقالت لهم) فيه الامر بمقاتلة المشركين ولو في الحرم وان لم يتدركوا بالقتال فيه وهذا هو الذي استقر عليه الحكم الا ان (حتى) أي الى غاية هي ان (لا تكون) فتنة ويكون الدين لله وهو الدخول في الاسلام والخروج عن سائر الاديان المخالفة فن دخل في الاسلام وأطلع عن الشرك لم يحل قتاله قيل المراد بالفتنة هنا الشرك والظاهر انها الفتنة في الدين على عمومها كما سلف (فان انتهوا) يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فلا عدوان الا على الظالمين) أي لا تظلموا الا الظالمين أي لا تعتدوا الا على من ظلم وهو من لم ينته عن الفتنة ولم يدخل في الاسلام وانما سمي جزء الظالمين عدوا واما مشاكلة كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وسعى الكافر ظالما لوضعه العبادة في غير موضعها والتي هنا بمعنى النهي لئلا يلزم اختلف في خبره تعالى والعرب اذا بالغت في النهي عن الشيء أبرزته في صورة التي الحض اشارة الى أنه ينبغي ان لا يوجد البتة قد لوا على هذا المعنى بما ذكرنا لك وعكسه في الاثبات اذا بالغوا في الامر بالشيء أبرزوه في صورة الخبر نحو والادوات يرضعن وسيأتي (الشهر الحرام) هو ذو القعدة من السنة السابعة (بالشهر الحرام) هو ذو القعدة من السنة السادسة وهذا في المعنى تعليل لقوله واقتلوه حيث ثقفوهم أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال لما سار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معتمرا في سنة ست من الهجرة وحجبه المشركون عن الدخول والوصول الى البيت وصدوه عن معه من المسلمين في ذي القعدة وهو شهر حرام فاضاهم على الدخول من قابل فدخلها في السنة الثانية وهو ومن كان معه من المسلمين وأقصه الله منهم نزات في ذلك هذه الآية وروى نحوه عن أبي العالية ومجاهد وقتادة وابن جرير والمعنى اذا قاتلوكم في الشهر الحرام وهتكوا حرمة قاتلوه في الشهر الحرام مكافأة لهم ومجازاة على فعلهم وهذا صريح في أنه قد وقع منهم مقاتلة في عام الحديبية وهو كذلك فقد وقع قتال خفيف بالرعي بالسهام والحجارة (والحرمان) جمع حرمة كالظلمات جمع ظلمة وانما جرح الحرمان لانه أراد الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة

الاحرام ثم أُرشد الى مداواة هذا الداء بتقليل الغذاء والانقطاع عن الناس والرياء (قلت) وهذا الذي يشير اليه هو التصرف بالحال وهو على قسمين تارة تكون حال صحيحة شرعية يتصرف بها فيما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وينتزه ما نهى الله تعالى عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم فهذه الاحوال مواهب من الله تعالى وكرامات للصالحين من هذه الامة ولا يسمى هذا سحرا في الشرع وتارة تكون الحال فاسدة لا يمثل صاحبها ما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا يتصرف بها في ذلك فهذه حال الاشقياء المخالفين للشرعية ولا يدل اعطاء الله اياهم هذه الاحوال على محبة لهم كما أن الدجال له من الخوارق للعبادات

مادات عليه الاحاديث الكثيرة مع انه مذموم شرعاً لعنه الله وكذلك من شابهه من مخالف الشريعة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وبسط هذا يطول جداً وليس هذا موضع قال والنوع الثالث من السحر الاستعانة بالارواح الارضية وهم الجن خلافاً للفلاسفة والمعتزلة وهم على قسمين مؤمنون وكفار وهم الشياطين قال واتصال النفوس الناطقة بها سهل من اتصالها بالارواح السماوية لما بينهما من المناسبة والقرب ثم ان أصحاب الصنعة وآرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الارواح الارضية يحصل باعمال سهلة قليلة من الرقى والدخن والتجريد (٢٥١) وهذا النوع هو المسمى السحر بالعزائم

وعمل التسخير النوع الرابع من من السحر التخيلات والاخذ بالعيون والشعبذة ومبناه على أن البصر قد يخطئ ويشغل بالشئ المعين دون غيره ألا ترى ان الشعبذة الخاذق يظهر على شئ يذهل أذهان الناظرين به يأخذ عيونهم اليه حتى اذا استفرغهم الشغل بذلك الشئ بالتخديق وفخوه عمل شأ آخر عملاً بسرعة شديدة وحينئذ يظهر لهم شئ آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جداً ولو انه سكنت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر الى ضد ما يريد أن يعمل له ولم تحرك النفوس والاوهام الى غير ما يريد اخرجه لظن الناظرون لكل قال وكلما كانت الاحوال تقيد حسن البصر نوعاً من أنواع الخلل أشد كان العمل أحسن مثل أن يحبس المشعبذة في موضع مضى جداً أو مظلم فلا تقف القوة الناطقة على أحوالها والحالة هذه (قلت) وقد قال بعض المفسرين ان سحر السحرة بين يدي فرعون انما كان من باب الشعبذة ولهذا قال تعالى فلما ألقوا سحروا

الاحرام والحرمة ما منع الشرع انتم اكله (قصاص) أى المساواة والمماثلة والمعنى ان كل حرمة يجزى فيها القصاص فمن هتك حرمة عليكم فلكم ان تهتكوا حرمة عليه قصاصاً ولا تالوا به قيل وهذا كان في أول الاسلام ثم نسخ بالقتال وقيل انه ثابت بين أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم ينسخ فيجوز لمن تعدى عليه في مال أو بدن أن يتعدى بمثل ما تعدى عليه وبهذا قال الشافعي وغيره وقال آخرون ان أمور القصاص مقصورة على الاحكام وهكذا الاموال لقوله صلى الله عليه وآله وسلم اذا لامنة الى من اتفكت ولا تلتعن من خانك أخرجه الدارقطني وغيره وبه قال أبو حنيفة وجهه والمالكية وعطاء الخراساني والقول الاول أرجح وبه قال ابن المنذر واختاره ابن العربي والقرطبي وحكاها الداودي عن مالك ويؤيده اذنه صلى الله عليه وآله وسلم لاضرأدأبي سفيان ان تأخذ من ماله ما يكفيه او ولدها وهو في الصحيح ولا يصح ووضح من قوله تعالى في هذه الآية (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وهذه الجملة في حكم التأكيد للجملة الاولى أعني قوله والحرمت قصاص وانما سمى المكافآت اعتداءً شاكاً كما تقدم وعن ابن عباس في هذه الآية وفي قوله وجزء سيئة الآية وقوله ولمن اتصم بعد ظلمه الآية وقوله وان عاقبت الآية قال هذا وفخوه نزل بمكة والمسلمون يومئذ قليل ليس لهم سلطان يتهر المشركين فكان المشركون يتعاطونهم بالشتم والاذى فأمر الله المسلمين من يتجارأمنهم أن يتجارأ بمثل ما أؤى اليه أو يصبراً ويعفو فلما جاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة وأعز الله سلطانه أمر المسلمين ان ينتهوا في مظالمهم الى سلطانهم ولا يعدوا بعضهم على بعض كأهل الجاهلية فقال ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً الآية يقول ينصره السلطان حتى ينصفه على من ظلمه ومن اتصم لنفسه دون السلطان فهو عاص مسرف قد عمل بجمية الجاهلية ولم يرض بحكم الله انتهى وأقول هذه الآية التي جعلها ابن عباس ناصحة مؤيدة لما تدل عليه الآيات التي جعلها منسوخة ومؤكدة له فان الظاهر من قوله فقد جعلنا لوليه سلطاناً أنه جعل السلطان له أى جعل له سلطاناً يتسلط به على القاتل ولهذا قال فلا يسرف في القتل ثم لو سلمنا ان معنى الآية كما قاله لكان ذلك مخصوصاً للقتل من عموم الآيات المذكورة لا باسحاله فانه لم ينص في هذه الآية الاعلى القتل وحده وتلك الآيات شاملة له وغيره وهذا معلوم من لغة العرب التي هي

أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم وقال تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى قالوا ولم تكن تسعى في نفس الامر والله أعلم النوع الخامس من السحر الاعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة من النسب الهندسية كفارس على فرس في يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب بالبوق من غير أن يمسه أحد ومنها الصور التي تصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان حتى يصورونهم اضا حكة وبأصابع الى أن قال فهذه الوجوه من لطيف أمور التخيل قال وكان سحر سحرة فرعون من هذا القبيل (قلت) يعني ما قاله بعض المفسرين انهم عمدوا الى تلك الحبال والعصى فحشوها بزبقا

فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزئبق فيخيل الى الراى انها تسبح باختيارها قال الرازى ومن هذا الباب تركيب صندوى الساعات ويندرج في هذا الباب علم جراحة الثقال بالآلات الخفيفة قال وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر لان لها اسبابا معلومة يقينية من اطاع عليها اقدر عليها (قلت) ومن هذا القليل جيل النصارى على عامتهم بما رويهم اياه من الانوار كقصة قيامة الكنيسة التي لهم يلد المقدس وما يحتلون به من ادخال النار خفية الى الكنيسة واشعال ذلك القنديل بصنعة لطيفة تروج على الطغام منهم وأما الخواص فيهم (٢٥٢) معترفون بذلك ولكن يتأولون أنهم يجمعون شمل أصحابهم على دينهم

فرون ذلك ساءت أفعالهم وفيهم شبهة للجهلة الاغبياء من متعبدى الكرامية الذين يرون جواز وضع الاحاديث في التريغ والترهب فيدخلون في عداد من قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقوله حدثوا عنى ولا تكذبوا على فإنه من يكذب على يلج النار ثم ذكر ههنا حكاية عن بعض الرهبان وهو أنه سمع صوت طائر حينئذ الصوت ضعيف الحركة فاذا سمعته الطيور ترقله فتذهب فتاتي في وكره من عمر الزيتون امتلغ به فعمد هذا الراهب الى صنعة طائر على شكله وتوصل الى أن جعله أجوف فاذا دخلته الريح يسمع منه صوت كصوت ذلك الطائر وانقطع في صومعة ابتناها وزعم انها على قبر بعض صالحين وعلق ذلك الطائر في مكان منها فاذا كان زمان الزيتون فتح بابا من ناحيته فدخل الريح الى داخل هذه الصورة فيسمع صوتها كل طائر في شكله ايضا فتاتي الطيور فتحمل من الزيتون شيئا كثيرا فلا ترى النصارى الا ذلك الزيتون في هذه الصومعة ولا يدرون ما سببه ففتنهم بذلك وأوهم ان هذا من كرامات الاله

المرجع في تفسير كلام الله سبحانه ولما أباح لهم الاقتصاص بالمثل وشأن النفس حب المبالغة في الانتقام من العدو وحذرهم من ذلك فقال (واتقوا الله) أى في حال كونكم مستصرين لانفسكم ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم (واعلموا ان الله مع المتقين) بالنصر والعون (واتقوا في سبيل الله) في هذه الآية الامر بالاتفاق في سبيل الله وخو الجهاد بالمال واللفظ يتناول غيره مما يصدق عليه أنه من سبيل الله والاتفاق هو صرف المال في وجوه المصالح الدينية كالاتفاق في الحج والعمرة وصدقة الرحم والصدقة وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لان كل ذلك يصدق عليه أنه في سبيل الله ولكن اطلاق هذا اللفظ ينصرف الى الجهاد عن خزيم بن فانك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أتفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعة مائة ضعف أخرجه الترمذى والنسائى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) الباء زائدة ومثله لم يعلم بأن الله يرى وقال المبرد أى بانفسكم تعبير بالبعض عن الكل كقوله بما كسبت أيديكم وقيل هذا مثل مضروب يقال فلان ألقى بيده في أمر كذا اذا استسلم لان المستسلم في القتال يلقى سلاحه بيده فكذلك فعل كل عاجز في أى فعل كان وقال قوم التقدير ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم وعبر بالأيدي عن الانفس لان بها البطش والحركة والتهلكة مصدر من ذلك هلاك كاهلكوا وتهلكة أى لا تأخذوا فتيما يلحكم قال الزيدى التهلكة من نوادر المصادر ليست مما يجرى على القياس وللسلف في معنى الآية أقوال قال حذيفة تزلت في النفقة أى تركها في سبيل الله مخافة العيلة وروى نحوه عن ابن عباس وعكرمة والحسن وقال الحسن هو البخل وقال زيد بن أسلم هو ان يهلك رجل من الجوع والعطش ومن المشى في البعث وقال أبو أيوب كانت التهلكة الاقامة في الاموال واصلاحها وترك الغزو وقال البراء بن عازب هو الرجل يذنب الذنب فيلقى بيده فيقول لا يغفر الله لي أبدا وروى عن النعمان بن بشير نحوه وقيل انه القنوط وقيل عذاب الله وقيل غير ذلك والحق ان الاعتبار بعوم اللفظ لا بخصوص السبب فكما يصدق عليه أنه تهلكة في الدين أو الدنيا فهو داخل في هذا وبه قال ابن جرير الطبرى ومن جملة ما يدخل تحت الآية ان يفتحم الرجل في الحرب فيحمل على الجيش مع عدم قدرته على التخلص وعدم تأثيره لاثر ينفع المجاهدين ولا ينفع من دخول هذا تحت

ترى النصارى الا ذلك الزيتون في هذه الصومعة ولا يدرون ما سببه ففتنهم بذلك وأوهم ان هذا من كرامات الاله

صاحب هذا القبر عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة قال الرازى النوع السادس من السحر الاستعانة بخواص الادوية يعنى في الاطعمة والدخانات قال واعلم انه لا سبيل الى انكار الخواص فان تأثير المغناطيس مشاهد (قلت) يدخل في هذا القليل كثير من يدعى الفقر ويتجمل على جهلة الناس بهذه الخواص مدعيانها أحوالهم من مخالطة النيران وسمن الحيات الى غير ذلك من المحالات قال النوع السابع من السحر التعليق للقلب وهو أن يدعى الساحر أنه عرف الاسم الاعظم وان الجن يطيعونه

وينقادون له في أكثر الامور فاذا اتفق ان يكون السامع لذلك ضعيف القلب قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرهب والخافة فاذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة فحينئذ يتمكن الساحر ان يفعل ما يشاء (قلت) هذا الخط يقال له التنبه وانما يرجع على الضعفاء العقول من بني آدم وفي علم الفراسة ما يرشد الى معرفة كامل العقل من ناقصه فاذا كان النبل حاذقا في علم الفراسة عرف من يتقاده من الناس من غيره قال النوع الثامن من السحر السعي بالنجمة والتقريب من وجوده خفيفة لطيفة وذلك شائع في الناس (قلت) النجمة على قسمين تارة (٢٥٣) تكون على وجه الخريش بين الناس

وتفريق قلوب المؤمنين فهذا حرام متفق عليه فاما ان كانت على وجه الاصلاح بين الناس واختلف كلمة المسلمين كما جاء في الحديث ليس بالكذاب من يمين خيرا أو يكون على وجه التخذيل والتفريق بين جوع الكفرة فهذا أمر مطلوب كما جاء في الحديث الحرب خدعة وكما فعل نعيم بن مسعود في تفريقه بين كلمة الاحزاب وبين قريظة وجاء الى هؤلاء فنبى اليهم عن هؤلاء كلاما ونقل من هؤلاء الى أولئك شيئا آخر ثم لأم بين ذلك فتناكرت النفوس واقترقت وانما يحذر وعلى مثل هذا الذكاء والبصيرة النافذة وبالله المستعان ثم قال الرازي فهذه جملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه (قلت) وانما أدخل كثيرا من هذه الأنواع المذكورة في فن السحر للطائفة مداركها لان السحر في اللغة عبارة عما لطف وخفى سببه ولهذا جاء في الحديث ان من البيان لسحرا وسمى السحور لكونه يقع خفيا آخر الليل والسحر الرثة وهي محل

الآية انه كرام من أنكرهم من الذين روى السبب فانهم ظنوا ان الآية لا تجاوز سببها وهو ظن تدفعه لغة العرب (وأحسنوا) أي في الانفاق في الطاعة أو الظن بالله في اخلافه عليكم وقال رجل من الصحابة معناه أدوا الفرائض وقيل لا تقتروا ولا تسرفوا (ان الله يحب المحسنين) المنفقين في سبيله الظانين به حسنا (وأتموا الحج والعمرة لله) اختلف العلماء في المعنى المراد باتمام الحج والعمرة فقيل أدأؤهم أو الاتيان بهم من دون أن يشوبهم ما بشئ مما هو محظور ولا يحل بشرط ولا فرض كقوله تعالى فاتهم وقوله ثم أتموا الصيام الى الليل وقال سفيان الثوري اتمامهما ان يخرج لهما الاغبرهما وقيل اتمامهما ان يفرد كل واحد منهما من غير تمتع ولا قران وبه قال ابن حبيب وقال مقاتل اتمامهما ان لا يستحلوا فيها ما لا ينبغي لهم وقيل اتمامهما ان يحرم لهما من ديرة أهله وقيل ان ينفق في سفرهما الحلال الطيب وقد أخرج ابن أبي حاتم وأبو نعيم في الدلائل وابن عبد البر في التمهيد عن يعلى بن أمية قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالجعرانة وعليه جبة وعليه أثر خلوق فقال كيف تأمرني يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان أصنع في عمري فأترنل الله وأتموا الحج والعمرة لله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أين السائل عن العمرة فقال هاتذا قال اخلع الجبة واغسل عنك أثر الخلوق ثم ما كنت صانعا في حجتك فاصنع في عمرتك وقد أخرج الشيخان وغيرهما من حديثه ولكن فيها ما انه أنزل عليه بعد السؤال ولم يذكرا ما الذي أنزل عليه وقال ابن عباس تمام الحج يوم النحر اذا رمي جرة العقبة وزار البيت فقد حل وتمام العمرة اذا طاف بالبيت وبالصفاء وبالمرورة فقد حل وقد ورد في فضل الحج والعمرة أحاديث كثيرة ليس هذا موطن ذكرها وقد اتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا واستدل بهذه الآية على وجوب العمرة لان الامر باتمامها أمر بها وبذلك قال علي وابن عمر وابن عباس وعطاء وطاوس ومجاهد والحسن وابن سيرين والشعبي وسعيد بن جبيرة ومسروق وعبد الله بن شداد والشافعي وأحمد ومحق وأبو عبيد وابن الجهم من المالكية وقال مالك والنخعي وأصحاب الرأي كما حكاه ابن المنذر عنهم انها سنة وحكى عن أبي حنيفة انه يقول بالوجوب ومن الثائمين بانها سنة ابن مسعود وجابر بن عبد الله ومن جملة ما استدل به الاولون ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيح انه قال لا صحابة من كان معه هدى فليهل بجمع

الغذاء وسميت بذلك لخفاؤها واطف مجاريها الى أجزاء البدن وغضونه كما قال أبو جهل يوم بدر لعتبة اتفخ سحره أي اتفخت رثته من الخوف وقالت عائشة رضي الله عنها في رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري وسحري وقال تعالى سحر وأعين الناس أي أخفوا عنهم علمهم والله أعلم وقال أبو عبد الله القرطبي وعمدنا ان السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء خيرا لا للمعتزلة وأبي إسحق الاسفراييني من الشافعية حيث قالوا انه قومه وتخييل قال ومن السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة والشعوذي البر يد خفة سيرة قال ابن فارس وليست هذه الكلمة من كلام أهل البادية قال القرطبي ومنه ما يكون كلاما يحنظ

ورقي من اسماء الله تعالى وقد يكون من عبود الشياطين ويكون أدوية وأدخنة وغير ذلك قال وقوله عليه السلام ان من البيان لسهو يحتمل ان يكون مدحا كما نقوله طائفة ويحتمل ان يكون ذمالا بلاغة قال وهذا أصح قال لانها تصوب الباطل حتى توهم السامع انه حق كما قال عليه الصلاة والسلام فلعن بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضى له الحديث * (فصل) وقد ذكر الوزير أبو المطهر يحيى بن محمد بن هبيرة رحمه الله في كتابه الاشراف على مذاهب الاشراف بابا في السحر فقال أجوعوا على ان السحر له حقيقة إلا بأحقيقة فانه قال (٢٥٤) لا حقيقة له عنده واختلفوا في تعلم السحر ويستعمله فقال أبو حنيفة

ومالك وأحمد يكفر بذلك ومن أصحاب أبي حنيفة من قال ان تعلمه ليعتقه أو ليجتنبه فلا يكفر ومن تعلمه معتقدا جوارزه أو انه ينفعه كفر وكذا من اعتقد ان الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر وقال الشافعي رحمه الله اذا تعلم السحر قلناه صف لنا سحره فان وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب الى الكواكب السبعة وانما تفعل ما يلبس منها فهو كافر وان كان لا يوجب الكفر فان اعتقد اباحته فهو كافر قال ابن هبيرة وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله فقال مالك وأحمد نعم وقال الشافعي وأبو حنيفة لا فاما ان قتل بسحره انسا فانه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة لا يقتل حتى يسكر منه ذلك او يقر بذلك في حق شخص معين واذا قتل فانه يقتل حدا عندهم الا الشافعي فانه قال يقتل والحالة هذه قصاصا قال وهل اذا تاب الساحر تقبل توبته فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنهم لا تقبل وقال الشافعي وأحمد في الرواية

وعمرة وثبت عنه أيضا في الصحيح انه قال دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وأخرج الدارقطني والحاكم من حديث زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الحج والعمرة فريضة تان لا يضرك بايها بدأت واستبدل الآخر بما أخرجه الشافعي في الام وعبد الرزاق وابن أبي شبة وعبد بن حميد عن أبي صالح الحنفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحج جهاد والعمرة تطوع وأخرج ابن ماجه عن طلحة بن عبيد الله مرفوعا مثله وأخرج ابن أبي شبة وعبد بن حميد والترمذي وصححه عن جابر أن رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن العمرة أو أجابة هي قال لا وأن تعمر واخير لكم وأجابوا عن الآية والا حديث المصريح بانهم فريضة يحمل ذلك على انه قد وقع الدخول فيها وهي بعد الشروع فيها واجبة بلا خلاف وهذا وان كان فيه بعد لكنه يجب المصير اليه جعلا بين الأدلة ولا سيما بعد تصريحه صلى الله عليه وآله وسلم بما تقدم في حديث جابر من عدم الوجوب وعلى هذا يحمل ما ورد مما فيه دلالة على وجوبها كما أخرجه الشافعي في الام ان في الكتاب الذي كتبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بن حزم ان العمرة هي الحج الاصغر وكحديث ابن عمر عند البيهقي في الشعب قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أوصني فقال تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج وتعمر وتسمع وتطيع وعليك بالعناية وإياك والسر وهكذا ينبغي حمل ما ورد من الاحاديث التي قرن فيها بين الحج والعمرة في أنهم ما من أفضل الاعمال وانهم ما كفارة لما بينهما وانهم ما يهدمان ما كان قبلهما وشهود ذلك وأركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي والحلق أو التقصير وأركان العمرة أربعة الاحرام والطواف والسعي والحلق والتقصير وبهذه الأركان تمام الحج والعمرة (فان أحصرتم) أصل الحصر في اللغة الحبس والتصيق قال أبو عبيدة والكسائي والخليل انه يقال أحصر بالمرض وحصر بالعدو وفي المجمل لابن فارس العكس ورجح الاول ابن العربي قال وهو رأي أكثر أهل اللغة وقال الزجاج انه كذلك عند جميع أهل اللغة وقال القراء هم بمعنى واحد في المرض والعدو وتوافق على ذلك أبو عمرو والسيباني فقال حصرني الشيء وأحصرني أي حبسني وبسبب هذا الاختلاف بين أهل اللغة اختلف أئمة الفقه في معنى الآية فقالت الحنفية المحصر من يصير ممنوعا من مكة بعد الاحرام عرض

الاخرى تقبل وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة انه يقتل كما يقتل الساحر المسلم وقال مالك وأحمد والشافعي لا يقتل يعني لقصة لبيد بن الأعصر واختلفوا في المسئلة الساحرة فعند أبي حنيفة انها لا تقتل ولكن تحبس وقال الثلاثة حكمها حكم الرجل والله أعلم وقال أبو بكر الخلال أخبرنا أبو بكر المروزي قال قرأ على أبي عبد الله يعني أحمد بن حنبل عمر بن هرون أخبرنا يونس عن الزهري قال يقتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر المشركين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها وقد نقل القرطبي عن مالك رحمه الله انه قال في الذي يقتل ان قتل سحره وحكي ابن خوير منداد عن مالك

روايتين في الذي اذا سحر احدهما انه يستتاب فان أسلم والا قتل و...
كفر عند الائمة الاربعة وغيرهم لقوله تعالى وما يعلم ان من أحدث حتى يقول انما نحن قننة فلا تكفر لكن قال مالك اذا ظهر عليه
لم تقبل بوجهه لانه كان يدينق فان تاب قبل أن يظهر عليه وجب ان تاب قبلناه فان قتل سحره قتل قال الشافعي فان قال لم تعد القتل
فيوخطي تجب عليه الدية (مسئلة) وهل يستل الساحر حلالا لسحره فأجازة سعيد بن المسيب فيما نقله عنه البخاري وقال عامر
الشعبي لا بأس بالثمة وكره ذلك الحسن البصري وفي الصحيح عن عائشة (٢٥٥) انها قالت يا رسول الله هلا تنشرت

فقال أما الله فقد شفاني وخشيت
أن أفتح على الناس شرا وحكي
القرطبي عن وهب انه قال يؤخذ
سبع ورقات من سدر فتدق بين
حجرين ثم تضرب بالماء ويقرأ عليها
آية الكرسي ويشرب منها المسحور
ثلاث حسوات ثم يغتسل بياقيه
فانه يذهب ما به وهو جسد للرجل
الذي يؤخذ عن امرأته (قلت)
أنفع ما يستعمل لاذهاب السحر
ما أنزل الله على رسوله في اذهاب
ذلك رهما المعوذتان وفي الحديث
لم يتعود المتعوذ بمنلهما وكذلك
قراءة آية الكرسي فانها مطردة
للسمطان (يا أيها الذين آمنوا
لاتقولوا راعنا وقولوا انظرونا

أوعدوا وغيره وقالت الشافعية وأهل المدينة المراد بالآية حصر العدو وقد ذهب
جمهور العلماء الى أن المحصر بعدد يتحل حيث أحصر وينحر هديه ان كان ثم هدى ويحلق
رأسه كما فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو وأصحابه في الحديبية (فما استيسر من
الهدى) أي ان أحصر ثم دون عام الحج والعمرة فحلت فلو اجب أو فعملكم أو فأنحروا
أو فاهدوا ما تيسر يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب وليس السنين
لطلب والهدى والهدى لغتان وهما جمع هدية وهي ما يهدي الى البيت من بدنة أو غيرها
ويقال في جمع الهدى أهداء واختلف أهل العلم في المراد بقوله فما استيسر فذهب الجمهور
الى أنه شاة وقال ابن عمر وعائشة وابن الزبير رجل أو بقرة وقال الحسن أعلى الهدى
بدنة أو وسطه بقرة وأدنا مشاة وهذا الدم ترتيب وتعديل كما أشار له ابن المقرئ (ولا تحلقوا
رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) هو خطاب لجميع الامة من غير فرق بين محصر وغير محصر
واليه ذهب جمع من أهل العلم وذهبت طائفة الى أنه خطاب للمحصرين خاصة أي لا تحلقوا
من الاحرام حتى تعلموا أن الهدى الذي بعثتموه الى الحرم قد بلغ محله وهو الموضع الذي
يحل فيه ذبحه واختلفوا في تعيينه فقال مالك والشافعي هو موضع الحصر اقتداء برسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث أحصر في عام الحديبية وقال أبو حنيفة هو الحرم لقوله
تعالى ثم محلها الى البيت العتيق وأجيب عن ذلك بأن المخاطب به هو الا من الذي يمكنه
الوصول الى البيت وأجاب الحنفية عن سحره صلى الله عليه وآله وسلم بالحديبية بأن طرف
الحديبية الذي الى أسفل مكة هو من الحرم ورد بأن المكان الذي وقع فيه التحريم هو
من الحرم (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك)
المراد بالمرض هنا ما يصدق عليه مسمى المرض لغة والمراد بالاذى من الرأس ما فيه من
قل أو صداع أو جراح أو نحو ذلك فن حلق فعليه فدية وقد بينت السنة ما أطلق هناك من
الصيام والصدقة والنسك فثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى
كعب بن عجرة وهو محرم وقوله يتساقط على وجهه فقال أيؤذيك هو أم رأسك قال نعم فأمره
ان يحلق ويطعم ستة مساكين أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة ايام وقد ذكر ابن عبد البر انه
لا خلاف بين العلماء ان النسك هنا هو شاة وحكي عن الجمهور ان الصوم هنا ثلاثة ايام
والاطعام ستة مساكين وروى عن الحسن وعكرمة ونافع أنهم قالوا الصوم في فدية

واسمعوا للكافرين عذاب أليم
ما يؤد الدين كفر وامن أهل الكتاب
ولا المشركين ان ينزل عليكم من
خير من ربكم والله يمتحن برحمته
من يشاء والله ذو الفضل العظيم
نهي الله تعالى عباده المؤمنين ان
يتشبهوا بالكافرين في عقابهم
وفعالهم وذلك ان اليهود كانوا يعاونون
من الكلام ما فيه تورية لما
يقصدونه من التفتيص عليهم

لعائن الله فاذا أرادوا ان يقولوا اسمع لنا يقولوا راعنا ويورون بالرعوة كما قال تعالى من الذين هادوا يجرِفون الكلم عن مواضعه
ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا
لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وكذلك جاءت الاحاديث بالاجابة عنهم بانهم كانوا اذا سلموا انما يقولون
السام عليكم والسام هو الموت ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بوعليكم وانما يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا والغرض ان الله
تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولاً وفعلًا فقال يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا والاكافرين

سذاب لهم وذلك الامام احمد أخبرنا ابو النضر أخبرنا عبد الرحمن أخبرنا ثابت أخبرنا احسان بن عتبة عن ابي مسيب الجعفي عن ابن عمر روى الله عنهم ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت بين يدي ساعة ليس فيها حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رحمتي وجعلت الجنة والمغفرة على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم وروى ابو داود عن عثمان بن عيسى عن ابي شيبة عن ابي النضر هاشم أخبرنا ابن القاسم يضمن تشبه بقوم فهو منهم فبيده له على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في اقوالهم وافعالهم (٢٥٦) ولباسهم واعبادهم وعبادتهم وغير ذلك من امورهم التي لم تشرع

لنا ولم تشرع عليها وذلك ابن ابي
 هاشم أخبرنا ابي النضر هاشم بن جندب
 أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا
 معمر بن ابن معمر وعيون او
 احمد هاشم بن احمد بن عبد الله
 ابن مسعود فقال اعهد الى قتال
 اذ سمعت الله يقول يا ايها الذين
 آمنوا انا راعيا سمعك فانه خير يا هر
 به او شربني عن وقال الاعشى
 عن خيمته قال ما تقرؤن في القرآن
 يا ايها الذين آمنوا فانه في التوراة
 يا ايها المساكين وقال محمد بن
 اسحق حنثي محمد بن ابي محمد عن
 سعيد بن جبيرة او عكرمة عن ابن
 عباس راعنا اي راعنا سمعك وقال
 الفضالة عن ابن عباس يا ايها الذين
 آمنوا لا تقولوا راعنا قال كانوا
 يقولون للذي صلى الله عليه وسلم
 راعنا سمعك وانما راعنا كقولك
 عاظنا وقال ابن ابي حاتم وروى عن
 ابي العالية وابي مالك والربيع
 ابن انس وعطية العوفي وقسادة
 بن حذك وقال مجاهد لا تقولوا
 راعنا لا تقولوا اخلافا وفي رواية
 لا تقولوا اسمع منا ونسمع منك
 وقال عطاء لا تقولوا راعنا كانت

الاذى عشرة ايام والاضطام لعشرة مساكين واخذت النخيم المتقدمة برده عليهم وفضل
 قولهم وقد ذهب مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابهم وداود الى ان الاضطام في ذلك
 مكان بمكة النبي صلى الله عليه وآله وسلم اي لكل مسكين وقال الثوري نصف صاع من
 بر او صاع من غيره وروى ذلك عن ابي حنيفة قال ابن المنذر وهذا غلط لان في بعض
 اخباره كعب بن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له تصدق بثلاثة اصع من تمر على ستة
 مساكين واختلفت الرواية عن احمد فروى عنه مثل قول مالك والشافعي وروى عنه
 اذ ان اطعم بر اخذ لكل مسكين وان اطعم تراقص صاع واختلفوا في مكان هذه التقدمة
 فقال عطاء ما كان من دم فمكة وما كان من طعام او صيام فحيث شاء وبه قال اصحاب
 الرأي وقال طاوس والشافعي الاطعام والدم لا يصح كونان الا بمكة والصوم حيث شاء
 وقال مالك ومجاهد حيث شاء في الجميع وهو الحق لعدم الدليل على تعيين المكان وهذه التقدمة
 دم تخيير وتقدير (فاذا آمنتم) اي برئتم من المرض وقيل من خوفكم من العدو وعلى
 الخلاف السابق ولكن الامن من العدو واظهر من استعمال امنهم في ذهاب المرض
 فيكون مقويا لقول من قال ان قوله فان احصرتم المراد به الاحصار من العدو وكان قوله
 فمن كان منكم مريضا يتقوى قول من قال بذلك لافراد عذر المرض بالذكر وقد وقع
 الخلاف هل الخطاب بهذا هم المحصورون خاصة ثم ججع الامة على حسب ما سلف (فمن تنفع
 بالعمرة الى الحج) يعني ان يحرم الرجل بعمره ثم يقيم حلالا بمكة الى ان يحرم بالحج فقد
 استباح بذلك ما لا يحل للمحرم استباحته وهو معنى تنفع واستمتع ولا خلاف بين اهل العلم
 في جواز التنفع بل هو افضل انواع الحج عند اهل التحقيق (فما استيسر من الهدى) وهو
 شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبحها قبله بعد ما احرم بالحج اجزأه عند الشافعي ولا يجزئ ذبحه
 عند ابي حنيفة قبل يوم النحر وهذا الدم دم تريب وتقدير كذا ذكره ابن المقرئ وقد اختلفت
 هذه الآيات على ثلاثة انواع من انواع الدم الواجب في النسك وبقي الرابع يذكر في المائدة
 في قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم الآية وهو دم تخيير وتقدير ويجب في شئين صيد
 وشجر (فمن لم يجد الهدى) اما لعدم المبال او لعدم الحيوان (فصيام ثلاثة ايام في) ايام
 (الحج) وهي من عند مشروعي الاحرام الى يوم النحر ومع ذلك يجوز ذبحه قبل الاحرام
 على الساعده من ان كل حق مالي تعلق بسببين جاز تقديته على ثانيهما وقيل يصوم قبل

اغدة تقواها الا نصرفه في الله عنها وقال الحسن لا تقولوا راعنا قال الراعي من القول السخري منه ثم اهم الله ان يسخرها يوم
 من قول محمد صلى الله عليه وسلم وما يدعوهم اليه من الاسلام وكذا روى عن ابن جريح انه قال مثله وقال ابو حنيفة لا تقولوا راعنا
 وقولوا انظرنا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اذبر ناداه من كانت له حاجة من المؤمنين فيقول راعنا سمعك فاعظم الله
 رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقال ذلك له وقال السدي كان رجل من اليهود من بني قيس قاع يدعي رفاعه بن زيد يا بني النبي صلى الله
 عليه وسلم فاذا التفت فكلمه قال ارعني سمعك واسمع غير سمعك وكان المسلمون يحسبون ان الانبياء كانت تغفم بهذا فكان ناس منهم

يقولون اسمع غير مسمع غير صاغروهي كالتى فى سورة النساء فقدم الله الى المؤمنين أن لا يقولوا راعنا وكذا قال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم بخوم هذا قال ابن جرير والصواب من القول فى ذلك عندنا ان الله نهى المؤمنين أن يقولوا النبي صلى الله عليه وسلم راعنا لانها كلمة كرهها الله تعالى ان يقولوها النبي صلى الله عليه وسلم نظير الذى ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقولوا للعنب الكرم ولكن قولوا الحسبة ولا تقولوا عبادى ولكن قولوا فتاى وما أشبه ذلك وقوله تعالى ما يؤذون الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم بين بذلك (٢٥٧) تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى

من مشابهتهم للمؤمنين ليقطع المودة بينهم وبينهم وبينه تعالى على ما أتم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل الذى شرعه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول تعالى والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) قال ابن أبي طحمة عن ابن عباس رضى الله عنهم ما ننسخ من آية ما تبدل من آية وقال ابن جرير عن مجاهد ما ننسخ من آية أى ما نحوم من آية وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد ما ننسخ من آية قال ثبت خطها وتبدل حكمها حدث به عن أصحاب عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم وقال ابن أبي حاتم وروى عن أبي العلاء ومحمد بن كعب القرظى نحو ذلك وقال الضحاک ما ننسخ من آية ما ننسك وقال عطاء ما ما ننسخ فانتزك من القرآن وقال ابن أبي

يوم التروية يوم ما يوم التروية ويوم عرفة وقيل ما بين أن يحرم بالحج الى يوم عرفة وقيل يصومون من أول عشر ذي الحجة وقيل ما دام بمكة وقيل انه يجوز أن يصوم الثلاث قبل أن يحرم وقد جوز بعض أهل العلم صيام أيام التشريق لمن لم يجد الهدى ومنعه آخرون وبه قال الشافعى (وسبعة اذار جمعتم) أى الى الاوطان والاهل قال أحمد واسحق يجزئه الصوم فى الطريق ولا يتضييق عليه الوجوب الا اذا وصل وطنه وبه قال الشافعى وقتادة والربيع ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وغيرهم وقال مالك اذا رجع من منى فلا بأس أن يصوم والاول أرجح وقد ثبت فى الصحيح من حديث ابن عمر انه قال صلى الله عليه وآله وسلم من لم يجد فليصم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذار جمع الى أهله فبين صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجوع المذکور فى الآية هو الرجوع الى الاهل وثبت أيضا فى الصحيح من حديث ابن عباس بلفظ وسبعة اذار جمعتم الى أمصاركم وقيل اذا فرغتم من أعمال الحج وبه قال أبو حنيفة والاول أولى وفيه التفات عن الغيبة وانما قال سبحانه (تلك عشرة كاملة) مع ان كل أحد يعلم أن الثلاثة والسبعة عشرة لدفع أن يتوهم متوهم التخيير بين الثلاثة الأيام فى الحج والسبعة اذار جمع قاله الزجاج وقال المبرد كذا ليس يدل على انقضاء العدد لثلاثيتوهم متوهم أنه قد بقى منه شئ بعد ذكر السبعة وقيل هو توهم كيد كما تقول كتبت بى وقد كانت العرب تأتى بمثل هذه الفذلكة فمادون هذا العدد وقوله كاملة تو كيد آخر بعد الفذلكة لزيادة التوصية بصيامها وأن لا ينقص من عددها والمعنى كلمة يعنى فى الثواب والاجر يعنى أن ثواب صيام العشرة كثر من ثواب الذبح لا ينقص عنه شئاً وقيل كاملة فى قيامها مقام الهدى (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) الإشارة قبل هى راجعة الى التمتع فيدل على انه لا متعة لحاضري المسجد الحرام كما يقوله أبو حنيفة وأصحابه قالوا ومن تمتع منهم كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه وقيل إنها راجعة الى الحكم وهو وجوب الهدى أو الصيام على من تمتع فلا يجب ذلك على من كان من حاضري المسجد الحرام كما يقوله الشافعى ومن وافقه والمراد من لم يكن ساكن فى الحرم أو من لم يكن ساكن فى المواقيت فمادونها على الخلاف فى ذلك بين الأئمة قال مالك هم أهل مكة وقال طائوس هم أهل الحرم وقال ابن جرير هم أهل عرفة والربيع وضحكان ونخلة وقال الشافعى من كان وطنه من

(٣٣ - فتح البيان ل) حاتم يعنى ترك فلم ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقال السدى ما ننسخ من آية نسخناها قبضها قال ابن أبي حاتم يعنى قبضها رفعها امثل قوله الشيخ والشيخة اذا زينا فارجوها البتة وقوله لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بئى لهما مالنا وقال ابن جرير ما ننسخ من آية ما ننقل من حكم آية الى غيره فبذله ونغيره وذلك ان نحول الحلال حراما والحرام حلالا والمباح محظورا والمحظور مباحا ولا يكون ذلك الا فى الامر والنهى والحظر والاطلاق والمنع والاباحة فاما الاخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ وأصل النسخ من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة اخرى الى غير هافسك ذلك معنى نسخ الحكم الى غيره

انما هو نحو يله ونقل عبارة الى غير ما وسواه نسخ حكمها أو خطها الذي في كتابها التهامن نسخة واما علمه الاصول فاختلقت عباراتهم في حد النسخ والامر في ذلك قريب لان معنى النسخ الشريعي معلوم عند العلماء ولحظ بعضهم انه رفع الحكم بدليل شرعي متأخر فادرج في ذلك نسخ الاخف بالانقل وعكسه والنسخ لا الى بدله واما تفاصيل أحكام النسخ وذكريا اعه ونسرة فبسوطة في أصول الفقه وقال الطبراني أخبرنا أبو سنبل عبيد الله بن عبد الرحمن بن راقه أخبرنا أي أخبرنا العباس بن الفضل عن سليمان بن أرقم عن الزهري عن سالم عن (٢٥٨) أبيه قال قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

فكان يقرآن بها فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدر انهما على حرف فأعسهما غاديين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر اذك له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها مما نسخ وأنسى فالفوا عنها فكان الزهري يقرؤها ما نسخ من آية أو نساها بضم النون الخفيفة سليمان بن الأرقم ضعيف وقد روى أبو بكر بن الانباري عن أبيه عن نصر بن داود عن أبي عبيد الله عن عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس وعقيل عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف مثله مرفوعا ذكره القرطبي وقوله تعالى أو نساها فقرئ على وجهين نساها ونساها فاما من قرأها بفتح النون والهجرة بعد السين فعناه تؤخرها قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ما نسخ من آية أو نساها يقول ما بسدل من آية أو نثر كها لا تبدلها وقال مجاهد عن أصحاب ابن مسعود أو نساها ثبت خطها وبديل حكمها وقال عبد بن عمر ومجاهد وعطاء أو نساها تؤخرها ونرجها وقال عطية العوفي

مكة على أقل من مسافة القصر وقال أبو حنيفة هم أهل الميقات والمواقيت ذوا الميمنة والخصفة وقرن ويالم وذات عرق وقيل من تلزمه الجمعة قال السيوطي والاهل كناية عن النفس أي نفس المحرم أي ذلك المحرم لم يكن هو نفسه حاضر المسجد الحرام وهذا معنى نسخ والاولى ما قاله غيره وحكي الرمي عن الطبري ان المراد بالاهل الزوجة والاولاد الذين تحت حجره دون الآباء والاخوة (وآتقوا الله) أي فيما فرض عليكم في هذه الاحكام وقيل هو أمر بالتقوى على العموم وتحذير من شدة عقاب الله سبحانه (واعلموا أن الله) اظهار في موضع الاضمار لتربية المهابة في روع السامع (شديد العقاب) لمن خالف أمره وتهاون بحمدوده وارتكب مناهمه وهو من باب اضافة الصفة المشبهة الى مرفوعها (الحج أشهر معلومات) أي وقت الحج أشهر أي وقت عمل الحج وقيل التقدير الحج في أشهر وقيل غير ذلك وقد اختلف في الأشهر المعلومات فقال ابن مسعود وابن عمر وعطاء والربيع ومجاهد والزهري هي شوال وذو القعدة وذو الحجة كله وبه قال مالك وقال ابن عباس والسدي والشعبي والنخعي هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم وقد روى أيضا عن مالك وتظهر فائدة الخلاف فيما وقع من أعمال الحج بعد يوم التخرق قال ان ذالحجة كله من الوقت قال لم يلزمه دم التأخير ومن قال ليس الا عشر منه قال يلزمه دم التأخير وقد استدل بهذا الآية من قال انه لا يجوز الاحرام بالحج قبل أشهر الحج وهو عطاء وطاوس ومجاهد والاوزاعي والشافعي وأبو ثور قالوا ان أحرم بالحج قبلها أحل بالعمرة ولا يجزئه عن احرام الحج كمن دخل في صلاة قبل وقتها فلا تجزئه وقال أحمد وأبو حنيفة انه مكروه فقط وروى نحوه عن مالك والمشهور عنه جواز الاحرام بالحج في جميع السنة من غير كراهة وروى مثله عن أبي حنيفة وعلى هذا القول ينبغي أن ينظر في فائدة توقيت الحج بالأشهر المذكورة في الآية وقد قيل ان النص عليها لزيادة فضلها وقد روى القول بجواز الاحرام في جميع السنة عن اسحق بن راهويه وابراهيم النخعي والثوري والليث بن سعد واحتج لهم بقوله تعالى يسألونك عن الاهل قل هي مواقيت للناس والحج بفعل الاهل كلها مواقيت للحج ولم يخص الثلاثة الأشهر ويحاج بان هذه الآية عامة وتلك خاصة والخاص مقدم على العام ومن جملة ما احتجوا به القياس للحج على العمرة فكما يجوز الاحرام للعمرة في جميع السنة

أو نساها تؤخرها فلا تنسخها وقال السدي مثله أيضا وكذا الربيع بن أنس وقال الضحاك ما نسخ من آية أو نساها يعني النسخ من المنسوخ وقال أبو العالية ما نسخ من آية أو نساها تؤخرها عندنا وقال ابن أبي حاتم أخبرنا عبيد الله بن اسمعيل البغدادي أخبرنا خلف أخبرنا الخفاف عن اسمعيل يعني بن أسلم عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطبنا عمر رضي الله عنه فقال يقول الله عز وجل ما نسخ من آية أو نساها أي تؤخرها واما على قراءة أو نساها فقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ما نسخ من آية أو نساها قال كان الله عز وجل ينسئ نبيه صلى الله عليه وسلم ما يشاء

وينسخ ما شاء وقال ابن جرير أخبرنا سواد بن عبد الله أخبرنا خالد بن الحرث أخبرنا عوف عن الحسن أنه قال في قوله أو ننسها قال إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قرأ قرآننا ثم نسيه وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا ابن نفيل أخبرنا محمد بن الزبير الحراني عن الجراح يعني الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال كان مما ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بالليل وينسها بالنهار فأنزل الله عز وجل ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها قال ابن أبي حاتم قال لي أبو جعفر بن نفيل ليس هو الجراح بن أرقطة هو شيخ لنا جزري وقال عبيد بن عمير أو ننسها نرفعها من عندكم وقال (٢٥٩) ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم

أخبرنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن القاسم بن ربيعة قال سمعت سعد ابن أبي وقاص يقول ما ننسخ من آية أو ننسها قال قلت له فان سعيد ابن المسيب يقرأ أو ننسها قال فقال سعدان القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب قال قال الله جل ثناؤه سنقرئك فلا تنسى وإذا كر ربك إذا نسيت وكذا رواه عبد الرزاق عن هشيم وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث أبي حاتم الرازي عن آدم عن شعبة عن يعلى ابن عطاء به وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه قال ابن أبي حاتم وروى عن محمد بن كعب وقتادة وعكرمة نحو قول سعيد وقال الامام أحمد أخبرنا يحيى أخبرنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال عمر على أقضانا وأبي آقصرؤنا وأنا لنندع من قول أبي وذلك أن أبا يعقوب ما أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يقول ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها

كذلك يجوز للرجح ولا يخفى أن هذا القياس مصادم للنص القرآني فهو باطل والحق ما ذهب إليه الأقولون أن كانت الأشهر المذكورة في قوله الحج أشهر مختصة بالثلاثة المذكورة بنص أو أجماع فإن لم يكن كذلك فالأشهر جمع شهر وهو من جموع القلة يتردد ما بين الثلاثة إلى العشرة والثلاثة هي المتيقنة فيجب الوقوف عندها ومعنى معلومات أن الحج في السنة مرة واحدة في أشهر معلومات من شهورها ليس كالعمرة أو المراد معلومات ببيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو معلومات عند المخاطبين لا يجوز التقديم عليهم ولا التأخر عنها (فن فرض) على نفسه (فهي الحج) أي أوجبه عليهم وألزمه إياها وأصل الفرض في اللغة الخز والقطع ومنه فرضه القوس والنهر والجبل ففرضية الحج لازمة للعبد الحر كزوم الخزل للقوس وقيل معنى فرض آبان وهو أيضا يرجع إلى القطع لأن من قطع شيئاً فقد أبانه عن غيره وقال ابن مسعود الفرض الاحرام وقال ابن الزبير الاهلال وروى نحو ذلك عن جماعة من التابعين والمعنى في الآية فن ألزم نفسه وأوجب عليهم أي من الحج بالشروع فيه بالنية قصد إبطانها بالاحرام فعلا ظاهرا وبالنية نطقا مسموعا وقال أبو حنيفة إن الزامه نفسه يكون بالنية أو بتقليد الهدي وسوقه وقال الشافعي تكفي النية في الاحرام بالحج (فلارفت) قال ابن عباس وابن جبير والسدي وقتادة والحسن وعكرمة والزهرى ومجاهد ومالك هو الجماع وفي رواية عن ابن عباس هو غشيان النساء والتبديل والغمز وقال ابن عمر وطاوس وعطاء وغيرهم الرفت الاخفاش بالكلام والخناء والقول القبيح وعلى هذا التلظيه في غيبة النساء يكون رفتنا وقال أبو عبيدة الرفت الاغنام الكلام (ولافسوق) أصله الخروج عن حدود الشرع وعن الطاعة وقيل هو الذبح للاصنام وقيل التنازل بالالتباب وقيل السباب وقال ابن عمر هو ما نهى عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظفار وأخذ الشعر وما أشبه ذلك والظاهر أنه لا يختص بعصية معينة وإنما خصه من خصه بما ذكر باعتبار أنه قد أطلق على ذلك الفرد اسم الفسوق كما قال سبحانه في الذبح للاصنام أرفسنا أهل لغبر الله به وقال في التنازل بش اسم الفسوق وقال صلى الله عليه وآله وسلم سباب المسلم فسوق ولا يخفى على عارف أن اطلاق اسم الفسوق على فرد من أفراد المعاصي لا يوجب اختصاصه به (ولاجدل) مشتق من الجدل

أو مثلها قال البخاري أخبرنا يحيى أخبرنا سفيان عن حبيب بن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال عمر أقرؤنا أبي وأقضانا على وأنا لنندع من قول أبي وذلك أن أبا يعقوب لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله ما ننسخ من آية أو ننسها وقوله نأت بخير منها أو مثلها أي في الحكم بالنسبة إلى متلحة المكافئين كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نأت بخير منها يقول خير لكم في المنفعة وأرفق بكم وقال أبو العباس ما ننسخ من آية فلا نعمل بها أو ننسها أي نرجئها عندنا نأت بها أو نظيرها وقال السدي نأت بخير منها أو مثلها يقول نأت بخير من الذي نسختناه أو مثل الذي تركناه وقال قتادة نأت بخير منها أو مثلها

يقول آية فيها تخفيف فيها رخصة فيها امر فيها نهى وقوله ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يرشد عباده تعالى بهذا إلى أنه المتصرف في خلقه بما يشاء فله الخلق والأمر وهو المتصرف في خلقهم كما يشاء ويسعد من يشاء ويشقى من يشاء ويصنع ويرضى من يشاء ويوفق من يشاء ويخذل من يشاء كذلك يحكم في عباده بما يشاء فيجعل ما يشاء ويحرم ما يشاء ويبيح ما يشاء ويحضر ما يشاء وهو الذي يحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا يستل عما يفعل وهم يسئلون ويختار عباده وطاعته (٢٦٠) لرسالة بالنسخ فيما أمر بالشئ لما فيه من المصلحة التي يعملها تعالى ثم ينهى

عنه لما يعملها تعالى فالطاعة كل الطاعة في امتثال أمره وأتباع رساله في تصديق ما أخبروا وامتنال ما نهيوا وترك ما نهوا عنه زجروا وفي هذا المقام رد عظيم وبيان بليغ لكفر اليهود وتزييف شبهتهم لعنهم الله في دعوى استحالة النسخ اما عقلا كما زعمه بعضهم جهلا وكفرا واما نقلا كما يخبره آخرون منهم افتراء وافكا قال الامام أبو جعفر ابن جرير رحمه الله فتأويل الآية ألم تعلم يا محمد ان لي ملك السموات والأرض وسلطانها ما دون غيري أحكم فيها وما وفيما فيها بما أشاء وأمر فيها وما وفيما فيها بما أشاء وأنهي عما أشاء وأنسخ وأبدل وأغير من أحكامي التي أحكم بها في عبادي بما أشاء إذا شاء وأقر فيها ما أشاء ثم قال وهذا الخبر وان كان خطابا من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم على وجه الخبر عن عظمته فإنه فيه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة ووجدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام لحجتهما بما جاء به من عند الله بتغير ما غير الله من

وهو القتل والمراد به هنا المنارة وقيل السباب وقيل الفخر بالآباء والظاهر الأول ومعنى النفي لهذا الأمر النهي عنها وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرفث التعريض للنساء بالجماع والفسوق المعاصي كلها والجدال جدال الرجل صاحبه وروى نحوه هذا عن جماعة من التابعين بعبارة مختلفة قال ابن عباس الجدال هو المراء قيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول آخر الحج غدا وقيل هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم يجز دافعة وبعضهم يمشي في ذى القعدة وبعضهم في ذى الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فأخبر الله أن أمر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا خلاف فيه بعده (في الحج) أي في أيامه ونسكته الاظهار لكل الاعتناء بشأنه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم والتقرب بها من موجبات ترك الأمور المذكورة وإتيان النفي للمبالغة في النهي والدلالة على أن ذلك حقيق بأن لا يقع فان كان منكرا مستقبحا في نفسه ففي خلال الحج أقبح كبس الحرير في الصلاة لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة إلى محض العبادة ظاهر الآية في الثلاثة خبر ومعناه نهى وانما نهى عن ذلك وان كان اجتنابها في كل الأحوال والأزمان واجبا لانها في الحج أسمى وأقطع منه في غيره وقيل ومعناه ولا شك في الحج أنه في ذى الحجة فابطل النسيء وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كبر يوم ولدته أمه أخرجه البخاري ومسلم (وما تفعلا من خير يعلمه الله) حدث على الخبر بعد ذكر الشر وعلى الطاعة بعد ذكر المعصية وهو أن يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ويمكن الفسوق البر والتقوى ويمكن الجدال الوفاق والاختلاف الجيلة وفيه ان كل ما يفعلونه من ذلك فهو معلوم عند الله لا يقوت منه شيء (وتزودوا) ما يغليكم ليسفركم (فان خير الزاد التقوى) أي ما يتقي به سؤال الناس وغيره فيه الأمر باتخاذ الزاد لان بعض العرب كانوا يقولون كيف نمجي بيت ربنا ولا يطعم منا فكانوا ينجون بالزاد ويقولون نحن متوكلون على الله سبحانه ثم يقدمون فيسألون الناس ويكونون كالأعمى فأنزل الله هذه الآية أخرجه عبد بن حميد والبخاري وأبو داود والنسائي وغيرهم عن ابن عباس وقد روى عن جماعة من التابعين مثل ذلك قال ابن الجوزي قد لبس إبليس على

قوم حكم التوراة فاخبرهم الله ان له ملك السموات والأرض وسلطانها وان الخلق أهل مملكته وطاعته وعليهم السمع والطاعة لآمره ونهييه وان له أمرهم بما يشاء ونسخ ما يشاء واقرار ما يشاء وانشاء ما يشاء من اقراره وأمره ونهييه (قلت) الذي يحمل اليهود على البحث في مسئلة النسخ انما هو الكفر والعناد فانه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام الله تعالى لانه يحكم ما يشاء كما انه يفعل ما يريد مع انه قد وقع ذلك في كتبه المتقدمة وشرائعه الماضية كما أحل لا دم تزويج بناته من نيسه ثم حرم ذلك وكما أباح لنوح بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات ثم نسخ حل بعضها وكان

نكاح الاختين مباحا لاسرائيل وبنه وقد حرم ذلك في شريعة التوراة وما بعدها وأمر ابراهيم عليه السلام بذبح ولده ثم نسحه
 قبل الفعل وأمر جهور بن اسرائيل بقتل من عبد الجبل منهم ثم رفع عنهم القتل كيلا يستأصلهم القتل وأشياء كثيرة يطول
 ذكرها وهم يعترفون بذلك ويصدقون عنه وما يجاب به عن هذه الادلة باجوبة لفظية فلا يصرف الدلالة في المعنى اذ هو المقصود
 وكفى كتبهم مشهورا من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والاخر باتباعه فانه يفيد وجوب متابعتة عليه السلام وانه لا يقبل عمل
 الا على شريعته وسواء قيل ان شرائع المتقدمه مغيية الى بعثته عليه (٢٦١) السلام فلا يسمى ذلك نسخا لقوله ثم آتوا

الصيام الى الليل وقيل انها مطلقة
 وان شريعة محمد صلى الله عليه
 وسلم نسختها فعلى كل تقدير
 فوجوب متابعتة متعين لانه جاء
 بكتاب هو آخر الكتب
 عهدا بالله تبارك وتعالى في هذا
 المقام بين تعالى جواز النسخ ردا
 على اليهود عليهم لعنة الله حيث
 قال تعالى ألم تعلم أن الله على كل
 شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك
 السموات والارض الآية فكأن
 له الملك بالامنازع فكذلك له
 الحكم بما يشاء لاله الخلق والاخر
 وقرئ في سورة آل عمران التي نزل
 صدرها خاطبا مع أهل الكتاب
 وقوع النسخ في قوله تعالى كل
 الطعام كان حلالا بنى اسرائيل
 الا ما حرم اسرائيل على نفسه
 الآية كما سأتى تفسيره والمسلمون
 كلهم متفقون على جواز النسخ
 في أحكام الله تعالى لماله في ذلك من
 الحكمة البالغة وكلهم قال بوقوعه
 وقال أبو مسلم الاصبهاني المفسر
 لم يقع شيء من ذلك في القرآن وقوله
 ضعف مردود مردول وقد تعسف
 في الاجوبة عما وقع من النسخ في

قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا ان هذا هو التوكل وهم على غاية من الخطا
 وقيل المعنى تزودوا المعادكم من الاعمال الصالحة فان خير الزاد التقوى والاول ارجح كادل
 عليه سبب نزول الآية وفيه اخبار بان خير الزاد اتقاء المنيات فكأنه قال اتقوا الله في
 اتيان ما أمركم به من الخروج بالزاد فان خيره التقوى وقيل المعنى فان خير الزاد ما اتقى به
 المسافر من التهلكة والحاجة الى السؤال والتسكف (واتقون) أى وخافوا عقابى وقيل
 اشتغلوا بتقواى وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله (يا أولى الالباب) فيه التخصيص
 لاولى الالباب بالخطاب بعد حدث جميع العباد على التقوى لان آرباب الالباب والعقول
 هم القابلون لاوامر الله الناهضون بها ولرب كل شيء خالصة (ليس عليكم جناح أن تنبغوا
 فضلا من ربكم) فيه الترخيص لمن حج في التجارة ونحوها من الاعمال التي يحصل بها شيء
 من الرزق وهو المراد بالفضل هنا ومنه قوله تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل
 الله أى لا اثم عليكم في ان تنبغوا في مواسم الحج رزقا ونفعا وهو الربح في التجارة مع
 سفركم لتأدية ما افترضه عليكم من الحج نزل رد الكراهتهم ذلك والحق ان الاذن في هذه
 التجارة جار مجرى الرخص وتركها أولى لقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له
 الدين والاخلاص هو أن لا يكون له حامل على الفعل سوى كونه عبادة (فاذا أفضتم من
 عرفات) يقال فاض الاناء اذا امتلأ ماء حتى ينصب من فواحيه ورجل ففاض أى مندفعة
 يديه بالعطاء ومعناه أفضتم أنفسكم فتركوا كمال المفعول كما ترك في قولهم دفعوا من موضع
 كذا وعرفات اسم لتلك البقعة كأذرع أى موضع الوقوف وعرفة اسم اليوم وسميت
 عرفات لان الناس يتعارفون فيها وقيل لأن آدم التقي هو وحواء فيها فتعارفا وقيل غير
 ذلك قال ابن عطية والطاهر انه اسم مرتجل كسائر أسماء البقاع الاعلى القول بان أصله
 جمع واستعمل بالآية على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعدة ولا يتم
 الحج الا به ووقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت دفع منها وآخر
 صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة (فأذروا الله) المراد بذكركم الله هنا
 دعاؤه ومنه التلبية والتكبير أى اذكروه لذاته من غير ملا حظة نعمة لانه تعالى يستحق
 الحمد من حيث ذاته ومن حيث انعامه على خلقه فحصلت المغايرة بين هذا وقوله واذكروه
 كما هذاكم وقيل المراد بالذكركم صلاة المغرب والعشاء بالمزدلفة جمعا وقد أجمع أهل العلم

ذلك قضية العدة بأربعة أشهر وعشر بعد الحول لم يجب عن ذلك بكلام مقبول وقضية تحويل القبلة الى الكعبة عن بيت المقدس
 لم يجب بشيء ومن ذلك نسخ مصابرة المسلم بعشرة من الكفرة الى مصابرة الاثنين ومن ذلك نسخ وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول
 صلى الله عليه وسلم وغير ذلك والله أعلم (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سأل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمن فقد ضل
 سواء السبيل) نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن كثرة سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الاشياء قبل كونها كما
 قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسوكم وان تسألوا عنها حتى ينزل القرآن تبدلكم أى وان تسألوا عن

تفصيلها بعد نزولها بين لكم ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه فلعلم ان يحرم من أجل تلك المسئلة وليد اجاب في الصحيح ان اعظم المسابن جرمان سأل عن شيء لم يحرم فخرم من أجل مسئلته ولم يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجتمع امرأته رجلان فان تكلم تكلم بامر عظيم وان سكت سكت على مثل ذلك فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها ثم أنزل الله حكم الملاعة ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قبيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال وفي صحيح مسلم دروني (٢٦٢) ما ترككم فاعلموا ان من كان قبلكم بكثره سؤالهم واختلافهم على

علي ان السنة ان يجمع الحاج بينهم فيها (عند المشعر الحرام) سعى مشعرا من الشعير وهو العلامة والدعاء عنده من شعائر الحج ووصف بالحرام حرمة من التعريم وهو المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه ما لم يؤذن فيه وفي الحديث انه صلى الله عليه وآله وسلم وقف به ذكر الله ويذعو حتى أسفر جحداً رواد مسلم أي دخل في السفر بفحيتين وهو بياض النهار قاله الشوبري والمشعر هو جبل قزح الذي يقف عليه الامام وقيل هو ما بين جبلي المزدلفة من مأزقي عرفة الى وادي محسر (وآذ كروه) ذكر احساناً كما هذا (كم) هداية حسنة وكرال امر بالذ كرتا كيدا وقيل الاول أمر بالذ كرت عند المشعر الحرام والثاني أمر بالذ كرت على حكم الاخلاص وقيل المراد بالثاني تعديد النعمة عليهم والكاف للتعليل (وان كنتم من قبله لمن الصالين) الضمير في قبله عائداً الى الهمزة وقيل الى القرآن وقيل الى الرسول والصالين الجاهل بالايان والطاعة والاهل بالخطيب وقيل جاهلين لا يعرفون كيف تذكروا وتعدونه (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) فيه انطاب الحس من قريش لانهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفات بل كانوا يقفون بالمزدلفة وهي من الحرم فاهروا بذلك وقد ورد في هذا المعنى روايات عن الصحابة والتابعين عند البخاري ومسلم وغيرهما وعلى هذا يكون ثم لعطف جملة على جملة بمعنى الواو لا للترتيب وقيل الخطاب لجميع الامة والمراد بالناس ابراهيم أي أفيضوا من حيث أفاض ابراهيم فيحصل ان يكون أمر الله بالافاضة من عرفة ويحصل ان تكون افاضة أخرى وهي التي من مزدلفة وعلى هذا يكون ثم على بابها للترتيب في الذكرا في الزمان الواقع فيه الاعمال وقد رجع هذا الاحتمال الاخبار بن جري الطبري وهو الذي يقتضيه ظاهر القرآن (واستغفروا الله) أي من مخالفتكم في الموقف لجميع ذنوبكم وانما أمروا بالاستغفار لانهم في مساقط الرحمة ومواطن القبول ومظنات الاجابة وقيل ان المعنى استغفروا للذي كن مخالفا للسنة ابراهيم وهو وقفكم بالمزدلفة دون عرفة وقد وردت احاديث كثيرة في المغفرة لاهل عرفة ونزول الرحمة عليهم واجابة دعائهم (ان الله غفور رحيم) أي سائر اذنوب عبادته برحمته وفيه دليل على انه يقبل التوبة من عباده التائبين ويغفر لهم (فاذا قضيت مناسككم) المراد بالمناسك أعمال الحج ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم خذوا عني مناسككم أي فاذ غرتم من أعمال الحج وقيل المراد بها الذبائح

أبينا لهم فاذا أمر تكلم بامر فانوا منه ما استطعتم وان نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وهذا انما قاله بعد ما أخبرهم ان الله كتب عليهم الحج فقال رجل كل عام يا رسول الله فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ثم قال عليه السلام لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم ثم قال دروني ما ترككم الحديث ولهذا قال أنس بن مالك نهينا ان نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يجيبنا ان يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده أخبرنا أبو كريب أخبرنا اسحق بن سليمان عن أبي سنان عن أبي اسحق عن البراء بن عازب قال ان كان ليأتي على السنة أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيء فأتيت منه وان كالتقى الاعراب وقال البراز أخبرنا محمد بن المنثري أخبرنا بن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعد بن جبير عن ابن عباس قال ما رأيت قوما خيرا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما سألوا الا عن ثني عشرة

مسئلة كلها في القرآن يسألونك عن الخمر والميسر ويسألونك عن الشهر الحرام ويسألونك عن النسيء يعني وذلك هذا وأشباهه وقوله تعالى أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سأل موسى من قبل أي بل تريدون أو هي على بابها في الاستدعيام وهو انكارى وهو يعلم المؤمنين والكافرين فانه عليه السلام رسول الله الى الجميع كما قال تعالى يسأل الله أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أؤنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال قال رافع بن خزيمة وذهب بن زيد يا محمد ائتنا بكتاب تنزلنا عليه من السماء نقرؤه

وغير لنا أنهارا تتبعك ونصدقك فانزل الله من قولهم أم تريدون أن تسالوا رسولكم كما سأل موسى من قبل قال قال رجل يا رسول الله لو كانت كفارتنا ككفارات بني اسرائيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا نبغيها الاثنا ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني اسرائيل كانت كفارتنا ككفارات بني اسرائيل اذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابها وكفارتها فان كفرها كانت له خزيافي الدنيا وان لم يكفرها (٢٦٣) كانت له خزيافي الآخرة فأعطاكم الله

خير مما أعطى بني اسرائيل قال ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا وقال الصلوات الخمس من الجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن وقال من هم بسنة فلم يعملها لم يكتب عليه وان عملها كتبت سنة واحدة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر أمثالها ولا يهلك على الله الا هالك فانزل الله أم تريدون ان تسالوا رسولكم كما سأل موسى من قبل وقال مجاهد أم تريدون أن تسالوا رسولكم كما سأل موسى من قبل أن يريهم الله جهرة قال سألت قريش محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبًا قال نعم وهو لکم كما سألت بني اسرائيل فابو اورجعوا وعن السدي وقتادة نحو هذا والله أعلم والمراد ان الله ذم من سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء على وجه التعنت والاقتراح كما سألت بنو اسرائيل موسى عليه السلام تعنتا وتكذبا وعنادا قال الله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايان أي ومن يشتر

وذلك بعد رمي جرة العقبة والاستقرار يعني (فاذكروا الله كذاكم آباءكم أو أشد ذكرا) انما قال سبحانه ذلك لان العرب كانوا اذا فرغوا من حجهم بقفون عند الجرة وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر آباءهم ومناقب أسلافهم بالمنشور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم بذلك الشهرة والسمعة والرفعة فلما من الله عليهم بالاسلام أمرهم بذلك مكان ذلك الذكروا ويحذرونه ذكر أمه لا ذكروهم لا بآبائهم أو أشد من ذكروهم لا بآبائهم والذكروا بالتحميد والتحميد والتهليل والتسبيح والتكبير والثناء عليه وقيل أو بمعنى الواو أي وأكثر واذا ذكر الله تعالى من ذكركم لا بآبائهم لأنه هو المنعم عليكم وعلى آباءكم فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا (فن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا وما لفي الآخرة من خلاق) لما أُرشد سبحانه عباده الى ذكره وكان الدعاء نوعا من أنواع الذكر جعل من يدعو منقسمًا الى قسمين أحدهما يطلب حظ الدنيا ولا يلتفت الى حظ الآخرة والقسم الآخر يطلب الامرين جميعا والخلاق التصيب أي ما له هذا الداعي في الآخرة من نصيب لأن همه مقصور على الدنيا لا يريد غيرها ولا يطلب سواها وفي هذا الخبر معنى النهي عن الاقتصار على طلب الدنيا والذم لمن جعلها غاية رغبته ومعظم مقصوده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قال نفع عبد الدنيا وعبد الدرهم وعبد الخيصة ان أعطى رضى وان لم يعط سخط تعس واتكس واذا شئت فلا تنكس أخرجه البخاري وهذا دعاء عليه بالهلال وفي الباب أحاديث كثيرة وانما كان سؤال المشرکين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعم الآخرة لانهم كانوا ينكرون البعث (وممنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقمنا عذاب النار) قد اختلف في تفسير الحسنتين المذكورتين في الآية ف قيل هما ما يطلبه الصالحون في الدنيا من العافية وما لا بد منه من الرزق وما يطلبونه في الآخرة من نعيم الجنة والرضا وقيل المراد بحسنة الدنيا الزوجة الحسنة وبحسنة الآخرة الخور العين وقيل حسنة الدنيا العلم والعبادة وحسنة الآخرة الجنة وقيل الاولى العدل الصالح والثانية المغفرة والثواب وقيل من آتاه الله الاسلام والقرآن وأهداه لما لا نفد أرقى فيه ما حسنة وقيل غير ذلك مما لا فائدة في ذكره قال القرطبي والذي عليه أكثر أهل العلم ان المراد بالحسنتين نعيم الدنيا والآخرة قال وهذا هو الصحيح فان اللفظ يقتضي هذا كله فان حسنة نكرة في سياق الدعاء فهو محتمل لكل

الكفر بالايان فقد ضل سواء السبيل أي فقد خرج عن الطريق المستقيم الى الجهل والضلال وهكذا حال الذين عدلوا عن تصديق الانبياء واتباعهم والانقياد لهم الى مخالفتهم وتكذيبهم والاقتراح عليهم بالاسئلة التي لا يحتاجون اليها على وجه التعنت والكفر كما قال تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وقال أبو العالسة يتبدل الشدة بالرخاء (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفار احسد امن عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير

يخبروه عند الله ان الله بما تعملون بصير) يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من اهل الكتاب ويعلمهم بعد اوتاهم
 لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم ويا امر عباده المؤمنين بالصفح
 والعفو والاحتمال حتى ياتي امر الله من النصر والفتح ويا امرهم باقامة الصلاة واية الزكاة ويحثهم على ذلك ويرغبهم فيه كما قال
 محمد بن اسحق حدثني محمد بن ابي اسحق عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال كان حي بن اخطب وأبو ياسر بن
 اخطب من أشد مدحهم للعرب حسدا (٢٦٤) ادخضهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم وكانا جاهدين في رد

الناس عن الاسلام ما استطاعا
 فانزل الله فيهم ساءة كثير من اهل
 الكتاب لو يردونكم الآية وقال
 عبد الرزاق عن معمر عن الزهري
 في قوله تعالى ود كثير من أهل
 الكتاب قال هو كعب بن الاشرف
 وقال ابن ابي حاتم اخبرنا ابي اخبرنا
 أبو الهيثم اخبرنا شعيب عن
 الزهري اخبرني عبد الرحمن بن
 عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه
 ان كعب بن الاشرف اليهودي
 كان شاعرا وكان يهجو النبي صلى
 الله عليه وسلم وفيه أنزل الله ود
 كثير من أهل الكتاب لو يردونكم
 الى قوله فاعفوا واصفحوا وقال
 الصالح عن ابن عباس ان رسولا
 أميا يخبرهم بما في أيديهم من
 الكتب والرسول والآيات ثم يصدق
 بذلك كله مثل تصديقهم ولكنهم
 يجحدوا ذلك كفرا وحسدا وبغيا
 وكذلك قال الله تعالى كنارا
 حسدا من عند أنفسهم من بعد
 ما تبين لهم الحق يقول من بعد
 ما أمضاهم الحق لم يجبهوا منه شيئا
 ولكن الحسد حملهم على الجحد
 فسيرهم ووجنهم ولا مهم أشد

حسنة من الحسنات على البذل وحسنة الآخرة الجنة باجماع انتهى (أولئك) إشارة الى
 الفريق الثاني فقط (لهم نصيب مما) أي من جنس ما (كسبوا) من الاعمال أي من ثوابها
 ومن جلة أعمالهم الدعاء أعطاهم الله بسببه من الخير فهو ما كسبوا وقيل معناه من
 أجل ما كسبوا وهو بعيد وقيل قوله أولئك إشارة الى الفريقين جميعا أي للاولين نصيب
 من الدنيا ولانصيب لهم في الآخرة وللآخرين نصيب مما كسبوا في الدنيا والآخرة
 (والله سريع الحساب) الحساب مصدر كالحاسبة وأصله العدد والمراد هنا المحسوب سمي
 حسابا تسمية للمفعول بالمصدر والمعنى أن حسابه لعباده في يوم القيامة سريع مجيئه
 فمادروا ذلك بأعمال الخير وأوانه وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم
 وأعمالهم ليبدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج الى آلة
 ولا اماره ولا مساعدة فيحاسبهم في حالة واحدة كما قال تعالى ما خلقكم ولا بعنكم
 الا كنفس واحدة وقال السيوطي يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف من نهار من أيام
 الدنيا لحديث بذلك انتهى وهذا تمثيل للسرعة لاتعيين المقدار من الحساب وقيل
 معناه ان الله يعلم العباد ما لهم وعليهم وهذا أبعد وقيل الحاسبة المجازاة ويدل عليه قوله
 فحاسبناها حسبا شديدا وقيل معناه انه سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وقيل
 معنى الآية ان اتيان القيامة قريب لاحتماله وفيه إشارة الى المبادرة بالتوبة والذكرو سائر
 الطاعات وطلب الآخرة (واذكروا الله) يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في أديار
 الصلوات وعند رمي الجرات فقد ورد في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كبر
 مع كل حصاة والخطاب للحاج وغيره كما ذهب اليه الجمهور وقيل هو خاص بالحاج
 (في أيام معدودات) قال القرطبي لا خلاف بين العلماء ان الايام المعدودات في هذه الآية
 هي أيام منى وهي أيام التشريق الثلاثة وهي أيام رمي الجمار أولها اليوم الحادي عشر من
 ذي الحجة وهو مذهب الشافعي وبه قال ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد
 وقتادة وقال ابراهيم الايام المعدودات ايام العشر والايام المعلومات ايام النحر وكذا
 روى عن مكى والمهدوي قال القرطبي ولا يصح لما ذكرناه من الاجماع على ما نقله أبو عمر
 ابن عبد البر وغيره وعن أبي يوسف الايام المعلومات ايام النحر قال لقوله تعالى
 ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام وقال محمد بن الحسن هي

الملائمة وشرع لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ما هم عليه من التصديق والايان والاقرار بما أنزل
 الله عليهم وما أنزل من قبلهم بكرامته وثوابه الجزيل ودعوته لهم وقال الربيع بن أنس من عند أنفسهم من قبل أنفسهم وقال
 أبو العالية من بعد ما تبين لهم الحق من بعد ما تبين ان محمد رسول الله يجذونه مكثوبا عندهم في التوراة والانجيل فكفروا به حسدا
 وبغيا اذ كان من غيرهم وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وقوله فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامرهم مثل قوله تعالى ولتسمعن
 من الذين آتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله فاعفوا واصفحوا

حتى يأتي الله بأمره والسدى وقوله فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره نسخ ذلك قوله واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إلى قوله وهم صاغرون فنسخ هذا عقوه عن المشركين وكذا قال أبو العباس الرازي بن أنس وقتادة والسدى أنهم أنسخوا بآية السيف ويرشد إلى ذلك أيضا قوله تعالى حتى يأتي الله بأمره وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا أبو العباس أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعنون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم (٢٦٥) الله ويصبرون على الأذى قال الله فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله

بأمره أن الله على كل شيء قدير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول من العدو وأمره الله به حتى أذن الله فيهم بالقتل فقتل الله به من قتل من صناديد قريش وهذا الإسناد صحيح ولم أر في شيء من الكتب الستة ولكن له أصل في الصحيحين عن أسامة بن زيد وقوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله يثيبهم تعالى على الاشتغال بما ينفعهم وتعود عليهم عاقبته يوم القيامة من أقام الصلاة وآتاه الزكاة حتى يمكن لهم الله النصر في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولهذا قال تعالى إن الله بما تعملون بصير يعني أنه تعالى لا يغفل عن عمل عامل ولا يضيع لديه سواء كان خيرا أو شرا فإنه يجازي كل عامل بعمله وقال أبو جعفر بن جرير في قوله تعالى إن الله بما تعملون بصير هذا الخبر من الله للذين خاطبهم بهذه

أيام النحر الثلاثة يوم الأضحي ويومان بعده وهو قول علي وروى عن ابن عمر وهو مذهب أبي حنيفة قال أبا عبد الله الطبري فعلى قول أبي يوسف ومحمد لا فرق بين المعلومات والمعدودات لأن المعدودات المذكورة في القرآن أيام التشريق بخلاف وروى عن مالك أن الأيام المعدودات والأيام المعلومات يجمعها أربعة أيام يوم النحر وثلاثة أيام بعده فيوم النحر معلوم غير معدود واليومان بعده معلومان معدودان واليوم الرابع معدود لا معلوم وهو مروي عن ابن عمر وقال ابن زيد الأيام المعلومات عشر ذى الحجة وأيام التشريق وأجمع العلماء على أن المراد به ذاهو التكبير عند رمي الجرات مع كل حصة يرمى بها في جميع أيام التشريق وهو سنة بالاتفاق وعن نبيشة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله تعالى رواه مسلم ومن الذكري في هذه الأيام التكبير وروى البخاري عن ابن عمر أنه كان يكبر يعني تلك الأيام وخلاف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي مجلسه وفي مشاه في تلك الأيام جمعا وقد اختلف أهل العلم في وقته فقبل من صلاة الصبح يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا في ثلاث وعشرين صلاة وهو قول علي بن أبي طالب ومكحول وبه قال أبو يوسف ومحمد وقيل من غداة عرفة إلى صلاة العصر من آخر النحر وبه قال أبو حنيفة وابن مسعود وعلى هذا يكون التكبير في ثمان صلوات وقيل من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق وبه قال مالك والشافعي فيكون التكبير على هذا في خمس عشرة صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر ولفظ التكبير عند الشافعي الله أكبر ثلاثا نسقا وعند أهل العراق مرتين (فن تجعل في يومين فلا ثم عليه ومن تأخر فلا ثم عليه) اليومان هما يوم نائي النحر ويوم ثالثه من أيام التشريق قال ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة والخفي من رمي في اليوم الثاني من الأيام المعدودات فلا حرج ومن تأخر إلى الثالث فلا حرج فعني الآية كل ذلك مباح وعبر عنه بهذا التقسيم اهتاما وما توكيد الان من العرب من كان يذم التجمل ومنهم من كان يذم التأخر فنزلت الآية رافعة للجناح في كل ذلك وقال علي وابن مسعود معنى الآية من تجمل فقد عفر له ومن تأخر فقد عفر له والآية قد دلت على أن التجمل والتأخر مباحان ولا بد من ارتكاب محجاز في قوله يومين من حيث أنه جعل الواقع في

(٣٤ ل - فتح البيان) الآيات من المؤمنين أنهم هم ما فعلوا من خيرا وشرسا وعلا نية فهو به بصير لا يخفى عليه منه شيء فيجزئهم بالإحسان خيرا وبالإساءة مثلها وهذا الكلام وإن كان قد خرج مخرج الخبر فإن فيه وعدا وعيدا وأمر أو نهي أو ذلك أنه أعلم القوم أنه بصير بجميع أعمالهم ليجتدوا في طاعته إذ كان ذلك مذخورا لهم عنده حتى يشيهم عليه كما قال تعالى وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله وليحذروا معه يته قال وأما قوله بصير فإنه مبصر صرف إلى بصير كما صرف مبصر إلى بديع وموئل إلى أليم والله أعلم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو زرعة أخبرنا ابن بكير حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي

الخبر عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية سمع بصير يقول بكل شيء بصير (و قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانتهم قل ها اوتوا براهانكم ان كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربّه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم ينادون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم قال الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بين تعالى اعتبار اليهود والنصارى بما هم فيه حديث اذعت كل (٢٦٦) طائفة من اليهود والنصارى انه لن يدخل الجنة الا من كان على ملته كما أخبر الله

عنهم في سورة المائدة انهم قالوا نحن ابناء الله وأحبّوه فاكذبهم الله تعالى بما أخبرهم انه معذبهم بذنوبهم ولو كانوا كما ادعوا لما كان الامر كذلك وكما تقدم من دعواهم انه لن تمسهم النار الا اياما معدودة ثم ينتقلون الى الجنة ورد عليهم تعالى في ذلك وهكذا قال لهم في هذه الدعوى التي ادعوها بلا دليل ولا حجة ولا بينة فقال تلك امانتهم وقال ابو العالية امانتي تمتوها على الله بغير حق وكذا قال قتادة والربيع بن أنس ثم قال تعالى قل أي يا محمد ها اوتوا براهانكم قال ابو العالية ومجاهد والسدي والربيع بن أنس حجتكم وقال قتادة ينسبكم على ذلك ان كنتم صادقين أي فيما تدعونه ثم قال تعالى بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن أي من أخلص العمل لله وحده لا شريك له كما قال تعالى فان حاجوك فقل أسألت وجهي لله ومن اتبعن الآية وقال ابو الغالية والربيع بلى من أسلم وجهه لله يقول من أخلص لله وقال سعيد بن جبير بلى من أسلم

أحدهما واقعافيهما كقولنا نسأحوهم ما يخرج منهم ما اللؤلؤ والمرجان وجعلناه شركاء في آناهما والناسي أحدهما وكذلك المخرج منه والجاعل له أحدهما أو من حيث حذف المضاف أي في ثاني يومين والاول أولى (لمن اتقى) أي ان ذلك التخيير ورفع الائم ثابت لمن اتقى لان صاحب التقوى يحترز عن كل ما يريه فكان أحق بتخصيصه بهذا الحكم قال الاخفش التقدير ذلك لمن اتقى وقيل لمن اتقى بعد انصرفه من الحج عن جميع المعاصي وقيل لمن اتقى قتل الصيد وقيل معناه السلامة لمن اتقى وقيل أي الذكركل اتقى في حمله لانه الحاج في الحقيقة (واتقوا الله) أي في المستقبل (واعلموا أنكم اليه محشرون) فيجازيكم باعمالكم وفيه بحث على التقوى وهو عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) أي برؤفك وتستحسنه ويعظم في قلبك حلالة كلامه بما يتعلق بامر الدنيا والاعجاب استحسان الشيء والميل اليه والتعظيم له وقال الراغب العجب حيرة تعرض للانسان بسبب الشيء وليس هو شيئا له ذاته حالة حقيقية بل هو بحسب الاضافات الى من يعرف السبب ومن لا يعرفه وحقيقة أعجبني كذا ظهر لي ظهورا لم أعرف سببه انتهى لما ذكر سبحانه طائفتي المسلمين بقوله ومن الناس من يقول عقب ذلك بكذا كطائفة المنافقين وهم الذين يظهرون الايمان ويطنون الكفر وقيل انها زلات في قوم من المنافقين وقيل انها زلات في كل من أضمر كفرا أو نفاقا أو كذبا وأظهر بلسانه خلافه (ويشهد الله على ما في قلبه) أي أنه يحلف على ذلك فيقول اني بكم مؤمن ولكم محب أو يقول الله يعلم اني أقول حقا وانى صادق في قولي لك أو أن ما في قلبي موافق لقولي (وهو ألد الخصام) أي شديد الخصومة يقال رجل ألد امرأه ادعوا الخصام مصدر خاصم قاله الخليل وقيل جمع خصيم قاله الزجاج والمعنى أنه أشد الخصام خصومة لكثرة جهده وقوة مرابعته والاضافة بمعنى في أي ألد في الخصام أو جعل الخصام ألد على المبالغة أي شديد الجدال في الباطل وهو كاذب القول وقيل شديد القسوة في المعصية يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أبغض الرجال الى الله الا الداحض أخرجه البخاري ومسلم (واداؤلي سعي في الارض ليفسد فيها) أي اذا أدبر وذهب عنك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل انه بمعنى ضل وغضب وقيل انه بمعنى الولاية أي اذا كان واليا يفعل ما يفعله ولاية

أخلص وجهه قال دينه وهو محسن أي اتبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فان للعمل المتقبل شرطين أحدهما أن يكون السوء خالصا لله وحده والاخر أن يكون صوابا موافقا للشريعة حتى كان خالصا لم يكن صوابا لم يتقبل ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردى رواه مسلم من حديث عائشة عنه عليه الصلاة والسلام فعمل الرهبان ومن شابههم وان فرض أنهم مخلصون فينبغي الله فانه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متابعا للرسول صلى الله عليه وسلم المبعوث اليهم وإلى الناس كافة وفيهم وأمثالهم قال الله تعالى وقد مننا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة

بحسبه الظاهر ان ما عني اذا جاء لم يجد شيئا وقال تعالى وجوه يومئذ خاضعة عاملة ناصبة تصلي نار احامية تسقي من عين آنية
 وروى عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه انه تناولها في الرهبان كاسياتي واما ان كان العمل موافقا للشرية في الصورة الظاهرة
 ولكن لم يخلص عاملة القصد لله فهو أيضا مردود على فاعله وهذا حال المرأتين والمنافقين كما قال تعالى ان المنافقين يخادعون الله
 وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى براؤن التامر ولا يذكرون الله الا قليلا وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن
 صلاتهم ساهون الذين هم براؤن ويمعنون الماعون وهذا قال تعالى (٢٦٧) فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا

صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا
 وقال في هذه الآية الكريمة بلى
 من أسلم وجهه لله وهو محسن
 وقوله فله أجره عند ربه ولا خوف
 عليهم ولا هم يحزنون ضمن لهم
 تعالى على ذلك تحصيل الاجور
 وآمنهم مما يخافونه من المحذور
 فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه
 ولا هم يحزنون على ماضى مما
 يتركونه كما قال سعيد بن جبير
 فلا خوف عليهم يعني في الآخرة
 ولا هم يحزنون يعني لا يحزنون
 للموت وقوله تعالى وقالت اليهود
 ليست النصارى على شيء وقالت
 النصارى ليست اليهود على شيء
 وهم يتلون الكتاب بين به تعالى
 تناقضهم وتباغضهم وتعاديتهم
 وتعاذهم كما قال محمد بن اسحق
 حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة
 أو سعيد بن جبير عن ابن عباس
 قال لما قدم أهل خبران من
 النصارى على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أتتهم أخبارهم
 فتأزعوا عند رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال رافع بن حرملة
 ما أنتم على شيء وكفر بعيسى

السوء من الفساد في الارض والسعي يحتمل أن يكون المراد به السعي بالقدمين الى ما هو
 قساد في الارض كقطع الطريق وقطع الارحام وحرب المسلمين وسفك دماءهم ويحتمل ان
 يكون المراد به العمل في الفساد وان لم يكن فيه سعي بالقدمين كالتمديد على المسلمين بما
 يضرهم واعمال الخيل عليهم وكل عمل يعمل به الانسان بجوارحه أو حواسه يقال له سعي
 وهذا هو الظاهر من هذه الآية (ويهلك الحرث والنسل) من عطف الخاص على العام فان
 الفساد أعم من ذلك فيشمل سفك الدماء ونهب الاموال وغير ذلك والمراد بالحرث الزرع
 والنسل الاولاد وقيل الحرث النساء قال الزجاج وذلك لان النفاق يؤدي الى تزييق
 الكامة ووقوع القتال وفيه هلاك النسل وقال مجاهد الحرث نبات الارض والنسل
 نسل كل شيء من الحيوان والناس والدواب وعنه أيضا قال معنى الآية بلى في الارض
 فيعمل فيها بالعدوان والظلم فيحبس الله بذلك القطر من السماء فهلك الجبس القطر الحرث
 والنسل وقال ابن عباس نسل كل دابة وأصل الحرث في اللغة الشق ومنه المجرث لما
 يشق به الارض والحرث كسب المال وجهه وأصل النسل في اللغة الخروج والسقوط
 ومنه نسل الشعر ومنه أيضا الى ربهم ينسلون ومن كل حذب ينسلون ويقال لما خرج
 من كل أمي نسل لخروجه منها (والله لا يحب الفساد) يشمل كل نوع من أنواعه من غير فرق
 بين ما فيه فساد الدين وما فيه فساد الدنيا واحتجت المعتزلة بهذه الآية على أن المحبة عبارة
 عن الارادة وأجيب عنه بان الارادة معنى غير المحبة فان الانسان قد يريد شيئا ولا يحبه
 كالدواء المترينساؤه ولا يحبه فبان الفرق بينهما وقيل ان المحبة مدح الشيء وتعظيمه
 والارادة بخلاف ذلك (واذا قيل له) أي على سبيل النصيحة وهي مستأنفة أو معطوفة
 على يعجبك (انني الله) أي خف الله في سره وعلا نيتك (أخذته العزة بالاثم) العزة القوة
 والغلبة من عزه يعزه اذا غلبه ومنه وعزني في الخطاب وقيل العزة هنا الحجة والالفة
 وقيل المنعة وشدة النفس والمعنى حملته العزة على فعل الاثم من قولك أخذته بكذا اذا
 جعلته عليه وألزمته اياه قاله الزمخشري وقيل أخذته العزة بما يؤثم أي ارتكب
 الكفر للعزة ومنه بل الذين كفروا في عزة وشقاق وقيل الباء في قوله بالاثم بمعنى اللام
 أي أخذته الحجة عن قبول الوعد لللاثم الذي في قلبه وهو النفاق وقيل الباء بمعنى مع أي
 أخذته العزة مع الاثم وقيل للسمية أي ان الله كان سببا لاخذ العزة وفي هذه الآية

وبالانجيل وقال رجل من أهل خبران من النصارى اليه ودما أنتم على شيء وبخند بنوة موسى وكفر بالتوراة فانزل الله في ذلك
 قولهما وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب قال ان كلا يتلوا
 كتابه تصديق من كفر به ان يكفر اليه ودعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على اسان موسى بالتصديق بعيسى وفي
 الانجيل ما جاء به عيسى بتصديق موسى وما جاء من التوراة من عند الله وكل يكفر بما في يد صاحبه وقال مجاهد في تفسيره
 الآية قد كانت أوائل اليهود والنصارى على شيء وقاب قباذة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء قال بلى قد صيحت أوائ

النصارى على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا وقالت النصارى ليست اليهود على شيء قال بلي قد كانت أوائل اليهود على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا وعنه رواية أخرى كقول أبي العالية والريبع بن أنس في تفسير هذه الآية وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا القول يقتضي أن كلام الطائفتين صدقت فيما رتبته الطائفة الأخرى ولكن ظاهر سياق الآية يقتضي ذمهم فيما قالوه مع علمهم بخلاف ذلك ولهذا قال تعالى وهم يتلون الكتاب أي وهم يعلمون (٢٦٨) شريعة التوراة والإنجيل كل منهما قد كانت مشروعة في وقت

التبليغ وهو نوع من علم البديع وهو عبارة عن إرداف الكلمة بأخرى ترفع عنها اللبس وتقربها إلى الفهم وذلك أن العزة تكون محمودة ومذمومة فمن مجيئها محمودة قوله تعالى والله العزة لرسوله وللمؤمنين فلأولاً أطلقت لتوهم في بعض من لا دراية له أنه المحمودة فقبل بالاثم وتوضيحا للمراد فرفع اللبس به قاله السمين قال ابن مسعود إن من أكبر الذنوب عند الله أن يقول الرجل لأخيه اتق الله فيقول عليك بنفسك أنت تأمرني وعن سفيان قال قال رجل لمالك بن مغول اتق الله فسقط فوضع خده على الأرض وتواضع الله (فحسبه جهنم) أي كافيه معاقبة وجرأ كما تقول للرجل كفال ما حل بك وأنت تستعظم عليه ما حل به وحسب اسم فاعل وقيل اسم فاعل (ولبس المهاد) جع المهاد وهو الموضع المهيأ للنوم ومنه مهدي الصبي وقيل اسم مفرد سمي به الفراش الموطأ للنوم وسميت جهنم مهاداً لأنها مستقرة الكفار وقيل المعنى أنها بدل لهم من المهاد كقوله فيشرهم بعدذاب أليم وقال مجاهد بن يسما مهادوا لأنفسهم وقال ابن عباس ينس المنزل وهذا من باب التكميل والاستزاء (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) يشري بمعنى يبيع أي يبيع نفسه في مرضاة الله كالجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال قتادة هم المهاجرون والأنصار ومثله قوله تعالى وشروه بثمن بخس وأصله الاستبدال ومنه قوله إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والمرضاة الرضا قال ابن عباس نزلت في سرية الربيع وكانت بعد أحد وفي البخاري تمام قصته عن حديث أبي هريرة فإن شئت فارجع إليه (والله رؤف بالعباد) وجه ذكر الرأفة هنا أنه أوجب عليهم ما أوجب له ليجازيهم ويثيبهم عليه فكان ذلك رأفة لهم ولطفاً بهم ومن رأفته أن جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رأفته أنه يقبل توبة عبده وأنه لا يكلف نفساً الا وسعها وإن المرء على الكفر ولو مائة سنة إذا تاب ولو لحظة أسقط عنه عقاب تلك السنين وأعطاه الثواب الدائم ومن رأفته أن نفس العباد وأموالهم له ثم إن يشترى ملكه بملكه فضلاً منه ورحمة واحساناً وهذه أربعة أقسام اشتملت عليها آيات الآيات الكريمة أولها راعب في الدنيا فقط ظاهرها وباطننا والثاني راعب فيها وفي الآخرة كذلك والثالث راعب في الآخرة ظاهرها وفي الدنيا باطننا والرابع راعب في الآخرة ظاهرها وباطننا معرض عن الدنيا كذلك (يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)

ولكنهم تجاحدوا فيما بينهم عناداً وكفراً ومقابلة للفاسد بالفاسد كما تقدم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة في الرواية الأولى عنه في تفسيرها والله أعلم وقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم بين هذا جهل اليهود والنصارى فيما تقابلوا به من القول وهذا من باب الإيحاء والاشارة وقد اختلف فيمن عني بقوله تعالى الذين لا يعلمون فقال الربيع بن أنس وقتادة كذلك قال الذين لا يعلمون قالوا قالت النصارى مثل قول اليهود وقيل لهم وقال ابن جريج قلت لعطاء من هؤلاء الذين لا يعلمون قال أم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التوراة والإنجيل وقال السدي كذلك قال الذين لا يعلمون فهم العرب قالوا ليس محمد على شيء واختار أبو جعفر بن جرير أنها عامة تصلح للجميع وليس ثم دليل قاطع يعين واحداً من هذه الأقوال والجماع على الجميع أولى والله أعلم وقوله تعالى فأنذره يوم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أي أنه تعالى

يجمع بينهم يوم المعاد ويفصل بينهم بقضائه العدل الذي لا يجوز فيه ولا يظلم مثقال ذرة وهذه الآية كقوله تعالى في سورة الحج إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يقصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد وكما قال تعالى قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا حائقين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم) اختلف المفسرون في المراد من الذين منعوا مساجد الله وسعوا في خرابها على قولين أحدهما ما رواه العوفي في تفسيره عن ابن عباس في قوله ومن

أظلم من منع مساجد الله أن يدبرها اسمه قال هم النصارى وقال يجاهدكم النصارى قالوا يظرون في بيت المقدس الذي
 وينعوا الناس أن يصلوا فيه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وسعى في خرابها قال هو يجتصر وأصحابه خرب
 بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى وقال سعيد عن قتادة قال أولئك أعداء الله النصارى جلهم بعض اليهود على أن أعانوا
 يجتصر البابل الجوسى على تخريب بيت المقدس وقال السدى كانوا ظاهرا ويجتصر على خراب بيت المقدس حتى خربه
 وأمر أن تطرح فيه الجيف وأعانه الروم على خرابه من أجل (٢٦٩) ابن أبي عمير قال قتلا يحيى بن زكريا وروى

نحوه عن الحسن البصرى القول
 الثانى مارواه ابن جرير حدثني
 يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن
 وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن
 أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر
 فيها اسمه وسعى في خرابها قال
 هؤلاء المشركون الذين حالوا
 بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يوم الحديبية وبين أن يدخلوا مكة
 حتى نحره بذي طوى وهادنهم
 وقال لهم ما كان أحد يصعد عن
 هذا البيت وقد كان الرجل يلقي
 قاتل أبيه وأخيه فلا يصدده فقالوا
 لا يدخل علينا من قتل أباهنا يوم بدر
 وفيه باق وفي قوله وسعى في خرابها
 قال أذقطعوا من يعمرها بذكره
 ويأتيها للحج والعمرة وقال ابن
 أبي حاتم ذكر عن سلمة قال قال محمد
 ابن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد
 عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن
 ابن عباس أن قريشا منعوا النبي
 صلى الله عليه وسلم الصلاة عند
 الكعبة في المسجد الحرام فانزل
 الله ومن أظلم ممن منع مساجد الله
 أن يذكر فيها اسمه ثم اختار ابن
 جرير القول الاول واحتج بان قريشا

لما ذكر سبحانه ان الناس ينقسمون الى ثلاث طوائف مؤمنين وكافرين ومنافقين أمرهم
 بعد ذلك ما يكون على ملة واحدة وإنما أطلق على الثلاث الطوائف لفظ الايمان لان
 اهل الكتاب مؤمنون بنبيهم وكتابهم والموافق مؤمن بلسانه وان كان غير مؤمن بقلبه
 والسلم بفتح السين وكسر ها قال الكسائي معناهما واحد وكذا عند البصريين وهما
 جميعا يعان للاسلام والمسالمة وقال أبو عمرو بن العلاء انه بالفتح للمسالمة وبالكسر
 للاسلام وأنكر المبرد هذه التفرقة وقال الجوهري السلم بفتح السين ويكسر ويذكر
 ويؤنث وأصله من الاستسلام والانقياد ويرجح الطبري أنه هنا بمعنى الاسلام وقد حكى
 البصريون في سلم وسلم وسلم انهم بمعنى واحد وكافة حال من السلم أو من ضمير المؤمنين فعناه
 على الاول لا يخرج منكم أحد وعلى الثانى لا يخرج من أنواع السلم شئ بل ادخلوا فيها
 جميعا أى في خصال الاسلام وهو مشتق من قولهم كففت أى منعت أى لا يمنع منكم
 أحد من الدخول في الاسلام والكف المنع والمراد به هنا الجميع (ولا تتبعوا خطوات
 الشيطان) أى لا تسلكوا الطريق التى يدعوكم اليها الشيطان وقيل لا تتبعوا الى
 الشبهات التى تلقى اليكم أصحاب الضلالة والغواية والاهواء المضلة لان من اتبع سنة
 انسان فقد اتبع أثره وقد تقدم الكلام على خطوات (انه لكم عدو مبين) يعنى
 الشيطان وانه يحاول ايصال الضرر والبلاء اليك وان الله بين عداوته ما هي فكأنه مبين
 وان لم يشاهد وهذا البيان بالنسبة لمن أنار الله قلبه وأما غيره فهو حليفه (فان زلتم)
 أى تحيتم عن طريق الاستقامة وأصل الزل في القدم ثم استعمل في الاعتقادات
 والا رأوا وغير ذلك يقال زلزلوا وزلوا أى دحضت قدمه والمعنى فان ملتم وضلتم
 وأشركتم وعز حتم عن الحق (من بعد ما جاءكم اليينات) أى بالهجرة الواضحة والبراهين
 الصحيحة على أن الدخول في الاسلام هو الحق (فاعلموا أن الله عزيز) غالب لا يعجزه شئ
 عن الانتقام منكم (حكيم) لا ينتقم الا الحق وفي الآية وعيد وتهديد لمن قلبه شاك ونفاق
 أو عنده شبهة في الدين (هل يتظرون) استفهام انكارى أى ينتظرون يقال نظرت
 وانتظرته بمعنى والمراد هل ينتظر الزلون التاركون للدخول في الاسلام والمتبعون
 خطوات الشيطان فهو التفات الى الغيبة للايدان بان سوء صنيعهم موجب للاعراس
 عنهم وحكاية جنائهم لماعداهم من أهل الانصاف على طريق الاهانة (الأن يأتيهم الله)

لم تسع في خراب الكعبة وأما الروم فسعوا في تخريب بيت المقدس (قلت) والذي يظهر والله أعلم القول الثانى كما قاله ابن زيد
 وروى عن ابن عباس لان النصارى اذ منعت اليهود الصلاة في البيت المقدس كان دينهم أقوم من دين اليهود وكانوا أقرب منهم ولم
 يكن ذكر الله من اليهود مقبولا اذ ذال له لانهم لعنوا من قبل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وأيضا
 فانه تعالى لما واجهه الذم في حق اليهود والنصارى شرع في ذم المشركين الذين أخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة
 ومنعوه من الصلاة في المسجد الحرام وأما اعتداه على أن قريشا لم تسع في خراب الكعبة فأى خراب أعظم مما فعلوا أخرجوا

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستحوذوا عليه بأصنامهم وأندادهم وشركهم كما قال تعالى وما لهم إلا يعبدونهم وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أوليائهم إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وقال تعالى ما كان للمشركين أن يعبدوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النارهم خالدون انما يعبد مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وقال تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام (٢٧٠) والهدى معكوفان يبلغ حده لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم

بما وعدهم من الحساب والعذاب استثناء مفرغ من مقدر أى ليس لهم شيء ينتظرونه الا اتيان العذاب وهذا مباغاة في توخيهم (في ظلال) جمع ظلاله وهي ما يظلك وقال الاخفش وقد يحتمل ان يكون معنى الايمان راجعا الى الجزاء فسمى الجزاء اتيانا كما سمي التخويف والتعذيب في قصة عموذيانا فقال فأتى الله بنيانهم من القواعد وقال في قصة النصير فانهم الله من حيث لم يحتسبوا وانما احتمل الايمان هذا لان أصله عند أهل اللغة القصود الى الشيء فعنى الآية هل ينتظرون الا ان يظهر الله فعلا من الافعال مع خلق من خلقه يقصد الى محاربتهم وقيل ان المعنى يأثمهم أمر الله وحكمه وقيل ان قوله في ظلل بمعنى يظلل وقيل المعنى ياتهم بئس في ظلال (من الغمام) يعنى السحاب الرقيق الايض سمي بذلك لانه يغى أى يستبر وجه اتيان العذاب في الغمام على تقدير ان ذلك هو المراد ما في محي الخوف من محل الأمن من القضاة وعظم الموقع لان الغمام مظنة الرحمة لامظنة العذاب وهذا أبلغ في تنكيتهم وتخويفهم أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما شاخصة أبصارهم الى السماء ينظرون فصل القضاء ونزل الله في ظلال من الغمام من العرش الى الكرسي وعن ابن عمر قال يهبط حين يهبط وينهوي بين خلقه سبعون ألف حجاب منها النور والظلمة والماء فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتا تتخلل له القلوب وعن ابن عباس يأتى الله يوم القيامة في ظلال من السحاب قد قطعت طاقات والتقدير في ظلال كائن من الغمام ومن على هذا التبعض أو من ناحية الغمام وهي على هذا ابتداء الغاية (والملائكة) أى وتأتيهم الملائكة فانهم وسائط في اتيان أمره تعالى بل هم الأتون بئس على الحقيقة وقرئ بالجر عطف على ظلال أو على الغمام فتوصف الملائكة بكونهم باطلا على التشبيه قال عكرمة والملائكة حوله وقيل حول الغمام وقيل حول الرب تعالى وهذه من آيات الصفات والعلما فيها وفي أحاديث الصفات مذهبان أحدهما الايمان والتسليم لما جاء في آيات الصفات وأحاديثها وجوب الاعتقاد بنظايرها والايان بها كما جاءت وحالة عليها الى الله تعالى مع تزيينهم سبحانه عن التشبيه والتشليل والتخريف والتبديل والتعطيل وهو قول سلف هذه الامة وأتمها قال الكلبي هذا من الذي لا يفسر وكان ابن عيينة والزهرى والاوزاعي ومالك وابن المبارك والثوري والليث بن

ان تطوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لوت يلو العذبة الذين كفروا منهم عذابا أليما فقال تعالى انما يعبد مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فاذا كان من هو كذلك مطرودا منها مصدودا عنها فإى خراب لها أعظم من ذلك وليس المراد بعمارها زخرفتها وإقامة صورتها فقط انما عمارتها بذكر الله فيها وإقامة شرعه فيها ورفعها عن الدنس والشرك وقوله تعالى أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين هذا خبر معناه الطلب أى لا تمكنوا هؤلاء اذا قدرتم عليهم من دخولها الا تحت الهدنة والجزية وهذا ما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أمر من العام القابل في سنة تسع أن ينادى برحاب منى ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان له أجل فاجله الى مدته وهذا اذا كان تصديقا وعملا بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس

فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال بعضهم ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله الا خائفين سعد على حال التيب وإرتعاد الفرائض من المؤمنين ان يطاشوا بهم فضلا ان يسبوا ولوا عليها ويغفوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وغيرهم وقيل ان هذا إشارة من الله للمسلمين انه سبظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وانه يذل المشركين لهم حتى لا يدخل المسجد الحرام أحد منهم الا خائفا يحاف أن يؤخذ في عاقب أو يقتل ان لم يسلم وقد أنجز الله هذا الوعد كما تقدم من منع المشركين من دخول المسجد الحرام وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبيح جزيرة

العرب دينان وان يحكي اليهود والنصارى منها والله الجد والمنعة وما ذاك الا شريفاً مكاف

الله فيها رسوله الى الناس كافة بشيرا ونذيرا صلوات الله وسلامه عليه وهذا هو الخزي لهم في الدنيا لا
صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام صدوا عنه وكأجواهم من مكة أجلاوعنها ولهم في الآخرة عذاب عظيم على ما انتم سكا ومن
حرمة البيت وامته من نصب الاصنام حوله ودعاه غير الله عنده والطواف به عربا وغير ذلك من أفاعيلهم التي يكرها الله ورسوله
واما من قسريت المقدس فقال كعب الاحبار ان النصراني لما ظهر وا (٢٧١) على بيت المقدس خربوه فلما بعث الله

محمد صلى الله عليه وسلم أنزى
عليه ومن أظلم ممن منع مساجد
الله أن يذكر فيها اسمه وسعي في
خربائها أولئك ما كان لهم أن
يدخلوها الا خائفين الآية فليس
في الارض نصراى يدخل بيت
المقدس الا خائفا وقال السدي
فليس في الارض روى يدخله
اليوم الا وهو خائف أن يضرب
عنقه أو قد أخيف باداء الجزية
فهو يؤديها وقال قتادة لا يدخلون
المساجد الا مسارقة قلت وهذا
لا ينبغي أن يكون داخلا في معنى
عموم الآية فان النصراني لما ظهروا
بيت المقدس بامتهان الصخرة التي
كانت تسمى الى اليها اليهود عوقبوا
شرعا وقدر بالذلة فيه الا في أحيان
من الدهر اشحن بهم بيت المقدس
وكذلك اليهود لما عصوا الله فيه
أيضا أعظم من عصيان النصارى
كانت عقوبتهم أعظم والله أعلم
وفسر هؤلاء الخزي في الدنيا
بمخرج المهدي عند السدي
وعكرمة ووائل بن داود وفسره
قتادة باداء الجزية عن يدهم
صاغرون والصحيح ان الخزي في

سعدوا أحد بن حنبل واسحق بن راهويه يقولون في هذه الآية وأمثالها اقروها كما جاءت
بلا كيف ولا تشبيه ولا تاويل ولا تعطيل هذا مذهب أعلام أهل السنة ومعتقد سلف
الامة وأنشد بعضهم في المعنى

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته * ولا ذاته شيء عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها * واجراءها للظاهر المتقارب
وتؤيس عنها كنهه فهم عقولنا * وتاويلنا فعل الليب الغالب
ونركب للتسليم سفنا فانها * لتسلم دين المرء خير المراكب

والثاني التاويل لها بما يناسب تنزيهه سبحانه وتعالى عندهم وهو قول جمهور علماء
المتكلمين وأصحاب النظر كما قالوا في هذه الآية محيى الله هو محيى الآيات أو محيى أمر الله
أو عذاب الله فأنكروا أمر الصفات على ظاهرها واجراءها على ما أراد الله وهذا
خلاف ما عليه سلف الامة وأئممتها وقد أوضحنا ذلك في كتابنا الانتقاد الرجح وبغية
الرائد بما لا يحتاج الناظر فيه ما الى غيرهما (وقضى الامر) عطف على يأتيهم داخل
في حيز لا يتظار وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكانه قد كان أو جله
مستأنفة حتى بها للدلالة على ان مضمونها واقع لاحالة أى وفرغ من الامر الذى هو
اهلاكهم قال عكرمة قضى الامر أى قامت الساعة (والى الله ترجع الامور) أى
أمور العباد في الآخرة لا الى غيره والمراد من هذا اعلام الخلق انه المجازى على الاعمال
بالثواب والعقاب (سل بن اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة) المأمور بالسؤال هو النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز ان يكون هو كل فرد من السائلين وهو سؤال تفرع
وتوحيج والمسئول عنهم يهود المدينة وكم اما استفهامية للتقريب وخبرية للتكثير والآية
هى البراهين التي جاء بها أنبياءهم في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقبل المراد
بذلك الآيات التي جاء بها موسى وهى تسع قال أبو العالية تأم الله آيات بنات عصا
موسى وبده وأقطعهم البحر وأغرق عدوهم وهم يتظرون وظلالا من الغمام وأنزل عليهم
الن والساوى (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاتنه) المراد بالنعمة هنا ما جاءهم من
الآيات وقال ابن جرير الطبري النعمة هنا الاسلام والظاهر دخول كل نعمة أتم الله بها
على كل عبد من عباده كائن من كان فوقع منه التبديل لها وعدم القيام بشكرها

الدنيا أعظم من ذلك كما هو قد ورد الحديث بالاستعاذة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة كما قال الامام أحمد أخبرنا الهيثم بن خارجة
أخبرنا محمد بن أيوب بن ميسرة بن حلس سمعت أبي يحدث عن بشر بن أرطاة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو
اللههم أحسن عاقبتنا في الامور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وهذا حديث حسن وليس في شيء من الكتب الستة
وليس أحبا به وهو بشر بن أرطاة ويقال ابن أبي أرطاة حديث سواء موسى حديث لا تقطع الايدي في الغزو (ولله المشرق والمغرب
فانما تلو افتم وجهه الله ان الله واسع عليم) وهذا والله أعلم فيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أخرجوا من

مكة وفارقوا مسجدهم ومصلاهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة الى بيت المقدس والكعبة بين يديه فلما
 قدم المدينة وجهه الى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ثم صرفه الله الى الكعبة بعد ولده اية قول تعالى والله المشرق
 والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب النسخ والنسخ أخبرنا ججاج بن محمد أخبرنا ابن جريج
 وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس قال أول ما نسخ لنا من القرآن فيما ذكرنا والله أعلم شأن القبلتين قال الله تعالى والله
 المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجهه (٢٧٢) الله فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى نحو بيت

القدس وترك البيت العتيق ثم
 صرفه الى بيته العتيق ونسخها
 فقال ومن حيث خرجت قول
 وجهك شطر المسجد الحرام
 وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
 شطره وقال علي بن أبي طلحة عن
 ابن عباس قال كان أول ما نسخ
 من القرآن القبلة وذلك ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لما أجزا الى
 المدينة وكان أهلها اليهود أمره
 الله ان يستقبل بيت المقدس
 ففرحت اليهود فاستقبلها رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بضعة
 عشر شهرا وكان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يحب قبلة ابراهيم
 وكان يدعو وينظر الى السماء
 فانزل الله قدرى قلب وجهك
 في السماء الى قوله فولوا وجوهكم
 شطره فارتاب من ذلك اليهود وقالوا
 ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
 فانزل الله قل لله المشرق والمغرب
 وقال فاينما تولوا فثم وجه الله
 وقال عكرمة عن ابن عباس فاينما
 تولوا فثم وجه الله قال قبله الله
 آينما توجهت شرقا وغربا وقال
 مجاهد فاينما تولوا فثم وجه الله

حيثما كنتم فلكم قبله تستقبلونها الكعبة وقال ابن أبي حاتم بعد رواية الاثر المتقدم عن ابن عباس في نسخ
 القبلة عن عطاء عنه وروى عن ابي العالية والحسن وعطاء الخراساني وعكرمة وقتادة والسدي وزيد بن أسلم نحو ذلك وقال ابن
 جرير وقال آخرون بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض التوجه الى الكعبة وإنما أنزلها ليعلم نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ان
 لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاؤوا من نواحي المشرق والمغرب لانهم لا يوجهون وجوههم وجهها من ذلك وناحية الا كان
 جبل شأوه في ذلك الوجه وتلك الناحية لان الله تعالى المشار والمغارب وأنه لا يحلونه مكان كما قال تعالى ولا أدنى من ذلك ولا أكبر

الاهور معهم أيضا كانوا قالوا ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم التوجه الى المسجد الحرام هكذا قال وفي قوله واند تعالى لا يخلو منه مكان ان أراد علمه تعالى فصح فان علمه تعالى محيط بجميع المعلومات وأما أنه تعالى فلا تكون محصورة في شيء من خلقه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال ابن جرير وقال آخرون بل نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا من الله أن يصلح التطوع حيث توجه من شرق أو غرب في مسيره في سفره وفي حال المسايعة وشدة الخوف حدثنا أبو بكر ياب أخبرنا ابن ادريس حدثنا عبد الملك هو ابن أبي سليمان عن سعيد بن جبيرة عن (٢٧٣) ابن عموانه كان يصلي حيث توجهت به راحته

ويذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ويتاول هذه الآية فانيخوتوا فثم وجه الله ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن عبد الملك بن أبي سليمان به وأصله في الصحيحين من حديث ابن عمر وعامر بن ربيعة من غير ذكر الآية وفي صحيح البخاري

عن جانب القدس عن حارثة بن وهب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتيل جواظ جعظري مستكبر أخرجه الشيخان وعن أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قلت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجند محبوبون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم الى النار وقت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء أخرجه البخاري ومسلم (والله يرزق من يشاء بغير حساب) يحتمل أن يكون فيه إشارة الى أن الله سبحانه سيرزق المستضعفين من المؤمنين ويوسع عليهم ويجعل ما يعطيهم من الرزق بغير حساب أي بغير تقدير لأن ما يدخل عليه الحساب فهو قليل ويحتمل أن المعنى ان الله يوسع على بعض عباده في الرزق كما توسع على أولئك الرؤساء من الكفار استدرجالهم وليس في التوسعة دليل على أن من وسع عليه فقد رضى عنه ويحتمل ان يراد بغير حساب من المرزوقين كما قال تعالى ويرزقهم من حيث لا يحتسب وقال ابن عباس في تفسيره ليس على الله رقيب ولا من يحاسبه وقال سعيد بن جبيرة لا يحاسب الرب وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل يرزقه بغير استحقاق وقيل لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج الى حساب وقيل لا يعطى كل واحد على قدر حاجته بل يعطى الكثير لمن لا يحتاج اليه وقيل غير ذلك (كان الناس أمة واحدة) أي كانوا متفقين على دين واحد وهو الاسلام فاختلّفوا واختلف في الناس فقيل هم بنو آدم حين أخرجهم الله نسما من ظهر آدم عن أبي بن كعب قال كانوا أمة واحدة حين عرضوا على آدم ففطرهم على الاسلام وأقروا بالعبودية وكانوا مسلمين ثم اختلفوا ومن بعد آدم وقيل آدم وحده قاله مجاهد وسبى ناسا لانه أصل النسل وقيل آدم وحواء وقيل المراد القرون الاولى التي كانت بين آدم ونوح وهى عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلّفوا قاله ابن عباس وقيل المراد نوح ومن في سفينته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم الى أن غيره عمرو بن لحي وقيل كانوا من حين وفاة آدم الى زمان نوح على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين والحكم للغالب والاول أولى قال أبو السعود وهو الانسب بالنظم الكريم وقيل ليس في الآية ما يدل على أنهم كانوا على ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل المراد الاخبار عن الناس الذين

من حديث نافع عن ابن عمر انه كان اذا سئل عن صلاة الخوف وصفها ثم قال فان كان خوف أشد من ذلك صلوا رجلا قياما على أقدامهم وربكنا مستقبل القبلة وغير مستقبلها قال نافع ولا أرى ابن عمر ذكر ذلك الا عن النبي صلى الله عليه وسلم (مسئلة) ولم يفرق الشافعي في المشهور عنه بين سفر المسافة وسفر العدو فالجميع عنه يجوز التطوع فيه على الراحلة وهو قول ابي حنيفة خلافا لما لك وجماعته واختار أبو يوسف وأبو سعيد الاضطجعى التطوع على الدابة في المصر وحكاها أبو يوسف عن أنس بن مالك رضى الله عنه واختاره أبو جعفر الطبري حتى

(٣٥ ل - فتح المبيان) للماشي أيضا قال ابن جرير وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في قوم عميت عليهم القبلة فلم يعرفوا شطرها فاصولوا على أنباء مختلفة فقال الله تعالى الى المشارق والمغارب فاین ولیم وجوهكم فهناك وجهي وهو قبلتكم فيعلمكم بذلك أن صلاتكم ماضية حدثنا محمد بن اسحق الاهوازي أخبرنا أبو أحمد الزبيري أخبرنا أبو الربيع السمان عن عاصم بن عبيد الله بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة فتر لنا من لا تجعل الرجل ياخذ الاجار فيعمل مسجدا يصلي فيه فلما ان أصبحنا اذا نحن قد صلينا الى غير القبلة فقلنا يا رسول الله لقد صلينا اليكنا هذه غير القبلة

فأنزل الله تعالى والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله الآية ثم رواه عن سفيان بن وكيع عن أبيه عن أبي الربيع السلمي بنحوه ورواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن وكيع وابن ماجه عن يحيى بن حكيم عن أبي دؤاد عن أبي الربيع السلمي ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح عن سعيد بن سليمان عن أبي الربيع السلمي واسمه أشعث بن سعيد البصري وهو ضعيف الحديث وقال الترمذي هذا حديث حسن وليس استادبه ذلك ولا نعرفه إلا من حديث الأشعث السلمي وأشعث يضعف في الحديث قلت وشيخه عاصم أيضا ضعيف (٢٧٤) قال البخاري منكر الحديث وقال ابن معين ضعيف لا يثبت به

وقال ابن حبان مترولا والله أعلم وقد روى من طريق آخر عن جابر فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية أخبرنا اسمعيل ابن علي بن اسمعيل أخبرنا الحسن ابن علي بن شبيب حدثني أحمد بن عبد الله بن الحسن قال وجدت في كتاب أبي أخبرنا عبد الملك العزري عن عطاء عن جابر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية كنت فيها فأصابنا ظلمة فلم نعرف القبلة فقالت ظففة منا قد عرفنا القبلة حتى دهمنا قبل الشمال فصلوا وخطوا خطوطا فلما أصبحوا طلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما تفلقنا من سفرنا سألنا النبي صلى الله عليه وسلم فسكت وأنزل الله تعالى والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ثم رواه من حديث محمد بن عبيد الله العزري عن عطاء عن جابر به وقال الدارقطني قرئ على عبد الله ابن عبد العزيز وأنا أسمع حديثكم داود بن عمر وأخبرنا محمد بن يزيد الواسطي عن محمد بن سالم عن عطاء

هم اجفئ كلهم كانوا آتية واحدة في خروجهم عن الشرائع وجعلهم باخقائق تولوا أن الله من عليهم بأرسال الرسل والامة مأخوذة من قولهم أمت الشيء أي قصده أي مقصدهم واحد غير مختلف (فبعث الله النبيين) قبل الانبياء جاثم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكور منهم في القرآن باسمه الأعلام ثمانية وعشرون نبيا والله أعلم (مبشرين) بنو ابراهيم آمن وأطاع (ومندرين) بالعقاب لمن كفر وعصى (وأُنزل معهم الكتاب) أي الجفئ وقيل المراد به التوراة وأُورن مع كل واحد الكتاب وجملة الكتب المتزاة من السماء مائة وأربعة كتب كقيل (باخق) أي الصدق والعدل والمراد بها الحكم والفوائد والمصالح (ليحكم بين الناس) مسندون الكتاب في قول الجمهور وهو مجاز مثل قوله تعالى هذا كتابنا نطق عليكم بالحق وقيل ان المعنى ليحكم كل نبي بكتابيه وقيل ليحكم الله (فبأختلفوا فيه) أي في آخر النبي اختلفوا فيه من بعدما كانوا استفتين عليه وقيل الضمير في فيه راجع إلى ما في قوله فيما والضمير في قوله (وما اختلف فيه) يحتمل أن يعود إلى الكتاب ويحتمل أن يعود إلى المؤمنين عليه وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم قاله الزجاج ويحتمل أن يعود إلى الحق (الآيتين أو قوله) أي أو الكتاب أو أو قوله الحق أو أو قوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي أعطوا عليه (من بعد ما جاثمهم البينات) أي الدلائل الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم أو الخج الطاهرة على التوحيد (بغير بينهم) أي لم يختلفوا إلا في شيء أو في الحرس على الدين أو طلب ملكيا أو زخرفيا أيهم سيكون له الملك والهيبة في الناس وفي هذا تنبيه على السفه في ضعائم القبيح التي رقعوا فيه لأنهم جعلوا أنزل الكتاب سبيبا في شدة الخلاف (فيهدى الله الذين آمنوا) أي أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لما اختلفوا فيه من الحق) أي إلى الحق ومن البيان أو لبعض وذلك ما بين لهم في القرآن من اختلاف من كان قبلهم وقيل معناه فيهدى الله أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم للتصديق بجميع الكتب بخلاف من قبلهم فإن بعضهم كذب كذب بعض وقيل ان الله هداهم إلى الحق من التبلة وقيل هداهم ليوم الحجة وقيل هداهم لاعتقاد الحق في عيسى بعد أن كذبه اليهود وجعلته النصراني وقيل المراد بالحق الاسلام وقيل الفراء في الآية قلبا وتقديره فيهدى الذين آمنوا بالحق لما اختلفوا فيه واختاره ابن

عن جابر قال كأمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيرنا فاصابنا غيم فغيرنا فاختلفنا في القبلة فصرني كل رجل منا على حدة وجعل أحدنا يخط بين يديه لنعلم أمكنة فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقام بأمرنا بالاعادة وقال قد أجرت صلاتكم ثم قال الدارقطني كذا قال عن محمد بن سالم وقال غيره عن محمد بن عبد الله العزري عن عطاء وهما ضعيفان ورواه ابن مردويه أيضا من حديث الكلب عن أبي صالح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فاخذتهم ضباية فلم يهتدوا إلى القبلة فصلا لغير القبلة ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس أنهم صلا لغير القبلة فلما جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله

عن جابر قال كأمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيرنا فاصابنا غيم فغيرنا فاختلفنا في القبلة فصرني كل رجل منا على حدة وجعل أحدنا يخط بين يديه لنعلم أمكنة فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقام بأمرنا بالاعادة وقال قد أجرت صلاتكم ثم قال الدارقطني كذا قال عن محمد بن سالم وقال غيره عن محمد بن عبد الله العزري عن عطاء وهما ضعيفان ورواه ابن مردويه أيضا من حديث الكلب عن أبي صالح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فاخذتهم ضباية فلم يهتدوا إلى القبلة فصلا لغير القبلة ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس أنهم صلا لغير القبلة فلما جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم حديثه فانزل الله تعالى هذه الآية والله المشرق والمغرب فاينما تولوا
 بعضا وأما إعادة الصلاة لمن تبين له خطؤه ففسيها قولان للعلماء وهذه دلائل على عدم
 بل نزلت هذه الآية في سبب التجاني كما حدثنا محمد بن بشار أخبرنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال ان أئمتكم قد مات فاصلوا عليه قالوا صلى على رجل ليس بمسلم قال فتزلب وان من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أنزل اليكم
 وما أنزل اليهم خاشعين لله قال قتادة فقالوا انه كان لا يصلي الى القبلة (٢٧٥) فانزل الله والله المشرق والمغرب فاينما تولوا

فثم وجه الله وهذا غريب والله أعلم
 وقد قيل انه كان يصلي الى بيت
 المقدس قبل ان يبلغه الناسخ
 الى الكعبة كما حكاه القرطبي عن
 قتادة وذكر القرطبي انه لما
 مات صلى عليه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فاخذ بذلك من ذهب
 الى الصلاة على الغائب قال وهذا
 خاص عند أصحابنا من ثلاثة
 أوجه أحدها انه عليه السلام
 شاهده حين سوى عليه طويته له
 الارض الثاني انه لما لم يكن عنده
 من يصلي عليه صلى عليه واختاره
 ابن العربي قال القرطبي ويعبد
 ان يكون ملك مسلم ليس عنده
 أحد من قومه على دينه وقد أجاب
 ابن العربي عن هذا لعلمهم لم يكن
 عندهم شرعية الصلاة على الميت
 وهذا جواب جيد الثالث انه
 عليه الصلاة والسلام انما صلى
 عليه ليكون ذلك كالتأليف لبقية
 الملوك والله أعلم وقد أورد الحافظ
 أبو بكر بن مردويه في تفسيره هذه
 الآية من حديث أبي معشر عن
 محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سامة
 عن أبي هريرة قال قال رسول الله

حرير وضعفه ابن عظمة (بأذنه) قال الزجاج معناه بعلمه وقال النحاس هذا غلط والمعنى
 بامرهم وادارته (والله يهدي من يشاء) من عباده (الى صراط مستقيم) أى طريق سوى
 (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) أم هنامنقطعة بمعنى بل وحكى بعض اللغويين انه اقدمت
 بمثابة همزة الاستفهام يتدوهم الكلام فعلى هذا معنى الاستفهام هنا التقرير والانكار
 أى أأحسبتم دخولكم الجنة واقعا والغرض من هذا التوبيخ تشجيعهم على الصبر وحثهم
 عليه وحسب هنامن أخوات ظن وقد تستعمل في اليقين (ولما يأتكم مثل الذين خلوا
 من قبلكم) الواو للحال ولما يعنى لم أى والحال انكم لم يأتكم مثاهم بعد ولم يتوالوا بما
 ابتلوا به من الاحوال الهائلة التى هى مثل فى القضاة والشدة وهو متوقع مستظروم
 تمنحوا بمثل ما امتحن به من كان قبلكم فصبروا ولم يصبوا ذكر الله سبحانه هذه التسمية بعد
 ان ذكر اختلاف الامم على أنبيائهم تنبيها للمؤمنين وتقوية لقلوبهم ومثل هذه الآية قوله
 أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقوله ألم أحسب الناس أن
 يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (مستهم) استئناف بيان لقوله مثل الذين خلوا
 (البأساء والضراء) قد تقدم تفسيرهما (وزلزلوا) الزلزلة شدة التحريك تكون فى
 الاشخاص وفى الاقوال يقال زلزل الله الارض زلزلة وزلزالا بالكسر فتزلزلت أى تحركت
 واضطربت فعنى زلزلوا خوفا وازعاجا شديد او حركوا بانواع البلايا والزيار
 وقال الزجاج أصل الزلزلة نقل الشيء من مكانه فاذا قلت زلزلة فمعناه كررت زلله من مكانه
 (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) أى استمر ذلك الى غاية هى قول الرسول ومن معه
 أى صاحبوه فى الايمان وحتى يعنى الى وان مضمة أى الى أن يقول وهى غاية لما تقدم
 من المس والزلزال وذلك لان الرسل أثبت من غيرهم وأصبر وأضبط لنفس عند نزول
 البلايا وكذلك أتباعهم من المؤمنين (متى نصر الله) متى ظرف زمان لا يتصرف الاجر
 بحرف والرسول هنا قيل هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو شعيب وقيل هو كل
 رسول بعث الى أمته وقالت طائفة فى الكلام تقديم وتأخير أى حتى يقول الذين آمنوا
 متى نصر الله ويقول الرسول ألا ان نصير الله قريب ولا ملجئ لهذا التكلف لان قول
 الرسول ومن معه متى نصر الله ليس فيه الاستعجال النص من الله سبحانه وليس فيه
 ما زعموه من الشك والارتباب حتى يحتاج الى ذلك التأويل المتعسف قال قتادة نزلت

صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبله لاهل المدينة وأهل الشام وأهل العراق وله مناسبة ههنا وقد أخرجه الترمذى
 وابن ماجه من حديث أبي معشر واسمه نجيح بن عبد الرحمن السدسى المدنى به ما بين المشرق والمغرب قبله وقال الترمذى وقد
 روى من غير وجه عن أبي هريرة وتكلم بعض أهل العلم فى أبي معشر من قبل حفظه ثم قال الترمذى حدثني الحسن بن بكر المروزي
 أخبرنا الملعلى بن منصور أخبرنا عبد الله بن جعفر الخزرجى عن عثمان بن محمد الاخشى عن أبي سعيد المقبرى عن أبي هريرة رضى
 الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبله ثم قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وحكى عن

الجناري انه قال هذا اقوى من حديث أبي معشر وأصح قال الترمذي وقدر روى عن غيره واحد من الصحابة ما بين المشرق والمغرب قبله منهم عمر بن الخطاب وعلي وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين وقال ابن عمر اذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبله اذا استقبلت القبلة ثم قال ابن مردويه حدثنا علي بن أحمد بن عبد الرحمن أخبرنا يعقوب بن يوسف مولى بني هاشم أخبرنا شعيب بن أيوب أخبرنا ابن ثمر عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبله وقدر واده الدارقطني (٢٧٦) والبيهقي وقال المشهور عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهم ما قوله قال

ابن جرير ويحتمل فايما تولوا وجوهكم في دعائكم لي فهناك وجهي أستجيب لكم دعاءكم كما حدثنا القاسم أخبرنا الحسين حدثني ججاج قال قال ابن جرير ج قال مجاهد لما نزلت ادعوني أستجب لكم قالوا الى أين فنزلت فايها تولوا فثم وجه الله قال ابن جرير ومعنى قوله ان الله واسع عليم يسع خلقه كلهم بالكفاية بالجود والافضال وأما قوله عليم فانه يعنى عليم بأعمالهم ما يغيب عنه منها شيء ولا يعزب عن علمه بل هو بجميعها عليم (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون بديع السموات والارض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) اشتملت هذه الآية الكريمة والتي تليها على الرد على النصارى عليهم لعائن الله وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركى العرب من جعل الملائكة بنات الله فاكذب الله جميعهم في دعواهم وقولهم ان الله ولد افا قال تعالى سبحانه أى تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا

هذه الآية في يوم الاحزاب وهي غزوة الخندق أصاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ وأصحابه بلاء وحصر وقيل نزلت في غزوة أحد وقيل غير ذلك وقال ابن عباس أخبر الله المؤمنين أن الدين ادار بلاء وأنه مبتليهم فيها وأخبرهم انه هكذا فعل بانبياؤه وصفوته لتطيب أنفسهم والمعنى انه بلغهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة فلما بلغ الحال في الشدة الى هذه الغاية واستبطوا النصر قيل لهم (ألا ان نصر الله قريب) اجابة لهم في طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم الى أن يأتيهم نصر الله فكأنوا يا معشر المسلمين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة في طلب الحق فان نصره سبحانه قريب اتيانه لا بعيد وفيه اشارة الى ان المراد بالقرب القرب الزماني وفي اشارة الجمله الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيّد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى (يسألونك ماذا ينفقون) السائلون هنا هم المؤمنون سالوا عن الشيء الذي ينفقونه ما هو أى ما قدره وما جنسه (قل ما أنفقتم من خير الى آخره) فاجيبوا ببيان المصروف الذي يصرفون فيه تنبيها على انه الاولى بالقصد لان الشيء لا يعتد به الا اذا وضع في موضعه وصادف مصرفه وقيل انه قد تضمن الآية بيان ما ينفقونه وهو كل خير وقيل انما سالوا عن وجوه البر التي ينفقون فيها وهو خلاف الظاهر وما شرطية وقيل موصولة والاول أولى لتوافق ما بعدها (فلا والدين) قدمهم ما للوجوب حقهما على الولد لانهما السبب في وجوده (والاقرين) قدمهم لان الانسان لا يقدر أن يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقدم القرابة أولى من غيرهم ولانهم أبعاض الوالدين (واليتامى) لانهم لا يقدر ان يقدروا على الكسب ولا لهم منفق وقد تقدم الكلام في الاقرين واليتامى (والمساكين والسبل) أى هم أولى به وانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب في كيفية الانفاق كيف فصله ثم أتبعه بالاجال فقال (وما تنفقوا من خير) أى مع هؤلاء وغيرهم طلبا لوجه الله ورضوانه (فان الله به عليم) فيجاز بكم عليه قال ابن مسعود نسختها آية الزكاة وقال الحسن انها محكمة وقال ابن زيد هذا في النفل أى التطوع وهو ظاهر الآية فمن أحب التقرب الى الله بالانفاق فالاولى به أن ينفق في الوجوه المذكورة في الآية فيقدم الاول فالاول ولم يذكر فيها السائلين والرقاب كما في الآية الاخرى اكتفاء بها

كبير ابل له ما في السموات والارض أى ليس الاخر كما افتر واو انما له ملك السموات والارض ومن فيهم وهو المتصرف فيهم وهو خالقهم ورازقهم ومقدرهم ومسيرهم ومصرفهم كما يشاء والجميع عبيده وملك له فكيف يكون له ولد منهم والولد انما يكون متولدا من شيئين متناسين وهو تبارك وتعالى ليس له نظير ولا مشارك في عظمته وكبريائه ولا صاحبة فكيف يكون له ولد كما قال تعالى بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخالق كل شيء وهو بكل شيء عليم وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هذا أن يدعو للرحمن ولدا

وما ينبغي للرجل ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبد القدا حصاعهم وعدهم عداوكلهم آتية يوم القيامة فردا وقال تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقرر تعالى في هذه الآيات الكريمة انه السيد العظيم الذي لا نظير له ولا شبيه له وان جميع الاشياء غيره مخلوقة له مربية فكيف يكون له مناولد ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية من البقرة أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن عبد الله بن أبي الحسبين حدثنا نافع بن جبير هو ابن مطعم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشئتني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه

أباي فيزعم اني لا أقدر أن أعيدته كما كان واما شتمه أباي فقلوه ان لي ولدا فاسبحاني ان أتخذ صاحبة أو ولدا أنفرد به البخاري من هذا الوجه وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل أخبرنا محمد بن اسمعيل الترمذي أخبرنا محمد بن اسحق بن محمد القروي أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى

كذبني ابن آدم وما ينبغي له أن يكذبني وشئتني وما ينبغي له أن يشتمني فاما تكذيبه أباي فقلوه ان يعبدني كما بدتني وليس أول الخلق باهون علي من عاداته واما شتمه أباي فقلوه اتخذ الله ولدا وأنا الله الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا أحد أصبر علي أذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافهم وقوله كل له قاتون قال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا اسباط عن مطرف عن عطية عن ابن عباس

أو بعموم قوله وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير وقع في أي مصرف (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) بين سبحانه أن هذا أي فرض القتال عليهم من جملة ما امتحنوا به والمراد بالقتال قتال الكفار والكفر بالضم المشقة وبالفتح مأ كرهت عليه ويجوز الضم في معنى الفتح فيكونان لغتين وانما كان الجهاد كرهالا لان فيه اخراج المال ومفارقة الاهل والوطن والتعرض لذهاب النفس وفي التعبير بالمصدر وهو كرهه مبالغة ويحتمل ان يكون بمعنى المكروه كما في قولهم الدراهم ضرب الأمير قيل الجهاد فرض على كل مسلم ويدل عليه ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجر أخرجه أبو داود بن زيادة فيه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا وقيل الجهاد تطوع والمراد من الآية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون غيرهم وبه قال الثوري والاوزاعي والاقول أولى والجهود على انه فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقي قال الزهري كتب الله القتال على الناس جاهدا أو لم يجاهدوا فن غزاهم ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به أعان واذا استنفر نفروا ان استعنى عنه قعد وقيل فرض عين ان دخلوا بلادنا وفرض كفاية ان كانوا بلادهم (وعسى أن تسكروا شيئا) قيل عسى هنا معني قد روى ذلك عن الاصم وقال أبو عبيدة عسى من الله ايجاب والمعنى عسى أن تسكروا الجهاد طبعها لما فيه من المشقة وأما شرعها فهو محبوب وواجب ولا يلزم منه ما قاله السعد التفتازاني كراهة حكم الله ومحبة خلافه وهو ينافي كمال التصديق لان معناه كراهة النفس ذلك الفعل ومشقته مع كمال الرضا بالحكم والاذعان له (وهو خير لكم) فربما تغلبون وتظفرون وتغنون وفقحون ومن مات مات شهيدا أو الواو للحال أو صفة لشيء وعليه جرى أبو البقاء هنا والزنجشري في قوله ولها كتاب معلوم وهو رأى ابن حبان وسائر النحويين يخالفونه (وعسى أن تحبوا شيئا) أي الدعوة وترك القتال (وهو شر لكم) فربما يتقوى عليكم العدو فيغلبكم ويقصدكم الى عقرب دياركم فيحل بكم أشد مما تخافونه من الجهاد الذي كرهتم مع ما يشقوكم في ذلك من الفوائد العاجلة والآجلة (والله يعلم) ما فيه صلاحكم وفلاحكم وما هو خير لكم وما في الجهاد من الغنية والاجر والخير فلذلك يامركم به

قال قاتين مصلين وقال عكرمة وأبو مالك كل له قاتون مقرون بالعبودية وقال سعيد بن جبير كل له قاتون يقول الاخلاص وقال الربيع بن أنس يقول كل له قاتون أي قائم يوم القيامة وقال السدي كل له قاتون أي مطيعون يوم القيامة وقال خصيف عن مجاهد كل له قاتون قال مطيعون كن انسانا فكان وقال كن جارا فكان وقال ابن أبي شيبة عن مجاهد كل له قاتون مطيعون قال طاعة الكافر في سجود ظله وهو كاره وهذا القول عن مجاهد وهو اختيار ابن جرير يجمع الاقوال كلها وهو أن القنوت والطاعة والاستكانة الى الله وهو شرعي وقدرى كما قال تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض طوعا

وكرها وظلالهم بالغدو والاصال وقد ورد حديث فيه بيان القنوت في القرآن ما هو المراد به كما قال ابن ابي حاتم، حبر يوسف
ابن عبد الاعلى حديثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث ان دراجا بابا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل حرف من القرآن يذكرك فيه القنوت فهو الطاعة وكذا رواه الامام أحمد عن حسن بن موسى
عن ابن لهيعة عن دراج باسناد مثله ولكن في هذا الاسناد ضعف لا يعتمد عليه ورفع هذا الحديث منكرو وقد يكون من كلام
الصحابي أو من دونه والله أعلم وكثير ما لقي (٢٧٨) بهذا الاسناد تفاسير فيها نكارة فلا يغتر بها فان السند ضعيف والله

(وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذَلِكَ وَلِذَلِكَ تَكْرَهُونَهُ قِيلَ إِنَّهَا مُحْكَمَةٌ نَاسِخَةٌ لِلْعُدُوءِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَقِيلَ
مَنْسُوخَةٌ لِأَنَّ فِيهَا جُوبُ الْجِهَادِ عَلَى الْكَافَّةِ وَالتَّاسِخُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ
لِيَنْفِرُوا كَافَّةً وَقِيلَ إِنَّهَا نَاسِخَةٌ مِنْ وَجْهِهِ وَمَنْسُوخَةٌ مِنْ وَجْهِهَا فَالنَّاسِخُ مِنْهَا الْإِجَابُ لِلْجِهَادِ
مَعَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ الْمَنْعِ مِنْهُ وَالْمَنْسُوخُ الْإِجَابُ لِلْجِهَادِ عَلَى الْكَافَّةِ وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ
الْجِهَادِ وَوُجُوبِهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ لَا يَتَسَمَّحُ بِالْمَقَامِ لِبَسْطِهَا (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ
فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) أَيْ الْقِتَالُ فِيهِ أَهْمٌ كَبِيرٌ مُسْتَكْرٍ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ الْمُرَادُ بِهِ الْخَنَسُ
وَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ لَا تَسْفِكُ فِيهِ دِمَاءً وَلَا تَغْيِرُ عَلَى عَدُوِّهَا وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ هِيَ ذُو الْقَعْدَةِ
وَذُو الْحِجَّةِ وَمَحَرَّمٌ وَرَجَبٌ ثَلَاثَةٌ مَرْدُودَةٌ وَوَاحِدٌ فَدَوْدُهُ هَذِهِ الْأُمُورُ أَكْثَرُ ذُنُوبًا وَأَشَدُّ أَعْثَامًا
الْقِتَالُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ كَذَا قَالَ الْمَرْدُودُ غَيْرُهُ قِيلَ إِنَّهَا مُحْكَمَةٌ وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْغَزْوُ
فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ إِلَّا بِطَرِيقِ الدَّفْعِ وَقِيلَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ
وَبِقَوْلِهِ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً وَبِهِ قَالَ الْجَهْوَرُ (وَصَدْعٌ سَبِيلُ اللَّهِ) أَيْ صَدْعُكُمْ الْمُسْلِمِينَ
عَنِ الْحَجِّ أَوْ صَدْعُكُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ مِنْ يَرِيدُهُ (وَكُفْرٌ بِهِ) الضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى اللَّهِ وَقِيلَ إِلَى الْحَجِّ
(وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أَيْ وَصَدْعُكُمْ عَنْهُ قَالَهُ الرُّنَخَشَرِيُّ وَغَيْرُهُ وَتَعَقَّبَ بَانَ عَطَفَ قَوْلُهُ وَكُفْرٌ بِهِ
عَلَى صَدْمَانَعٍ مِنْهُ أَذِلَّا يَتَقَدَّمُ الْعَطْفُ عَلَى الْمَوْصُولِ عَلَى الْعَطْفِ عَلَى الصَّلَةِ وَهُوَ سَبِيلُ اللَّهِ
لَوْجُودِ الْفَصْلِ بِاجْتِنَابِي وَاجْتِنَابِي بَانَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ وَالصَّدْعُ عَنْ سَبِيلِهِ مَتَّحِدَانِ مَعْنَى فَكَأَنَّهُ
لَا فَصْلَ بَاجْتِنَابِي بَيْنَ سَبِيلٍ وَمَا عَطَفَ عَلَيْهِ (وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ) يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ حِينَ أَذَوْهُمْ حَتَّى هَاجَرُوا وَتَرَكُوا مَكَّةَ وَإِنَّمَا جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَهْلَهُ
لأنهم كانوا هم القَائِمِينَ بِحَقُوقِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ دُونَ الْمُشْرِكِينَ وَمَعْنَى الْآيَةِ الَّذِي ذَهَبَ
إِلَيْهِ الْجَهْوَرُ أَنَّكُمْ بِنَاقِرِشٍ تَسْتَغْثَمُونَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَمَا تَفْعَلُونَ أَنْتُمْ مِنَ
الصَّدْعِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَمَنْ أَرَادَ الْإِسْلَامَ وَمَنِ الْكُفْرَ بِاللَّهِ وَمَنِ الصَّدْعِ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَنِ
إِخْرَاجِ أَهْلِ الْحَرَمِ مِنْهُ (أَكْبَرُ) جَرْمًا عِنْدَ اللَّهِ وَسَبَبُ الْإِزْوَالِ يَشْهَدُ لِهَذَا الْمَعْنَى وَيُقِيدُ أَنَّهُ
الْمُرَادُ فَانِ السُّؤَالِ مِنْهُمْ الْمَذْكُورُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ سُؤَالُ أَنْكَارِ مَا وَقَعَ مِنَ السَّرِيَةِ الَّتِي
بَعَثَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) الْمُرَادُ بِالْفِتْنَةِ هُنَا الْكُفْرُ
وَالشُّرْكُ قَالَهُ ابْنُ عَرَبٍ أَيْ كُفْرُكُمْ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ الْوَاقِعِ مِنَ السَّرِيَةِ الَّتِي بَعَثَهَا النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْفِتْنَةِ الْإِخْرَاجُ لِأَهْلِ الْحَرَمِ مِنْهُ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْفِتْنَةِ

أَعْلَمَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى بِدِيْعِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَيْ خَالِقَهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ
سَبَقَ قَالَ جَاهِدُوا السُّدَى وَهُوَ
مَقْتَضَى اللُّغَةِ وَمِنْهُ يَقَالُ لِلشَّيْءِ
الْمُحْدَثِ بَدْعٌ كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ
فَإِنْ كُلُّ مُحْدَثَةٍ بَدْعٌ وَالبَدْعُ عَلَى
قِسْمَيْنِ تَارَةٌ تَكُونُ بَدْعًا شَرْعِيَّةً
كَقَوْلِهِ فَإِنْ كُلُّ مُحْدَثَةٍ بَدْعٌ وَكُلُّ
بَدْعٍ ضَلَالَةٌ وَتَارَةٌ تَكُونُ بَدْعًا
لِغَوِيَّةً كَقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ وَجَلَّ
الْخَطَّابِ عَنْ جَعْلِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى
صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ وَاسْتِزَارِهِمْ نَعَمْتَ
البَدْعُ هَذِهِ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ
بَدِيْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَبْدَعُهُمَا
وَإِنَّمَا هُوَ مَفْعَلٌ فَصَرَفَ إِلَى فَعِيلٍ
كَاصْرِفَ الْمُؤْمِنُ إِلَى الْإِلَهِ وَالْمَسْمُوعُ
إِلَى السَّمِيعِ وَمَعْنَى الْمَبْدَعِ الْمُنْشِئُ
وَالْمُحْدَثُ مَا لَا يَسْبِقُهُ إِلَى أَنْشَاءِ
مِثْلِهِ وَاحِدَاتُهُ أَحَدٌ قَالَ وَلِذَلِكَ
سَمِيَ الْمَبْدَعُ فِي الدِّينِ مَبْتَدَعًا
لِأَحَادِيثِهِ فِيهِ مَا لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ غَيْرُهُ
وَكَذَلِكَ كُلُّ مُحْدَثٍ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا
لَمْ يَتَقَدَّمْ فِيهِ مَبْتَدَعٌ فَإِنَّ الْعَرَبَ
تَسْمِيَهُ مَبْتَدَعًا وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ
أَعْيَشَى بْنِ تَعْلَبَةَ فِي مَدْحِ هُوَذَةَ بْنِ
عَلِيٍّ الْخَنَفِيِّ

يدعى الى قول سادات الرجال اذا * أبدوا له الحرم أو ما شاءه ابتداء

هنا

أَيِ يَحْدُثُ مَا شَاءَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ يَعْنِي الْكَلَامَ سَبَّحَانَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَهُوَ مَالِكٌ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ تَشْهَدُ بِهِ جَمِيعُهَا بِدَلَالَتِهَا
عَلَيْهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَتَقْرَأُ بِالطَّاعَةِ وَهُوَ بَارِئٌ خَالِقُهَا وَمُوجِدُهَا مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ وَلَا مِثَالٍ أَحَدُهَا عَلَيْهِ وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ
أَنْ يَمُنَّ بِشَهَادَةِ ذَلِكَ الْمَسِيحِ الَّذِي أَضَافُوا إِلَى اللَّهِ بِنُوتَهُ وَخَبَرُ مِنْهُ لَهُمْ أَنْ الَّذِي ابْتَدَعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ وَعَلَى
غَيْرِ مِثَالٍ هُوَ الَّذِي ابْتَدَعَ الْمَسِيحَ عِيسَى مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ بِقُدْرَتِهِ وَهَذَا مِنْ ابْنِ جَرِيرٍ رَجَحَهُ اللَّهُ كَلَامَ جَيْدٍ وَعِبَارَةً صَحِيحَةً وَقَوْلُهُ تَعَالَى

واذا قضى أمر افانما يقول له كن فيكون يسين بذلك تعالى كمال قدرته وعظيم سلطانه وانه اذا قدر امر او اراد كونه فانما يقول له كن أى مرة واحدة فيكون أى فيوجد على وفق ما أراد كما قال تعالى انما أمره اذا أراد شيان يقول له كن فيكون وقال تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون وقال تعالى وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقال الشاعر
 اذا ما أراد الله أمر افانما * يقول له كن قوله فيكون . ونبه بذلك أيضا على ان خلق عيسى بكلمة كن فكان كما أمره الله
 قال الله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب (٢٧٩) ثم قال له كن فيكون (وقال الذين لا يعلمون

لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك

قال الذين من قبلهم مثل قولهم

تشابهت قلوبهم قدينا الآيات

لقوم يوقنون قال محمد بن اسحق

حدثني محمد بن أبي محمد عن

عكرمة وأوس سعيد بن جبيرة عن ابن

عباس قال قال رافع بن حرملة

لرسول الله صلى الله عليه وسلم

يا محمد ان كنت رسولا من الله كما

تقول فقل لله فيكلمنا حتى نسمع

كلامه فانزل الله في ذلك من قوله

وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا

الله أو تأتينا آية وقال مجاهد

وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا

الله أو تأتينا آية قال النصارى

تقوله وهو اختيار ابن جرير قال

لان السياق فيهم وفي ذلك نظر

وحكى القرطبي لولا يكلمنا الله أى

يخطبنا بنبوتك يا محمد قلت وهو

ظاهر السياق والله أعلم وقال أبو

العالية والربيع بن أنس وقادة

والسدي في تفسير هذه الآية هذا

قول كفار العرب كذلك قال الذين

من قبلهم مثل قولهم قال هم اليهود

والنصارى ويؤيد هذا القول وان

القائلين ذلك هم مشركوا العرب

هنا فتنهم عن دينهم حتى لمكوا أى قسمة المستضعفين من المؤمنين أو نفس الفتنسة التى
 الكفار عليهم وهذا أريج من الوجهين الاولين لان الكفر والانحراف قد سبق ذكرهما
 وانهم جامع الصدا كبر عند الله من القتال في الشهر الحرام وعن سفيان الثوري هذا شيء
 منسوخ ولا بأس بالقتال في الشهر الحرام وعن ابن عباس ان هذه الآية منسوخة بآية
 السيف في براءة (ولايزالون يقاتلونكم) ابتداء كلام يتضمن الاخبار عن الله عز وجل
 للمؤمنين بان هؤلاء الكفار والمشركين لايزالون مستمرين على قتالكم وعداوتكم
 (حتى يردكم عن دينكم) أى الاسلام الى الكفر (ان استطاعوا ذلك وتهميا لهم منكم
 والتقيد بهذا الشرط مشعر باستبعادكم من ذلك وقد رتبهم عليه ثم حذر الله سبحانه
 المؤمنين من الاغترار بالكفر والدخول فيما يريدونه من ردكم عن دينهم الذى هو
 الغاية لما يريدونه من المقاتلة للمؤمنين فقال (ومن يرتدد منكم عن دينه فميت وهو كافر
 فأولئك حبطت أعمالهم) الرد الرجوع عن الاسلام الى الكفر والتقيد بالكفر يفيد
 ان عمل من ارتد اغمايطل اذا مات على الكفر وما اذا أسلم بعد الرد لم يثبت عليه شيء من
 أحكام الرد وفيه دليل للشافعي ان الرد لا تحبط الاعمال حتى يموت على ردة وعند أبي
 حنيفة ان الرد لا تحبط العمل وان أسلم وحبط معناه بطل وفسد ومنه الحبط وهو فساد
 يلحق المواشي في بطونهم من كثرة أكل الكلال فتنتفخ أجوافها ورجعات من ذلك وفي
 هذه الآية تهديد للمسلمين لينبتوا على دين الاسلام (في الدنيا والآخرة) أى لا يبقى له حكم
 المسلمين في الدنيا فلا يأخذ شيئا مما يستحقه المسلمون من الميراث وغيره ولا ينظر بحظ من
 حظوظ الاسلام ولا ينال شيئا من نواب الآخرة الذى يوجبها الاسلام ويستحقه أهله وقد
 اختلف أهل العلم في الرد هل تحبط العمل بمجرد ما لم تحبط بالا موت على الكفر
 والواجب حمل ما أطلقته الآيات في غير هذا الموضع على ما في هذه الآية من التقيد
 (وأولئك أصحاب النار) يعنى الذين ماتوا على الردة والكفر (هم فيها خالدون) أى
 لا يخرجون منها أبدا وقد تقدم الكلام في معنى الخلود (ان الذين آمنوا والذين هاجروا
 وجاهدوا في سبيل الله) انجزت معناه الى الانتقال من موضع الى موضع وترك الاول لا يشار
 الثانى والهجرة ضد الوصول والهاجر التقاطع والمراد بها هنا الهجرة من دار الكفر الى دار
 الاسلام والجهاد استخراجه الجهاد والجهاد بذل الوسع (أولئك يرجون) أى

قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الآية وقوله تعالى وقالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الآية وقوله تعالى وقالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الآية وقوله تعالى وقالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الآية
 الارض ينبوعا الى قوله قل سبحانه ربى هل كنت الا بشر ارسلوا وقوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة
 أن نرى ربنا الآية وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة الى غير ذلك من الآيات الدالة على كفر مشركى العرب
 وعقوبهم وعنداهم وسؤالهم ما لا حاجة لهم به انما هو الكفر والمعاندة كما قال من قبلهم من الامم الخالية من أهل الكتابين وغيرهم
 كما قال تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقال انزلنا الله جهرة وقال تعالى واذا

واسناده ضعيف والله أعلم ثم قال ابن جرير وحدثني القاسم اخبرنا الحسين سعد ثني ججاج عن ابن جريج اخبرني داود بن أبي عاصم به أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم أين أبو أي قزلت أنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم وهذا مرسل كالذي قبله وقد روي عن محمد بن كعب وغيره في ذلك لاستحالة السك من الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر أيوبه واختار القراءة الأولى وهذا الذي سلمه ههنا فيه نظر لاحتمال أن هذا كان في حال استغفاره لا أيوبه قبل أن يعلم أمرهما فلما علم ذلك تبرأ منهما وأخبر عنهما أنهم من أهل النار كما ثبت (٢٨١) هذا في الصحيح ولهذا أشباه كثيرة ونظائر

ولا يلزم ما ذكر ابن جرير والله أعلم وقال الامام أحمد اخبرنا موسى ابن داود حدثنا فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال أجل والله انه لم يوصف في التوراة بصفته في القرآن يأبها النبي أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرز اللامين وأنت عهدي ورسولي سميتك المتوكل لا فظ ولا غليظ ولا مخناب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر وإن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله فيفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا انقرض بأخراجه البخاري فرواه في البيوع عن محمد ابن سنان عن فليح بن هلال قال تابعه عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال وقال سعيد بن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام ورواه في التفسير عن عبد الله بن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن عمرو بن

الخرقي شريحي بلوغ المرام وأطال الشوكاني الكلام عليه في شرحه للمتنقي فليح جمع اليهما وجه القول في تحريم الخمر أن الله أنزل فيه أربع آيات نزل بكمه ومن غرات الخيل والاعناب يتخذون منه سكراف كان المسلمون يشربونها في أول الاسلام وهي لهم حلال ثم نزل بالمدينة في جواب عمرو ومعاذ هذه الآية فتركها قوم لقوله فيما اثم كبير وشربها قوم اقلوه ومنافع للناس ثم نزل لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فترك قوم شربها في أوقات الصلاة ثم أنزل الله الآية التي في المائدة وذلك بعد غزوة الأحزاب بإيام والخرتدكر ونؤث وقال الاصمعي الخمر أثنى وأنكر التذكير (والميسر) مصدر ميمي ما خوذ من اليسر وهو وجوب الشيء صاحبه يقال يسر لي كذا إذا وجب والياسر اللادع بالقداح وقال الأزهرى الميسر الخمر الذي كانوا يتقامرون عليه سمي ميسرا لأنه يجرأ أجزاء فكانه موضع التجزئة وكل شيء جزأه فقد يسرته والياسر الجازر وقال وهذا الأصل في الياسر ثم يقال للضاربين بالقداح والمتقامرين على الجزور ياسرون لأنهم جازرون إذ كانوا سبيل ذلك والمراد بالميسر في الآية قمار العرب بالازلام قال جماعة من السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم كل شيء فيه قمار من زردأ وشرنج أو غيرهما فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعب الاما يبيع من الرهان في الخيل والقرعة في افراز الحقوق وقال مالك الميسر ميسران ميسر اللهو وميسر القمار فمن ميسر اللهو الترد والشرنج والملاهي كلها وميسر القمار ما يتخاطر الناس عليه وكل ما قوهر به فهو ميسر كالطاب والمنقلة والطاولة وغيرها وسما في البحث مطولا في هذا في سورة المائدة عند قوله انما الخمر والميسران شاء الله تعالى (قل فيما اثم كبير) يعني في الخمر والميسر فاثم الخمر أي اثم تعاطيها ينشأ من فساد عقل مستعملها فيصدر عنه ما يصدر عن فساد العقل من المخاصمة والمشاقة وقول الفحش والزور وتعطيل الصلوات وسائر ما يجب عليه وأما اثم الميسر أي اثم تعاطيه فينشأ عن ذلك من الفقر وذهاب المال في غير طائل والعداوة وإحشاش الصدور (ومنافع للناس) أما منافع الخمر فريح التجارة فيها وقيل ما يصدر عنها من الطرب واللذة والنشاط والفرح وقوة القلب وثبات الجنان وإصلاح المعدة وقوة الباه وتصفيه اللون وجل البخل على الكرم وزوال الهم وهضم الطعام وتشجيع الجنان وقد أشار شعراء العرب الى شيء من ذلك في أشعارهم ومنافع الميسر مصير الشيء الى

(٣٦ ل - فتح البیان) العاص به فذكر نحوه فبعد الله هذا هو ابن صالح كما صرح به في كتاب الادب وزعم ابن مسعود الدمشقي أنه عبد الله بن رجاء وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره هذه الآية من البقرة عن أحمد بن الحسن بن أيوب عن محمد بن أحمد بن البراء عن المعاني بن سليمان عن فليح بن هلال قال عطاء ثم لقيت كعب الاحبار فسألته فما اختلفا في حرف الا أن كعبا قال بلغته أعينا عموي وآذانا صموي وقلوبا غلفا (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتسع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولن أتبعه أهواءهم بعد الذي جاء من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته

اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون) قال ابن جرير يعني بقوله جل ثناؤه ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وليست اليهوديا محمد ولا النصارى براضية عندك أبد فندع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم الى ما بعثك الله به من الحق وقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى أى قل يا محمد ان هدى الله الذى بعثني به هو الهدى يعني خوالدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل قال قتادة في قوله قل ان هدى الله هو الهدى قال خصومة عليها الله محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه يخاصمون بها (٢٨٢) أهل الضلالة قال قتادة وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كن

يقول لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله (قلت) هذا الحديث يخرج في الصحيح عن عبد الله بن عمرو ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير فيه تهديد ووعيد شديد للامة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعدما علوا من القرآن والسنة عما ذاب الله من ذلك فان الخطاب مع الرسول والامر لأمته وقد استبدل كثير من الفقهاء بقوله حتى تتبع ملتهم حيث أقر الملة على أن الكفر كاه ملة واحدة كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين فعلى هذا لا يتوارث المسلمون والكفار وكل منهم يرث قرينه سواء كان من أهل دينه أم لا لانهم كلهم ملة واحدة وهذا مذهب الشافعى وأبى حنيفة وأحمد في رواية عنه وقال في الرواية الأخرى كقول مالك انه لا يتوارث أهل ملتين شتى كما جاء في الحديث والله أعلم وقوله الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته

الانسان بغير تعب ولا كد وما يحصل من السرور والارضية عند أن يصير له منها سهم صالح وسهام الميسر احد عشر منها سبعة لها فروض على عدد ما قيم امن الخطر وطوى الفساد والتوأم والرقب والخلس والناقر والمسيل والمعلو والسفح والوعد والضعف والجزور ولا تطول بك علاماتها وأحوالها (وامتعا كبر من نفعيما) أخبر سبحانه بان الخمر والميسر وان كان فيه مانع فالأثم الذى يلحق ستعاطيهما أكثر من هذا النفع لانه لا خير يساوى فساد العقل الحاصل بالخمر فانه ينشأ عنه من الشرور ما لا يأتي عليه الحصر وكذلك لا خير في الميسر يساوى ما فيه من المخاطرة بالمال والتعرض للفسق واستلاب العداوات المفضية الى سفك الدماء وشتك الحرم وقد وردت في تحريم الخمر ووعيد شاربيها أحاديث كثيرة (ويستأثرونك ماذا ينفقون قل العفو) والعفو ما سهل وتيسر ولم يشق على القلب والمعنى أنفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم يجيدوا فيه أنفسهم وقيل هو ما فضل عن نفقة العيال وقال جئور العلماء غونفقات التطوع وقيل ان هذه الآية منسوخة بآية الزكاة المفروضة وقيل هي محكمة وفي المال حتى سوى الزكاة وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير الصدقة ما كن عن ظهر غنى وابدا عن تعول وثبت نحو ذلك في الصحيح مر فوعا من حديث حكيم ابن حزام وفي الباب أحاديث كثيرة وقيل المعنى خذ الميسر من اخلاق الرجال ولا تستقص عليهم كذلك بين الله لكم الآيات) أى في أمر النفقة ومصارفها (علمكم تفكرون في الدنيا والآخرة) أى في أمر خداف تحبسون من أموالكم ما تصلحون به معاش دنياكم وتنفقون الباقي في الوجوه المقربة الى الآخرة وقيل في الكلام تقديم وتأخير أى كذلك بين الله لكم الآيات في الدنيا والآخرة لعلكم تفكرون في الدنيا وزوالها وفي الآخرة وبما فترغبون عن العاجلة الى الآجلة (ويستأثرونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير) هذه الآية نزلت بعد نزول قوله تعالى ولا تقر بوا مال اليتيم وقوله ان الذين ياكلون أموال اليتامى وقد ضاقت على الاولياء الامر فنزلت هذه الآية والمراد بالاصلاح هنا مخالطتهم على وجهه الاصلاح لأموالهم فان ذلك أصلح من محابتهم وفي ذلك دليل على جواز التصرف في أموال اليتامى من الاولياء وان وصياء بالبيع والمضاربة والأجارة ونحو ذلك وقيل ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يوسع عليه من طعامه

قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة هم اليهود والنصارى وخو قول عبد الرحمن بن زيد

ولا

ابن أسلم واختاره ابن جرير وقال سعيد عن قتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا ابراهيم بن موسى وعبد الله بن عمران الاصبهاني قال أخبرنا يحيى بن يمان حدثنا اسامة بن زيد عن أبيه عن عمر بن الخطاب يتلونه حق تلاوته قال اذا مر بذكر النار تعوذ بالله من النار وقال أبو العباس قال ابن مسعود والذى نفسى بيده ان حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأ كما أنزل الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه

ولا يأتول منه شيأ على غير تأويله وكذا روى عنه عبد الرزاق عن معمر بن قنادة ومنصور بن المعتمر عن ابن مسعود قال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في هذه الآية قال يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن مسعود نحوه ذلك وقال الحسن البصري يعملون بحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكونون ما أشكل عليهم إلى عالمه وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو زرعة أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة أخبرنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله لا يؤمنون حق تلاوته قال يبعونه حتى أتباعه ثم قرأ والقمر إذا تلاها يقول أتبعها (٢٨٣) قال وروى عن عكرمة وعطاء ومجاهد

وأبى رزبن وإبراهيم النخعي نحو ذلك وقال سفيان الثوري أخبرنا زبيد عن مرة عن عبد الله بن مسعود في قوله يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه قال القرطبي وروى نصر بن عيسى عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه ثم قال في أسناده غير واحد من المجتهولين فيما ذكره الخطيب الآن أعناه صحيح وقال أبو موسى الأشعري من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة وعن عمر بن الخطاب هم الذين إذا مروا بآية رجعت سالوها من الله وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها قال وقد روى هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا مر بآية رجعت سأل وإذا مر بآية عذاب تعوذ وقوله أولئك يؤمنون به خبر عن الذين آتيتهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أي هم أقام كتابه من أهل الكتب المنزل على الأنبياء المتقدمين حق أقام آمن بما أرسلته به بما محمد كما قال

ولا ياخذ أجرة ولا عوضا على اصلاح أمواله (وان نحا الطوهم فاخوانكم) اختلف في تفسير الناحطة لهم فقال أبو عبيدة الناحطة السبأى أن يكون لأحدهم المال وبشق على كافله أن يفرط عامه عنه ولا يجذب بدامن خطه بعياله فيما أخذ من مال اليتيم ما يرى أنه كافيه بالتحري فيجعل له مع نفقة أهله وهذا قد تقع فيه الزيادة والنقصان فدلّت هذه الآية على الرخصة وهي ناسخة لما قبلها وقيل المراد بالناحطة المعاشرة للآيتام وقيل المراد بها المصاهرة لهم والاولى عدم قصر الناحطة على نوع خاص بل يشمل كل ناحطة كما يستفاد من الجملة الشرطية والتقدير فهم اخوانكم في الدين (والله يعلم المفسد) لاموالهم بخاطمته (من المصلح) بها تحذير للاولياء أى لا يخفى على الله من ذلك شيء فهو يجازى كل أحد بعمله من أصلح فلنفسه ومن أفسد فعليها فقصه وعدو وعيد خلا أن في تقديم المفسد مزيد تهديد وتاكيد للوعيد (ولو شاء الله لأعنتكم) أى جعل ذلك شاقا عليكم ومتعبا لكم وأوقعكم فيما فيه المرح والمشقة وقيل العنت هنا معناه الهلاك قاله أبو عبيدة وأصل العنت المشقة وقال ابن التبرى أصل العنت التشديد ثم نقل الى معنى الهلاك (ان الله عزيز) أى لا يمتنع عليه شيء لانه غالب لا يغاب (حكيم) يتصرف في ملكه بما تقتضيه مشيئته وحكمته وليس لكم ان تختاروا لانفسكم (ولا تنكحوا المشركات) أى لا تتزوجوا والمراد بالنكاح العقد لا الوطء حتى قيل انه لم يرد في القرآن بمعنى الوطء أصلا (حتى يؤمن) حتى بمعنى الى أى الى أن يؤمن وفي هذه الآية النهى عن نكاح المشركات فقيل المراد بها الوثنيات وقيل انها اتم الكتابيات لان أهل الكتاب مشركون قالت اليهود وعزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية فقالت طائفة ان الله حرم نكاح المشركات فيها والكتابيات من الجملة ثم جاءت آية المائدة فخصت الكتابيات من هذا العموم وحمد المحكى عن ابن عباس ومالك وسفيان بن سعيد وعبد الرحمن بن عمرو والاوزاعى وذهبت طائفة الى أن هذه الآية ناسخة لآية المائدة وأنه يحرم نكاح الكتابيات والمشركات وهذا أحد قولى الشافعى وبه قال جماعة من أهل العلم ويجب ان يقولهم ان هذه الآية ناسخة لآية المائدة بان سورة البقرة من أول منازل وسورة المائدة من آخر منازل والقول الاول هو الراجح وقد قال به مع من تقدم عثمان بن عفان وطخوف جابر وحذيفة وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير

تعالى ولولا أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحث أرجلهم الآية وقال قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم أي إذا أقموا حق الإقامة وأدتم بها حق الإيمان وصدقتم ما فيها من الأخبار بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم ونعمته وصفته والأمر باتباعه ونصره وموازنته فادكم ذلك إلى الحق واتباع الخبر في الدنيا والآخرة كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل الآية وقال قل آمنوا به أو لا تؤمنوا أولئك على السواء من قبله فإذ أتتكم آية من ربكم فاعلموا أن آيات الله قد جاءتكم بالبرهان الآية وقال قل يا أيها الذين آمنوا آمنوا بما نزل من ربكم ولا تتَّبِعُوا أقدامكم ولا آراءكم ولا تتَّبِعُوا أوهامكم ولا آراء الذين كفروا ولا تتَّبِعُوا ما كان الغالب بينكم وبينهم من قبل فإضلالهم كبير

كان وعد ربنا انه لا اى ان كان ما وعدنا به من شان محمد صلى الله عليه وسلم لواقعا . وقال تعالى الذين آمنوا هم الكتاب من قبله هم به
يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا امانا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اولئك يؤتوا اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن
بالجنة السينة وما رزقناهم ينفقون . وقال تعالى وقل للذين آمنوا والذين آمنوا من قبلهم ان لا ياتوا بالكتاب والذين آمنوا من قبلهم
عليك البلاغ والله بصير بالعباد ولهذا قال تعالى ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون كما قال تعالى ومن يكفر به من الاسراب
فالنار موعده وفي الصحيح والذي نفسي بيده لا يسمع في أحد من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بي

الادخل النار (يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
واي فضلتيكم على العالمين واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون) قد تقدم
نظير هذه الآية في صدر السورة
وكررت ههنا للتأكيد والحث
على اتباع الرسول النبي الاحي
الذي يجدون صفته في كتبهم ونعمته
واسمه وأمره وأمنه فذكرهم
من كتمان هذا وكتمان ما أنعم به
عليهم وأمرهم أن يذكروا نعمة
الله عليهم من النعم الدينية
والدنية ولا يحسدوا بني عمهم
من العرب على ما رزقهم الله من
ارسل الرسول الخاتم منهم ولا
يحملهم ذلك الحسد على مخالفة
وتكذيبه والحيد عن موافقه
صاوات الله وسلامه عليه دائما الى
يوم الدين (واذا نزل ابراهيم
بكلمات فاتمهن قال اني جاعل
للناس اماما قال ومن ذريتي قال
لا ينال عهدى الظالمين) يقول
تعالى منها على شرف ابراهيم
خلده عليه السلام وأن الله تعالى

والحسن وطاوس وعكرمة والشعبي والغضائلي كما حكاها النحاس والقرطبي وقد حكاها ابن
المنذر عن المذكورين وزاد عمر بن الخطاب وقال لا يصح عن أحد من الاولين انه حرم
ذلك وقال بعض أهل العلم ان لفظ المشرك لا يتناول أهل الكتاب لقوله تعالى ما يؤد الذين
كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين . وعلى فرض أن لفظ المشركين يعنى فهذا العموم
مخصوص بآية المائدة كما قدمنا من مقاتل بن حيان قال نزات هذه الآية في أى مرثد
الغزوى استأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزاه أن يتزوجها وكانت ذات حظ
من جمال وهى مشركة وأبو هريرة يومئذ مسلم فقال يا رسول الله انهم انما يحبوني فانزل الله
ولا تنكحوا المشركات أخرجه ابن أبي حاتم وابن المنذر وأخرج البخاري عن ابن عمر
قال حرم الله نكاح المشركات على المسلمين ولا أعرف شيئا من الاشراك أعظم من أن
تقول المرأة ربها عيسى أو عبد من عباد الله (ولا أمة مؤمنة خير من مشركة) أى ولقيقة
مؤمنة أنفع وأصلح وأفضل من حرة مشركة . وقيل المراد بالامة الحرة لان الناس كلهم
عبيد الله وامأوه والاول أولى لانه الظاهر من اللفظ ولانه أبلغ فان تفضل الامة المؤمنة
على الحرة المشركة يستفاد منه تفضل الحرة المؤمنة على الحرة المشركة بالاولى قال ابن
عزقة يحى التفضل في كلامهم ايجابا للاول ونفيًا عن الثاني فعلى هذا لا يلزم وجود خير
في المشركة مطلقا (ولو أعجبتمكم) المشركة من جهة كونها ذات جمال أو مال أو نسب
أو شرف وهذه الجملة حالية قال السيوطي وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية
والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب (ولا تنكحوا المشركين) أى لا تزوجوا الكفار
بالمؤمنات خطاب الاولياء (حتى يؤمنوا) قال القرطبي وأبجعت الامة على أن المشرك
لا يبطأ المؤمنة بوجه ما في ذلك من الغضاضة على الاسلام (ولعبد) الكلام فيه كالكلام
في قوله ولا أمة والترجيح كالترجيح (مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) أى بحسبه وجماله
ونسبه وماله (أولئك) إشارة الى المشركين والمشركات (يدعون الى النار) أى الى الاعمال
الموجبة للنار فكان في مصاهرتهم ومعاشرتهم ومصاحبتهم من الخطر العظيم ما لا يجوز
للمؤمنين أن يتعرضوا له ويدخلوا فيه (والله يدعو الى الجنة والمغفرة) أى الى الاعمال
الموجبة للجنة . وقيل المراد أن أولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة (بآذنه) أى بأمره
قاله الزجاج . وقيل بتيسيره وتوفيقه قاله في الكشف فجب اجابته بالتزويج من أوليائه

جعلها اماما للناس يقتدى به في التوحيد حين قام بها كلفه الله تعالى به من الاوامر والنواهي ولهذا قال واذا يتلى
ابراهيم ربه بكلمات أى واذا كرى محمد لهؤلاء المشركين وأهل الكتابين الذين يتكلمون مله ابراهيم وليسوا عليها وإنما الذى هو
عليه مستقيم فانت والذين معك من المؤمنين اذ كلهم هؤلاء ابتلاء الله ابراهيم أى اختياره له بما كلفه به من الاوامر والنواهي
فاتمهن أى قام بهن كهن كما قال تعالى وابراهيم الذى وفى أى وفى جميع ما شرع له فعمل به صلوات الله عليه . وقال تعالى ان
ابراهيم كان أمة فأتاه الله حسنا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباؤه وهداه الى صراط مستقيم وآتاه في الدنيا حسنة وانه

في الآخر قلن الصالحين ثم اوحينا اليك ان اتبع مله ابراهيم خنيفا وما كان من المشركين وقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان خنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين وقوله تعالى بكلمات أي بشرائع وأوامر وفواه فان الكلمات تطلق ويراد بها الكلمات القدسية كقوله تعالى عن مريم عليها السلام وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين وتطلق ويراد بها الشرعية كقوله تعالى وقت كلفه بك صدقا وعدلا أي كلماته الشرعية وهي اما خبر صدق واما طلب عدل ان (٢٨٥) كان أمرا أو نهيا ومن ذلك هذه الآية

وهم المسلمون (ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) أي يوضح أدلته ووجهه في أوامره ونواهيه وأحكامه لعلهم يتعظون (ويستألفونك عن المحيض) السائل أبو الدحداح في نفر من الصحابة والمحيض هو الحيض وهو مصدر ميمي يقال حاضت المرأة حيضا ومحيضها في حيضها حائض وحائضه كذا قال القراء ونساء محيض وحوائض والحيضة بالكسر المرة الواحدة وقيل الاسم وقيل المحيض عبارة عن الزمان والمكان وهو مجاز فيهما وقال ابن جرير الطبري المحيض اسم الحيض أي الحدث وأصل هذه الكلمة من السيلان والانفجار يقال حاض السيل وفاض وحاضت الشجرة أي سالت رطوبتها ومنه الحوض لان الماء يحوض اليه أي يسيل (قل هو أذى) أي شيء يتأذى به أي براءتته والأذى كناية عن القذرا ومحله ويطلق على القول المكروه ومنه قوله تعالى ولا تطاولوا صدفاتكم بالملن والأذى ومنه قوله تعالى ودع أذاهم (فاعتزلوا النساء في المحيض) أي فاجتنبوهن واتركوا وطأهن في زمان الحيض ان جل المحيض على المصدر أو في محل الحيض ان جل على الاسم والمراد من هذا الاعتزال ترك الجماعة لترك الجمالسة أو الملايصة فان ذلك جائز بل يجوز الاستمتاع منها بجماع الفرج أو بمادون الأزار على خلاف في ذلك وأما ما روى عن ابن عباس وعبيدة السلماني أنه يجب على الرجل ان يعتزل فراش زوجته اذا حاضت فليس ذلك بشيء ولا خلاف بين أهل العلم في تحريم وطء الحائض وهو معلوم من ضرورة الدين وقد أخرج مسلم وأهل السنن وغيرهم عن أنس ان اليهود كانوا اذا حاضت المرأة منهم أخرجوها من البيت ولم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجمعوها في البيوت فسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فأمر الله ويستألفونك عن المحيض الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تؤسلن جامعوهن في البيوت واصنعوا كل شيء الا النكاح (ولا تقر بهن) بالجماع (حتى يظفرن) قرئ بالتخفيف والتشديد والظفر انقطاع الحيض والتطهر الاغتسال وبسبب اختلاف القراء اختلاف أهل العلم فذهب الجمهور الى أن الحائض لا يحل وطؤها لزوجهما حتى تطهر بالماء وقال محمد بن كعب القرظي ويحیی بن بكير اذا طهرت الحائض وتيممت حيث لاماء حلت لزوجهما وان لم تغتسل وقال مجاهد وعكرمة ان انقطاع الدم يجعلها لزوجهما ولكن تتوضا وقال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد ان انقطع دمها بعد مضي عشرة أيام جازله أن يطأها قبل الغسل وان كان انقطاعه قبل العشرة لم يجز حتى تغتسل أو يدخل

وأبي صالح وأبي الجله نحو ذلك (قلت) وقريب من هذا ما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء البحية والسوال واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم وتنف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب ونسيت العشرة الا ان تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الماء يعني الاستنجاء وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار وتنف الابط ولفظه لمسلم وقال ابن أبي حاتم أنابا بن يوسف بن عبد الأعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لبيعة عن ابن هبيرة عن

حدثني بن عبد الله الصنعاني عن ابن عباس أنه كان يقول في تفسير هذه الآية وإذا أتى إبراهيم ربه بكلمات فأتتهن قال عشر
ست في الإنسان وأربع في المشاعر فاما التي في الإنسان خلق العانة وتنف الابط والحنان وكان ابن عسيرة يقول هؤلاء الثلاثة
واحدة (١) وتقليم الاظفار وقص الشارب والسوا وغسل يوم الجمعة والاربعة التي في المشاعر الطواف والسعي بين الصفا والمروة
وروي الجمار والافاضة وقال داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس انه قال ما أتى به هذا الدين أحد فقام به كله الا ابراهيم
قال الله تعالى وإذا أتى إبراهيم ربه بكلمات (٢٨٦) فأتتهن قلت له وما الكلمات التي أتى الله ابراهيم بهن فأتتهن قال

الاسلام ثلاثون ثم ما منها عشر
آيات في براءة التائبون العابدون
الى آخر الآية وعشر آيات في
أول سورة قدا فلع المؤمنون وسأل
سائل يعذاب واقع وعشر آيات في
الاحزاب ان المسلمين والمسلمات
الى آخر الآية فأتتهن كلهن
نكتبت له براءة قال الله و ابراهيم
الذي وفي قال هكذا رواه الحاكم
وأبو جعفر بن جرير وأبو محمد بن
أبي حاتم بإسنادهم الى داود بن
أبي هند بن وهذا اللفظ ابن أبي حاتم
وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي
محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن
عباس قال الكلمات التي أتى
الله بهن ابراهيم فأتتهن فراق قومه
في الله حين أمر بفراقهم ومحاكته
نمرود في الله حين وقفه على موقفه
عليه من خطر الامر الذي فيه
خلافهم وصبره على قذفهم اياه في
النار ليحرقوه في الله على هول ذلك
من أمرهم والهجرة بعد ذلك من
وطنه وبلاده في الله حين أمره
بالخروج عنهم ومأمره به من
الضيافة والصبر عليه بنفسه وماله
وما أتى به من ذبح ابنه حين أمره

عليها رقت صلاة وقدر رج ابن جرير الطبري قراءة التشديد والاولى أن يقال ان الله
سبحانه جعل للعل غائبين كما تقتضيه القراءة ثان احدهما انقطاع الدم والاخرى التطهير منه
والغاية الاخرى مشتملة على زيادة على الغاية الاولى فيجب المصير اليها وقد دل على أن الغاية
الاخرى هي المعبرة قوله تعالى بعد ذلك (فإذا تطهروا) فان ذلك يفيد أن المعبر التطهير
لا مجرد انقطاع الدم وقد تقرران القراءة بتين بمنزلة الآيتين فكأنه يجب الجمع بين الآيتين
المشتملة احدهما على زيادة قوا العمل بتلك الزيادة كذلك يجب الجمع بين القراءتين
(فأتتهن من حيث أمركم الله) أي فقامعهن وكنى عنه بالآتيان والمراد انهم بجامعهن
في المأني الذي أباحه الله وهو القبل وقيل من حيث بمعنى في حيث كفا في قوله تعالى إذا نودي
للصلاة من يوم الجمعة أي في يوم الجمعة وقوله ماذا خلقوا من الارض أي في الارض وقيل
ان المعنى من الوجه الذي أذن الله لكم فيه أي من غير صوم و احرام واعتكاف وقيل
ان المعنى من قبل الطهر لان من قبل الحيض وقيل من قبل الحلال لان من قبل الزنا ان الله
يجب التواين ويجب المتطهرين) قيل المراد التواين من الذنوب والمتطهرون من
الجنابة والاحداث وقيل التواين من آتيان النساء في أديارهن وقيل من آتيانهم في
الحيض والاول أظهر (نساؤكم حرث لكم) لفظ الحرث يفيد أن الاباحة لم تقع الا في
الفرج الذي هو القبل خاصة اذ هو من درع الذرية كما أن الحرث من درع النبات فقد شبه
ما بقي في أرحامهن من النطف التي منها النسل بما يلقى في الارض من البذور التي منها النبات
بجامع ان كل واحد منهما مادة لما يحصل منه وهذه الجملة بيان للجملة الاولى أعني قوله
فأتتهن من حيث أمركم الله (فأتتهن من حيث أمركم الله) أي محل زرعكم واستنبأكم الزاد وهو القبل
وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المرأة كالارض والنطفة كالبدن والولد كالزراع (أي
شتم) أي من أي جهة شتم من خلف وقد امو باركة ومستلقية ومضطجعة وقائمة وقاعدة
ومقبلة ومدبرة اذا كان في موضع الحرث وانما عبر سبحانه بكلمة أي لتكونها أعم في اللغة
من أين وكيف ومتى وأما سيويه ففسرها بكيف وقد ذهب السلف والخلف من الصحابة
والتابعين والأئمة الى ما ذكرناه من تفسير الآية وان آتيان الزوجة في دبرها حرام وروي
عن سعيد بن المسيب ونافع وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وعبد الملك بن الماجشون
انه يجوز ذلك حكاه عنهم القرظي في تفسيره قال وحكي ذلك عن مالك في كتابه ليسمي

بذبحه فلما مضى على ذلك من الله كله وأخلصه للبلاء قال الله له اسلم قال أسلمت لرب العالمين على ما كان من خلاف كتاب
الناس وفراقهم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا اسمعيل بن علية عن أبي رجاء عن الحسن يعني البصري وإذا أتى
ابراهيم ربه بكلمات فأتتهن قال ابتلاه بالكوكب فرضى عنه وابتلاه بالقمر فرضى عنه وابتلاه بالشمس فرضى عنه وابتلاه
بالهجرة فرضى عنه وابتلاه بالحنان فرضى عنه وابتلاه بانه فرضى عنه وقال ابن جرير أخبرنا بشر بن معاذ أخبرنا يزيد بن زريع
(١) قوله وتقليم الاظفار الخ كذا في النسخ التي بأيدينا والمعدود خمسة على قول ابن هبيرة وسبعة على قول غيره فالمعدود على كل حال
غير ظاهر وقوله بعد فلما مضى على ذلك الخ فيه ما يحتاج الى تأمل اه معجمه

أخبرنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول إني والله لقد ابتلاه بامر قنبر عليه ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فاحسن في ذلك وعرف أن ربه دائم لا يزول فوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض خنيقا وما كان من المشركين ثم ابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجرا إلى الله ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصر على ذلك وابتلاه بذيح ابنه والختان فصر على ذلك وقال عبد الله بن زريق أخبرنا بن عمر عن سمع الحسن يقول في قوله وإذا تبلى إبراهيم ربه بكلمات قال ابتلاه الله بذيح ولده وبالنار والكوكب والشمس والقمر وقال أبو جعفر بن جرير أخبرنا بن بشار أخبرنا مسلم بن قتيبة أخبرنا أبو هلال عن الحسن وإذا تبلى إبراهيم ربه بكلمات قال ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فوجده (٢٨٧) صابرا وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس وإذا تبلى إبراهيم ربه بكلمات

فأتتهن فتهن قال إني جاعلك للناس إماما ومنهن وأذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسمعهن ومنهن الآيات في شأن المنسك والمقام الذي جعل لإبراهيم والرزق الذي رزق ساكنو البيت ومحمد بعث في دينهما وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا شاذان عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى وإذا تبلى إبراهيم ربه بكلمات فأتتهن قال الله لإبراهيم إني مبيتك بأمر فاهو قال تجعلني للناس إماما قال نعم قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين قال تجعل البيت مشابة للناس قال نعم قال وأمننا قال نعم قال تجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال نعم قال وترزق أهلهم من الثمرات من آمن منهم بالله قال نعم قال ابن أبي نجيح سمعته عن عكرمة فعرضته على مجاهد فلم يشكره وهكذا رواه ابن جرير عن غير وجهه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح

كتاب السر وحذاق أصحاب مالك ومشايعهم يشكرون ذلك الكتاب ومالك أجمل من أن يكون له كتاب سر ووقع هذا القول في العتبية وذكر ابن العربي أن ابن شعبان أسند جواز ذلك إلى زمرة كثيرة من الصحابة والتابعين وإلى مالك من روايات كثيرة في كتاب جاع النسوان وأحكام القرآن قال الطحاوي روى أصبغ بن القرج عن عبد الرحمن بن القاسم قال ما أدركت أحدا أقتدى به في ديني شك في أنه حلال بعني وطء المرأة في دبرها ثم قرأ نسأؤكم حرث لكم ثم قال فأي شيء أبين من هذا وقد روى الحاكم والدارقطني والخطيب البغدادي عن مالك من طرق ما يقتضي إباحة ذلك وفي أسانيدنا ضعف وقد روى الطحاوي عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنه سمع الشافعي يقول ما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تحليله ولا تحريمه شيء والقياس أنه حلال وقد روى ذلك أبو بكر الخطيب قال ابن الصباغ كان الربيع يحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد كذب ابن عبد الحكم على الشافعي في ذلك فإن الشافعي نص على تحريمه في ستة كتب من كتبه وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن جابر قال كانت اليهود تقول إذا أتى الرجل امرأته من خلفها في قبالتها ثم حلت جاء الولد أحول فسنات نسأؤكم حرث لكم فأؤاخرتكم أني شئت أن شاء محببة وإن شاء غير محببة غير أن ذلك في صمام واحد وقد روى هذا عن جماعة من السلف وصرحوا أنه السبب والصمام السبيل وأخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه والنسائي والضياء في المختارة وغيرهم عن ابن عباس قال جاء عمر إلى رسول الله فقال يا رسول الله هلكت قال وما أهلكك قال حوات رحلي الليلة فلم يرد عليه شيئا فوحي الله إلى رسوله هذه الآية نسأؤكم حرث لكم يقول قبل وأدبر وائق الدبر والخيفة وأخرج الشافعي في الام وابن أبي شيبة وأحمد والنسائي وابن ماجه وابن المنذر والبيهقي في سننه من طريق خزيمة بن ثابت أن سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن آسان النساء في أدبارهن فقال حلال أو لا بأس فلما ولي دعاء فقال كيف قلت آمن دبرها في قبلها فأنعم ثم من دبرها في دبرها فلا إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن وأخرج ابن أبي شيبة والترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينظر الله إلى رجل إلى امرأته في الدبر وأخرج أحمد والبيهقي في سننه عن ابن عمر وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الذي يأتي

عن مجاهد وإذا تبلى إبراهيم ربه بكلمات فأتتهن قال ابتلى بالآيات التي بعدها إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس وإذا تبلى إبراهيم ربه بكلمات قال الكلمات إني جاعلك للناس إماما وقوله وأذ جعلنا البيت مشابة للناس وأمننا وقوله واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقوله وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل الآية وقوله وأذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسمعهن الآية قال فذلك كله من الكلمات التي أتى بها إبراهيم وقال السبكي الكلمات التي أتى بها إبراهيم ربه بناتقبل منالك أنت السميع العليم وبناتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة

مسلمة لك ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال القرطبي وفي الموطأ وغيره عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول ابراهيم عليه السلام أول من اختن وأول من ضاق الضيف وأول من قلم أظفاره وأول من قص الشارب وأول من شاب فلما رأى السيب قال ما هذا قال وقار قال يارب زدني وقارا وذكرا بن أبي شيبة عن سعد بن ابراهيم عن أبيه قال أول من خطب على المنابر ابراهيم عليه السلام قال غيره وأول من برد البريد وأول من ضرب بالسيف وأول من استاك وأول من استنجد بالماء وأول من لبس السراويل وروى معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اتخذ المنبر فقد اتخذ أبا ابراهيم

وامرأته في دبرها حتى اللوطية الصغرى وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملعون من أتى امرأته في دبرها وقد ورد النهي عن ذلك من طرق وقد ثبت في ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين مرفوعا وموقوفا وقد روى القول بحل ذلك عن بعضهم كما قدمنا وليس في أقوال هؤلاء حجة البتة ولا يجوز لأحد أن يعمل على أقوالهم فانهم لم يأتوا بدليل يدل على الجواز فنزعم منهم أنه فهم ذلك من الآية فقد أخطأ في فهمه وقد فسر هالناس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكابر أصحابه بخلاف ما قاله هذا المخطئ في فهمه كائنا من كان ومن زعم منهم أن سبب نزول الآية أن رجلا أتى امرأته في دبرها فليس في هذا ما يدل على أن الآية أحلت ذلك ومن زعم ذلك فقد أخطأ بل الذي تدل عليه الآية أن ذلك حرام فكأن ذلك هو السبب لا يستلزم أن تكون الآية نازلة في تحليله فإن الآيات النازلة على أسباب تأتي تارة بتحليل هذا وتارة بتحريمه (وقدموا الانفسكم) أي خيرا كما في قوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله وقيل ابتغاء الولد وقيل التزويج بالعفاف وقيل التسمية والدعاء عند الجماع وقيل غير ذلك (واتقوا الله) فيه تحذير عن الوقوع في شيء من المحرمات (واعلموا أنكم ملائكة) بالبعث مبالغة في التحذير (وبشر المؤمنين) الذين اتقوا بالجنة تأنيس لمن يفعل الخير ويحسب الشر (ولا تجعلوا الله) أي الحلف به (عرضة ليمانكم) العرضة النسبة قاله الجوهري وقيل العرضة الشدة والقوة ومنه قولهم للمرأة عرضة للنكاح اذا صلحت له وقويت عليه وأفلا ن عرضة أي قوة وتطلق العرضة على اليمين ويقال فلان عرضة للناس لا يرزقون يقعون فيه فعلى المعنى الذي ذكره الجوهري أن العرضة النسبة كالغرفة يكون ذلك اسم لما تعرضه دون الشيء أي يجعله حائرا له وما نعامه أي لا تجعلوا الله حائرا وما نعامه حلفهم عليه وذلك لأن الرجل كان يحلف على بعض الخير من صلة الرحم أو احسان الى الغير أو اصلاح بين الناس بان لا يفعل ذلك ثم يتعصم من فعله معاملة لذلك الامتناع بانه قد حلف أن لا يفعل وهذا المعنى هو الذي ذكره الجمهور في تفسير الآية فنهاهم الله أن يجعلوا عرضة ليمانهم أي حائرا لما حلفوا عليه وما نعامه وسعى الخلق عليه التمسك باليمين وعلى هذا يكون قوله (أن تبروا وتوقوا وتصلحوا بين الناس) عطف بيان لايمانكم أي لا تجعلوا الله مانعا للايمان التي هي بركم وتوقوا كم واصلحكم بين

وان اتخذ العصفاء فقد اتخذها أبي ابراهيم (قلت) هذا الحديث لا يثبت والله أعلم ثم شرع القرطبي يتكلم على ما يتعلق بهذه الاشياء من الاحكام الشرعية قال أبو جعفر بن جرير ما حاصله انه يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ما ذكرنا أن يكون بعض ذلك ولا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعمين بالجديث أو اجماع قال ولم يصح في ذلك خبر ينقل الواحد ولا ينقل الجماعة الذي يجب التسليم له قال غير واحد انه قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في نظير معنى ذلك خبران أحدهما ما حدثنا به أبو كريب أخبرنا راشد بن سعد حدثني زيان ابن قائد عن سهل بن معاذ بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم لم سمى الله ابراهيم خليله الذي وفي لانه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشما وحين تظهرون الى آخر الآية قال والاخر منهما ما حدثنا به أبو

كريب أخبرنا الحسن عن عطية أخبرنا اسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي امامة قال قال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم و ابراهيم الذي وفي قال أنذرون ما وفي قالوا الله ورسوله أعلم قال وفي عمل يومه أربع ركعات في النهار ورواه آدم في تفسيره عن حماد بن سارة وعبد بن حميد عن يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن جعفر بن الزبير ثم شرع ابن جرير يضعف هذين الحديثين وهو كما قال فانه لا يجوز روايتهما الا ببيان ضعفهما وضعفهما من وجوه عديدة فان كلاما من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء مع ما في متن الحديث مما يدل على ضعفه والله أعلم ثم قال ابن جرير ولو قال قائل ان الذي قاله

بجاهد وابوصالح والريبع بن أنس أولى بالصواب كان مذهبا لأن قوله أني جاعلك للناس اماما وقوله وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل
أن طهرا بني للطائفتين بالآية وسائر الآيات التي هي نظير ذلك كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلى بهن ابراهيم (قلت)
والذي قاله أولامن أن الكلمات تشبه جميع ما ذكر أقوى من هذا الذي جوزه من قول مجاهد ومن قال مثله لأن السياق يعطى
غير ما قالوه والله أعلم وقوله قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين لما جعل الله ابراهيم اماما سأل الله أن تكون الأئمة من
بعده من ذريته فأجيب الى ذلك وأخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون (٢٨٩) وأنه لا ينالهم عهد الله ولا يكونون أئمة فلا

الناس ويتعلق قوله لا إيمانكم بقوله لا تجعلوا أي لا تجعلوا الله لا إيمانكم مانعا وحاجزا
ويجوز أن يتعلق بعرضة أي لا تجعلوا شيئا معترضاً بينكم وبين البر وما بعده وعلى المعنى
الثاني وهو أن العرضة الشدة والقوة يكون معنى الآية لا تجعلوا الذين بالله قوة لأنفسكم
وعدة في الامتناع من الخير ولا يصح تفسير الآية على المعنى الثالث وهو تفسير العرضة
بالهمة وأما على المعنى الرابع وهو قولهم فلان عرضة للناس فيكون معنى الآية عليه
ولا تجعلوا الله معرضاً لإيمانكم فتبدلونه بكثرة الخلف به ومنه واحفظوا إيمانكم
وقدم الله المكثرين للخلف فقال ولا تطع كل حلاف مهين وقد كانت العرب تتماح
بقوله الإيمان فيكون قوله أن تبروا علة للنهي أي لا تجعلوا الله معرضاً لإيمانكم إرادة أن
تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس لأن من يكثر الخلف بالله يجترى على الخنث ويفجر في
يمينه وقد قيل في تفسير الآية أقوال هي راجعة الى هذه الوجوه التي ذكرناها (والله
سيمح) أي لأقوال العباد (عليهم) بما يصدر منهم وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة في
الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها
خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه وثبت أيضاً في الصحيحين وغيرهما أن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال والله أن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً
منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني وأخرج ابن ماجه وابن جرير عن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حلف على يمين قطيعة رحم أو معصية
فدعه أن يحث فيها ويرجع عن يمينه وفي الباب أحاديث (لا يؤاخذكم الله باللغو في
إيمانكم) اللغو مصدراً للغواو لغايلغي لغيا إذا أتى بما لا يحتاج اليه في الكلام
أو بما لا خير فيه وهو الساقط الذي لا يعتد به فاللغو من اليمين هو الساقط ومنه اللغو في
الدية وهو الساقط الذي لا يعتد به من أولاد الأبل ومعنى الآية لا يعاقبكم الله بالساقط
من إيمانكم (ولكن يؤاخذكم) أي يعاقبكم (بما كسبت قلوبكم) أي اقترفته بالقصد
اليه وهي اليمين المقصودة ومثله قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان وقد
اختلف أهل العلم في تفسير اللغو فذهب ابن عباس وعائشة وجهور العلماء الى أنه قول
الرجل لا والله وبلى والله في حديثه وكلامه غير معتقد لليمين ولا يريد لها قال المروزي
هذا معنى لغو اليمين الذي اتفق عليه عامة العلماء ويدل له الأحاديث وبه قال الشافعي

(٣٧ ل - فتح البيان) المشرك لا يكون امام ظالم يقول لا يكون امام مشرك وقال ابن جرير عن عطاء قال أني جاعلك
لناس اماما قال ومن ذريتي فأني ان يجعل من ذريته اماما ظالم اقلت لعطاء ما عهده قال أمره وقال ابن ابى حاتم أخبرنا عمرو
ابن ثور القيساري فيما كتب الى أخبرنا القرياني حدثنا اسمعيل حدثنا اسمعيل بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال قال الله
لا ابراهيم أني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي فأني أن يفعل ثم قال لا ينال عهدي الظالمين وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي
محمد عن سعيداً وعكرمة عن ابن عباس قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين يخبره أنه كائن في ذريته ظالم لا ينال عهده ولا

ينبغي ان يولييه شيئا من امره وان كان من ذرية خليفه وحسن استغذفيه دعوته وتبلغ له فيه ما اراد من مسئلته وقال العوفي عن
ابن عباس لا ينال عهدى الظالمين قال يعنى لا عهد الظالم عليك في ظلمه ان تطيعه فيه وقال ابن جرير حدثنا اسحق اخبرنا عبد الرحمن
ابن عبد الله عن اسرائيل عن مسلم الا عور عن مجاهد عن ابن عباس قال لا ينال عهدى الظالمين قال ليس للظالمين عهد وان عاهدته
فانقضه وروى عن مجاهد وعطاء ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقال الثوري عن هرون بن عتبة عن ابيه قال ليس لظالم عهد
وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتاده (٢٩٠) في قوله لا ينال عهدى الظالمين قال لا ينال عهد الله في الاخرة للظالمين

فاما في الدنيا فقد ناله الظالم فامن به
وأكل وعاش وكذا قال ابراهيم
النخعي وعطاء والحسن وعكرمة
وقال الربيع بن أنس عهد الله
الذي عهد الى عباد دينه يقول
لا ينال دينه الظالمين الا ترى انه
قال وباركنا عليه وعلى اسحق ومن
ذريته ما محسن وظالم لنفسه مبين
يقول ليس كل ذرية ناك يا ابراهيم
على الحق وكذا روى عن أبي
العالبة وعطاء ومقاتل بن حيان
وقال جوير عن الضحاك لا ينال
طاعتي عدوتي بعصبي ولا أنخلها
الاولا الى يطيعني وقال الحافظ
أبو بكر بن مردويه اخبرنا عبد
الرحمن بن محمد بن حامد اخبرنا أحمد
ابن عبد الله بن سعيد الدامغانى
اخبرنا وكيع عن الاعمش عن
سعيد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن
السلمي عن علي بن أبي طالب عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ينال
عهدى الظالمين قال لا طاعة الا في
المعروف وقال السدي لا ينال
عهدى الظالمين يقول عهدى
نبوتى فهذه أقوال مفسرى السلف
في هذه الآية على ما نقله ابن جرير

وقال أبو هريرة وجماعة من السلف هو ان يحلف الرجل على الشيء لا يظن الا انه باه فاذا
هو ليس ما هو ظنه والى هذا ذهب الحنفية وبه قال مالك في الموطا ولا كفارة فيه ولا اثم
عليه عنده وروى عن ابن عباس انه قال لغو اليمين ان تحلف وأنت غضبان وبه قال
طاوس ومكحول وروى عن مالك وقيل ان اللغو هو يمين المعصية قاله سعيد بن
المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن وعبد الله بن الزبير وأخوه عروة كالذي يقسم لبشر بن
الخرأ وليقطعن الرحم وقيل لغو اليمين هو دعاء الرجل على نفسه كان يقول أعني الله
بصره أذهب الله ماله هو يهودى هو مشرك قاله زيد بن أسلم وقال مجاهد لغو اليمين ان
يتبايع الرجلان فيقول أحدهما والله لا أبغى بكذا ويقول الآخر والله لا أشتريه بكذا
وقال الضحاك لغو اليمين هي المكفرة أى اذا كفرت سقطت وصارت لغوا والراجح القول
الاول لمطابقته للمعنى اللغوي وإدلالة الأدلة عليه (والله غفور حلیم) حيث لم يؤخذ كم
بما تقولونه بألسنتكم من دون عدو وقصدوا أخذكم بما تعدونه قلوبكم وتكلمت به
ألسنتكم وتلك هي اليمين المعقودة المقصودة وقال سعيد بن جبيرة والله غفور يعنى اذا
تجاوز عن اليمين التي حلف عليها حلیم اذ لم يجعل عليها الكفارة (الذين يؤلون من نسائهم
تربص أربعة أشهر) أى يحلفون والمصدر ايلاء وألية وألوة وقرأ ابن عباس الذين ألوا
يقال آلى بولي ايلاء وآلى بالثناء آلى أى حلف ومنه ولا يأتل أو ألوا الفضل منكم
والا يلاءحقه ان يستعمل بعلى واستعماله عن تضمنه معنى العداوى يحلفون متباعدين
من نسائهم وقد اختلف أهل العلم في الايلاء فقال الجمهور ان الايلاء هو ان يحلف ان
لا يبطأ امرأته أكثر من أربعة أشهر فان حلف على أربعة أشهر فقادونها لم يكن موليا
وكانت عندهم عينا محضا وبهذا قال مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور وقال الثوري
والكوفيون الا يلاء ان يحلف على أربعة أشهر فصاعدا وهو قول عطاء وروى عن ابن
عباس انه لا يكون موليا حتى يحلف أن لا يمسها أبدا وقالت طائفة اذا حلف أن لا يقرن
امرأته يوما وأقل أو أكثر لم يبطأها أربعة أشهر بانتهى بالايلاء وبه قال ابن مسعود
والنخعي وابن أبي ليلى والحكم وحماد بن سليمان وقاتله واسحق قال ابن المنذر وأنكر
هذا القول كثير من أهل العلم وقوله من نسائهم يشمل الحرائر والاماء اذا كن زوجات
وكذلك يدخل تحت قوله الذين يؤلون العبد اذا حلف من زوجته وبه قال أحمد والشافعي

وابن أبي حاتم رحمه الله تعالى واخبرنا ابن جرير أن هذه الآية وان كانت ظاهرة في الخبر انه لا ينال عهد الله
بالامانة ظالمها ففيها اعلام من الله لابراهيم الخليل عليه السلام انه سوجده من ذرية من هو ظالم لنفسه كما تقدم عن مجاهد وغيره
والله أعلم وقال ابن خزيمة اذا مالكي الظالم لا يصلح أن يكون خليفة ولا حاكما ولا مفتيا ولا شاهدا ولا زوايا (واذ جعلنا البيت
مشابة للناس وأنموا واتخذوا من مقام ابراهيم مضى) قال العوفي عن ابن عباس قوله تعالى واذ جعلنا البيت مشابة للناس يقول
لا يقضون منه وطرا يأتونه ثم يرجعون الى أهليهم ثم يعودون اليه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مشابة للناس يقول يشربون

لأناس قال يثوبون اليه من
البدان كلهوا يأتونه وما أحسن
ما قال الشاعر في هذا المعنى أورده
القرطبي

وقال سعيد بن جبب في الرواية

وَأَمَّا قَالَ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

العالمية ونجعلنا البيت مثابة

في الجاهلية يتخطف الناس من

وقمادة والربيع بن أنس قالوا من

تعالیٰ یذکر شرف البیت وما جعل

إليه الأرواح ونحن إليه ولا تقضوا

الرحمن بن زيد بن أسلم كان الرجل

بجی شیاً و قال تعالیٰ ان اول من

استجابة من الله تعالى لدعاء خليله ابراهيم عليه السلام في قوله فاجعل آفة من الناس تهو

ولصحة دعائي بالله جعله انما من دخله امن ولو كان قد فعل ما فعل لم دخله كان انما وقال
يلقي قاتل أبيه أو أخيه فيه فلا يعرض له كما وصف في سورة المائدة بقوله تعالى جعل الله

يدفع عنهم بسبب تعظيمها سوء كما قال ابن عباس لو لم يجمع الناس هذا البيت لأطبق الله

الذکر فی بابہ اول و موسوعین الزکریا و یحیی و ابراہیم و اسمائیل ان الذکر

وضع للناس الذي يكد مباركا وهدي العالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وفي هذه الآية الكريمة نبأ على مقام ابراهيم مع الامر بالدلالة عنده فقال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقد اختلف المفسرون في المراد بالمقام ما حو فقال ابن ابي حاتم اخبرنا عمرو بن شبة النخعي حدثنا ابو خلف يعني عبد الله بن عيسى اخبرنا داود بن ابي هند عن مجاهد عن ابن عباس واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال بمقام ابراهيم الحرم كله وروى عن مجاهد وعطاء مثل ذلك وقال ايضا اخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا جراح عن ابن جريج قال (٢٩٢) سألت عطاء عن واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فقال سمعت ابن

عباس قال اما مقام ابراهيم الذي ذكرهنا فمقام ابراهيم هذا الذي في المسجد ثم قال ومقام ابراهيم بعد كثير مقام ابراهيم الحج كله ثم فسره لي عطاء فقال التعريف وصلاتان بعرفة والمشعر ومضى وروى الجمار والطواف بين الصفا والمروة فقلت أفسره ابن عباس قال لا ولكن قال مقام ابراهيم الحج كله قلت أسمع ذلك لهذا أجمع قال نعم سمعته منه وقال سفيان الثوري عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبيرة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال الحجر مقام ابراهيم نبي الله قد جعله الله رجة فكان يقوم عليه ويناوله اسمعيل الحجر ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلف رجلاه وقال السدي المقام الحجر الذي وضعته زوجة اسمعيل تحت قدم ابراهيم حتى غسلت رأسه حكاه القرطبي وضعفه ورجحه غيره وحكاه الرازي في تفسيره عن الحسن البصري وقسادة والربيع بن أنس وقال ابن أبي حاتم اخبرنا الحسن بن محمد ابن الصباح اخبرنا عبد الوهاب بن

عطاء عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه سمع جابر يحدث عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال لما طاف تارة النبي صلى الله عليه وسلم قال له عمر هذا مقام أينما قال نعم قال أفلا تتخذ مصلى فأنزل الله عز وجل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقال عثمان بن أبي شيبة اخبرنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قال عمر قلت يا رسول الله هذا مقام خليل ربنا قال نعم قال أفلا تتخذ مصلى فنزل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقال ابن مردويه اخبرنا علي بن أحمد اخبرنا غيلان بن عبد الحميد اخبرنا مسروق بن المزيان اخبرنا زكريا بن أبي زائدة عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب

أنه من مقام إبراهيم فقال يا رسول الله أليس تقوم بمقام خليل ربنا قال بلى قال أفلا تتخذهم مصلى فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت
 واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقال ابن مردويه أخبرنا علي بن أحمد بن محمد القزويني أخبرنا علي بن الحسين حدثنا الجعيد
 أخبرنا هشام بن خالد أخبرنا الوليد عن مالك بن أنس عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يوم فتح مكة عند مقام إبراهيم قال له عمر يا رسول الله هذا مقام إبراهيم الذي قال الله واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى قال نعم قال
 الوليد قلت لمالك هكذا أخذوا قال نعم هكذا وقع في هذه (٢٩٣) الرواية وهو غريب وقد روى النسائي

من حديث الوليد بن مسلم نحوه وقال البخاري باب قوله واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى مشابهة يشوبون يرجعون حدثنا مسدد أخبرنا يحيى عن حميد عن أنس بن مالك قال قال عمر بن الخطاب وافقت ربي في ثلاث أو وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحباب فأمرن الله آية الحجاب قال وبلغني معابة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساءه فدخلت عليهن فقلت ان انتهين أوليعدن الله رسوله خيرا منكن حتى أتيت أحدي نساءه قالت يا عمر أمان في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت فأمرن الله عسى ربه ان يهلكن ان يبدلهن أزواجهن منكن مسلمات الآية وقال ابن أبي هريرة أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني حميد قال سمعت أنس عن عمر رضي الله عنهما هكذا أساقه البخاري ههنا وعلق الطريق الثانية عن شيخه سعيد بن الحكم المعروف بابن أبي هريرة المصري وقد تقدم رواية عنه البخاري من بين أصحاب الكتب الستة وروى عنه الباقر بن عاصم وغيره من تعلق هذا الطريق ليسين فيه اتصال اسناد الحديث وانما لم يسنده لان يحيى بن أبي أيوب الغافقي فيه شيء كما قال الامام أحمد فيه هو سبي الحفظ والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا هشيم أخبرنا حميد عن أنس قال قال عمر رضي الله عنه وافقت ربي عز وجل في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله ان نساءه يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهم ان يحجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع علي رسول الله

تارة على الاطهار وتارة على الحيض وقال قوم مأخوذ من قرء الماء في الحوض وهو جمعه ومنه القرآن لاجتماع المعاني فيه والاصل ان القرأ في لغة العرب مشتق بين الحيض والطهر ولا جمل ذلك الاشتراك اختلف أهل العلم في تعيين ماهو المراد بالقراءة المذكورة في الآية فقال أهل الكوفة هي الحيض وهو قول عمرو بن دينار ومحمد بن أبي موسى ومجاهد وقتادة والخالك وعكرمة والسدي وأحمد بن حنبل وقال أهل الحجاز هي الاطهار وهو قول عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت والزهرى وأبان بن عثمان والشافعي واعلم انه قد وقع الاتفاق بينهم على ان القرأ الوقت فصار معنى الآية عند الجميع والمطلقات يترتب بأنفسهن ثلاثة أو فوات فهي على هذا مفسرة في العدد مجعلة في المعدود فوجب طلب البيان للمعدود من غيرها فاعل القول الاول استدلو ا على ان المراد في هذه الآية الحيض بقوله صلى الله عليه وآله وسلم دعي الصلاة أيام أقرائك وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم طلاق الأمة تطليقتان وعدتها خمسة اثنان وبأن المقصود من العدة استبراء الرحم وهو يحصل بالحيض لا بالطهر واستدل أهل القول الثاني بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن ولا خلاف انه يؤمر بالطلاق وقت الطهر وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعمره فليراجعها ثم ليسكنها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء وذلك لان زمن الطهر هو الذي تطلق فيه النساء قال أبو بكر بن عبد الرحمن ما أدركنا أحدا من فقهاءنا الا يقول بأن الاقراء هي الاطهار فاذا طلق الرجل في طهر لم يبطأ فيه اعتدت بمابقي منه ولو ساعة ولو لحظة ثم استقبلت طهرا ثانيا بعد حيضة فاذا رأت الدم من الحيضة الثالثة خرجت من العدة انتهت وعندى ان لاجعة في بعض ما احتج به أهل القولين جميعا أما قول الاولين ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال دعي الصلاة أيام أقرائك فغاية ما في هذا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يطلق الاقراء على الحيض ولا نزاع في جواز ذلك كما وشأن اللفظ المشترك فانه يطلق تارة على هذا وتارة على هذا وانما النزاع في الاقراء المذكورة في هذه الآية وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الامتعة عدتها خمسة اثنان فهو حديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والدارقطني والحاكم وصححه من حديث عائشة مرفوعا وأخرجه ابن ماجه والبيهقي من حديث ابن عمر مرفوعا أيضا ودلالة على ما قاله الاولون قوية وأما قولهم ان المقصود من العدة استبراء الرحم وهو

الثانية عن شيخه سعيد بن الحكم المعروف بابن أبي هريرة المصري وقد تقدم رواية عنه البخاري من بين أصحاب الكتب الستة وروى عنه الباقر بن عاصم وغيره من تعلق هذا الطريق ليسين فيه اتصال اسناد الحديث وانما لم يسنده لان يحيى بن أبي أيوب الغافقي فيه شيء كما قال الامام أحمد فيه هو سبي الحفظ والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا هشيم أخبرنا حميد عن أنس قال قال عمر رضي الله عنه وافقت ربي عز وجل في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله ان نساءه يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهم ان يحجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع علي رسول الله

الحديث الطويل الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث حاتم بن اسمعيل وروى البخاري بسنده عن عمرو بن دينار قال سمعت ابن عمر يقول قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين فهذا كله مما يدل على ان المراد بالمقام انما هو الحجر الذي كان ابراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار تأه اسمعيل عليه السلام به يقوم فوقه ويناوله الجار فيضعها بيده لرفع الجدار وكلما كل ناحية انتقل الى الناحية الاخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه كلما فرغ من جدار نقله الى الناحية التي تليها وهكذا حتى تم جدران (٢٩٥) الكعبة كما سيأتي بيانه في قصة ابراهيم

واسمعيل في بناء البيت من رواية ابن عباس عند البخاري وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه ولم يزل هذا معروفا تعرفه العرب في جاهليتها ولهذا قال أبو طاب في قصيدته المعروفة بالامية

وموطى ابراهيم في الصخر رطبة
على قدميه حافيا غير ناعل

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه أيضا

كما قال عبد الله بن وهب أخبرني

نونس بن يزيد عن ابن شهاب ان

أنس بن مالك حدثهم قال رأيت

المقام فيه أصابعه عليه السلام

وأخص قدميه غير أنه أذهب مسيح

الناس بأيديهم وقال ابن جرير

أخبرنا بشر بن معاذ أخبرنا يزيد بن

زريع أخبرنا سعيد عن قتادة

واتخذوا من مقام ابراهيم مصلی

انما أمروا ان يصلوا عنده ولم

يؤمروا بعسكه وقد تكلفت هذه

الامة شيئا ما تكلفته الامم قبلها

واقصد كرامتنا من رأى اثر عقبه

وأصابه فيه فإزالت هذه الامة

يمسكونه حتى اخلوا حتى وانجى

(قلت) وقد كان هذا المقام ملصقا

بجدار الكعبة قديما ومكانة

والمطلقات يتربصن بأنفسهن لانهن المثلثات وغيرهن وصيغة التفضيل لافادة أن الرجل اذا أراد الرجعة والمرأة تأبأها وجب ايثار قوله على قولها وليس معناه ان لها حق الرجعة قاله أبو السعود (في ذلك) يعني في مدة التربص فان انقضت مدة التربص فهي أحق بنفسها ولا تحل له الا بمكاح مستأنف بولي وشهود ومهر حديد ولا خلاف في ذلك والرجعة تكون بالنقض وتكون بالوطء ولا يلزم المراجع شيء من أحكام المكاح بلا خلاف (ان أرادوا اصلاحا) أي بالرجعة أي اصلاح حاله معها وحالها معه فان قصد الاضرار بها فهي محرمة لقوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لانهن قيل واذا قصد بالرجعة الضرار فهي صحيحة وان ارتكب به محرما وظلم نفسه وعلى هذا فيكون الشرط المذكور في الآية للث لا لزواج على قصد اصلاح والرجل لهم عن قصد الضرار وليس المراد به جعل قصد اصلاح شرط الصحة للرجعة (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) أي ولهن من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن فيحسن عشرتها بما هو معروف من عادة الناس انهم يفعلونه لفسأهم وهي كذلك تحسن عشرته زوجها بما هو معروف من عادة النساء انهن يفعلنه لازواجهن من طاعة وتزين وتحبب ونحو ذلك قال ابن عباس في الآية اني أحب ان أتزين لامرأتي كما أحب ان تستزين لي لان الله قال ولهن الخ قال الكرخي أي في الوجوب لافي الجنس فالوجوب لهما به أو خبرت له لم يلزمه أن يفعل ذلك وقيل في مطلق الوجوب لافي عدد الافراد ولا في صفة الواجب (وللرجال عليهن درجة) أي منزلة ليست لهن وهي قيامه عليهن في الاتفاق وكونه من أهل الجهاد والعقل والقوة وله من الميراث أكثر مما لهما وكونه يجب عليها امتثال أمره والوقوف عند رضاه والشهادة والدية وصلاحيته الامامة والقضاء وله أن يتزوج عليهما ويتسرى وليس له اذلك وييسد الطلاق والرجعة وليس شيء من ذلك يسهلها ولم يكن من فضيلة الرجال على النساء الا كونهن خلقن من الرجال لما ثبت ان حواء خلقت من ضلع آدم لكنني وقد أخرج أهل السنن عن عمرو بن الاحوص أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ألا ان لكم على نساءكم حقاً ولنساءكم عليكم حقاً أما حقكم على نساءكم أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن وصححه الترمذي وأصله عند مسلم في الصحيح وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي

معروف اليوم الى جانب الباب مما يلي الحجر عينة الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك وكان الخليل عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه الى جدار الكعبة وأنه انتهى عنده البناء فتركه هناك ولهذا والله أعلم أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف وناسب ان يكون عند مقام ابراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه وانما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحد الأئمة المهديين والخلفاء الراشدين الذين أمرنا بتابعهم وهو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر وهو الذي نزل القرآن بوفاقه في الصلاة عنده ولهذا لم ينكر ذلك أحد من الصحابة

رضي الله عنهم اجعين قال عبد الرزاق عن ابن جريج حدثني عطاء وغيره من اصحابنا قالوا اول من نقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال عبد الرزاق ايضا عن معمر بن جندب الاعرج عن مجاهد قال اول من آخر المقام الى موضعه الان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال الحافظ ابو بكر أحمد بن علي بن الحسين البيهقي أخبرنا ابو الحسين بن الفضل القطان أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل حدثنا أبو اسمعيل محمد بن اسمعيل السلمي حدثنا أبو ثابت حدثنا الذرا وردي عن هشام بن غزوة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ان المقام كان في زمان رسول الله (ﷺ) صلى الله عليه وسلم وزمان أبي بكر رضي الله عنه ملتصقا بالبيت ثم

آخره عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهذا السناد صحيح مع ما تقدم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا ابن أبي عمر العدني قال قال سفيان يعني ابن عيينة وهو امام المكسين في زمانه كان المقام من سقع البيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحوله عمر الى مكانه بعد النبي صلى الله عليه وسلم وبعد قوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال ذهب السيل به بعد تحويل عمر اياه من موضعه هذا فرده عمر اياه وقال سفيان لا أدري كم بينه وبين الكعبة قبل تحويله قال سفيان لا أدري أكان لا مصقباها أم لا فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه والله أعلم وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردويه أخبرنا ابن عمر وهو أحمد بن محمد بن حكيم أخبرنا محمد بن عبد الوهاب بن أبي تمام أخبرنا آدم هو ابن أبي اياس في تفسيره أخبرنا شريك عن ابراهيم ابن المهاجر عن مجاهد قال قال عمر ابن الخطاب يا رسول الله لو صلينا خلف المقام فأرسل الله واتخذوا

وابن ماجه وابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي عن معاوية بن حسيده القشيري انه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما حق المرأة على الزوج قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تنجز الا في البيت وعن ابن أبي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها ثم رجع فرأى رجلا لا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها رواه البغوي بسنده (والله عز وجل) يقدر على الانتقام من يخالف أحكامه (حكيم) يطوى شرائع بعد على الحكم والمصالح (الطلاق مرتان) أي عدد الطلاق الذي ثبت فيه الرجعة للأزواج هو مرتان فالمراد بالطلاق المذكور هو الرجعي بدليل ما تقدم في الآية أي الطلقة الأولى والثانية اذ للرجعة بعد الثالثة وانما قال سبحانه مرتان ولم يقل طلقان إشارة الى انه ينبغي أن يكون الطلاق مرة بعد مرة لا طلقان دفعة واحدة كذا قال جماعة من المفسرين ولم لم يكن بعد الطلقة الثانية إلا أحدا مرتين اما ايقاع الثالثة التي بها تبين الزوجة أو الامسالك لها واستدامة نسكاحها وعدم ايقاع الثالثة عليها قال سبحانه (فامسالك) أي بعد الرجعة لمن طلقها زوجها طلقين (بمعروف) أي بما هو معروف عند الناس من حسن العشرة وحقوق النكاح (أو تسريح باحسان) أي بايقاع طلقة نالئة من دون ضرار لها وقيل المراد امسالك بمعروف أي برجعة بعد الطلقة الثانية وتسريح باحسان أي بترك الرجعة بعد الثانية حتى تنقضي عدتها والاول أظهر قال أبو عمرو وأجمع العلماء على أن التسريح هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين واياها عني بقوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقد اختلف أهل العلم في ارسال الثلاث دفعة واحدة هل تقع ثلاث أو واحدة فقط فذهب الى الاول للجمهور وذهب الى الثاني من عداهم وهو الحق وقد قررره الشوكاني في مؤلفاته تقرير بالغا وأفرده برسالة مستقلة وكذا الحافظ ابن القيم في إغاثة اللهفان واعلام الموقعين وقرره في شرحه على بلوغ المرام (ولا يحل لكم ان تأخذوا بها أيتقوهن شيئا) الخطاب للأزواج أي لا يحل لهم ان يأخذوا في مقابلة الطلاق بما دفعوه الى نساءهم من المهر شيئا على وجه المضاربة لهن وتشكيري للتحقيق أي شيئا نرا فضلا عن الكثير وخص ما دفعوه اليهن بعدم حل الاخذ منه مع كونه لا يحل للأزواج أن يأخذوا

من مقام ابراهيم مصلى فكان المقام عند البيت فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضعه هذا قال مجاهد وكان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن هذا امر سل عن مجاهد وهو مخالف لما تقدم من رواية عبد الرزاق عن معمر عن جندب الاعرج عن مجاهد ان اول من آخر المقام الى موضعه الان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهذا أصح من طريق ابن مردويه مع اعتضاد هذا بما تقدم والله اعلم (وعنه الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بنتي للطائفتين والعاكفين والر كعب السجود واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب

النار وبس المصير وأذرفع ابراهيم القواعد من البيت واستعمل ريتا قبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرئنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم قال الحسن البصري قوله وعهدنا الى ابراهيم واميعيل قال امرهم الله أن يطهروا من الأذى والتجسس ولا يصيبه من ذلك شيء وقال ابن جرير قلت لعطاء ما عهد قال امره وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وعهدنا الى ابراهيم أي امرناه كذا قال والظاهر ان هذا الحرف انما عدى بالى لانه في معنى تقدمنا وأوجبنا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله أن يطهروا بيتي للطائفتين (٢٩٧) والعاكفين قال من الاوثان وقال

مجاهد وسعيد بن جبير طهرا بيتي للطائفتين ان ذلك من الاوثان والرفث وقول الزور والرجس قال ابن أبي حاتم وروى عن عبيد بن عمير وأبي العالية وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وقتادة ان طهرا بيتي أي بلاه الا الله من الشرك وأما قوله تعالى للطائفتين فاطوا ف بالبيت معروف وعن سعيد بن جبير انه قال في قوله تعالى للطائفتين يعني من آتاه من غربة والعاكفين المقيمين فيه وهكذا روى عن قتادة والربيع بن أنس انه مفسر العاكفين باهله المقيمين فيه كما قال سعيد بن جبير وقال يحيى القطان عن عبد الملك هو ابن أبي سليمان عن عطاء في قوله والعاكفين قال من آتاه من الامصار فاقام عنده وقال لنا ونحن مجاورون أنتم من العاكفين وقال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس قال اذا كان جالساً فهو من العاكفين وقال ابن أبي حاتم أخبرنا ابي أخبرنا موسى بن اسمعيل أخبرنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت قال قلنا

من أموالهن التي يملكنها من غير المهور لكون ذلك هو الذي يتعلق به نفس الزوج ويتطلع لاختذه دون ما عدها مما هو في ملكها على انه اذا كان أخذ ما دفعه اليها في مقابلته البضع عند خروجه عن ملكه لا يحل له كان ما عدها ممنوعاً عنه بالاولى وقيل الخطاب للامعة والحكام ليطابق قوله فان خفتم فان الخطاب فيه للامعة والحكام وعلى هذا يكون اسناد الاخذ اليهم اكونهم الامهرين بذلك والاولى أولى لقوله ما آتيتوهن فان اسناده الى غير الزوج بعيد جداً لان آتاء الزوج لم يكن عن امرهم وقيل ان الثاني أولى لثلاثه يشوش الظن (الآن يحافاً) أي يعلم الزوجان من أنفسهما فيه التفات عن الخطاب الى الغيبة (أن لا يقيما حدود الله) أي تخاف المرأة أن تعصى الله في أمور زوجها ويخاف الزوج انه اذا لم تطعه ان يعتدى عليها وقرأ حجة يخاف بضم الياء أي الا ان يعلم من حالهما والفاعل محذوف وهو الامعة والولادة والحكام والقضاة واختاره أبو عبيد قال لقوله فان خفتم فجعل الخوف لغير الزوجين وقد احتج بذلك من جعل الخلع الى السلطان وهو سعيد بن جبير والحسن وابن سيرين وقد ضعف النحاس اختيار أبي عبيد (فان خفتم) أي خشيتهم وأشفقتم وقيل معناه ظنتم (أن لا يقيما حدود الله) يعني ما أوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما أمر به من حسن العشرة والمعايشة بالمعروف وقيل هو يرجع الى المرأة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) أي لا جناح علي الرجل في الاخذ ولا على المرأة في الاعطاء ان تقتدى بنفسهما من ذلك النكاح يبذل شيء من المال يرضى به الزوج فيطلقها لاجله وهذا هو الخلع وقد ذهب الجمهور الى جواز ذلك للزوج وانه يحل له الاخذ مع ذلك الخوف وهو الذي صرح به القرآن وحكي ابن المنذر عن بعض أهل العلم انه لا يحل له ما أخذ ولا يجبر على رده وهذا في غاية السقوط وأخرج البخاري والنسائي وابن ماجه وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ان جيلة بنت عبد الله بن سلول امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعجب عليه في خلق ولادين ولكن لا أطيقه بعضاً وأكره الكفر في الاسلام قال أتردين عليه حديثه قالت نعم قال اقبل الحديث وطلقها تطلقه ولفظ ابن ماجه فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يأخذ منها حديثه ولا يزداد في الباب أحاديث كثيرة وقد ورد في ذم المختلعات أحاديث منها عن ثوبان عند

(٣٨ - فتح البیان ل) لعبد الله بن عبيد بن عمير ما أراي الامكلم الامير ان امتنع الذين ينামون في المسجد الحرام فانهم يجنبون ويحذرون قال لا تفعل فان ابن عمر شغل عنهم فقال هم العاكفون ورواه عبد بن حميد عن سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة به (قلت) وقد ثبت في الصحيح ان ابن عمر كان ينাম في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عزب وأما قوله تعالى والركع السجود فقال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس والركع السجود قال اذا كان مصلياً فهو من الركع السجود وكذا قال عطاء وقتادة في يومه أربع في النهار ثم شرع ابن جرير يضعف هذين الحديثين فان كلا من السنتين مشتمل على غير واحد

من النصفاء وهو كما قال فإنه لا يجوز روايتهما قال ابن جرير رحمه الله نفى الآية وأمرنا إبراهيم وأسمعيل تطهير بيتي للطائفتين والتطهير الذي أمرهما به في البيت هو تطهيره من الأصنام وعبادة الاوثان فيه ومن الشرك ثم أورد سؤالاً فقال فإن قيل قيل كان قبل بناء إبراهيم عند البيت شيء من ذلك الذي أمر بتطهيره وأجاب بوجهين أحدهما أنه أمرهما بتطهيره مما كان يعبد عنده زمان قوم نوح من الأصنام والوثان ليكون ذلك سنة لمن بعدهما إذ كان الله تعالى قد جعل إبراهيم إماماً يقتدى به كما قال عبد الرحمن بن زيد أن طهرايته (٢٩٨) قال من الأصنام التي يعبدون التي كان المشركون يعظمونها قلت

وهذا الجواب مفرع على أنه كان يعبد عنده أصنام قبل إبراهيم عليه السلام ويحتاج اثبات هذا إلى دليل عن المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم الجواب الثاني أنه أمرهما أن يخلصا في بناء الله وحده لا شريك له في بناءه مطهرا من الشرك والريب كما قال جل ثناؤه أن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيراً من أسس بنيانه على شفا جرف هار قال فكذلك قوله وعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل أن طهرا بيتي أي ابتداءه على طهر من الشرك والريب كما قال السدي أن طهرا بيتي إنيما بيتي للطائفتين ومخلص هذا الجواب أن الله تعالى أمر إبراهيم وإسمعيل عايمهما السلام أن يبنيا الكعبة على اسمه وحده لا شريك له للطائفتين به والعاكفين عنده والمصلين إليه من الركن السجود كما قال تعالى واذنوا لأبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهرا بيتي للطائفتين والقائمين والركع السجود الآيات وقد اختلف الفقهاء في أفضل الصلاة عند البيت أو

أجدوا في داود والترمذي وحده وابن ماجه وابن جرير والخامس واليهي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيما امرأه سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس حرام عليها راحة أخته وقال المختلعات عن المناققات ودهان ابن عباس عند ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تسأل المرأة زوجها الطلاق في غير كنهه فتجدر به الجنة وإن ربحها البوح من مسرة أربعين عاماً وقد اختلف أهل العلم في عدة المختلعة قالوا أربعاً ثم اتعد بمحضة لما أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والخامس وصححه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأت أحد من قيس أن تعد بمحضة ولما أخرجه الترمذي عن الربيع بنت سعد بن عفران أنها اختلفت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن تعد بمحضة قال الترمذي الصحيح أنها أمرت أن تعد بمحضة وفي الباب أحاديث ولم يرد ما يعارض هذا من المرفوع بل ورد عن جماعة من الصحابة والتابعين أن عدة المختلعة كعدة الطلاق وبه قال الجمهور قال الترمذي وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم واستدلوا على ذلك بأن المختلعة من جلة المطلقات فهي داخل تحت عموم القرآن والحكم ما ذكرناه لأن ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخص عموم القرآن وقد حكى عن بكر بن عبد الله المزني أن هذا الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة النساء وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قسطاً من ما أخذوا منه شيئاً فأخذونه بهتاناً وإثماتين وهو قول خارج عن الإجماع ولا تنافي بين الآيتين وقد اختلف أهل العلم إذا طلب الزوج من المرأة زيادة على ما دفعه إليها من المهر وما يتبعه ورضيت بذلك المرأة هل يجوز أم لا وظاهر القرآن أن الجواز لعدم تقييده بحد معين وبهذا قال مالك والشافعي وأبو ثور وروى مثل ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين وقال طائوس وعطاء والأوزاعي وأحمد واسحق أنه لا يجوز لما ورد في ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (تلك حدود الله فلا تعدوها) يعني هذه أوامر الله وفواخيه وهي ما تقدم من الأحكام فلا تجاوزوها بخلافه والرفض (ومن تعد حدود الله) أي أحكام النكاح والفراق المذكورة هي حدود الله التي أمرتم بامتثالها فلا تعدوها بخلافه لئلا تقتحموا ما ذكره الله من التسجيل على فاعل ذلك بأنه ظالم (فأولئك هم الظالمون) أي لأنفسهم بتعريضها لخط

الطواف به فقال مالك رحمه الله الطواف به لأهل الأعمار أفضل وقال الجمهور الصلاة أفضل مطلقاً الله وتوجيه كل منهما يذكري في كتاب الأحكام والمراد من ذلك الرد على المشركين الذين كانوا يشركون بالله عند بيته المؤسس على عبادة وحده لا شريك له ثم مع ذلك يصدون أهل المؤمنين عنه كما قال تعالى أن الذين كفروا أو يصدون عن سبيل الله والمجدد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بأحد ينظم نفسه من عذاب أليم ثم ذكر أن البيت إنما أسس لمن يعبد الله وحده لا شريك له أما بطواف أو صلاة فذكر في سورة الحج أجزاء الثلاثة قيامها وركوعها وسجودها ولم يذكر العاكف فيه لأنه

تقدم سواء العا كف فيه والباد وفي هذه الآية الكريمة ذكر الطائفتين والعاكفين واكتفى بذكر الركوع والسجود عن القيام
لأنه قد علم أنه لا يكون ركوع ولا سجود إلا بعد قيام وفي ذلك أيضاً رد على من لا يتجهم من أهل السكاكين اليهود والنصارى لأنهم
يعتقدون فضيلة إبراهيم الخليل واسمعيلى ويعلمون أنه بنى هذا البيت للطواف في الحج والعمرة وغير ذلك وللاعتكاف والصلاة
عنده وهم لا يفقهون شيئاً من ذلك فكيف يكونون مقتدين بالخليل وهم لا يفقهون ما شرع الله له وقد حج البيت موسى بن عمران
وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما أخبر بذلك المعصوم (٢٩٩) الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الاوصى يوحى

وتقدير الكلام اذا وعهدنا الى
ابراهيم أى تقدمنا بوجيها الى
ابراهيم واسمعيلى أن تطهرا بيتى
للاثنين والعاكفين والركع
السجود أى طهرا من الشرك
والرب وابناه خالصا لله معصلا
للاثنين والعاكفين والركع
السجود وتطهير المساجد مأخوذ
من هذه الآية الكريمة ومن قوله
تعالى فى بيوت اذن الله ان ترفع
ويذكر فيها اسمه يسبح له فى بالغدو
والاصال ومن السنة من أحاديث
كثيرة من الامر بتطهيرها وتطعيمها
وغير ذلك من صميماتها من الاذى
والنجاسات وما أشبه ذلك ولهذا
قال عليه السلام انما بنيت
المساجد لمنايت له وقد جعلت
فى ذلك جزأ على حدة ولله الحمد
والمنة وقد اختلف الناس فى أول
من بنى الكعبة فقبيل الملائكة
قبل آدم روى هذا عن أبى جعفر
الباقر محمد بن على بن الحسين ذكره
القرطبي وحكى لفظه وفيه غرابة
وقيل آدم عليه السلام رواه
عبد الرزاق عن ابن جريج عن
عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم

الله وعقابه وفيه وفيما قبله الاظهار فى مقام الاضمار لترسية المهابة وادخال الروح
فى ذهن السامع وذكر هذا الوعيد بعد النهى عن تعديها للمبالغة فى التهديد (فان طلقها)
أى الطلقة الثالثة التى ذكرها سبحانه بقوله أو تسريح باحسان أى فان وقع منه ذلك
فقد حرمت عليه بالثلث سواء كان قد راجعها أم لا وسواء انقضت عدتها فى صورة
عدم الرجعة أم لا (فلا تحل له من بعد) الحكمة فى شرع هذا الحكم الردع عن المسارعة
الى الطلاق وعن العود الى الطلقة الثالثة والرغبة فيها (حتى تنكح زوجا غيره) أى حتى
تتزوج بزوج آخر غير المطلق بعد انقضاء عدتها من الاول فيجاء معها والنكاح يتناول
العقد والوطء جميعا والمراد هنا الوطء وقد أخذ بنظر الالة سعيد بن المسيب ومن وافقه
قالوا يكفي مجرد العقد لأنه المراد بقوله حتى تنكح زوجا غيره وذهب الجمهور من السلف
والخلف الى انه لا بد مع العقد من الوطء لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من
اعتبار ذلك وهو زيادة تعيين قبولها واعلم ان يبلغ سعيد بن المسيب ومن تابعه وفى الآية
دليل على انه لا بد ان يكون ذلك نكاحا شرعيا مقصودا لذاته لا نكاحا غير مقصود لذاته
بل حمله للتخليل وذكر عسة الى ردها الى الزوج الاول فان ذلك حرام للدلالة الواردة فى ذمه
وعدم فاعله وأنه التيس المستعار الذى لعنه الشارع ولعن من اتخذ له ذلك وأخرج الشافعى
وعبد الرزاق وابن أبى شيبه وأحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه
والبيهقى عن عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة القرظى الى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقالت انى كنت عند رفاعة فطلقنى فبنت طلاقى فزوجنى عبد الرحمن بن الزبير
ومامعه الامثل هذبة الثوب فتبسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أتريدى ان
ترجعى الى رفاعة لا حتى تذوق عسيلة ويذوق عسيلتك وقد روى نحو هذا عنهما من طرق
وأخرج أحمد والنسائى عن ابن عباس ان الغمصة أو الرمة مصاة أنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم
والله وسلم وفى آخره فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس ذلك لك حتى يذوق عسيلتك
رجل غيره والعسيلة مجاز عن قليل الجماع اذ يكفي قليل الانتشار شبهت تلك اللذة بالعسل
ومصغرت بالتاء لأن الغالب على العسل التأنيث قاله الجوهري وقد ثبت لعن المحلل فى
أحاديث كثيرة منها عن ابن مسعود عند أحمد والترمذى وصححه والنسائى والبيهقى فى
سننه قال لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم المحلل والمحلل له وفى الباب أحاديث فى ذم

ان آدم بناه من خمسة اجبل من حراء وطور سيناء وطور زيتا وجبل لبنان والجودى وهذا غريب أيضا وروى عن ابن عباس وكعب
الاجبار وقادة وعن وهب بن منبه ان أول من بناه شيث عليه السلام وغالب من يذكر هذا انما يأخذ من كتب أهل الكتاب وهى
مما لا يصدق ولا يكذب ولا يعتمد عليها بمجرد رواها وما اذا صح حديث فى ذلك فعلى الرأس والعين وقوله تعالى واذا قال ابراهيم رب
اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال الامام أبو جعفر بن جرير أخبرنا ابن بشار أخبرنا
عبد الرحمن بن مهدي أخبرنا سفيان عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم

بیت الله وأمنه وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها فلا يصاد صيدها ولا يقطع عضاؤها وهكذا رواه النسائي عن محمد بن بشار عن
 بندار بن عبد الله وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وعمر بن الناقدة كلاهما عن أبي أحمد الزبيري عن سفيان الثوري وقال ابن جرير
 أيضا أخبرنا أبو بكر بن أبي السائب قال أحدثنا ابن أدریس وأخبرنا أبو بكر بن أبي خنيس ناعبد الرحيم الرازي قال أجمعنا سمعنا شعث عن
 نافع عن أبي خزيمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن إبراهيم كان عبدا لله وخلده وإني عبدا لله ورسوله وإن إبراهيم حرم
 مكة وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها أعضائها (٣٠٠) وصيدها لا يحمل فيها سلاح لقتال ولا يقطع منها شجرة إلا علف

بغير وشدة الطريق غريبة ليست
 في شيء من الكتب الستة وأصل
 الحديث في صحيح مسلم من وجه
 آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه
 قال كان الناس إذا رأوا أول الثمر
 جاؤا به إلى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فإذا أخذ رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال اللهم بارك لنا في ثمرنا
 وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في
 صاعنا وبارك لنا في مدنا اللهم إن
 إبراهيم عبدك وخليك ونيك
 وإني عبدك ونيك وأنه دعاك لمكة
 وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك
 لمكة ومثله معه ثم يدعو أصغر
 وليله فيعطيه ذلك الثمر وفي لفظ
 بركة مع بركة ثم يعطيه أصغر من
 يحضره من الولدان لفظ مسلم ثم
 قال ابن جرير حدثنا أبو كريب
 حدثنا قتيبة بن سعيد أخبرنا بكر بن
 مضر عن ابن الهادي عن أبي بكر بن
 محمد عن عبد الله بن عمرو بن عثمان
 عن رافع بن خديج قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
 إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين
 لابتيها أنفرد بها خواجه مسلم فرواه
 عن قتيبة عن بكر بن مضر به ولفظه

التحليل وفاعله وقد أطل في بيان ذلك الحافظ بن القيم في إغاثة اللهنان وإعلام الموقعين
 وهو بحث نفيس جدا فارجع إليه (فإن طلقها فلا جناح عليه - ما أن يترابعا) أي أن
 طلقها الزوج الثاني فلا جناح على الزوج الأول والمرأة أن يرجع كل واحد منهما إلى صاحبه
 يعني بنكاح جديد قال ابن المنذر أجمع أهل العلم على أن الحر إذا طلق زوجته ثلاثا ثم
 انقضت عدتها ونكحت زوجا ودخل بها ثم فارقها وانقضت عدتها ثم نكحها الزوج الأول
 أنها تكون عنده على ثلاث تطليقات (إن ظنا) علما وأيقنا وقيل إن رجوا لأن أحدا
 لا يعلم ما هو كائن إلا الله تعالى (أن يقيما حدود الله) أي حقوق الزوجية الواجبة لكل
 منهما على الآخر وقيل إن علما أن نكاحهما على غير دلالة والدلالة التحليل والأول أولى
 وأما إذا لم يحصل ظن ذلك بان يعلم أحدهما عدم الإقامة لحدود الله أو ترددا
 أو أحدهما ولم يحصل لهما الظن فلا يجوز الدخول في هذا النكاح لأنه مظنة للمعصية
 لله والوقوع فيما حرمه على الزوجين (وتلك حدود الله) إشارة إلى الأحكام المذكورة كما
 سلف (بينهما القوم يعلمون) خصهم مع عموم الدعوة للعالم وغيره ووجوب التبليغ لكل
 فرد لأنهم المستقنون بذلك البيان (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) البلوغ إلى الشيء
 معناه الحقيقي الوصول إليه ولا يستعمل البلوغ بمعنى المقاربة إلا مجازا العلاقة مع قرينة
 كما هنا فإنه لا يصح إرادة المعنى الحقيقي لأن المرأة إذا بلغت آخر حرم من مدة العدة وجاوزته
 إلى الجزء الذي هو الأجل للانقضاء فقد خرجت من العدة ولم يبق للزوج عليها سبيل
 قال القرطبي في تفسيره إن معنى بلغن هنا فاربن باجاء العلماء قال ولأن المعنى يضطر
 إلى ذلك لأنه بعد بلوغ الأجل لا خيار له في الإمساك يعني فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة والمعنى
 فاربن انقضاء عدتهن وشارفن منتهاهن ولم يرد انقضاء العدة كما يقال بلغ فلان البلد إذا
 قاربته وشارفه فهذا من باب المجاز الذي يطلق اسم الكل فيه على الأكثر وقيل إن الأجل
 اسم للزمان فيحمل على الزمان الذي هو آخر زمان يمكن ما يقع الرجعة فيه بحيث إذا فات
 لا يبقى بعده مكنة إلى الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة إلى المجاز (فامسكوهن) أي
 راجعوهن (بمعروف) وهو أن يشهد على رجعتها وأن يراجعها بالقول لا بالوطء وقيل
 الإمساك بمعروف هو القيام بحقوق الزوجية وهو الظاهر قيل أعاده اعتناء بشأنه
 ومبالغة في إيجاب المحافظة عليه (أو سرحوهن بمعروف) أي أتركوهن حتى تنقضي

كلفظه سواء وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوطئ المحلقة التمسلي عدتهن
 غلاما من غلمانكم يخدمني فخرجني الوطئ المحلقة يردني وراءه فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تزل وقال في
 الحديث ثم أقبل حتى إذا بد الله أحد قال هذا جبل يحبنا ونحبه فلما أشرف على المدينة قال اللهم إني أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم
 إبراهيم مكة اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم وفي لفظ لهما اللهم بارك لهم في ميكلهم وبارك لهم في صاعهم وبارك لهم في مدهم
 زاد البخاري يعني أهل المدينة ولهما أيضا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلته بمكة

من البركة وعن عبد الله بن زيد بن عاصم رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة ودعا لها وحرم المدينة كما حرم ابراهيم مكة ودعوت لها في مدنها وصاعها مثل مادعا ابراهيم لمكة رواد البخارى وهذا اللفظ لمسلم وللفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم حرم مكة ودعا لاهلها وانى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة وانى دعوت في صاعها ومدنها بجلى مادعا ابراهيم لاهل مكة وعن ابى سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم ان ابراهيم حرم مكة فجعلها حراما وانى حرمت المدينة حراما ما بين ما رزمتها ان لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها (٣٠١) ملاح لقتال ولا يخطب فيها شجرة الا لعلف

اللهم بارك لنا في مدنتنا اللهم بارك لنا في صاعنا اللهم بارك لنا في مدنتنا اللهم اجعل مع البركة بركتين الحديث رواد مسلم والاحاديث في تحريم المدينة كثيرة وانما أوردنا منها ما هو متعلق بتحريم ابراهيم عليه السلام لمكة لما في ذلك من مطابقة الآية الكريمة وعكسها من ذهب الى أن تحريم مكة انما كان على لسان ابراهيم الخليل وقيل انها محرمة منذ خلقت مع الارض وهذا أظهر وأقوى والله أعلم وقد وردت أحاديث أخر تدل على ان الله تعالى حرم مكة قبل خلق السموات والارض كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمه الله الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلى ولم يحل لى الاساعة من نهاره فهو حرام بحرمه الله الى يوم القيامة لا يعصده شوكه ولا ينقر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عثرها ولا يختلى

عدتهن فيملكن أنفسهن والمعنى اذا طلقتم النساء ففاربن آخر العدة فلا تنصرون وهن بالمراجعة من غير قصد لاستمرار الزوجية واستدامتها بل اختاروا أحد أمرين اما الامساك بمعروف من غير قصد للضرار أو التيسير باحسان أى تركها حتى تنقضى عدتها من غير مراجعة ضرارا (ولا تمسكوهن ضرارا) كما كانت تفعل الجاهلية من طلاق المرأة حتى يقرب انقضاء عدتها ثم مراجعتها الا عن حاجة ولا محبة ولكن لقصد تطويل العدة وتوسيع مدة الانتظار ضرارا (لتعتدوا) أى لقصد الاعتداء منكم عليهن والظلم بهن (ومن يفعل ذلك) أى الامساك المؤدى للضرار فقد ظلم نفسه لانه عثرها بعقاب الله وسخطه في ضمن ظلمه لهن قال الزجاج يعنى عرض نفسه للعذاب لأن اتيان ما نهى الله عنه تعرض لعذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) أى بالاعراض عنها والتماون بالعمل بما فيها من قولهم لمن لم يجتد فى الامر انما أنت هاز كانه نهى عن الهزو وأراد به الامر بضده والمعنى لا تأخذوا أحكام الله على طريقة الهزو فانها جد كالمهاقن هزل فيها فقد لزمته نهامهم سبحانه ان يفعلوا كما كانت الجاهلية تفعل فانه كان يطلق الرجل منهم أو يعتق أو يتزوج ويقول كنت لاعبا قال القرطبي ولا خلاف بين العلماء ان من طلق هازلا ان الطلاق يلزمه أخرج أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة (وأذكروا نعمت الله عليكم) أى العمة التى صرتم فيها بالاسلام وشراعتها بعد ان كنتم فى جاهلية جهلاء وظلمات بعضها فوق بعض (وما أنزل عليكم من الكتاب) وهو القرآن (والحكمة) قال المفسرون هى السنة التى سنها لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وآله وسلم وبه قال الشافعى (يعظكم به) أى يخوفكم بما أنزل عليكم وأورد الكتاب والحكمة بالذم كرمع دخولهما فى النعمة دخولا أوليا تنبها على خطرهما وعظم شأنهما (واقفوا لله) يعنى خافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه (واعلموا أن الله بكل شئ عليم) لا يخفى عليه شئ من ذلك فبما أخذكم بأنواع العقاب (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) الخطاب فى هذه الآية بقوله واذا طلقتم النساء وبقوله فلا تعضلوهن اما ان يكون للزوج ويكون معنى العضل منهم ان يمنعوهن من أن يتزوجن من الأزواج بعد انقضاء عدتهن لمحبة الجاهلية كما يقع كثيرا من

خلافا فقال العباس يارسول الله الا لا اذخر فانه لقيتهم وليبوتهم فقال الا اذخر وهذا اللفظ مسلم ولهما عن أبى هريرة نخوض ذلك ثم قال البخارى بعد ذلك وقال ابان بن صالح عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم مثله وهذا الذى علقه البخارى رواه الامام ابو عبد الله بن ماجه عن محمد بن عبد الله بن غير عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن ابان بن صالح عن الحسن بن مسلم بن ساق عن صفية بنت شيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب عام الفتح فقال يا أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى يوم القيامة لا يعصده شجرها ولا ينقر صيده ولا يأخذ لقطتها الا لمنشد

فقال العباس الا الاذخر فانه للبسوت والقبور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر وعن ابي شريح العدوي انه قال لعمر بن سعد وهو يبعث البعوث الى مكة ائذن لي ايها الامير ان احدثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته اذ ناي ووعا قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به انه جدد الله وأبني عليه ثم قال ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك بدماء ولا يعصدهم شجرة فان أحدثت شخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم يأذن لركم وانما (٣٠٢) ائذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمها اليوم كحرمها

بالامس فليبلغ الشاهد الغائب فقبل لابي شريح ما قال لك عمرو فقال انا أعلم بذلك منك يا ابا شريح ان الحرم لا يعيدها صاب ولا فارابدم ولا فارا بخربة رواه البخاري ومسلم وهذا لفظه فاذا علم هذا فلا منافاة بين هذه الاحاديث الدالة على ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وبين الاحاديث الدالة على ان ابراهيم عليه السلام حرمها لان ابراهيم بلغ عن الله حكمه فيها وتحريمه اياها وانها لم تزل بلدا حراما عند الله قبل بناء ابراهيم عليه السلام لها كما انه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوبا عند الله حاتم النبيين وان آدم لم يجبدل في طينته ومع هذا قال ابراهيم عليه السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية وقد أجاب الله دعاءه بما سبق في علمه وقدره ولهذا جاء في الحديث انهم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن بدء أمرك فقال دعوة أبي ابراهيم عليه السلام وبشرى عيسى بن مريم ورأت أي كانه خرج منها نوراً فضاء له قصور الشام أي اخبرنا

الخلفاء والولاة غير على من كن تحتهم من النساء أن يصرن تحت غيرهم لانهم لما نالوه من رياسة الدنيا وما صاروا فيه من الخوق والكبرياء يتخيلون انهم قد خرجوا من جنس بني آدم الامن عصمه الله منهم بالورع والتواضع واما ان يكون الخطاب للاولياء ويكون معنى اسناد الطلاق اليهم انهم سبب له لكونهم المزوجين للنساء المطلقات من الأزواج المطلقين لهن وبلوغ الاجل المذكور هنا المراد به المعنى الحقيقي أي نهايته لا كما سبق في الآية الاولى ولهذا قال الشافعي اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين والعصل الحبس وحكي الخليل دل جاجة معضلة قد احتبس بيفها وقيل العضل التضييق والمنع وهو راجع الى معنى الحبس وقال الازهرى أصل العضل من قولهم عضلت الناقة اذا شب ولدها فلم يسهل خروجه وكل مشكل عند العرب معضل ويقال أعضل الامر اذا اشتد وداء عضال أي شديد عسير البرء أعيا الاطباء وقوله أزواجهن ان أريد به المطلقات لهن فهو مجاز باعتبار ما كان وان أريد به من يردن ان يتزوجنه فهو مجاز أيضا باعتبار ما سيكون (اذا تراضوا بينهم بالمعروف) يعني اذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما عاها التزمت لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصيغة الحسنة والعشرة الجميلة (ذلك نوع طبع من كان مستكملاً يؤمن بالله واليوم الآخر) اشارة الى ما فصل من الاحكام وانما أفرم مع كون المذكور قبله جعاجع الاعلى معنى الجمع بتأويله بالفريق وغيره والمعنى ان المؤمن هو الذي يتنفع بالوعظ دون غيره (ذاكمكم) محمول على لفظ الجمع خلف سبحانه ما بين الاشارتين امتنانا (أركي لكم) انمي وأنفع (وأظهر لكم) من الاناس وأطيب عند الله لما يختشى على الزوجين من الرية بسبب العلاقة بينهما (والله يعلم وأنتم لاتعلمون) ما لكم فيه الصلاح وقال الضحاك يعلم من حب كل واحد منهما ما لصاحبه ما لا تعلم أنت أيها الولي قيل سبب نزولها ان أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يراجعها فذبحها معقل كما رواه الحاكم واسمها جميلة واسم زوجها عاصم بن عدي فلما نزلت هذه الآية كفر عن عيته وأنكحها اياه وتعام القصة في البخاري (والوالدات يرضعن أولادهن) لما ذكر الله سبحانه النكاح والطلاق ذكر الرضاع لان الزوجين قد يفترقان وبينهما ولد ولهذا قيل ان هذا خاص بالمطلقات وقيل هو عام وقوله يرضعن قيل هو خبر بمعنى الامر للدلالة على

عن بدء ظهور أمرك كما سأتى قريبا ان شاء الله وأما مسئلة تفصيل مكة على المدينة كما هو قول الجمهور بتحقيق والمدينة على مكة كما هو مذهب مالك وأتباعه فنذكر في موضع آخر بأدلتها ان شاء الله وبه الثقة وقوله تعالى اخبارا عن الخليل انه قال رب اجعل هذا بلدا آمنا أي من الخوف أي لا يرعب أهله وقد فعل الله ذلك شرعا وقدرا كقوله تعالى ومن دخله كان آمنا وقوله أولم ير وأنابنا جعلنا حرمنا آمنا ويتخطف الناس من حولهم الى غير ذلك من الآيات وقد تقدمت الاحاديث في تحريم القتال فيه وفي صحيح مسلم عن جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد أن يحمل بمكة السلاح وقال في هذه السورة

رب اجعل هذا بلدا آمنا يا اجعل هذه البقعة بلدا آمنا وناسب هذا الآلة قبل بناء الكعبة وقال تعالى في سورة ابراهيم واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلدا آمنا وناسب هذا هنا لانه والله اعلم كانه وقع دعاء مرة ثانية بعد بناء البيت واستقر اراخله به وبعد مولد اسحق الذي هو اصغر سن من اسمعيل ثلاث عشرة سنة ولهذا قال في آخر الدعاء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واحق ان ربي لسميع الدعاء وقوله تعالى وارزق اهلك من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتنعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير قال ابو جعفر الرازي عن الربيع (٣٠٣) بن انس عن أبي العالبة عن ابي بن كعب

قال ومن كفر فامتنعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير قال هو قول الله تعالى وهذا قول مجاهد وعكرمة وهو الذي صوبه ابن جرير رحمه الله قال وقرأ آخرون قال ومن كفر فامتنعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير فجعلوا ذلك من تمام دعاء ابراهيم كما رواه ابو جعفر عن الربيع عن أبي العالبة قال كان ابن عباس يقول ذلك قول ابراهيم يسأل ربه ان من كفر فامتنعه قليلا وقال ابو جعفر عن لثبن أبي سليم عن مجاهد ومن كفر فامتنعه قليلا يقول ومن كفر فارزقه قليلا ايضا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير قال محمد بن اسحق لماعت لاراهيم الدعوة على من أبي الله ان يجعل له الولاية انتقطا على الله ومحبة وفرا لما لم يخالف أمره وان كانوا من ذريته حين عرف انه كائن منهم ظالم لا يناله عهده بخبر الله له بذلك قال الله تعالى ومن كفر فاني أرزق البر والفاجر وامتنعه قليلا وقال حاتم بن اسمعيل عن

تحقق مضونه وليس أمر ايجاب وانما هو أمر ندب واستحباب وقيل هو خبر على بابه (حولين كاملين) تأكد الدلالة على ان هذا التقدير تحقيق لا تقرير وفيه رد على أبي حنيفة في قوله ان مدة الرضاع ثلاثون شهرا وعلى زفر في قوله انه ثلاث سنين ذلك (ان أراد ان يتم الرضاعة) فيه دليل على ان ارضاع الحولين ليس حتما بل هو التمام ويجوز الاقتصار على مادونه وليس له حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح الطفل وما يعيش به قال النحاس لا يعرف البصريون الرضاعة الا بالفتح وحكي الكوفيون جواز الكسر والاية تدل على وجوب الرضاع على الام لولدها وقد جعل ذلك على ما اذا لم يقبل الرضيع غيرها (وعلى المولود له) أي على الاب الذي يولده وآثر هذا اللفظ دون قوله وعلى الوالد للدلالة على ان الاولاد لا ياء باللاميات ولهذا ينسبون اليهم دونهن كانهن انما ولدن لهم فقط ذكر معناه في الكشف (رزقهن) المراد بالرزق هنا الطعام السكافي المتعارف بين الناس ويطلق الرزق بالكسر على المرزوق وعلى المصدر (وكسوتهن) المراد بالكسوة ما يتعارفونه أيضا (بالمعروف) أي على قدر الميسرة وفي ذلك دليل على وجوب ذلك على الآباء باللاميات المرضعات وهذا في المطلقات طلاقا نكاحا ما غير المطلقات فنقتهن وكسوتهن واجبة على الأزواج من غير ارضاعهن لا ولادتهن وقال القرطبي الاظهر ان الآية في الزوجات في حال بقاء النكاح لانهن المستحقات للنفقة والكسوة ارضعن أو لم يرضعن وهما في مقابلة التمكن لكن اذا اشتغلت الزوجة بالارضاع لم يكمل التمكن ولا التمتع بها فقد يتوهم ان هذه النفقة تسقط حالة الارضاع فدفعت هذا التوهم بقوله وعلى المولود له ثم قال في محل آخر في هذه الآية دليل على وجوب نفقة الولد على الوالد لعجزه وضعفه ونسبه تعالى للام لان الغذاء يصل اليه بواسطته في الرضاع وأجمع العلماء على انه يجب على الاب نفقة أولاده الاطفال الذين لا مال لهم انتهى (لان كفاف نفس الاوسعها) هو تقييد لقوله بالمعروف أي هذه النفقة والكسوة الواجبان على الاب بما يتعارفه الناس لا يكلف منه ما لا ما يدخل تحت وسعه وطاقته لا ما يشق عليه ويججز عنه وقبل المراد لا تكلف المرأة الصبر على البقرة في الاجرة ولا يكلف الزوج ما هو اسراف بل يراعى التصدر لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده قرى بالرفع على الخبر وفتح الراء المشددة على النهي واصلا لا تضار رأ ولا تضار ر على البناء للفاعل أو المفعول أي لا تضار

حميد الخراط عن عمار الذهبي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله تعالى رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ابن عباس كان ابراهيم يحجها على المؤمنين دون الناس فأنزل الله ومن كفر ايضا ارزقهم كما أرزق المؤمنين فأخلق خلقا لا ارزقهم امتنعهم قليلا ثم اضطرهم الى عذاب النار وبئس المصير ثم قرأ ابن عباس كلا عذ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا واد ابن مردويه وروى عن عكرمة ومجاهد نحو ذلك ايضا وهذا كقوله تعالى ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم ينالهم جعهم ثم يذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون وقوله

تعالى ومن كفر فلا يحزنك كفره السامر جمعهم قنبتهم عما علوا ان الله عليهم بذات الصدور غمعتهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ وقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجلنا لمن يكفر بالرحن ليسوتهم سقفا من فضة ومعارض عليها يظهر انهم ليسوتهم اوثانوا سررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وقوله ثم اضطره الى العذاب النار وبئس المصير أي ثم ألجئه بعد متاعه في الدنيا وبسطنا عليه من ظلمة الى عذاب النار وبئس المصير ومعناه ان الله تعالى ينظرهم ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر كقوله (٣٠٤) تعالى وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ثم أخذناها الى المصير

وفي الصحيحين لأحد أصابع على أذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعاقبهم وفي الصحيح أيضا ان الله لم يخلق لهم حظا حتى اذا أخذهم لم يفتله ثم قرأ قوله تعالى وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذهم ليم شديد وقرأ بعضهم قال ومن كفر فأمتعه قليلا الاية جعله من تمام دعاء ابراهيم وهي قراءة شاذة مخالفة للقراء السبعة وتركيب السياق يأبى معناها والله أعلم فان الضمير في قال راجع الى الله تعالى في قراءة الجمهور والسياق يقتضيه وعلى هذه القراءة الشاذة يكون الضمير في قال عائدا على ابراهيم وهذا خلاف نظم الكلام والله سبحانه هو العلامة وأما قوله تعالى واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعي ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرئنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم فالقواعد جمع قاعدة وهي السارية والاساس يقول تعالى واذكرا محمد لقومك

الاب بسبب الولدان تطلب منه ما لا يتقدر عليه من الرزق والكسوة أو بان تفرط في حفظ الولد والقيام بما يحتاج اليه أو لاتضاير من زوجه بان يقصر عليها في شيء مما يجب عليه أو يتزعزعا وادها من ابلا سبب وهكذا قراءة الرفع تحتل الوجهين ويجوز ان تكون الباء في قوله بولد شاذة لقوله تضاير على انه بمعنى تضر أي لاتضر والدة بولدها فتسى وتريشه أو تقتصر في غذائه ولا والدة بولده وقدمها الخراط شفتها وأضيف الولد تارة الى الاب وتارة الى الام للاستعطف بالبيان النسب انذلو كانت له لم تصح الا للوالد لانه هو الذي ينسب اليه الولد وهذه الجملة تفصيل للجملة التي قبلها وتقرر لها أي لا يكف كل واحد منهما عما الآخر ما لا يطيقه فلا يضار بسبب ولده (وعلى الوارث مثل ذلك) معطوف على قوله وعلى المولود له وما بينهما ما تفسر للمعروف أو تعليل له معترض بين المعطوف والمعطوف عليه واختلف أهل العلم في معنى الآية فقيل هو وارث الصبي أي اذا مات المولود له كان على وارث هذا الصبي المولود ارضاعه كما كان يلزم أباه ذلك قاله عمر بن الخطاب وقتادة والسدي والحسن ومجاهد وعطاء وأحمد واسحق وأبو خنيفة وابن أبي ليلى على خلاف بينهم هل يكون الوجوب على من يأخذ نصيبا من الميراث أو على الذكور فقط أو على كل ذي رحم له وان لم يكن وارثا منه وقيل المراد بالارث وارث الاب تجب عليه نفقة المرضعة وكسوتها بالمعروف قاله الفخاكي وقال مالك في تفسير هذه الآية بمنزل ما قاله الفخاكي ولكنه قال انهم امنسوخة وانهم لا يلزم الرجل نفقة أخ ولا ذى قرابة ولا ذى رحم منه وشرطه الفخاكي بان لا يكون للصبي مال فان كان له مال أخذت أجرة رضاعه من ماله وقيل المراد بالوارث المذكور في الآية هو الصبي نفسه أي عليه من ماله ارضاع نفسه اذا مات أبوه وورث من ماله قاله قبيصة بن ذؤيب وبشير بن نصر قاضي عمر بن عبد العزيز وروى عن الشافعي وقيل هو الباقي من والدي المولود بعد موت الآخر منهما فاذا مات الاب كان على الام كفاية الطفل اذا لم يكن له مال قاله سفيان الثوري وقيل وارث المرضعة يجب عليه ان يصنع بالمولود كما كانت الام تصنعه به من الرضاع والخدعة والتربية وقيل ان معنى الآية انه يحرم عليه الاضرار بالام كما يحرم على الاب وبه قالت طائفة من أهل العلم قالوا وهذا هو الاصل فمن ادعى انه يرجع فيه العطف الى جميع ما تقدم فعليه الدليل قال القرطبي وهو الصحيح اذ لو أراد الجميع الذي هو الرضاع والاتفاق وعدم الضرر لقال وعلى الوارث مثل

بناء ابراهيم واسمعي عليهم السلام البيت ورفعهما القواعد منه وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت هؤلاء

السميع العليم وحكي القرطبي وغيره عن أبي وابن مسعود انهما كانا يقرآن واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعي ولان يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم (قلت) ويدل على هذا قولهما بعد ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرئنا امة مسلمة لك الآية فهماني عمل صالح وهما بالان الله تعالى ان يتقبل منهما كما روى ابن أبي حاتم من حديث محمد بن يزيد بن خنيس المكي عن وهيب بن الورد انه قرأ واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعي ربنا تقبل منا ثم يبكي ويقول يا خليل الرحمن ترفع قوائم

بيت الرجن وأنت مشفق إن لا يتقبل منك وهذا كما حكى الله تعالى عن حال المؤمنين الخالص في قوله والذين يؤتون ما آتوا
يعطون ما أعطوا من الصدقات والنفقات والقربات وقلوبهم ووجهه أي خائفة أن لا يتقبل منهم كما جاء به الحديث الصحيح عن عائشة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في موضعه وقال بعض المفسرين الذي كان يرفع القواعد هو إبراهيم والد إسماعيل
والصحيح أنهما كانا يرفعان ويقولان كما سيأتي بيانه وقد روى البخاري ههنا حديثا شامورا ثم تتبعه آثارا متعلقة بذلك قال
البخاري رحمه الله حدثنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر (٣٠٥) عن أيوب السخيتي وكثير بن كثير بن

المطاطب بن أبي وداعة يزيد
أحد هما على الآخر عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال أول ما أخذ النساء
المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت
منطقة لتعني أثرها على سارة ثم جاء
بها إبراهيم وبانها إسماعيل وهي
ترضعه حتى وضعهما عند البيت
عند دوحه فوق زمزم في أعلى
المسجد وليس بمكة يومئذ أحد
وليس بهما ماء فوضعهما هناك
ووضع عندهما جراب فيه تمر وسقاء
فيه ماء ثم قفا إبراهيم منطلقا
فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم
أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي
الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت
له ذلك امرأ وجعل لا يلتفت
إليها فقالت الله أمرك بهذا قال
فعم قالت إذا لا يضيع عنا ثم رجعت
فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند
الثنية حيث لا يرونها استقبل
بوجهه البيت ثم دعا بهذه
الدعوات ورفع يديه فقال ربنا
إني أسكنت من ذرتي بواد غير ذي
زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ
يشكرون وجعلت أم إسماعيل

هو لا فدل على أنه معطوف على المنع من المضارة وعلى ذلك تأوله كافة المفسرين فيما حكى
القاضي عبد الوهاب قال ابن عطية وقال مالك وجميع أصحابه والشعبي والزهري
والخلك وجماعة من العلماء المراد بقوله مثل ذلك أن لا يضاروا وما الرزق والكسوة فلا
يجب شيء منهما وحكى ابن القاسم عن مالك مثل ما قدمنا عنه في تفسير هذه الآية ودعوى
النسخ ولا يخفى عليك ضعف ما ذهب إليه هذه الطائفة فإن ما خصصوا به معنى قوله وعلى
الوارث مثل ذلك من ذلك المعنى أي عدم الأضرار بالمرضة قد أفاده قوله لا تضار والدة
بولدها لصدق ذلك على كل مضارة ترد عليهم من المولود له أو غيره وأما قول القرطبي لو أراد
الجميع لقال مثل هؤلاء فلا يخفى ما فيه من الضعف البين فإن اسم الإشارة يصلح للمتعذر
كما يصلح للواحد بآويل المذكور أو نحوه وأما ما ذهب إليه أهل القول الأول من أن
المراد بالوارث وارث الصبي فيقال عليه أنه لم يكن وارثا حقيقة مع وجود الصبي حيا بل هو
وارث مجازا باعتبار ما يؤل إليه وأما ما ذهب إليه أهل القول الثاني فهو وإن كان فيه
جل الوارث على معناه الحقيقية لكن لا يجاب النفقة عليه مع غنى الصبي فيه ما فيه ولهذا
قيده القائل به بأن يكون الصبي فقيرا ووجه الاختلاف في تفسير الوارث ما تقدم من ذكر
الوالدين والمولود له والولد فاحتمل أن يضاف الوارث إلى كل منهم (فإن أراد افضالا) الضمير
لوالدين والفضال الطعام عن الرضاع أي التفريق بين الصبي والثدي ومنه سمي الفصل
لأنه مفصول عن أمه (عن تراض منهما) أي صادرا عن تراض من الأبوين وعلى اتفاق
من الوالدين إذا كان الفضال وغطام الولد قبل الحولين (وتشاور) أي يشاورون أهل العلم
في ذلك حتى يخبروا أن الفضال قبل الحولين لا يضر بالولد (فلجناح عليهما) في ذلك
الفصل لما بين الله سبحانه أن مدة الرضاع حولان كاملان قيد ذلك بقوله لمن أراد أن يتم
الرضاعة وظاهره أن الأب وحده إذا أراد أن يفصل الصبي قبل الحولين كان ذلك جائزا له
وهنا اعتبر سبحانه تراض الأبوين وتشاورهما فلا بد من الجمع بين الأمرين بأن يقال إن
الإرادة المذكورة في قوله لمن أراد أن يتم الرضاعة لا بد أن تكون منهما أو يقال إن تلك
الإرادة إذ لم يكن الأبوان للصبي حينئذ كان الموجود أحدهما أو كانت المرضة للصبي
ظئرا غير أمه والتشاور استخراج الرأى يقال شرت العسل استخراجته فلا بد لاحد الأبوين
إذا أراد فصل الرضيع أن يراضى الآخر ويشاوره حتى يحصل الاتفاق بينهما على ذلك

(٣٩ ل - فتح البيان) ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت
تنظر إليه يتلوى أو قال يتلطف فأنطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت
الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فأنهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان
المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا فنفعلت ذلك سبع مرات قال ابن
عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهم خوفًا لما أشرقت على المروة سمعت صوتا فقالت صد تريد نفسها ثم

تسمعت فسمعت أيضا فقالت قد أسمع ان كان عندك غوث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول يدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقاها وهو بفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم برحمة الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا من عينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضبعة فان ههنا بيتا لله يبينه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت من ثعمان الارض كالراية تأتيه السيول فتأخذ (٣٠٦) تنعيمه وشماله فكانت كذلك حتى حرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت

من جرهم مقبلين من طريق كذا فنزلوا في أسفل مكة فقرأوا طائرا عائدا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ما فأرسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء ف يرجعوا فأخبروه بهم بالماء فأقبلوا قال وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أنأدنى لنا ان نزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء عندنا قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فأتني ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانيس فنزلوا وأرسلوا الى أهلهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل آيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل بطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج بيتي لنا ثم سألهما عن عيشهم وهيتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة فمشكت اليه قال فاذا جاء زوجك فأقرئي عليه السلام وقولي له يغفر عتبه بابه فلما جاء اسمعيل كانه

(وان أردتم) خطاب للآباء وزاد بعضهم الامهات وفيه خروج من الغيبة الى الخطاب (ان تسترضعوا أولادكم) قال الزجاج التقدير ان تسترضعوا اولادكم غير الالوة وعن سيبويه المعنى ان تسترضعوا المراضع أولادكم (فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتكم) بالمدى اعطيتم وعنى قراءة الجماعة الا ابن كثير قاله قرأ بالقصر أى فعلتم والمعنى انه لا بأس عليكم ان تسترضعوا أولادكم غير أمهاتهم اذا سلمتم الى الامهات أجرهن بحسب ما قد أرضعن لكم أى وقت ارادة الاسترضاع قاله سفيان الثوري ومجاهد وقال قتادة والزهرى ان معنى الآية اذا سلمتم ما آتيتكم من ارادة الاسترضاع أى سلم كل واحد من الابوين ورضى كان ذلك عن اتفاق منهما وقصد خير وارادة معروف من الامر وعلى هذا فيكون قوله سلمت عاما للرجال والنساء تغليباً وعلى القول الاول الخطاب للرجال فقط وقيل المعنى اذا سلمتم لمن اردتم استرضاعها أجرها فيكون المعنى اذا سلمتم ما أردتم آتاءه أى اعطاءه الى الممرضعات وليس هذا قيماً لصحة الاجارة فان تعجيل الاجرة لا يشترط وانما هو قيد كمال لانه أطيّب لنفوسهن (بالمعروف) أى بعبارة معروفة للناس من أجر الممرضعات من دون مما طلة لهن أو حطب بعض ما هو لهن من ذلك فان عدم توفير أجرهن يبعثهن على التساهل بامر الصبي والتفريط في شأنه والمعنى ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشرين بالوجه ناطقين بالقول الجليل مطمين لانفس المراضع بما أمكن (واتقوا الله) أى خافوه فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما أوجب عليكم للمراضع ولأولادكم (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه خافية من جميع أعمالكم سرها وعلانياتها فانه تعالى يراها ويعلمها (والذين يتوفون منكم) ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) لما ذكر سبحانه عدة الطلاق واتصل بذلك كره اذكر الارضاع عقب ذلك بذكر عدة الوفاة لئلا يتوهم ان عدة الوفاة مثل عدة الطلاق قال الزجاج ومعنى الآية والرجال الذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً أى ولهم زوجات فالزوجات يتربصن وقال أبو على الفارسي تقديره والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بعدهم وهو كقولك السمن منوان بدرهم أى منه وحكى عن سيبويه ان المعنى وفيما تلى عليكم الذين يتوفون وقيل التقدير وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن ذكره صاحب الكشف وفيه ان قوله ويذرون أزواجاً لا يلائم ذلك التقدير لان الظاهر من النكحة المعادة المغيرة وقال بعض النحاة من الكوفيين ان

الخبير أنس شياً فقال هل جاءكم من احد فالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فأسأله عن فأكبرته وسألتني كيف عيشنا فأكبرته الخبر أنا في جهده وشدة قال فهل أوصالك بشئ قالت نعم امرنى ان أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبه بآبك قال ذلك أبى وقد أمرنى ان أفارقك فالحق باهلك وطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ثم اناهم بعد فلم يجدوه فدخل على امرأته فسألهما عنه فقالت خرج بيتي لنا قال كيف أنتم وسألهما عن عيشهم وهيتهم فقالت نحن بخير وسوعة وأنت على الله عز وجل قال ما طعناكم قالت اللهم قال فاشير ابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حجب

ولو كان لهم لدعائهم فيه قال فهم لا يخلو عليهم ما احدث غير مكة الالم يوافقه قال فاذا جاء زوجك فافترق عليه السلام ومعه شئت
عقبه بابا فلما جاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واننت عليه فسألني عنك فاخبرته فسالني كيف
عشت فاخبرته انا بخير قال فأوصالك بشي قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك أبي واننت العتبة
أمرني ان أمسكك ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يرى نبلا له تحت دوحه قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه وصنعا كما
يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله أمرني بأمر قال (٣٠٧) فأصنع ما أمرك ربك قال وتعينني قال

وأعينك قال فان الله أمرني ان
أبني ههنا بيتا وأشار الى آكة
مرتفعة على ما حولها قال فعند
ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل
اسمعيل ياتي بالجارة وابراهيم يبي
حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر
فوضعه له فقام عليه وهو يبني
واسمعيل يناوله الجارة وهما
يقولان ربنا تقبل منا انك أنت
السميع العليم قال فجعلانيان
حتى يدورا حول البيت وهما
يقولان ربنا تقبل منا انك أنت
السميع العليم ورواه عبد بن
حميد عن عبد الرزاق به مطولا
ورواه ابن أبي حاتم عن أبي عبد الله
محمد بن جواد الطبراني وابن جرير
عن أحمد بن ثابت الرازي كلاهما
عن عبد الرزاق به مختصرا وقال
أبو بكر بن مردويه أخبرنا
اسمعيل بن علي بن اسمعيل أخبرنا
بشر بن موسى أخبرنا أحمد بن محمد
الازرق أخبرنا مسلم بن خالد
الزنجي عن عبد الملك بن جريج عن
كثير بن كثير قال كنت انا وعمان
ابن أبي سليمان وعبد الله بن عبد
الرحمن بن أبي حسين في ناس مع

الخبر عن الذين متروك والقصد الاخبار عن أزواجهم بانهم يترصن وأصل التوقي أخذ
الشيء وافيأفن مات فقد استوفى عمره كما لا يقال توفي فلان يعني قبض وأخذ والخطاب
لكافة الناس بطريق التسوين والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم الزوج
على الرجل والمرأة والمعنى الذين يموتون ويتركون النساء ينتظرن بانفسهن قدر هذه المدة
ووجه الحكمة في جعل العدة للوفاة هذا المقدار ان الجنين الذي يتحرك في الغالب ثلاثة
أشهر والآن لا أربعة فزاد الله سبحانه على ذلك عشر الا ان الجنين ربما يضعف عن الحركة
فتأخر حركته قليلا ولا يتأخر عن هذا الاجل وظاهر هذه الآية العموم وان كل من
مات عنها زوجها تكون عدتها هذه العدة ولكنه قد خص هذا العموم بقوله تعالى
وأولات الأجل أحلهن ان يضعن حملهن والى هذا ذهب الجمهور وروى عن بعض
الصحابة وجماعة من أهل العلم ان الحامل تعتد بأخر الاجلين جمع بين العام والخاص
واعمالهما والحق ما قاله الجمهور والجمع بين العام والخاص على هذه الصفة لا يناسب
قوانين اللغة ولا قوانين الشرع ولا معنى لخراج الخاص من بين افراد العام الايمان ان
حكمه مغاير لحكم العام ومخالف له وقد صرح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه أذن لسبعة
الاسلية ان تترقح بعد الوضع والترص التأني والتصبر عن النكاح وظاهر الآية عدم
الفرق بين الصغيرة والكبيرة والحررة والامة وذات الحيض والأيسة وان عدتهن جميعا
للوفاة أربعة أشهر وعشر وقيل ان عدة الامة نصف عدة الحررة شهران وخمسة ايام قال
ابن العربي اجماعا الا ما يحكي عن الاصم فانه سوى بين الحررة والامة وقال الباسجي ولا نعلم
في ذلك خلافا لما يروى عن ابن سيرين انه قال عدتها عدة الحررة وليس بالثابت عنه
ووجه ما ذهب اليه الاصم وابن سيرين ما في هذه الآية من العموم ووجه ما ذهب اليه
من عدتها مقياس عدة الوفاة على الحد فانه ينصف للامة بقوله سبحانه فعلمين نصف ما على
المحصنات من العذاب وقد تقدم حديث طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وهو
صالح للاحتجاج به وليس المراد منه الإجماع بل طلاقها على النصف من طلاق الحر وعدتها
على النصف من عدتها ولكنه لما لم يمكن أن يقال طلاقها تطليقة ونصف وعدتها حيضة
ونصف لكون ذلك لا يعقل كانت عدتها وطلاقها ذلك القدر المذكور في الحديث جبرا
للكسر ولكن ههنا أمر يمنع من هذا القياس الذي عمل به الجمهور وهو ان الحكمة في

سعيد بن جبيرة في أمي المسجد ليل فقال سعيد بن جبيرة سلوني قبل ان لاتروني فسالوه عن المقام فأنشأ يحسدتهم عن ابن عباس فذكر
الحديث بطوله ثم قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد أخبرنا أبو عامر عبد الملك بن عمر وأخبرنا ابراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن
سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال لما كان بين ابراهيم وبين أخله ما كان خرج باسمعيل وأم اسمعيل ومعهم شئ في ماء فجعلت أم
اسمعيل تشرب من الشئ فيدرب لها على صبيها حتى قدم مكة فوضعهما تحت دوحه ثم رجع ابراهيم الى اهله فأتبعته أم اسمعيل
حتى بلغوا كدنا فنادته من وراءه يا ابراهيم الى من تتركنا قال الى الله قالت رضيت بالله قال فرجعت فجعلت تشرب من الشئ ويدر

مصحح على شرط الشيخين ولم يخرجاه كذا قال وقد رواه البخاري كما ترى من حديث ابراهيم بن نافع وكان فيه اختصار افا انه لم يذكر فيه شأن الذبح وقد جاء في الصحيح ان قرني الكباش كانوا معلقين بالكعبة وقد جاء ان ابراهيم عليه السلام كان يزور اهل بيته على البراق سرعيا ثم يعود الى اهل بيته بالبلاد المقدسة والله أعلم والحديث والله أعلم انما فيه مرفوع أما كن صرح به ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في هذا السياق ما يخالف بعض هذا كما قال ابن جرير حديثنا محمد بن بشار ومحمد بن المنثري قال أخبرنا مؤمل أخبرنا سيفان عن أبي اسحق (٣٠٩) عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب قال لما أمر ابراهيم ببناء

البيت خرج معه اسمعيل وهاجر قال فلما قدم مكة رأى على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس فكلمه قال يا ابراهيم ابن علي طلي أو قال علي قد رى ولا ترد ولا تنقص فلما بنى خرج وخلف اسمعيل وهاجر فقالت هاجر يا ابراهيم ان من قسكنا قال الى الله قالت انطلق فانه لا يضعنا قال فعتش اسمعيل عطشا شديدا قال فصعدت هاجر الى الصفا فنظرت فلم تر شيئا حتى اتت المروة فلم تر شيئا ثم رجعت الى الصفا فنظرت فلم تر شيئا ففعلت ذلك سبع مرات فقالت يا اسمعيل من حيث لا أراك فأتته وهو يفحص برجله من العطش فناداها جبريل فقال لها من أنت قالت أنا هاجر أم ولد ابراهيم قال فالى من وكلكما قالت وكلنا الى الله قال وكلكما الى كاف قال ففحص الارض باصبعه فنبعت زمزم فجعلت تحبس الماء فقال دعني فانه روى في هذا السياق انه بنى البيت قبل أن يفارقهما وقد يحتمل انه كان مخنوطا ان يكون

المباشرة وأجيب بانه خطاب للاولياء ولوصح العدة بغير ولي لما كان مخاطبا (والله بما تعملون خبير) لا يخفى عليه خافية (ولاجتراح عليكم فيما عرّضتم به من خطبة النساء) المتوفى عنهن أزواجهن في العدة وكذا المطلقات طلاقا بنا وأما الرجعات فيحرم التعريض والتصریح بخطبتين في المفهوم تفصيل والاحتجاج الانم أى لا اثم عليكم والتعريض ضد التصریح وهو من عرض الشيء أى جانبه كانه يحوم به حول الشيء ولا يظهره وقيل هو من قولك عرضت الرجل أى أهديت له ومنه ان ركبا من المسلمين عرضوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر يا ايها أيهدوا لهما فاعرض بالكلام يوصل الى صاحبه كلاما يفهم معناه وقال في الكشف الفرق بين الكناية والتعريض ان الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتكم لا سلم عليكم ولا انظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا * وحسبك بالتسليم منى تقاضيا * وكأنه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلميح لانه يلوح منه ما يريد انتمى والمعنى لو حتم وأشرتم والخطبة بالكسر ما يفعله الطالب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل يقال خطبها بخطبها خطبة وخطبا والخطبة بالضمة هي الكلام الذي يقوم به الرجل خطبا (أو أكنتم) معناه سترتم وأضمرتم من التزويج بعد انقضاء العدة والا كان التستر والاختفاء يقال أكنتمه وكنتمه وهما بمعنى واحد ومنه يرض مكنون ودر مكنون وأهنا اللاباحة أو التخمير أو التفصيل أو الابهام على المخاطب (في أنفسكم) يعنى من قصد نكاحهن وقيل هو أن يدخل ويملو ويهدى ان شاء ولا يتكلم بشيء (علم الله أنكم ستدرون) أى لا تصبرون عن النطق لهن برغبتكم فيهن فرخص لكم في التعريض دون التصریح وقال في الكشف ان فيه طرفا من التوبيخ كقوله تعالى علم الله أنكم كنتم تحتلون أنفسكم (ولكن لا تواعدوهن سرا) قد اختلف العلماء في معنى السرف قيل معناه نكاحا أى لا يقبل الرجل لهذه المعتدة تزوجيني بل يعرض تعريضا وقد ذهب الى ان هذا معنى الآية جهوز العلماء وقيل السر الزنا أى لا يكون منكم مواعدة على الزنا في العدة ثم التزويج بعدها قاله جابر بن زيد أبو مجلز والحسن وقتادة والخمالي والتخمي واختاره ابن جرير الطبري وقيل السر الجماع أى لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع ترغيبا لهن في النكاح

أولا وضع له حوطا وتحجيرا لانه بناء الى أعلاه حتى كبر اسمعيل فبناه معا كما قال الله تعالى ثم قال ابن جرير أخبرنا بن السري حديثنا أبو الاحوص عن سماعة عن خالد بن عريرة ان رجلا قام الى على رضى الله عنه فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الارض فقال لا ولكن أول بيت وضع في البركة مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وان شئت أنبأتك كيف بنى ان الله أوحى الى ابراهيم ان ابن لي يتافى الارض فضا ق ابراهيم بذلك ذرعا فأرسل الله السكينة وهي ريح تجوز ولها أركان فابع أحدها صاحبه حتى انتهت الى مكة فطوت على موضع البيت كطى الخفة وأمر ابراهيم ان يبنى حيث تسمت السكينة فبنى

ابراهيم وبني الخبز قد ذهب الغلام شيئا فقال ابراهيم ابغني خجرا كما امرك قال فانطلق الغلام واتمس له خجرا فاتاه به فوجده قد ركب الخبز الاسود في مكانه فقال يا ابت من أتاك بهذا الخبز فقال أتاني به من لم يسكن على بنائك جاءه جبريل عليه السلام من السماء فاتممه وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ أخبرنا سفيان عن بشر بن عاصم عن سعيد بن المسيب عن كعب الاحبار قال كان الميت غشاء على الماء قبل ان يخلق الله الارض باربعين عاما ومنه دحيت الارض قال سعيد وحدثنا علي بن أبي طالب أن ابراهيم أقبل من أرض (٣١٠) أرمينية ومعه الكينة تدله على تيموثا البيت كما تبتوا العنكبوت بيتا قال

والى هذا ذهب الشافعي في معنى الآية والاستدراك بقوله لكن من مقدر دل عليه سند كروهن أي فاذا كروهن ولكن لا راعدوهن سرا ولا تصرحوها بالخطبة بان تذكروا صريح النكاح قال ابن عطية أجمعت الامة على ان الكلام مع المعتدة بما شؤرت من ذكر جاع أو تعريض عليه لا يجوز وقال أيضا أجمعت الامة على كراهة المواعدة في العدة للمرأة في نفسها واللاب في ابنته البكر والسيد في أمته وقال ابن عباس المواعدة سر ان يقول لها اني عاشق وعاهدي ان لا تزوجي غيري ونحو هذا (الا أن تقولوا) قيل هو استثناء منقطع بمعنى لكن لان القول هو التعريض والمستثنى منه المراد به التصريح وهذا هو شأن المنقطع يفسر بلكن وبه قال السيوطي ومنع صاحب الكشاف ان يكون منقطعا وقال هو مستثنى من قوله لا راعدوهن أي مواعدة نقاط الامواعدة معروفة غير منكورة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح فجعله على هذا استثناء متصلا من رعا ووجه كونه منقطعا انه يؤدي الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك لان التعريض طريق المواعدة لانه الموعود في نفسه وعن ابن عباس قال التعريض ان يقول اني أريد التزويج وانني لأحب المرأة من أمرها وان من شأنى النساء ولوددت ان الله يسر لي امرأة صالحة رواء البخاري وجماعة (قولا معروفا) أي تعريضا وقال ابن عباس هو قوله ان رأيت ان لا تسبقني بنفسك أو يقول انك جميلة وانك الى خير وان النساء من حاجتي (ولا تعزموا عقدة النكاح) قد تقدم الكلام في معنى العزم يقال عزم الشيء وعزم عليه والمعنى هنا لا تعزموا على عقدة النكاح في العدة لان العزم عليه بعد هال بالأس به ثم حذف على قال سيديويه والحذف في هذه الآية لا يقاس عليه وقال النحاس يجوز ان يكون المعنى ولا تعقدوا عقدة النكاح لان معنى تعزموا وتعقدوا واحد قيل ان العزم على الفعل يتقدمه فيكون في هذا النهي مبالغة لانه اذا نهى عن المتقدم على الشيء كان النهي عن ذلك الشيء بالاولى (حتى) غاية للنهي (يلغ الكتاب أحله) أي تنقضي العدة والكتاب هنا هو الحد والقصد الذي رسم من المدة سماه كتابا لكونه محددا ومفروضا كقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وهذا الحكم أعني تحريم عقد النكاح في العدة يجمع عليه والمراد بالاجل آخر مدة العدة (واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم) من العزم على ما لا يجوز (فاحذروه) أي عقابه اذا عزمتم على عقدة

فكشفت عن أعجاز لا يطيق الخبز الاثلاثون رجلا فقلت يا أبا محمد فان الله يقول واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعهيل قال كان ذلك بعد وقال السدي ان الله عز وجل أمر ابراهيم ان يبني البيت هو واسمعهيل ابنا يتي لاطائسين والعاكفين والركع السجود فانطلق ابراهيم حتى أتى مكة فقام هو واسمعهيل وأخذوا المعاول لا يدريان أين البيت فبعث الله ريحا يقال لها الريح الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكشفت لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الاول واتباعها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس فذلك حين يقول تعالى واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت واذبنوا بالابراهيم مكان البيت فلما بنيا القواعد فبلغا مكان الركن قال ابراهيم لاسمعهيل يا بني اطلب لي خجرا احسنا أضعه ههنا قال يا ابت اني كسلان لغب قال على ذلك فانطلق يطلب له خجرا وجاءه جبريل بالخبز الاسود من الهند وكان أبيض باقوتة بيضاء مثل

الثغامة وكان آدم هبط به من الجنة فأسودس خطايا الناس فجاءه اسمعهيل بخجرو فوجده عند الركن فقال يا ابت من النكاح جاءك بهذا قال جاء به من هو أنشط منك فبناوهما يد عوان الكامات التي ابتلى ابراهيم ربه فقال ربنا تبيل منا انك أنت السميع العليم وفي هذا السياق ما يدل على ان قواعد البيت كانت مبنية قبل ابراهيم وانما هدى ابراهيم اليها وبؤى لها وقد ذهب الى هذا ذاهبون كما قال الامام عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت قال القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا هشام بن حسان عن سوار بن عطاء عن عطاء بن أبي رباح

قال لما أبط الله آدم من الجنة كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم يأنس إليهم فهابت الملائكة حتى شكت إلى الله في دعائها وفي صلاتها فخفضه الله تعالى إلى الأرض فلما تقدم كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك إلى الله في دعائه وفي صلاته فوجهه إلى مكة فكان موضع قدميه قرية وخطوه مفازة حتى انتهى إلى مكة وأنزل الله ياقوته من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الآن فلم يرزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان فرفعت تلك الياقوتة حتى بعث الله إبراهيم عليه السلام فيها وذلك قول الله تعالى واذبحوا لنا إبراهيم مكان البيت وقال (٣١١) عبد الرزاق أخبرنا ابن جريح عن

النكاح في العدة والاتعزمواعليه فان العزم على المعصية مغصية (واعلموا أن الله غفور
 حلیم) لا يعاجلكم بالعقوبة على الجهر بالمعصية بل يسترها (لأجناح عليكم) المراد
 بالجناح هنا التبعية من المهر ونحوه فرفع له ذلك أي لا تبعة عليكم بالمهر ونحوه
 (ان طلقتم النساء لم تسوهن) أي مدة عدم مسيهن وقال أبو البقاء والمعنى ان
 طلقتهن غير ماسين لهن فعلى الاول ما مصدرية ظرفية وعلى الثاني شرطية وقيل انها
 موصولة أي ان طلقتم النساء اللاتي لم تسوهن أي مالم تجامعهن وقرأ ابن مسعود ومن
 قبل ان تجامعهن وقرأ غيرهما سوهن من المفاعلة وهكذا اختلفوا في قوله (أو تقرضوا
 لهن فريضة) فقول أو بمعنى الأي الا ان تقرضوا وقيل بمعنى حتى أي حتى تقرضوا
 وقيل بمعنى الواو أي وتقرضوا ولست أرى لهذا التطويل وجهاً ومعنى الآية أوضح من
 أن يلتبس فان الله سبحانه رفع الجناح عن المطلقين ما يقع أحد الأمرين أي مدة انتفاء
 ذلك الاحد ولا ينتفى الا احدهما لان انتفاء الامر من معافاة وجد المسيس وجب المسمى
 أو مهر المثل وان وجد الفرض وجب نصفه مع عدم المسيس وكل واحد منهما جناح أي
 المسمى أو مهر المثل أو نصفه واعلم ان المطلقات أربع مطلقة مدخول بها مفروض لها
 وهي التي تقدم ذكرها قبل هذه الآية وفيها نهى عن الزواج عن ان يأخذوا بما آتوهن شيئاً
 وان عدتهن ثلاثة قروء ومطلقة غير مفروض لها ولا مدخول بها وهي المذكورة هنا فلا
 مهر لها بل المتعة وبين في سورة الاحزاب ان غير المدخول بها اذا طلقت فلا عدة عليها
 ومطلقة مفروض لها غير مدخول بها وهي المذكورة بقوله سبحانه وان طلقتهن من
 قبل ان تسوهن وقد فرضتم لهن فريضة ومطلقة مدخول بها غير مفروض لها وهي
 المذكورة في قوله تعالى فما استمتعتم بهن من فآتوهن أجورهن والمراد بالفريضة هنا تسمية
 المهر وفيها وجهان أظهرهما انها مفعول به والتقدير شيء أمفروضا والثاني ان تكون
 منصوبة على المصدر بمعنى فرضوا واستجودوا أبو البقاء الوجه الاول (ومتعوهن) أي
 أعطوهن شيئاً يكون متاعاً لهن وظاهر الأمر الوجوب وبه قال علي وابن عمر والحسن
 البصري وسعيد بن جبيرة وأبو قلاية والزهرى وقتادة والبخاري ومن أدلة الوجوب قوله
 تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تسوهن فما لكم
 عليهن من عدة تعتدونها فتعوهن وسرحوهن سراح جيلا وقال مالك وأبو عبيد

المفاز بعد ذلك فأتى آدم البيت فطاف به ومن بعده من الأنبياء وقال ابن جرير أخبرنا ابن حميد أخبرنا يعقوب العمري عن حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال وضع الله البيت على أركان الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألفي عام ثم دحيت الأرض من تحت البيت وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد وغيره من أهل العلم أن الله لما بوأ إبراهيم مكان البيت خرج إليه من الشام وخرج معه يسمعون وبأمره هاجر وسمعيل طفل صغير يرضع وحملوا فيمما حدثني علي البراق ومعه جبريل يده على موضع البيت ودعاهم الحرم وخرج معه جبريل فكان لا يمر بقربة إلا قال أهي هذه أم هي يا جبريل فيقول (١) قوله خمسة المعدود أربعة وحرره اهـ

جبريل امضه حتى قدم به مكة وهي اذ ذاك عضاء وسنم وسرو بها اناس يقال فيهم العسايق خرج مكة وباحويها والبيت يومئذ ريرة جهر امدة فقال ابراهيم بن خبير بل اخيه ضربت ان اضع عوجا قال ثم نعمديهم مما الى مرضع الخرفان في مافيه وامر هاجرا اسمعيل ان يتخذ فبصر يشاق فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم الى قوله لعلمهم بشكروا وقد عبد الرزاق اخبرنا هشام بن حسان اخبرني جيع عن مجاهد قال خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيئا بالي سنة وأركان في الارض السابعة وكذا قال ليث بن أبي سليم (٢١٢) عن مجاهد انقواء في الارض السابعة وقال ابن أبي حاتم حدثنا

أخبرنا عمر بن رافع أخبرنا عبد الوهاب بن معاوية عن عبد المؤمن بن خالد عن علي بن أحمد أن ذا القرنين قدم مكة فوجد إبراهيم واسماعيل بنيان قواعد البيت من خمسة أجبل فقال مالك ولا رضاء فقال نحن عبدان مأموران أمرنا ببناء هذه الكعبة قال فهما تأ بالبنية على ما تدعيان فقامت خمسة كبش فقلن نحن نثم مدان إبراهيم واسماعيل عبدان مأموران أمرنا ببناء هذه الكعبة فقال قد رضيت وسلمت ثم مضى وذكر الأزرقي في تاريخ مكة أن ذا القرنين طاف مع إبراهيم عليه السلام بالبيت وهذا يدل على تقدم زمانه والله أعلم وقال البخاري رحمه الله قوله تعالى وأذرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل الآية القواعد أساسه واحدا قاعده والقواعد من النساء واحدها قاعدة حدثنا اسمعيل حدثني مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن محمد بن أبي بكر أخبرني عبد الله بن عمر عن عائشة زوج النبي صلى الله

والقاضي شرح وغيرهم ان المتعة المطلقة المذكورة مندوبة لا واجبة لقوله تعالى حقا على المحسنين ولو كانت واجبة لا طلقها على الخلق أجعين وبجواب عنه ان ذلك لا ينافي الوجوب بل هو تأ كيدله كما في قوله في الآية الاخرى حقا على المتقين أي ان الوفاء بملك والقيام به شأن أهل التقوى وكل مسلم يسب عليه ان يتق الله سبحانه وقد وقع الخلاف أيضا هل المتعة مشروعة وتغير هذه المطلقة قبل المسيس والفرض أم ليست بمشروعة الا لافق فقط قبل انهما مشروعة لكل مطلقة واليه ذهب ابن عباس وابن عمر وعطاء وجابر بن زيد وسعيد بن جبير وأبو العالية وأخسر البصري والشافعي في أحد قوليه وأحمد وأحمد بن حنبل وكنهم اختلفوا هل هي واجبة في غير المطلقة قبل المسيس والفرض أم مندوبة فقط واستدلوا بقوله تعالى والله طلاق سابع بالمعروف حق على المتقين وقوله تعالى يا أيها النبي قل لازواجه ان كنتم تردن احياء الدنيا وزيتهما فاعالين أمتكن وأمر حكن سر احجلا والاية الاولى عامة لكل مطلقة والثانية في أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد كن مفروضاهن مدخولا بهن وقال سعيد بن المسيب انها يجب للمطلقة اذا طلقت قبل المسيس وان كانت مفروضاهن لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا كنتم في المؤامرات ثم طلقتوهن من قبل ان تمدوهن في الكم عليهن من عدة تعتدوهن فاشعوهن قال عذرة الآية التي في الاحزاب شخت التي في البقرة وذهب جماعة من أهل العلم الى أن المتعة محصة المطلقة قبل البناء التسمية لان المدخول بها تستحق جميع المسمى أو مير المثل وغير المدخولة التي قد فرض له أزواجهن فريضة أي سعى لهما ميرها وطلقها قبل الدخول تستحق نصف المسمى ومن القائلين بهذا ابن عمر ومجاهد وقد وقع الاجماع على أن المطلقة قبل الدخول أو الفرض لا تستحق الا المتعة اذا كانت حرة وأما اذا كانت أمة فذهب الجمهور الى أن لها المتعة وقال الاوزاعي والثوري لا متعة لها لانها تكون لمسيدها ولا تستحق ما لا في مقابل تأذي بملاكه لان الله سبحانه انما شرع المتعة للمطلقة قبل الدخول والفرض لا يكونها تأذي بالطلاق قبل ذلك وقد اختلفوا في المتعة المشروعة هل هي مقدرة بقدر أرم لا فقال مالك رضي الله عنه في الجدي لا حد لها معروف بل ما يقع عليه اسم المتعة وقال أبو حنيفة انه اذا تنازع الزوجان في قدر المتعة وجب لها نصف مؤمئذها ولا ينقص من خمسة دراهم لان أقل المهر عشرة دراهم وللسلف فيها

عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أم ترى أن قومك حين بنوا البيت اقتصروا عن قواعد إبراهيم اقول فقلت يا رسول الله ألا ترد على قواعد إبراهيم قال لا لو لاحداث قومك بالكفر فقال عبد الله بن عمر كنت عائشة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين الذين يليان الحجر الا ان البيت لم يتم على قواعد إبراهيم عليه السلام وقد رواه في الحج عن القعني وفي أحاديث الانبياء عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى ومن حديث بن وهب والنسائي من حديث عبد الرحمن بن القاسم كلهم عن مالك به ورواه مسلم أيضا من حديث نافع قال سمعت

عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن أبي خافعة يحدث عبد الله بن عمر عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ان قومك حديث عهد بجاهلية أو قال بكفر لا تنفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولعلت بابها بالارض ولا دخلت فيها الخمر وقال البخاري أخبرنا عبد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحق عن الاسود قال قال لي ابن الزبير كانت عائشة تسير اليك حديثا كثيرا فحدثت في الكعبة قال قلت قالت لي قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة لولا قومك حديث عهد معك فقلت لولا ان الزبير بكسر لنتقضت الكعبة فجعلت لها بابا بين بابي يدخل منه الناس وبابا يخرجون منه ففعله (٣١٣) ابن الزبير انفرديا خراجا البخاري فروا وهكذا

في كتاب العلم من صحيحه وقال

مسلم في صحيحه حديث يحيى بن يحيى

أخبرنا أبو معاوية عن هشام بن

عروة عن أبيه عن عائشة قالت

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

لولا حداثه عهد قومك بالكفر

لنقضت الكعبة ولعلتها على

أساس ابراهيم فان قرى ساحين

بنت البيت استقصرت ولعلت

لها خانقا قال وحديثه أبو بكر

ابن أبي شيبة وابو كريب قال أخبرنا

ابن غير عن هشام بهذا الاسناد

انفرده مسلم قال وحديثي محمد

ابن حاتم حديثي محمد بن مهدي

أخبرنا سليم بن حيان عن سعيد يعنى

ابن مينا قال سمعت عبد الله بن

الزبير يقول حدثتني خالتي يعنى

عائشة رضى الله عنها قالت قال

النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة

لولا قومك حديث عهد بشرك

لهدمت الكعبة فالزقتها بالارض

ولعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا

وزدت فيها ستة أذرع من الخمر فان

قرىسا اقتصرت بها حيث بنت

الكعبة انفرده أيضا (ذكر بناء

قرىش الكعبة بعد ابراهيم الخليل

أقول سيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى وقوله (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) يدل على ان الاعتبار في ذلك بحال الزوج فالتمتع من الغنى فوق التمتع من الفقر والموسع هو الذى انبعث ماله وقرئ الموسع بالتشديد وقرئ قدره بسكون الدال فيه ما يفتح الدال فيها قال الاخفش وغيره هما لغتان فصيحتان وهكذا في قوله تعالى فسالت أودية بقدرها وقوله وما قدره والله حق قدره والمقدر المقل والتقدير على الموسع منكم أو على موسعكم قدره أى قدره مكانه وطاقته وكذا يقال في الثانى والآية تفيد انه لا نظر الى قدر الزوجة وقيل هذا ضعيف في مذهب الشافعي بل ينظر الحاكم بجهته الى حالهما جميعا على أظهر الوجوه (متاعا) مصدره وكذا أى متعهن متاعا (بالمعروف) ما عرف في الشرع والعادة الموافقة له وقوله (حقا على الحسين) وصف لقوله متاعا وأصدره لعل محذوف أى حق ذلك حقا يقال حققت عليه القضاء وأحققت أى أوجبت قال ابن عباس المس النكاح والفرضة الصداق وأمر الله أن يمتعهن على قدر عسره ويسره فان كان موسرا تمتعها بخادم وان كان معسرا تمتعها بثلاثة أثواب ونحو ذلك وعنه قال متعة الطلاق أعلاها الخادم ودون ذلك الورق ودون ذلك الكسوة وعن ابن عمر أدنى ما يكون من المتعة ثلاثون درهما وعن الحسن بن علي انه تمتع بعشرين ألفا ورتاق من عسل وعن شريح انه تمتع بخمسة مائة درهم وعن الحسن بن علي أيضا انه تمتع بعشرة آلاف وعن ابن سيرين انه كان يمتع بالخادم والنفقة والكسوة (وان طلقتهن من قبل أن تغسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) فيه دليل على أن المتعة لا تجب لهذه المطلقة لوقوعها في مقابلة المطلقة قبل البناء والفرض التي تستحق المتعة أى فالواجب عليكم نصف ما مسميت لهن من المهر وهذا مجمع عليه وقد وقع الاتفاق أيضا على ان المرأة التي لم يدخل بها زوجها ومات وقد فرض لها مهر استحققه كاملا بالموت وله المهرات وعليها العدة واختلاف في الخلو هل تقوم مقام الدخول وتستحق المرأة بها كمال المهر كما تستحقه بالدخول أم لا فذهب الى الاول مالك والشافعي في القديم والكوفيون والخلفاء الراشدون وجهور أهل العلم ويجب أيضا عندهم العدة وقال الشافعي في الجديد لا يجب الانصف المهر وهو ظاهر الآية لما تقدم من ان الميس هو الجامع ولا يجب عنده العدة واليه ذهب جماعة من السلف (الآن يعقون) أى المطلقات ومعناه يتركن ويصفحن وهو

(٤٠ - فتح البيان ل) عليه السلام بمدطويلة وقبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين) وقد نقل معهم في الهجرة وله من العمر خمس وثلاثون سنة صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين قال محمد بن اسحق بن يسار في السيرة ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة اجتمع قرىش لبيان الكعبة وكانوا يهيمون بذلك ليسقفوها ويهايون خدمها وانما كانت رضاء فوق التامة فارادوا رفعها وتسقيفها وذلك ان نفر اسرقوا كنز الكعبة وانما كان يكون في بئر جوف الكعبة وكان الذي وجد عنده البكر ذكوى بن مولى بن مليح بن عمرو من خزاعة فقطعت قرىش يده ويزعم الناس ان الذين سرقوه

وضعه عند ذؤيك وكان البحر قد رمى به فيسنة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فاعدوه لتسقيتها وكان
 بمكة رجل قبضي بخارج فيهم ألهم في أنفسهم بهض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يهدي لها كل
 يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانت مما يابون وذلك انه كان لا يدنو منها أحد الا أجزت وكشت وفقت فاعا فكلنا زايها بنونها
 فيدناهي يومنا تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله اليها طائر فاخاطبته فاذن ذهابها فقالت قريش اننا لنرجوان
 يكون الله قد رضى ما أردنا عندنا عليل (٢١٤) رفيق وعندنا خشب وقد كفنا الله الحية فلما أجمعوا أمرهم في خدمتها

وبنايها قام ابن وهب بن عمرو
 ابن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم
 قتل من الكعبة جبرا فوثب
 من يده حتى رجع الى موضعه فقال
 يا معشر قريش لا تدخلوا في
 بنيانها من كسبكم الاطبا
 لا يدخل فيها هربغي ولا بيع ربا
 ولا مظلة أحد من الناس قال
 ابن اسحق والناس ينتهون هذا
 الكلام للوليد بن المغيرة بن
 عبد الله بن عمرو بن مخزوم قال ثم
 ان قريشا تجزأت الكعبة فكان
 شق الباب لبني عبد مناف وزهرة
 وكان ما بين الركن الاسود والركن
 اليماني لبني مخزوم وقبائل من
 قريش انضموا اليهم وكان ظهر
 الكعبة لبني جهم وسهم وكان شق
 الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبن
 أسد بن عبد العزى بن قصي وابني
 عدى بن كعب بن اوى وهو الخطيم
 ثم ان الناس هابوا خدمتها وفرقوا
 منه فقال الوليد بن المغيرة أنا
 ابدؤكم في خدمتها فأخذ المعول ثم
 قام عليها وهو يقول اللهم لم ترع
 اللهم اننا لنريد الانخير ثم خدم
 من ناحية الركنين فتربص الناس

استثناء مفرغ من أهم العام وقيل منقطع ومعناه يتركز النصف الذي يجب لهن
 على الأزواج وروى عن محمد بن كعب القرظي انه قال الا ان يعفون يعني الرجال وهو
 ضعيف لفظا ومعنى (أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح) معطوف على محل قوله الا أن
 يعفون لان الاول مبنى وهذا معرب قيل هو الزوج وبه قال جبير بن مطعم وسعيد بن
 المسيب وشرح وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي وعكرمة ونافع وابن سيرين والضحك
 ومحمد بن كعب القرظي وجابر بن زيد وأبو مجزأ والربيع بن أنس وأياس بن معاوية
 ومكحول ومقاتل بن حيان وهو الجديدي من قول الشافعي وبه قال أبو حنيفة وأصحابه
 والثرثري وابن شبرمة والاوزاعي ورجح ابن جرير وفي هذا القول قوة وضعف أما قوله
 فلكون الذي بيده عقدة النكاح حقيقة هو الزوج لانه الذي اليه رفعه بالطلاق وأما
 ضعفه فلكون العفو منه غير معقول وما قولوا به من ان المراد يعفوه ان يعطيه المهر كاملا
 غير ظاهر لان العفو لا يطلق على الزيادة وقيل المراد بقوله أو يعفوا الذي بيده عقدة
 النكاح هو الولي وبه قال النخعي وعلمة والحسن وطاوس وعطاء وأبو الزناد وزيد بن
 أسلم وربيعة والزهرى والاسود بن يزيد والشعبي وقلة ومالك والشافعي في قوله القديم
 وفيه قوة وضعف أما قوله فلكون معنى العفو فيه معقولا وأما ضعفه فلكون عقدة
 النكاح بيد الزوج لا بيده ومما يزيد هذا القول ضعفا انه ليس للولي أن يعفون عن الزوج
 مما لا يملكه وقد حكى القرطبي الاجماع على ان الولي لا يملك شيئا من مالها والمهر مالها
 فالراجح ما قاله الاولون لوجهين الاول أن الزوج هو الذي بيده عقدة النكاح حقيقة
 الثاني ان عيوبها كمال المهر هو صادر عن المالك المطلق التصرف بخلاف الولي وتسمية
 الزيادة عفو وان كان خلاف الظاهر لكن لما كانت الغالب انهم يسوقون المهر كاملا عند
 العقد كان العفو معقولا لانه لو كله لم يسترجع النصف منه ولا يحتاج في هذا الى أن
 يقال انه من باب المشاكلة كما في الكشاف لانه عفو معقوبي أي ترك لما يستحق المطالبة به
 الا أن يقال انه مشاكلة أو تغليب في توفية المهر قبل ان يسوقه الزوج (وأن تعفوا أقرب
 للفقوى) قيل هو خطاب للرجال والنساء تغليباً أي وعفو بعضكم أيها الرجال والنساء
 أقرب للفقوى أي من عدم العفو الذي فيه التخصيف والمراد بالتقوى الا أنه وطيب
 النفس من الجانبين وعليه قراءة الجمهور بالتاء التوقية وقرأ الشعبي وأبو يونس بك بالياء

ذلك الليلة وقالوا نظر فان أصيب لم يهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء فقد رضى الله ما صنعنا فأصبح التحية
 الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى الاساس أساس ابراهيم عليه السلام أفضوا الى
 حجارة خضر كالأسننة أخذ بعضهم بعضها قال خذني بعض من يروى الحديث ان رجلا من قريش من كان يهدمها أدخل عتلة
 بين حجرين منها يقطع بها أيضا احدهما فلما تحرك الحجر انقضت مكة بأسرها فانتهوا عن ذلك الاساس قال ابن اسحق ثم ان
 القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البناء موضع الركن يعني الحجر الاسود

فاختصوا فيه كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى تحاوروا وتخالقوا وأعدوا للقتال فقررت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدواهم بنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا لعقة الدم فكنت قريش على ذلك أربع ليال أو خسا ثم انهم اجتمعوا في المسجد فقتلوا ورواوا تناصفا وافرغوا عن بعض أهل الرواية ان أبا أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكان عامداً من قريش كلهم قال يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ففعلوا فكان أول داخل (٣١٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما

رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمد فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم الي ثوب فاتي به فاخذ الركن يعني الحجر الاسود فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم ثم بنى عليه وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ينزل عليه الوحي الأمين فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحجة التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها

عجبت لما تصوبت العقاب الى الشعبان وهي لها اضطراب وقد كانت يكون لها كشيش وأحيانا يكون لها وثاب اذا قسا الى التأسيس شدت تهيمنا البناء وقد تهاب فلما أن خشينا الرجز جاءت عقاب تلتب لها انصباب فضمت اليها ثم خلت

الخصبة فيكون الخطاب مع الرجال فقط وفي هذا دليل على ما رجحنا من ان الذي بيده عقدة السكاح هو الزوج لان عقود الولي عن شيء لا يملكه كليس هو أقرب للتقوى بل أقرب الى الظلم والجور والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذي ساق من المهر اليها قبل الطلاق فهو أقرب للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) المعنى أن الزوجين لا ينسبان الفضل من كل واحد منهما على الآخر من جهة ذلك ان تفضل المرأة بالعفو عن النصف ويتفضل الرجل عليها بكل المهر وهو ارشاد للرجال والنساء من الأزواج الى ترك التقصص على بعضهم بعضا والمساحة فيما يستغرقه أحدهما على الآخر لوصلة التي قد وقعت بينهما من افضاء البعض الى البعض وهي وصلة لا تشبهها وصلة فن رعاية حقه ومعرفتها حق معرفتها الحرص منهما على التسامح (ان السبعان يعملون بصير) فيه من ترغيب المحسن وترهيب غيره ما لا يخفى (حافظوا على الصلوات) المحافظة على الشيء المداومة والمواظمة عليه أي داوموا واطبوا على الخس المكتوبات بجميع شرائطها وحدودها واتمام أركانها فاعلموا في أوقاتها المختصة بها ولعل الامر بالصلوات وقع في تضاعيف أحكام الاولاد والأزواج لتأليهمهم الاشتغال بشأنهم عنها (والصلاة الوسطى) الوسطى تأنيث الاوسط وأوسط الشيء ووسطه خياره ومنه قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا ووسط فلان القوم يسطهم أي صار في وسطهم وليست من الوسط الذي معناه متوسط بين شيئين لان فعله دعاءها للتنزيل ولا يني للتنزيل الا ما يقبل الزيادة والنقص والوسط بمعنى العدل والخيار يقبلهما بخلاف المتوسط بين الشيئين فانه لا يقبلهما فلا يني منه أفعل للتنزيل وأفرد الصلاة الوسطى بالذكر بعد دخولها في عموم الصلوات تشريفا لها وقد اختلف أهل العلم في تعيينها على ثمانية عشر قولاً وأوردوها الشوكاني في شرحه للمنتقى وذكر ما نسب به كل طائفة وأرجح لاقوال وأصحها ما ذهب اليه الجمهور ومن انه العصر لما ثبت عند البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم من حديث علي قال كان رها الفجر حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله قبورهم وأجوا فيهم ناراً وأخرج مسلم والترمذي وابن ماجه وغيرهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وأخرجه ابن جرير وابن المنذر والطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وأخرجه البزار بإسناد صحيح من حديث جابر رضي الله

لنا البنيان ليس له حجاب * فقمنا حاشدين الى بناء * لنا منه القواعد والتراب * غداة ترفع التأسيس منه
وليس على مساويها ثياب * أعزبه المليك بنى لؤي * فليس لاصله منهم ذهاب * وقد حشدت هناك بنو عدي
ومر قد تقدمها كلاب * فبوا أنا المليك بذلك عزا * وعند الله يلتمس الثواب * قال ابن اسحق وكانت الكعبة على عهد
النبي صلى الله عليه وسلم ثمانى عشر ذراعاً وكانت تكسى القباطي ثم كسيت بعد البرود أول من كساها الدياج الجلاج بن يوسف (قلت) ولم تزل على بناء قريش حتى احترقت في أول اماره عبد الله بن الزبير بعد سنة ستين وفي آخر ولايته يزيد بن معاوية لما

ما سر وابن الزبير حينئذ نقضها ابن الزبير الى الارض وبنها على قواعد ابراهيم عليه السلام وأدخل فيها الخمر وجعل لها بابا
شرفيا وبابا غير بابا ملحقين بالارض كما جمع ذلك من خاتمة عائشة أم المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل كذلك مدة
امارتها حتى قتلته الخراج فزدها الى ما سكنت عليه بامر عبد الملك بن مروان له بذلك كما قال مسلم بن الحجاج في صحيحه أخيرا
هند بن السري أخبرنا ابن أبي سليمان عن عطاء قال لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاه أهل
الشام فدخل من أمره ما كان تركه ابن (٢١٦) الزبير حتى قدم الناس الموسم يريدان يحزيمهم أو يحجزونهم على أهل الشام فلما

صدر الناس قال يا أيها الناس
أشروا على في الكعبة أن تقضها ثم
أبني بناءها وأصلح ما وهى منها
قال ابن عباس أنه قد خرق لي
رأى فيها أرى أن تصلح ما وهى منها
وتدع بيتا أسلم الناس عليه وأجارا
أسلم الناس عليه وأبعث عليها النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ابن
الزبير لو كان أحدهم احترق بيته
مارضى حتى يجده فكيف بيت
ربكم عز وجل أني مستخبر ربي
ثلاثا ثم عازم على أمرى فلما مضت
ثلاثا أجمع رأيه على أن يقضها
فحماها الناس أن ينزل بأول
الناس يصعد فيه أمر من السماء
حتى صعد رجل فألقى منه حجارة
فلما لم يره الناس أصابه شيء فتابعوا
فنقضوه حتى بلغوا به الارض
فجعل ابن الزبير عمدة يستر عليها
الستور حتى ارتفع بناؤه وقال
ابن الزبير اني سمعت عائشة رضی
الله عنها تقول ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لولا ان الناس
حديث عهدهم بكفر وليس عندي
من النفقة ما يقويني على بناءه
لكنني أدخلت فيه من الخرج خمسة

وأخرجه أيضا البزار بسند صحيح من حديث حذيفة مرفوعا وأخرجه الطبراني بإسناد
ضعيف من حديث أم سلمة مرفوعا وورد في تعيين أن العصر من غير ذكر يوم الاحزاب
أحاديث مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذه أحاديث مرفوعة بانها العصر
وقدر وى عن الصحابة في تعيين أن العصر آثار كثيرة وفي الثابت عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم ما لا يحتاج معه الى غيره وأما ما روى عن علي وابن عباس أنهما قالاهما صلاة
الصبح كما أخرجه مالك في الموطأ عنهما وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس وكذلك غيره
عن ابن عمر وأبي امامة فمكل ذلك من أقوالهم وليس فيها شيء من المرفوع الى النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ولأنهم يعمل ذلك حجة لاسيما اذا عارض ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم بثبوت ما يمكن أن يدعى فيه التواتر واذا لم تقم الحجة بأقوال الصحابة لم تقم بأقوال من بعدهم
من التابعين وتابعيهم بالاولى وهكذا لا تقوم الحجة بما أخرجه ابن أبي حاتم بإسناد حسن
عن ابن عباس أنه قال صلاة الوسطى المغرب وهكذا الاعتبار بما ورد من قول جماعة من
الصحابة أنهما الظهر وغيرهما من الصلوات ولكن المحتاج الى إمعان نظر وفحص ما ورد
مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما فيه دلالة على أنهما الظهر كما أخرجه ابن
جرير عن يزيد بن ثابت مرفوعا أن الصلاة الوسطى صلاة الظهر ولا يصح رفعه بل المروى
عن زيد ذلك من قوله واستدل على ذلك بان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي
بالحاجرة وكانت أثقل الصلاة على أصحابه وأين يقع هذا الاستدلال من تلك الأحاديث
الحججة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهكذا الاعتبار بما روى عن ابن عمر
من قوله أنهما الظهر وكذلك ما روى عن عائشة وأبي سعيد الخدري وغيرهم فلا حجة في قول
أحمد مع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأما ما رواه عبد الرزاق وابن جرير
وغيرهما أن حفصة قالت لابي رافع مولاهما وقد أمرته أن يكتب لهما مصحفا اذا أتيت على
هذه الآية حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فتعال حتى أمليها عليك فلما بلغ ذلك
أمرته أن يكتب حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وأخرجه أيضا
عن مالك وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي في سننهم وزادوا وقالت أشهد اني سمعتهم من
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخرج مالك ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن أبي
يونس مولى عائشة وفيه قالت سمعتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك روى

أدرك ولجعلت له بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه قال فانا أجد ما تنفق وإنه أخاف الناس قال فزاد فيه
خمس أدرك من الخرج حتى أبدله أناسا نظر الناس اليه فبني عليه البناء وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعا فلما زاد فيه استقصه فزاد
في طوله عشرة أدرك وجعل له بابين أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه فلما قتل ابن الزبير كتب الخراج الى عبد الملك يستخيره
بذلك ويخبره ان ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر اليه العدو من أهل مكة فمكتب اليه عبد الملك ان السنان تلتج ابن
الزبير في شيء أماما زاده في طوله فأقره وأماما زاد فيه من الخرج فزاده الى بناءه وسد الباب الذي فتحه فبقضه وأعادته الى بناءه وقدره

النسائي في سننه عن هناد عن يحيى بن أبي زائدة عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء عن ابن الزبير عن عائشة بالمر فخرج منه ولم يذكر
 القصص وقد كانت السنة اقرا ما فعله عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم الا انه هو الذي وده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن خشى
 ان تنكره قلوب بعض الناس لحدائثه عهدهم بالاسلام وقرب عهدهم من الكفر ولكن خفيت هذه السنة على عبد الملك بن مروان
 ولهذا لما تحقق ذلك عن عائشة انها روت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال زدنا انما ركاها وما تولى كما قال مسلم حدثني محمد
 ابن حاتم حدثنا محمد بن بكر اخبرنا ابن جريح سمعت عبد الله بن عبيد (٣١٧) بن عير والوليد بن عطاء سمعت ثمان عن

عن أم سلمة انها قالت كما قالت حفصة وعائشة فغاية ما في هذه الروايات عن أمهات
 المؤمنين الثلاث انهن يروين هذا الحرف هكذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 وليس فيه ما يدل على تعيين الصلاة الوسطى انها الظهر أو غيرها بل غاية ما يدل عليه عطف
 صلاة العصر على الصلاة الوسطى انها غيرها لان المعطوف غير المعطوف عليه وهذا
 الاستدلال لا يعارض ما ثبت عند صلى الله عليه وآله وسلم ثبوتها لا يدفع انها العصر كما
 قدمنا بيانه فالجواب ان هذه القراءة التي نقلها أمهات المؤمنين الثلاث باثبات قوله
 وصلاة العصر معارضة بما أخرجه ابن جريح عن عروة قال كان في مصحف عائشة حافظوا
 على الصلوات والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر وأخرج وكيع عن حميدة قالت قرأت
 في مصحف عائشة والصلاة الوسطى صلاة العصر وفي الباب روايات فلهذه الروايات
 تعارض تلك الروايات باعتبار التلاوة ونقل القراءة ويبقى ما صح عن النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم من التعمين صافيا عن شوب كدرا معارضة على انه قد ورد ما يدل على نسخ ذلك
 القراءة التي نقلتها حفصة وعائشة وأم سلمة فأخرج عبد بن حميد ومسلم وأبو داود في ناسخه
 وابن جرير والبيهقي عن البراء بن عازب قال نزلت حافظوا على الصلوات وصلاة العصر
 فقرأنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما شاء الله ثم نسخها فأمر أن لا يقرأ
 على الصلوات والصلاة الوسطى فقبل له هي اذا صلاة العصر قال قد حدثتكم كيف نزلت
 وكيف نسخها الله والله أعلم اذا تقررت لك هذا وعرفت ماساة ما تبين لك انه لم يرد ما يعارض
 ان الصلاة الوسطى صلاة العصر وأما حجج بقية الاقوال فليس فيها شيء مما ينبغي
 الاشتغال به لانه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك شيء وبعض القائلين
 عزّل على أمر لا يعول عليه فقل انها صلاة كذا لانها وسطى بالنسبة الى أن قبلها
 كذا من الصلوات وبعد هذا كذا من الصلوات وهذا الرأي المحض والتخمين الجحت
 لا ينبغي ان تستند اليه الاحكام الشرعية على فرض عدم وجود ما يعارضه عن رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يصح وجود ما هو في أعلى درجات الصحة والقوة
 والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالله العجب من قوم لم يكتفوا
 بتقصيرهم في علم السنة واعراضهم عن خير العلوم وأنعمها حتى كانوا أنفسهم التسكلم
 على أحكام الله والتجبر على تفسير كتاب الله بتغير علم ولا هدى فجاءوا بما يضل منه تارة

الحرف بن عبد الله بن أبي ربيعة قال
 عبد الله بن عبيد وقد الحرف بن
 عبد الله بن عبد الملك بن مروان
 في خلافة فقال عبد الملك ما أظن
 أحبيب بعنى ابن الزبير سمع من
 عائشة ما كان يزعم انه سمع منها
 قال الحرف بلى أنا سمعته منها قال
 سمعتها تقول ماذا قال قالت قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
 قومك استقصروا من بنيان
 البيت ولولا حدائث عهدهم
 بالشرك أعدت ما تركوا امنه فان
 بد القومك من بعدى أن ينهوه
 فهلم لا ترك ما تركوا امنه فأراها
 قريبا من سبعة أذرع هذا حديث
 عبد الله بن عبيد بن عير وزاد عليه
 الوليد بن عطاء قال النبي صلى الله
 عليه وسلم ولعلت لها بابين
 موضوعين في الارض شرقيا
 وغربيا وهل تدريين لم كان قومك
 رفعوا بابها قالت قلت لا قال
 تعززا أن لا يدخلها الا من أرادوا
 فكان الرجل اذا هو أراد أن
 يدخلها يدعونه حتى يرتقى حتى اذا
 كاد أن يدخل دفعوه ففسقوا قال
 عبد الملك فقلت للحرف أنت سمعتها
 تقول هذا قال نعم قال فذكرت

ساعة بعد ما تم قال وددت اني تركت وما تحصل قال مسلم وحدثناه محمد بن عمرو بن جبلة حدثنا أبو عاصم ج وحدثنا عبد بن حميد
 أخبرنا عبد الرزاق كلاهما عن ابن جريح هذا الاسناد مثل حديث أبي بكر قال وحدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبد الله بن بكر السهمي
 حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن أبي ذرعة ان عبد الملك بن مروان ينهاه يطوف بالبيت اذ قال قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على
 أم المؤمنين يقول سمعتها تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة لا تحدثان قومك بالكفر لتقصن الكعبة حتى أزيد فيها
 من الخمر فان قومك قصر وافي البناء فقال الحرف بن عبد الله بن أبي ربيعة لا تقل هذا يا أم المؤمنين فاني سمعت أم المؤمنين تحدث

هذا قال لو كنت سمعته قبل ان آهدهم لتركته على ما بيني وبين الزبير فهذا الحديث كلقطوعه الى عائشة لانه قد روى عنها من طرق صحيحة متعددة عن الاسود بن يزيد والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن محمد بن أبي بكر وعروة بن الزبير فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير فلو تركه لكان جيدا ولكن بعد ما رجح الامر الى هذا الحال فقد ذكر بعض العلماء ان يغير عن حاله كذا عن أمير المؤمنين هرون الرشيد وأبيه المهدي انه سأل الامام مالكا عن هدم الكعبة وزدها الى ما فعله ابن الزبير فقال له مالكا يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله (٣١٨) لمعبة للملوك لا يشاء أحد ان يهدمها الا هدمها فترك ذلك الرشيد فله عياض والنوى ولا تزال والله أعلم هكذا

الى آخر الزمان الى أن يخرج بها ذو السويقتين من الحبشة كما ثبت ذلك في الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة أخرجاه وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كاني به أسود أفحج يلقها جرجا رواء البخاري وقال الامام أحمد بن حنبل في مسنده أخبرنا أحمد بن عبد الملك الحراني أخبرنا محمد بن سلمة عن ابن اسحق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليتها ويجرداها من كسوتها ولما كاني أنظر اليه أصيلع أفيدع بضرب عليها بسمحاته ومعوله الفسد زبيخ بين القدم وعظم الساق وهذا والله أعلم انما يكون بعد خروج يأجوج ومأجوج لما جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري

ويكي منه أخرى قال الخازن وأصبح الاقوال كلها أنها العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله أعلم انتهى وقيل صلاة الخبازة وقيل صلاة الجمعة وكلها أقوال ضعيفة ليس عليها آثار من علم (وقوموا لله قانتين) القنوت قيل هو الطاعة أي قوموا في صلاتكم طائعين قاله جابر بن زيد وعطاء وسعيد بن جبير والضم والشافعي وقيل هو الخشوع قاله ابن عمر ومجاهد وقيل هو الدعاء وبه قال ابن عباس وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قنت شهر اريد عو على رعل وذ كوان وقال قوم ان القنوت طول القيام وقيل معناه سأكبتين قاله السدي ويدل عليه حديث زيد بن أرقم في الصحيحين وغيرهما قال كان الرجل يكلم صاحبه في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحاجة في الصلاة حتى نزلت هذه الآية وقوموا لله قانتين فأمر نبال السكون وقيل أصل القنوت في اللغة الدوام على الشيء فكل معنى يناسب الدوام يصح اطلاق القنوت عليه وقد ذكر أهل العلم أن القنوت ثلاثة عشر معنى وقد ذكرها الشوكاني في شرح المنتقى وذكرنا في شرح بلوغ المرام والمتعين ههنا حمل القنوت على السكون للحديث المذكور وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ان في الصلاة لشغلا وفي صحيح مسلم وغيره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس انما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن وقد اختلفت الاحاديث في القنوت المعطى عليه هل هو قبل الركوع أو بعده وهل هو في جميع الصلوات أو بعضها وهل هو مختص بالنوازل أم لا والراجح اختصاصه بالنوازل وقد أوضح الشوكاني ذلك في شرحه للمنتقى فليرجع اليه (فان خفتم فرجلا أو رجلا) الخوف والفرع والرجل جمع رجل أو راجل من قولهم رجل الانسان يرجل رجلا اذا عدم المركوب ومشى على قدميه فهو رجل ورجل يقال له رجل اذا خاف رجلا فلان الى بيت الله حافيا رجلا حكاها ابن جرير الطبري وغيره ويجمع على رجل ورجلة قاله جعفر بن المعنى الماشي له ثلاثة جوع والركبان جمع راكب قيل لا يطلق الا على راكب الابل ويقال لمن ركب الجار والبغل جارا وبغال والاجود صاحب جمار وبغل وهذا بحسب اللغة والمراد بها غنما يبيع الكل لما ذكرنا الله سبحانه الامر بالمحافظة على الصلوات ذكر حالة الخوف انهم يصنعون فيها ما يتكتمهم ويدخل تحت طوقهم من المحافظة على الصلاة بقولها

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحجن البيت وليعتمر بعد خروج يأجوج ومأجوج حال وقوله تعالى حكاية لدعاء ابراهيم واسماعيل عليه السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأزنا مناسكا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم قال ابن جرير يعنيان بذلك واجعلنا مسلمين لا همك خاضعين لطاعتك لا نشر لك معول في الطاعة أحد اسواك ولا في العبادة غيرك وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا اسمعيل عن رجا بن حبان الحصري القرشي أخبرنا معقل بن عبيد الله عن عبد الكريم واجعلنا مسلمين لك قال مخلص لك قال مخلصه وقال أيضا أخبرنا علي بن

الحسين أخبرنا المقدمي أخبرنا سعيد بن عامر عن سلام بن ابى مطيع في هذه الآية واجعلنا مسلمين قال كانوا مسلمين ولكنهم ما سألوه الثبات وقال عكرمة بن سناو اجعلنا مسلمين لك قال الله قد فعلت ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال الله قد فعلت وقال السدي ومن ذريتنا أمة مسلمة لك يعنيان العرب قال ابن جرير والصواب انه يعم العرب وغيرهم لان من ذرية ابراهيم بنى اسرائيل وقد قال الله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (قلت) وهذا الذي قاله ابن جرير لا ينفيه السدي فان تخصصهم بذلك لا ينفي من عداهم والسياق انما هو في العرب ولهذا قال بعده ربنا وابعث (٣١٩) فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم

حال الترحيل وحال الركوب وأبان لهم ان هذه العبادة لازمة في كل الاحوال بحسب الامكان وقد اختلف أهل العلم في حد الخوف المبيح لذلك والبحث مستوفى في كتب الفروع قال ابن عباس يصلي الراكب على دابته والراجل على رجليه وعن جابر بن عبد الله قال اذا كانت المسابقة فليوحي برأسه حيث كان وجهه فذلك قوله فرجالا أو ركبانا والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا فأتين موفين حقوق الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو أو غيره فصلوا شاة على أرجلكم أو ركبانا على دوابكم مستقبل القبلة وغير مستقبلها وهذا في حال المقاتلة والمسابقة في وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان أحدهما ان يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الآية وقسم في غير حال القتال وهو المذكور في سورة النساء في قوله واذا كنت فيهم فأقتلهم الصلاة وسياق الكلام عليه في موضعه وفي ايراد هذه الشرطية بكلمة ان المنبئة عن عدم تحقق وقوع الخوف وقلته وفي ايراد الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع اليجاز في جواب الاولى والاطنب في جواب الثانية من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لا ولي الابصار (فأذا أنستم) أى اذا زال خوفكم بعد وجوده أو لم يكن أصلا فارجعوا الى ما أمرتم به من اتمام الصلاة مستقبلين القبلة فأتين بجميع شروطها وأركانها وهو قوله (فأذكروا الله) وقيل معنى الآية خرجتم من دار السفر الى دار الاقامة ودخولكم معنى الآية (كأعلمكم) أى ذكرنا مثل ما علمكم من الشرائع أن يصلي الركاب على دابته والراجل على رجليه والكاف صفة مصدر محذوف أى ذكرنا كما كنا نعلمكم اياكم أو مثل تعليمه اياكم (ما لم تكونوا تعلمون) فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا تعليمه ايانا لم نعلم شيئا ولم نصل الى معرفة شئ قلنا الحمد على ذلك (والدين يتوفون منكم ويذرون أزواجا) أى يقربون من الوفاة اذا المتوفى بالفعل لا يتصور منه وصية وهذا يعود الى بقية الاحكام المفصلة فيما سلف وقد اختلف السلف ومن تبعهم من المنسرين في هذه الآية هل هي بحكمة أو منسوخة فذهب الجمهور الى أنها منسوخة بالاربعة الاشهر والعشر كما تقدم وان الوصية المذكورة فيها منسوخة بما فرض الله له من الميراث وحكى ابن جرير عن مجاهد ان هذه الآية محكمة لا نسخ فيها وان العدة اربعة أشهر وعشر ثم جعل الله له وصية من اسكنى سبعة أشهر وعشرين ليلة فان شئت

الكتاب والحكمة ويزكهم الآية والمراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم وقد بعث فيهم كما قال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم ومع هذا لا ينفي رسالته الى الاجر والاسود لقوله تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وغير ذلك من الادلة القاطعة وهذا الدعاء من ابراهيم واسماعيل عليهم السلام كما أخبر الله تعالى عن عباده المؤمنين في قوله والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما وهذا التدرج غوب فيه شرعا فان من تمام محبة عبادة الله تعالى ان يحب ان يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له ولهذا لما قال الله تعالى لا ابراهيم عليه السلام اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين وهو قوله واجنني وبني أن نعبد الاصنام وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من

ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وأرنا مناسكا قال ابن جرير عن عطاء وأرنا مناسكا أخرجهما لنا علمناها وقال مجاهد أرنا مناسكا سدا جحنا وروى عن عطاء أيضا وقتادة ثم وذلك وقال سعيد بن منصور أخبرنا عتاب بن بشير عن خصف عن مجاهد قال قال ابراهيم أرنا مناسكا فأتاه جبرائيل فأتى به البيت فقال ارفع القواعد فرفع القواعد وأتم البنين ثم أخذ بيده فاخرجه فانطلق به الى الصفا قال هذا من شعائر الله ثم انطلق به الى المروة فقال وهذا من شعائر الله ثم انطلق به نحو منى فلما كان من العقبه إذا ابليس قائم عند الشجرة فقال كبر وارمه فكبر ورماه ثم انطلق ابليس فقام عند الجرة الوسطى فلما

جازه جبريل و ابراهيم قال له كبر وارمه فكبر ورماه فذهب الخبيث ابليس وكان الخبيث أراد أن يدخل في الحج شيئا فلم يستطع
 فأخذ سيد ابراهيم حتى أتى به المشعر الحرام فقال هذا المشعر الحرام فأخذ به ابراهيم حتى أتى به عرفات قال قد عرفت ما أريدك
 قالها ثلاث مرات قال نعم وروى عن أبي مجلز وقتادة نحو ذلك وقال أبو داود الطيالسي أخبرنا حماد بن سلمة عن أبي العاصم
 الغنوي عن أبي الطفيل عن ابن عباس قال ان ابراهيم لما أرى أوامر الناس عرض له الشيطان عند المسعى فسأله ابراهيم ثم
 انطلق به جبريل حتى أتى به منى فقال هذا (٣٢٠) مناخ الناس فلما انتهى الى جرة العقبة تعرض له الشيطان فرماده بسبع

المرأة سكنت في وصيته وان شأته خرجت وقد حكى ابن عطيمة والقاضي عياض أن
 الاجماع منعوا على أن الحول منسوخ وأن عدتها أربعة أشهر وعشر (وصية
 لارواحهم) قرئ بالنصب على تقدير فعل محذوف أي فليوصوا وصية أو أوصى الله وصية
 أو كتب الله عليهم وصية وقرئ بالرفع ومعناه وصية الذين يتوفون وصية أو حكم الذين
 يتوفون وصية والمعنى فيجب عليهم أن يوصوا لارواحهم بثلاثة أشياء النفقة والكسوة
 والسكنى وهذه الثلاثة تستمر سنة وحينئذ يجب على الزوجة ملازمة المسكن وترك التزين
 والاحداد هذه السنة (متاعا الى) تمام (الحول) أي متعوهن متاعا أو جعل الله لهن
 ذلك متاعا والمتاع هنا نفقة السنة والمعنى انه يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل
 نزول الموت بهم لازواجهن أن يعتن بعدهم حولا كاملا بالنفقة والسكنى من تركتهم
 (غير اخراج) أي لا يخرجن من مساكنهن (فان خرجن) باختيارهن قبل الحول (فلا
 جناح) ولا حرج (عليكم) أي على الولي والحاكم (فيما أعلن في انفسهن) من التعرض
 للخطاب والتزين لهن وترك الاحداد (من معروف) أي بما هو معروف في الشرع غير
 منكرو فيه دليل على أن النساء كن يخبرات في سكنى الحول وليس ذلك بحتم عليهن وقيل
 المعنى لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن وهو ضعيف لأن متعلق الجناح هو ما كور في
 الآية بقوله فيما أعلن (والله عزيز) أي غالب قوى في انتقامه ممن خالف أمره ونهيه
 وتعدى حدوده (حكيم) فيما شرعه من الشرائع وبين من الاحكام (ولله مطلقات متاع
 بالمعروف) قد اختلف المفسرون في هذه الآية فتبين هي المتعة وانها واجبة لكل
 مطلقة وقيل ان هذه الآية خاصة بالثيبات اللواتي قد جو معن لانه قد تقدم قبل هذه
 الآية ذكر المتعة واللواتي لم يدخل بهن الا زواج وقد قدمنا الكلام على هذه المتعة
 والخلاف في كونها خاصة بطلقت قبل البناء والتعرض أو عامة لانه مطلقات وقيل ان هذه
 الآية شاملة للمتعة الواجبة وهي متعة المطلقة قبل البناء والفرض وغير الواجبة وهي
 متعة سائر المطلقات فانها مستحبة فقط وقيل المراد بالمتعة هنا النفقة (حقا على المتقين)
 يعني الذين يتقون الشرك (كذلك بين الله لكم آياته) أي ما يلزمكم وينزلهم أزواجكم
 والذي يجب لبعضكم على بعض (عليكم تعقاون) أي لكي تعقوا ما بينت لكم من
 الفرائض والاحكام وما فيه صلاح دينكم ودنياكم (ألم ترائي الذين خرجوا من ديارهم)

حصيات حتى ذهب ثم أتى به الى
 الجرة الوسطى فعرض له الشيطان
 فرماده بسبع حصيات حتى ذهب ثم
 أتى به الى الجرة القصوى فعرض له
 الشيطان فرماده بسبع حصيات حتى
 ذهب فأتى به جعة فقال هذا المشعر
 ثم أتى به عرفة فقال هذه عرفة
 فقال له جبريل أعرفت (ربنا
 وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم
 آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
 ويركبههم انك أنت العزيز الحكيم)
 يقول تعالى اخبارا عن تمام دعوة
 ابراهيم لاهل الحرم ان يبعث الله
 فيهم رسولا منهم أي من ذرية
 ابراهيم وقد وافقت هذه الدعوة
 المستجابة قدر الله السابق في تعيين
 محمد صلوات الله وسلامه عليه
 رسولا في الاميين اليهم والى سائر
 الاجميين من الانس والجن كما
 قال الامام احمد أخبرنا عبد الرحمن
 ابن مهدي عن معاوية بن صالح عن
 سعيد بن سويد الكلبي عن عبد
 الاعلى بن هلال السلمي عن
 العرياض بن سارية قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
 عند الله لخاتم النبيين وان آدم

لم يجد في طينته وسأبشكم باول ذلك دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بي وروايتي التي رأيت وكذلك أمهات الاستفهام
 النبيين يرين وكذلك رواه ابن وهب والبيهقي وكاتبه عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح وتابعه أبو بكر بن أبي مرزوق عن سعيد بن
 سويد بن وهب وقال الامام احمد أيضا أخبرنا أبو النضر أخبرنا الفرج أخبرنا القمان بن عامر قال سمعت أبا امامة قال قلت يا رسول الله
 ما كان اول بدء أمرك قال دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى بي ورأت أمي انه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام والمدار ان
 أول من فوه بكروه وشهره في الناس ابراهيم عليه السلام ولم يزل ذكره في الناس مذ كورام شهر ورايسا راحتي أفصح باسمه خاتم أنبياء

بنى اسرائيل نسباً وهو عيسى بن مريم عليه السلام حيث قام في بنى اسرائيل خطيباً وقال انى رسول الله اليكم مصداق لما بين يدي من التوراة ومبشر برسول يأتى من بعدى اسمه أجد ولهذا قال في هذا الحديث دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى بن مريم وقوله ورأت أمى انه خرج منها نوراً ضاعت له قصور الشام قيل كان مناماً رآته حين جلت به وقصته على قومها فاشاع فيهم واشتهر بينهم وكان ذلك نوطاً وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة الى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام ولهذا يكون الشام فى آخر الزمان معقلاً للاسلام وأهله وبها ينزل عيسى بن مريم اذا نزل بمشق بالمنازة الشرقية (٢٢١) اليه ناء منها ولهذا جاء فى الصحيحين لآزال

طائفة من أمى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك وفى صحيح البخارى وهم بالشام قال أبو جعفر الرازى عن الربيع ابن أنس عن أبى العباس فى قوله ربنا وابعث فيهم رسلاً منهم يعنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقبل له قد استحب لك وهو كائن فى آخر الزمان وكذا قال السدى وقسادة وقوله تعالى ويعلمهم الكتاب يعنى القرآن والحكمة يعنى السنة قاله الحسن وقسادة ومقاتل بن حيان وأبو مالك وغيرهم وقيل انهم فى الدين ولا منافاة بين كيم قال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى طاعة الله والاخلاص وقال محمد ابن اسحق ويعلمهم الكتاب والحكمة قال يعلمهم الخير فيمنعهم والشر فيستقوه ويخبرهم بربا الله عنهم اذا أطاعوه لست تكثروا ومن طاعته ويحتموا ما بسخطه من معصيته وقوله انك أنت العزيز الحكيم أى العزيز الذى لا يهجزه شئ وهو قادر على كل شئ الحكيم فى أفعاله وأقواله فيضع الأشياء فى

الاستفهام هنا التقرير والرؤية المدكورة هى رؤية القلب لارؤية البصر والمعنى عند سيويته تنبه الى أمر الذين خرجوا ولا يحتاج هذه الرؤية الى منعواين كذا قيل وحاصله أن الرؤية هنا التى يعنى الادراك مضممة معنى التنبيه ويجوز ان تكون مضممة معنى الانتهاء أى ألم ينته علمك اليهم أو معنى الوصول أى ألم يصل علمك اليهم ويجوز ان تكون معنى الرؤية البصرية أى ألم تنظر الى الذين خرجوا وهم قوم من بنى اسرائيل جعل الله سبحانه قصة هؤلاء لما كانت بمكان من الشيع والسبع والشهيرة يحمل كل أحد على الاقرار بها بمنزلة المعروفة لكل فرداً والمبصرة لكل مبصر لان أهل الكتاب قد أخبروا بها ودونوها وأشهرها وأمرها والخطاب هنا لكل من يصلح له والكلام جار مجرى المثل فى مقام التعجب ادعاء لظهور وجهه وجلاله بحيث يستوى فى ادراكه الشاهد والغائب قاله السعدى التفتازانى وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة والعموم أولى (وهو الوف) قيل ثلاثة آلاف أو أربعة وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون ألفاً وقيل أربعون ألفاً وقيل سبعون ألفاً وأصح الاقوال قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الالوف من جوع الكثرة وحقيقته ما فوق العشرة قاله القرطبي فدل على أنهم الوف كثيرة وجع القليل آلاف وقيل جمع الف أو ألف كقاعدة وقعود والمعنى مؤتلفون والاول أولى والوالوالحال (حذر الموت) أى مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم أميروا بالجهاد ففترروا منه وحذر الموت (فدل لهم الله موتاً) أمر تكوين وتحويل وهو عبارة عن تعاقب ارادته بموتهم دفعة أو تمثيل لآلامه سبحانه اياهم ميتة نفس واحدة كأنهم أمروا فاطوا عواظنا (ثم أحياهم) يعنى بعد موتهم بدعائهم خريفى بعد ثمانية أيام أراً كثره ماشوا راعاهم أثر الموت لا يلبثون ثوباً الاعاد كالكنف واسمى فى أسباطهم (ان الله ذو فضل) التذكير للتعظيم أى لذو فضل عظيم (على الناس) جميعاً فيجب عليهم شكره أما هؤلاء الذين خرجوا فليكونه أحياهم ليعتبروا وأما الخاطبون فليكونه قد أرشدهم الى الاعتبار والاستبصار بقصة هؤلاء قال ابن عباس كانوا أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون وقالوا نأتى أرضاً ليس بها موت حتى اذا كانوا بموضع كذا وكذا قال لهم الله موتوا فماتوا فخرعهم نبي من الانبياء فدعاه به أن يحييهم حتى يعبدوه فاحياهم وان القرية التى خرجوا منها اوردان قيل هو خريفى ويقال له ابن الجوزى ويقال له

(٤١ - فتح البستان ل) محالها العلم وحكمته وعدله ومن يرغب عن مله ابراهيم الامن سفته نفسه ولقد اصطفاه فى الدنيا وانه فى الآخر لمن الصالحين اذ قال له رب أسألك رب العالمين ووصى بها ابراهيم نبيه ويعقوب ابني ان الله اصطفى ليكم الذين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) يقول تبارك وتعالى رد على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله المخالف لملة ابراهيم الخليل امام الحنفاء فانه جرد توحيده به تبارك وتعالى فلم يدع معه غيره ولا أشرك به طرفه عين وتبرأ من كل معبود سواه وخالف فى ذلك سائر قومه حتى تبرأ من أيه فقال يا قوم انى برى عما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا

وهو في الآخرة من الصالحين
السعداء فمن ترك طريقته هذا
ومسلكه وملته واتبع طرق الضلالة
والغنى فأى سفه أعظم من هذا أم
أى ظلم أكبر من هذا كما قال تعالى
ان الشرك لاطلم عظيم قال أبو
العالية وقتادة تزالت عنه الآية في
اليهود أحدثوا طريقا ليست من
عند الله وخالفوا مله إبراهيم فيما
أحدثوه ويشهد لهذا القول
قول الله تعالى ما كان إبراهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكنه كان
حنيفا مسلما وما كان من المشركين
ان أولى الناس بإبراهيم للذين
اتبعوه وهذه النبي والذين آمنوا
والله ولي المؤمنين * وقوله تعالى اذ
قال لربى أسلم قال أسلمت لرب
العالمين أى أمره الله تعالى
بالإخلاص له والاستسلام
والانقياد فأجاب الى ذلك شرعا
وقدرا * وقوله ووصى به إبراهيم بنيه
ويعقوب اى وصى بهذه الملة وهى
الاسلام لله أو يعود الضمير على
الكلمة وهى قوله أسلمت لرب
العالمين لحرضهم عليه ومحبتهم لها
حافظوا علم الى حين الوفاة ووصوا

أبناءهم بهامن بعدهم كقوله تعالى و
على بنيه كان اراهيم وصى بنيه وابن
انما ولد بعد وفاة ابراهيم ومحتاج شل
وقعت بهم في قوله فبشرناها باسحق
حياتهم لما كان اذ كره من بين ذرية

أبناءهم بهم من بعدهم كقوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه وقد قرأ بعض السلف ويعقوب بالصواب عطا . تسقى
على بنيه كان إبراهيم وصى بنيه وابن ابنه يعقوب بن اسحق وكان حاضر اذ لا وقد ادعى التشي ري فيما حكاه القرطبي عنه ان يعقوب
انما ولد بعد وفاة ابراهيم ويحتاج مثل هذا الى دليل صحيح والطاهر والله أعلم ان اسحق ولد له يعقوب في حياة الخليل وسارة لان البشارة
وقعت بهما في قوله فبشرناهما باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وقد قرئ بنصب يعقوب ههنا على نزع الخافض فالولم يوجد يعقوب في
حياتهم لما كان لذكرك من بين ذرية اسحق كبير فائدة وأيضا فقد قال الله تعالى في سورة العنكبوت ووهبنا له اسحق ويعقوب

وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب الآية وقال في الآية الاخرى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وهذا يقتضي انه وجد في حياته
وايضافه يأتي بيت المقدس كما طقت بذلك الكتب المتقدمة وثبت في الصحيحين من حديث أبي ذر قال يا رسول الله أي مسجد
وضع أول قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال بيت المقدس قلت ثم أي قال أربعون سنة الحديث فزع ابن حبان ان بين سليمان
الذي اعتقده ان يأتي بيت المقدس وانما كان جدده بعد خرابه وزخر فهو بين ابراهيم أربعين سنة وهذا ما أنكر على ابن حبان فان
المدة بينهم ما تزيد على ألوف سنين والله أعلم وايضا فان وصية يعقوب لبنيه (٣٢٣) سيأتي ذكرها قريبا وهذا يدل على أنه ههنا

من جملة الموصين * وقوله يأتي ان الله
اصطفى لكم الدين فلا تفترون
الا وانتم مسلمون اي احسنوا في
حال الحياة والزوا هذا البرزقكم
الله الوفاة عليه فان المريموت غالبا
على ما كان عليه ويبحث على
مامات عليه وقد أجرى الله الكريم
عاده بان من قصص الخير وقوله
ويسر عليه ومن نوى صالحا ثبت
عليه وهذا لا يعارض ما جاء في
الحديث الصحيح ان الرجل
ليعمل بعمل أهل الجنة حتى
ما يكون بينه وبينها ابرص او ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل
أهل النار فيدخلها وان الرجل
ليعمل بعمل أهل النار حتى
ما يكون بينه وبينها ابرص او ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل
أهل الجنة فيدخلها لانه قد جاء في
بعض روایات هذا الحديث ليعمل
بعمل أهل الجنة فيما يريد وللناس
وبعمل أهل النار فيما يريد وللناس
وقد قال الله تعالى فأما من أعطى
واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
للسرى وأما من بخل واستغنى
وكذب بالحسنى فسنيسره

تسنى قال يارب كيف أسقيك وانت رب العالمين قال استسقا لعبدى فلان فلم تسقه أما
انك لوسيت له لو جددت ذلك عندي وكذا فيما قبله أخرجه مسلم والبخاري وهذا كله خرج
مخرج انتشاره فلان كنى عنه ترغيبا لمن خوطب به وقوله حسنا أي طيبة به نفسه من
دون من ولا أذى وقيل محتسبا وقيل هو الانفاق من المال الحلال في وجوه البر وقيل
هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا سمعة وقد اختلف في تفسير هذا التضعيف
على أقوال وقيل لا يعلمه الا الله وحده قاله السدي وهذا هو الاولى وانما أبهم الله ذلك
لان ذكر الميم في باب الترغيب أقوى من ذكر المجدود وقيل الى سبع مائة ضعف وقيل
غير ذلك وأخرج الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية
قال أبو الدحداح الانصاري يا رسول الله ان الله يريد منا القرض قال نعم قال أرنى يدك
يا رسول الله فناول يده قال فاني قد أقرضت ربي حائطي وله فيه سقائة نخلة وقد أخرج
هذه القصة جماعة من المحدثين وأخرج أحمد وابن المنذر من حديث أبي هريرة وفيه قال
والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله يضاعف
الحسنة ألفي ألف حسنة وأخرج ابن حبان في صحيحه والبيهقي وغيرهما عن ابن عمر قال
لما نزلت مثل الذين يتفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل الى
آخرها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رب زد أمتي فزت من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا فضاعفه لأضعافا كثيرة قال رب زد أمتي فزت انما يوفي الصابرون أجرهم
بغير حساب وأخرج ابن المنذر عن سفيان قال لما نزلت من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رب زد أمتي فزت من ذا الذي يقرض الله قال
رب زد أمتي فزت مثل الذين يتفقون أموالهم قال رب زد أمتي فزت انما يوفي الصابرون
وفي الباب أحاديث هذه أحسنها (والله يشبض ويبسط) حسبما تقتضيه مشيئته المنة
على الحكيم والمصالح فلا تخلو عليه بما وسع عليكم كيلا تبدل أحوالكم ولعل تأخير
البسط عن القبض في الذكر للإيماء الى انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء هذا عام في كل
شيء فهو التناض الباسط والقبض التقيير والبسط التوسيع وفيه وعيد بان من بخل من
البسط يوشك ان يبذل بالقبض ولهذا قال (والله ترجعون) أي هو يجازيكم بما قدمتم
عند الرجوع اليه فان أنفقتم مما وسع به عليكم أحسن اليكم وان بخلتم عاقبكم وعن

لعسرى (أم كنتم عمداء) ان حضر يعقوب الموت اذ قال لنيه ما تعدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آباءك ابراهيم واسماعيل
واسحق اله واحد ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لهما ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون يقول
نعالى محتجا على المشركين من العرب أبناء اسمعيل وعلى الكفار من بنى اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام
بان يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له فقال لهم ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك
واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق وهذا من باب التغليب لان اسمعيل عمه قال النحاس والعرب تسمى العم أبا فله القرطبي

وتد استدله هذه الآية الكريمة من جعل الجنة أبوابا وجب به الاخوة كما هو قول الصدوق حكاية البخاري عنه من طريق ابن عباس وابن الزبير ثم قال البخاري ولم يختلف عليه واليه ذهب عائشة أم المؤمنين وبه يقول الحسن البصري وطاوس وعطاء وهو مذهب أبي حنيفة وغير واحد من السلف والخلف وقال مالك والشافعي وأحمد في المشهور وعنه انه يقاسم الاخوة وحكي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وجماعة من السلف والخلف واختاره صاحب أبي حنيفة القاضي أبو يوسف وجمعة من الحسن ولتقرر خامس موضع آخره وقوله اليها واحدا (٢٢٤) أي نوحده بالالوهية ولا نشرك به شيئا غيره ونحن له مسابون أي

مطمعون خاضعون كما قال تعالى وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون والاسلام هو مله الانبياء طائفة وان تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون والايات في هذا كثيرة والا حديث فتم ا قوله صلى الله عليه وسلم نحن معشر الانبياء اولاد علات ديننا واحد وقوله تعالى تلك أمة قد خلت أي مضت ليها ما كسبت ولكم ما كسبتم أي ان السلف الماضين من آبائكم من الانبياء والصالحين لا ينفعكم اتسابكم اليهم اذ لم تنفعوا خيرا يعود نفعه عليكم فان لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم ولا تسألون عما كانوا يعملون وقال أبو العالية والربيع وقتادة تلك أمة قد خلت يعني ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ولهذا جاء في الاثرين أنباء به لم يسرع به نسب (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان

قتادة يقبض الصدقة ويسط قال يخلف واليه ترجعون قال من التراب والى التراب تعودون وعن ابن زيد قال علم الله فيمن يتأق في سبيل الله من لا يجد قوة وفين لا يتأق في سبيل الله فندب هؤلاء الى القرض فقال من ذا الذي يقرض الله قال يسط عليك وأنت تنبل عن الخروج لا تريدوه يقبض عن هذا وهو بطيب نفس بالخروج ويخلف له فتقوه مما يبذل يكن لك الحافظ وقيل المعنى ان الله يقبض بعض التسلوب حتى لا تقدر على الاتفاق في الطاعة وعمل الخير ويسط بعض التسلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والاتفاق في البر وعن ابن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان تلوب بن آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم الله عليه وآله وسلم لم الله مصرف التلوب ثبت قلبه على طاعتك أخرجه مسلم وهذا الحديث من أحاديث الصفات التي يجب الايمان بها وامرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل ولا تأويل وبهذا قال سلف هذه الامم وانتمها (الم تراءى الامم من بني اسرائيل) الكلام فيه كال كلام في قوله ألم تراءى الذين خرجوا من ديارهم وقد قدمناه والملائ الاشراف من الناس كأنهم ملأوا شرقا وقال الزجاج سمو بذلك لانهم ملأوا من يحتاج اليه منهم وهو اسم جمع كالقوم والرهط لا واحده من لفظه قال القراء الملائ الرجال في كل القرآن ويجمع على املاء مثل سبب وأسباب ذكر الله سبحانه في التحريض على القتال قصة أخرى جرت في بني اسرائيل بعد القصة المتقدمة والمعنى كائنين (من بعد) وفاة (موسى اذ قالوا النبي لهم) قيل هو شمويل بن يال ابن عاقمة ويعرف بابن المجوز ويقال فيه شمعون وهو من ولد يعقوب وقيل من نسل هرون وقيل هو يوشع بن نون وهذا ضعيف جدا لان يوشع هو نبي موسى ولم يوجد داود الا بعد ذلك بدخراطويل وقيل هو بالعربية اسمعيل قاله أبو السعد (ابنت لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) المراد بالملك الامير أي ترجع اليه ونعمل على رأيه (قال حل عديم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا) عسى من أفعال المقاربة أي فهل قاربتم أن لا تقاتلوا وادخل حرف الاستفهام على فعل المقاربة لتقرير ما هو متوقع عنده والاشعار بانه كائن وفصل بين عسى وخبرها بالشرط للدلالة على الاعتناء به (قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله) قيل المعنى وأي شئ لنا أن لا نقاتل وقيل غير ذلك قال انكاس هذا أجودها (وقد

من المشركين) قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد حدثني سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس أخرجهما قال قال عبد الله بن سوريا الا عور لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا بما محمد تهتدوا قالت النصاري مثل ذلك فانزل الله عز وجل وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا وقوله قل بل مله ابراهيم حنيفا أي لا تريد ما دعوتونا اليه من اليهودية والنصرانية بل تتبع مله ابراهيم حنيفا أي مستقيما قاله محمد بن كعب القرظي وعيسى بن جارية وقال خفيف عن مجاهد مخلصا وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس حاجا وكذا روى عن الحسن والفضال وعطية والسدي وقال أبو العالية

الخنيف الذي يستقبل البيت بصلاته ويرى ان حجه عليه ان استطاع اليه سبيلا وقال مجاهد والربيع بن انس خنيفا أي متبعيا وقال أبو قلابة الخنيف الذي يؤمن بالرسالة كلهم من أولهم إلى آخرهم وقال قتادة الخنيفة شهادة أن لا إله إلا الله يدخل فيها تحريم الامهات والنسب والخالات والعلمات وما حرم الله عز وجل والختان (قولوا آمنا بالله وما أنزل اليه وما أوحى إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وما أوحى موسى وعيسى وما أوحى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد صلى (٣٢٥) الله عليه وسلم مفصلا وما أنزل على الأنبياء

المتقدمين مجعلا ونص على أعيان من الرسل وأجل ذكر بقية الأنبياء وان لا يفرقوا بين أحد منهم بل يؤمنوا بهم كلهم ولا يكونوا كمن قال الله فيهم ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا الآية وقال البخاري حدثنا محمد بن بشار أخبرنا عثمان بن عروة أخبرنا علي بن الماركة عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الله وقدرى مسلم وأبو داود والنسائي من حديث عثمان بن حكيم عن سعيد بن يسار عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما يصلي الركعتين اللتين قبل الفجر بآمننا بالله وما أنزل اليه الآية

أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) أفراد الاول لا بد لذكر لانهم الذين وقع عليهم السبي أو لانهم بمكان فوق مكان سائر القرابة وهذا كلام عام والمراد منه خاص لان القائمين لنبيهم ما ذكر كانوا في ديارهم وانما أخرج بعض آخر غيرهم ثم أخبر سبحانه أنهم قولوا المافرض عليهم القتال لا اضطراب في آياتهم وفقر عزائمهم فقال (فلما كتب عليهم القتال تولوا) بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكتهم (الا قليلا منهم) واختلف في عدد القليل الذين استثناهم الله سبحانه وهم الذين اكتفوا بالغرفة (والله عليهم بانظامين) أي عالم بين ظلم نفسه حين خالف أمر ربه ولم يف بما قال وهم بقية السبعين ألفا وهم من عدا القليل المذكور (وقال لهم نبيهم) شروع في تصويل ما جرى بينهم وبين نبيهم من الاقوال والافعال (ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وهو اسم أعجمي وكان سقاء وقيل راعيا وقيل دباغا وقيل مكاريا واسمه بالعبرانية شاول بن قيس وجعله فعلا تامن الطول تعسف يدفعه منع صرفه (قالوا أي يكون له الملك علينا) أي كيف يكون ذلك وكيف يستحقه ولم يكن من بيت الملك (ونحن أحق بالملك منه) انما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط سبوة وسبط مملكة فسبب النبوة سبب لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون عليهما السلام وسبب المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام فلماذا أنكروا كونه ملكا لهم وزعموا أنهم أحق بالملك منه ثم أكدوا ذلك بقولهم (ولم يأت سعة من المال) أي ولا هو من أوتي سعة من المال حتى تتبعه لشرفه وأمهاله بل هو فقير والمالك يحتاج إلى المال (قال) يعني شعوب النبي (ان الله اصطفاه عليكم) أي اختاره وخصه بالملك واختيار الله هو الوجه القاطع ثم بين لهم مع ذلك وجه الاصطفاء وقال (وزاد بسطة) أي فضيلة وسعة (في العلم) الذي هو ملاك الانسان ورأس الفضائل وأعظم وجوه الترجيح وكان من أعلم بني اسرائيل وقيل هو العلم بالحرب وبالملك وقيل به بالديانات (والجسم) الذي يظهر به الاثر في الحروب ونحوها فكان قويا في دينه وبدنه وذلك هو المعتبر لاشرف النسب فان فضائل النفس مقدمة عليه وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثه وكان طالوت أطول من الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجمل وكان من أجلهم وقيل المراد به القوة لان العلم بالحروب والقوة على الأعداء مما فيه حفظ المملكة (والله يوفى

والأخرى بآمننا بالله) واشهد بأننا مسلمون وقال أبو العالية والربيع وقادة الاسباط بنو يعقوب اثنا عشر رجلا ولعل كل رجل منهم أمة من الناس فسموا الاسباط وقال الخليل بن أحمد وغيره الاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في بني اسمعيل وقال الزمخشري في الكشف الاسباط حفدة يعقوب ذراري آبائهم الاثنى عشر وقد نقله الرازي عنه وقرره ولم يعارضه وقال البخاري الاسباط قبائل بني اسرائيل وهذا يقتضي ان المراد بالاسباط ههنا شعوب بني اسرائيل وما أنزل الله من الوحي على الأنبياء الموجودين منهم كما قال موسى لهم اذكروا نعمته الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملة واحدة وقال تعالى وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا قال

انقرطي وسموا الاسباط من السبط وهو السبع ففهم جماعة وقيل أصله من السبط بالتحريك وهو الشجر أي في الكثرة بمنزلة
الشجر الواحد سبطه قال الزجاج وبين لهذا ما حدثنا محمد بن جعفر الانباري حدثنا أبو نعيم الدقاق حدثنا الاسود بن عامر
حدثنا اسرائيل عن سماعة عن ابن عباس قال قال كل الانبياء من بني اسرائيل الا عشرة نوح وهو وصالح وشعيب
وابراهيم واسحق ويعقوب واسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام قال القرطبي والسبط الجماعة والقبيلة الراجعون الى أصل
واحد وقال قتادة أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا به (٢٢٦) ويصدقوا بكتبه كلها وبرسله وقال سليمان بن حبيب انما

ملكهم من يشاء) قال مالك والملك والعبيد عبدة في الكرم والاعتراض على شيء ليس حولكم
ولا أمر اليكم وقد ذهب بعض المفسرين الى ان قوله هذا من قول نبينا محمد صلى الله عليه
وآله وسلم وقيل هو من قول نبيهم وهو الظاهر وقيل من كلام الله محمد صلى الله عليه وآله
وسلم (والله واسع) أي واسع الفضل يوسع على من يشاء من عباده (عليه) بن يستحق الملائكة
ويصلح له (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت) التابوت فعلوت من التوب وهو
الرجوع لانهم يرجعون اليه أي علامة ملكه آيات التابوت الذي أخذ منكم أي رجوعه
اليكم وهو صندوق التوراة قليل وكان من خشب الشهد وهو الذي تتخذ منه الامشاط
طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين (فيه سكية من ربكم) السكية فعلة مأخوذة من
السكون والوقار والطمأنينة أي فيه سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من أمر
طالوت وقيل الضمير للآيتين أي في آياته سكون لكم أو للتابوت أي مودع فيه ما تسكنون
اليه وهو التوراة قال ابن عطية الصحيح ان التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الانبياء
وآثارهم فكانت النفوس تسكن الى ذلك وتأنس به وتتقوى وقد اختلف في السكية
على أقوال سيأتي بيان بعضها (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) اختلف في البقية
فقيل هي عصا موسى ورضاض الألواح قاله ابن عباس وقيل عصا موسى وعصا هرون
وشئ من ألواح التوراة وقيل كانت التوراة والعلم وقيل كان فيه عصا موسى ونعلاه
وعصا هرون وعصاهما وقفيز من المن وكان عند بني اسرائيل يتوارثونه قريبا بعد قرن فلما
عصوا وأفسدوا سادوا على الله عليهم العماقة فغلبوهم عليه وأخذوه منهم وقيل غير ذلك
وقيل المراد بآل موسى وهرون هما أنفسمائى مما ترك موسى وهرون ولفظ آل مقعمة
لتفخيم شأنهما وقيل المراد الانبياء من بني يعقوب لانهما من ذرية يعقوب فسائر قرابته
ومن تناسل منه آل لهما (تحمله الملائكة) أي تسوقه قال ابن عباس جاءت الملائكة
بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت فلما رأوا
ذلك قالوا نعم فسلوا له الرئاسة وملكوه وكان في الانبياء اذا حضر واقتلوا قدموا التابوت
بين أيديهم ويقولون ان آدم نزل بذلك التابوت وبالركن وبصا موسى من الجنة وبلغنى
ان التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية وانهم ما يخرجان قبل يوم القيامة وقال قتادة كان
التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقى هناك فأقبلت الملائكة تحمله حتى

أمرنا أن نؤمن بالتوراة والانجيل
ولا نعمل بما فيها وقال ابن أبي
حاتم أخبرنا محمد بن محمد بن مصعب
النموري أخبرنا مؤمل أخبرنا
عبد الله بن أبي حميد عن أبي الملح
عن معقل بن يسار قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم آمنوا
بالتوراة والزبور والانجيل
واسمعكم القرآن (فان آمنوا مثل
ما آمنتم به فقد أخذوا وان تولوا
فانما هم في شقاق فسمكفكمهم الله
وهو السميع العليم صبغة الله
ومن أحسن من الله صبغة ونحن
له عابدون) يقول تعالى فان آمنوا
يعنى الكفار من أهل الكتاب
وغيرهم مثل ما آمنتم به بآياتها
المؤمنون من الايمان بجميع
كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين
أحد منهم فقد آتاهم الله ما
أصابوا الحق وأرشدوا اليه وان
تولوا أي عن الحق الى الباطل بعد
قيام الحجة عليهم فانما هم في شقاق
فسمكفكمهم الله أي فسيد نصر
عليهم وينظر لهم وهو السميع
العليم قال ابن أبي حاتم قرأ على
يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن

وهب أخبرنا نازيان بن يونس نافع بن أبي نعيم قال أرسل الى بعض الخلفاء معصف عثمان بن عفان ليصلحه قال زياده وضعته
فقلت له ان الناس يقولون ان معصفه كان في حجره حين قتل فوق الدم على فسكفكمهم الله وهو السميع العليم فقال نافع
بصرت عيني بالدم على هذه الآية وقد قدم وقوله صبغة الله قال الضحاك عن ابن عباس دين الله وكذا روى عن مجاهد وأبي
العالية وعكرمة وابراهيم والحسن وقتادة والضحاك وعبد الله بن كثير وعطية العوفي والربيع بن أنس والسدى ونحو ذلك
واتصاب صبغة الله اما على الاغراء كقوله فطرة الله أي الرمز ذلك عليكموه وقال بعضهم بدل من قوله مله ابراهيم وقال سيبويه

هو صدق مؤكدا تصب عن قوله آمنا بالله كقوله وعد الله وقد ورد في حديث رواد ابن أبي حاتم وابن مردويه من رواية أشعث بن اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بني اسرائيل قالوا يا رسول الله هل يصبح ربك فقال انتقوا الله فناداهم به يا موسى سألوكم هل يصبح ربك فقل نعم انا أصبغ اللون الاحمر والابيض والاسود والالوان كلها من صبغي ونزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة كذا وقع في رواية ابن مردويه من فروعها وفي رواية ابن أبي حاتم موقوف وهو أشبه ان صح استاده (٣٢٧) والله أعلم (قل أنتما جوتاني الله وحور بنا

وربكم ولنا أعمالكم أعمالكم ونحن له مخلصون أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا ونصارى قل أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تستلون عما كانوا يعملون يقول تعالى مرشدان به صلوات الله وسلامه عليه الى ذرة مجادلة المشركين قل أنتما جوتاني الله أي أنتما ظنرتاني توحيد الله والاخلاض له والانقياد واتباع أو امره وترك زواجه وهو ربنا وربكم المتصرف فينا وفيكم المستحق لاخلص الالهية له وحده لاشريك له ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم أي نحن براء منكم ومما تعبدون وأنتم براء منا كما قال في الآية الاخرى فان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بري مما تعملون وقال تعالى فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعني الى آخر الآية وقال تعالى اخبرنا عن ابراهيم وحاجه قومه قال

وضعه في دار طالوت فأصبح في داره فأقروا بملكه وقد ورد هذا المعنى مختصرا مطولا عن جماعة من السلف فلا يأتي التطويل بذلك بقائده يعتد بها وعن ابن عباس أيضا كان طالوت عظيما جسيما ينضل بني اسرائيل بعنقه ولم يأت به وحى وكانت سبعة تابوت موسى نحو من ثلاثة أذرع في ذراعين والسكينة الرحمة والطماينة أو الدابة قدر الهرة لها عينان لها مشعاع وكان اذا التقى الجمعان أخرجت يديها ونظرت اليهم فيهمز الجيش من الرعب وعن علي السكينة ربح خجوج هفافة ولها رأسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد السكينة شيء يشبه لهر أقله رأس كراس الهرة ووجه كوجه الهرة وحنان وذنب مثل ذنب الهرة وعن ابن عباس السكينة طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء ألقى الالواح فيه وعن وهب بن منبه أنه قال هي روح من الله تسلك اذا اختلفوا في شيء تسلكم فتخبرهم ببيان ما يريدون وعن الحسن قال هي شيء تسكن اليه قلوبهم وعن عطاء بن أبي رباح هي ما يعرفون من الآيات التي يسكنون اليها وأقول هذه التفسير المتناقضة لعلها وصلت الى هؤلاء الاعلام من جهة اليهود أقامهم الله فخافوا هذه الامور لقصد التلاعب بالمسلمين والتشكيك عليهم وانظر الى جعلهم لها تارة حيوانا وتارة جادا وتارة شيئا لا يعقل وهكذا كل منقول عن بني اسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب ولا يصح أن يكون مثل هذه التفسير المتناقضة مرويا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا ياراه قائله فهم أجل قدرا عن التفسير بالأي وبالمجال للاجتهاد فيه اذا تقرر لك هذا عرفت ان الواجب الرجوع في مثل ذلك الى معنى السكينة لغة وهو معروف ولا حاجة الى ركوب هذه الامور المتعسفة المتناقضة فقد جعل الله عنها سعة ولو ثبت لنا في السكينة تفسير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوجب علينا المصير اليه والقول به ولكنه لم يثبت من وجه صحيح بل ثبت انها تنزلت على بعض الصحابة عند تلاوته للقرآن كما في صحيح مسلم عن البراء قال كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدور وجعل فرسه ينقر منها فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر ذلك له فقال تلك السكينة نزلت للقرآن وليس في هذا الا ان هذه التي سماها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سكينة سحابة دارت على ذلك القارئ فآله أعلم وعن أبي صالح قال كان في التابوت عصا موسى وعصاهرون وثياب موسى وثياب هرون

أنتما جوتاني في الله الى آخر الآية وقال تعالى ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الآية وقال في هذه الآية الكريمة ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون أي نحن براء منكم كما أنتم براء منا ونحن له مخلصون أي في العبادة والتوجه ثم أنكر تعالى عليهم في دعواهم ان ابراهيم ومن ذكر بعده من الانبياء والاسباط كانوا على ملتهم اما اليهودية واما النصرانية فقال قل أنتم أعلم أم الله يعني بل الله أعلم وقد أخبرناهم لم يكونوا هودا ولا نصارى كما قال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين الآية والتي بعدها * وقوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قال الحسن البصري كانوا يقرؤون في كتاب الله

الذي اتاهم ان الدين الاسلام وان محمد رسول الله وان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا آراء من اليهودية والنصرانية فسمي الله بذلك وأقر واعلى أنفسهم الله فكفوا شهادته الله عندهم من ذلك وقوله وما الله بغافل عما تعملون تهديد ووعد شديد أي ان علمه محيط بعملكم وسيجزىكم عليه ثم قال تعالى ذلك امة قد خلت أي قد مضت ليأما كسبت ولكم ما كسبتم أي ليسم أعمالهم وليس أعمالكم ولا تستلون عما كنوا يعملون وليس يغني عنكم اتسايكم اليهم من غير متابعتهم منكم لهم ولا تغتروا بمجرد النسبة اليهم حتى (٣٢٨) فكروا امة دين مثلهم لا و امر الله واتباع رساله الذين بعثوا

ولوحان من التوراتا والمن وكلمة الفرج لا اله الا الله الحليم الكريم سبحانه الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وقال قتادة والكلبي السكينة الطمأنينة في أي مكان كان التابوت اطمأنوا وسكنوا اليه وهذا القول أولي بالصحة فعلى هذا كل شيء كانوا يسكنون اليه فهو سكينه فيحمل على جميع ما قيل فيه لان كل شيء يسكن اليه القلب فهو سكينه ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب قول تضعيف آخر والمرجح فيه الى اللغة كما تقدم والله أعلم (ان في ذلك) أي في حجي التابوت (لاية لكم) أي علامة ودلالة على صدق ما أخبركم به (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين قال المفسرون فلما جاءهم التابوت وأقروا بالملك لطالوت تأهبوا للخروج الى الجهاد فأمرعوا لطاعته وخرجوا معه وذلك قوله (فلما فصل طالوت بالجنود) فصل معناه خرج بهم يقال فصلت الشيء فانفصل أي قطعت فانقطع وأصله متعد يقال فصل فلان نفسه ثم استعمل استعمال اللزوم كأن فصل وقيل يستعمل لازما ومتعديا يقال فصل عن البلد فصولا وفصل نفسه فصلا والمعنى قطع مستقره شاخصا الى غير مخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون ألف مقاتل وقيل ثمانون ألفا وقيل مائة وعشرون ألفا ولم يتخلف عنه الا كبير كبره أو مريض مرضه أو معذور لعذره وكان مسيرهم في حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحمِلنا فادع الله أن يجري لنا نهر (قال) طالوت (ان الله مبتليكم بنهر) أي مختبركم والابتلاء الاختبار والنهر قبل هو بين الاردن وفلسطين وأردن موضع ذورمل قريب من بيت المقدس والمراد بهذا الابتلاء اختبار طاعتهم فمن أطاع في ذلك الماء أطاع في ما عداه ومن عصي في هذا وعصيته نفسه فهو في العصيان في سائر الشدائد أخرى (من شرب منه) قليلا كان أو كثيرا (فليس مني) أي ليس من أهل ديني وطاعتي (ومن لم يطعمه) أي لم يذقه يعني الماء أصلا لا قليلا ولا كثيرا (فانه مني الا من اغترف غرفة بيده) رخص لهم في الغرفة ليرتفع عنهم آذى العطش بعض الارتفاع ليكسر وانزع النفس في هذه الحال وفيه ان الغرفة تكف سورة العطش عند الصابرين على شظف العيش الدافعين أنفسهم عن الرغاية فالمراد بقوله من شرب منه أي كرع ولم يقتصر على الغرفة ومعنى ليس مني ليس من أصحابي من قولهم فلان من فلان كانه بعضه لا اختلاطهما وطول صحبتهم وهذا في كلام العرب معروف يقال طعمت

مبشرين ومنذرين فانه من كفر بنبي واحد فقد كفر بسائر الرسل ولا سيما سيد الانبياء وخاتم المرسلين ورسول رب العالمين الى جميع الانس والجن من المكلفين صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر انبياء الله أجمعين (سبح قول السلفاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل الله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم) قيل المراد بالسلفاء ههنا مشركو العرب قاله الزجاج وقيل أجبارهم ودقاه مجاهد وقيل المنافقون قاله السدي والآية عامة في هؤلاء كلهم والله أعلم قال البخاري أخبرنا أبو نعيم سمع زهير عن ابني اسحق عن البراء رضي الله عنه ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم صلى الى بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا وكان يحبه ان تكون قبلته قبل البيت • الشيء وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل من كان صلى معه فمر على اهل المسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا بكاهم قبل البيت وكان الذي قدمنا على القبلة قبل ان يحول قبل البيت رجالا قتلوا لم يندموا يقولون فيهم فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم انفرد به البخاري من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقال محمد بن اسحق حدثني اسمعيل بن ابني خالد عن ابني اسحق عن البراء قال كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي نحو بيت المقدس ويكثر النظر الى السماء ينتظر أمر الله فأنزل الله قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام فقل رجال من المسلمين وددنا لو علمنا علم من مات منا قبل أن نصرف الى القبلة وكيف يصلاتنا نحو بيت المقدس فأنزل الله وما كان الله ليضيع إيمانكم وقال السفهاء من الناس وهم أهل الكتاب ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فأنزل الله سيقول السفهاء من الناس الى آخر الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا الحسن بن عطية حدثنا السراويل عن أبي إسحق عن البراء قال كان (٣٢٩) رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى نحو بيت

المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يحب أن يواجه نحو الكعبة فأنزل الله قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام قال فوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود وما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فأنزل الله قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم فكان يدعو الله وينظر الى السماء فأنزل الله عز وجل فولوا وجوهكم شطره أي نحوه فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فأنزل الله قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقد جاء في هذا الباب أحاديث

الشيء أي ذقته وأطعمته الماء أي أذقته وفيه دليل على ان الماء يقال له طعام والاعتراف الاخذ من الشيء باليد أو بالة والغرف مثل الاعتراف والغرفة المرة الواحدة وقد قرئ بفتح الغين وضمها فالفتح للمرة الضم اسم للشيء المغترف وقيل بالفتح الغرفة الواحدة بالكف وبالضم الغرفة بالكفين وقيل هما الغتان بمعنى واحد (فسر بوامنه) أي من النهر (الاقبل سلامتهم) وهم المذكورون في قوله ومن لم يطعمه قال القرطبي ان القليل لم يشرب أصلا قال سعيد بن جبيرة القليل ثلثمائة وبضعة عشر رجلا عدة أهل بدر وعن البراء قال كثر أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتحدثون أن أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا بضعة عشر وثلثمائة وعن قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه يوم بدر أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم لقي جالوت وعن ابن عباس قال كانوا ثلثمائة ألف وثلاثة آلاف وثلثمائة وثلاثة عشر فسر بوامنه كلهم الا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا عدة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر فذهب طالوت ومضى ثلثمائة وثلاثة عشر وقرئ الا قليل ولا وجه له الا ما قيل من أنه من هجر اللنظ الى جانب المعنى أي لم يطعمه الا قليل وهو تعسف (فلما جاوزوه) أي جاوزوا النهر طالوت (والذين آمنوا معه) وهم القليل الذين أطاعوه واقتصروا على الغرفة وقال القرطبي هم الذين لم يذوقوا الماء أصلا (قالوا) أي الذين شربوا (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) أي بعماريتهم ومقاومتهم فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قال القرطبي قيل وكانوا مائة ألف رجل شاكى السلاح وكثر المفسرين على أنهم قالوا هذا القول بعد ما عبروا النهر مع طالوت ورأوا جالوت وجنوده فرجعوا منهم من قالين هذه المقالة وبعض المفسرين على أن العصاة لم يعبروا النهر بل وقفوا يسألوه وقالوا معتذرين عن الخلف منادين ومسمعين لجالوت والمؤمنين الذين معه لا طاقة لنا اليوم الخ والجند الانصار والاعوان والجمع أجناد وجنود الواحد جندي فالجاء للوحدة مثل روم ورومي (قال الذين يظنون) أي يتيقنون ردا على المتخلفين (أنهم سلاقوا الله) أي أنهم يستشهدون بعمادهم فيلقون الله صرح به القاضي كالكشف (كم من فئة قليلة) الفئة الجماعة لا واحد من لفظه والقطعة منهم من قاوت رأسه بالسيف أي قطعه (غلبت فئة كثيرة بادن الله) أي بقضاء الله وادائه (والله مع

(٤٢ - فتح البيان ل) كثيرة وحاصل الامر انه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلي بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل للصخرة بيت المقدس فلما هاجر الى المدينة تعذر الجمع بينهم فأمره الله بالتوجه الى بيت المقدس قاله ابن عباس والجمهور ثم اختلف هؤلاء هل كان الامر به بالقرآن أو بغيره على قولين وحكي القرطبي في تفسيره عن عكرمة وأبي العالية والحسن البصري ان التوجه الى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام والمقصود ان التوجه الى بيت المقدس بعدمقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة واستمر الامر على ذلك بضعة عشر شهرا

وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه الى الكعبة التي هي قبله ابراهيم عليه السلام فأجيب الى ذلك وأمر بالتوجه الى البيت العتيق فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فأعلمهم بذلك وكان أول صلاة صلاها اليها صلاة العصر كما تقدم في الصحيحين من رواية البراء ووقع عند النسائي من روايته أني سعيد بن المعلى انها الظهور وقال كنت أنا وصاحبي أول من صلى الى الكعبة وذ كر غير واحد من المفسرين وغيرهم ان تحويل القبلة نزل على رسول الله وقد صلى ركعتين من الظهر وروايت في مسجد بني سابة فسمى مسجد القبلتين (٣٣٠) وفي حديث نويلة بنت مسلم انهم جاءهم الخبر بذلك وهم في صلاة

الظهر قالت فتقول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر النخري وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر الى صلاة الفجر من اليوم الثاني كما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم أت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفي هذا دليل على أن الناس لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله وبالغاه لانهم لم يؤمروا باعادة العصر والمغرب والعشاء والله أعلم ولما وقع هذا حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب والكثرة من اليهود ارتباب وزيف عن الهدي وتخبيط وشك وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها أي قالوا ما هؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة كذا فأنزل الله جوابهم في قوله قل لله المشرق والمغرب أي الحكم والتصرف والامر كله لله

الصابرين) بالنصر والعون وهذه من جملة مقولهم ويحتمل انها من كلام الله تعالى أخبر بها عن حال الصابرين فلا يحمل لها من الاعراب (ولما برزوا لجالوت وجنوده) أي صاروا في البراز وهو المتسع من الارض وما انكشف منها واسمى ومنه سميت المبارزة في الحرب لظهور كل قرن الى صاحبه والمعنى ظهورا لقتالهم وتصارفوا والبراز بالفتح والكسر لغة قليلة القضاء الواسع الخالي من الشجر وجالوت أمير العماليق وكان جبارا من أولاد عمليق بن عاد (قالوا) أي جيع من معه من المؤمنين (ربنا أفرغ) أي اصعب (علينا صبرا) الافراغ يفيد معنى الكثرة (ونبت أقدامنا) عبارة عن كمال القوة والرسوخ وعدم الغسل والتزلزل عند المقاومة يقال نبت قدم فلان على كذا اذا استقر له ولم يزل عنه وثبت قدمه في الحرب اذا كان الغلب له والنصر معه وليس المراد تقرر رجليه في مكان واحد (وانصرا على القوم الكافرين) هم جالوت وجنوده ووضع الظاهر موضع المضمهر اظهارا لما هو العلة الموجبة للنصرة عليهم وهي كفرهم وذكر النصر بعد سؤال تثبيت الاقدام ليكون الثاني هو غاية الاول (فهزموهم باذن الله) الهزم الكسر ومنه سقاء منهزم أي انثنى بعضه على بعض مع الخفاف ومنه ما قيل في زحزم انما هزيمة جبريل أي هزمها برجله فخرج الماء والهزم ما يكسر من يابس الخطب وتثدير الكلام فانزل الله عليهم النصر فهزموهم بأمر الله وارادته (وقتل داود جالوت) هو داود بن ايشاو يقال داود بن زكريان بشوى من سبط يهوذا بن يعقوب جمع الله له بين النبوة والملك بعبدان كان راعيا وكان أصغر اخوته اختاره طالوت لمقابله جالوت فقتله وكان يومئذ صغير الم يبلغ الحلم سقيما أصفر اللون يرى الغنم فهذه الوقعة قبل نبوته وان أباه كان من جد له جديش طالوت وعن مجاهد وغيره قال كان طالوت أميرا على الجيش فبعث أبو داود مع داود بشى الى اخوته فقال داود لطالوت ماذا لي وأقبل جالوت فقال لك ثلث ملكي وأنكحك ابنتي فأخذ نخلة فجعل فيها ثلاث مرويات ثم سمي ابراهيم واسحق ويعقوب ثم أدخل يده فقال بسم الله الهى واله أبائى ابراهيم واسحق ويعقوب فخرج على ابراهيم فجعله في مركبته فرجى بها جالوت فخرق ثلاثة وثلاثين يضة عن رأسه وقتل ما وراءه ثلاثين رجلا فأخذ داود جالوت حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح بنو اسرائيل فزوجه ابنته وأعطاه نصف الملك فكثرت معه كذلك أربعين سنة فقات طالوت واستقل داود بالملك سبع سنين ثم انتقل الى رحمة الله تعالى

وحيثما تولوا فتم وجهه الله وليس البر أن تولوا وجهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله أي في شأن كله في امتثال أوامر الله فحيثما وجهتم توجهتموا في امتثال امره ولولو وجهنا في كل يوم من ان الى جهات متعددة فتمن عبده وفي تصرفه وخدا امه حيثما وجهتم توجهتموا وهو تعالى له بعبدته ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وأتمته عناية عظيمة اذ هداهم الى قبله ابراهيم خليل الرحمن وجعل توجههم الى الكعبة الميمنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له أشرف بيوت الله في الارض اذ هي بناء ابراهيم الخليل عليه السلام ولهذا قال قل لله المشرق والمغرب ثم يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

وقد روى الامام أحمد عن علي بن عاصم عن حمزة بن عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الأشعث عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في أهل الكتاب أنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هداها الله لنا وفضلنا عنها وعلى القبلة التي هداها الله لنا وفضلنا عنها وعلى قولنا خلف الامام امين وقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا تكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يقول تعالى انما حولناكم الى قبلة ابراهيم عليه السلام واختارنا لكم لتجعلكم خيام الامم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الامم لان الجميع معترفون لكم (٣٣١) بالفضل والوسط ههنا الخمار والا حور كما

يقال قريشي أو وسط العرب نسبة ودار أي خيرها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا في قومه أي أشرفهم نسبا ومنه الصلاة

الوسطى التي هي أفضل الصلوات وهي العصر كما ثبت في الصحيح وغيرها ولما جعل الله هذه الامة وسطا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب كما قال تعالى هو اجتبى لكم وما جعل عليكم في الدين من حرج مله أيكم ابراهيم هو سبطكم المسلمين من قبل وفي هذا يكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وقال الامام أحمد حدثنا وكمع عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمتيه قال في ذلك قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال والوسط العدل قد عدون فتشهدون له

فبجان من لا ينقض ملكه وقد ذكر المفسرون أقاصيص كثيرة من هذا الجنس قاله أعلم (وأتاه الله) أي داود (الملك) الكامل سبع سنين بعد موت طالوت (والحكمة) والمراد بالحكمة هنا النبوة وقيل هي تعليمه صنعة الدروع من الحديد وكان يلين في يده وينسجه كنسج الغزل ومنطق الطير والالخان أي فهم أصواته وكذا البهائم وقيل هي اعطاؤه السلسلة التي كانوا يتحاكون اليها (وعلمه بما يشاء) قيل ان المضارع هنا موضوع موضع الماضي وفاعل ذلك هو الله تعالى وقيل داود وظاهر هذا التركيب ان الله سبحانه علمه بما قضت به مشيئته وتعلقت به ارادته وقد قيل ان من ذلك ما قدمناه من تعليمه صنعة الدروع وما بعده قيل كان ملك طالوت الى ان قتل مدة أربعين سنة فألقى بنو اسرائيل الى داود ذلك كوه عليهم وأعطوه خزانة طالوت قال الكلبي والفتح ملك داود بعد قتل طالوت نحو سبع سنين ولم يجمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود وجمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل ولم يجمعه الا احد قبله بل كانت النبوة في سبطه والملك في سبطه ثم جمع الله له ذلك ولا يسهل سليمان بين الملك والنبوة (ولو لدفع الله الناس بعضهم ببعض) قرئ الدفع والدفاع وهو ما صدر ان يدفع كذا وعلى القرأتين فالصدر مضاف الى الفاعل أي ولو لدفع الله الناس وبعضهم بدل من الناس وهم الذين يباشرون أسباب الشر والفساد ببعض آخر منهم وهم أهل الايمان الذين يكفونهم عن ذلك ويردونهم عنه (ففسدت الارض) لتغلب أهل الفساد عليهم واحداثهم الشرور التي تمك الحارث والنسل قال ابن عباس يدفع الله عن يصى عن لا يصى وعن يصى عن لا يصى وعن يصى عن لا يصى وأخرج ابن عدي وابن جرير بسند ضعيف عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله سيدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ابن عمر ولو لدفع الله الناس الآية وفي اسناده يحيى بن سعيد الطار وهو ضعيف جدا ورواه أحمد أيضا (ولكن الله ذو فضل) التذكير للتعظيم (على العالمين) أي عم فضل الناس كلهم (تلك آيات الله) هي ما شملت عليه هذه القصة من الامور المذكورة (تتلوها عليكم بالحق) والمراد بالحق هنا الخبر الصحيح الذي لا ريب فيه عند أهل الكتاب والمطلعين على أخبار العالم (وانك لمن المرسلين) اخبار من الله سبحانه بأنهم من جملة رسل الله سبحانه تقوية لقلوبه وتثبيتا لجنانه وتشديد الامر به وان الذي يخبر به

بالبلغ ثم أشهد عليكم رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن الاعمش وقال الامام أحمد أيضا حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء النبي يوم القيامة معه الرجال وأنكر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا فيقولون لا فيقال له هل بلغت قومك فيقول نعم فيقال من يشهد لك فيقول محمد وأمتيه فيدعى محمد وأمتيه فيقال لهم هل بلغ هذا قومه فيقولون نعم فيقال وما علمكم فيقولون جاءنا نبينا أخبرنا ان الرسل قد بانوا فذلك قوله عز وجل وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال عدلا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول

عليكم شهيد أو قال أحد أيضاً حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي معبد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً قال عدلا روى الخفاف أبو بكر بن مردويه وابن أبي حاتم من حديث عبد الواحد بن زياد عن أبي مالك الأشجعي عن المغيرة بن عتبة بن نبال (١) حدثني مكتب لنا عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا وأمتي يوم القيامة على كور مشرقين على أنطلائنا من الناس أحد الأودائة وأنا وما من نبي كذب قومه إلا وشن نهداً أنه قد بلغ رسالة ربه عز وجل وروى الخفاف في مستدركه وابن (٣٣٢) مردويه أيضاً واللفظ له من حديث مصعب بن ثابت عن محمد بن كعب

القرظي عن جابر بن عبد الله قال شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة في بني مسلمة وكنت إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم والله يارسول الله لنعم المرأة لقد كان عفة مسلماً أو كان وأثنوا عليه خيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت بما تقول فقال الرجل الله أعلم بالسراير فأما الذي بد النامنه فذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ثم شهد جنازة في بني حارثة وكنت إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم يارسول الله بمس المرأة أن كان لفظاً غلطاً فأنشوا عليه شراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعضهم أنت بالذي تقول فقال الرجل الله أعلم بالسراير فأما الذي بد النامنه فذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قال مصعب بن ثابت فقال لنا عند ذلك محمد بن كعب صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قرأ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ثم

من الأخبار العجيبة والقصص القديمة وحى من الله من غير أن يعرفها بشراء كتب ولا استماع أخبار فدل ذلك على رسالتك (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) قيل هو إشارة إلى جميع الرسل فيكون الآلاف واللام للاستغراق وقيل هو إشارة إلى الأنبياء المذكورين في هذه السورة وقيل إلى الأنبياء الذي بلغ عليهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد تفضيل بعضهم على بعض أن الله سبحانه جعل لبعضهم من مراتب الكمال فوق ما جعله للآخر فكان الأكثر من أفاضل الأول وآخر مفضولاً وكذلك هذه الآية على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض كذلك دلت الآية الأخرى عليه وهي قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيناهم داوراً عن قتادة قال اتخذ الله إبراهيم خليلاً وأكلم الله موسى تكليماً وجعل عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وهو عبد الله وكلته وروحه وآتى داود زبوراً وآتى سليمان ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعده وعقر لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال الخازن وأجعت الأمة على أن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الأنبياء لعموم رسالته وهو قوله وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً وقد استشكل جماعة من أهل العلم الجمع بين هذه الآية وبين ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن عمر بن الخطاب قال لا تفضلوني على الأنبياء وفي لفظ آخر لا تفضلوا بين الأنبياء وفي لفظ لا تخيروا بين الأنبياء فقال قوم إن هذا القول منه صلى الله عليه وآله وسلم كان قبل أن يوحى إليه بالتفضيل وإن القرآن ناخٍ للمنع من التفضيل وقيل إنه قال صلى الله عليه وآله وسلم ذلك على سبيل التواضع كما قال لا يقل أحدكم أنا خير من نونس بن مئى تواضعاً مع علمه أنه أفضل الأنبياء كما يدل عليه قوله أنا سيد ولد آدم وقيل إنما هي عن ذلك قطعاً للجدال والخصام في الأنبياء فيكون مخصوصاً بمثل ذلك إذا كان صواباً وذلك ما مونا وقيل إن النهى إنما هو من جهة النبوة فقط لأنها أخلة واحدة لا تفاضل فيها ولأنه من التفاضل بزيادة الخصوصيات والكرامات وقيل إن المراد النهى عن التفضيل بمجرد الأهواء والعصبية وفي جميع هذه الأقوال ضعف وعندى أنه لا تعارض بين القرآن والسنة فإن القرآن دل على أن الله فضل بعض أنبيائه على بعض وذلك لا يستلزم أنه يجوز لنا أن نفضل بعضهم على بعض فإن المزايا التي هي مناط التفضيل معلومة عند الله تعالى لا يخفى على الله منها أحقية وليست

قال الخافكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا داود بن أبي بعلوبة الفرات عن عبد الله بن يزيد عن أبي الأسود أنه قال آتيت المدينة فوافقتهم وأوقفهم فوقع بها مرض فوهم يموتون موتاً رعباً فجلت إلى عمر بن الخطاب فثرت به جنازة فأتيت على صاحبها خيراً فقال وجبت ثم مرر بأخري فأتيت عليها فقلت عمر وجبت فقال أبو الأسود ما وجبت يا أمير المؤمنين قال قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما مسلم شهد له أربع بغيره أدخله الله الجنة قال فقال وثلاثة قال فقالنا وثانان قال واثنان ثم لم نسأله عن الواحد وكذا روى البخاري والترمذي والنسائي من (١) قوله نبال في نسخة فنبال بالفاء والهاء وحرر اه

حدث داود بن أبي الفرات به وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن عثمان بن يحيى حدثنا أبو القاسم حدثني أبو الوليد حدثنا نافع بن عمر حدثني أمية بن صفوان عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالباوة يقول يوشك أن تعلموا أخباركم من شراركم قالوا يا رسول الله قال بالثناء الحسن والثناء السيئ أنتم شهداء الله في الأرض ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هرون ورواه الامام أحمد عن يزيد بن هرون وعبد الملك بن عمر وشريح عن نافع عن ابن عمر به وقوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت (٣٣٣) عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن

يعلمونه عند البشر فقد يجعل أتباع نبي من الانبياء بعض من اياه وخصوصا به فضلا عن من ايا غيره والتفضيل لا يجوز الا بعد العلم بجميع الاسباب التي يكون بها اخذا فاضلا وهذا مفضول لا قبل العلم ببعضها أو باكثرها أو باقلها فان ذلك تفضيل بالجهل واقدام على أمر لا يعلمه الفاعل له وهو ممنوع منه فلو فرضنا أنه لم يرد الا القرآن بالاخبار لنا بان الله فضل بعض أنبيائه على بعض لم يكن فيه دليل على انه يجوز للبشر أن يفضلوا بين الانبياء فكيف وقد وردت السنة الصحيحة بالنهي عن ذلك واذا عرفت هذا علمت انه لا تعارض بين القرآن والسنة توجبه من الوجوه فالقرآن فيه الاخبار من الله بانه فضل بعض أنبيائه على بعض والسنة فيها النهي لعباده ان يفضلوا بين أنبيائه فمن تعرض للجمع بينهما ما زاعما انهما متعارضان فقد غلط غلطا بينا (منهم) تفصيل للتفضيل المذكور ارجالا (من كلم الله) أي بغير واسطة وهو موسى كله في الطور ونبينا سلام الله عليهما كدليله الاسراء وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في آدم انه نبي مكرم وقد ثبت ما يفيد ذلك في صحيح ابن حبان من حديث أبي ذر والالتفات حيث لم يقل كلمة الترية المهابة بهم هذا الاسم الشريف والرمز الى ما بين التكمين ورفع الدرجات من التفاوت (ورفع بعضهم درجات) هذا البعض يحتمل ان يراد به من عظمت منزلته عند الله سبحانه من الانبياء ويحتمل ان يراد به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لكثرة خصاله المقتضية لتفضيله ويحتمل ان يراد به ادريس لان الله سبحانه أخبرنا بأنه رفعه مكانا عليا وقيل انهم أولو العزم وقيل ابراهيم ولا يخفك ان الله سبحانه أجبه هذا البعض المرفوع فلا يجوز لنا التعرض للبيان له الا ببرهان من الله سبحانه او من نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ولم يرد ما يرشد الى ذلك فالتعرض لبياناه هو من تفسير القرآن الكريم بحض الرأي وقد عرفت ما فيه من الوعيد الشديد مع كون ذلك ذريعة الى التفضيل بين الانبياء وقد نهينا عنه وقد جزم كثير من أئمة التفسير انه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وأطالوا في ذلك واستدلوا بما خصه الله به من المعجزات وخصال الكمال وخصاله الفاضل وهم بهذا الجزم بدليل لا يدل على المطلوب قد وقعوا في خطرين وارتهكوا بهما وهما تفسير القرآن بالرأي والدخول في ذرائع التفضيل بين الانبياء وان لم يكن ذلك تفضيلا صريحا فهو ذريعة اليه بلا شك ولا شبهة لان من جزم بأن هذا البعض المرفوع درجات هو النبي الفلاني انتقل من ذلك الى

مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وقال تعالى قل هو الله الذي آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى وقال تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورجة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولهذا كان من ثبت على تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه في ذلك وتوجهه حيث أمره الله من غير شك ولا ريب من سادات الصحابة وقد ذهب بعضهم الى ان السابقين الاولين من المهاجرين والانصار هم الذين صلوا القبلتين وقال البخاري في تفسير هذه الآية حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان عن عبد الله بن ديار عن ابن عمر قال بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء اذا جاء رجل فقال قد أنزل على النبي صلى

الله عليه وسلم قرآن وقد امر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها فوجهوا إلى الكعبة وقدروا مسلم من وجه آخر عن ابن عمر ورواه الترمذي من حديث سفيان الثوري وعنده أنهم كانوا ركوعاً فاستداروا كما هم إلى الكعبة وهم ركوع وكداروا مسلم من حديث جابر بن سلمة عن ثابت عن أنس مثله وهذا يدل على كمال طاعتهم لله ولرسوله واتقيادهم لاواصر الله عز وجل رضى الله عنهم أجمعين وقوله وما كان الله ليضيق إيمانكم أي صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك ما كان يضيغ ثوبهم عند الله وفي الصحيح من حديث أبي اسحق السبيعي عن (٣٣٤) البراء قال مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس فقال الناس ما حالهم

في ذلك فأمر الله تعالى وما كان الله ليضيق إيمانكم ورواه الترمذي عن ابن عباس وصححه وقال ابن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وما كان الله ليضيق إيمانكم أي بالقبلة الأولى وتصديقكم ببيكم واتباعه إلى القبلة الأخرى أي ليعطيكم أجرهما جميعاً إن الله بالناس لرؤف رحيم وقال الحسن البصري وما كان الله ليضيق إيمانكم أي ما كان الله ليضيق محمد صلى الله عليه وسلم وانصرفكم معه حيث انصرف إن الله بالناس لرؤف رحيم وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أصرأ من لسبي قد فرق بينهما وبين وادها فجعلت كلياً وجدت صبيماً من السبي أخذته فألقمته بصدرها وحى تدور على وادها فلما وجدته ضمه إليها وألقمته ثديها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه طارحة وادها في النار وحى تقدر على أن لا تطرحه قالوا لا يا رسول الله قال فوالله لله أرحم

التفصيل المنهي عنه وقد أغنى الله نبينا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك بما لا يحتاج معه إلى غير من النضائل والفواضل فإياك أن تتقرب إليه صلى الله عليه وآله وسلم بالدخول في أبوابهم إلا عن دخولها فتعصيه وتسيء وأنت تظن أنك مطيع محسن (وأينما عيسى بن مريم البينات) أي الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من أحياء الأموات بإبراء المرضى من الأكمة والابرس وغير ذلك (وأيدناه) أي قويناه (روح القدس) هو جبريل وكان يسير معه حيث سار إلى أن رفعه الله إلى عنان السماء السابعة وقد تقدم الكلام على هذا (ولو شاء الله ما اقتل) أي ما اختلف فأطلق الاقتال وأراد سببه وهو الاختلاف (الذين من بعدهم) أي من بعد الرسل وقيل من بعد موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام لأن الثاني مذكور صريحاً والاول والثالث وقعت الإشارة إليهم ما يقوله منهم من كأم الله أي لو شاء الله عدم اقتالهم ما اقتتلوا فنعول المشبهة محذوف على القاعدة وقيل أن لا يؤمرهم بالقتال وقيل أن يصيرهم إلى الإيمان وكماها متقاربة (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الدلالات الواضحات من الله بما فيه من دبر لمن هداه الله تعالى ووفقه (ولكن اختلفوا) استثناء من الجملة الشرطية أي ولكن الاقتال ناشئ عن اختلافهم اختلافاً كثيراً حتى صاروا أملاً مختلفاً والمعنى لو شاء الله الاتفاق لاتفقوا ولكن شاء الاختلاف فاختلوا وفيه إشارة إلى قياس استثنائى (فهم من آمن وسهم من كفر) أي ثبت على إيمانهم أو تعدد الكفر بعد قيام الحجة كالتصاري بعد المسيح (ولو شاء الله) عدم اقتالهم بعد هذا الاختلاف (ما اقتتلوا) تأكيد (ولكن الله يفعل ما يريد) من توفيق من شاء وخذلان من شاء لا أراد حكمه ولا مبدل لقضائه فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض عليه في ملكه وفعله وسأل رجل علياً عن القدر فقال طربق مظلماً فلا تسلكه فأعاد السؤال فقال بجر عتيق فلا تلج فاعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) ظاهر الآية الواجب وقد جمعة على صدقة النظر لذلك ولما في آخر الآية من الوعيد الشديد وقيل إن هذه الآية تجمع زكاة الفرض والتطوع قال ابن عطية وهذا صحيح ولكن ما تقدم من الآيات في ذكر القتال وإن الله يدفع المؤمنين في صدور الكافرين يترج منه أن هذا التنبؤ انما هو في سبيل الله قال القرطبي وعلى هذا التأويل يكون اتفاق المال مرة وأجبا

بعادهم من هذه نوادها (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنُبكِّلَ قبلةً ترضاها قول وجعل شطر المسجد حرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطرها وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كان أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود فأمروا أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعه عشر شهراً وكان يحب قبلة إبراهيم فكان يدعو إلى الله ينظر إلى السماء فأمر أن يزل الله قدرى قلب وجعل في السماء التي قوله فولوا وجوهكم

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يحول نحو الكعبة فترت قد نرى تقلب وجهك في السماء فصرف الى الكعبة وروى النسائي عن أبي سعيد بن المعلى قال كان نعدو الى المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصلي فيه فمرنا يومنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على المنبر فقلت لقد حدثت أمر فقلت فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها حتى فرغ من الآية فقلت لصاحبي تعال نركع ركعتين قبل ان ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكون أول من صلى فتوارى بنا فصلينا هما (٣٣٦) ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم وصلى للناس الظهر يومئذ

وكذا روى ابن مردويه عن ابن عمر ان أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة صلاة الظهر وانها الصلاة الوسطى والمشهور ان أول صلاة صلاها الى الكعبة صلاة العصر ولهذا تأخر الخبر عن أهل قباء الى صلاة الفجر وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا الحسين بن اسحق التستري حدثنا رجاء بن محمد السقطي حدثنا اسحق بن ادريس حدثنا ابراهيم بن جعفر حدثني أبي عن جدته أم أبيه فويلة بنت مسلم قالت صلينا الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة فاستقبلنا مسجدا يلياء فصلينا ركعتين ثم جاء من يحدثنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استقبل البيت الحرام فتقول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام فحدثني رجل من بني حارثة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أولئك رجال يؤمنون بالغيب وقال ابن مردويه أيضا حدثنا

الوجود فهو على حد لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الرازي في تفسيره ان السنة ما يتقدم النوم فاذا كانت عبارة عن مقدمة النوم فاذا قيل لا تأخذ سنة دل على انه لا يأخذ نوم بطريق الاولى فكان ذكر النوم تكرار اقلنا تقدير الآية لا تأخذ سنة فضلا عن ان يأخذ نوم والله أعلم بمراده انتهى وأقول ان هذه الاولوية التي ذكرها غير مسلمة فان النوم قد يرد ابتداء من دون ما ذكر من العاس واذا ورد على القلب والعين دفعة واحدة فانه يقال له نوم ولا يقال له سنة فلا يستلزم نفي السنة في النوم وقد ورد عن العرب نفهم جميعا وأيضا فان الانسان يقدر على ان يدفع عن نفسه السنة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه النوم فقد يأخذ النوم ولا تأخذ السنة فلورق الاقتصار في النظم القرآني على نفي السنة لم يفد ذلك نفي النوم وهكذا الوقوع الاقتصار على نفي النوم لم يفد نفي السنة فكلم من ذي سنة غير نائم وكرر حرف النفي للتخصيص على شمول النفي لكل واحد منهما فالسنة النوم الخفيف والنوم هو الثقيل المزيل للعقل والقوة والوسنان بين النائم والمقطان والجملة نفي التشبيه بينه تعالى وبين خلقه والله منزعه عن النقص والاقاب وان ذلك تغير وهو مقدس عن التغير وعن أبي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيبا بخمس كلمات فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له ان ينام الحديث رواه مسلم (له ما في السموات وما في الارض) يعني انه تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وخلقهم وهم في ملكه وأجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ مادون من وفيه رد على المشركين العابدين لبعض الكواكب التي في السماء والاصنام التي في الارض يعني فلا تصلح أن تعبد لانهم يملكون مخلوقه والادام للتبرع والتمسك بالمال والابحار (من ذا الذي يشفع عنده الا بذنه) في هذا الاستفهام من الانكار على من يزعم ان أحدا من عباد يقدر على ان ينفع أحدا منهم بشفاعته أو غيرها والتقريع والتوبيخ له ما لا يريد عليه وفيه من الدفع في صدور عباد القبور والصلوات في وجوههم والفت في أعضادهم ما لا يقدر قدره ولا يبلغ مداه والذي يستفاد منه فوق ما يستفاد من قوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله تعالى ومن من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقوله تعالى لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن بدرجات كثيرة وقد ثبت الاحاديث الصحيحة الثابتة في دواوين

محمد بن علي بن دحيم حدثنا حازم حدثنا مالك بن اسمعيل النهدي حدثنا قيس عن زياد بن علاقة الاسلام عن عمارة بن أوس قال بينما نحن في الصلاة نحو بيت المقدس ونحن ركوع اذ نادى مناد بالباب ان القبلة قد حوت الى الكعبة قال فاشهد على امامنا انه انحرف فتحول هو والرجال والصبيان وهم ركوع نحو الكعبة وقوله وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره أمر تعالى باستقبال الكعبة من جميع جهات الارض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ولا يستثنى من هذا شيء سوى النافلة في حال السفر فانه يصليها حيثما توجه قلبه وقلبه نحو الكعبة وكذا في حال المسابقة في القتال يصلي على كل حال وكذا من جهل

جهة القبلة يصلي باجتهاده وان كان مخطئاً في نفس الامر لان الله تعالى لا يكلف نفساً الا وسعها (مسئلة) وقد استدل المالكية بهذه الآية على ان المصلي ينظر امامه لا الى موضع سجوده كما ذهب اليه الشافعي وأحمد وأبو حنيفة قال المالكية بقوله قول وجهك شطر المسجد الحرام فلو نظر الى موضع سجوده لاحتاج أن يتكلف ذلك بنوع من الانحناء وهو يناق كمال القيام وقال بعضهم ينظر المصلي في قيامه الى صدره وقال شريك القاضي ينظر في حال قيامه الى موضع سجوده كما قال جنهور الجساعة لانه ابلغ في الخضوع وكفى الخضوع وقد ورد به الحديث وأما في حل ركوعه فعلى (٢٣٧) موضع قدميه وفي حال سجوده الى موضع

أنفقه وفي حال قعوده الى جرد وقوله وان الذين أتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم أي واليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرواكم عن بيت المقدس يعلمون ان الله تعالى سيوجهكم اليها بما في كتبهم من انبيائهم من النعت والصفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأتمه وما خصه الله تعالى به وشرفه من الشريعة الكاملة العظيمة ولكن أهل الكتاب يكاثرون ذلك بينهم حسدا وكفرا وعناداً ولهذا تهددهم تعالى بقوله وما الله بغافل عما تعملون (ولئن آتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما آتيت بتابع قبلتهم وما تبعهم بتابع قبلة بعض ولئن اتعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين) يخبر تعالى عن كفر اليهود وعنادهم ومخافتهم ما يعرفونه من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لو أقام عليهم كل دليل على صحة ما جاءهم به لما تبعوه وتركوا أهواءهم كما قال تعالى ان الذين حققت عليهم كلمة ربك

الاسلام صفة الشفاعة وان هي ومن يقوم بها بالاذن (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الضمير انما في السموات والارض بتغليب العقل على غيرهم وما بين أيديهم وما خلفهم عبارة عن المتقدم عليهم والمتأخر عنهم وعن الدنيا والآخرة وما فيها وما قال مجاهد ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الآخرة وعن ابن عباس ما قدموا من أعمالهم وما أضعوا من أعمالهم والمقصود انه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أحوال جميع خلقه حتى يعلم ديب الخلق السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء تحت الارض الغبراء وحركة الذرة في جوف السماء والطير في الهواء والسماك في الماء وفيه رد على من ينفي عنه سبحانه علم الجزئيات كالفلاسطة وهي أي صفة العلم له سبحانه امام أئمة الصفات فلا يخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء ولا يحيطون بشيء من علمه قد تقدم معنى الاحاطة والعلم هنا بمعنى المعلومات أي لا يحيطون بشيء من معلوماته (الابشياء) ان يطالعهم عليه بأخبار الانبياء والرسول ليكون دليلاً على نبوتهم وليس ذلك اليهم بل اليه (وسع كرسيه) يقال فلان يسع الشيء سعة اذا احتمله وأمكنه القيام به وأصل الكرسي في اللغة مأخوذ من تركيب الشيء بعضه على بعض ومنه الكرسي الذي تتركب بعض أوراقها على بعض وفي العرف ما يجلس عليه والكرسي هنا الظاهر انه الجسم الذي وردت الآثار بصفته كما سيأتي بيان ذلك وقد نفي وجوده جماعة من المعتزلة وأخطوا في ذلك خطأ بينا وغلطوا غلطاً فاحشاً وقال بعض السلف ان الكرسي هنا عبارة عن العلم قالوا ومنه قيل للعلماء كراسي ومنه الكراسية التي يجمع فيها العلم ورجح هذا القول ابن جرير الطبري وفي القاموس الكرسي بالضم والكسر السرير والعلم والجمع كراسي وقيل كرسية قدرته التي يسكن بها السموات والارض كما يقال اجعل لهذا الخائن كرسياً أي ما يعمره وقيل ان الكرسي هو العرش وقيل هو تصور عرفانته ولا حقيقة له قال التفتازاني انه من باب اطلاق المركب الحسى المتوهم على المعنى العقلي الخلق وقال البيضاوي لا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وهو تمثيل مجرد وقيل هو عبارة عن الملك والسلطان مأخوذ من كرسي العالم والملك والحق القول الاول ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقي إلا مجرد خيالات تسببت عن جهالات وضلالات جاءت عن الفلاسفة أقامهم الله تعالى والمراد بكونه وسع (السموات والارض) انها صارت فيه وانه وسعها ولم يضيق عن الكونه بسيطاً واسعاً وأخرج الدارقطني في الصفات

(٤٣ - فتح البيان ل) لا يؤمنون ولوجاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم ولهذا قال ههنا ولئن آتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وقوله وما آتيت بتابع قبلتهم أخبار عن شدة متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لما أمره الله تعالى به وانه كما هم مستكبرون بآرائهم وأهوائهم فهو أيضاً مستمسك بأمر الله وطاعته واتباع مرضاته وانه لا يتبع أهواءهم في جميع أحواله ولا كونه متوجهاً الى بيت المقدس لكونه قبلة اليهود وانما ذلك عن أمر الله تعالى ثم حذر تعالى عن مخالفة الحق الذي يعلمه العالم الى الهوى فان العالم الحق عليه أقوم من غيره ولهذا قال مخاطباً للرسول والمراد به الامة ولئن اتعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم

انك اذا المني النالمن (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممتريين) يخبر تعالى ان علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعرف أحدكم ولده والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا كما جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل معه صغير ابنة هذا قال نعم يا رسول الله أشهد به قال أما انه لا يخفى عليك ولا تخفى عليه قال القرطبي وروى عن عماره قال لعبد الله بن سلام أتعرف محمدا كما تعرف ولدك قال نعم وأكثر (٢٣٨) نزل الامين من السماء على الامين في الارض بنعت فعرقت به واتي

لا ادري ما كان من أمه قلت وقد يكون المراد يعرفونه كما يعرفون أبناءهم من بين أبناء الناس لا يشك أحد ولا يترى في معرفة ابنه اذا رآه من أبناء الناس كلهم ثم أخبر تعالى انهم مع هذا التحقق والاتقان العلي ليكتمون الحق أى ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون ثم ثبت تعالى نبه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وأخبرهم بأن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق الذي لا مزية فيه ولا شك فقال الحق من ربك فلا تكونن من الممتريين (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير) قال العوفي عن ابن عباس ولكل وجهة هو موليها يعنى بذلك أهل الأديان يقول لكل قبيلة قبله يرضونها ووجهة الله حيث توجهه المؤمنون وقال أبو العالية لليهودى وجهته هو موليها وللنصراني وجهته هو موليها وهذا كم أنتم أيها الأمة الى القبلة التي هي القبلة وروى عن مجاهد

والخطيب في تاريخه عن ابن عباس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله وسع كرسيه قال كرسيه موضع قدمه والعرش لا يقدر قدره الا الله عز وجل وأخرجه الحاكم وصححه وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي عن أبي ذر الغفاري انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الكرسي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده ما السموات السبع عند الكرسي الا خلقته لملاقة في أرض فلاة وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحاقة وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا انه موضع القدمين وفي مسنده الحكم بن ظهير النزارى الكوفي وهو متروك وقد ورد عن جماعة من السلف من الصحابة وغيرهم في وصف الكرسي آثار لا حاجة في بسطها (ولا يؤده حنظهما) معناه لا ينقله ولا يبجده ولا يشق عليه حفظ السموات والارض يقال آدنى بمعنى أثقلني وتحملت منه مشقة وقال الزجاج يحتمل أن يكون الضمير في قوله يؤده لله سبحانه ويجوز أن يكون للكرسي لانه من أمر الله (وهو العلي العظيم) العلي يراد به علو القدر والمنزلة أى الرفيع فوق خلقه ليس فوقه شيء وقيل العلي بالملك والسلطنة والقهر فلا أعلى منه أحد وقيل علامن ان يحيط به وصف الواصفين ذو العظمة والجلال الذي كل في عظمتهم وحكي الطبري عن بعضهم انهم قالوا هو العلي عن خلقه بارتفاع مكانه عن أما كن خلقه قال ابن عطية وهذا قول جهة له مجسمين وكان الواجب أن لا يحكى انتهى والخلاف في اثبات الجهة معروف في السلف والخلف والنزاع فيه كائن بينهم والادلة من الكتاب والسنة طافحة بها ولكن الناشئ على مذهب يرى غيره خارجا عن الشرع ولا ينظر في أدلته ولا يلتفت اليها والكتاب والسنة هما المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل وتبين به الصحيح من الفاسد ولو اتبع الحق أهواءهم ففسدت السموات والارض وفلاشك ان هذا اللفظ يطلق على القاهرة الغالب أيضا كافي قوله ان فرعون علا في الارض والعظيم بمعنى عظيم شأنه وخطره قال في الكشف ان الجلة الاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيماعليه غير ساه عنه والثانية بيان لكونه مالكا لما يدبره والجلة الثالثة بيان لكبرياء شأنه والجلة الرابعة بيان لاحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرضى منهم المستوجب للشفاة وغير المرتضى والجلة الخامسة بيان لسمعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها وأجلاله وعظم قدره انتهى وبالجلة فهذه الآية قد اشملت

وعطاء والضحاك والربيع بن أنس والسدى نحو هذا وقال مجاهد في الرواية الاخرى والحسن أمر كل قوم يصولون الى على الكعبة وقرأ ابن عباس وأبو جعفر الباقر وابن عامر ولكل وجهة هو مولاها وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا وقال ههنا أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير أى هو قادر على جمعكم من الارض وان تفرقت أجيادكم وأبدانكم (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام

وحث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلاتتخضوهم واخشوني ولا تسمعوا
عليكم ولعلكم تهتدون) هذا امر ثالث من الله تعالى باستقبال المسجد الحرام من جميع أقطار الارض وقد اختلفوا في حكمه
هذا التكرار ثلاث مرات فقل تأكيده لانه أول ناسخ وقع في الاسلام على ما نص عليه ابن عباس وغيره وقيل بل هو منزل على
أحوال فالامر الاول لمن هو مشاهد الكعبة والثاني لمن هو في مكة غائبا عنها والثالث لمن هو في بقية البلدان هكذا وجهه مقرر
الدين الرازي وقال القرطبي الاول لمن هو بمكة والثاني لمن هو في بقية الامصار (٢٣٩) والثالث لمن خرج في الاسفار ورجع هذا

الجواب القرطبي وقيل انما ذكر
ذلك لتعلقه بما قبله أو بعده من
السياق فقال أولاد قنرى ثقل
وجهك في السماء فلو لي نيك قبلة
ترضاه الى قوله وان الذين أوثوا
الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم
وما الله بغافل عما يعملون فذكر في
هذا المقام اجابته الى طيبته وأمره
بالقبلة التي كان يود التوجه اليها
ويرضاها وقال في الامر الثاني
ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وانه الحق من
ربك وما الله بغافل عما تعملون
فذكر انه الحق من الله وارتقاءه
المقام الاول حيث كان موافقا
لرضا الرسول صلى الله عليه وسلم
فبين انه الحق أيضا من الله يحسنه
ويرتضيه به وذكر في الامر الثالث
حكمة قطع حجة المخالف من اليهود
الذين كانوا يتعجبون باستقبال
الرسول الى قبلتهم وقد كانوا يعلمون
بما في كتبهم انه سيصرف الى قبلته
ابراهيم عليه السلام الى الكعبة
وكذلك مشركو العرب انقطعت
حجتهم لما صرف الرسول صلى الله

على أمهات المسائل الالهية فانها دلت على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف
بالحياة الازلية الابدية واجب الوجود لذاته موجود لغضيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم
غير منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغرير والتور لا يناسب الاشباح ولا يعتبر به
ما يعتري النفوس والارواح مالمالك الملك والمالكوت ومبدع الاصول والفروع وذو البطش
الشديد الذي لا يشفع أحد عنده كاس من كان الامن أذن له الرحمن عالم بالاشياء كلها
جليها وخفيها كلها وجزئها واسع الملك والقدرة لكل ما يصح ان يملك ويقدر عليه
لا يتق عليه شاق ولا يشغل شأن عن شأن متعال عن الخلق ميا بين عن العالم مستوعب
العرش على الذات سمي الصفات كبير الشأن جليل القدر رفيع الذكر مطاع الامر جلي
البرهان على عما يدركه القياس والظن والوهم عظيم لا يحيط به علم الخلائق والفهم ولذلك
قد ورد في فضل هذه الآية أحاديث فخرج أحمد ومسلم واللفظ له عن أبي بن كعب ان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأله أي آية من كتاب الله أعظم قال آية الكرسي قال ليهنك
العلم أب المنذر وأخرج البخاري في تاريخه والطبراني وأبو نعيم في المعرف بسند رجاله ثقات
عن ابن الاسقع البكري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله
انسان أي آية في القرآن العظيم أعظم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا اله الا هو
الحق القيوم الآية وأخرج سعيد بن منصور والحاكم والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال سورة البقرة فيها آية سيدة أي القرآن لا تقرأ
في بيت فيه شيطان الا خرج منه آية الكرسي قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه وأخرج
أبو داود والترمذي وصححه من حديث أسماء بنت زيد بن السكن قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول في هاتين الآيتين الله لا اله الا هو الحق القيوم والم الله لا اله
الا هو ان فيها اسم الله الاعظم وقد وردت أحاديث في فضلها غير هذه ووردت ايضا في فضل
قراءتها دبر الصلوات وفي غير ذلك ووردت ايضا مع مشاركة غيرها لها أحاديث في فضلها وورد
عن السلف في ذلك شيء كثير وقد اختلف أهل العلم في قوله (لا اكره في الدين) على أقوال
الاول انها منسوخة لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أكره العرب على دين
الاسلام وقتلهم ولم يرض منهم الا الاسلام والناسخ لها قوله تعالى يا أيها النبي جاهد
الكفار والمنافقين وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار

فسأله ابراهيم التي هي أشرف وقد كانوا يعظمون الكعبة وأعجبهم استقبال الرسول اليها وقيل غير ذلك من الاجوبة عن حكمة
التكرار وقد سطرها الرازي وغيره والله أعلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة أي أهل الكتاب فأنهم يعلمون من صفة هذه الامة
التوجه الى الكعبة فاذا فقدوا ذلك من صفتها ربما احتجوا بها على المسلمين ولئلا يحتجوا بما وافقه المسلمين اياهم في التوجه الى بيت
القدس وهذا أظهر قال أبو العباس لئلا يكون للناس عليكم حجة يعني به أهل الكتاب حين قالوا صرف محمد الى الكعبة وقالوا
شق الرجل الى بيت أبيه ودين قومه وكان حجتهم على النبي صلى الله عليه وسلم انصرفه الى البيت الحرام أن قالوا سيرجع الى ديننا

فارجع الى قبلتنا قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد وعطاء والضحاك والربيع بن أنس وقتادة والسدي نحو هذا وقال هؤلاء في قوله الا الذين ظلموا منهم يعني مشركي قريش ووجه بعضهم حجة الظلمة وهي داخضة أن قالوا ان هذا الرجل يزعم انه على دين ابراهيم فان كان توجهه الى بيت المقدس على مله ابراهيم فلم يرجع عنه والجواب ان الله تعالى اخبره التوجه الى البيت المقدس أولا لانه تعالى في ذلك من الحكمة فأطاع ربه تعالى في ذلك ثم صرفه الى قبله ابراهيم وهي الكعبة فامتثل أمر الله في ذلك أيضا فيه وصلوات الله وسلامه عليه مطيع لله في جميع أحواله (٣٤٠) لا يخرج عن أمر الله طرفه عين وأتمه تبع له وقوله فلا تخشوهم

واخشوني أى لا تخشوا شبه الظلمة
المتعنتين وأفردوا الخشية لى فاته
تعالى هو أهل أن يخشى منه وقوله
ولا تتم نعمتى عليكم عطف على
لئلا يكون للناس عليكم حجة أى
لا تتم نعمتى عليكم فيما شرعت
لكم من استقبال الكعبة لتكمل
لكم الشريعة من جميع وجوهها
وعلمكم تهتدون أى الى ماضيت
عنه الامم هديناكم اليه وخصناكم
به ولهذا كانت هذه الامة
أشرف الامم وأفضلها (كما أرسلنا
فيكم رسولا منكم يتلو عليهم
آياتنا ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويعلمهم ما لم تكونوا
تعلمون فاذكرونى اذكركم
واشكروا الى ولا تكفرون) يذكر
تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم
من بعثة الرسول محمد صلى الله عليه
وسلم اليهم يتلو عليهم آيات الله
مبينات ويزكيهم أى يطهرهم من
رذائل الاخلاق وذنس النفوس
وأفعال الجاهلية ويخرجهم من
الظلمات الى النور ويعلمهم الكتاب
وهو القرآن والحكمة وهى السنة
ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فكانوا

وليجدوا فيكم غلظة وقال تعالى ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون
وقد ذهب الى هذا كثير من المفسرين القول الثاني انها ليست بمنسوخة وانما نزلت في
أهل الكتاب خاصة وانهم لا يكرهون على الاسلام اذا أدوا الجزية بل الذين يكرهون هم
أهل الاوثان فلا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف والى هذا ذهب الشعبي والحسن وقادة
والضحاك القول الثالث ان هذه الآية في الانصار خاصة القول الرابع ان معناها لا تقولوا
لمن أسلم تحت السيف انه مكروه فلا اكره في الدين القول الخامس انها وردت في السبي
مقى كانوا من أهل الكتاب لم يجبروا على الاسلام وقال ابن كثير في تفسيره أى لا تكرهوا
أحد على الدخول في دين الاسلام فانه بين واضح جلى دلائله وبراهينه لا يحتاج الى أن
يكروه أحد على الدخول فيه بل من هداه الله الى الاسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل
فيه على بينة ومن أعشى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فانه لا يقيد به الدخول في الدين
مكروها مقسورا وهذا يصلح أن يكون قولاً سادساً وقال في الكشف في تفسير هذه الآية
أى لم يجبر الله أمر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكن والاختيار ونحوه قوله
ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً فأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين أى
لو شاء أقسرهم على الايمان ولكن لم يفعل وبني الامر على الاختيار وهذا يصلح أن يكون
قولاً سابعاً والذي ينبغي اعتقاده ويتعين الوقوف عنده انها في السبب الذي نزلت لاجله
محكمة غير منسوخة وهوان المرأتين الانصار تكون مقلدة لا يكاد يعيشت لهما ولد فجعل
على نفسها أن عاش لهما وادأن تهوده فلما أجلبت يهود بنى النصير كان فيهم من أبناء الانصار
فقالوا لاندع أبناءنا فنزلت أخرجه أبو داود والنسائي وغيرهما عن ابن عباس وقد وردت
هذه القصة من وجوه حاصلها ما ذكره ابن عباس مع زيادات تضمن ان الانصار قالوا انما
جعلناهم على دينهم أى دين اليهود ونحن نرى ان دينهم أفضل من ديننا وان الله جاء
بالاسلام فلمنكرههم فلما نزلت خبر الانبا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكرههم
على الاسلام وهذا يقتضى ان أهل الكتاب لا يكرهون على الاسلام اذا اختاروا البقاء على
دينهم وأدوا الجزية وأما أهل الحرب فالآية وان كانت تعمهم لان النكرة في سياق النفي
وتعريف الدين فيبعد ان ذلك والاعتبار بعنوم اللفظ لا بخصوص السبب لكن قد
خصص هذا العموم بما ورد من الآيات في اكرام أهل الحرب من الكفار على الاسلام وقد

ويعلمهم ما هم يدعوا يصنعون فكلوا
 في الجاهلة الجهلاء يسفهون بالقول الفرافة لولا ببركة رسالته وعين سفارته الى حال الاولياء وسجاياء العلماء . قيل
 فصاروا أعمى الناس علما وأبرهم قلوبا وأقلهم تكافوا وأصدقهم لهجة وقال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا
 منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم الآية وذم من لم يعرف قدر هذه النعمة فقال تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم
 دار البوار قال ابن عباس يعنى بنعمة الله محمد ا صلى الله عليه وسلم ولهذا نذب الله المؤمنين الى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها
 بذكره وشكره وقال فاذا كرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون قال مجاهد فى قوله كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يقول كما فعلت

فأذكرني قال عبد الله بن وهب عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام قال يا رب كيف أشكرك قال له رب
 تذكري ولا تنساني فإذا ذكرني فقد شكرتني وإذا نسيتني فقد كفرتني قال الحسن البصري وأبو العالية والسدّي والربيع بن
 أنس إن الله يذكركم ويذكركم ويذكركم ويذكركم وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا زيد بن هرون
 أخبرنا عمارة الصديدي أني أخبرنا مكيول الأزدي قال قلت لأبي عمر (٣٤١) أرايت قاتل النفس وشارب الخمر والسارق
 والزاني يذكرك الله وقد قال الله

تعالى فإذا ذكرني أذكركم قال إذا
 ذكر الله هذا ذكره الله بلغته حتى
 يسكرت وقال الحسن البصري
 في قوله فإذا ذكرني أذكركم قال
 إذا ذكرني فيما افترضت عليكم
 أذكركم فيما أوجب لكم على
 نفسي وعن سعيد بن جبيرة ذكرني
 بطاعتي أذكركم بغفرتي وفي رواية
 برجسي وعن ابن عباس في قوله
 إذا ذكرني أذكركم قال ذكر الله
 أيكم أكبر من ذكركم إياه وفي
 الحديث الصحيح يقول الله تعالى
 من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي
 ومن ذكرني في ملأ ذكرته في
 ملا خير منه قال الامام أحمد
 حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر
 عن قتادة عن أنس قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 الله عز وجل يا ابن آدم ان ذكرني
 في نفسك أذكرك في نفسي وان
 ذكرني في ملأ أذكرك في ملأ
 من الملائكة أو قال في ملاخير
 منه وان دنوت مني شبرا دنوت
 منك ذراعا وان دنوت مني ذراعا
 دنوت منك باعا وان أتيتني تمشي

قل إن هذه الآية إلى خال دون من بقية آية الكرسي والتحقيق أن هذه الآية مستأنفة
 جئ بها اثر بيان صفات الباري المذكورة ليدان بان من حق العاقل أن لا يحتاج إلى
 التكليف والأكرافى الدين بل يختار الدين الحق من غير تردد (قد بين الرشد من الغي)
 لرشدنا الإيمان والغي الكفر أي قد تميزا أحدهما من الآخر وأصل الغي بمعنى الجهل
 الآن الجهل في الاعتقاد والغي في الأعمال وهذا استئناف يتضمن التعليل لما قبله
 (فن يكفر بالطاغوت) الطاغوت فعلوت من طغى يطغى ويطغوا إذا جاوز الحد قال
 سيبويه هو اسم مذكر مفرد أي اسم جنس يشمل القليل والكثير قاله سيدييه وقال أبو
 على الفارسي أنه مصدر كهوت وجبروت يوصف به الواحد والجمع وقيل أصل الطاغوت
 في اللغة مأخوذ من الطغيان يؤدي معناه من غير اشتقاق وقال المبرد هو جمع قال ابن
 عطية وذلك مردود قال الجوهري والطاغوت الكاهن والساحر والسيطان وكل رأس
 في الضلال وكل ما عبد من دون الله وقد يكون واحدا قال تعالى يريدون أن يتحاكوا
 إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به وقد يكون جمعا قال تعالى أولياؤهم الطاغوت
 والجمع الطواغيت أي فن يكفر بالسيطان أو الأضنام أو أهل الكهانة ورؤس الضلالة
 أو بالجميع (ويؤمن بالله) عز وجل بعد ما تميزه الرشد من الغي والحق عن الباطل والهدى
 عن الضلالة وانما قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله لان الشخص مالم يخاف
 الشيطان ويترك عبادة غيره تعالى لم يؤمن بالله كما قالوا ان الخلية مقدمة على الخلية
 (فقد استمسك بالعروة) هو في الأصل شد البدأ أصل المادة يدل على التعاقب ومنه عروته
 إذا ألمت به متعلقا به واعتراه الهم تعلق به (الوثقى) أي فقد فاز وتمسك بالحبل الوثيق
 المحكم والوثقى فعلى من الوثاق تأنىب الاوثق وجمعها وثوق مثل الفضلى والفضل وقد
 اختلف المفسرون في تفسير العروة الوثقى بعد اتفاقهم على ان ذلك من باب التشبيه
 والتمثيل لما هو معلوم بالدليل بما هو مدرك بالحاسة ففيل المراد بالعروة الإيمان وقيل
 الاسلام وقيل لا اله الا الله وقيل من باب الاستعارة المفردة حيث استعير العروة الوثقى
 للاعتقاد الحق ولا مانع من الحمل على الجميع (لا انفصام لها) لا انفصام الاتسار من غير
 بينونة قال الجوهري فصم الشيء كسر من غير أن يبين وأما القصم بالقاف فهو
 الكسر مع البينونة وفسر صاحب الكشاف الانفصام بالانقطاع والمعنى أن المتمسك

أنتك هرولة صحيح الاسناد أخرجه البخاري من حديث قتادة وعنده قال قتادة الله أقرب بالرجة وقوله واشكروا ولا تكفرون
 أمر الله تعالى بشكركه ووعد على شكره بجزيل الجزاء قالوا إذا نذرتكم لئن شكرتم لازيدنكم وائن كفرتم ان عذابي لشديد
 وقال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا شعبه عن الفضل بن فضالة رجل من قيس حدثنا أبو رجاء العطاردي قال خرج عليا عمران
 ابن حصين وعليه مطرف من خز لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أنعم الله عليه نعمة
 قال الله يجب أن يرى أثر نعمته على خلقه وقال روح مرة على عيده (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصلاة والصلاة النافعة

الصابرين ولا تنزلوا المني يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون) لم فرغ تعالى من بيان الامر بالشكر ثم عفي
 بيان الصبر والارشاد والاستعانة بالصبر والصلاة فان العبد اما ان يكون في نعمة فيشكر عليها أو في نقمة فيصبر عليها كما جاء في
 الحديث بحمد الله مؤمن لا يتقضى الله قضاء الا كان خيرا له ان أصابته سرافشكر كان خيرا له وان أصابته ضراء فصبر كان خيرا له
 وبين تعالى ان أجود ما يستعان به على تحمل المصائب الصبر والصلاة كما تقدم في قوله واستعينوا بالصبر والصلاة رانها الكبيرة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حزته أمر صلى (٣٤٢) الاعلى الخاشعين وفي الحديث ان

والصبر صبران فصبر على ترك
 المحارم والمأثم وصبر على فعل
 الطاعات والقربات والثاني أكثر
 ثوابا لانه المقصود وأما الصبر
 الثالث وهو الصبر على المصائب
 والنواب فذلك أيضا واجب
 كالاستغفار من المعاييب كما قال
 عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الصبر في
 بابين الصبر لله بما أحب وان ثقل
 على النفس والابدان والصبر لله
 عما كره وان نازعت اليه الاهواء
 فمن كان هكذا فهو من الصابرين
 الذي يسلم عليهم ان شاء الله وقال
 علي بن الحسين زين العابدين ذا
 جمع الله الاولين والاخرين
 ينادى مناد أين الصابرون
 ليدخلوا الجنة قبل الحساب قال
 فيقوم عنق من الناس فتسلكاهم
 الملائكة فيقولون الى أين يا بني
 آدم فيقولون الى الجنة فيقولون
 وقبل الحساب قالوا نعم قالوا ومن
 أنتم قالوا نحن الصابرون قالوا
 وما كان صبركم قالوا صبرنا على
 طاعة الله وصبرنا عن معصية الله
 حتى توفانا الله قالوا أنتم كما قلتم
 ادخلوا الجنة فنع أجبر العاصيين

(قلت) ويشهد لهذا قوله تعالى انما وفي الصابرون أجورهم بغير حساب وقال سعيد بن جبيرة الصبر اعتراف العبد لله وضع
 بما أصاب منه واحتسابه عند الله رجاء ثوابه وقد يجزع الرجل وهو متجدد لا يرى منه الا الصبر وقوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في
 سبيل الله أموات بل أحياء يخبر تعالى ان الشهداء في برزخهم أحياء مرزقون كما جاء في صحيح مسلم ان ارواح الشهداء في حواصل
 طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى قتاديل معلقة تحت العرش فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال ماذا تبغون
 فتألو اياربنا وای نبي تبغی وقد أعطيتنا ما لم نعط أحدا من خلقك ثم عاد عليهم عنل هذا فلما رأوا والنهم لا يتركون من أن يسألوا قالوا

نريد ان نردنا الى الدار الدنيا فنقاتل في سبيلك حتى نفقتل فيك مرة أخرى لما يرون من ثواب الشهادة فيقول الرب جل جلاله اني كتبت انهم اليها لا يرجعون وفي الحديث الذي رواه الامام أحمد عن الامام الشافعي عن الامام مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يعثه ففيه دلالة لعموم المؤمنين أيضا وان كان الشهداء قد خصوا بالذكور في القرآن تشرىف الله بهم وتكرما وتعظيما (ولنولينكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس ٣٤٣) والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا ان الله وانا اليه راجعون أو ائلك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) أخبر تعالى انه يتلى عباده أى يختبرهم ويختبرهم كما قال تعالى وابلونهكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وبلوا أخباركم فسارة السرا وتارة بالضراء من خوف وجوع كما قال تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف فان الجائع والخائف كل منهما يظهر ذلك عليه ولهذا قال لباس الجوع والخوف وقال ههنا بشئ من الخوف والجوع أى بقليل من ذلك ونقص من الاموال أى ذهاب بعضها والانفس كموت الاصحاب والاقارب والاحباب والثرات أى لا تغفل الحدائق والمزارع كعادتها قال بعض السلف فكانت بعض النخيل لا تثمر غير واحدة وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباده فمن صبرا ثابا ومن قضا أحل به عقابه ولهذا قال تعالى وبشر الصابرين وقد حكى بعض المفسرين ان المراد من الخوف ههنا خوف

وضع الحاجة التي هي أقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديقي لاني أحسنت اليك قال مجاهد ملك الارض أربعة مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران غرودو بجنت نصر واختلفوا في وقت الحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام وقيل بعد القائه في النار وكان مدة ملكه أربع مائة سنة (اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا احيى وأميت) أراد ابراهيم عليه السلام ان الله هو الذى يخلق الحياة والموت في الاجساد وأراد الكافران به قدر على ان يعفوا عن القتل فيكون ذلك احياء وعلى ان يقتل فيكون ذلك اماتة فكان هذا جوابا باحق لا يصح نصبه في مقابلة حجة ابراهيم لانه أراد غير ما أراد الكافر فلو قال له ربى الذى يخلق الحياة والموت في الاجساد فهل تقدر على ذلك بهت الذى كفر بادى به وفي أول هذه ولكنه انتقل معه الى حجة أخرى أوضح منها فتبين الخناق وارسال العنان المناظرة (قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) لكون هذه الحجة لا تجرى فيها المغالطة ولا يتيسر للكافران يخرج عنها مخرج مكابر ومشاغبة وتوهمها وتليسا على العوام (فهت الذى كفر) بهت الرجل وبهت وبهت اذا انقطع وسكت متحيرا وقال ابن عطية وقد تأول قوم في قراءة بهت بالفح انه بمعنى سب وقد ف وان النور هو الذى سب حين انقطع ولم تكن له حيلة انتهت وقال سبحانه فهت الذى كفر ولم يقل فهت الذى حاج اشعارا بان تلك الحاجة كفر وقيل هذا الفعل من جلة الافعال التي جاءت على صورة المبني للمفعول والمعنى فيها على البناء للفاعل والبهت الانقطاع والحيرة وهو مبهوت لا يابها ولا يهت (والله لا يمدى القوم الظالمين) تذييل مقرر لاضمون الجلة التي قبله (أو كالذى مر على قرية) أى ألم تر اليه كيف هداه الله وأخرجه من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود واختلف في ذلك المارفروى عن مجاهد انه كان كافرا أشد في البعث وهذا الضعيف جد القول كما لبث والله لا يخاطب الكافر واقوله ولنجعلك آية للناس وهذا لا يستعمل في حق الكافر وقال ابن عباس وعبد الله بن سلام وسليمان بن برية والبخاري وقتادة وعكرمة والسدي هو عزير بن شرخيا وقال ابن عبيد ووهب بن منبه هو ارميا بن حلقيا من سبط هرون وهو الخضر بعينه وعن رجل من أهل الشام انه حرقيل ومقصود القصة تعريف منكرى البعث قدرة الله على احياء خلقه بعد اماتتهم لا تعريف اسم ذلك المار قال وهب وعكرمة

الله بالجوع صيام رمضان ونقص الاموال الزكاة والانفس والامراض والثرات الاولاد وفي هذا نظر والله اعلم ثم بين تعالى من الصابرون الذين شكرهم فقال الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا ان الله وانا اليه راجعون أى تسالوا يقول لهم هذا أعما أصابهم وعلما انهم ملك لله يتصرف في عبيده بما يشاء وعلما أنه لا يضيع لديه شئ قال ذرة يوم القيامة فاحذر لهم ذلك اعترافهم بانهم عبيده وانهم اليراجعون في الدار الآخرة ولهذا أخبر تعالى عما أعطاهم على ذلك فقال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة أى ثناء من الله عليهم قال عبيد بن جبير أى أمنه من العذاب وأولئك هم المهتدون وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نعم العبدان

ونعمت لعلاوة وتشد عليهم صلوات من ربه ورحمة في ذلك العبد لان اولئك هم الميئنون فيشد لعلاوة وهي ما توضع بين
العبدان وهي رابطة في اهل فكنته حوزة تعملوا لربهم وزيدوا ايضا وقد ورد في جواب الاسترجاع وهو قوله الله الله والله
راجعون عند الحساب احاديث كثيرة في ذلك ما رواه الامام احمد حيث قال حدثني يونس بن محمد حدثنا الليث يعني ابن سعد عن يزيد
ابن عبد الله حدثنا ابي ادم بن ابي ادم عن عمرو بن ابي عمرو عن النضر بن ابي نضر عن ابي نضر عن ابي نضر عن ابي نضر عن ابي نضر
الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول لا سررت به قول لا يصيب احدا من المسلمين

مصيبة فيسترجع عند مصيبتها ثم
يقول اللهم اجزني في مصيبي
واخلفني خيرا منها الا فعل ذلك
به قال ام سلمة خفت ذلك منه
فلما توفي ابو سلمة استرجعت وقالت
اللهم اجزني في مصيبي واخلفني
خيرا منها ثم رجعت الى نفسي
فقلت من اين لي خيرا من ابني سلمة
فلما انقضت عدتي استاذن على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
أدبغ اشيا لي فقلت بي من
الفرط واذا في له فوضعت له
وسادة اثم حوها لي فقعده
عليها فخطبني الى نفسي فلما فرغ
من مقالته قلت يا رسول الله مالي
ان لا يكون لك الرغبة ولكني اسرأة
في غيرك فشدته فاق في ان ترى مني
شيئا بعدني الله وانا امر اذ قد
دخلت في السن واهل ان عيال
فقال اما ماذا كرت من الغيرة
فصوف يذهبها الله عز وجل عندك
واما ماذا كرت من السن فقد
أصابني مثل الذي أصابك واما
ماذا كرت من العيال فتماعياك
عالي قال فقد سلمت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فترجيا

والربيع ان القرية التي هي في المقدس بعد تحريم بخت نصرة لينا وقيل امر ان القرية
أهلها وقيل هي القرية التي خرج أهلها من ديارهم وشبه قوم وقيل سكنى هي دير
سائر آية موضع بدارس وقال السدي سلمة لجملة أو قرية من خواص جرجان أو حدة ان
وقيل دير هو قل بن بصرى وعسكر مكرم على شط دجلة والثور هو الكاظمي والامير هو
خويع على عرومها أي ساقطة بمعنى سعة السقف ثم سقطت احضان عليه قاله السدي
واخذوه ابن جرير وقيل معناه خلية من الناس واليوت فاقته وأصل الخوى الخوى يقال
خوت النار وخوت تخوى خواهم تدنو خويا ألقوت والخوى أيضا الخرج خالوا البطن
عن الغذاء والقاهر القول الاول به لانه قوله على عرومها من خوى البيت اذا سقط
وخوت الارض اذا تهدمت قال ابن عباس حاوية أي خراب وقال قتادة حاوية أي
ليس فيها أحد وقال النخاعة العروش السقوف (قال) أي فنت النار (أي يحيى هذه
التي بعد موتها) أي سي يحيى أو كذا يحيى وخواتم عباد لا حياها وهي على قنات الحية
المشابهة لحالة الاموات الميامنة لحالة الاحياء وتقديم المقبول لكون الاستبعاد ناشئا من
حيته لا من جمة القاعل وقيل قال ذلك استعظاما لقدرته تعالى قاله السيوطي وعبد
أبي السعود قال ذلك تليغا عليهم او تشوذا الى عمارتها مع استعظامها لئلا ينس منها وعبد
البيضاوي قال ذلك استعظاما لقصور عن معرفة طريق الاحياء وسبب توجيهه على ذلك
القرية انه كان من أهلها من جملة من سباهم بخت نصرة لخالص من أسبي وجاءوا بها
على ذلك الحانة فوجع وتلف وما قال انما رده المنة متبعدا للاحياء القرية فلذلك كورة
بالعمارة لئلا وان يكون فيها ضرب الله المثل في نفسه بما هو أعظم مما سأل عنه فقال
(فأما الله ما لم يعلم) وحكي الطبري عن بعضهم انه قال كان هذا القول شكا في قدراته
على الاحياء فلذلك ضرب الله المثل في نفسه قال ابن عطية ليس يدخر شيئا في قدراته
سجده على احياء قرية يجلب العمارات اليها وانما تصور انك اذا كان سؤاله عن احياء
موتاهما والعام السنة أصمد مصدر كالتعوم سجي به هذا التقدير من الزمان والتعوم هو
السباحة حيث السقما لان الشمس تعوم في جميع بروجها (ثم بعته) أي احياء ليريه
كيفية ذلك واشار البعث على الاحياء لانه على سرعته وسهولة تأنيته على الباري تعالى
كأنه بعثه من النوم واللاذ ان يات تاد كنيته يوم مودته فبارقهما مستعدا لظن

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ام سلمة بعد ان تلى آية ما في سورة خيرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا استلال
وفي صحيح مسلم عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون
اللهم اجزني في مصيبي واخلفني خيرا منها الا جره الله في مصيبي واخلفني خيرا منها قالت فلما توفي ابو سلمة قلت كما أمرني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخلف الله لي خيرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن عباد بن عباد قال
حدثنا هشام بن أبي هشام حدثنا عباد بن زياد عن أمه عن فاطمة ابنة الحسين عن أبيها الحسين بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بخصية فيذكرها وان طال عهدا او قال عبادا قدم عهدا فيحدث لذلك استرجاعا الا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب ورواه ابن ماجه في سننه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن هشام بن زياد عن أمه عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها وقد رواه اسمعيل بن علي بن زيد بن هرون عن هشام بن زياد عن أبيه كذا عن فاطمة عن أبيها وقال الامام أحمد نا يحيى بن اسحق السيلحي عن أناس جادين سلمة عن أبي سنان قال دفنت اباي فاني اني القبر اذا أخذ بيدي أبو طحمة يعني الخولاني فخرجني وقال لي ألا أبشرك قلت بلى قال حدثني الضحالك بن عبد الرحمن (٣٤٥) بن عوزب عن أبي موسى قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال الله يملك الموت قبضت ولد عبدى قبضت قرة عينه وعرة نفوسه قال نعم قال فما قال قال جلدك واسترجع قال ابشوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ثم رواه عن علي بن اسحق عن عبد الله بن المبارك فذكره وهكذا رواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك به وقال حسن غريب واسم أبي سنان عيسى بن سنان (ان

الصفا والمروة من شعائر الله فن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم) قال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود الهاشمي أنا ابراهيم بن سعد عن الزهري عن عروة عن عائشة قال قلت لأبي قال قول الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله فن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما قلت فوالله ما علي أحد جناح أن لا يطوف بهما فقالت عائشة بشما قلت يا ابن أخي انهما لو كانتا على ما أولتها عليه كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما وليكنها انما أنزلت أن الانصار كانوا قبل أن

والاستدلال قال علي قال ما خلق الله عينا فجعل ينظر الى عظامه ينضم بعضها الى بعض ثم كسيت لحما ثم نفخ فيه الروح قال علي فأتى مدينته وقد ترك جارا له اسكافا شابا جفا وهو شيخ كبير قال كم لبثت قال اثبت يوما أو بعض يوم) اخلف في فاعل قال فقيل هو الله عز وجل وقيل ناداه بملك من السماء قيل هو جبريل وقيل غيره وقيل انه نبي من الانبياء وقيل رجل من المؤمنين من قومه شاهدده عند ان أمته الله وعمر الى حين بعثه والاول أولى لقوله فيما بعد وانظر الى العظام كيف ننشزها وانما قال يوما أو بعض يوم بناء على ما عذرته وفي ظنه فلا يكون كاذبا ومثله قول أصحاب الكهف قالوا البنا يوما أو بعض يوم ومثله لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في قصة ذي اليمين لم تقصر ولم تأنس وهذا ما يؤيد قول من قال ان الصديق ما طبق الاعتقاد والكذب ما خالفه وقيل ان الله أماته ضحى في أول النهار وأحياه بعد مائة سنة في آخر النهار قبل أن تغيب الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم وقيل ان أو بمعنى بل التي للاضراب وهو قول ثابت وقيل هي للشك والاول أولى (قال بل لبثت مائة عام) هو استئناف أيضا كما سلف أي ما لبثت يوما أو بعض يوم بل لبثت مائة عام (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) الطعام هو التين الذي كان معه والشراب هو العصير والمعنى لم يتغير ولم يتن فكان التين كأنه قد قطف من ساعته والعصير كأنه عصر من ساعته أمره الله ان ينظر الى هذا الاثر العظيم من آثار القدرة وهو عدم تغير طعامه وشرابه مع طول تلك المدة والتسنه مأخوذة من السنة أي لم ترق عليه السنون أي المائة سنة لبقائه على حاله وعدم تغيره مع طول الزمان مع ان شأنه التغير يسريعا وأصله سنة أو سنة من سنهت الخلقة وتسنة اذا أدت عليها السنون ونحوه تسماء أي تحمل سنة ولا تحمل أخرى وقيل هو من أسن الماء اذا تغير وكان يجب على هذا أن يقال يتأسن من قوله حمامة سنون قاله أبو عمرو والشيباني وقال الزجاج ليس كذلك لان قوله مسنون ليس بمعناه متغير وانما معناه مصبوب على سنة الارض (وانظر الى حمارك) اختلاف المفسرون في معناه فذهب الاكثر الى ان معناه انظر اليه كيف تفرقت أجزاؤه وفشرت عظامه وتقطعت أوصاله ثم أحياه الله وعاد كما كان لتشاهد كيفية الاحياء فالنظر ان مختلفان وقال الضحالك وروى بن منبه انظر الى حمارك فأعاني حربه لم يصبه شيء بعد ان مضت عليه مائة عام

(٤٤ - فتح البيان ل) يسلموا كانوا يهولون لما في الطاعة التي كانوا يعبدونها عند المشرك وكان من أهلها يخرج أن يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا كنا نخرج ان نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأمر الله عز وجل ان الصفا والمروة من شعائر الله فن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما قالت عائشة ثم قدس رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما فليس لاحد ان يدع الطواف بهما آخر جهاه في الصحيحين وفي رواية عن الزهري انه قال فحدثت بهذا الحديث يا بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقال ان هذا العلم ما كنت سمعته ولقد سمعت رجلا من أهل العلم

يقولون ان الناس الامن ذكرت عائشة كانوا يقولون ان طوافنا بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية وقال آخرون من الانصار انما امر بابا الطواف بالبيت ولم نؤمر بالطواف بين الصفا والمروة فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله قال أبو بكر بن عبد الرحمن فلعلها نزلت في هؤلاء وهؤلاء ورواه البخاري من حديث مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحو ما تقدم ثم قال البخاري حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن عاصم بن سليمان قال سألت أنساعن الصفا والمروة قال كنا نرى انه من أمر الجاهلية فلما جاء الاسلام أمسكناهم ما أنزل الله عز وجل ان (٣٤٦) الصفا والمروة من شعائر الله وذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس قال كانت الشياطين تفرق

بين الصفا والمروة للليل كله وكانت بينهما آلهة فلما جاء الاسلام سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطواف بينهما فأنزلت هذه الآية وقال الشعبي كان اساق على الصفا وكانت نائلة على المروة وكانوا يستلمونها ففجر جوا بعد الاسلام من الطواف بينهما فأنزلت هذه الآية (قلت) ذكر محمد بن اسحق في كتاب السيرة ان اساقا ونائلة كانا بشرين فزينا داخل الكعبة فمخنا حجرين فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس فلما طال عهدهما عبداهما ثم حولا الى الصفا والمروة فنصباهنالك فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته المشهورة

وحيث ينبج الاشعرون ركابهم
لمقضى السيول من اساف ونائل
وفي صحيح مسلم من حديث جابر الطويل وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه بالبيت عاد الى الركن فاستلمه ثم خرج من باب الصفا وهو يقول ان

ويؤيد القول الاول قوله تعالى وانظر الى العظام كيف ننشرها ويؤيد القول الثاني مناسبة لقوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانما ذكر سبحانه عدم تغيير طعامه وشرابه بعد اخباره انه لبث مائة عام مع ان عدم تغيير ذلك الطعام والشراب لا يصلح أن يكون دليلا على تلك المدة الطويلة بل على ما قاله من لبثه يوما أو بعض يوم لزيادة استعظام ذلك الذي أماته تلك المدة فانه اذا رأى طعامه وشرابه لم يتغير مع كونه قد قلن انه لم يلبث الا يوما أو بعض يوم زادت الحيرة وقويت عليه الشبهة فاذا انظر الى حماره عظاما متفجرة تقرر لديه ان ذلك صنع من تأتى قدرته بما لا تحيط به العقول فان الطعام والشراب سريع التغير وقد بقي هذه المدة الطويلة غير متغير والحمار يعيش المدة الطويلة وقد صار كذلك فبارك الله أحسن الخالقين (والجعلك آية للناس) وعبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله الفقهاء وقال الاعمش كونه آية هو انه جاء شابا على حاله يوم مات فوجد الابل بناء والحفيدة شيوخا (وانظر الى العظام كيف ننشرها) قرأ الكوفيون بالزاي والباقون بالراء وقد أخرج الحاكم وصححه عن زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ كيف ننشرها فغنى القراءة بالزاي نرفعها ومنه النشر وهو المرفوع من الارض أى نرفع بعضها الى بعض وأما معنى القراءة بالراء فواضحة من أنشأ الله الموتى أى أحياهم (ثم نسكوها لحما) أى نستريحها به كما يستريح الجسد باللباس واستعار اللباس لذلك ولعل عدم التعرض لنفخ الروح لما ان الحكمة لا تقتضى بيانه (فلما تبين له) ما تقدم ذكره من الايات التى أراه الله سبحانه وأمره بالنظر اليها والتفكير فيها التى استغربها قال ابن جرير لما انضح له عيانا ما كان مستنكرا فى قدرة الله عنده قبل عيانها من احياء القرية وقال الزمخشري ما أشكل عليه يعنى من أمر الاحياء والاول أولى لان قوة الكلام تدل عليه بخلاف الثانى (قال أعلم) أى علم مشاهد بعد العلم الميقنى الخاص بالفطرة والادلة العقلية قال أبو على الفارسي معناه أعلم هذا الضرب من العلم الذى لم يكن علمته (أن الله على كل شئ قدير) لا يستعصى علمه شئ من الاشياء ويدخل تحته الامانة والاحياء دخولا اوليا (واذا قال ابراهيم رب ارنى كيف تنحي الموتى) انظر في منصوب بفعل محذوف أى اذكر وقت قول ابراهيم وانما كان الامر بالذكر موجها الى الوقت دون ما وقع فيه مع كونه المقصود لقصد المبالغة لان طلب وقت الشئ يستلزم طلبه بالاولى وهكذا يقال فى سائر

الصفا والمروة من شعائر الله ثم قال أبدأ بعبادة الله به وفى رواية للنسائي ابدأوا بعبادة الله به وقال الامام أحمد حدثنا المواضع شرح حدثنا عبد الله بن المؤدل عن عطاء بن أبي رباح عن صفية بنت شيبة عن حبيبة بنت أبي تيجرة قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو وراءهم وهو يسبح حتى أرى ركبتيه من شدة السجى يدور به ازاره وهو يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السجى ثم رواه الامام أحمد عن عبد الرزاق انا معمر عن واصل مولى أبى عبيدة عن موسى بن عبيدة عن صفية بنت شيبة ان امرأة أخبرتها انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة يقول كتب عليكم السجى فاسعوا وقد

استدل بهذا الحديث على مذهب من يرى ان السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج كما هو مذهب الشافعي ومن وافقه ورواية عن أحمد وهو المشهور عن مالك وقيل انه واجب وليس بركن فان تركه عمدا أو سهوا جبره بدم وهو رواية عن أحمد وبه يقول طائفة وقيل بل مستحب واليه ذهب أبو حنيفة والثوري والشعبي وابن سيرين وروى عن أنس وابن عمرو وابن عباس وحكي عن مالك في العتبية قال القرطبي واحتجوا بقوله تعالى فمن تطوع خيرا والقول الاول أرجح لانه عليه السلام طاف بينهما وقال لتأخذوا عني مناسككم فكل ما فعله في حجة تلك واجب لا بد من فعله في الحج الا ما خرج بدليل (٢٤٧) والله أعلم وقد تقدم قوله عليه السلام

اسعوا فان الله كتب عليكم السعي فقد بين الله تعالى ان الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله أي مما شرع الله تعالى لبراهيم في مناسك الحج وقد تقدم في حديث ابن عباس ان أصل ذلك مأخوذ من طواف هاجر وتردادهما بين الصفا والمروة في طلب الماء لولدهما لما نفذ ماؤهما وزادهما حين تركهما ابراهيم عليه السلام هناك وليس عندهما أحد من الناس فلما خافت على ولدها الضيعة هناك ونفذ ما عهدتهما قامت تطلب الغوث من الله عز وجل فلم تزل تردد في هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة متدلة خائفة وجليلة مضطرة فقيرة الى الله عز وجل حتى كشف الله كبريتها وأنس غربتها وفرج شدتها وأنبع لها زمزم التي طعمها طعام طعم وشفاء سقم فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذلته وحاجته الى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه وأنه يلجئ الى الله عز وجل لتفريج ما هو به من النقائص والعيوب وأن يهديه الى الصراط المستقيم

المواضع الواردة في الكتاب العزيز بمثل هذا الظرف وقوله رب آثره على غيره لما فيه من الاستعفاف الموجب لقبول ما يرده بعد من الدعاء قال الاخفش لم يرد رؤية القلب وإنما أراد رؤية العين وكذا قال غيره ولا يصح أن يراد به الرؤية القلبية هنا لان مقصود ابراهيم أن يشاهد الاحياء لتحصل له الظمانينة (قال أولم تؤمن) أي ألم تعلم ولم تؤمن بانى قادر على الاحياء حتى تسألني اراءه (قال بلى) علمت وأمنت بانك قادر على ذلك (ولكن) سألت (لطمئن قلبي) باجتماع دليل العيان الى دلائل الايمان وقد ذهب الجمهور الى أن ابراهيم لم يكن شاكافي احياء الموتى قط وإنما طاب المعايضة لما جلبت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أخبرت عنه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس الخبر كالمعايضة وحكي ابن جرير عن طائفة من أهل العلم أنه سأل ذلك لانه شك في قدرة الله واستدلوا بما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيحين وغيرهما من قوله نحن أحق بالشك من ابراهيم وعماروى عن ابن عباس انه قال ما في القرآن عندي آية أرجى منها أخرجه عنه الحاكم وصححه ودرج هذا ابن جرير بعد حكايته له قال ابن عطية وهو عندي مر دويعني قول هذه الطائفة ثم قال وأما قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم فعنده انه لو كان شاكاً لكنا نحن أحق به ونحن لا نشك فابراهيم أخرى أن لا يشك فالحديث مبنى على نفي الشك عن ابراهيم وأما قول ابن عباس هي أرجى آية فمن حيث ان فيها الادلال على الله وسؤال الاحياء في الدنيا وليست منظمة ذلك ويجوز أن نقول هي أرجى آية لقوله أولم تؤمن أي ان الايمان كاف لا يحتاج معه الى تنقيرو بحث قال فالشك يعد على من ثبت قدمه بالايمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخلقة والانبياء معصومون من الكأثر ومن الصغائر التي فيهم اذ يله اجماعاً واذ تأملت سره عليه السلام وسائر الالفاظ لا يلم تعطشكا وذلك ان الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حاله شيء فهو جود متقرر الوجود عند السائل والمسؤل نحو قولك كيف علم زيد وكيف نسج الثوب ونحو هذا ومتى قلت كيف ثوبك وكيف زيد فانما السؤال عن حال من أحواله وقد يكون كيف خبراً عن شيء شأنه أن يستفهم عنه بكيف نحو قولك كيف شئت فكن ونحو قول البخاري كيف كان بدء الوحى وهي في هذه الآية استفهام عن هيئة الاحياء والاحياء متقررون لكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبرون عن انكاره بالاستفهام عن حاله لذلك الشيء يعلم انها

وأن يشبهه عليه الى مماهاته وأن يحول له من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي الى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة كما فعل هاجر عليها السلام وقوله فمن تطوع خيراً قيل زاد في طوافه بينهما على قدر الواجب ثمانية وتسعة ونحو ذلك وقيل يطوف بينهما في حجة تطوع أو عمرة تطوع وقيل المراد تطوع خيراً في سائر العبادات حكى ذلك الرازي وعزى الثالث الى الحسن البصري والله أعلم وقوله فان الله شاكر عليم أي يشيب على القليل بالكثير علم بقدر الخرافة لا يخس أحد أثوابه ولا يظلم مثقال ذرة وان تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً (ان الذين يكفون ما أتوا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك

يلعنهم الله ويلعنهم الا الذين تابوا واصلحوا وينوافوا ذلك اوتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وامنوا ثم اؤمواهم
كفارا اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيم الا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون شدوا وعيد شديد لمن كتم
فما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب من بعد ما يئمه الله تعالى لعباده في كتبه التي
انزلها على رسوله قال ابو العباس عزلت في اهل الكتاب كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم اخبرناهم بلعنهم كل شيء على صنيعهم ذلك
الحوت في الماء والطير في الهواء فهو لا يختلف العلماء في لعنهم الله وبعنهم
فكان العالم يستغفر له كل شيء عتي (٣٤٨)

اللائعون وقد ورد في الحديث
المستند من طرائق يشد بعضهم البعض
عن أبي هريرة وغيره ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من سئل
عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة
بلجام من نار والذي في الصحيح عن
أبي هريرة انه قال لولا آية في كتاب
الله ما حدثت أحد شيئا ان الذين
يكنون ما أنزلنا من المينات
والهدي الآية وقال ابن أبي حاتم
حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمار
ابن محمد عن ليث بن أبي سليم عن
المهمال بن عمرو عن زاذان بن عمر عن
البراء بن عازب قال كأمع النبي صلى
الله عليه وسلم في جنازة فقال ان
الكافر يضرب ضربة بين عيني
يسمعها كل دابة غير الثقلين فقلعه
كل دابة سمعت صوته فذلك قول
الله تعالى أولئك يعلمهم الله ويعلمهم
اللائعون يعنى دواب الارض
ورواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح
عن عاصم بن محمد بن عطاء بن
أبي رباح كل دابة والجن والانس
وقال مجاهد اذا أجذبت الارض
قال البهائم هذا من اجل عصاة بني
آدم لعن الله عصاة بني آدم وقال أبو

لا تصح فيلزم من ذلك ان الشيء في نفسه لا يصح مثال ذلك أن يقول مدع أنا أرفع هذا الجبل
فيقول المكذب له أرني كيف ترفعه فوهه مذ طريقة تجازي في العبارة ومعناها تسليم جدل
كأنه يقول أقرض انك ترفعه فلما كان في عبارة الخليل هذا الاشتراك المجازي خلص الله
له ذلك وجه له على ان بين له الحقيقة فقال له أؤلم تؤمن قال بلى فكمل الامر وتخلص من
كل شيء ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمأنينة قال القرطبي هذا ما ذكره ابن عطية وهو
بالغ ولا يجوز على الانبياء صلوات الله عليهم مثل هذا الشك فانه كفر والانباء متفقون
على الايمان بالبعث وقد أخبر الله سبحانه ان أنبياءه وأولياؤه ليس للشيطان عليهم سبيل
فقال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال اللعين الاعداء منهم المخلصين واذالم تكن
له عليهم سلطة فكيف يشككهم وانما سألت أن يشاهد كيفية جمع أجزاء الموتى بعد
تفريقها وايصال الاعصاب والجلود بعد عزيقها فأراد أن يرقى من علم اليقين الى عين
اليقين فقول له رب أرني كيف طلب مشاهدة الكيفية قال الماوردي وليست الا في
قوله أؤلم تؤمن أألف استفهام وانما هي ألف ايحاجب وتقرر والواو والواو والواو من معناه
ايما مطلقا دخل فيه فصل احياء الموتى والطمأنينة اعتدال وسكون وقال ابن جرير
ليوقن قلبي (قال فخذ أربعة من الطير) أي ان أردت ذلك فخذ والطير اسم جمع لطائر
كركب راكب وهو مذهب أي الحسن أو جمع نحو تاجر وتجراؤم مصدر قاله أبو البقاء
وخص الطير بذلك قيل لانه أقرب أنواع الحيوان الى الانسان شبهة في تدوير الرأس
والمشي على الرجلين وقيل ان الطير همته الطيران في السماء والخليل كانت همته العلو
وقيل غير ذلك من الاسباب الموجبة لتخصيص الطير وكل هذه لا تسمن ولا تغنى من جوع
وليست الا خواطر افهام وبوادئها ان لا ينبغي أن تجعل وجوهها كلام الله وعلا المايرد
في كلامه وهو هكذا قيل ما وجه تخصيص هذا العدد فان الطمأنينة تحصل باحياء واحد
فقل ان الخليل انما سألت واحدا على عدد العبودية فأعطى أربعة على قدر الربوبية وقيل
الطيور الاربعة اشارة الى الادران الاربعة التي يتركب منها أركان الحيوان ونحو ذلك من
الهديان قال ابن عباس والطير الذي أخذ وزود الوديك وطاوس وروى نحوه عن قتادة
والحسن وعنه قال الغرني والطاوس والديك والحمامة وقال مجاهد الغراب بدل الغرني
(فصرهن اليك) أي اضمهم اليك وأملهن واجتمعن يقال رجل أصورا اذا كان مائل

العالية والريـع بن أنس وقناة ويـلعنهم اللاعنون يعنى تلعنهم الملائكة والمؤمنون وقد جاء فى الحديث ان العالم العنق
يستغفر له كل شئ حتى الحيتان فى البحر وجاء فى هذه الآية أن كاتم العلم يلغنه الله والملائكة والناس أجمعون واللاعنون أيضا وهم
كل فصحى وأعجمى اما بلسان المقال أو الحال أن لو كان له عقل ويوم القيامة والله أعلم * ثم استثنى الله تعالى من هؤلاء من تاب اليه
فقال الا الذين تابوا وأصلحو وينوا أى رجعوا عما كانوا فيه وأصلحو أعمالهم وبينوا للناس ما كانوا يكرهونه فأولئك أتوب عليهم
وأنا التواب الرحيم وفى هذا دلالة على ان الداعية الى كفر أو بدعة اذا تاب الى الله تاب الله عليه وقد ورد ان الائم السابقة لم تكن

التوبة تقبل من مثل هؤلاء منهم ولكن هذا من شريعة نبي التوبة وفي الرجة صلوات الله وسلامه عليه ثم أخبر تعالى عن كفره واستمر به الحال الى مماته بان عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها أي في اللعنة التابعة لهم الى يوم القيامة ثم المصاحبة لهم في نار جهنم التي لا يخفف عنهم العذاب فيها أي لا ينقص عذابهم فيها ولا هم ينظرون أي لا يغير عنهم ساعة واحدة ولا يفتر بل هو متواصل دائم فنعوذ بالله من ذلك قال أبو العالية وقتادة ان الكافر يوقف يوم القيامة فيلعنه الله ثم تلغنه الملائكة ثم يلغنه الناس أجمعون * (فصل) * لا خلاف في جواز لعن الكفار وقد كان عمر بن (٣٤٩) خطب رضى الله عنه ومن بعده من الأئمة

يلعنون الكفرة في القنوت وغيره فاما الكافر المعين فقد ذهب جماعة من العلماء الى انه لا يلعن لانا لا ندري بما يختم الله له واستدل بعضهم بالآية ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وقالت طائفة أخرى بل يجوز لعن الكافر المعين اختاره الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي ولكنه احتج بحديث فيه ضعف واستدل غيره بقوله عليه السلام في قصة الذي كان يؤتى به سكران فيجسده فقال رجل لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله فدل على ان من لا يحب الله ورسوله يلعن والله أعلم (والحكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) يخبر تعالى عن تفرد به بالهية وأنه لا شريك له ولا عدول له بل هو الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لا اله الا هو وأنه الرحمن الرحيم وقد تقدم تفسير هذين الاسمين في أول الفتحة وفي الحديث عن شهر ابن حوشب عن أسماء بنت يزيد ابن السكن عن رسول الله صلى

الغنقو يقال صار الشيء يصوره ويصيره أماله أو قطعها للغنان لفظ مشترك بين هذين المعنيين والقراءتان تحتملهما معا وقرئ قصرهن بضم الصاد وكسر هاء وقيل معناه قطعهن وبه قال ابن عباس وبالتبضية حرقهن وشققهن وعنه قال أبو ثقهين (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) فيه الأحرى بالجزئة لان جعل كل جزء على جبل يستلزم تقدم الجزئة قال لزجاج المعنى ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزأ والجزء النصيب واختلفوا في عدد الاجزاء والجبال وليس في ذلك كثير فائدة (ثم ادعهن) أي قل لهن تعالين باذن الله تعالى (يا أيديكن) أي اناس ريعا (سعيًا) أي مشيا سريعا والمراد بالسعي الاسراع في الطيران أو المشي وقيل السعي هو الحركة الشديدة وقيل العدو وقيل الطيران وفيه انه لا يقال للطائر اذا طار سعي فالحكمة في السعي دون الطيران ان ذلك أبعد من الشبهة لانها لو طارت لنوهم متوهم انها غير تلك الطيور وان أرجلها غير سليمة فنفي الله تعالى هذه الشبهة (واعلم ان الله عزيز حكيم) في صنعه أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال وضعهن على سبعة أجبل وأخذ الرأس بيده فجعل ينظر الى القطرة تلقى القطرة والريرة تاتي الريرة حتى صرن أحياء ليس لهن رؤس فجئن الى رؤسهن فدخلن فيها وانهكن بالنصبة دليلا على فضل الخليل وحسن الادب في السؤال حيث أراه ما سأل في الحال وأرى العزيز ما أراد بعد أمته مائة عام (مثل الذين يتفقون أموالهم في سبيل الله) قيل المراد به الانفاق في الجهاد وقيل في جميع وجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) المراد بالسبع السنابل هي التي تخرج في ساق واحدة تشعب منه سبع شعب في كل شعبة سنبلة واحدة اسم لكل ما يزرعه ابن آدم وقيل المراد بالسنابل هنا سنابل الذرة والدخن فهو الذي يكونون منها في السنبلة هذا العدد وقال القرطبي ان سنبل الدخن يجي في السنبلة منه أكثر من هذا العدد بضعين وأكثر على ما شاهدنا قال ابن عطية وقد يوجب سنبل القمح مائة حبة وأما في سائر الحبوب فأكثر ولكن المثال وقع بهذا القدر وقال الطبري ان قوله في كل سنبلة مائة حبة معناه ان وجد ذلك والافعل أن يفرضه والذي ينبغي الاعتماد عليه في هذه الآية وأمثالها ان المقصود بها مجرد تمثيل زيادة الاجر وكثرة الثواب دون وجود ذلك (والله يضاعف لمن يشاء) يحتمل أن يكون المراد يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء أو يضاعف هذا العدد فيزيد عليهضاعف لمن يشاء لالكل

الله عليه وسلم انه قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين واليه الحكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم والم الله لا اله الا هو الحي القيوم ثم ذكر الدليل على تفرد به بالهية بتفرد بخلق السموات والارض وما فيهما وما بين ذلك مما ذكرنا برأى من المخلوقات الدالة على وحدانيته فقال (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لنعم يعقلون) يقول تعالى ان في خلق السموات والارض تلك في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السائرة والثواب

ودوران فلكنها وهذه الارض في كافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها وودادها وعمرانها وما فيها من المنافع واختلاف الليل والنهار هذا يجيء ثم يذهب ويخطفه الآخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وتارة يطول هذا ويقصر هذا وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يعاوضان كما قال تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي يزيد من هذا في هذا أو الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس أي في تسخير البحر يحمل السفن من جانب الى جانب المعاش (٣٥٠) الناس والارتفاع بما عند أهل ذلك الاقليم ونقل هذا الى هؤلاء وما عند أولئك الى هؤلاء وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها كما قال تعالى وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون الى قوله وما لا يعلمون وبث فيها من كل دابة أي على اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلك كما قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ونصريف الرياح أي فتارة تأتي بالرجة وتارة تأتي بالعذاب وتارة تأتي بمشقة بين يدي السحاب وتارة تسوقه وتارة تجمعه وتارة تفرقه وتارة تصرفه ثم تارة تأتي من الجنوب وهي الشامية وتارة تأتي من ناحية اليمين وتارة صبا وهي الشرقية التي تصدم وجه الكعبة وتارة دبوراً وهي غربية تنفذ من ناحية دبر الكعبة وقد صنّف الناس في الرياح والمطر والانهاء كتباً كثيرة فيما يتعلق بلغاتها وأحكامها وبسط ذلك يطول هيئنا والله أعلم

الناس وهذا هو الرابع لما سألني وقد ورد القرآن بأن الحسنة بعشر أمثالها واقتضت هذه الآية أن نفقه الجهاد حسنة بسبع مائة ضعف فينبغي العام على الخاص وهذا بناء على أن سبيل الله هو الجهاد فقط وأما إذا كان المراد به وجوده خير فيخص هذا التضعف الى سبع مائة بثواب النفقات ويكون العشرة الامثال فيما عد ذلك (والله واسع عليم) أخرج مسلم وأحمد والنسائي والحاكم والبيهقي عن ابن مسعود أن رجلاً تصدق بناقعة مخطومة في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقعة مخطومة وأخرج أحمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبع مائة ضعف وأخرجه البخاري في تاريخه من حديث أنس وأخرجه أحمد من حديث أبي عبيدة وزاد من أنفق على نفسه وأهله وأعداءه مريضاً فالحسنة بعشر أمثالها وأخرج ابن ماجه وابن أبي حاتم من حديث عمران بن حصين عن علي وأبي الدرداء وأبي هريرة وأبي امامة وابن عمر وجابر كلهم يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم يوم القيامة سبع مائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه ذلك فله بكل درهم يوم القيامة سبع مائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية والله يضاعف لمن يشاء وأخرج أحمد من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف الى ما شاء الله يقول الله الا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به وأخرجه أيضاً مسلم وأخرج الطبراني من حديث معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال طوبى لمن أكثر في الجهاد في سبيل الله من ذكر الله فإن له بكل كلمة سبعين ألف حسنة منها عشرة أضعاف وقد وردت الأحاديث الصحيحة في أجر من جهز غازياً وأخرج أبو داود والحاكم وصححه عن سهل بن معاذ عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الصلاة والصوم والصدقة في سبيل الله سبع مائة ضعف وأخرج أحمد والطبراني في الاوسط والبيهقي في سننه عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبع مائة ضعف (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) هذه الجملة متضمنة لبيان كيفية الانفاق الذي تقدم أي هو انفاق الذين ينفقون قيل

الناس وهذا هو الرابع لما سألني وقد ورد القرآن بأن الحسنة بعشر أمثالها واقتضت هذه الآية أن نفقه الجهاد حسنة بسبع مائة ضعف فينبغي العام على الخاص وهذا بناء على أن سبيل الله هو الجهاد فقط وأما إذا كان المراد به وجوده خير فيخص هذا التضعف الى سبع مائة بثواب النفقات ويكون العشرة الامثال فيما عد ذلك (والله واسع عليم) أخرج مسلم وأحمد والنسائي والحاكم والبيهقي عن ابن مسعود أن رجلاً تصدق بناقعة مخطومة في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقعة مخطومة وأخرج أحمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبع مائة ضعف وأخرجه البخاري في تاريخه من حديث أنس وأخرجه أحمد من حديث أبي عبيدة وزاد من أنفق على نفسه وأهله وأعداءه مريضاً فالحسنة بعشر أمثالها وأخرج ابن ماجه وابن أبي حاتم من حديث عمران بن حصين عن علي وأبي الدرداء وأبي هريرة وأبي امامة وابن عمر وجابر كلهم يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم يوم القيامة سبع مائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه ذلك فله بكل درهم يوم القيامة سبع مائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية والله يضاعف لمن يشاء وأخرج أحمد من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف الى ما شاء الله يقول الله الا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به وأخرجه أيضاً مسلم وأخرج الطبراني من حديث معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال طوبى لمن أكثر في الجهاد في سبيل الله من ذكر الله فإن له بكل كلمة سبعين ألف حسنة منها عشرة أضعاف وقد وردت الأحاديث الصحيحة في أجر من جهز غازياً وأخرج أبو داود والحاكم وصححه عن سهل بن معاذ عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الصلاة والصوم والصدقة في سبيل الله سبع مائة ضعف وأخرج أحمد والطبراني في الاوسط والبيهقي في سننه عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبع مائة ضعف (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) هذه الجملة متضمنة لبيان كيفية الانفاق الذي تقدم أي هو انفاق الذين ينفقون قيل

ببر السحاب المسخر بين السماء والارض أي سائر بين السماء والارض مسخر الى ما يشاء الله من الاراضي • نزلت والا ما كن كما يصرفه تعالى لايات لقوم يعقلون أي في هذه الاشياء دلالات بيّنة على وحدانية الله تعالى كما قال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الابصار الذين يذكرون الله فيما وقعو داو على جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فنعذاب النار وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه أخبرنا محمد بن أحمد بن ابراهيم بن محمد بن أبي سعيد الدمشقي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن

عباس قال انت قریش محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اننا نريد ان تدعور بك ان يجعل لنا الصفا ذهباً فنشتري به الخيل والسلاح فنؤمن بك ونقاتل معك قال أوثقوا الى ان تدعوت ربى فجعل لكم الصفا ذهباً تؤمنونى فاثقوا له فدعاه فأتاه جبريل فقال ان ربك قد أعطاهم الصفا ذهباً على انهم لم يؤمنوا بك عذبهم عذاباً لم يعذب به أحد من العالمين قال محمد صلى الله عليه وسلم رب لا بل دعنى وقهى فلا تدعهم يوماً يوم فأنزل الله تعالى هذه الآية ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلک التى تجرى فى البحر ما ينفع الناس الآية (٣٥١) ورواه ابن أبى حاتم من وجه آخر عن جعفر بن أبى

المغيرة به وزاد فى آخره وكيف يسألونك الصفا وهم يرون من الآيات ما هو أعظم من الصفا وقال ابن أبى حاتم أيضاً حدثنا أبى حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبى شيح عن عطاء قال نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة واليهكم الله واحداً لا اله الا هو الرحمن الرحيم فقال كفار قریش بمكة كيف يسبح الناس الله واحداً فأنزل الله تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلک التى تجرى فى البحر ما ينفع الناس الى قوله لايات لقوم يعقلون فهذا يعلمون انه الله واحد والله كل شئ وخالق كل شئ وقال وكيع بن الجراح حدثنا سفيان عن أبيه عن أبى الضحى قال ما نزلت واليهكم الله واحداً الى آخر الآية قال المشركون ان كان هكذا فليأتنا بآية فأنزل الله عز وجل ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله يعقلون ورواه آدم بن أبى اياس عن أبى جعفر هو الرازى عن سعيد بن

نزلت فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أما عثمان فجهز المسلمين فى غزوة تبوك بألف بعير باقتابها واحلاسها وأما عبد الرحمن فجاء بأربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى) المن هو ذكرا النعمة على معنى التعديد لها والتقرير بها وقيل المن التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المعطى فيؤذيه والمن من البكائر كما ثبت فى صحيح مسلم وغيره انه أحد الثلاثة الذين لا ينظر الله اليهم ولا يزكهم ولهم عذاب عظيم والاذى السب والتطاول والتشكى قال فى الكشف ومعنى ثم اظهر التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيراً من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا وانتهى فثم على هذا التراخي فى الرتبة وقيل هو على باب التراخي فى الزمان نظراً للغالب من ان وقوع المن والاذى يكون بعد الانفاق بعدة وقدم المن على الاذى لكثرة وقوعه ووسط كلمة لا للدلالة على شمول النبى لاتباع كل واحد منهما (لهم أجرهم) يعنى ثوابهم فى الآخرة (عند ربهم) فيه تأكيد وتشريف (ولا خوف عليهم) يعنى يوم القيامة (ولا هم يحزنون) يعنى على ما خلفوا من الدنيا وظاهر الآية تبقى الخوف عنهم فى الدارين كما تنبيهه النكرة الواقعة فى سياق النبى من الشمول وكذلك نفي الحزن يفيد دوام اتفائه عنهم وقد وردت الاحاديث الصحيحة فى النهى عن المن والاذى وفى فضل الانفاق فى سبيل الله وعلى الاقارب وفى وجوه الخير ولا حاجة الى التطويل بذلك فاهى معروفته فى مواطنها قال عبد الرحمن بن يزيد كان أبى يقول اذا أعطيت رجلاً شيئاً ورأيت ان سلامك يشغل عليه فلا تسل عليه والعرب تمدح بترك المن وكرمت النعمة وتذم على اظهارها والمن بها والاذى ما يصل الى الانسان من ضرر بقول أو فعل والمراد هنا ان يشكروهم بسبب ما أعطاهم (قول معروف) قيل الخبر مخدوف أى أولى وأمثل ذكره النحاس قال ويجوز ان يكون خبراً عن مبتدأ مخدوف أى الذى أمر به بقول معروف أى كلام حسن ورد جيل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة توعد بها وقيل دعاء صالح تدعوه لظواهر الغيب (ومغفرة) له فى الحاجة مبتدأ أيضاً وخبره (خير من صدقة) وجازا لابتداء المنكرتين لأن الاولى تخصصت بالوصف والثانية بالعطف والمعنى ان القول المعروف من المسئول للسائل وهو التأنيس والترجئة بماء عبد الله والرد الجليل خير من الصدقة التى (ينبغيها أذى) وقد ثبت فى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وآله

مسروق والدسقيخ عن أبى الضحى به (ومن الناس من يتخذ من دون الله آداة يحبونهم يحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كاتبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) يذكركم تعالى حال المشركين به فى الدنيا وما لهم فى الآخرة حيث جعلوا آداة أى امثالاً ونظراً ليعبدونهم معه ويحبونهم كحبه وهو الله لا اله الا هو ولا ضل ولا ند ولا شريك معه وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال قلت يا رسول الله

أى الذنب اغنم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك وقوله والذين آمنوا أشد حبا لله ولهم الله وتعام معرفتهم به وتوحيدهم له لا يشركون بشيأ بل بعدونه وحده ويتوكلون عليه ويجزون في جميع أمورهم اليه ثم توعد تعالى المنكرين به الظالمين لأنفسهم بذلك فقال وليرى الذى ظلموا الذين العذاب ان القوة ته جميعا قال بعضهم تقدير الكلام لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ ان القوة لله جميعا أى ان الحكم له وحده لا شريك له وان جميع الاشياء تحت قهره وغلبته وساطتته وان الله شديد العذاب كما قال فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد يقول (٢٥٢) ليرعبون ما يعاينونه هنالك وما يحيل بهم من الامر النطق المنكر

وسلم الكلمة الطيبة صدقة وان من المعروف ان تلقى أحاك بوجه طلق والمراد بالمغفرة السر للخلد وسوء حاله المحتاج والعفو عن السائل اذا صدر منه من الاخاح ما يكدر صدر المسؤول وقيل ان المراد ان العفو من جهة السائل لانه اذا رده رداجلا عذره وقيل المراد فعل يؤدى الى المغفرة خير من صدقة أى غير ان الله خير من صدقتكم وهذه الجارة مستأنفة مقررلة ترك اتباع المن والاذى للصدقة قال الضحاك قول معروفي ردجيل تقول يرحك الله ويرزق الله ولا تنهد ولا تغلظ له القول وعن عمرو بن دينار قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من صدقة أحب الى الله من قرل الحق ألم تسمع قول الله قول معروف الآية أخرجه ابن حاتم (والله غنى) عن صدقة العباد لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة أخرى (حليم) بتأخير العقوبة عن المان والمردى لا يعاجلهم بها لانهم لا يستحقونها بسببهما والجللة تذييل لما قبله مشتتة على الوعد والوعيد مقررلة لا اعتبار اخير به بالنسبة الى السائل قطعا رايأها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) يعنى أجورهم والابطال للصدقات اذ هاب أثرها وافساد منفعتها أى لا تبطلوها (بالمن والاذى) أو بأحدهما يعنى على السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله والاذى لصاحبها قال بعضهم ذهب أجره فلا أجر له ولا وز عليه وقال بعضهم له أجر الصدقة ولكن ذهب مضاعفته وعليه الوزر بالمن قال الكرخي وهذا الوجه وقال بعضهم لأجر له في نفقته وعليه وزر فيعاس على الفقير (كالذى) أى كابطال الذبح (ينفق ماله رياء الناس) أى لاجل الرياء أو مرائيا لا يقصد بذلك وجه الله وثواب الآخرة بل يفعل ذلك رياء للناس وسعة واستجلا بانئاثم عليه ومدحهم له قيل والمراد به المنافق بدليل قوله (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) قال ابن عباس لا يدخل الجنة منان وذلك في كتاب الله يعنى هذه الآية (فخلد) أى مثل الذى ينفق رياء الناس أو المان المعطى وقد عدل من خطاب الى غيبة ومن جمع الى افراد (كمثل صفوان) الصفوان البحر الكبير الاملس الصلب وفيه اغتان أشهرهم ماسكون الفاء والثانية فتحها وهاجرا ابن المسيب والزهرى وهى شاذة وقال الاخفش صفوان جمع صفوانة وقال الكسابي صفوان واحد وجمعه صني واصنى وأنكره المبرد وقال النحاس يجوز أن يكون جمعا وأن يكون واحدا وهو أولى لقوله (عليه تراب) أى استقر على الصفوان (قاصابه) أى الصفوان أو التراب (وابل) أى مطر والوابل

الهائل على شركهم وكفرهم لانهما عاينهم فيه من الضلال ثم أخبر عن كفرهم باوثانهم وتبرى المتبوعين من التابعين فقل اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا تبرأت منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون انهم يعبدونهم في الدار الدنيا فقول الملائكة تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ويقولون سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون واجن أيضا تبرأ منهم ويتصلون من عبادتهم لهم كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الخليل لقومه انما اتخذتم من دون الله أوثاننا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماواكم النار وما لكم من ناصرين وقال تعالى

ولوترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا الذين استكبروا • المطر ولولا أنتم لكانتم مؤمنين قال الذين استكبروا الذين استضعفوا أن نحن صدقناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا الذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمرنا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وقال تعالى وقال الشيطان لما قاضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلانلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بصخر خكم

وما أنتم بصري حتى أني كفرت بما أشر كتموني من قبل أن الظالمين لهم عذاب اليم وقوله وراوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب أي نوا عذاب الله وتقطعت بهم الحيل وأسباب الخلاص ولم يجدوا عن النار معدلا ولا مصرفا قال عطاء عن ابن عباس وتقطعت بهم الأسباب قال المودة وكذا قال مجاهد في رواية ابن أبي شحيج وقوله وقال الذين أتبعوا الوان كرا فقتلناهم كما تبتوا منا أي لو أن لنا عودة إلى الدار الدنيا حتى تبتوا من هؤلاء ومن عبادتهم فلا نلتفت إليهم بل فوحده الله وحده بالعبادة وهم كاذبون في هذا بل لوردوا العاد والماتنواعه وانهم لكاذبون كما أخبر الله تعالى عنهم بذلك (٣٥٣).

حسرات عليهم أي تذهب وتضمحل كما قال تعالى وقد مننا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال تعالى مثل الذين كفروا برحمتهم أعمالهم كماد استمدت به الريح في يوم عاصف الآية وقال تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الطمآن ماء الآية وليد قال تعالى وما هم بخارجين من النار (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما ياحرمكم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) لما بين تعالى انه لا اله الا هو وانه المستقل بالخلق شرع عيين انه الرزاق لجميع خلقه فذكر في مقام الامتنان انه اباح لهم أن يأكلوا مما في الارض في حال كونه حلالا من الله طيبا أي مستطابا في نفسه غير ضار للابدان ولا للعقول ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان وهي طرائقه ومساالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البجائر والسوائب والوسائل ونحوها مما كان زينة

المطر الشديد العظيم القطر والمطر أوله رش ثم طش ثم طل ثم نضج ثم هطل ثم وبل يقال وبلت السماء وبلوا وبلوا لا اشتد مطرها وكان الاصل وبل مطر السماء خذف للعلم به ولهذا يقال للمطر وابل مثل الله سبحانه هذا المناق فيصفون عليه تراب يظنه اظان أرضا منبئة طيبة فاذا أصابه وابل من المطر أذهب عنه التراب (فتركه) أي الصفون يعني يقي (صلدا) أي أجرد نقيما من التراب الذي كان عليه وأملس ليس عليه شيء من الغبار أصلا وكذلك حال هذا المرائي يوم القيامة فان تنفقت له تنفع قال ابن عباس صلدا أي يابس جاسما لا ينبت شيئا (لا يقدر ون على شيء مما كسبوا) أي على ثواب شيء مما عملوا في الدنيا مستأنفة كأنه قيل ماذا يكون حالهم فقيل لا يقدر ون الخ (والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني الذي سبق في علمه انهم يعونون على الكفر وفيه تعرض بان المن والاذى والرياء من خصال الكفار وعن مجاهد بن يسيد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انما أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا بارسل الله وما الشرك الأصغر قال الرياء يعال لهم يوم تجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم خيرا رواه البيهقي بسنده وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا أغنى الشركاء عن الشرك من عن عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه (ومثل الدين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله) ابتغى معناه طلب ومخرضة مصدر رضي يرضى (وتبينا) معناه يثبتون (من أنفسهم) يبذل أموالهم على الايمان وسائر العبادات رياضة لها وتدرى ما تقررنا أو يكون المثبت بمعنى التصديق أي تصديق الاسلام ناشئ من جهة أنفسهم وقد اختلف السلف في معنى هذا الحرف فقال الحسن ومجاهد معناه انهم يثبتون أن يضعوا صدقاتهم وقال بعضهم معناه تصديقوا ويقينوا روى ذلك عن ابن عباس وقيل معناه احتسابا من أنفسهم قاله قتادة وقيل معناه ان أنفسهم لها بصائر فهي تثبتهم على الانفاق في طاعة الله تثبيتا قاله الشعبي والسدي وابن زيد وأوصالح وهذا أربح مما قبله يقال ثبت فلان في هذا الامر أثبتة تثبيتا أي صححت عزمه (كمثل جملة بريرة) الجنة البستان وهي أرض تثبت فيها الاشجار حتى تغطيها مأخوذة من لفظ الجن والجنين لاستنارها وقال أبو السعد الجنة تطلق على الاشجار الملتزمة المتكاثرة وعلى الارض المشتملة عليها والاول أولى لاجل قوله

(٤٥ - فتح البيان ل) لهم في جاهليتهم كما في حديث عياض بن حماد الذي في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى ان كل مال منته عبادي فهو لهم حلال وفيه واني خلقت عبادي خنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن عيسى بن شعبة المصري حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الاحتياطي حدثنا أبو عبد الله الجوزي رفيق ابراهيم بن أدهم حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال بليت هذه الآية عند النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا فقام سعد بن أبي وقاص

فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال يا سعد أطلب مطعما تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده إن الرجل أبقد الشمة الحرام في جوفه ما تقبل منه أربعين يوما أو أبا عبد بن الحس من السبت والاربعاء والاولى به وقونه انه لكم عدو مبين تنفير عنه وتحذير منه كما قال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا واتخذوا حربه ليكونوا من أصحاب السعير وقال تعالى اتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا وقال قتادة والسدي في قوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان كل معصية لله فهي من خطوات (٣٥٤) الشيطان وقال عكرمة هي نزع الشيطان وقال مجاهد خطوه

أوقال خطاياه وقال أبو مجازي المدور في المعاصي وقال الشعبي نذر رجل أن يكرأه فآفقه مسروق بن كعب وقال هذا من خطوات الشيطان وقال أبو الغنم عن مسروق أني عبد الله ابن مسعود بضرع وملح جفعل يا كل فاعتزل رجل من القوم فقال ابن مسعود ناولوا أصحابكم فقال لا أريده فقال أصابهم أنت قال لا قال فما شأنك قال حرمت أن أكل ضرعا أبدا فقال ابن مسعود هذا من خطوات الشيطان فاطم وكفر عن يمينك رواه ابن أبي حاتم وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا حسان بن عبد الله المصري عن سليمان التيمي عن أبي رافع قال غضبت يوما على امرأتي فقالت عني يومها يودية ويومنا صراينة وكل ما لوك لنا حرام لم نطق امرأتك فأبى عبد الله بن عمر فقال أما هذه من خطوات الشيطان وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهي يومئذ آفقه امرأتني المدينت وأبى عاصم وابن عمر فقالا مثل ذلك وقال عبد بن

بريرة والربوبيا خروكان الثلاث المكان المرتفع أو قماءا يسيرا أو أبا خص الربوة لأن نباتها يكون أحسن من غير مع كونه لا يصطله البرد في الغالب بخودته وكرمه ولصافه هو أنه بهبوب الرياح المظلمة قال الطبري وهي أرض الحزن التي تستكثر العرب من ذكرها واعتز بها ابن عطية فقال إن رياض الحزن منسوبة إلى نجد لأنها خبز من رياض تهامة ونبات نجد أعطرو ونسجه أبرد وأرق ونجد يقال لها حزن وليست هذه المذكورة ههنا من ذلك ولقطة الربوة مأخوذة من رباب ربو إذا زاد وقال الخليل الربوة أرض مر تقصعة طيبة وتيل هي الأرض المستوية الجيدة الطيبة إذا أصابها المطر انتفعت وربت وكثر ريغها وحلت أشجارها (أصابع أو ابل) قال الخليل أن ابل المظر الشديد يقل وبلت السحابة وتيل الأرض موبولة قال الاخفش وسنه قوله تعالى أخذ أي بيلا أي شديدا وضرب وييل وعذاب وييل قال بعضهم

ماروضة من رياض الحزن معشبة * خضر أجاد عليها أو ابل حطرا

أراد بالحن ما غلط وارتفع من الأرض (فأنت اكليا) بضم الياء والفتح والفتحة التي توتى كقوله تعالى توتى أكليا كل حين وضاقة إلى اجنة اضاقة اختصاص كسرج القوس وباب الدار (ضعيف) أي مثلي ما كانت تثر بسبب أو ابل فالمراد بالضعف المثل وقيل أربعة أمثال (فان لم يصبا أو ابل فقل) أي فأن الظل يكفهم أو هو النفس أي المظر الضعيف الخفيف المستدق المظر قال المبرد وغيره تقديره فقل يكفها وقال الزجاج تقديره فأنى يصيبها ظل والمراد أن الظل يوجب سنا أو ابل في أخراج الثمر ضعفين وقال قوم الظل التدي وفي الصحاح الظل أضعف المطر والجوع أطلال قال الماردي وزرع الظل أضعف من زرع المطر والمعنى أن ثقات هؤلاء راكية عند الله لا تضع بحال وإن كانت متساوية ويجوز أن يعتبر التمثيل لمين حاليهم باعتبار ما صدر عنهم من الثقة الكثيرة والقليل وبين اجنة الميعود باعتبار ما أصابهم من المطر الكثير والتفصيل فكأن كل واحد من المطر ينضعف فكيف فكذلك تفقتهم جلب أو قلت بعد أن يطلب به ما رجه الله راكية زائدة في أجورهم (والله بما تعملون) أي شيئا لا يعرفه (بصير) لا يخفى عليه من شيء وفي هذا ترغيب لهم بالاخلاص مع ترهيب من الريا أو نحوه فهو وعد ووعد (أبونا أحمدكم أن تكون لجنه من فحيل وأعتاب) الود الخب بشئ مع تنبيه والتمنزة

جيد حدثنا أبو نعيم عن شريك عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال ما كنت من غير أن أدرك في غضب طاعة أخذ فيهم من خطوات الشيطان وكفاره كفارة بين وقوله إنما يأمركم بالسوء والتعسا وان تسروا على أنه ما لا تعلمون أي إنما يأمركم عدوكم الشيطان بأفعال السيئة وأعطاه منها الفاحشة كارتنا في حوزة أعظم من ذنب وهو القوس على الله لا علم في هذا كل كافر ومبتدع أيضا (وأذا قيل لهم تعمر أئرا ل الله قالوا بل تبسح ما ألتصا عليه البناؤ) كان أبواهم لا يعقلون شيئا ولا يمدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعو بما لا يسمع إلا دعاءهم بكم عني فيهم لا يعقلون (يقول تعالى وأذا قيل لهم لا يفسدوا

من المشركين اتبعوا ما أنزل الله على رسوله واتركوا ما أنتم عليه من الضلال والجهل فالوفاي جواب ذلك بل تتبع ما أنفينا أي وجدنا عليه آية نأى من عبادة الاصنام والانداد قال الله تعالى منكر اعلمهم أولو كان آباؤهم أي الذين يقتدون بهم ويقتنون أثرهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون أي ليس لهم فهم ولا هداية وروى ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنها أنزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الاسلام فقالوا بل تتبع ما أنفينا عليه آية أن أنزل الله هذه الآية ثم ضرب لهم تعالى مثلا كما قال تعالى للذين (٢٥٥) لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء فقال ومثل

الذين كفروا أي فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالذواب السارحة التي لا تنقه ما يقال لها بل اذ انعق بهاراعيا أي دعاها إلى ما يرشدك لا تنقه ما يقول ولا تفهمه بل اغتصم صوتك فقط هكذا روى عن ابن عباس وأبي العباس ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقادة وعطاء الخراساني والربيع بن أنس نحو هذا وقيل انما هذا مثل ضرب لهم في دعايهم الاصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئا اختاره ابن جرير والاول أولى لأن الاصنام لا تسمع شيئا ولا تعقل ولا تبصر ولا يبطش لها ولا حياة فيها وقوله صم بكم عني أي صم عن سماع الحق بكم لا يتفوهون به عني عن رؤية طريقه ومسلكه فهم لا يعقلون أي لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه كما قال تعالى والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (يا أيها الذين آمنوا) كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون

الداخله على الفعل لا تكرار الوقوع والجنة تطلق على الشجر الملتف وعلى الارض التي فيها الشجر والاول أولى هنا قوله (تجري من تحتها الانهار) بإرجاع الضمير إلى الشجر من دون حاجة إلى مضاف محذوف وأما على الوجه الثاني فلا بد من تقديره أي من تحت أشجارها وهكذا قوله الآتي فاحترق لا يحتاج إلى تقدير مضاف على الوجه الاول وأما على الثاني فيحتاج إلى تقديره أي فاحترق أشجارها وخص النخل والاعناب بالذكر مع قوله (له فيها من كل الثمرات) لكونهما أكرم الشجر وأشرف الفواكه جامعين لفنون المنافع لما فيه من الغذاء والتفكه وهذه الجبل صفات الجنة والنخل اسم جمع واحده نخلة أو جمع فخل الذي هو اسم جنس والاعناب جمع عنب الذي هو اسم جنس واحده عنبه (وأصابه الكبر) الواو للحال جلا على المعنى بتقدير قد وقيل غير ذلك وهذا أريح وكبر السن هو مظنة شدة الحاجة لما يلحق صاحبه من العجز عن تعاطي الاسباب والمعنى كثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها (وله ذرية ضعفاء) حال من الضمير في اصابه أي والحال ان له أولادا صغارا عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر فان من جمع بين كبر السن وضعف الذرية كان تحسره على تلك الجنة في غاية الشدة (فأصابها اعصار) الاعصار الريح الشديدة المرتفعة التي تهب من الارض إلى السماء كالعمود وهي التي يقال لها الزوبعة قاله الزجاج قال الجوهرى الزوبعة رئيس من رؤساء الجن ومنه سمى الاعصار زوبعة وأم زوبعة وأبازوبعة يقال فيه شيطان مارد وهي ريح شير الغبار وترتفع إلى السماء كأنه عمود وقيل هي ريح تثير سحابا ذات رعد وبرق وقال ابن عباس ريح فيها سموم شديدة سميت بذلك لانها تلتف كما يلتف الثوب المعصور وقيل لانها تفسد السحاب وتجمع على أعاصير والريح مؤنثة على الأكثر وقد تذكرك على معنى الهواء وقال ابن الأنباري وكذلك أسائر اسمائها الا الاعصار فانه مذكر (فيه نار فاحترق) عطف على قوله فأصابها وهذه الآية تمثيل لمن يعمل خيرا ويضم ما يحبطه فيجده يوم القيامة عند شدة حاجته اليه لا يسم ولا يغنى من جوع بحال من له هذه الجنة الموصوفة وهو متصف بتلك الصفقة وقال ابن عباس ضرب الله مثلا لعمل رجل غنى يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله كلها (كذلك) أي كما بين ما ذكر من أمر النفقة المقبولة وغيرها (بين الله لكم الآيات) قال ابن عباس

انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم يقول تعالى أمر عباده المؤمنين بالاكل من طيبات ما رزقهم تعالى وان يشكروه تعالى على ذلك ان كانوا عبيده والا كل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة كما ان الاكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا الفضل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعلموا صالحا اني بما تعملون

عليهم وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب
ومسحه حرام ومشر به حرام وملبسه حرام وغذي الحرام فأتى يستجاب لذلك ورواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث فضيل
ابن مرزوق ولما امتن تعالى عليهم برزقه وأرشدتهم إلى الأكل من طيبه ذكر أنه لم يحرم عليهم من ذلك إلا الميتة وهي التي توت
حتم أنفها من غير تدكيت وسواء كانت مستنقة أو موقودة أو متدية أو نطيحة أو وعدا عليها السبع وقد خصص الجمهور من ذلك
ميتة النحر لقوله تعالى أحل لكم صيد البحر (٢٥٦) وطعامه على ما ساءت أن شاء الله وحديث العنبر في الصحيح وفي المسند

والموطأ والسنة قوله عليه السلام
في البحر عوا الشهور مائه الحل
ميتته وروى الشافعي وأحمد وابن
ماجه والدارقطني حديث ابن عمر
مرفوعاً أحل لنا ميتتان ودمان
السمك والجراد والكلب والطحال
وسبأني تقرير ذلك أن شاء الله في
سورة المائدة (مسألة) ولبن
الميتة ويضها المتصل بها نجس
عند الشافعي وغيره لأنه جرح منها
وقال مالك في رواية هو طاهر إلا
أنه ينجس بالمجاورة وكذلك أنفة
الميتة فيها الخلاف والمشهور
عندهم أنها نجسة وقد أوردوا على
أنفسهم أكل الصحابة من جن
الجحش فقال القرطبي في التفسير
ههنا يخاطب اللبن منها يسير ويعني
عن قليل النجاسة إذا خالط الكثير
من المائع وقد روى ابن ماجه من
حديث سيف بن هرون عن سليمان
اليماني عن أبي عثمان النهدي عن
سليمان رضي الله عنه سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن السم
والجن وانفرا فقال الحلال ما أحل
الله في كتابه والحرام ما حرم الله في
كتاب وما سكت عنه فهو مما عفا

عنه وكذلك حرم عليهم لحم الخنزير سواء ذكر أم مات حياً أو قد دخل شحمه في حكم لحمه ما تغلبا
أو أن اللحم يشمل ذلك أو بطريق القياس على رأي وكذلك حرم عليهم ما أهل به لغير الله وهو ما ذبح على غير اسمه تعالى من الانصاب
والانداد والازلام ونحو ذلك مما كانت الجاهلية ينجرون له وذكر القرطبي عن ابن عطاء أنه نقل عن الحسن البصري أنه سئل عن
امرأة علمت عرس العجم فحترت فيه حرزور فقال لا تؤكل لأننا ذبحنا صنم وأورد القرطبي عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت
عما يذبح العجم لا يعادهم فيهدون منه للمسلمين فقالت ما ذبح ذلك اليوم فلا تأكلوا منه وكلاهما أشجارهم ثم أباح تعالى

تناول ذلك عند الضرورة والاحتياج اليها عند فقد غيرهما من الأطعمة فقال بن اضطرب غير باغ ولا عادي في غير بغي ولا عدوان وهو مجاوزة الحد فلا اثم عليه أي في كل ذلك ان الله غفور رحيم وقال مجاهد بن اضطرب غير باغ ولا عادي فاطعاً للسبيل أو مفارقاً للامة وأخرجني من معصية الله فهذه الرخصة ومن خرج باغياً أو عادياً وفي معصية الله فلا رخصة له وان اضطرب اليه وكذا روى عن سعيد بن جبير وقال سعيد في رواية عنه ومقاتل بن حبان غير باغ يعني غير مستحل وقال السدي غير باغ يعني في شهوته وقال آدم بن أبي إياس حدثنا خمرقة عن عثمان بن عطاء وهو الخراساني عن أبيه (٢٥٧) قال لا يشوي من المستهلب شهوته ولا يبطئه

وأكلته وجعلت منه في كسائي فجاء صاحب الحائط فضر بني وأخذوني فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال
للرجل ما أطعمته إذ كان جائعاً ولا ساعياً ولا علمته إذ كان جاهلاً فأمره فرد إليه ثوبه وأمر له بوسق من طعام أو نصف وسق اسناد
صحيح قوى جيد وله شواهد كثيرة من ذلك حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الثمر
المعلق فقال من أصاب منه من ذى حاجة بفيه غير متخذ خبينة فلا شيء عليه الحديث وقال مقاتل بن حيان في قوله فلا شيء عليه
إن الله غفور رحيم فيما أكل من اضطرار أو بغنا والله أعلم أنه لا يزاد على ثلاث لقم وقال سعيدي بن جبيرة غفر لمأكل كل من الحرام
(١) العوز بفتحين درویش شدن و نایافت شدن اه صراح

رحيم اذا حل له الحرام في الاضرار وقال وكيع اخبرنا الاعمش عن ابي الغني عن مسروق قال من اضطر فلم يأكل ولم يشرب ثم مات دخل النار وهذا يقتضي ان كل الميتة للمضطر عزيمة لا رخصة قال ابو الحسن الطبري المعروف بالكاظمي رقيق الغزالي في الاشتغال وهذا هو الصحيح عندنا كالا فطار للمريض ونحو ذلك (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم النار ولا يكاهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة قبيحا (٣٥٨) أصبرهم على السار ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا

النار وعد الله الذين كفروا ومنه أيضا ما في هذه الآية من تقييد وعد الشيطان بالنار وتقييد وعد الله سبحانه بالمغفرة والفضل والمغفرة المستمرة على عباده في الدنيا والآخرة لنفوسهم وكنارتها والفضل ان يخلف عليهم أفضل مما أنفقوا فيوسع لهم في أرزاقهم وينعم عليهم في الآخرة بما هو أفضل وأكثروا أجل وأجل (والله واسع) أي غني قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقونه (عليم) بانفاقكم لا تخفى عليه خافية عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملاكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعظم منفقاً خلفاً ويقول الآخر أعظم مسكناً خلفاً أخرجه الشيخان وفي الباب أحاديث (بؤي الحكمة من يشاء) الحكمة هي العلم وقيل الفهم وقيل الاصابة في القول ولا مانع من الجمل على الجميع شيواً أو بدلاً وقيل انها النبوة وقيل الخشية وقيل العقل وقيل الورع وقيل المعرفة بالقرآن وقيل الفقه في الدين وقيل التفكير في أمر الله وقيل طاعة الله والعمل بها وهذا الأقوال كلها قريب بعضها من بعض لان الحكمة مصدر من الاحكام وهو الاتفاق في عمل أو قول وكل ما ذكره نوع من الحكمة التي هي الجنس فكأن الله تعالى حكماً وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حكمه وأصل الحكمة ما يمنع من السفه وهو كل قبيح وعن ابن عباس قال الحكمة المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه وحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله وعنه قال انها القرآن يعني تفسيره وعنه انها الفقه في القرآن وعن أبي الدرداء انها قراءة القرآن والتفكير فيه وعن أبي العالية هي الكتاب والفهم به وبه قال النخعي وعن مجاهد هي الكتاب يؤتي اصابته من يشاء وعنه قال هي الاصابة في القول وعن أبي العالية ومطر الوراق قال هي الخشية (ومن يؤت الحكمة فقد أوفى خيراً كثيراً) قرئ ومن يؤت الحكمة على البناء للفاعل وقراءة الجمهور على البناء للمفعول أي من أعطاه الله الحكمة أي العلم النافع المؤدى الى العمل الصالح فقد أعطاه خيراً عظيماً قدره جليل لا خطر لمصيره الى السعادة الابدية والتسكير للتعظيم (وما يذكر إلا أولو الابواب) أي الذين عقلوا عن الله أمره ونهيه والابواب العقول واحداً بال وقد تقدم الكلام فيه وفيه من الترغيب في المحافظة على الاحكام الواردة في شأن الانساق ما لا يحصى والجملة اما حال واما اعتراض تذييلي (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه) ما شرطية ويجوز ان تكون

في الكتاب لاني شقاق بعيد) يقول تعالى ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب يعنى اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم التي بأيديهم مما تشبهه بالرسالة والنبوة فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم آباءهم خشوا لعنهم الله ان أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوه فكتموا ذلك ابقاء على ما كان يحصل لهم من ذلك وهو نزيه سير فباعوا أنفسهم بذلك واعتاضوا عن الهدى واتباع الحق وتصديق الرسول والايمان بما جاء عن الله بذلك النذر اليسير فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فان الله أظهر لعباده صدق رسوله بما نصبه وجعله معه من الايات الظاهرات والدلائل القاطعات فصدقه الذين كانوا يخافون أن يتبعوه وصاروا عوناً له على قتالهم وباؤا بغضب على غضب وذمهم الله في كتابه في غير موضع فمن ذلك هذه الآية الكريمة ان الذين يكتمون ما أنزل الله من

الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً وهو عرض الحياة الدنيا أولئك ما يأكلون في بطونهم النار أي انما يأكلون ما يأكلونه في مقابلة كتمان الحق ناراً تاجج في بطونهم يوم القيامة كما قال تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً وفي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الذي يأكل أو يشرب في آية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه ناراً جهرهم وقوله ولا يكاهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم وذلك لانه تعالى غضبان عليهم لانهم كتموا وقد علموا فاستحقوا الغضب فلا ينظر اليهم ولا يزكهم أي يثني عليهم ويمدحهم بل يعذبهم عذاباً أليماً وقد ذكر ابن أبي

حاتم وابن مردويه ههنا حديث الاعمش عن ابي حازم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم شيخ زان ومالك كذاب وعائل مستكبر ثم قال تعالى خبرنا عنهم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أى اعتاضوا عن الهدى وهو نشر ما في كتبهم من صفة الرسل وذكريبعثه والبشارة به من كتب الانبياء وأتباعه وتصديقه استبدلوا عن ذلك واعتاضوا عنه الضلالة وهو تكذيبه والكفر به وكتبا صفاته في كتبهم والعذاب بالمغفرة أى اعتاضوا عن المغفرة بالعذاب وهو ما تعاطوه من أسبابه المذكورة وقوله تعالى (٢٥٩) فأصبرهم على النار يخبر تعالى أنهم في عذاب

شديد عظيم هائل يتعجب من رأيهم فيها من صبرهم على ذلك من شدة ما هم فيه من العذاب والشكال والاعلال عما ذاب الله من ذلك وقيل معنى قوله فأصبرهم على النار أى فأدومهم لعمل المعاصي التى تقضى بهم الى النار وقوله تعالى ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق أى انما استحقوا هذا العذاب الشديد لان الله تعالى أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الانبياء قبله كتبه بتحقيق الحق وباطال الباطل وهؤلاء اتخذوا آيات الله هزوا فكتبهم يأمرهم باظهار العلم ونشره خالفوه وكذبوه وهذا الرسول الخاتم يدعوهم الى الله تعالى ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وهم يكذبونه ويخالفونه ويحجبونه ويكتمون صفته فاستهزؤا بآيات الله المنزلة على رسوله فلهم هذا العذاب والشكال ولهذا قال ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لى شقاق بعين (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب

موصولة والعائد محذوف أى الذى نفقته وهذا بيان لحكم كل عام يشمل كل صدقة مقبولة وغير مقبولة وكل نذر مقبول وغير مقبول وفيه معنى الوعد بان تنفق ونذر على الوجه المقبول والوعيد بان جاء بعكس ذلك ووجد الضمير مع كونه مرجعه شيئين هما النفقة والنذر لان التقدير وما أنفقتم من نفقة فان الله يعلمها وأنذرتهم من نذر فان الله يعلمه ثم حذف أحدهما استغناء بالآخر قاله النحاس وقيل انما كان العطف فيه بكلمة أو كما في قولك زيداً وعمراً فإنه يقال أكرمته ولا يقال أكرمتهما والاولى أن يقال ان العطف بأو يجوز فيه الامر ان لو حيد الضمير كما في هذه الآية وفي قوله تعالى واذا رآوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وقوله ومن يكسب خطيئة أو عاثم يرم به بريثا وتثبته كما في قوله تعالى ان يكن غنياً وفقيراً فآله اولى بهم ما ومن الاول فى العطف بالواو قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها وقيل اذا وحيد الضمير بعد ذكر شيئين أو أشياء فهو بتأويل المذكور أى فان الله يعلم المذكور وبه جزم ابن عطية ورجحه القرطبي وذكريبعثه كثير من النجاة فى مؤلفاتهم (وما للظالمين) انفسهم بما وقعوا فيه من الاثم بخالفه ما امر الله به من الانفاق فى وجوه الخير (من انصار) ينصرونهم ويمنعونهم من عقاب الله بما ظلموا به انفسهم والاولى الحمل على العموم من غير تخصيص بما يفهمه السياق أى ما للظالمين بأى مظلة كانت من أنصار وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى نذر الطاعة والمعصية فى الصحيح وغيره ما هو معروف بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا نذر فى معصية الله وقوله من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه وقوله النذر ما اتقى به وجه الله وثبت عنه فى كفارة النذر ما هو معروف (ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تحفقوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) فى هذا نوع تفصيل لما اجل فى الشرطية المتقدمة ولذا ترك العطف بينهما أى ان تطهروا الصدقات فنعم شيئاً اظهرها وان تحفقوها وتصيبوا بها مصارفها من الفقراء فالأخفاء خير لكم وقد ذهب جمهور من المفسرين الى أن هذه الآية فى صدقة التطوع لا فى صدقة الفرض فلا فضيلة للاخفاء فيها بل قد قيل ان الاظهار فيها أفضل وقالت طائفة أن الاخفاء أفضل فى الفرض والتطوع عن ابن عباس قال جعل السر فى التطوع يفضل علانيتهما سبعين ضعفاً وجعل صدقة الفريضة علانيتهما أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً وكذا جميع الفرائض والنوافل فى

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وفى المال على حسنة ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى الباساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) اشملت هذه الآية الكريمة على جل عظيمة وقوا عديمة وعقيدة مستقيمة كما قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبيد بن هشام الحلبي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عامر بن شفى عن عبد الكرىم عن مجاهد عن أبى ذر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فتلا عليه ليس البر أن تولوا وجوهكم الى آخر الآية قال ثم سأله أيضاً فتلاها

عليه ثم سأل فقال اذا عملت حسنة اجمع اقليل واذا عملت سيئة ابغض اقليل وهذا منقطع فان مجاهد لم يذكره في قوله ما قال قديما
وقال السعدي حدثنا القاسم بن عبد الرحمن قال سمعت رجلا يقول ما لايمان فقرأ عليه هذه الآية ليس ان يقرأ
وجوهكم حتى فرغ منها فقال الرجل ليس عن البرمالة فقال ابو ذر جاز رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عما سألني
عنه فقرأ عليه هذه الآية فاني ان يرضي كما يبيت ان ترضي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم واشار بيده المؤمن اذا عمل حسنة
سره وزج ثوابها واذا عمل سيئة احرته (٣٦٠) وخاف عقاب ربه ابن مردويه وهذا ايضا منقطع والله اعلم وما

الكلام على تفسير هذه الآية
فان الله تعالى لما أمر المؤمنين
أولاد التوراة ان يبيت المقدس ثم
حولهم الى الكعبة شق ذلك على
نفوس طائفة من أهل الكتاب
وبعض المسلمين فأمر الله تعالى بيان
حكمته في ذلك وهو ان المراد انما
هو طاعة الله عز وجل وامثل
أوامره والتوجه حيثما وجه
واتباع ما شرع فهذا امر البر
والنقوى والايمان الكامل وليس
في لزوم التوجه الى جهة من المشرق
أو المغرب بولا طاعة ان يكون عن
أمر الله وشرعه ولهذا قال ليس
البر ان تولدوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ولكن البر من آمن بالله
واليوم الآخر الآية كما قال في
الاضاحي واليهديا لمن قال الله
خو منار لا دعاوها ولكن ساء
التقوى منكم وقال العوفي عن
ابن عباس في هذه الآية ليس البر
ان تصلوا ولا تعملوا في هذا
تتحول من مكة الى المدينة ونزلت
الفرائض والحدود فأمر الله
بالفرائض وعمل بها وروى عن
الغزالي ومقاتل خذوا ذلك

والشياء كنزها وعنه في الآية
الصدقات وقصصها انتهت الصدقات اليها وعنه في هذا منسوخ وقوله في أموالهم
حق معظم المسائل واخرهم قال منسوخ نسخ كل صدقة في القرآن الآية التي في سورة
التوبة انما الصدقات للفقراء وقد ورد في فضل صدقة السر احدث صحيحة مرفوعة
(وقد ستر عنكم من ماله منكم) من يتبع بعض أي شيئا من سيئاتكم لان تصدقات
لا تكسر جميع السيئات كذا تدبره أبو البقاء وحكي الطبري عن فرقة منهم زائدة وذلك على
رأى لا تخش قال ابن عطية وقد ستم خطأ قيل انها نسبية أي من أجل ذنوبكم
وهذا ضعيف والسيئات جمع سيئة ووزنها لفعلة وعينها وز قال ابن عباس جميع
سيئاتكم (والله بما تعملون خبير) يعني من خيرا والصدقات واحدا منها وفيه ترغيب
في الاسرار (ليس عليت هذا هم) أي ليس بواجب عليت ان يجعلهم ميسرين قابلين لما
أمر به ومنه وعنه فان يدي مصدر مضاف ممنعول أو ليس عليت أن يستوفوا فيكون
مضافا لفاعله (ولكن الله يهدي من يشاء) هداية توفى الى المضروب وهذه الجملة معترضة
وفيها الالتفات وعن ابن عباس قال كانوا يكرهون أن يرخصوا لانسابهم من المشركين
فقرئت هذه الآية الى آخره فرخص انسابهم وفي الباب أخبار عن الصحابة والتابعين
(وم تفتقروا من خير قد نسكم) أي كل ما يصدق عليه اسم الخير كما قلنا نحن ونوعلي أكثر
ولكن هذا في غير صدقة الفرض (وما تفتقروا الا انتم عوجهاه) استثناء من أعين العليل
أي لا تفتقروا الفرض الا ليعذر الفرض ثم بين ان المنفعة للعبد بها المقبولة انما هي
ما كمن لا يتبع وجهه الله سبحانه قال الزجاج هذا من المؤمنين وقال بعضهم توفقت
على شرا خلق الله لكان لك ثواب تفتقروا ويرد حديث لا يأكل طعام الا تقي وأجمع
العلم اعلى انه لا يجوز صرف الزكاة الى المسلمين وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر
ان اعطى النعمة وحده ما من العلماء في ذلك (وم تفتقروا من خير يوفىكم) أي يوفى (ليكم)
أجره وثوابه على الوجه الذي تقدم ذكره من الضعيف قال عطاء الخراساني اذا أعطيت
لوجه الله فلا عليك ما كان عملا (وانتم لا تعلمون) أي لا تعلمون شيئا من ثواب أعمالكم
(الفقراء الذين أحصروا في بيوتهم) بالفقر والاحتياج والفقير يعني فقره من مصروف الصدقات
واختاره ابن الأنباري قال ابن عباس هم أصحاب الصدقة يعني فقره الخياجين كانوا يفتقروا

أبو العالية كانت اليهود تقبل قبل المغرب وكانت النصارى تقبل قبل المشرق فقال الله تعالى ليس البر ان
تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب يقول هذا كلام الايمان وحقيقته العمل وروى عن الحسن بن سعيد بن أنس عن ربه
مجاهد ولكن البر ما يبيت المقدس ثم حولهم من طاعة الله عز وجل وقال الغزالي ولكن البر ما يبيت المقدس ثم حولهم من طاعة الله عز وجل
وقال الثوري ولكن البر من آمن بالله الآية قال هذه انواع البر كذا وصدق وجه الله فان من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى
الاسلام كذا واخذ بجامع آخر كله وهو الايمان بالله وانه لا اله الا هو وصدق بوجوه الامم كذا الذين هم مفرقة بين الله ورسوله وكتب

وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الانبياء حتى خفت بأشرفها وهو القرآن المهين على ما قبله من الكتب الذي انتهى اليه كل خير واشتد على كل سعادة في الدنيا والآخرة ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله وأمن بأبياء الله كلهم من أولهم الى خاتمهم محمد صلات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وقوله وأتى المال على حبه أى أخرجه وهو يحب ليراعب فيه نص على ذلك ابن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما من السلف والخلف كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً أفضل الصدقة ان تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر وقد روى الحاكم (٣٦١) في مستدركه من حديث شعبة والثوري

عن منصور عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى المال على حبه ان تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (قلت) وقد رواه وصحيح عن الأعمش وسفيان عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود موقوفاً وهو أصح والله أعلم وقال تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً اتانا طعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً وقال تعالى ان تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة نعط آخرافهم من هذا وهوانهم آثروا بما هم مضطرون الله هو الأول اعطوا وأطعموا ما هم محبوبون له وقوله ذوى القربى وهم قرابات الرجل وهم أولى من أعطى من الصدقة كما ثبت في الحديث الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثلثان صدقة وصلة فهم أولى الناس بك وبرك واعطائك وقد أمر الله تعالى

أربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشاير وكفوا يارون الى صفة في المسجد يعلمون القرآن بالليل وهم الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد خاصة وعلى طاعة الله عامة قيل منعوا عن التكسب لما هم فيه من الضعف (لا يستطيعون ضرباً في الارض) للتكسب بالتجارة والزراعة ونحو ذلك بسبب ضعفهم قال مجاهد هم مهاجرو قريش بالمدينة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمروا بالصدقة عليهم وقال سعيد بن جبير هم قوم أصابهم الجراحات في سبيل الله فصاروا زمنى فجعل لهم في أموال المسلمين حقاً وقيل كل من تصف بالفقر وما ذكر معه (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) ذكر سبحانه من صفة أولئك الفقراء ما يوجب الخنوع عليهم والشفقة بهم وهو كونهم متعففين عن المسئلة واطهار المسكنة بحيث ينظرون الجاهل بهم ومن لم يختبر حالهم انهم أغنياء والتعفف تفعل من العفة وهو بناء مبالغته من عفا عن الشيء إذا أمسك عنه وتزهد عن طلبه وفي يحسبهم لغتان فتح السين وكسرها قال أبو علي الفارسي والنسخ أقيس لان العين من الماضى مكسور فبايها أن تأتي في المضارع مفتوحة فالقراءت بالكسر على هذا حسنة وان كانت شاذة ومن لا بداء الغاية وقيل لبيان الجنس (تعرفهم) أى تعرف فقرهم (بسيماهم) أى برئائهم ثيابهم من الضر وصفة أولائهم من الجوع وضعف أبدانهم من الفقر وكل ما يشعر بالفقر والحاجة وقيل التواضع والخضوع والاول أولى والخطاب اما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول كل من يصلح للمخاطبة والسياسة مقصورة العلامة وقد تدوى مقلوبة لانها مشتقة من الوسم فهى من السمى أى العلامة (لا يسألون الناس الخافاً) الخاف الاحاف في المسئلة وهو مشتق من الخاف سعى بذلك لاشتماله على وجوه الطلب في المسئلة كاشتمال الخاف على التغطية والمعنى انهم لا يسألونهم البتة لاسؤال الخاح ولا سؤال غير الخاح وبه قال الطبرى والزجاج واليه ذهب جمهور المفسرين ووجهه ان التعفف صفة ثابتة لهم لا تفارقهم ومجرد السؤال يناهيا وقيل المراد انهم اذا سألوا سألوا بتلطف ولا يلحفون في سؤالهم وهذا وان كان هو الظاهر من توجه النفي الى القيد دون المقيد لكن صفة التعفف تنافيه وأيضاً كون الجاهل بهم يحسبهم أغنياء لا يكون الامع عدم السؤال البتة وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس المسكين الذي ترده القمرة

(٤٦ - فتح البيان ل) بالاحسان اليهم في غير موضع من كتابه العزيز واليتامى هم الذين لا كتب لهم وقد مات آباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب وقد قال عبد الرزاق أنباءنا عمر عن جوير عن الضحاك عن التزال بن سبرة عن علي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتم بعد حلم والمساكين وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم وكسوتهم وسكاكهم فيعطون ما يستدبه حاجتهم وحثهم وفي الصحيحين عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين بهذا الطواف الذى ترده القمرة والقرتان واللقمة واللقمتان وليكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يظن له فيصدق عليه وابن السبيل وهو

المسافر المجتاز الذي قد فرغت نفسه فاعطى ما يوصله الى بلده وكذا الذي يريد سفره في طاعة فيعطى ما يكفيه في ذهابه وايابه ويدخل في ذلك الضيف كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس انه قال ابن السبيل هو الضيف الذي ينزل بالمسلمين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وأبو جعفر البقر والحسن وقائدة والنجاشي والزهرى والريبع بن أنس ومقاتل بن حيان والسائلين وهم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قال لا أحدنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبي يحيى عن فاطمة (٣٦٢) بنت الحسين عن أبيها قال عبد الرحمن حسين بن علي قال قال

والقرتان واللقمة واللقمة انما للمسكين الذي يتعفف واقروا ان شئتم لا يسألون الناس الخافا وقد ورد في تحريم المسئلة أحاديث كثيرة الامن ذى سلطان أو في أمر لا يجد منه بدا (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) أي يعلم مقادير الانفاق ويجازى عليه وفيه حديث على الصدقة والانفاق في الطاعة لا سيما على هؤلاء (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) يفيد زيادة رغبتهم في الانفاق وشدة حرصهم عليه حتى انهم لا يتركون ذلك لئلا يولوا نهارا او يفعلونه سرا وجهرا عند ان تنزل بهم حاجة المحتاجين وتظهر لاهمهم فافقه المفتاين في جميع الازمنة على جميع الاحوال وعن ابن عباس بسند ضعيف قال نزلت في علي بن أبي طالب كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا ودرهما سرا ودرهما علانية وفي الآية إشارة الى أن صدقة السر أفضل من صدقة العلانية لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار و قدم السر على العلانية وقيل نزلت في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله لانهم يعلمون في هذه الاربعة الاحوال والاول أولى عن غريب المليك مر فوعا قال نزلت هذه الآية في أصحاب الخيل وقال أبو امامة الباهلي فيمن لا يربطها خيلاء ولا رياء ولا سمعة وعن ابن عباس قال هم الذين يعلمون الخيل في سبيل الله وقال قتادة هؤلاء قوم أنفقوا في سبيل الله الذي افترض عليهم في غير سرف ولا املاق ولا تبذير ولا فساد وقال سعيد بن المسيب نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان في نفقتهم في جيش العسرة وكون ماذ كرسيا لنزولها لا يقتضى خصوص الحكم به بل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (فلهم أجرهم عند ربهم) الفاء للدلالة على سببية ما قبلها بالمابعد ها وقيل هي للعطف (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي يوم القيامة أو في الدارين (الذين يأكلون الربوا) الربا في اللغة الزيادة مطلقا يقال ربا الشيء يربوا اذا زاد وفي الشرع يطلق على شيئين على ربا الفضل وربا النسيئة حسب ما هو مفصل في كتب الفروع وغالب ما كانت تفعله الجاهلية انه اذا حل أجل الدين قال من هو له من هو عليه أتقضى أم تربي فاذا لم يقض زاد مقدر اربا في المال الذي عليه وأخر له الاجل الى حين وهذا حرام بالاتفاق وقياس كتابة الربا بالياء للكسرة في أوله وقد كتبه في المحصف بالواو وليس المراد بالذين يأكلون الربا اختصاص هذا الوعيد بمن يأكله بل هو عام لكل من يعامل بالربا فاقبضه فاعطيه وانما خص

رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس رواه أبو داود وفي الرقاب وهم المكاتبون الذين لا يجحدون ما يؤدونه في كتابتهم وسباقي الكلام على كثير من هذه الاصناف في آية الصدقات من براءة ان شاء الله تعالى وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا شريك عن أبي حنيفة عن الشعبي حدثتني فاطمة بنت قيس انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المال حق سوى الزكاة قالت فاعلى وآتى المال على حبه ورود ابن مردويه من حديث آدم بن أبي اياس ويحيى بن عبد الحميد كلاهما عن شريك عن أبي حنيفة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المال حق سوى الزكاة ثم قرأ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الى قوله في الرقاب وأخرج ابن ماجه والترمذي وضعف أبا حنيفة ميمونا الاور وقد رواه مسيار وسعيد بن سالم عن الشعبي وقوله

واقام الصلاة وآتى الزكاة أي وأتم أفعال الصلاة في أوقاتها بركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها الاكل على الوجه الشرعي المرضى وقوله وآتى الزكاة يحتمل أن يكون المراد به زكاة النفس وتخليصها من الاخلاق الدنيئة الرذيلة كقوله قد أفلح من زكاهما وقد خاب من دساها وقول موسى انزعون هل لك الى أن تركي وأهديك الى ربك فتخشى وقوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ويحتمل أن يكون المراد زكاة المال كما قاله سعيد بن جبيرة ومقاتل بن حيان ويكون المذكور من اعطاء هذه الجهات والاصناف المذكورين انما هو التطوع والبر والصلة ولهذا تقدم في الحديث عن فاطمة بنت قيس ان

في المال حقا سوى الزكاة والله اعلم وقوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا كقوله الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وعكس هذه الصفة النفاق كما صفي في الحديث آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اتفق خان وفي الحديث الاخر اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم خفر وقوله والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أى في حال الفقر وهو البأساء وفي حال المرض والاسقام وهو الضراء وحين البأس أى في حال القتال والتقاء الاعداء قاله ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومرة الهمداني ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والربيع (٣٦٣) بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان

وأبو مالك والضحك وغيرهم وانما نصب المصابرين على المدح والحث على الصبر في هذه الاحوال لشدة وصعوبته والله اعلم وهو المستعان وعليه التكلان وقوله أولئك الذين صدقوا أى هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في ايمانهم لانهم حققوا الايمان القلبي بالايقال والافعال فهوؤلاءهم الذين صدقوا وأولئك هم المتقون لانهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عني له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ولكم في القصاص حياة يا أيها الالباب لعلكم تتقون) يقول تعالى كتب عليكم العدل في القصاص أيها المؤمنون حرّم بجرّم وعبدكم بعبدكم وأنثاكم بأنثاكم ولا تتجاوزوا وتعتدوا كما اعتدى من قبلكم وغير واحكم الله فيهم وسبب ذلك قرينة والنصير

الاكل زيادة التشنيع على فاعله ولكونه هو الغرض الالهم فان أخذ الرابعا انما أخذ للاكل عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آكل الربا وموكله وكتابه وشاعبه رواه مسلم (لا يقرمون) أى يوم القيامة من قبورهم ومهدافسره جمهور المفسرين قالوا انه يبعث للمجنون عقوبة له وتقينا عند أهل الحشر وقيل ان المراد تشبيه من يخرس في تجارته فيجمع ماله من الربا بقيام المجنون لان الحرص والطمع والرغبة في الجمع قد استقرت في حتى صار شبيها في حركته بالمجنون كما يقال لمن يسرع في مشيه ويضطرب في حركته انه قد جر (الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) أى يصصره وأصل الخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء وهو المصروع والمس المجنون والممسوس المجنون وكذلك الاول قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا اذا استحل يوم القيامة وفي الآية دليل على فساد قول من قال ان الصرع لا يكون من جهة الجن وزعم انه من فعل الطباع وقال ان الآية خارجة على ما كانت العرب تزعمه من أن الشيطان يصرع الانسان وليس بصحيح وان الشيطان لا يسلك في الانسان ولا يكون منه مس وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن يتخبطه الشيطان كما أخرجه النسائي وغيره وقد وردت أحاديث كثيرة في تعظيم ذنب الربا منها حديث عبد الله بن مسعود عند الخاصكم وصححه والبيهقي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الربا ثلاثة وسبعون بابا أيسر هام مثل أن ينكح الرجل أمه وان أربى الربا عرض الرجل المسلم وورده هذا المعنى مع اختلاف العدد عن جماعة من الصحابة وورد عن جماعة منهم ان آخر آية أنزلها على رسوله آية الربا (ذلك بأنهم قالوا) ذلك إشارة الى ما ذكر من حالهم وعقوبتهم بسبب قولهم (انما البيع مثل الربوا) أى انهم جعلوا البيع والربا شيئا واحدا أى اعتقدوا مدلول هذا القول وفعلوا ما مقتضاه أى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لافضاهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين وانما شبهوا البيع بالربا بمبالغة بجعلهم الربا أصلا والبيع فرعاً أى انما البيع بلا زيادة عند حلول الاجل كالبيع بزيادة عند حلوله فان العرب كانت لا تعرف ربا الا ذلك وهذا من عكس التشبيه بمبالغة وهو أعلى مراتبه شجوه قولهم القهر كوجه زيد والبحر ككنهه اذ صار المشبه مشبها به فرد الله عليهم بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربوا) أى ان الله تعالى

كانت بنو النضير قد غزت قرية في الجاهلية وقهرهم وهم فكان اذا قتل النضري القرظي لا يقتل به بل يشادى بمائة وسق من التم واذ قتل القرظي النضري قتل وان قاده فدية بمائتي وسق من التم ضعف دية القرظي فأمر الله بالعدل في القصاص ولا تتبع سبيل المفسدين المخرفين المخالفين لاحكام الله فيهم كفر أو بغيا فقال تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى وذكري سبب نزولها مارواه الامام أبو محمد بن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى يعني اذا

بأن عمدا الحرب بالحر وذلك ان حين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الاسلام بقليل فكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبد والنساء فبأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا فذكر أن أسد الحيين يتناول على الآخر في العدة والاموال خلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد من الحر منهم والمرأة من الرجل منهم قتل فيهم الحرب بالحر والعبد بالعبد والاني بالاني منها منسوخة نسختها النفس بالنفس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله والاني بالاني وذلك انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة فأمر الله النفس بالنفس (٣٦٤) والعين بالعين فجعل الاحرار في القصاص سواء فيما بينهم من العبد

رجالهم ونسأؤهم في النفس وفيما دون النفس وجعل العبيد مستوين فيما بينهم من العمد في النفس وفيما دون النفس رجالهم ونسأؤهم وكذلك روى عن أبي مالك انهم منسوخة بقوله النفس بالنفس * (مسئلة) * ذهب أبو حنيفة الى أن الحرية تقتل بالعبد لعموم آية المائدة واليه ذهب الثوري وابن أبي ليلى وداد وهو مروى عن علي وابن مسعود وسعيد بن المسيب وابراهيم النخعي وقتادة والحكم قال البخاري وعلي بن المسيب وابراهيم النخعي والثوري في رواية عنه ويقتل السيد بعبد لعموم حديث الحسن عن سمرة من قتل عبده قتلناه ومن جدد عبده جددناه ومن خصاه خصيناه وخالفهم الجمهور فقالوا لا يقتل الحر بالعبد لان العبد سعة لوقتل خطا لم يجب فيه دية وانما تجب فيه قيمته ولانه لا يقاد بظرفه في النفس بطريق الاولى وذهب الجمهور الى أن المسلم لا يقتل بالكافر لما ثبت في البخاري عن علي قال قال رسول

أحل البيع وحرم نوعان أنواعه وهو البيع المشتمل على الربا الذي هو زيادة في المال لاجل تأخير الاجل والبيع مصدر باع يبيع أي دفع عوضا وأخذ عوضا وقد ذكر المفسرون في هذا المقام سبب تحريم الربا واختلاف اهل العلم في عللها وأحكامها ومسائل القرض وانما محلها كتب الفروع (فمن جاءه موعظة من ربه) أي من بلغته موعظة من الله من المواعظ التي تشتمل عليها الاوامر والنواهي ومنها ما وقع هناك من النهي عن الربا والموعظة والعظة والوعظ معناها واحد وهو الزجر والتخويف وتذكير العواقب والاتعاظ القبول والامثال (فانتهى) عن أكله أي فامتنع النهي الذي جاء وانزجر عن النهي عنه واتعظ وقيل (فله ماسلف) أي ما تقدم منه من الربا لا يؤاخذ به لانه فعله قبل أن يبلغه تحريم الربا وقبل ان تنزل آية تحريم الربا (وأمره) أي أمر الربا (الى الله) في تحريمه على عباده واستمرار ذلك التحريم وقيل الضمير عائدا الى ماسلف أي أمره الى الله في العفو عنه واستقاط التبعة فيه وقيل الضمير يرجع الى المربي أي أمر من عامل بالربا الى الله في تنبيته على الانتهاء والرجوع الى المعصية وقيل ان شاء عبده وان شاء عفا عنه (ومن عاد) الى أكل الربا والمعاملة به (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) الاشارة الى من عاد وجوع أصحاب باعتبار معنى من وقيل ان معنى من عاد هو ان يعود الى القول بانما البيع من الربا وانما يكفر بذلك فيستحق الخلود وعلى التقدير الاول يكون الخلود مستعارا على معنى المبالغة كما تقول العرب ملك خالد أي طويل البقاء والمصير الى هذا التأويل واجب للاحاديث المتواترة القاضية بخروج الموحدين من النار قال سعيد ابن جبيرة خالدون يعني لا يموتون (يحقق الله الربا) أي يذهب بركته في الدنيا وان كان كثيرا فلا يبقى بيد صاحبه وقيل يحقق بركته في الآخرة قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا نجوا ولا جهادا ولا صلة (ويربى الصدقات) أي يزيد ها ويثرها يعني يزيد في المال الذي أخرج صدقته وقيل يبارك في ثواب الصدقة ويضاعفه ويزيد في أجر المصدق ولا مانع من جل ذلك على الامرين جميعا وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعا من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الاطيبا فان الله يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربى أحدكم فلو أنه حتى تكون مثل الجبل وزاد في حديث عائشة وابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية واخرج

الله صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر ولا يصح حديث ولا تأويل يخالف هذا وأما أبو حنيفة فذهب الى أنه الطبراني يقتل به لعموم آية المائدة * (مسئلة) * قال الحسن وعطاء لا يقتل الرجل بالمرأة لهذه الآية وخالفهم الجمهور لآية المائدة ولقوله عليه السلام المسلمون متكافؤ ماؤهم وقال الليث اذا قتل الرجل امرأته لا يقتل بها خاصة (مسئلة) ومذهب الأئمة الاربعة والجمهور ان الجماعة يقتلون بالواحد قال عمر في غلام قتل سبعة فقتلهم وقال لولم أله عليه أهل صنعنا لقتلناهم ولا يعرف له في زمانه مخالف من الصحابة وذلك كالأجماع وحكى عن الامام أحمد رواية ان الجماعة لا يقتلون بالواحد ولا يقتل بالنفس الانفس واحدة

وحكاه ابن المنذر عن معاذ وابن الزبير وعبد الملك بن مروان والزهرى وابن سيرين وحبيب بن ابى ثابت ثم قال ابن المنذر وهذا الصحيح ولا جنة لمن أباح قتل الجماعة وقد ثبت عن ابن الزبير ما ذكرناه وإذا اختلفت الصحابة فسيدهم النظر وقوله فمن عفى له من أخيه شيئاً فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان قال مجاهد عن ابن عباس فمن عفى له من أخيه شيئاً فالعفو أن يقبل الدية في العمد وكذا روى عن أبى العالية وأبى الشعثاء ومجاهد وسعيد بن جبيرة وعطاء والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وقال الضحاك عن ابن عباس فمن عفى له من أخيه شيئاً عفى فمن ترك له من أخيه شيئاً يعنى أخذ الدية بعبد (٣٦٥) استحقاق الدم وذلك العفو فاتباع بالمعروف

يقول فعلى الطالب اتباع بالمعروف إذا قبل الدية وأداء إليه بإحسان يعنى من القاتل من غير ضرر ولا مغل كما يعنى المدافعة وروى الحاكم من حديث سفيان عن عمرو بن مجاهد عن ابن عباس ويؤدى المطلوب بإحسان وكذا قال سعيد بن جبيرة وأبو الشعثاء جابر بن زيد والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والريبع بن أنس والسدى ومقاتل بن حيان (مسألة) قال مالك رحمه الله في رواية ابن القاسم عنه وهو المشهور وأبو حنيفة وأصحابه والشافعي وأحمد في أحد قولي له ليس لولى الدم أن يعفو على الدية إلا برضا القاتل وقال الباقر له أن يعفو عليها وإن لم يرض (مسألة) وذهب طائفة من السلف إلى أنه ليس للنساء عفو منهنم الحسن وقتادة والزهرى وابن شبرمة والليث والاوزاعي وخالفهم الباقر وقوله ذلك تخفيف من ربكم ورجة يقول تعالى إنما شرع لكم أخذ الدية في العمد تخفيفاً من الله عليكم ورجة

الطبراني عن أبى برزة الأسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن العبد ليتصدق بالكسرة تزيو عنده الله حتى تكون مثل أحد وهذه الأخبار تسين معنى الآية يقال أرباه إذا زاده كما يؤخذ من القاموس ويستعمل لازماً أيضاً فيقال أربى الرجل إذا دخل في الربا (والله لا يحب) أى لا يرضى لأن الحب مختص بالتوأمين (كل كفار أثيم) فيه تشديد وتغلظ عظيم على من أربى حيث حكم عليه بالكفر ووصفه بأثيم للمبالغة وقيل لازالة الاشتراك إذ قد يقع على الزناح ويحتمل أن المراد بقوله كل كفار من صدرت منه خصله توجب الكفر ووجه التصاقه بالمقام أن الذين قالوا انما البيع مثل الربا كفار وقد تقدم تفسير قوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم) قبل المراد به الذين آمنوا بتحريم الربا والعموم أولى والايان التصديق بالله ورسوله والعمل الصالح الذى أمرهم الله به ومن جعلته ترك الربا والصلاة والزكاة هما المفروضتان (ولا خوف عليهم) من مكروه يأتى في المستقبل (ولا هم يحزنون) على أمر محبوب فاتهم في الماضي (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله واذروا ما بقى من الربوا) أى قوا أنفسكم من عقابه واتركوا البقايا التى بقيت لكم من الربا وظاهره أنه أبطل من الربا ما لم يكن مقبوضاً قال السدى نزات في العباس بن عبد المطلب ورجل من بنى المغيرة كانا شريكين في الجاهلية يسلفان الربا إلى ناس من ثقيف في الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فنزل الله هذه الآية (ان كنتم مؤمنين) قيل هو شرط مجازى على جهة المقابلة وقيل ان بمعنى إذ قال ابن عطية وهو مراد لا يعرف في اللغة والظاهر ان المعنى ان كنتم مؤمنين على الحقيقة فان ذلك يستلزم امتثال أوامر الله ونواهيه (فان لم تفعلوا) يعنى ما أمرتم به من الاتقاء وترك ما بقى من الربا (فأذنبوا) قرئ بكسر الذا والمدة على وزن آمنوا ومعناه فأعلموا بها غيركم من آذن بالشئ إذا أعلم به وقيل هو من الأذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرئ بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا أنتم وأيقنوا (بحریم من الله ورسوله) قال ابن عباس يقال لا تكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعاني الحرب هنا السيف وقيل المراد بهذه المحاربة المبالغة في الوعد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل نفس الحرب وذلك ان كان أكل الربا شوكاً لا ينزع عنه مخق على الامام أن يحاربه والاولى وأولى وقد دلت هذه الآية على أن أكل الربا والعمل به من

بكم مما كان محتوماً على الامم قبلكم من القتل أو العفو كما قال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرني مجاهد عن ابن عباس قال كتب على بنى اسرائيل القصاص في القتل ولم يكن فيهم العفو فقال الله لهذه الامة كتب عليكم القصاص في القتل الحرب بالحر والعبد بالعبد والاثنى بالاثنى فمن عفى له من أخيه شيئاً فالعفو أن يقبل الدية في العمد ذلك تخفيف مما كتب على بنى اسرائيل من كان قبلكم فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان وقد رواه غير واحد عن عمرو وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن عمرو بن دينار ورواه جماعة عن مجاهد عن ابن عباس بنحوه وقال قتادة ذلك تخفيف من ربكم رحم الله الامة وأطعمهم

الدية ولم يحل لأحد قبلهم فكان أهل التوراة أنما هو القصاص وعقوليس بينهم أرش وكان أهل الإنجيل أنما هو عفو امرأه وجعل لهذه الأمة القصاص والعفو والارش وهكذا روى عن سعيد بن جبيرة ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس نحو هذا وقوله فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم يقول تعالى فمن قتل بعد أخذ الدية أو قبوله أو فله عذاب من الله أليم موجع شديد وهكذا روى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان أنه هو الذي يقتل بعد أخذ الدية كما قال محمد بن اسحق عن الحرث (٣٦٦) من فضيل عن سعيد بن أبي العوجاء عن أبي شريح الخزاعي أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بقتل أو جرح فانه يختار إحدى ثلاث إما أن يقتص وإما أن يعفو وإما أن يأخذ الدية فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه ومن اعتدى بعد ذلك فله نار جهنم خالدا فيها رواه أحمد وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أعافى رجلا قتل بعد أخذ الدية يعني لا أقبل منه الدية بل أقتله وقوله ولكم في القصاص حياة يقول تعالى وفي شرع القصاص لكم وهو قتل القاتل حكمة عظيمة وهي بقاء المهج وصورها لانه إذا علم القاتل انه يقتل انكف عن صنعه فكان في ذلك حياة للنفوس وفي الكتب المتقدمة القتل أنى للقتل فحاش هذه العبارة في القرآن أنفصح وأبلغ وأوجز ولكم في القصاص حياة قال أبو العالية جعل الله القصاص حياة فكم من رجل يريد أن يقتل فيمنعه مخافة أن يقتل وكذا روى عن مجاهد وسعيد بن جبيرة وأبي مالك والحسن

الكبار ولا خلاف في ذلك وتتم كبر الحرب للتعظيم وزادها تعظيما نسبتها إلى اسم الله الأعظم وإلى رسوله الذي هو أشرف خلقه (وان تبتم) من الربا (فلكم رؤس أموالكم) تأخذونها دون الزيادة (لا تظلمون) غرماء كما باخذ الزيادة مستأنفة أو حال من الكفاف في لكم (ولا تظلمون) أنتم من قبلهم بالمطل والنقص والجلالة حاله أو استئنافية وفي هذا دليل على أن أموالهم مع عدم التوبة حلال لمن أخذها من الأئمة ونحوهم بمن يتوب عنهم (وان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة) لما حكم سبحانه لأهل الربا رؤس أموالهم عند الواحدين للمال حكم في ذوى العسرة بالنظرة إلى يسار والعسرة ضيق الحال من جهة عدم المال ومنه جيش العسرة والنظرة التأخير والميسرة مصدر بمعنى اليسر وارتفع ذوب كان اتامة التي بمعنى وجدوه هذا قول سيبويه وأبي على الفارسي وغيرهما وفي مصنف أبي وان كان ذا عسرة على معنى وان كان المطلوب ذا عسرة وقرأ الأعمش وان كان معسرا قال النحاس ومكي والنقاش وعلى هذا يختص لفظ الآية بأهل الربا وعلى من قرأ ذو فهي عامة في جميع من عليه دين واليه ذهب الجمهور وقد وردت أحاديث صحيحة في الصحيحين وغيرهما في الترغيب لمن له دين على معسر أن ينظره وفي ثواب انتظار المعسر والوضع عنه وتشديد أمر الدين والأمر بقضائه وهي معروفة يطول ذكرها والميسرة في اللغة اليسار والسعة (وان تصدقوا خير لكم) أى على معسرى غرمائكم بالابرامن كل الدين أو بعضه وفيه الترغيب لهم بان يتصدقوا برؤس أموالهم على من أعسر وجعل ذلك خيرا من انتظاره قاله السدي وابن زيد والضحك قال الطبري وقال آخرون معنى الآية وان تصدقوا على الغنى والفقير خير لكم والصحيح الاول وليس في الآية مدخل للغنى (ان كنتم تعلمون) جوابه محذوف أى ان كنتم تعلمون انه خير لكم علمتم به وفي الحديث من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رواه مسلم (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) هو يوم القيامة وتذكيره للتحويل وذهب قوم إلى ان هذا اليوم المذكور هو يوم الموت وذهب الجمهور إلى انه يوم القيامة كما تقدم قرئ ترجعون بفتح التاء أى تصيرون فيه إلى الله وقرئ بضمها وفتح الجيم أى تردون فيه إليه (ثم توفى كل نفس من النفوس المكافئة) ما كسبت أى جزاء ما كسبت يعنى علمت من خير أو شر (وهم لا يظلمون) أى في ذلك اليوم والجلالة حاله وجع الضمير لانه أنسب بحال الجزاء كما كان

وقتادة والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وأولى الأبواب لكم تتقون يقول يا أولى العقول والافهام والنهسى الافراد لعلكم تنزحون وتتركون مجارم الله وما آثمه والتقوى اسم جامع لفعل الطاعات وترك المنكرات (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بقله بعد ما سمعه فاعلم انه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنتا أو انما فاصح بينهم فلا اثم عليه ان الله عفو رحيم) اشملت هذه الآية الكريمة على الامر بالوصية للوالدين والأقربين وقد كان ذلك واجبا على أصح القولين قبل نزول آية الموارث فلما نزلت آية الفرائض

نسخت هذه وصارت الموارث المقدرة فربضه من الله يأخذها أهلها احتسان غير وصية ولا تحمل منسبة الموصى ولهذا جاء في الحديث الذي في السنن وغيرهما عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب وهو يقول ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم بن عتبة عن يونس بن عبيد عن محمد بن سيرين قال جلس ابن عباس فقرأ سورة البقرة حتى أتى هذه الآية ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقرين فقال نسخت هذه الآية وكذا رواه سعيد بن منصور عن هشيم عن يونس به ورواه الحاكم في مستدركه (٣٦٧) وقال صحيح على شرطهما وقال علي بن

أبي طلحة عن ابن عباس في قوله الوصية للوالدين والاقرين قال كان لا يرث مع الوالدين غيرهما الا وصية للاقرين فأمر الله آية الميراث فبين ميراث الوالدين وأقر وصية الاقرين في ثلث مال الميت وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج بن محمد أخبرنا ابن جريح وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس في قوله الوصية للوالدين والاقرين نسختها هذه الآية للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقرىون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقرىون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ثم قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عمر وأبي موسى وسعيد بن المسيب والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير ومحمد بن سيرين وعكرمة وزيد بن أسلم والربيع بن أنس وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان وطاوس وابراهيم التميمي وشريح والفخاكي والزهري ان هذه الآية منسوخة نسختها آية الميراث والعجب من أبي عبد الله محمد بن

الافراد أنسب بحال الكسب وهذه الآية فيها الموعظة الحسنة لجميع الناس وفيه وعيد شديد وزجر عظيم عن ابن عباس قال آخر آية نزلت من القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية وكان بين نزولها وبين موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد وعشرون يوما وعن سعيد بن جبير انه عاش النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزولها تسع ليال ثم مات وقبل سبعا وقيل ثلاث ساعات ومات صلى الله عليه وآله وسلم ليلتين خلتا من ربيع الاول في يوم الاثنين حين زاعت الشمس سنة احدى عشرة من الهجرة قال الخفافى وكون هذه الآية آخر آية مذكور في كتب الحديث صحيح (بابها الذين آمنوا اذا نداء يفتحهم) هذا شروع في بيان حال المداينة الواقعة بين الناس بعد بيان حال الربا أى اذا دأب بعضكم بعضا وعاملهم بذلك سواء كان معطيا أو آخذاً وذكر الدين بعد ما يغنى عنه من المداينة لتقصير التاكيد مثل قوله ولا طائر يطير بجناحيه وقيل انه ذكر ليرجع اليه الضمير من قوله فاكتبوه ولو قال فاكتبوا الدين لم يكن فيه من الحسن ما في قوله اذا تداينتم بدين والدين عبارة عن كل معاملة كان أحد العوضين فيها نقدا والاخر في الذمة نسبة فان العبد عند العرب ما كان حاضر او الدين ما كان غائبا وقد بين الله سبحانه هذا المعنى بقوله (الى أجل مسمى) يعنى الى مدة معلومة الاول والاخر مثل السنة والشهر والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل وقد استدل به على ان الاجل المجهول لا يجوز وخصوصا أجل السلم وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أسلف في عمر فليسلف في كيل معلوم الى أجل معلوم وقد قال بذلك الجمهور واشترطوا وقته بالايام أو الاشهر أو السنين قالوا ولا يجوز الى الحصاد أو الديار أو رجوع القافلة أو نحو ذلك وجوزه مالك قال ابن عباس لما حرم الربا أباح السلم (فاكتبوه) أى الدين باجلا يبعأ كان ذلك أو سلماً أو قرضاً لانه أرفع للنزاع وأقطع للخلاف قال ابن عباس نزلت يعنى هذه الآية في السلم في كيل معلوم الى أجل معلوم وأخرج البخاري وغيره عنه قال أشهد ان السلف المضخون الى أجل مسمى ان الله قد أحله وقرأ هذه الآية (ولو كتب بينكم كاتب) هو بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وظاهر الامر الوجوب وبه قال عطاء والشعبي وابن جريح والتيمي واختاره محمد بن جابر الطبري وأوجبوا على الكاتب ان يكتب اذا طلب منه ذلك ولم يوجد كاتب سواه

عمر اراى رحمه الله كيف حكى في تفسيره الكبير عن أبي مسلم الاصفهاني ان هذه الآية غير منسوخة وانما هي مفسرة بآية الموارث ومعناه كتب عليكم ما وصى الله به سن توريث الوالدين والاقرين من قوله يوصيكم الله في أولادكم قال وهو قول أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء قال ومنهم من قال انها منسوخة فيمن يثرب ثابتة فيمن لا يرث وهو مذهب ابن عباس والحسن ومسروق وطاوس والفخاكي ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد (قلت) وبه قال أيضا سعيد بن جبير والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل ابن حيان وليكن على قول هؤلاء لا يسمى هذا نسخا في اصطلاحنا المتأخر لان آية الموارث انما رفعت حكم بعض أفراد ما دل عليه

عموم آية الوصاية لأن الأقربين أعم من يرث ومن لا يرث فرفع حكمهم من يرث بجماعين له وبقي الآخر على ما دللت عليه الآية الأولى وهذا انما يتأتى على قول بعضهم أن الوصاية في ابتداء الإسلام إنما كانت مذباحة نسخت فأما من يقول أنها كانت واجبة وهو الظاهر من سياق الآية فيستعين أن تكون منسوخة بآية الميراث كما قاله أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء فإن وجوب الوصية للأقربين والأقربين منسوخ بالإجماع بل منهي عنه الحديث المتقدم أن الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فآية الميراث حكم مستقل ووجوب (٣٦٨) من عند الله لاهل القروض والعصبات رفع بها حكم هذه الكمية بقي

الأقارب الذين لا ميراث لهم يستحب له أن يوصى لهم من الثلث استئناسا بآية الوصية وشمولها ولما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده قال ابن عمر ما مرت على ليلته منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي والآيات والاحاديث بالامر ببر الأقارب والاحسان اليهم كثيرة جدا وقال عبيد بن حميد في مسنده اخبرنا عبد الله عن مبارك بن حسان عن نافع قال قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا ابن آدم نتان لم يكن لك واحدة منهم ما جعلت لك نصيبا في مالك حين أخذت بكظمك لا تظهرك به وأزكك وصلاة عبادي عليك بعد انقضاء اجلك وقوله ان ترك خيرا اى ما لا قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وابو العالية وعطية العوفي والضحاك والسدي والزبيعي بن انس ومقاتل بن حيان

وقيل الامر للتدب والاستحباب وبه قال الجمهور (بالعدل) صفه لكاتب أى كاتب كائن بالعدل أى يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص ولا يميل الى أحد الجانبين وهو أمر للمتدائنين باختيار كاتب متصف بهذه الصفة لا يكون في قلبه وقلمه هوادة لاحد منهما على الآخر بل يتحرى الحق بينهم والمعدلة فيهم (ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله) التكررة في سياق النفي مشيرة بالعموم أى لا يتنوع أحد من الكتاب من ان يكتب كتاب التدوين على الطريقة التي علمه الله من الكتابة أو كما علمه الله بقوله بالعدل (فليكتب) بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أو أجل ولا تأخير بل يكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ويكون كل واحد منهما آمنا من ابطال حقه وان يحتزم من اللفاظ التي يقع النزاع فيها (ولاملل) الاملال والاملاء لغتان الاولى لغة أهل الحجاز وبني أسد والثانية لغة بني تميم فهذه الآية جاءت على اللغة الاولى وجاء على اللغة الثانية قوله تعالى فيى على عليه بكرة وأصيلوا الادغام في مثل ذلك جائز لا واجب (الذى عليه الحق) هو من عليه الدين أمره الله تعالى بالاملاء لان الشهادة انما تكون على اقراره بشيئ الدين في ذمته (وليتق الله) الذى عليه الحق (ربه) أمره بالتقوى فيما عليه على الكاتب فلا يجحد جميع الحق والبعض كما ساقى وبالغ في ذلك بالجمع بين الاسم والوصف (ولا يجنس منه شيئا) نهاه عن الجنس وهو النقص وقيل انه نهى للكاتب والاول أولى لان من عليه الحق هو الذى يتوقع منه النقص ولو كان نهى للكاتب لم يقتصر في نهيه على النقص لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص (فان كان الذى عليه الحق) اظهار في مقام الاضرار لزيادة الكشف والبيان لان الامر والنهي لغيره (سفيها) السفيه هو الذى لا رأى له في حسن التصرف فلا يحسن الاخذ ولا الاعطاء شبه الثوب السفيه وهو انخفيف التسج والعرب تطلق السفيه على ضعف العقل تارة وعلى ضعف البدن أخرى وبالجملة فالسفيه هو المبذر اما جله بالتصرف أو لتلاعبه بالمال عبثا مع كونه لا يجمل الاصواب وقيل الطفل الصغير أى جاهلا بالاملاء (أو ضعيفا) وهو الشيخ الكبير والصبي قال أهل اللغة الضعف بضم الصاد في البدن وبفتحها في الرأى لعنه أو جنون (أو لا يستطيع ان يتل حو) يعنى لخرم أو عجمه في كلامه أو جبس أو غيبة لا يشككه الحضور عند الكاتب أو يجهل بحاله وعليه أو لا يقدر على التعبير كما ينبغي فهو لا يكلمهم لا يصح اقرارهم فلا بد ان

وقتادة وغيرهم ثم منهم من قال الوصية مشروعة سواء قل المال أو كثر كالورثة ومنهم من قال انما يوصى يقوم اذا ترك ما لا جليل لا ثم اختلفوا في مقداره فقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ اخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه قال قيل لعلى رضى الله عنه ان رجلا من قريش قدمات وترك ثلثمائة دينار وأربع مائة لم يوص قال ليس بشئ انما قال الله ان ترك خيرا وقال ايضا حدثنا هرون بن اسحق الهمداني حدثنا عبدة يعنى ابن سليمان عن هشام بن عروة عن ابيه ان عليا دخل على رجل من قومه يعوده فقال له أوص فقال له على انما قال الله ان ترك خيرا الوصية انما تركت شيئا يسيرا فتركته ولو ادركته

وقال الحاكم ان ابان حدثني عن عكرمة عن ابن عباس ان ترك خير قال ابن عباس من لم يترك ستين دينار لم يترك خيرا قال الحاكم قال طاوس لم يترك خيرا من لم يترك ثمانين دينار او قال قتادة كان يقال انفا فاقوها وقوله بالمعروف أي بالرفق والاحسان كما قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا ابراهيم بن عبد الله بن بشار حدثني سرور بن المغيرة عن عباد بن منصور عن الحسن قوله كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت فقل نعم الوصية حق على كل مسلم أن يوصي اذا حضره الموت بالمعروف غير المنكر والمراد بالمعروف أن يوصي لأقربيه وصية لا تجحف بورثته من غير اسراف ولا تقبركا ثبت (٣٦٩) في الصحيحين ان سعدا قال يا رسول الله ان لي

مالا ولا يرثني الا ابنتي افاوصي بثلاثي مالي قال لا قال فبالشطر قال لا قال فالثلاث قال الثلاث والثلاث كثير انك ان تذر ورثتك أغنيا خير من ان تدعهم عالة يتكفون الناس وفي صحيح البخاري ان ابن عباس قال لو ان الناس غضوا من الثلث الى الربع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الثلث والثلاث كثير وروى الامام أحمد عن أبي سعيد مولى بني هاشم عن زياد بن عتبة بن حنظلة سمعت حنظلة بن جذيم بن حنيفة ان جده حنيفة أوصى ليعيم في حجره بمائة من الابل ففسق ذلك على بنيه فارتفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حنيفة اني أوصيت ليعيم بمائة من الابل كأنسماها المطية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا لالا الصدقة خمس والا فعشر والا خمس عشرة والا فعشرون والا خمس وعشرون والا فتلاثون والا خمس وثلاثون فان أكثر فاربعون وذكر الحديث بطوله وقوله فن بدله بعد ما سمعه فاتمأتمه على الذين يبدلونه

يقوم غيرهم مقامهم وقيل ان الضعيف هو المدخول العقل الناقص الفطنة العاجز عن الاملاء والذي لا يستطيع هو الصغير (فليقل وليه) الضمير عائذ الى الذي عليه الحق فيل عن السفه وليه المنصوب عنه بعد جرده عن التصرف في ماله ويعل عن الصبي وصيه أو وليه وكذلك يعل عن العاجز الذي لا يستطيع الاملال اضعفه وليه لانه في حكم الصبي أو المنصوب عنه من الامام أو القاضي ويعل عن الذي لا يستطيع وكيله اذا كان صحيح العقل وعرضت له آفة في لسانه أو لم تعرض ولكنه جاهل لا يقدر على التعبير كما ينبغي وقال الطبري ان الضمير في قوله وليه يعود الى الحق وهو ضعيف جدا قال القرطبي في تفسيره وتصرف السفه المحجور عليه دون وليه فاسد اجماعا ففسوخ أبدا لا يوجب حكما ولا يؤثر شيئا فان تصرف سفه ولا يجز عليه فقيه خلاف انتهى (بالعدل) أي الصدق من غير زيادة ولا نقص (واستشهدوا شهيدين) الاستشهاد طلب الشهادة وما عاها شهيدين قبل الشهادة من مجاز الا ول أي باعتبار ما يؤل اليه أمرهما من الشهادة (من رجالكم) أي كاشين من المسلمين فيخرج الكفار ولا وجه لخروج العبيد عن هذه الآية فهم اذا كانوا مسايين من رجال المسلمين وبه قال شريح وعثمان البتي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبو ثور وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي وجهه والعلماء لا يجوز شهادة العبد لما يلحقه من نقص الرق وقال الشعبي والنخعي تصح في الشيء اليسير دون الكثير واستدل الجمهور على عدم جواز شهادة العبد بأن الخطاب في هذه الآية مع الذين يتعاملون بالمداينة والعبد لا يملكون شيئا تجرى فيه المعاملة ويحجب عن هذا بأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وأيضا العبد تصح منه المداينة وسائر المعاملات اذا أذن له مالكة بذلك وقد اختلف الناس هل الاشهاد واجب أو مندوب فقال أبو موسى الاشعري وابن عمر والضحاك وعطاء وسعيد بن المسيب وجابر بن زيد ومجاهد وداود بن علي الظاهري وابنه انه واجب ورجحه ابن جرير الطبري وذهب الشعبي ومالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه انه مندوب وهذا الخلاف بين هؤلاء وفي وجوب الاشهاد على البيع واستدل الموحيون بقوله تعالى وأشهدوا اذا تباعتم ولا فرق بين هذا الامر وبين قوله واستشهدوا فيلزم القائلين بوجوب الاشهاد في البيع ان يقولوا بوجوبه في المداينة (فان لم يكونا رجلين) أي الشاهدان أي بحسب القصد والارادة أي فان لم يقصد اشهادهما

(٤٧ - فتح البيان ل) ان الله سمع علم يقول تعالى فن بدل الوصية وحرفها فغير حكمها وزاد فيها ونقص ويدخل في ذلك الكتابان لها بنزريق الاولى فاتمأتمه على الذين يبدلونه قال ابن عباس وغير واحد وقد وقع أجر الميت على الله وتعلق الائم بالذين بدلوا ذلك ان الله سمع علم أي قد اطلع على ما أوصى به الميت وهو علم بذلك وبعبارة الموصي اليهم وقوله تعالى فن خاف من موص جنفا وأتمأ قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس والسدي الخلف الخطأ وهذا يشمل أنواع الخطأ كلها بأن زادوا ارثا أو وسيله كما اذا أوصى ببيعة الشيء القلاني لمحابلة أو أوصى لابن ابنته ليزيدها ونحو ذلك من الهلأله ١٤١

غير عامل بل بطبعه وقوة شفقته من غير تضر أو متعمدا انما في ذلك فالوصي والحالة هذه ان يصلح القضية ويعدل فالوصية على الوجه الشرعي ويعدل عن الذي اوصى به الميت الى ما هو اقرب الاشياء اليه واشبه الامور به جمعاً بين مقصود الموصي والطريق الشرعي وهذا الاصلاح والتوفيق ليس من التبديل في شيء ولهذا عطف هذا فينه على النهي عن ذلك ليعلم ان هذا ليس من ذلك بسبيل والله اعلم وقد قال ابن ابي حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قراءة اخبرني ابي عن الاوزاعي قال الزهري حدثني عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣٧٠) انه قال يرد من صدقة الجانف في حياته ما يرد من وصية الجانف عند موته وهكذا رواه

أبو بكر بن مردويه من حديث العباس بن الوليد بن مزيد حاتم وقد أخطأه الوليد بن يزيد وهذا الكلام انما هو عن عروة فقط وقد رواه الوليد بن مسلم عن الاوزاعي فلم يجاوز به عروة وقال ابن مردويه أيضاً حدثنا محمد بن أحمد ابن ابراهيم حدثنا ابراهيم بن يوسف حدثنا هشام بن عمار حدثنا عمر ابن المغيرة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجانف في الوصية من البكائر وهذا في رفعه أيضاً نظر وأحسن ما ورد في هذا الباب ما قاله عبد الرزاق حدثنا معمر عن أشعث بن عبيد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فاذا أوصى حافى في وصيته فيختم له بشعره فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعذب في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة قال ابو هريرة اقرؤا ان شئتم تلك حدود الله فلا تعتدوها الآية (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم

ولو كانا موجودين (فرجل وامرأتان) أي فليشهد رجل وامرأتان أو فرجل وامرأتان يكفون كائناً (من ترضون) دينهم وعدا التهم حال كونهم (من الشهداء) وفيه ان المرأتين في الشهادة برجل وانما لا يجوز شهادة النساء الا مع الرجل لا وحدهن الا فيما لا يطلع عليه غيرهن للضرورة واختلفوا هل يجوز الحكم بشهادة امرأتين مع عين المدعي كما جاز الحكم برجل مع عين المدعي فذهب مالك والشافعي الى انه يجوز ذلك لان الله سبحانه قد جعل المرأتين كالرجل في هذه الآية وذهب أبو حنيفة وأصحابه الى انه لا يجوز ذلك وهذا يرجع الى الخلاف في الحكم بشهادة مع عين المدعي والحق انه جائز لورود الدليل عليه وهو زيادة لم يخالف ما في الكتاب العزيز في تعيين قبولها وقد أوضحنا ذلك في شرح بلوغ المرام وأوضحه الشوكاني في شرحه للمتن وغيره من مؤلفاته ومعلوم عند كل من يفهم انه ليس في هذه الآية ما يرد به قضاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشاهد واليمين ولم يدفعوا هذا الابقاع عديمة على حرف هار هي قولهم ان الزيادة على النص نسخ وهذه دعوى باطلة بل الزيادة على النص شريعة ثابتة جاء بها من جاء بالنص المتقدم عليها وقد أوضحت ذلك في كتابي حصول المأمول من علم الاصول فليرجع اليه وأيضا كان يلزمهم أن لا يحكموا بسكول المطلوب ولا يمتنع الرد على الطالب وقد حكموا بهما والجواب الجواب (أن تضل احداهما) قال أبو عبيد معني تضل تنسى أي لضعف عقولهن وضبطهن والضلal عن الشهادة انما هو نسيان جزء منها أو ذكر جزء (فقد كرا احداهما) أي اذا كره (الآخرى) أي الناسة قرئ فقد كرا بالتخفيف ومعناها تركها هذا كرا وقرأة الجماعة بالتشديد أي تنبها اذا غفلت ونسيت وهذه الآية لتعمل لاعتبار العدد في النساء أي فليشهد رجل ولتشهد امرأتان عوضا عن الرجل الآخر لاجل تذكير احداهما الاخرى اذا ضلت وعلى هذا فيكون في الكلام حذف وهو سؤال سائل عن وجه اعتبار امرأتين عوضا عن الرجل الواحد فقيل وجهه ان تضل احداهما فقد كرا احداهما الاخرى والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سبباً لنزول منزلة وأبهم الفاعل في تضل وتذكر لان كلامهم ما يجوز عليه الوضوف فالعنى ان ضلت هذه ذكرتها هذه وان ضلت هذه ذكرتها هذه لا على التعيين أي ان ضلت احدي الامرأتين ذكرتها الاخرى وانما اعتبر فيهما هذا التذكير لما يلحقهما من ضعف النساء بخلاف الرجال وقد يكون الوجه

في الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون انما معدودات فمن كان منكم مرضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون يقول تعالى مخاطباً للمؤمنين من هذه الامة وآسر اللهم بالصيام وجو الامسالك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الاخلاط الرديئة والاخلاق الرذيلة وذكرانه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم فلهم فيه اسوة وليجتهدوا في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله

لجعلكم أمة واحدة ولكن ليسوا كما فيكم اتاكم فاستبقوا الخيرات الآية ولهذا قال ههنا يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمالك الشيطان ولهذا أثبت في الصحيحين يامعشر الشهاب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ثم بين مقدار الصوم وأنه ليس في كل يوم ثلاثا يشق على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه بل في أيام معدودات وقد كان هذا في ابتداء الاسلام يصومون من كل شهر ثلاثة أيام ثم نسخ ذلك بصوم شهر رمضان كما سيأتي بيانه وقد روى ان الصيام أولا (٢٧١) كما كان عليه الامم قبلنا من كل شهر

ثلاثة أيام عن معاذ وابن مسعود وابن عباس وعطاء وقتادة والفتح ابن حزم احمد وزاد لم يزل هذا مشروعا من زمان نوح الى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان وقال عباد بن منصور عن الحسن البصري يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فقال نعم والله لقد كتب الصيام على كل أمة قد دخلت كما كتبه علينا شهرا كاملا وأياما معدودات عدد ما علموا وروى عن السدي نحوه وروى ابن أبي حاتم من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني عبد الله ابن الوليد عن أبي الربيع رجل من أهل المدينة عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صيام رمضان كتبه الله على الامم قبلكم في حديث طويل اختصر منه ذلك وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن حدثه عن ابن عمر قال أنزلت كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم كتب عليهم اذا صلى

في الاجتهام ان ذلك يعني الضلال والتذكير يقع بينهما متناوبا حتى ربما ضلت هذه عن وجه وضلت تلك عن وجه آخر فذكرت كل واحدة منهما صاحبها وقال سفيان بن عيينة معنى قوله فتذ كرا حدهما الاخرى تصير هاذ كرا يعني ان مجموع شهادة المرأتين مثل شهادة الرجل الواحد وروى نحوه عن أبي عمرو بن العلاء ولا شأن ان هذا باطل لا يدل عليه شرع ولا لغة ولا عقل (ولا ياب الشهادة اذا ما دعوا) أي لا أداء الشهادة التي قد تحمها لهما من قبل وقيل اذا ما دعوا التحمل الشهادة وتسميتهم شهداء مجاز كما تقدم وحملها الحسن على المعنيين وظاهر هذا النهي ان الامتناع من أداء الشهادة حرام (ولا تأسأوا) أي لاتأولوا ولا تضجروا والخاطب للمؤمنين أو لامة تعاد لمن أو للشهود (أن تكتسبوه) أي الدين الذي تدينتم به وقيل الحق وقيل الشاهد وقيل الكتاب فهاهم الله سبحانه عن ذلك لانهم ربما ملوا من كثرة المداينة ان يكتبوا ثم بالغ في ذلك فقال (صغيرا أو كبيرا) أي لاتأولوا في حال من الاحوال سواء كان الدين كثيرا أو قليلا وعلى أي حال كان الكتاب مختصرا أو مشبعا وقدم الصغير هنا على الكبير للاهتمام به لدفع ما عساه ان يقال ان هذا مال صغير أي قليل لا احتياج الى كتبه (الى أجله) أي الى محل الدين أو الحق (ذلكم) أي المكتوب المذكور في ضمير قوله ان تكتسبوه (أقسط عند الله) أي أعدل واحفظ وأصح من القسط بالكسر والقسط الجور والعدول عن الحق (وأقوم للشهادة) أي أعون على اقامة الشهادة وأثبت لها وهو مبنى من أقام وكذلك أقسط مبنى من فعله أي أقسط وقد صرح سيبويه بأنه قسما أي بناء أفعال التفضيل (وأدنى أن لاترتابوا) أي أقرب لنفي الريب في معاملاتكم أي الشك وذلك ان الكتاب الذي يكتبونه يدفع ما يعرض لهم من الريب كأننا ما كان (الأن تكون تجارة) أي تقع أو توجد تجارة على ان كان نامة والتجارة تقلب الاموال وتصر فيها الطلب النماء والزيادة بالارباح والاستثناء ينقطع أي لكن وقت تباعكم وتجارتكم فإنه يجوز عدم الاستشهاد والكتب فيها وقال أبو البقاء انه متصل والاول أولى وقرئ بالنصب على الناقصة أي تكون التجارة تجارة (حاضرة) بحضور البدلين وهي تم المبايعة بعين أو دهر (تديرونها بينكم) أي تتعاطونها ايديا بيد فلادارة التعاطى والتفاضل المراد التبايع التاجر يدا بيد (فليس عليكم جناح ان لاتكتبوها) أي فلا حرج عليكم ان تركتم كتابتها وانما رخص الله في ترك الكتابة في هذا النوع من

أحدهم العتة وتوابع حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى مثلها قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس وأبي العالية وعبد الرحمن ابن أبي ابي ومجاهد وسعيد بن جبيرة ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس وعطاء الخراساني نحوه ذلك وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس كما كتب على الذين من قبلكم يعني بذلك أهل الكتاب وروى عن الشعبي والسدي وعطاء الخراساني مثله ثم بين حكم الصيام على ما كان عليه الامر في ابتداء الاسلام فقال فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر أي المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر لما في ذلك من المشقة عليهم ما بل يفطران ويقضيان بعدة ذلك من أيام أخر وأما الصحيح المقيم الذي يطيق

الصيام فقد كان خير بين الصيام وبين الاطعام ان شاء صام وان شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكيناً فان أطعم أكثر من مسكين
عن كل يوم فهو خير وان صام فيه وأفضل من الاطعام قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وطاوس ومقاتل بن حيان وغيرهم من
السلف ولهذا قال تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون
وقال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا المسعودي حدثنا عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه
قال أحلت الصلاة ثلاثة أحوال وأحيل الصيام (٣٧٢) ثلاثة أحوال فأما أحوال الصلاة فان النبي صلى الله عليه وسلم قدم

التجارة لكثرة جريته بين الناس فلو كانوا الكفاية فيه اشق عليهم ولانه اذا أخذ كل واحد
حقه في الخمس لم يكن هنالك خوف الجحود فلا حاجة الى الكتابة (وأشهدوا اذا تباعدتم)
قليل معناه هذا السابغ المذكور هنا وهو التجارة الحاضرة على ان الاشهاد فيها يكتفى وقيل
معناه أى تباعدت عن البيع كان حاضراً أو كاللذان ذلك ادفع لمادة الخلاف وأقطع لمنشا الشجار وهذا
وما قبله أمر نذير وقد تقدم قريباً ذكر الخلاف في كون هذا الاشهاد واجباً أو مندوباً
(ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل أن يكون مبنياً للفاعل أو للمفعول فعلى الاول معناه
لا يضار كاتب ولا شهيد من طلب ذلك منهما اما بعدم الاجابة أو بالتحريف والتبديل
والزيادة والنقصان في كتابته ويدل على هذا قراءة عمرو بن عباس وغيرهما لا يضار بكسر
الراء الاولى وعلى الثانى لا يضار كاتب ولا شهيد بأن دعياً الى ذلك وهما مشغولان بجهته
لها وما يضيّق عليهم ما فى الاجابة ويؤنيان حصل منهما التراخي أو يطلب منهما الحضور
من مكان بعيد ويدل على ذلك قراءة ابن مسعود لا يضار بفتح الراء الاولى وصيغة المتأعلة
تدل على اعتبار الامر من جميعا وقد تقدم في تفسير قوله تعالى لا تضار والدّة تولداهما اذا
راجعت زاده بصيرة ان شاء الله تعالى (وان تفعلوا) أى ما نهىتم عنه من المضارة (فانه)
أى فعلكم هذا (فسوق بكم) خروج عن الطاعة الى المعصية ملتبس بكم (واتقوا الله)
في فعل ما أمركم به وترك ما نهىكم عنه (ويعلمكم الله) ما تحتاجون اليه من العلم حال
مقدرة أو مستأنف وفيه الوعد لمن اتقاه ان يعلمه ومنه قوله تعالى ان تقوا الله يجعل لكم
فرقانا (والله بكل شىء عليم) هذا آخر آية الدين وقد حث الله سبحانه فيها على الاحتياط
في أمر الاموال لكونها سبباً لمصالح المعاش والمعاد قال القفال ويدل على ذلك ان ألفاظ
القرآن جارية في الاكثر على الاختصار وفي هذه الآية بسط شديد ألا ترى انه قال اذا
تدائمتين الى أجل مسمى فاكتبوه ثم قال ثانياً وليكتب بينكم كاتب بالعدل ثم قال
ثالثاً ولا ياب كاتب أن يكتب كما علمه الله فإِنْ كان هذا كالتكرار لقوله وليكتب بينكم كاتب
بالعدل لان العدل هو ما علمه الله ثم قال رابعاً وليكتب وهذا إعادة للأمر الاول ثم قال
خامساً وليعلم الذى لديه الحق لان الكاتب العدل انما يكتب ما على عليه ثم قال سادساً
وليتق الله ربه وهذا تأكيد ثم قال سابعاً ولا يجنس منه شيئاً وهذا كالتفادى من قوله وليتق
الله ربه ثم قال ثامناً ولا تساموا ان تكسوه صغيراً أو كبيراً الى أجله وهو أيضاً تأكيد

المدينة وهو يصلى سبعة عشر
شهر الى بيت المقدس ثم ان الله
عز وجل أنزل عليه قد نرى تقلب
وجهك في السماء فلنولينك قبلة
ترضاها الآية فوجهه الله الى مكة
هذا حول قال وكانوا
يجتمعون للصلاة ويؤذن بها
بعضهم بعضاً حتى تقسوا أو كادوا
ينفكون ثم ان رجلاً من الانصار
يسأل له عبد الله بن زيد بن عبد ربه
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله انى رأيت فيما
برى النائم ولو قلت انى لم أكن نائماً
لصدقت انى بينا أنا بين النائم
واليقظان اذ رأيت شخصاً عليه
ثوبان أخضران فاستقبل القبلة
فقال الله أكبر الله أكبر ثم هذان
لا اله الا الله مثنى حتى فرغ من
الاذان ثم أمهل ساعة ثم قال مثل
الذى قال غير انه يزيد في ذلك قد
دامت الصلاة مرتين قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليها بلالا
فليؤذن بها فكان بلال أول من
أذن بها قال وجاء عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فقال يا رسول الله
قد طاف بى مثل الذى طاف به غير

انه سبى فلهذا قال وكانوا يؤنون الصلاة وقد سبقهم النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها فكان الرجل يشير الى
الرجل اذن كم صلى فيقول واحدة واثنين فيصلحها ثم يدخل مع القوم في صلاتهم قال جاء معاذ فقال لأجده على مال أبداً الا كنت
عليها ثم قضيت ما سبقنى قال جاء وقد سبقته النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قام فقضى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قدس لكم معاذ فكمذا فاصنعوا فلهذا ثلاثة أحوال وأما أحوال الصيام فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وصيام عاشوراء ثم ان الله فرض عليه الصيام وأنزل

الله تعالى بأيم الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم إلى قوله وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فأجر ذلك عند الله عز وجل أنزل الآية الأخرى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن إلى قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر وثبت الاطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام فهذان حالان قالوا كانوا يأكلون ويشربون ويأثرون النساء عالم يناموا فإذا ناموا استعوا ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له صرمة كان يعمل صاعاً حتى أمسى فجاء إلى أهله (٣٧٣) فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح صاعاً فراه رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقد جهدت جهداً شديداً فقال ما لي أراك قد جهدت جهداً شديداً قال يا رسول الله اني علمت أمس جئت حين جئت فألقيت نفسي فميت فأصبحت حين أصبحت صاعاً قال وكان عرقاً أصاب من النساء بعد ما نام فأني النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل الله عز وجل أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم إلى قوله ثم أتوا الصيام إلى الليل وأخرجهم أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه من حديث المسعودي به وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت كان عاشوراء يصام فلما نزل فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر وروى البخاري عن ابن عمر وابن مسعود مثله وقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كما قال معاذ رضي الله عنه كان في ابتداء الأمر من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكيناً وهكذا روى

لما مضى ثم قال ناسعاً ذلككم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى إن لا ترتابوا فذكر هذه الفوائد التالية لتلك التأكيدات السالفة وكل ذلك يدل على المبالغة في التوصية بحفظ المال الحلال وصونه عن التهلكة لئلا يتمكن الإنسان بواسطته من الاتفاق في سبيل الله والاعراض عن مسأخطة من الرأى وغيره والمواظبة على ذكر الله وتقواه ذكره الخطيب (وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة) لماذا كرسجانه مشروعية الكتابة والاشهاد لحفظ الاموال ودفع الريب عقب ذلك بذكر حالة العذر عن وجود الكاتب ونص على حالة السفر فانه من جملة أحوال العذر ويلحق بذلك كل عذر يقوم مقام السفر وجعل الرهان المقبوضة فائضة مقام الكتابة أي فان كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتباً في سفركم فرهان مقبوضة وعلى هنا معنى في وفيه إشارة ان على استعارة تبعية شبه تمكنهم من السفر بتمكن الراكب من كونه قال أهل العلم الرهن في السفر ثابت بنص التنزيل وفي الخبر يعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت في الصحيحين انه صلى الله عليه وآله وسلم رهن درعاً له من يهودي وأفاد قوله مقبوضة اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكله وقرأ الجمهور كتاباً أي رجلاً يكتب لكم وقرئ كتاباً قال ابن الأنباري فسر ابن مجاهد فقال معناه فان لم تجدوا ممداداً في الاسفار وقرئ فرهن بضم الراء والهاء جمع رهان وقرئ فرهن وقرأ الجمهور فرهان قال الزجاج يقال في الرهن رهنه وأرهنه وكذا قال ابن الأعرابي والاختفش وقال أبو علي الفارسي يقال أرهنه في المعاملات وأما في القرض والبيع فرهنه وقال ابن السكيت أرهنه فيهما بمعنى أسلفت والمرتهن الذي يأخذ الرهن والشئ مرهون ورهين ورأهنت فلانا على كذا مرأهنة خاطرته وقد ذهب الجمهور إلى أنه يصح الارتهان بالإيجاب والقبول من دون قبض (قال أس بعضكم بعضاً) أي الدائن المدينون على حقه فلم يرتبه به بمعنى ان كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق لحسن ظنه به وأمانته واستغنى بأمانته عن الارتهان (فليؤد الذي أئتمن) وهو المدينون (أمانته) أي الدين الذي عليه والامانة مصدر سمي به الذي في الذمة وأضافها إلى الذي عليه الدين من حيث ان لها اليه نسبة (وليتق الله ربه) في أن لا يكتم من الحق شيئاً وفي أداء الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما أحسن ظنه فيه وفيه مبالغت من حيث الاتيان بصيغة

البخاري عن سلمة بن الأكوع انه قال لما نزلت وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد أن يفطر يفطري حتى نزلت الآية التي بعدها فأنسختها وروى أيضاً من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال هي منسوخة وقال السدي عن مرة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين قال يقول وعلى الذين يطيقونه أي يتجشمونه قال عبد الله فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكيناً فمن تطوع يقول أطعم مسكيناً آخر فهو خير له وان تصوموا واخلعوا لكم فكانوا كذلك حتى نسختم ان شهد منكم الشهر فليصمه وقال البخاري أيضاً أخبرنا أسحق حدثنا روح حدثنا زكريا بن أسحق

حدثنا عمرو بن دينار عن عطاء بن سبيع عن ابن عباس يقرأ وعلى الدين بطمقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست منسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فطعمهما من مكان كل يوم مسكينا وهكذا روى غير واحد عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس نحوه وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية وعلى الذين يطمقونه فدية طعام مسكين في الشيخ الكبير الذي لا يطبق الصوم ثم ضعف فرفض له أن يطعم مكان كل يوم مسكينا وقال الحافظ أبو بكر بن (٣٧٤) مردويه حدثنا محمد بن أحمد حدثنا الحسين بن محمد بن بهرام الخزومي

حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد بن عبد الله عن ابن أبي ليلى قال دخلت على عطاء في رمضان وهو يأكل فقال قال ابن عباس نزلت هذه الآية فنسخت الأولى الشيخ الكبير الغاني أن شاء أطعم عن كل يوم مسكينا وأفطر فاحصل الأمر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه لقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وأما الشيخ الغاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله أن يفطر ولا قضاء عليه لأنه ليست له حال يصير إليها تمكن فيها من القضاء ولكن على من يجب عليه إذا أفطر أن يطعم عن كل يوم مسكينا إذا كان ذا جدة فيه قولان للعلماء أحدهما لا يجب عليه إطعام لأنه ضعيف عنه لسنه فلم يجب عليه فدية كالصبي لأن الله لا يكلف نفسا أوسعها وهو أحد قولي الشافعي والثاني وهو الصحيح وعليه أكثروا العلماء أنه يجب عليه فدية عن كل يوم كما فسروا ابن عباس وغيره من السلف على قراءة من قرأ وعلى الذين يطمقونه أي يتجشئون كما قال ابن

الأمر الظاهرة في الوجوب والجمع بين ذكر الله والرب وذكره عقب الأمر بأداء الدين وفيه من التحذير والتخويف ما لا ينبغي (ولا تكةوا والشهادة) نهى للشهود أن يكتفوا بما سمعوه من الشهادة إذا دعوا لإقامتها وهو في حكم التفسير لقوله ولا يضار كاتب أي لا يضارر بكسر الراء الأولى على أحد التفسيرين المتقدمين (ومن يكتفها) يعني الشهادة (فانه آثم) أي فاجر (قلبه) خص القلب بالذكر لأن الكتم من أفعاله ولكونه رئيس الأعضاء وهو المضغة التي انصلحت صلح الجسد كله وانفسدت فسد كله واستاد الفعل إلى الخارجة التي تعمله أباغ وهو صريح في مؤاخذه الشخص بأعمال القلب وارتقاع القلب على أنه فاعل أو مبتدأ أو أنه خبره على ما تقر في علم النحو ويجوز أن يكون قلبه بدلا من آثم ثم بدل البعض من الكل ويجوز أيضا أن يكون بدلا من الضمير الذي في آثم الرجوع إلى من قرئ قلبه بالنصب كما في قوله الأمن سفة نفسه (والله بما تعملون عليم) فيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها ويقال له هذه الآية آية الدين وأخرج البخاري في تاريخه وأبو داود وغيرهما عن أبي سعيد الخدري أنه قرأ هذه الآية وقال هذه نسخت ما قبلها (وأقول) رضي الله عن هذا الصحابي الجليل ليس هذا من باب النسخ فهذا مقيد بالاثمان وما قبله ثابت محكم لم ينسخ وهو مع عدم الاثمان وعن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين وعن ابن شهاب قال آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا وآية الدين (لله ما في السموات وما في الأرض) ملكا وأهلها له عبيد وهو مالكهم واستدل بسعة ملكه على سعة علمه (وان تدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) ظاهره أن الله يحاسب العباد على ما أضمروا من أنفسهم وأظهروه من الأمور التي يحاسب عليها (فيغفر لمن يشاء) منهم ما يغفره منها (ويعذب من يشاء) منهم بما أسروا وأظهر منها هذا معنى الآية على مقتضى اللغة العربية وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية على أقوال الأول أنها وإن كانت عامة فهي مخصوصة بكتمان الشهادة وإن الكاتم للشهادة يحاسب على كتمه سواء أظهر للناس أنه كاتم للشهادة أو لم يظهر وقد روى هذا عن ابن عباس وعكرمة والشعبي وجهاد وهو مردود على الآية من عموم اللفظ ولا يصلح ما تقدم قبل هذه الآية من النهي عن كتم الشهادة أن تكون مختصة به والقول الثاني أن ما في الآية مختص بما يطرأ على النفوس من الأمور التي هي بين الشك واليقين قاله مجاهد وهو أيضا

مختص

مسعود وغيره وهو اختيار البخاري فإنه قال وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام فقد أطمأنس

بعد ما كبر عما أو علم من عن كل يوم مسكينا خيرا ولما أفطر وهذا الذي عليه البخاري قد استند الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده فقال حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا عمران عن أيوب بن أبي تميمة قال ضعف انس عن الصوم فصنع جفنة من ثريد فدعا ثلاثين مسكينا فأطعمهم ورواه عبد بن حميد عن روح بن عباد عن عمران وهو ابن جرير عن أيوب به ورواه عبد أيضا من حديث ستة من أصحاب انس عن أنس بمعناه ونما يلحق بهذا المعنى الحامل والمرضع إذا طاقا على أنفسهم سماءا ولديهم ما فقيهما

خلاف كثير بين العلماء فمنهم من قال يفطران ويقديان ويقضيان وقيل يقديان فقط ولا قضاء وقيل يجب القضاء بلا فدية وقيل يفطران ولا فدية ولا قضاء وقد بسطنا هذه المسئلة مستقصاة في كتاب الصيام الذي أفرده الله له والحمد لله الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فنشهد منكم الشهر فليصمه ومن كان من بضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لانزال القرآن العظيم وكما (٣٧٥) اختصه بذلك وقد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الالهية تنزل فيه على الانبياء قال الامام احمد ابن حنبل رحمه الله حدثنا ابو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عمران ابو العوام عن قتادة عن ابي فليح عن واثله يعني ابن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انزلت

تخصيص بلا مخصص والقول الثالث انها محكمة عامة ولكن العذاب على ما في النفس يختص بالكفار والمنافقين حكاها الطبري عن قوم وهو أيضاً يختص بلا مخصص فان قوله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لا يختص ببعض معين الا بدليل والقول الرابع ان هذه الآية منسوخة قاله ابن مسعود وعائشة وابو هريرة والشعبي وعطاء ومحمد بن سيرين ومحمد بن كعب وموسى بن عبيدة وهو مروى عن ابن عباس وجعاعة من الصحابة والتابعين وهذا هو الحق لما ساقى من التصريح بنسخها ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله غفر لهذه الامة ما حدثت به أنفسها وأخرج البخاري والبيهقي عن مروان الاصغر عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحسبه ابن عمران تبدوا ما في أنفسكم الآية قال نسختم الآية التي بعدها وأخرج عبد بن جريد والترمذي عن علي بن فضال وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود في ناسخه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما في السموات وما في الأرض وان تبدوا ما في أنفسكم الآية استند ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنزلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم جثوا على الركب فقالوا يا رسول الله كلفنا من الاعمال ما يطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزل الله عليك هذه الآية ولا نطيعها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتريدون ان تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلهم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرنا لك ربنا واليك المصير فلما أقرأها القوم وذلت بها أنفسهم أنزل الله في أثرها آية الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون الآية فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل لا يكف الله نفساً الا وسعها الى آخرها وأخرج أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر والحاكم والبيهقي عن ابن عباس مرفوعاً نحوه وزاد فأنزل الله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمّل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا الآية قال قد فعلت وقد رويت هذه القصة عن ابن عباس من طرق وبجميع ما تقدم يظهر لك ضعف ما روى عن ابن عباس في هذه الآية انه قال نزلت في كتمان الشهادة فانها لو كانت كذلك لم يشهد الامر على الصحابة وعلى كل حال فبعد هذه الاحاديث المصروفة

الذي كانت الكتب الالهية تنزل فيه على الانبياء قال الامام احمد ابن حنبل رحمه الله حدثنا ابو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عمران ابو العوام عن قتادة عن ابي فليح عن واثله يعني ابن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين من رمضان والانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وانزل الله القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان وقد روى من حديث جابر بن عبد الله وفيه ان الزبور انزل لثنتي عشرة خلت من رمضان والانجيل لثمان عشرة والباقي كما تقدم رواه ابن مردويه واما الصحف والتوراة والزبور والانجيل فنزل كل منها على النبي الذي انزل عليه جله واحدة واما القرآن فأنزل جله واحدة الى بيت العزة من السماء الدنيا وكان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر منه كما قال تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وقال انا انزلناه في ليلة مباركة ثم نزل بعد مفروقاً بخسب

الوقائع على رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا روى من غير وجه عن ابن عباس كما قال اسرائيل عن السدي عن محمد بن ابي الجاهل عن مقسم عن ابن عباس انه سأل عتبة بن الاسود فقال وقع في قلبي الشك قول الله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وقوله انا انزلناه في ليلة مباركة وقوله انا انزلناه في ليلة القدر وقد انزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرم وصفه شهر ربيع فقال ابن عباس انه انزل في رمضان في ليلة القدر وفي ليلة مباركة جله واحدة ثم انزل على مواقع النجوم ترتيباً في الشهور والايام رواه ابن ابي حاتم وابن مردويه وهذا القظه وفي رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال انزل القرآن في النصف من شهر

رمضان الى سماء الدنيا جعل في بيت العزة ثم انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشر من سنة لجواب كلام الناس وفي رواية
عكرمة عن ابن عباس قال نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر الى هذه السماء الدنيا جلة واحدة وكان الله يحدث لبيته ما يشاء
ولا يبيء النسر كون بمثل يخاصمون به الا جاءهم الله بجوابه وذلك قوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جلة واحدة كذلك
لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئتاك بالحق وأحسن تقسيما وقوله هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان هذا مدح للقرآن الذي انزله الله هدى (٣٧٦) لقلوب العباد من آمن به وصدقوه واتبعوه وبينات اى ودلائل وبيِّن

بينة واضحة جليلة لمن فهمها وتدبرها
دالة على صحة ما جاء به من الهدى
المنافي للضلال والشك الخالف
للحق ومفرقا بين الحق والباطل
والحلال والحرام وقد روى عن
بعض السلف انه كره ان يقال الا
شهر رمضان ولا يقال رمضان قال
ابن ابي حاتم حدثنا ابي حنيفة محمد
ابن بكار بن الريان حدثنا ابو
معشر عن محمد بن كعب القرظي
وسعيد هو المقبري عن ابي هريرة
قال لا تقولوا رمضان فان رمضان
اسم من اسماء الله تعالى ولكن
قولوا شهر رمضان قال ابن ابي
حاتم وقد روى عن مجاهد ومحمد
ابن كعب فتخو ذلك ورخص فيه
ابن عباس وزيد بن ثابت (قلت)
ابو معشر هو نجيح بن عبد الرحمن
المدني امام المغازي والسير ولكن
فيه ضعف وقد رواه ابنه محمد عنه
بجعله مرفوعا عن ابي هريرة وقد
انكره عليه الحافظ بن عدى وهو
جدير بالانكار فانه متروك وقد
وهم في رفع هذا الحديث وقد
اتصل البخاري رحمه الله في كتابه
لهذا فقال باب يقال رمضان وساق

بالنسخ والناسخ لم يبق مجال الخلفها ومما يؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين والنسب الرابع
من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تجاوز زلي عن
أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به وأخرج ابن جرير عن عائشة قالت كل
عبد هم بسوء ومعصية وحدث نفسه به حاسبه الله في الدنيا يخاف ويحزن ويشتمهم
لا يناله من ذلك شيء كما هم بالسوء ولم يعمل بشيء والا حديث المتقدم المصريح بالنسخ
تدفعه عن ابن عباس قال ان الله يقول يوم القيامة ان كتابي لم يكتبوا من أعمالكم
الا ما ظهروا من أفعالهم ما أسررتهم في أنفسكم فأنا أأحاسبكم به اليوم فأعثر لمن شئت وأعذب
من شئت وهو مدفوع بما تقدم وقيل بحكمة لانه اذا جمل ما في النفس على خصوص
العزم لم يكن نسخ لانه مؤاخذ به وقد نظم بعضهم مراتب القصد بقوله

مراتب القصد خمس هاجس ذكره * وخطر حديث النفس فاستعما
بليته هم فعزم كلها رفعت * سوى الاخير فقيهه الاخذ قد وقعما

(والله على كل شيء قدير) فيغفر للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا قال ابن عباس
يغفر الذنب العظيم ويعذب على الذنب الصغير (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه
والمؤمنون) أي بجميع ما أنزل اليه قال الزجاج لما ذكر الله سبحانه في هذه السورة فرض
الصلاة والزكاة والصيام وبين أحكام الحج والجهاد وحكم الحيض والطلاق والايلاء
وأفاميص الانبياء وبين حكم الربا ذكر تعظيمه ثم ذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وآله
وسلم ثم ذكر تصديق جميع المؤمنين بجميع ذلك فقال آمن الرسول أي صدق الرسول
بجميع هذه الاشياء التي جرى ذكرها وكذلك المؤمنون (كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسوله) أفرد الضمير في آمن لان المراد ايمان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر
ذلك في قوله وكل أتوه آخرين وهذه أربع مراتب من أصول الدين وضرورياته وسبب
نزولها الآية التي قبلها وقد تقدم بيان ذلك وقوله وملائكته أي من حيث كونهم عباده
المكرمين المتوسطين بينه وبين أنبيائه في انزال كتبه وقوله وكتبه لأنهم المشقة على
الشرائع التي تعبد بها عباده وقوله ورسوله لأنهم المبلغون لعباده ما نزل اليهم وقرأ ابن
عباس وكتابه وقال الكتاب أكثر من الكتب وبينه صاحب الكشاف فقال لانه اذا أريد
بالواحد الجنس والجنسية فأعني في وحدان الجنس كلها ما يخرج منه شيء وأما الجمع فلا

أحاديث في ذلك منها من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وتخو ذلك وقوله فمن شهد
منكم الشهر فليصمه هذا الإيجاب حتم على من شهد استمالة الشهر اى كان مقيما في البلد حين دخل شهر رمضان وهو صحيح في بدنه
ان يصوم لا بحالة ونسخت هذه الآية الاباحة المتقدمة لمن كان صحيحا مقيما ان يفطر ويفدى باطعام مسكين عن كل يوم كما تقدم
بيانه ولما ختم الصيام اعاد ذكر الرخصة للمريض وللمسافر في الاطوار بشرط القضاء فقال ومن كان مريضا او على سفر فعذرة من
أيام اخر معناه ومن كان به مرض في بدنه يشق عليه الصيام معه او يؤذيه او كان على سفر اى في حال السفر فله ان يفطر فاذا افطر فعليه

عذة ما افطر في السفر من الايام ولهذا قال يزيد الله بكم اليسر ولا يزيد بكم العسر أى انما رخص لكم في الفطر في حال المرض وفي السفر مع تحتمه في حق المقيم الصحيح تيسرا عليكم ورجة بكم وههنا مسائل تتعلق بهذه الآية احداها انه قد ذهب طائفة من السلف الى أن من كان مقيما في أول الشهر ثم سافر في أثناءه فليس له الافطار بعذر السفر والحالة هذه لقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وانما يباح الافطار لسافر استهل الشهر وهو مسافر وهذا القول غريب نقله أبو محمد بن حزم في كتابه المحلى عن جماعة من الصحابة والتابعين وفيما حكاه عنهم نظروا لله أعلم فانه قد ثبتت السنة عن (٣٧٧) رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خرج في

شهر رمضان لغزوة الفتح فسار حتى بلغ الكد يد ثم أفطر وأمر الناس بالفطر أخرجه صاحبنا الصحيح الثانية ذهب آخرون من الصحابة والتابعين الى وجوب الافطار في السفر لقوله فعذة من أيام أخر والصحيح قول الجمهور ان الامر في ذلك على التخيير وليس بحتم لانهم كانوا يخرجون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان قال ففنا الصائم ومنا المفطر فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم فلو كان الافطار هو الواجب لا تكرر عليهم الصيام بل الذي ثبت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان في مثل هذه الحالة صائما لما ثبت في الصحيحين عن أبي الدرداء قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان في حر شديد حتى ان كان أحدا يلبضغ بده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله ابن رواحة الثالثة قالت طائفة منهم الشافعي الصيام في السفر أفضل من الافطار لقوله عمل النبي

فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجوع انتهى ومن أراد تحقيق المقام فليرجع الى شرح التلخيص المطول عند قول الماتن واستغراق المفرد أشمل (لا نفرق بين أحد من رسله) فتؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى لم يقل بين أحد لان الواحد يتناول الواحد والمتن والجمع والمذكور والمؤنث كما في قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين فوصفه بقوله حاجزين لكونه في معنى الجمع (وقالوا سمعنا وأطعنا) أى أدركناه باسماعنا وفهمناه وأطعنا ما فيه وقيل معنى سمعنا أجبنا دعوتك (غفرانك ربنا) أى اغفر غفرانك قاله الزجاج وغيره وقيل نسألك غفرانك وقدم السمع والطاعة على طلب المغفرة لكون الوسيلة تقدم على المتوسل اليه (واليك المصير) أى المرجع والمآب بالبعث (لا يكاف الله نفسا الا وسعها) أى ما تسعه قدرته افضلا منه ورجة وأما دون مدى طاقتها أى غاية طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها التكليف هو الامر بما فيه مشقة وكلفة والوسع الطاعة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه وهذه جملة مستقلة جاءت عقب قوله سبحانه ان تبدوا ما في أنفسكم الاية لكشف كربة المسلمين ودفع المشقة عليهم في التكليف بما في الانفس وهى كقوله سبحانه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر قال ابن عباس وأكثر المفسرين ان هذه الاية نسخت حديث النفس والوسوسة (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) فيه ترغيب وترهيب أى لها ثواب ما كسبت من الخير وعليها وزر ما اكتسبت من الشر وتقدير لها وعليها على الثقلين يفيد ان ذلك لها لا لغيرها وعليها الا على غيرها وهذا مبني على ان كسب الخير فقط واكتسب للشر فقط كما قاله صاحب الكشف وغيره وقيل كل واحد من الثقلين بصدق على الامرين وانما كرر الفعل وحالف بين التصريفين تحسينا للنظم كما وقع في قوله تعالى فحمل الكافرين أمهاتهم رويدا وقيل اللام للخير وعلى المضرة ولكن يقتض هذا بقوله تعالى ولهم اللعنة وعليهم صلوات اللهم الا أن يقال هما يقتضيان ذلك عند الاطلاق بلا ذكر الحسنه والسيئة أو انما يستعملان لذلك عند تقاربهما كما في هذه الاية (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا) أى لا تؤاخذنا بما يصدر منا من هذين الامرين وقد استشكل هذا الدعاء جماعة من المفسرين وغيرهم قائلين ان الخطأ والنسيان مغفوران غير مؤاخذ

(٤٨ - فتح البيان ل) صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقالت طائفة بل الافطار أفضل أخذ بالرخصة ولما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الصوم في السفر فقال من أفطر فحسن ومن صام فلاحناح عليه وقال في حديث أخر عليكم برخصة الله التي رخص لكم وقالت طائفة هما سواء الحديث عائشة ان حجة بن عمرو الاسلمى قال يا رسول الله انى كثير الصيام أفاصوم في السفر فقال ان شئت فصم وان شئت فافطر وهو في الصحيحين وقيل ان شق الصيام فالافطار أفضل لحديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قد نزل عليه فقال ما هذا قالوا صائم فقال ليس من البر الصيام في السفر أخرجه فاما ان رغب عن

السنة ورأى أن الفطر مكره اليه فهذا عين عليه الإفطار ويحرم عليه الصيام والحالة هذه لما جاء في مسند الامام أحمد وغيره
عن ابن عمر وجابر وغيرهما من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الاثم مثل جبال عرفة الرابعة القضاء هل يجب متابعاً ويجوز
فيه التفريق فيه قولان أحدهما أنه يجب المتابع لان القضاء يحكي الاداء والشأن لا يجب المتابع بل ان شاء فارق وان شاء تابع
وهذا قول جمهور السلف والخلف وعليه ثبت الدلائل لان المتابع انما وجب في الشهر لضرورة أدائه في الشهر فاما بعد انقضاء
رمضان فالمراد صيام أيام عدة ما أفطر ولهذا قال (٣٧٨) تعالى فعدة من أيام أخر ثم قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد

بكم العسر قال الامام أحمد حدثنا
أبو سلمة الخزازي حدثنا أبو هلال
عن حميد بن هلال العدوي عن
أبي قتادة عن الاعرابي الذي سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان
خير دينكم أيسره ان خير دينكم
أيسره وقال أحمد أيضاً حدثنا
يزيد بن هرون أخبرنا عاصم بن
هلال حدثنا عامر بن عروة
القيسي حدثني أبي عروة قال كنا
نتظر النبي صلى الله عليه وسلم
تخرج يقطر رأسه من وضوء أو
غسل فصلى فلما قضى الصلاة
جعل الناس يسألونه علمنا خرج
في كذا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان دين الله في يسر ثلاثاً
يقولها ورواه الامام أبو بكر بن
هروديه في تفسير هذه الآية من
حديث مسلم بن أبي تميم عن عاصم
ابن هلال به وقال الامام أحمد
حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة
قال حدثنا أبو التياح سمعت أنس
ابن مالك يقول ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يسروا ولا
تعسروا وسكنوا ولا تنفروا أخرجه
في الصحيحين وفي الصحيحين أيضاً

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمعاذ وأبي موسى حين بعثهما الى اليمن بشر اولا تنفروا ويسروا واطاوعا
ولا تختلفا وفي السنن والمسند ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالحنيفية السمحة وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه
في تفسيره حدثنا عبد الله بن اسحق بن ابراهيم حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا أبو مسعود الحريري
عن عبد الله بن شقيق عن مجن بن الادرع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يصلي فقرأ آية يصبر ساعة فقال أترأه يصلي
صادقاً قال قلت يا رسول الله هذا أكثر أهل المدينة صلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبهه فتملكه وقال ان الله انما أراد

بهده الامه اليسر وم يرد بهم
 العسر ومعنى قوله يريد الله بكم
 اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملاوا
 العدة أى انما أرخص لكم فى
 الافطار للمرض والسفر ونحوهما
 من الإعذار لارادته بكم اليسر وانما
 أمركم بالقضاء لتكملاوا عدة شهركم
 وقوله ولتكبروا الله على ما هذاكم
 أى ولتذكروا الله عند انقضاء
 عبادتكم كما قال فاذا قضيت
 مناسككم فاذكروا الله كذا كركم
 آباءكم وأشد ذكرا وقال فاذا
 قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض
 وابتغوا من فضل الله واذكروا
 الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال
 فسبح بحمدي ربك قبل طلوع
 الشمس وقبل الغروب ومن
 الليل فسبحه وأدبار السجود ولهذا
 جاءت السنة باستحباب التسبيح
 والحمد والتكبير بعد الصلوات
 المكتوبات وقال ابن عباس ما كنا
 نعرف انقضاء صلاة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الا بالتكبير
 ولهذا أخذ كثير من العلماء
 مشروعية التكبير فى عيد الفطر
 من هذه الآية ولتكملاوا العدة
 ولتكبروا الله على ما هذاكم حتى
 ذهب داود بن علي الاصميهانى
 الظاهرى الى وجوبه فى عيد الفطر
 اظاهرا لامر فى قوله ولتكبروا
 الله على ما هذاكم وفى مقابلته
 مذهب أبى حنيفة رحمه الله انه
 لا يشترع التكبير فى عيد الفطر
 والباقون على استحبابه على
 اختلاف فى تنصيل بعض الفروع

خسين صلاة وأمرهم بإداء ربع أموالهم زكاة ومن أصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن
 أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من الاثقال والآصار (ربنا ولا تحم لنا
 ما لا طاقة لنا به) تكرير النداء للنعمة المذكورة قبل هذا والمعنى لا تحم لنا من الأعمال
 ما لا نطيق وقيل هو عبارة عن ازال العقوبات كأنه قال لا تنزل علينا العقوبات بتقربنا
 فى المحافظة على تلك التكاليف الشاقة التى كلفت بها من قبلنا وقيل المراد به الشاق الذى
 لا يكاد يستطاع من التكاليف والطاقة القدرة على الشيء (واعف عنا) أى عن ذنوبنا
 يقال عفو عن ذنبه اذا تركته ولم تعاقبه عليه (واغفر لنا) أى استر على ذنوبنا
 ولا تفضحنا بالمواخذة والغفر الستر (وارحنا) أى تفضل برحمة منك علينا وتعطف بنا
 (أنت سولانا) أى ولينا وناصرنا وخرج هذا مخرج التعليم كيف يدعون وقيل معنادات
 سيدنا ونحن عبيدك (فانصرنا على القوم الكافرين) فان من حق المولى ان ينصر عبيده
 والمراد عامة الكفرة وفيه اشارة الى اعلاء كلمة الله بالجهاد فى سبيله وقد قدمنا فى شرح
 الآية التى قبل هذا أنه ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى قال
 عقب كل دعوة من هذه الدعوات قد فعلت فكان ذلك دليلا على أنه سبحانه لم يؤاخذهم
 بشئ من الخطا والنسيان ولا جمل عليهم شيئا من الاصر الذى جله على من قبلهم ولا جملهم
 ما لا طاقة لهم به وعفا عنهم وغفر لهم ورحمهم ونصرهم على القوم الكافرين والحمد لله
 رب العالمين وقد أخرج ابن ماجه وابن المنذر وابن حبان فى صحيحه والطبرانى والدارقطنى
 والحاكم والبيهقى فى سننه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله
 تجاوز عن أمتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه وروى من طرق كثيرة وفى
 اسانيد هامقال ولكنهم يقرى بعضهم البعض فلا يقصر عن رتبة الحسن لغيره وقد تقدم
 حديث قد فعلت وهو يشهد لهذا الحديث وقد ورد عن جماعة من الصحابة وغيرهم ان
 جبريل لقن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاتمة البقرة آمين وقد ثبت عند الشيخين
 وأهل السنن وغيرهم عن ابى مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ
 الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وأخرج أحمد والنسائى والطبرانى والبيهقى
 فى الشعب بسند صحيح عن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول أعطيت
 هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كفر تحت العرش لم يعطها نبي قبلى وأخرج الطبرانى
 بسند جيد عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله كتب
 كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بألفى عام فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة
 لا تقرأن فى دار ثلاث ليال فيقر بهن الشيطان وأخرج مسلم والنسائى واللفظ له عن ابن
 عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده جبريل اذ سمع نقيضا فرجع جبريل
 بصره الى السماء فقال هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فقرأ من مائة مائة فأتى النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابشر بنورين قد أوتيتهم ما لم يؤت ما نبي قبلك فاتحة الكتاب
 وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ آخرهما الا أوتيته فهذه أحاديث مرفوعة الى النبي

صلى الله عليه وآله وسلم في فضل هاتين الآيتين وقد
 روى في فضله ما من غير المرفوع عن عمرو على
 وابن مسعود وأبي مسعود وكعب الأختار
 والحسن وأبي قلابة وفي قول النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم
 ما يغني عن غيره
 والله الحمد
 تم

بينهم وقوله واعلمكم تشكرون أي
 إذا قسم بكم أمركم الله من طاعته
 بأداء فرائضه وترك محارمه وحفظ
 حدوده فاعلمكم أن تكونوا من
 الشاكرين بذلك

إلى هنا انتهى الجزء الأول ويليه
 الجزء الثاني وأوله قوله تعالى وإذا
 سألك عبادي عني فاني قريب

* (تم طبع الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله سورة آل عمران) *

ولما انتهى طبع الجزء الأول من تجزئة مؤلفه حفظه الله الذي آخره آخر سورة الانعام
 قال في خاتمة طبعه الأول بالمطبعة البهوبالية الخشاب الافضل والهمام الاكمل
 الجليل السيد النقيب اللوذعي الاديب الشيخ محمد أحسن الطيب ابن الهيثم نجش
 الحاجي يوري مقرظا هذا التفسير البديع بهيج الوضع وجيل الصنيع ومؤرخ انتهاء
 طبع هذا الجزء الجليل المنبئ عن غزارة علم مؤلفه البحر الخضم الشهم النبيل مانصه

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

أحمد ملفوظ به أمام كل كلام وأسعد ما يفتخر به كل مأموم وإمام حمد الله سبحانه
 وتعالى بما جده في كتابه العزيز وتنزيله الذهب الابرين من جواهر زواجر صيغة الخلافة
 باسمه إذ لا يشركه أحد في حده ولا رسمه رب السموات والارض وما بينهما ما فاعبده
 واصطبر لعبادته هل تعلم له سميًا وانما هي محامد لذاته الواجب الوجود الموحدة لكل
 موجود ايجادا سويًا وأحسن ما تلي به حده النامي ووصفه السامي التصلية والتسليم
 على أفضل رسله وخاتم أنبيائه المستل من سلالة عمه نان المفضل بالقرآن واللسان
 والبيان وعلى آله وأصحابه أولى الایمان والعرفان (وبعيد) فقد تم طبع هذا الجزء
 الأول من تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن المستر عن أنوار التنزيل المضي بضواء
 التأويل الذي لم تزل نعم القلوب اليه زفافه ورياح الآمال خولة هفاهه وعيون
 الفخول اليه رواق وأفواههم بتمنيه نواطق لما أودع فيه من كنوز الرواية ورموز
 الدراية بأسلوب رائق ومسلك فائق يحرس لقصاحته سبحانه وي طرح لبلاغته قس
 في زوايا التسيان ولعمري ان اسمه طابق مسماه ورسمه وافق معناه كما يعرف ذلك
 الناقد البصير ولا ينبغي مثل خير بدار الرياسة العلية وبيت الطباغة البهية بلدة
 بهوبال المحمية المحلية بنسبتها للدائرة السنية صاحبة الدولة السعيدة ذات المنكازم
 المشهورة الحميدة غرة جبهة الدهر وقرة عين العصر حضرتنا (نواب شاهجهان بيگم)

واليمة المملكة الباهرة ومصرها القاهرة لازالت بالشيم الزاهرة الفاهرة كيف
وبمثل طبع هذا الكتاب تلبس به وبال ثوب تيهها واعجابها وتجذيل خيلائها واغرامها
وكان ذلك خدمة لحماي ثغورها الاسلامية وماحي بدعها السامة النامية أحمد المفاخر
محمد المآثر رب السيف والقلم ذي الرأي والراية والعلم والعلم عزيز مصر به وبال
ووحيد عصر الدولة والاقبال تاج العترة المكل وطراز المجد الرفيع الاول من شاع
فضله وذاع وتوفرت لشراء تأليفه المقعدة الاسماع بقية أهل القرآن والحديث مستمد
الفتح من حضرة الباري المغيت ذي التجدد والعلو والتفأخر نواب على الجاه أمير الملك
السيد محمد صديق حسن خان بهادر لازالت المآثر الجميدة به بمجدد والمعارف الجليلة
اليه تقصد الى أن قال

انه لما وصل في الحادى عشر من شهر ربيع الاول سنة احدى وتسعين ومائتين وألف
هجرية بعد الحج والزيارة النبوية الى بيت المقدس بجزء من هذا التفسير ووقف من
هناك من أهل العلم عليه أنشوا عليه ثناء بالغاً ومدحوه مدحاً سائغاً وكتب عليه مقرظاً
كريم المحدث ذوالفضل الممتد يوسف بن أسعد الملقى بالقدس سلمهما الله الصمد
ما صورته هكذا

الحمد لله الذى نصب للعلماء العاملين أعلاماً ورفع قدرهم فهم أعز الخلق مقاماً جعلهم
حفظه شرعه القويم وهذا عصر اطمه المستقيم أحلهم منزلة أنبياء بنى اسرائيل
وأبدى بهم الحق فبأقوالهم زهقت الاباطيل وأنزل على رسوله الذى هو أكرم من الحق وسبق
اقراراً باسم ربك الذى خلق وشرف قدره بشهادة قرآن غير ذى عوج وأزال عن أمتنه
المرحومة غمت الاصر والحرج فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما تلا تال القرآن
ورتل وغرف من بحور معانيه مفسراً قول (وبعد) فان أعظم العلوم عند الله قدراً
وأعزها منزلة وأوفاهما أجراً علم التفسير لكتاب الله القدير اذ به مناط عبادة المكلفين
وصحة أصولهم وفروعهم عند المحققين ومن أعظم ما صنف فيه وتنافس به هذا الزمان
كتاب التفسير المسمى بفتح البيان فى مقاصد القرآن لو حيد هذا الدهر وفريد هذا
الأوان فبالله من كتاب تصاغره عنده فصاحة سحبان وتغورح من غيرياه حكمة لقمان
تصدر من بحر معناه ونهر مبناه جهابذة النقد ويعجز عن الاتيان بمثل أهل الحل والعقد
الفاظه مهذبة ومعانيه منسوبة فياله من مؤلف جامع وما أجده من سفر مانع
فأكرم به من كرم يانع تقتطف منه المعاني الدقيقة وتقتنص منه المبانى الرقيقة كف
لاوهو تأليف ذى الامارة العلي في العلم والعمل وقطب دائرة السادة الاول مجيد القول
فى التفسير ومجكم الصياغة الآخذ بجامع الفصاحة والبلاغة سلاله سيد المرسلين
وتاج هامة كافة المفسرين ولسان رجال الرواية والمحدثين وميزان اعتدال الافاضل
والمحققين ومحط رجال أولى الفضل واليقين من ذات له الرتبة العالية ليرقاها واقفرت
به الامارة الغالية لما علاها

آته الخلافة منقادة * اليه تجرأ ذالها

فلم تك تصلح الاله * ولم يك يصلح الاله

وتفاخرت به هويا على غيرهما من الاقاليم الدانية والقاصية فلا زالت بتأهولة معمورة
 عالية المخاطب بنواب عالي الجاه أمير الملك سيد محمد صديق حسن خان بهادر
 آدام الله عليه حلل السمادة والسيادة والتناصر وأعز الله به العلم وأيده
 وأعلى كلمته وقوى شوكة وأيده بحرمة سيد المرسلين وآخر
 دعوانا أن الحمد لله رب العالمين * الداعي على الزوام يوسف
 ابن أسعد الملقب بالامام بالمسجد الاقصى
 والمدرس به انتهى كلامه سلمه
 الله تعالى والحمد لله
 أولا وآخرا
 آمين